P-ISSN: 2789-7834 E-ISSN: 2789-3359
AIF 2021: 0.5 ISI 2021: 0.452

i2or 2022: 1.6 || GIF 2021 : 1.5255 || ISRA 2022: 1.013 ||
IJIFACTOR 2022: 1.6 with grade A

IBN KHALDOUN

مجلة ابن خلدون
للدراسات والأبحاث

مجلة علمية محكمة تصدر عن
مركز ابن العربي للثقافة والنشر
فلسطين - غزة

العدد 13
السنة الثانية
1 اكتوبر 2022م

benkijournal@gmail.com
+970 593 276 022
www.benkijournal.com
t.me/benkijournal
www.facebook.com/benkijournal

الهيئة التحريرية والاستشارية:

هيئة التحرير:

1. د. أحمد فايق دلول (فلسطين): دكتوراه في العلوم السياسية، (مدير التحرير).
2. أ.د. علي المرهج (العراق): أستاذ الفلسفة ورئيس قسم الفلسفة في جامعة المستنصرية، ورئيس تحرير مجلة آداب المستنصرية.
3. د. وصال عبد الله محمد أحمد محمد صالح (السودان): أستاذ مساعد في العلوم السياسية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.
4. د. محمود خليل القدرة (فلسطين): دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.
5. د. محمد سلمان مضحي الغريب (الكويت): دكتوراه في القانون.

هيئة التحكيم:

1. أ.د. ياقوت الشيخ عيسى كلاخي (الجزائر): أستاذ دكتور في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون، تيارت.
2. د. أحمد عبد السلام فاضل السامرائي (العراق): دكتوراه في التاريخ الحديث (المغربي العربي – أسبانيا)، وزارة التربية.
3. د. أحمد محمد ربيع حسن (مصر): دكتوراه في البلاغة والنقد الأدبي جامعة الزقازيق، وعضو هيئة تدريس بجامعة خاتم المرسلين.
4. د. المولدي اليوسفي (تونس): أستاذ علم اجتماع بالجامعة التونسية ورئيس قسم علم الاجتماع بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس.
5. د. أمينة شريف (الجزائر): أستاذة جامعية في القانون العام، أستاذ محاضر قسم –أ– جامعة بن يوسف بن خدة سعيد حمدين الجزائر 1.
6. د. أوان الفيضي (العراق): أستاذ مساعد في كلية الحقوق، جامعة الموصل، ويحمل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية – الفقه المقارن، ودرجة الدكتوراه في القانون الخاص.
7. د. بوترعة علي (الجزائر): أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، في جامعة عباس لغرور بخنشلة الجزائر.

8. د. جعفر عايد دسه (فلسطين): أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن، ورئيس قسم الدعوة الإسلامية في كلية العلوم الإسلامية، جنوب مدينة الخليل.

9. د. جلناز فاطمة (الهند): دكتوراه في الأدب الإنجليزي، جامعة عليكرة الإسلامية – الهند، ومحاضِرة في الأدب الإنجليزي في جامعة جازان، المملكة العربية السعودية

10. د. جيانا محمد علي عبدالله مخاتره (الأردن): دكتوراه في التربية الإسلامية من جامعة اليرموك.

11. د. حبيبة بنت محمد بن إدريس التركاوي (المغرب): دكتوراه في التاريخ من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير، باحثة في التاريخ ودراسات الهجرة.

12. د. خديجة القصير (العراق): تحمل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم.

13. د. زهرة عبد العزيز الثابت (تونس): دكتوراه في اللغة والحضارة العربية، الاختصاص الدقيق أديان مقارنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القيروان.

14. د. سماح بلعيد (الجزائر): أستاذة علم الاجتماع بالمدرسة العليا للأساتذة بشار.

15. د. عبد الفتاح محمد علي الفرجاني (فلسطين): محاضر جامعي غير متفرغ في إدارة الأعمال، في جامعة الأقصى، جامعة القدس المفتوحة، والكلية العربية للعلوم التطبيقية

16. د. عبدالقادر التايري (المغرب): أستاذ التعليم العالي مساعد، شعبة الجغرافيا، جامعة محمد الأول، وجدة.

17. د. عبدالله حسن علي البرغوتي (ليبيا): أستاذ مساعد في الدراسات الإسلامية، وعضو هيئة تدريس بكلية التربية جامعة بني وليد في ليبيا.

18. د. عفراء الفاضل محمد عثمان (السودان): أستاذ المحاسبة غير المتفرغ في جامعة بورتسودان.

19. د. علاء محمد علي البنوي (الأردن): حاصل على درجة الدكتوراه في القياس والتقويم النفسي والتربوي، وزارة التربية والتعليم

20. د. فادي عوني محمود الشلالدة (فلسطين): أستاذ مساعد في اللغة والنحو، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية العلوم الإسلامية، مدينة الخليل.

21. د. ماجدة مولود رمضان الشرع (ليبيا): أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة طرابلس، ليبيا.

22. د. محمد أحمد محمد مقدادي (الأردن): محاضر غير متفرغ في مناهج الدّراسات الاجتماعيَّة وأساليب تدريسها، كلية توليدوة الاهلية، جامعة البلقاء التطبيقية.

23. د. محمد حسن داود (إيطاليا): دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، ومحاضر في قسم اللغات والحضارات الحديثة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة جنوة.

24. د. محمد علي حمود الدياشي (اليمن): أستاذ السياسة الاقتصادية والترجمة في I.A.S. جامعة عدن.

25. د. محمود خليل القدرة (فلسطين): دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.

26. د. معتز يوسف أحمد أبو عاقلة (السودان): دكتوراه في الاقتصاد، ومحاضر في جامعة الشعب الأمريكية، كاليفورنيا.

27. د. موسى عيسى زين الدين (غانا): حاصل على دكتوراه في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ومحاضر في معهد اللغات.

28. د. ميمونة سعيد آدم عبدالله (السودان): دكتوراه الفلسفة في الدراسات الاستراتيجية، ومدير دائرة البحوث والدراسات والنشر في المركز السوداني للتوفيق والتحكيم.

29. د. ناهد كمال أحمد (بريطانيا): دكتوراه في إدارة وريادة الأعمال.

30. د. يونس العزوزي بن محمد (المغرب): دكتوراه في الآداب، تخصص التربية والدراسات الإسلامية، جامعة عبد المالك السعدي بتطوان.

31. محمود علي عبد الحليم مصطفى (مصر): دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها من جامعة طنطا.

32. ناريمان خمار (الجزائر): أستاذ مساعد في القانون الخاص، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد الشريف مساعدية سوق اهراس، والجزائر

الهيئة الاستشارية:

1. أ.د. إدريس لكريني (المغرب): أستاذ الحياة السياسية والعلاقات الدولية في كلية الحقوق بجامعة القاضي عياض – المغرب.
2. أ.د. حاكم موسى عبد الحسناوي (العراق): أستاذ دكتور في طرائق تدريس التاريخ (رئيس الهيئة).
3. أ.د. خالد أبو عصبة (فلسطين): أستاذ الإدارة التربوية، الجامعة العربية الأمريكية، رام الله
4. أ.د. عبدالرضا فرج بدراوي رويهي الخماس (العراق): أستاذ إدارة الأعمال، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة البصرة.
5. أ.د. عبدالعاطي القدال (السودان): أستاذ دكتور في أصول التربية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أمدرمان، السودان.
6. أ.د. علاء المندلاوي (العراق): أستاذ التربية ومناهج البحث في العراق.
7. أ.د. علي الربيعي (بريطانيا): أكاديمي عراقي مقيم في بريطانيا.
8. أ.د. علي المرهج (العراق): أستاذ الفلسفة ورئيس قسم الفلسفة في جامعة المستنصرية، ورئيس تحرير مجلة آداب المستنصرية.
9. أ.د. ميلاد مفتاح الحراثي (ليبيا): أستاذ دكتور في العلوم السياسية والسياسة الدولية، جامعة إستنبول، قليشم، إستنبول.
10. أ.د. نجاة الهنشيري (ليبيا): أستاذ تربية الطفولة في جامعة طرابلس.
11. أ.د. نزار شكور شاكر (العراق): كلية التربية الأساسية، جامعة السليمانية.
12. أ.د. نعيم كامل شبير (فلسطيني مقيم في السعودية): أستاذ المناهج وطرق التدريس في جامعة الملك سعود.
13. أ.د. هشام صالح مناع (الأردن): عميد كلية الآداب سابقا، وأستاذ الدراسات العليا في الأدب والنقد، جامعة الإسراء، عمّان، الأردن.
14. أ.د. ياقوت الشيخ عيسى كلاخي (الجزائر): أستاذ دكتور في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون، تيارت.

15. أ.د. يوسف محمد عبده محمد العواضي (اليمن): أستاذ دكتور في القراءات والتفسير وعلوم القرآن، جامعة المدينة العالمية – ماليزيا.

16. د. حاتم العسولي (فلسطين): أستاذ الإعلام في جامعة غزة.

17. د. رامي حسين حسني الشرافي (فلسطين): دكتوراه في العلوم السياسية، عضو الأمانة العامة لنقابة الصحفيين، ومدير إذاعة زمن.

18. د. طارق خالد الغريّب (الكويت): دكتوراة في الإدارة التربوية، وزارة التربية والتعليم الكويتية.

قواعد وضوابط النشر في المجلة:

الشروط العامة للنشر:

- أن يكون البحث ذا قيم علمية أو أدبية، كأن يقدم إنتاجاً جديداً في الحقل المعرفي.
- أن يتمتع البحث بتسلسل الأفكار والسلامة اللغوية والإملائية، وأن يشتمل على أكثر من مبحث.
- ألا يكون البحث مستلاً من أطروحة دكتوراة أو رسالة ماجستير أو كتاب تمَّ نشره مسبقاً.
- يفضَّل أن يحتوي البحث على مراجع أو دراسات سابقة بلغات أجنبية وخاصة الإنجليزية والعربية.
- يجب أن يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقرها المحكمون بخصوص بحثه، حيث يعد النشر مشروط بإجراء هذه التعديلات.
- يتم التواصل مع أصحاب الدراسات والأبحاث الواردة إلى المجلة من يوم إلى أسبوع منذ استلامها.
- تقوم المجلة بترجمة بعض الأبحاث المنشورة من الإنجليزية إلى العربية أو العكس في حال رأت أنَّ البحث يحتوي على قيم معرفية فريدة يجب تعميمها، مع إشعار صاحب البحث مسبقاً بهذا الأمر.
- كافة الحقوق محفوظة للمجلة، ولا يجوز إعادة نشر أي من الأبحاث إلا بموافقة خطية من المجلة، مع ذكر المصدر الأساسي.

الشروط الشكلية للبحث:

- يجب أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (25) صفحة، بما في ذلك: صفحة العنوان والملخصين العربي والإنجليزي، وقائمة المراجع والملحقات إن وُجدت.
- تُكتب المعلومات الأساسية للبحث على الصفحة الأولى، وتشتمل على:
  - عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية.
  - اسم الباحث (أسماء الباحثين) ومواقعهم الوظيفية باللغتين العربية والإنجليزية

- (مثال: محمود سعيد بو حمد: أستاذ مشارك في الإدارة التربوية، جامعة القاهرة، مصر).
- البريد الإلكتروني.

- يكتب البحث على ملف مستند word بحجم A4، مع ترك هوامش بمقدار 3سم من الأعلى والأسفل واليمين واليسار.
- ملخص البحث:
  - يجب أن يحتوي البحث على ملخصين باللغتين العربية والإنجليزية.
  - لا يتجاوز حجم الملخص العربي (250) كلمة والملخص الإنجليزي (300) كلمة.
  - يتبع كل ملخص بكلمات مفتاحية (Keywords) (دالة على التخصص الدقيق للبحث) بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات، ولا يقل عن (3) كلمات.
  - يجب أن يشتمل ملخص البحث على (تعريف عام عن البحث مع ذكر الهدف منه، منهجية البحث، مجتمع عينة الدراسة في حال البحوث الميدانية، أهم النتائج التي توصَّل إليها، أهم التوصيات التي قدَّمها)، ويمكن كتابة البحث في فقرة واحدة.
- المسافات بين الأسطر: تكون مفردة (وإذا رأت المجلة خلاف ذلك ستقوم بالتعديل بنفسها)، والتباعد بعد الفقرات 8 أو 10 نقاط.
- الخطوط: إذا كان البحث باللغة العربية فيجب تقديمه بخط Simplified Arabic، وفي اللغة الإنجليزية يُستخدم Times New Roman، كما أنَّ حجم الخط 16 غامق لعنوان البحث وكذلك للعنوان الرئيسي، 14 غامق للعناوين الفرعية، 14 عادي لباقي النصوص.
- حجم الخط في الحواشي السفلية 12 نقطة بالعربي أو الإنجليزي.
- يجب ضبط النصوص الدينية أو الشعرية بالشكل الصحيح لها مع التشكيل وفي أقواس خاصة.
- يتم ترقيم الصفحات كلها بخط Simplified Arabic، حجم الخط 14 عادي.
- الرسوم والأشكال:
  - تُدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص مباشرة.
  - من الأفضل أن تكون الرسوم والأشكال باللونين الأبيض والأسود.
  - يتم ترقيم الجداول والأشكال بخط حجمه 14 عادي.
  - تُرقّم الأشكال والجداول ترقيماً متسلسلاً وتُكتب أسماؤها والملاحظات التوضيحية في أسفلها.
  - يجب أن يتوسط الجدول الصفحة.

- يجب ذكر مصدر الشكل أو الجدول أسفله، وإن كان من إعداد الباحث نفسه فيجب التنويه إلى ذلك، ويكون توثيق الجدول بخط 14 غامق، مع ذكر كلمة المصدر، مثال: (المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 17 أبريل 2021م).
- عندما يشار في متن البحث لجدول ما، يجب ذكر رقمه.

- التوثيق:

- توثيق كتاب منشور: اسم المؤلف الأخير، الاسم الأول، (سنة النشر)، عنوان الكتاب، الطبعة، المدينة أو الدولة، دار النشر.
- مثال لتوثيق كتاب: أبو شادي، سعيد، (2008)، المحاسبة الحكومية المتقدمة، الطبعة الثانية، عمان، منشورات الجامعة الأردنية.
- Abu Shady, S, (2008), Advanced Financial Accounting,Third Edition, Amman-Jordan, Jordan University Publications.
- مثال لتوثيق كتاب مشترك: سعد، رائد، ودراغمة، زهران، (2014)، محاسبة التكاليف في المنشآت الصحية، الطبعة الأولى، القدس-فلسطين، مطابع جامعة القدس المفتوحة.
- توثيق بحث منشور في مجلة محكمة: اسم المؤلف الأخير، الاسم الأول، (العام)، عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد (العدد)، أرقام الصفحات.
- لتوثيق بحث منشور باللغة الإنجليزية:
- Awad, M, (2010), Input Variable Selection Using Parallel Processing of RBF Neural Networks (PP-RBFNNs),The International Journal of Information Technology, 7 (1), PP 6-13.
- مثال لتوثيق بحث منشور: دراغمة، زهران، (2008)، أثر النمو والحجم ودرجة الرفع المالي على المحتوى المعلوماتي للتدفقات النقدية من النشاطات التشغيلية والأرباح المحاسبية: دليل من الأردن – قطاع الصناعة، المجلة العربية للعلوم الإدارية، 15 (3)، ص: 1 -22.
- لتوثيق بحث منشور لباحثين في مجلة أجنبية:
- Qasrawi A, and Mergen, A, (2013),Effect of Yttrium Solubility on the Structural and Optical Properties of Pyrochlore Ceramics, Ceramics International, 39(8), PP 868-862.
- توثيق كتاب مترجم: اسم المؤلف الأصلي، (السنة)، عنوان الكتاب، الطبعة، ترجمة (—)، المدينة أو الدولة: دار النشر للباحث الأصلي.

- توثيق الرسائل الجامعية: اسم المؤلف الأخير، الاسم الأول، (السنة)، عنوان البحث، عنوان الرسالة، رسالة ماجستير/ دكتوراة غير منشورة، اسم الجامعة، اسم الدولة.
- توثيق من منشورات منظمة: اسم المنظمة، (السنة)، عنوان الإصدار، رقم الإصدار.

- المراجع:
  - يمكن كتابة مصادر ومراجع كل صفحة في المتن (apa) أو في الهامش.
  - إذا كان البحث مكتوباً باللغة العربية؛ يجب أن تفصل المراجع العربية عن المراجع الأجنبية.
  - إذا كان البحث مكتوباً باللغة الإنجليزية؛ تدمج المراجع العربية والأجنبية وتكتب باللغة الإنجليزية.
  - يجب ترتيب المراجع ترتيباً هجائياً.
  - المراجع الواردة في قائمة المراجع يجب أن تكون قد استُخدمت بالفعل في متن البحث.
- يجب ضبط المعادلات الرياضية بشكل صحيح، بحيث:
  - تعطى المعادلات أرقاماً تسلسلية ويوضع الرقم بين قوسين كما يلي: $Y = a + Bx$ (1).
  - يفضل استخدام برنامج ميكروسوفت للمعادلات الموجود ضمن حزمة Wordلكتابة المعادلات.
  - يكون حجم خط المعادلة 14.
  - يجب أن يوضع أسفل المعادلة تفسيراً وتوضيحاً للمتغيرات الداخلة فيها.

رسوم النشر:

- مصر والسودان وسوريا واليمن: 40 دولاراً (+ 1 دولار عن كل صفحة تزيد عن 25 صفحة).
- المغرب العربي والمشرق العربي: 50 دولاراً (+ 1.5 دولار عن كل صفحة تزيد عن 25 صفحة).
- الخليج العربي: 60 دولاراً (+ 2 دولار عن كل صفحة تزيد عن 25 صفحة).
- خارج الوطن العربي: 70 دولاراً (+ 2 دولار عن كل صفحة تزيد عن 25 صفحة).

معايير تحكيم الأبحاث:

المعيار	الدرجة من 5		الدرجة من 5
1. سلامة عنوان البحث		2. جودة أسلوب الكتابة	
3. أصالة موضوع البحث		4. السلامة اللغوية وخلو البحث من الأخطاء	
5. وضوح الكلمات المفتاحية		6. توثيق مصادر ومراجع البحث	
7. ملخص البحث بالعربي		8. مُراعاة البحث للمعايير الأخلاقية	
9. ملخص البحث بالانجليزية (abstract)		10. ترجمة المشكلة البحثية تساؤلات وفرضيات في المتن	
11. وضوح مشكلة البحث		12. حضور شخصية الباحث في البحث	
13. وضوع أسئلة البحث		14. اختيار عينة البحث والأدوات والإجراءات الميدانية	
15. وضوح منهجية البحث		16. توفر خاتمة ونتائج توصيات	
17. وجود أهداف من البحث		18. توفر قائمة المصادر والمراجع	
19. وضوح الحدود الزمانية والمكانية والموضوعية والبشرية حسب طبيعة البحث)			
المجموع			

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين الذي نزل عليه قرآن يُتلى إلى يوم الدين، في مطلعه "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم"، وبعد:

يسرُّ هيئة تحرير "**مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث**" أن تصدر العدد الثاني عشر في عامها الثاني، حيث اشتمل العدد على 36 بحثاً، لـ 59 باحثٍ من داخل الوطن العربي، 35 منها باللغة العربية والأخير كان باللغة الإنجليزية، ومع نشر هذا العدد تكون المجلة قد نشرت نحو 456 بحثاً لـ 616 باحثٍ من الوطن العربي وخارجه.

تمكَّنت المجلة من الحصول على العديد من العضويات، وعلى سبيل المثال: حصلت على رقم تسجيل دولي للنسخة الإلكترونية E-ISSN: 2789-3359، ورقم آخر للنسخة الورقية P-ISSN: 2789-7834، وكذلك تمكَّنت من التحول إلى مجلة شهرية بموافقة مؤسسة ISSN، وهي حاصلة على معامل تأثير عربي لعام 2021م بمقدار 0.5، وحاصلة على عضوية معهد المؤسسات العلمية i2or في الهند ومعامل التأثير لنفس المؤسسة لعام 2022 بمقدار 1.6، وحاصلة أيضاً على عضوية مؤشر العلوم المتقدمة (advanced science index) في ألمانيا، ودخلت في مؤشر العلوم الإنسانية في **دار المنظومة**، ولديها اتفاقية مع قاعدة المعلومات التربوية **شمعة**، ومعترف بها في قواعد بيانات "معرفة"، وكذلك في قاعدة المعلومات العالمية **DRJI**، ومعترف بها من **SJIM**، ودخلت التصنيف الدولي **GIF** وحصلت على 1.5255 لعام 2021م، وحاصلة على IJIFACTOR 2022: 1.6 وترتيبها فوق المتوسطة بمرتبة A ، كما دخلت في مؤشر المجلات العلمية الأوراسية **ESJI**، وارتفعت درجتها في مؤشر International Scientific Indexing (ISI)، من 0.376 إلى 0.542 في عامي (2021-2022)، ولديها عضوية في مؤسسة معامل الاستشهادات CiteFactor، وحصلت مؤخراً على معامل تأثير بمقدار 4.96 لعام 2022 من SJIF، كما أنَّها تقدمت بطلبات للانضمام إلى العديد من التصنيفات العالمية.

تنطلق المجلة من فلسطين المحتلة، وتتخذ من قطاع غزة مقراً مؤقتاً لها، في حين أنَّ مقرها الدائم سيكون مدينة القدس -إن شاء الله-، ولديها ممثلين في كلٍ من: العراق والمغرب والجزائر والسودان والأردن وليبيا، وتمكَّنت من الوصول إلى أغلب دول الوطن العربي بالإضافة إلى تركيا وماليزيا والسنغال وغانا.

أخيراً؛ تسعى المجلة للإسهام الفاعل في النشر والبحث العلمي، حيث تتبع منهجية عملٍ واضحةٍ، وتضم أكثر من 55 عضواً في هيئاتها المختلفة من الوطن العربي وخارجه، كما تُخضِع كافة الأبحاث للتحكيم العلمي بما في ذلك أبحاث أعضاء هيئاتها، وتقوم المجلة بترتيب أبحاثها داخل دفَّات أعدادها موضوعياً وفق طريقةٍ قريبة إلى حدٍ كبيرٍ بالتصنيف العشري، كما أنَّها تتيح لأعضاء هيئاتها المختلفة نشر أبحاثهم باللغات الثلاث العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية بدون دفع رسوم التحكيم والنشر.

د. أحمد فايق دلول

مدير هيئة التحرير

1 تشرين الأول/أكتوبر 2022م

قائمة الأبحاث:

#	عنوان البحث	الصفحات
.1	**الآليَّة التأويليَّة لفَهم النَّص القرآني عند المستشرقين** ***The hermeneutic mechanism of understanding the Qur'anic text for orientalists*** أ. د. رعد هاشم عبود & م. م. أفراح ميدان حسين **Prof. Dr. Raad Hashim Abboud & Afrah Meedan Hussain**	17 – 1
.2	**ظاهرة الحذف والتقدير في كتب علوم القرآن عند المحدثين** ***Omission and appreciation phenomenon in the books of Quran sciences among the narrators*** أ.د. جابر محيسن عليوي الركابي & مطلك محمد مؤنس الرميض **Prof. Dr. Jaber Al-Rikabi & Mutlaq Al-Rumaid**	37 – 18
.3	**القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام** ***Fundamental rules affecting exemptions from fasting*** د. آسيا محمد الجعلي أحمد **ASIA MOHAMED ALGALI AHAMED**	55 – 38
.4	**الإجارة المنتهية بالتمليك: دراسة تحليلية** ***Rent-to-own: an analytical study*** إبراهيم فضل الشيخ **Ibrahim Fadl Al-Sheikh**	79 – 56
.5	**معالم النقد والتجديد والمراجعة لمنهج التفسير لدى بعض أعلام مدرسة المنار: الشيخ محمد عبده نموذجا** ***Criticism, renewal, and a revision of the interpretation approach of some pioneers of Al-Manar school: Sheikh Muhammad Abdo as a model***	98 – 80

	د. عبد العزيز ديدي Dr. Abdelaaziz Didi	
.6	**جامعة آل البيت في العراق مبررات التأسيس والنشأة** ***Al AlBayt University in Iraq Justifications for its establishment and upbringing*** أ.د. مؤيد شاكر كاظم & أسيل نجم محمد **Prof. Dr. Muayyad Kadhem & Aseel Muhammad**	133 – 99
.7	**تأسيس القوة الجوية والبحرية في ليبيا إبان العهد الملكي عام** 1962 ***The establishment of the Air and Navy Force in Libya during the royal era in 1962*** أ.د. علي حسين نمر الإسماعيلي & بسمة جمال طعمة **Prof. Dr. Ali Hussein Al-Ismaili &: Basma Tohme**	147 – 134
.8	**البطريرك أنطوان عريضة ودورهُ في استقلال لبنان عام** 1943 ***Patriarch Antoine Arida and his role in the independence of Lebanon in 1943*** أ.د. علي حسين نمر & رشا صاحب سفر **Prof. Dr. Ali Nimr & Rasha Safr**	164 – 148
.9	**الدوافع الدينية للصراع في روايات المتاهة لبرهان شاوي** ***Religious conflict in the novels of the maze to Burhan Shawi*** عطا جواد كاظم & أ.م.د. سلام مهدي الموسوي **Ata Kadham & DR. Salam AL Musawi**	182 – 165
.10	**الإرث السقراطي أو الخوف من الكتابة: مركزيّة الصوت في السرد العربي القديم عند عبد الله إبراهيم** ***Socratic legacy or fear of writing: About the Centrality of Sound in the Old Arab Narrative by Abdullah Ibrahim*** أ.د سوسن هادي جعفر & م.م سعد رفعت سرحت	204 – 183

	Assit Prof. Sawsan Jaafar & Saad Sarhat	
.11	**الاكتساب اللغوي: أسسه ومراحله** ***Language acquisition: basics and phases*** د. بشرى البلقاسمي **Dr. Bouchra EL Belkasmi**	223 – 205
.12	**القصة نمط للإقناع في مشاهد القيامة عند المحدثين** ***The story as a way of persuasion in the scenes of the Resurrection among narrators.*** أ.د. هادي شندوخ حميد السعيدي & عباس حسين عناد الإبراهيمي **Prof. Dr. Hadi Al-Saidi & Abbas Al-Ibrahimi**	241 – 224
.13	**القرائن المعنوية آلية ترجيحية في الخلاف النحوي** ***The moral clues are a weighting mechanism in the grammatical dispute*** شيماء نعيم مطر الحجامي & أ.د. ماجد جميل كاظم الزهيـــري **Shaima Al-Hijami & Prof. Dr. Majid Al-Zuhairi**	265 – 242
.14	**تلقي شرّاح اللمع لآراء الأخفش الأوسط (ت215هـ) النحوية بين القبول والرفض** ***The opinions of Alluma's book's explainers (Sharh Alluma) about the grammatical views of Al-Akhfash Al-Awsat between acceptance and rejection (date 215 AH)*** كوثر فليح عبد الموسوي & أ.د. باسم خيري خضير **Kawthar Abdel Moussawi & Prof. Dr. Basem Khudair**	280 – 266
.15	**مشكلات التربية العملية لطلاب كليات التربية الفيدرالية بنيجيريا** ***Practical education problems for students of the Federal Colleges of Education in Nigeria*** مختار حمزة آدم & د. عمر الشفيع أحمد الشفيع	311 – 281

	Mukhtar Adam & Dr. Omar Al-Shafi`	
340 – 312	**أثر استخدام تصميم التعليم في فاعلية التدريس وزيادة التحصيل الدراسي بالمرحلة الثانوية** ***The effect of using instructional design on teaching effectiveness and increasing academic achievement at the secondary stage*** **د. يس بابكر أحمد فضل الله** **Dr. Yassin Fadlallah**	.16
358 – 341	**إسهام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تجويد تدريس مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي** ***The contribution of information and communication technology to improving the teaching of Islamic education at the secondary level*** **د. مصطفى خاضري** **KHADIRI MUSTAPHA**	.17
372 – 359	**الأمية والتسرب المدرسي في محافظة ذي قار** 2020-2009 ***Illiteracy and school dropout in Dhi Qar Governorate 2009-2020*** **سماح حليم ثامر & أ.د. حسين عليوي ناصر الزيادي** **Samah Thamer & Prof. Dr. Hussein Al-Zeyyadi**	.18
398 – 373	**التوزيع المكاني لرياض الأطفال في المراكز الحضرية لمحافظة ذي قار** ***Spatial distribution of kindergarten in the urban centers of Dhi Qar Governorate*** **باقر عبد الله حمدان & أ.د. سميع جلاب منسي** **Mr. Baqer Hamdan & Prof. Dr. Sami Al-Sahlani**	.19
415 – 399	**رصد تغيرات الغطاء الأرضي في محافظة ذي قار للمدة** 1990 - 2021	.20

	Monitoring earth cover changes in Thi-Qar Governorate for the period 1990 – 2021 خالد خيري مزيعل & أ.د. عبد الرزاق خيون خضير المحيميد **Khaled Meziel & Prof. Dr. Abdul Razzaq Al Muhaimid**	445 – 416
.21	**الملائمة المكانية لمياه قناة الصليبات لزراعة الحنطة في ضوء خصائصها الفزيائية والكيمائية** ***Spatial suitability for the water channel to grow wheat in light of its physical and chemical properties*** علي عبد الله صالح & أ.د. رحيم حميد عبد ثامر العبدان **Ali Saleh & Dr. Rahim Al Abdan**	484 – 446
.22	**هيدرولوجية الغطاء الأرضي وتأثيره على السعة البيئية لشبكة تصريف مياه الأمطار باستخدام منحنى الجريان** SCS-CN **في مدينة الناصرية** ***The hydrology of the earth cover and its effect on the environmental capacity of the rainwater drainage network using the flow curve SCS-CN in Nasiriyah city*** محمد خضر سعد & أ.م.د. علي مجيد ياسين **Mohammed Saad & Prof. Dr. Ali Yassin**	510 – 485
.23	**جولات التصعيد الإسرائيلية ضد حركة الجهاد الاسلامي وأثرها على الأداء العسكري لسرايا القدس** 2012-2022 ***The Israeli Rounds of Escalation against the Islamic Jihad Movement and their Effects on the Military Performance of Al-Quds Brigades 2012-2022*** محمود حلمي حسن الفقعاوي **Mahmoud Al-Faqawy**	545 – 511
.24	**العوامل المؤثرة على استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا** (COVID-19) **من وجهة نظر المستخدمين: دراسة ميدانية على**	

	مستخدمي التطبيقات في منطقة مكة المكرمة للعام الهجري ١٤٤٣هـ ***Factors affecting the use of tracking applications of the Corona pandemic (COVID-19) from the point of view of users: a field study on application users in the Makkah Al-Mukarramah region for the Hijri year 1443 AH*** سارة مطير الخالدي & د. صباح عبد الله الصومالي **Sarah Al-Khalidi & Dr. Sabah Al-Somali**	
.25	**مراقبة الاتصالات الهاتفية بين الحق في الخصوصية وحماية المصلحة العامة: دراسة مقارنة** ***Wiretapping between the right to privacy and the protection of the public interest- comparative study*** هاشم عبد الكريم مشهداني **Hachem Abdelkarim Machhadani**	561 – 546
.26	**إطلاق سراح المتهم بكفالة في القانون العراقي** ***The release of the accused on bail in Iraqi law*** عثمان غازي صالح **Othman Ghazi Saleh**	582 – 562
.27	**بنية المتخيل وتمظهراته في الثقافة الغربية** ***The structure of the imagined and its manifestations in Western culture*** د. جوهرة القدس عكية **Dr. Jaouharat Al Qods Aggya**	597 – 583
.28	**خصائص الأمِّيِّين في محافظات جنوب العراق (البصرة وذي قار وميسان والمثنى)** ***Characteristics of the illiterate people in the governorates of southern Iraq (Basra, Thi-Qar, Maysan and Muthanna)***	602 – 598

	سعد ادوير صخي & أ.د. حسين عليوي ناصر الزيادي Saad Sakhi & Prof. Dr. Hussein Al-Ziyadi	
.29	**الأمل في الحياة لدى فاقدي الوالدين في العراق** ***Hope in Live for the parents' loss people in Iraq*** م.م. كاظم غميس ياسر العمري & أ.د. صفاء عبد الزهرة الجمعان Kadhim Al-Omary & Prof. Dr. Safa' Aljama'n	634 – 603
.30	**آثار التهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية** ***The effects of tax evasion on the Palestinian public treasury*** هاني زياد دراوشة Hani Zeyad Darawsha	651 – 635
.31	**التنظيم الإداري في المكتبات الجامعية: جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية "دراسة ميدانية"** ***Administrative Organization in University Libraries: Ibn Sina University for Medical and Pharmaceutical Sciences "A Field Study"*** م. مريم فاروق فياض MARYAM FAROOQ FAYYADH	674 – 652
.32	**إنشاء النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية: الفرص والتحديات** ***Creating Islamic Windows in Conventional Banks: Opportunities and Challenges*** حيدر علي كاظم الفتلاوي & حلمي هاشم عبد القادر Hayder Alfatlawi & Hilmi Abdulqader	696 – 675
.33	**الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به** ***The da'if (weak) hadith and the ruling to take it as evidence*** كوثر أعظم عبد الرحمن & د. عبد الودود مقبول أحمد محمد حنيف Kawthar Abdul Rahman & Dr. Abdul-Wadud Hani	717 – 697

.34	**إنشاء النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية: الفرص والتحديات** ***Creating Islamic Windows in Conventional Banks: Opportunities and Challenges*** حيدر علي كاظم الفتلاوي & حلمي هاشم عبد القادر **Hayder Alfatlawi & Hilmi Abdulqader**	736 – 718
.35	**أثر الانفتاح التجاري على سعر الصرف في السودان خلال الفترة** (1990-2021): **دراسة قياسية باستخدام نموذج الانحدار الذاتي ذو الفجوات الموزعة** (ARDL) ***The impact of Trade Openness on Exchange Rate in Sudan during the period (1990-2021): An Econometric study by using Autoregressive Distributed Lag (ARDL) model*** د. جارالنبي بابو جارالنبي & فاطمة عثمان عافية **Dr. Jaralnebi Jaralanbi & Fatima Afia**	756 – 737
.36	**الوساطة: تعدد المعاني تحت راية واحدة** ***La médiation: Une pluralité de sens sous une même bannière*** شفقي فاطمة الزهراء **Chofqi fatima zohra**	778 – 757

الآليَّة التأويليَّة لفَهم النَّص القرآني عند المستشرقين

The hermeneutic mechanism of understanding the Qur'anic text for orientalists

أ. د. رعد هاشم عبود م. م. أفراح ميدان حسين

كليَّة التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق

T. A. Afrah Meedan Hussain **Prof. Dr. Raad Hashim Abboud**

Faculty of Education for Humanities, Thi- Qar University, Iraq

afrahmeedan1991@gmail. com Raad. Hasim@utq. edu. iq

المخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى بيان جوانب جديدة في طريقة دراسة النص القرآني عند غير العرب من المستشرقين، وكيفية التعامل مع القرآن بمنظورهم الخاص. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها معرفة كيفية استخدام المستشرقين لقواعد اللغة العربية، إلّا أنّ استخدامهم وفهمهم لهذه القواعد وتطبيقها على القرآن الكريم لم يكن موفقا. وقام بعض المستشرقين بِلَي عنق بعض الآيات القرآنية وتأويلها بما يتناسب مع أحكامهم المسبقة، نحو القول بالثليث في الإسلام، وتعدد الآلهة، والاعتراف بنظام الطبقات وغيرها. فصلا عن اعتماد بعضهم على القواعد السريانية في تأويل القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: دراسات قرآنية، المستشرقون والقرآن، التأويل عند المستشرقين، دراسات استشراقية، تأويل القرآن.

Abstract:

This study aimed to illustrate new aspects in the way the Qur'anic text is studied among non-Arab Orientalists, and how to deal with the Qur'an with their own perspective. The curriculum of study is descriptive and analytical, interspersed with criticism in some places that require it. One of the most important results of the study was to know how Orientalists used Arabic grammar, but their use and understanding of these rules and their application to the Holy Quran was not successful. Some Orientalists twisted the neck of some Qur'anic verses and interpreted them in proportion to their prejudices, towards saying the Trinity in Islam, the multiplicity of gods, the recognition of the caste system and others. They separated from the dependence of some of them on Syriac rules in the interpretation of the Holy Qur'an.

Keywords: Qur'anic studies, Orientalists and Qur'an, interpretation of orientalists, Oriental studies, interpretation of Qur'an.

المقدمة:

يعد النص القرآني من أبرز النصوص التي تم دراستها منذ بداية نزوله بدءا بتدبر معانيه وألفاظه من قبل المسلمين الأوائل وإلى العصر الحالي، علما أن دراسته لم تقتصر على العرب وإنما نال إعجاب الباحثين الغربيين فتتبعوه نقدا تارة وبحثا تارة أخرى، ومنهم من يرى فيه نص عادي يمكن دراسته مثل أي نص بشري منزوع القداسة، وآخر اعترف بهذه القداسة واحترمها. والأمر لم يقتصر على العرب وإنما تجاوز إلى المستشرقين فدرسوا القرآن بمناهج وآليات عديدة، ونذكر منها في هذا البحث الآلية التأويلية، وكيف وجهها هؤلاء في الدراسة القرآنية. تُعد آلية التأويل إحدى الآليات التي استخدمها المستشرقون لفهم النص القرآني، وقد لوحظ أنَّ تأويلاتهم لبعض النصوص والألفاظ القرآنية دلَّت على ضعفِهم بالأساليب اللغوية، إضافة إلى اعتماد بعضهم على ما ورد في مصادرهم السابقة اعتماد شبه مطلق، والتسليم لجميع الآراء التي طرحت آنذاك، فقد وُجِد أن هؤلاء قد قرؤا القرآن من منظور القواعد السريانية جنبا إلى جنب مع اللغة العربية، للإتيان بفهم جديد أحيانا، بعيد عن مقاصد القرآن الكريم التي أرادها الله تعالى، وبهذا فإن الفهم الخاطئ يؤدي إلى نتائج خطيرة دينيا، مؤثرة فكريا، وممتدة زمانيا.

وتتمثل مشكلة الدراسة في صعوبة الحصول على مصادر تخص الجانب التأويلي عند المستشرقين، كون الدراسات التأويلية عندهم قليلة، فضلا عن ذلك فهي لم تدرسه من الجانب اللغوي، وإنما اعتمدت على لغة أخرى غير العربية في التأويل، واعتماد الرسم القرآني للحرف.

أمّا منهج الدراسة فهو وصفي تحليلي، ويتخلله النقد في بعض المواضع التي تستوجبه.

ويمكن القول إنَّ الهدف من هذه الدراسة هو بيان جوانب جديدة في طريقة دراسة النص القرآني عند غير العرب من المستشرقين، وكيفية التعامل مع القرآن بمنظورهم الخاص.

ولهذه الدراسة أهمية العديد من الحقائق فهي تبين مواطن الانحراف التي وقع بيها المستشرقون وكيف أنّهم نقلوا صورة غير صحيحة عن القرآن لقارئيهم، فجاءت هذه الدراسة لبيان الانحراف وتعديله، وإكمال النقص الذي وقع به المستشرقون في تفسير بعض العبارات والكلمات القرآنية وتصحيح المسار.

وتشتمل خطة الدراسة على مقدمة، ومحورين، جاء في المحور الأول: تعريف التأويل في الدراسات العربية القرآنية، أما الثاني فقد خُصص لبيان التأويل عند المستشرقين عن طريق مجموعة من النماذج التطبيقية، وأخيرا اختتمت الدراسة بخاتمة تليها أهم النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع.

أولا: تعريف التأويل

لقد دلّ لفظ "التأويل" في القرآن الكريم على معانٍ عديدة، منها:

1. بمعنى المرجع والجزاء يوم القيامة[1]، كقوله تعالى: {هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ... ٥٣}[الأعراف: 53]، أي ويوم يأتي ثوابه وعاقبته.
2. بمعنى تعبير الرؤيا[2]، نحو قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ... }[يوسف: 6].
3. بمعنى المآل والمنقلب[3] نحو قوله تعالى: {ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا}[الإسراء: 35]
4. بمعنى التفسير[4]، قال تعالى: {... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ.. ٧}[آل عمران: 7].

لقد لوحظ أن أغلب المعاني اللغوية للفظة "التأويل" تنضوي تحت معنى عام، وهو الرجوع إلى أصل الشيء، كما دلّت بعض الآيات القرآنية على ذلك أيضا[5].

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تح، مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. بيروت: دار الكتب العلمية: الجزء 8، ص359، الأزهري، أبو منصور (2001م). تهذيب اللغة. ط1. تح، محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث: الجزء 15، ص314.

(2) ينظر عبد الباقي، محمد فؤاد. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. مصر: دار الآثار: الجزء 3، ص 83.

(3) الطبري، محمد بن جرير (1994م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ط1. تح، د. بشار عواد معروف، و عصام فارس الحرستاني. بيروت: مؤسسة الرسالة: الجزء 6، ص 205.

(4) ينظر ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (ت 210هـ) (1954هـ). مجاز القرآن. ط1. عرضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين. مصر: مكتبة الخانجي: الجزء 1، ص86.

(5) حسين، شيماء. التأويل النحوي عند الكرماني في كتابه غرائب التفسير وعجائب التأويل. بحث منشور في مجلة مداد الآداب: ص108.

ثانيا: الآلية التأويلية عند المستشرقين

نُبيّن في هذا الموضع بعض النماذج القرآنية، لتوضيح طرق المستشرقين في تأويل النصوص والألفاظ القرآنية، منها:

أولاً: قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

استدل بعض المستشرقين بهذه الآية لإثبات التثليث في الإسلام [1] عن طريق تأويل اسم الله وصفاته، وعدَّ هؤلاء أنّ في آية البسملة المذكورة فيها ثلاثة أسماء "الله والرحمن والرحيم" فدلّ ذلك على التثليث [2].

وقد جاء في كتاب الفرقان الحق: ((ادعوا الرحمن أو ادعوا الرحيم أياً ما تدعوننا فلنا التجليات الحسنى جميعاً مثلثة موحدة فرداً فرداً فأنى تشركون... ، وكذلك نحن الله الرحمن الرحيم ثالوث فرد إله واحد لا شريك لنا في العالمين)[3]، وأيضاً جاء في سورة البسملة: ((بسم الأب والكلمة والروح الإله الواحد الأوحد مثلث التوحيد موحد التثليث ما تعدد))[4].

إلّا أنَّ المتأمل في النص القرآني يجد أنَّه لا يحتوي على ثلاث أسماء مثلما استدلّ بعض المستشرقين أو كما جاء في كتاب الفرقان، بل اشتمل النَّص القرآني على اسم "الله" وهو اسم ذات يدل على الله، و"الرحمن، الرحيم" صفتان لهذا الاسم [5]، وذكر أحد الدراسين العرب أن "الله" يدل على الألوهية، والرحمن يدل على الربوبية (السيطرة والاستحكام)[6]، وبهذا يتضح جهل المستشرقين باللغة العربية وأساليبها بحيث لم يفرقوا بين الاسم والصفة.

ثانيا: قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَكْبَرُ﴾

يقول "رودينسون": ((الله أكبر من الآلة الأخرى، ويزعم بأن إله المسلمين لم يمانع في بداية الدعوة الإسلامية أن يعترف بوجود آلهة لها تأثير في الكون، وأنّ محمداً كان يدرك ذلك بدليل قوله

---

(1) الزاملي، زكريا إبراهيم(2-2007/4/3م). منهج المستشرقين التأويلي في تفسير النص القرآني. بحث منشور في مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة": المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية.

(2) مجموعة مؤلفين(1985م). مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم /33.

(3) مجموعة من المستشرقين الأمريكيين(1999م). الفرقان الحق. ط1: 62.

(4) المرجع السابق، ص7.

(5) الزمخشري، أبو القاسم (ت 538هـ) (1407هـ). الكشاف. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي: ج1، ص6.

6شحرور، محمد(1990م). الكتاب والقرآن. سوريا: دار الأهلي: ص122، ص254.

فيما بعد، وعندما شنّ الحرب على أهل مكة "الله أكبر" يعني بذلك الله أكبر من الآلهة الأخرى، ويزعم أنّ محمداً وصل إلى فكرة الإله الواحد من خلال احتكاكه باليهود والنصارى))[1].

إلَّا أنَّه لا يوجد في القرآن الكريم كلمات معربة أو دخيلة والدليل على ذلك هو أن ألفاظ القرآن وآياته عربية [2]، لقول تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[الشعراء: 195] ، وقال الله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى: 7].

ثالثا: الاعتراف بنظام الطبقات

زعم بعض المستشرقين أن الإسلام يعترف بنظام الطبقات [3]، مستدلين بظاهر الآيات الواردة في النص القرآني، نحو تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾[النحل: 71]. وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ... ﴾[الزخرف: 32].

إنَّ أبرز ما دعت إليه الرسالة المحمدية هي المساواة بين الناس، وقد ورد حديث للنبي "ص" يؤكد على ذلك ((الناس سواسية كأسنان المشط))[4]، ولذلك ألغى الإسلام نظام الرق، واستبدل بنظام بديل، فأوجدت طريقة لإعتاق ما هو موجود، ومنعت اتخاذ الأسرى، والنظام البديل كان عليه أن يقوم بالوظائف التي كان يقوم بها الرق، وهذا النظام هو "ملك اليمين" بمعنى العقود بالتراضي مقابل أجر [5]، وهذا ما تحدثت عنه الآية {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ}[النحل: 71].

لقد أوجد الله الإنسان فريدا في كل شيء، ولهذا هيأ الناس ليكونوا على درجات: {... وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}[الزخرف: 32]، أي كي يتوزعوا على جميع المهن والمهارات التي تتطلبها مدنية الإنسان وطبيعة معيشته في مجتمعات متكاملة المهام والقدرات.

(1) أبو ليلية، محمد محمد (1999م). محمد بين الحقيقة والافتراء في الرد على الكاتب اليهودي الفرنسي مكسيم رودينسون. ط1. القاهرة: دار النشر للجامعات: ص125.

(2) الشافعي، محمد بن إدريس(1940م). الرسالة. ط1. تح: أحمد محمد شاكر. مصر: مكتبة الحلبي: ص26 – 28.

(3) شوقي، أبو خليل(1998م). الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين. ط1. دمشق، سورية: دار الفكر: ص174.

(4) ابن الجوزي، أبو الفرج (1996م). الموضوعات. ط1، تح، عبدالرحمن محمد عثمان. السعودية: الناشر محمد عبدالمحسن، المدينة المنورة: الجزء3، ص2280.

(5) شحرور، محمد(2014م). الدين والسلطة. ط1. دمشق: دار الساقي: ص79.

إنَّ الفرد الواحد لا يستطيع تلبية جميع احتياجاته بذاته، وإنما يحتاج لغيره، فقد يحذق فرد مهنة النجارة مثلا، وقد يلمَّ بصنعتين أو أكثر، لكنه بالتأكيد سيحتاج الى عشرات الخبرات الأخرى مثل الطب والخياطة وغيرها، فلا بد من اللجوء الى خدمات آخرين، يحذقون مهنهم. لكن الله لم يمنح الطبيب مثلا أفضلية على الحداد، ولا للتاجر على المزارع، فكلهم متساوون في القدر، وأما علو مكانة أي منهم والتي يتمايزون بها في نظر الخالق، فهي بمقدار تقواهم والتزامهم بنهج الله، وليس في ما يملكونه من مال ولا جاه ولا سلطان.

ومن هذا يتضح أن الطبقية في الإسلام تعني ((التعددية والتنوع، وهي ضرورية من أجل التعاون وتبادل المنافع، وليست في سيادة مجموعة متنفذة على طبقات أخرى، أو استغلالها هذا الفيض من القوة في تسخير الآخرين لنفعها، فتنال نفعا أعلى من غيرها، فيما هي لا تقدم جهدا يوازي هذا الفارق... فتلك هي الطبقية البشرية، التي أصبحت سمة المجتمعات غير المؤمنة))[1].

ولقد أطلق الله عز وجل على هذه الطبقات البشرية تسمية الملأ، وأورد دورها في مناهضة رسل الله والدعاة الى اتباع نهجه في آيات كثيرة، وأكثرها كانت في سورة الأعراف: فقد قالوا لنوح: {قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}[الأعراف: 60]. أمّا في سورة هود: {قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ}[الأعراف: 66]. وفي سورة صالح: {قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرْسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ}[الأعراف: 75]. وفي سورة شعيب: {وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ}[الأعراف: 90]. أمّا في سورة موسى: {وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ}[الأعراف: 127].

رابعا: الهُدى والقضاء والقدَر:

يرى المستشرق رودي بارت أن النبي محمد "ص" قد ربط رفض قومه للدعوة الإلهية، وعنادهم وعدم إصغائهم إليه بالتدبير الإلهي للعالم والناس، وبتاريخ الهداية وتجاربها ((فإصرار المكيين على مقاومة الدعوة دفع النبي والقرآن لاتخاذ موقف، ولذا فمن المنطقي أن نعرض هنا أهم المواطن القرآنية التي تعالجُ هذه المسائل كُلها. وهذه المواطن بالذات تتخذ طابعاً قَدَرياً أو أنها تتضمنُ الميلَ لذلك. في هذا الموطن أو ذاك، يذكر القرآن أن جهودَ النبيّ لدفع الكفّار إلى الإيمان، لن تُثمر))[2].

[1] غرايبه، هاشم (2018/12/20م). الصراع الطبقي من منظور إسلامي. مقال منشور في جريدة الغد.
[2] محمد والقرآن: ص176.

ويضرب المستشرق مثالا من القرآن ليستدل به على ما ذهب إليه، نحو قوله تعالى: {وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ}[يوسف: 103] ،وقال تعالى: {قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ}[الأنبياء: 45].

يذكر أنَّ القرآن في أحيان كثيرة، يمضي قُدُماً ليربط إيمان أو عدم إيمان أولئك الناس بإرادة الله [1]، وقد يعني ذلك تخفيفا للمسؤولية عن النبي "ص" نفسه، كقوله تعالى{وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ}[الأنعام: 107]، وقال أيضا: {وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ}[يونس: 99].

فضلا عن ذلك يرى المستشرق أن الطابعُ القَدَريُّ يبدو بوضوحٍ في الآيات التي تتحدث عن الإضلال ((من أضل وليس ضل))[2]، قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ}[الأنعام: 125]، وقال تعالى: {إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}[النحل: 37]، وقال تعالى: {وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ}[النحل: 93]، والذي يبدو أنَّ القضاءَ الإلهي ثابت منذ الأزل لهذه الجهة، ففي مشهدٍ نشوري في جحيم يوم القيامة يقرر القرآن: {وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ}[السجدة: 13]، إذن فالقاعدة العامة كما يقرّها المستشرق رودي باريت هي ((أن الله هو الذي يُقدّرُ هذا الأمر أو ذاك، وهو الذي يُنَجّي الذين يمضون إلى الجنة، ويُهلك الآخرين الذاهبين إلى النار))[3].

لقد تعرض الباحثون العرب إلى مسألة الهداية والقضاء والقدر، فإذا قلنا أن كل شيء في هذا الكون مقدر مسبقا، وليس للإنسان دخل في قدره أو هدايته، ولا يملك من أمره شيء في تحديد مصير حياته، نكون بذلك قد اتبعنا المذهب القائل بالجبرية، إلّا أن هذا المذهب قد دُحض؛ لكوننا وفق هذا المذهب يكون خلقنا جزافا، والبشر في هذا الكون مجرد ممثلين يؤدون سيناريو معدّ سلفا.

وبهذا يمكن القول إنَّ للمخلوق مساحة من الحرية ضمن حرية الخالق، وبهذه المساحة يستطيع الإنسان أنْ يحدد مصيره. فالقرآن أول دستور للديمقراطية في العالم، أخرج الناس من الأحادية إلى التعددية[4].

---

[1] المرجع السابق: ص176.

[2] المرجع السابق: ص177.

[3] محمد والقرآن: ص177.

[4] شحرور، محمد، الدولة والمجتمع. دمشق: دار الأهالي: ص160

يذكر "محمد شحرور" في هذا الموضع أن علم الله في السلوك الإنساني علم كامل بكل الاحتمالات التي يمكن أن يسلكها الإنسان ((فأمام كل إنسان على حدة ملايين الاحتمالات... فلا يمكن لأي إنسان أن يقوم بأي عمل – علنيا أو سريا – إلّا وتصرفه داخل في هذه الاحتمالات وبالتالي فهو داخل في علم الله الكلي، أي لا يمكن لأي إنسان مهما عمل أن يقوم بعمل ما سرا أو علنا يفاجئ الله به ولا يدخل في كلية احتمالات علمه وهذه هي عين كمال المعرفة... ألا ترى إلى قوله: {لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨}[التكوير: 28]، حيث ذكر الاستقامة في حيز التبعيض، فالذي لا يشاء الاستقامة ينحرف، فعلم الله ومشيئته، أن يكون هناك استقامة وانحراف معا، ولذا قال في مجال الكلية وليس في مجال التبعيض {وما تشاؤون إلَّا أن يشاء الله} الإنسان/30، ففي علم الله ومشيئته الاستقامة والانحراف معا، وفي مشيئتنا نحن أن نستقيم أو ننحرف... وفي هذا يصبح الخيار الإنساني الواعي خيارا حُرّا يستلزم الثواب والعقاب، وتصبح خيارات الإنسان غير مكتوبة سلفا. وفي هذا قال: {وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن وشاء فليكفر}[الكهف: 29]))[1].

خامسا - قسورة:

جاءت هذه اللفظة في المعاجم العربية وهي مشتقة من "قسر" والقسر يعني: ((الغلبة والقهر. يقال: قسرته واقتسرته، ومنه: القسورة. قال تعالى: ﴿فرت من قسورة﴾[المدثر: 51] قيل: هو الأسد))[2]، وقيل: الرامي، وقيل: الصائد.

وذكر صاحب تفسير الجلالين أن المراد بقوله تعالى: ((﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ 50﴾ أي كأنّهم حمر وحشية شديدة النِّفار، فرَّت من أسد كاسر))[3].

وقد أجمع المفسرون العرب على أن هذه الكلمة حبشية الأصل؛ لبعدها عن العربية، وقد ذكروا أن المقصود منها ((الأسد لفرار الحمر "أي الحمير" منه))[4].

في حين تبين أن الأسد يقال له بالسريانية "أريا"، ثم جاء المفسرون الغربيون فبحثوا في أصل هذا التعبير ولم يجدوا له اشتقاقا من الحبشية، فاستنتجوا أن معنى "الأسد" أقرب ما يمكن اشتقاقه من أصل "قسر" العربي الذي يعني أرغم أو أجبر[5].

---

(1) الكتاب والقرآن: ص391.

(2) مجاز القرآن: الجزء 2، ص276.

(3) تفسير الجلالين: ص577.

(4) النصراوي، عادل عباس. والظالمي، حامد ناصر (2020م). القرآن الكريم قراءة أخرى. ط1. عمان: دار الرضوان: ص255.

(5) معاني القرآن على ضوء علم اللسان كريستوف لوكسنبرغ، نقلا عن القرآن الكريم – قراءة أخرى: ص256.

أما المستشرق "لوكسنبرغ" فقد عمد إلى قراءة الرسم القرآني دون أي تغيير، قراءة سريانية أعطت النص في عدد من الحالات معناه المنطقي[1].

وأشار "لوكسنبرغ" إلى عجز المفسرين شرقا وغربا عن شرح لفظ "قسورة"، ومفهومها من النص الآيات "49-51"، فالمعنى الحقيقي لهذا التعبير ما زال غامضا. إلّا أنَّ الرسم القرآني ((يشير إلى اسم فاعل سرياني على وزن فعولا يقرأ فاعولا "laʿfa " المشتق منه الوزن العربي فعول وفاعول، والكلمة في الواقع هي سريانية الأصل، ويمكن اشتقاقها من أصل "قسر وقصر" كما تثبته لنا القواميس السريانية، فنجد هذا التعبير بقلب السين والواو بكتابة "قوسرا" بالسين و "قوصرا" بالصاد، وهي كتابة سريانية لا تختلف عن "قوسرة" و"قوصرة " في غيرها من اللهجات الآرامية... والرسم القرآني قسورة أصح سريانيا ويلفظ قاسورا... "بلفظ الواو بالإمالة نحو الواو " وليس قسورة.. بتشكيل مصحف القاهرة. أمّا المعنى بشهادة المراجع السريانية فهو الحمار الهرم الذي لا يستطيع الحمل))[2]، والمراد بالتعبير القرآني أن هناك احتمالين لفرار الحمر المستنفرة[3]:

- إمّا الهرب من شيء مرعب، وهو أمر بديهي.
- وإمّا الهرب من شيء غير مفزع، كقولك عن أحد يهرب من خياله! وهذا هو المقصود في النص القرآني الذي يشبه استنفار الهاربين من تذكرة القرآن بالحمير الهاربين من نظيرهم فحسب، بل ومن دابة هرمة هالكة ليس فيها ما يدفع إلى الهرب، ويقابل هذا التعبير بالعربية القاصر المثبت للأصل السرياني لفظا واشتقاقا ومعنى.

سادسا: الطعام والشراب

قال تعالى: {... فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ...}[البقرة: 259].

بيَّن المستشرق "لوكسنبرغ" لفظتي "الطعام والشراب" بحسب مفهوم سرياني يوافق النص القرآني، فيذكر الألف الوسطى في اللفظتين مضافة غالبا في المصاحف اللاحقة، وتبعا لذلك تُقرآن سريانيا "طعما" بحسب شرح المراجع السريانية التي تعطي معنيين لهما[4]:

1. معنى العقل والفهم.

(1) معاني القرآن على ضوء علم اللسان، نقلا عن القرآن الكريم – قراءة أخرى: ص253.
(2) القرآن الكريم – قراءة أخرى: ص256.
(3) ينظر معاني القرآن على ضوء علم اللسان: ص 45-47، نقلا عن القرآن الكريم – قراءة أخرى: ص256.
(4) المرجع السابق: ص257.

2. معنى الحال والشأن والأمر، ولما كان هذا المعنى مطابقا للتعبير السرياني التابع "شربا" بغير معنى الشراب العربي، يرى "لوكسنبرغ" أنّ هذين اللفظين مترادفان بدليل الفعل التابع لهما بصيغة المفرد المذكر "لم يتسنه"، وناسبا هذا الفعل أيضا إلى أصله السرياني "اشتي" الذي يعني "تغير" طبقا لشرح الطبري[1]، فيكون المفهوم: ((انظر إلى حالك وأمرك لم يتغير))[2].

سابعا: الحمار

قال تعالى: {... وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩} [البقرة: 259].

ذكر المفسرون العرب[3] أن المراد من لفظ "حمار" في الآية المذكورة هو الحيوان المتعارف عليه، وتفسير هذه الآية: ((فَنَظَرَ إِلَى حِمَارِه يَتَّصِل بَعْضه إِلَى بَعْض، وَقَدْ مَاتَ مَعَهُ بِالْعُرُوقِ وَالْعَصَب، ثُمَّ كَيْفَ كُسِيَ ذَلِك مِنْهُ اللَّحْم، حَتَّى اسْتَوَى، ثُمَّ جَرَى فِيهِ الرُّوح، فَقَامَ يَنْهَق، وَنَظَرَ إِلَى عَصِيره وَتِينه، فَإِذَا هُوَ عَلَى هَيْئَته حِين وَضَعَهُ لَمْ يَتَغَيَّر. فَلَمَّا عَايَنَ مِنْ قُدْرَة اللَّه مَا عَايَنَ قَالَ: أَعْلَم أَنَّ اللَّه عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير))[4].

يشير "لوكسنبرغ" إلى الآية "وانظر إلى حمارك" من سورة البقرة، بمعنى الحمار عربيا، بينما المقصود منه سريانيا صفة لبني آدم، فقد فهم لفظة "حمار" الواردة في النص القرآني بناء على الرسم القرآني "حمارك" ولكن بقراءة سريانية هي "جمارك" أي كمالك، "ومنها بالعربية كلمة الجمرك أي اكتمال النار في الفحم"، وتبعا لذلك يقرأ "لوكسنبرغ" الآية التالية كالآتي: "وانظر إلى كمالك ". مما يعطي معنى منطقيا إلى ما سبق، ودليل ذلك أن تعرف يُردف قائلا: "ولنجعلك آية للناس" وليس "لنجعل حمارك آية للناس".

إذن يكون معنى الآية وفقا لقراءة "لوكسنبرغ" العربية السريانية كالتالي: ((انظر إلى حالك وأمرك لم يتغير وانظر إلى كمالك ولنجعلك آية للناس...))[5].

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الجزء 2، ص243. فسر لم يتسنه أي لم تغيره السنون.

[2] القرآن الكريم قراءة أخرى: ص257

[3] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ص 324، وتفسير الطبري الجزء: 2، ص143.

[4] تفسير الطبري: الجزء2، ص377.

[5] معاني القرآن على ضوء علم اللسان، نقلا عن القرآن الكريم – قراءة جديدة: ص 258.

ثامنا: تحت

نحو قوله تعالى: {فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا}[مريم: 24].

اختلف المفسرون في الذي نادى مريم "ع"، فمنهم من قال "جبريل" ((وكان أسفل منها))[1]، **وذهب آخر إلى أن** "مِن تَحْتِهَآ" ((فيها قراءتان "مِنْ، مَنْ" صحيح أن جبريل عليه السلام ما زال موجوداً معها لكنه ليس تحتها، فدلّ ذلك على أن الذي ناداها هو الوليد { أَلاَّ تَحْزَنِي } مريم: 24))[2].

اعتمد "لوكسنبرغ" على منهج آخر في تأويل هذه الآية وهو تغيير ((نقاط الحروف بهدف إيجاد مصدر لقراءة سريانية، وقد أدّت هذه المحاولة في حالات عديدة إلى قراءة سريانية تعيد للنص معناه الحقيقي))[3].

وفي شرحه المفصل لكلمة "تحت"، يشير إلى أنّ لا أصل لهذه اللفظة في العربية، وأنها مشتقة من الفعل السرياني "نحت"، بمعنى "نزل وانحدر"، المشتق من الفعل العربي "نحت" المفهوم منه نحت الحجر وغيرها لتسويته وصقله[4].

وإثباتا لهذا المعنى يشرح "لوكسنبرغ" فيقول: ((بأنه علينا أن نفهم حرف "من" ليس بمعنى ظرف المكان العربي "من تحتها"، بل المفهوم ظرف الزمان السرياني "من نحاتها... " في القرآن إلّا في هذه الآية تعبيرا عن ولادة عيسى "ع" غير الطبيعية... مميزا إياه عن ولادة أي مخلوق آخر، والمعنى الحقيقي للنحات هو التنزيل، وربما كان المراد به تنزيله من العلا)) [5].

منبها إلى أنّ القرآن لا يخضع لقواعد العربية اللاحقة، وأنه على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار قواعد السريانية التي تفتح لنا أبعادا جديدة لفهم لغة القرآن وإدراك معانيه.

---

(1) تفسير الجلالين: ص307.

(2) الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي "خواطري حول القرآن الكريم". مصر: دار أخبار اليوم: ص9066.

(3) معاني القرآن على ضوء علم اللسان، نقلا عن القرآن الكريم – قراءة جديدة: ص259

(4) المرجع السابق: 259

(5) المرجع السابق: 260

تاسعا: سريّا

قال تعالى: {فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا}[مريم: 24].

ذهب المفسرون إلى أنّ "السري" هو النهر الصغير أو جدول الماء، قال ابن عباس: ((كان ذلك نهرا قد انقطع ماؤه فأجراه الله تعالى لمريم. والنهر يسمى سريا لأن الماء يسري فيه))[1].

وقيل في قوله (("قد جعل ربك تحتك سريا" السري جدول الماء والسري هو الشريف الرفيع، والمعنى الأول هو الأنسب للسياق، ومن القرينة عليه قوله بعد: "فكلي واشربي" كما لا يخفى))[2].

ويقول "الشعراوي (إنّ "السريّ": هو النهر الذي يجري بالماء العَذْب الزُّلال، وثم يعطيها الطعام المناسب لحالتها، فيقول تعالى: { وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ... })[3].

أمَّا "لوكسنبرغ" فقد أثبت بالمراجع السريانية بأن الرسم القرآني للفظ "سريّا" يلفظ سريانيا "شريا"، وهو عبارة عن صفة فعلية مشتقة من فعل "شرا" أي "حلّ" وتعني الحلال، وعليه وجب قراءة الآية كما يلي:

((فناداها من نحاتها ألّا تحزني قد جعل ربك نحاتك شريا)) كما وجب فهمها وفقا للعربية المعاصرة كالتالي: (فناداها حال وضعها ألا تحزني قد جعل ربك وضعك حلالا)[4].

وبهذا يستنتج "لوكسنبرغ" من تحليله اللغوي بأن اللسان الذي أنزل به القرآن لا يمكن فهمه إلا بالرجوع إلى لغة القرآن الأساسية ضمن مفهومها التاريخي، والتي يكمن سر فهمها في انسجام عناصر من اللغتين العربية والسريانية [5].

إنّ قراءة "لوكسنبرغ " للنص القرآني وتأويله للآيات سواء أكان وفق الرسم القرآني أم وفق تغير النقط، التي ولدت قراءات عديدة مما نتج عنها معان جديدة، إلّا أنَّه يمكن القول إنَّ ما توصل إليه هذا المستشرق لا يُعد صائبا؛ لأن القرآن نزل باللغة العربية ويجب فهمه والتوصل إلى أسراره وخفاياه على وفق هذه اللغة، قال تعالى: {لتنذر قومك لِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِين ١٩٥} [الشعراء: 195]، فالقرآن لم ينزل بلغة غير العربية حتى يمكن الاستعانة بقواعدها لقراءة وفهم النصوص القرآنية على ضوئها.

---

(1) القرطبي لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر(2006م). الجامع لأحكام القرآن. ط1. تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة: الجزء13، ص434.

(2) تفسير الميزان: الجزء14، ص43.

(3) تفسير خواطر حول القرآن الكريم: ص 9066.

(4) معاني القرآن على ضوء علم اللسان، نقلا عن القرآن الكريم – قراءة جديدة: ص261.

(5) المرجع السابق: ص263.

عاشرا: التصدق

زعم المستشرق الروسي "ريزفان" أن الصحابة أمروا بالتصدق على النبي"ص" بين يدي مناجاته [1] لقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢}[المجادلة: 12].

وهذا تأويل خاطئ؛ لأن المسلمين لم يُؤمروا بالتصدق على النبي "ص"، بل حرّم الله تعالى الصدقة عليه وعلى آله. فعن أبي هريرة قال: ((أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كخ كخ ارم با أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة))[2].

الحادية عشر: الإسراء

قال تعالى: {سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ}[الإسراء: 1].

ادَّعى المستشرق "ريزفان" أن إسراء النبي محمد "ص" المذكور في القرآن هو إسراء في المنام[3].

إلّا أنَّ هذا الادّعاء مناف للأدلة الواردة في نصوص الكتاب والسُّنَّة على أنَّ الإسراء كان بروح النبي "ص" وجسده، يقظةً لا مناماً، وقال القاضي عياض: ((وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنّه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر، وأنس...) [4].

الثانية عشر: ضرب الأمثال

وأيضا يقول "ريزفان" في معنى قوله تعالى: {فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ}[النحل: 74]، إنَّ الرسول "ص" كان يدعي أن ضرب الأمثال في الكلام حق خاص به من دون الناس، وذلك لأن الأمثال تزيد الكلام مجازاً وحدة [5]. وهذا قول خاطئ لأنَّ المعنى الصحيح للآية ما رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله سبحانه وهو: يعني

---

[1] القرآن وعالمه: ص158. نقلا عن القرآن وعالمه للمستشرق الروسي يفيم ريزفان ومزاعمه حول كتاب الله: ص24.

[2] القرآن وعالمه للمستشرق الروسي يفيم ريزفان ومزاعمه حول كتاب الله: ص24.

[3] المرجع السابق: ص24.

[4] إعداد نخبة من العلماء. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. المملكة العربية السعودية، مجمع الملم فهد: ص189.

[5] القرآن وعالمه: ص 108.

اتخاذهم الأصنام، يقول: لا تجعلوا معي إلها غيري، فإنه لا إله غيري. وهذا ما ذكره الإمام الشوكاني في تفسيره[1].

إذن يتضح مما سبق أن المستشرق الروسي "ريزفان" كان يُؤوِّل معاني الآيات القرآنية حسب رغبته، خلافاً لمعاني الكلمات اللغوية والقواعد النحوية في بعض الأحيان.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذه الدراسة والتي تضمنت دراسة المنهج التأويلي عند المستشرقين، وكيفية استخدام هذه الآلية في دراسة النص القرآني، نجد أنهم قد فسَّروا القرآن بطريقة مغايرة لما هو معهود في كتب التفسير القديمة والحديثة، وهذا إن دلَّ على شيء فهو يدل على قصورهم في فهم هذا الكتاب المقدس. علما أن أغلب دراساتهم قد أخرجت النص القرآني من نطاق القداسة، ناظرين إليه ككتاب تاريخي جامع لشرائع وأحكام مقتبسة من الكتب السابقة له كالتوراة والإنجيل، وبهذا نوجز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي:

1. استخدم المستشرقون المنهج التأويلي كآلية لفهم النص القرآني، بطريقة تختلف عمّا هو عند الدارسين العرب.
2. حاول المستشرقون التوصل إلى نتائج عن طريق استخدام قواعد اللغة العربية، إلّا أنّ استخدامهم وفهمهم لهذه القواعد وتطبيقها على القرآن الكريم لم يكن موفقا.
3. قام المستشرقون بِلَي عنق بعض الآيات القرآنية وتأويلها بما يتناسب مع أحكامهم المسبقة، نحو القول بالتثليث في الإسلام، وتعدد الآلهة، والاعتراف بنظام الطبقات وغيرها.
4. اعتمد بعض المستشرقين على القواعد السريانية في تأويل القرآن الكريم.
5. تم الاستناد على الرسم القرآني وتغيير نقاط الحروف بهدف إيجاد مصدر لقراءة سريانية، نحو لفظة (تحت) في قوله تعالى ((قد جعل ربك تحتك سريّا)) أُوّلت بالفعل (نحت) ولفظ (سريّا) تمّ تأويله (شريا)، إلّا أن ما تم التوصل إليه بفعل هذا التأويل لا يُعد صائبا؛ لأنّ القرآن نزل باللغة العربية ويجب فهمه والتوصل إلى أسراره وخفاياه على وفق هذه اللغة، قال تعالى: {لتنذر قومك لِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ١٩٥}، فالقرآن لم ينزل بلغة غير العربية حتى يمكن الاستعانة بقواعدها لقراءة وفهم النصوص القرآنية على ضوئها.

[1] الشوكاني، محمد بن علي(1421هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية. بيروت: دار ابن حزم: ص964.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: الكتب

1. ابن الجوزي، أبو الفرج(1996م). الموضوعات. ط1، تح: عبدالرحمن محمد عثمان. السعودية: الناشر محمد عبدالمحسن، المدينة المنورة.
2. ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (ت 210هـ) (1954هـ). مجاز القرآن. ط1. عرضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين. مصر: مكتبة الخانجي.
3. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(1416هـ). تفسير القرآن العظيم. الكويت: دار العرفان.
4. أبو ليلية، محمد محمد (1999م). محمد بين الحقيقة والافتراء في الرد على الكاتب اليهودي الفرنسي مكسيم رودينسون. ط1. القاهرة: دار النشر للجامعات.
5. الأزهري، أبو منصور (2001م). تهذيب اللغة. ط1. تح، محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث.
6. إعداد نخبة من العلماء. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. المملكة العربية السعودية ، مجمع الملم فهد.
7. بارت، رودي(2009م). محمد والقرآن. ط1. تر: رضوان السيد، الإمارات: مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.
8. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(ت 538هـ) (1407هـ). الكشاف. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.
9. الشافعي، محمد بن إدريس(1940م). الرسالة. ط1. تح: أحمد محمد شاكر. مصر: مكتبة الحلبي.
10. شحرور، محمد. الدولة والمجتمع. دمشق: دار الأهالي.
11. شحرور، محمد(1990م). الكتاب والقرآن. سوريا: دار الأهلي.
12. شحرور، محمد(2014م). الدين والسلطة. ط1. دمشق: دار الساقي.
13. الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي "خواطري حول القرآن الكريم". مصر: دار أخبار اليوم.
14. شوقي، أبو خليل(1998م). الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين. ط1. دمشق: دار الفكر.

15. الشوكاني، محمد بن علي(1421هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية. بيروت: دار ابن حزم.

16. الطبري، محمد بن جرير (1994م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ط1. تح، د. بشار عواد معروف، و عصام فارس الحرستاني. بيروت: مؤسسة الرسالة.

17. عبد الباقي، محمد فؤاد. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. مصر: دار الآثار.

18. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تح، مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. بيروت: دار الكتب العلمية.

19. القرطبي لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر(2006م). الجامع لأحكام القرآن. ط1. تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

20. كولييف، إلمير رافائيل. القرآن وعالمه للمستشرق الروسي يفيم ريزفان ومزاعمه حول كتاب الله.

21. مجموعة من المستشرقين الأمريكيين(1999م). الفرقان الحق. ط1.

22. مجموعة مؤلفين(1985م). مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

23. المحلي، جلال الدين أحمد بن أحمد المحلي (ت864هـ). والسيوطي، و جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ). تفسير الجلالين. ط1، القاهرة: دار الحديث.

24. النصراوي، عادل عباس. و الظالمي، حامد ناصر(2020م). القرآن الكريم قراءة أخرى. ط1. عمان: دار الرضوان.

البحوث والمقالات

1- حسين، شيماء. *التأويل النحوي عند الكرماني في كتابه غرائب التفسير وعجائب التأويل*. بحث منشور في مجلة مداد الآداب.

2- الزاملي، زكريا إبراهيم (2-3/4/2007م). منهج المستشرقين التأويلي في تفسير النص القرآني. بحث منشور في مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة": المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية.

3- غرابيه، هاشم (2018/12/20م). *الصراع الطبقي من منظور إسلامي*. مقال منشور في جريدة الغد.

ظاهرة الحذف والتقدير في كتب علوم القرآن عند المحدثين

Omission and appreciation phenomenon in the books of Quran sciences among the narrators

أ.د. جابر محيسن عليوي الركابي

الباحث: مطلك محمد مؤنس الرميض: كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق

Prof. Dr Jaber Muhaisin Alawi Al-Rikabi

Mutlaq Muhammed Moans alramath: Faculty of Arts, University of Dhi Qar, Republic of Iraq

الملخص:

تعد ظاهرة الحذف و التقدير من الظواهر اللغوية الشائعة، فهو ظاهرة لُغوية عامَّة مشتركة بين جميع اللغات الإنسانيَّة؛ يميل الناطقون بها إلى حذْف بعض العناصر بُغية الاختصار، أو حذف ما قد يُمكن للسامع فَهْمه اعتمادًا على القرائن المصاحبة: حاليَّة كانت أم عقليَّة، كما أنَّ الحذف قد يَعتري بعض عناصر الكلمة الواحدة، فيُسقط منها عنصرًا أو أكثر، وهذا ما يجعل هذا الموضوع يكتسب هذه الأهميَّة الكبرى من لَدن الدارسين النحويين والبلاغيين وغيرهم، ولكن مع ذلك فلم تُخَصَّص له بحوث مستقلة، وإنما ذُكِر في كتبهم بشكلٍ عام في فصول لا تَفي بالغرَض المطلوب؛ مما أحوجَنا إلى دراسة مستقلة عن الموضوع، بالرغم من وجود بعض هذه الدراسات، الا انها ركَّزت على الجانب النحوي، وأغْفَلت الجوانب الأخرى، أو لَم تَنَلْ حقَّها الذي تستحقه، ومن أجْل ذلك فقد ارْتَأَيْت أن أُشارك في هذا الموضوع بهذا البحث الذي سأحاول فيه أنْ أمزجَ بين التنظير والتطبيق. وتهدف الدراسة إلأى التعرف على علوم القران وأساليب الحذف والتقدير في النصوص القرآنية، ولتحقيق هدف الدراسة فقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن علوم القران أحيت بعض الالفاظ عن طريق تغيّر دلالاتها، وأحدث التغير الدلالي نشاطا فكريا عميقا وهذا ما يريده الشارع المقدس.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن، دلالة، تنظير وتطبيق، حذف وتقدير، نص.

Abstract:

The phenomenon of omission and appreciation is one of the common linguistic phenomena. It is a general linguistic phenomenon common to all human languages. Its speakers tend to omit some elements in order to be short, or to omit what the listener may be able to understand depending on the accompanying evidences, whether they are circumstantial or mental. Also, deletion may occur in some elements of a single word, dropping one or more elements from it, and this is what makes this topic acquire such great importance from the scholars of grammar, rhetoric and others. However, no independent research was devoted to it. Rather, it was mentioned in their books in general in chapters that did not fulfill the required purpose. Which required us to conduct an independent study on the subject, although there are some of these studies, but they focused on the grammatical aspect, and neglected the other aspects, or did not get the importance they deserve. For this reason, the researcher decided to participate in this subject in this research, by combine theory and practice. The study aims at identifying the sciences of the Qur'an and the methods of omission and appreciation in Qur'anic texts. the descriptive analytical approach was used to achieve the object of the study. The study reached a set of results, the most prominent of which is that the sciences of the Qur'an revived some words by changing their connotations, and the semantic change brought about a deep intellectual activity, and this is the Holy legislator's will.

Keywords: Quranic sciences, connotation, theorizing and application, omission and appreciation, text.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي انار قلوبنا بالقران، وأفضل الصلاة والسلام على رسولهِ محمد الصادق الأمين (صلّى الله عليه وعلى اله وصحبه اجمعين)، اما بعد لقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم معجزا للبشر اجمعين في لغاتهم وكلامهم، وكان اعجازه متجليا في تصويره واسلوبه واختيار الفاظه، متناسقا مع دلالات الآيات المباركات، فالتعبير القرآني منسجم من الفاظ وتراكيب يراد بها التوصل من نظمها، وفهمها، الى معنى اسمى واعلى، الا وهو فهم معاني القران الكريم، والعمل به، وبيان اسرار الاعجاز اللغوي فيه.

ومن هذا ندرك ان دلالة اللفظ القرآني موضوع متكامل ومهم، كونه يبحث في المعاني الجليلة للنص القرآني، ويجلي اسرار المباني، وهما أساساً الدراسة في العربية، لذا كان الهدف الاجل للمشتغلين بالنص القرآني من علماء ومفسرين وباحثين؛ هو الوقوف على الاعجاز اللغوي لهذا الكتاب الحكيم، الذي نال من الاهتمام والدراسة ما لم ينله أي كتاب اخر، فقد تنوعت دراسته في شتى المجالات اللغوية والفقهية والعلمية والدلالية، وقد توالت جهود الباحثين من أصحاب العلوم القرآنية، في دراسة ظاهرة الحذف والتقدير وهي قديمة قدم دراسة القران الكريم، فقد عني علماء الامة ومفسريها ببيان هذه الدقة وانماطها، وتجلت هذه العناية بالكشف عن عللها في النظم الكريم والذي تكفل بذلك المنهج الوصف التحليلي وهو طريقة لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة للمشكلة، ويتم استخدام ذلك في تحديد نتائج البحث التي تمكننا عن طريق المنهج الوصفي التحليلي أن يربط الباحث بين العلاقات؛ من خلال طرح أسئلة أو وضع فرضيات. يستطيع الباحث من خلال المنهج الوصفي التحليلي استخراج النتائج وفقًا لشواهد وقرائن متنوعة. يتَّسم المنهج الوصفي بالاعتماد على الموضوعية في إجراءات الدراسات، مع الابتعاد بشكل كلي عن التحيُّز الشخصي من جانب الباحثين.

اما الاشكالية التي يحاول بحثنا الإجابة عنها كانت كالتالي:

إلى أي مدى أحدثت علوم القران تغيير دلاليا على مستوى لغتنا؟ ماهي مستويات هذا التغيرات الدلالية التي يضفيها هذا التغير؟ ماهي جمالية التغيير الدلالي في كتب علوم القران.

أما أهمية الدراسة فتكمن في ان التغير اللغوي له اوجه عدة وتمثّلات مختلفة يتجسد بها الا ان اهم التغيرات على الاطلاق هو التغير الدلالي والذي اولاه الدارسون لعلوم القران في كل الازمان اهمية بالغه وما ذاك الا لحساسية جانب الدلالة وتثيرها الطاغي على اللغة لان غاية اللغة ليست المفردات بقدر ماهي معاني يراد التعبير عنها.

الحذف والتقدير:

يُعدُّ الحذف من الظواهر اللغوية الشائعة، وهو في اللغة: حذفُ الشيء من الطرف وإسقاطه، تقول: حذفتُ الشعر. إذا أخذتَ منه [1]، وأمّا في الاصطلاح فهو إسقاط جزء من الكلام أو الكلام كلّه[2]، أو هو: ((إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام))[3].

وقد اهتم القدماء بموضوع الحذف وأغراضه الدلالية التي لا يغني الذكر غناءه فيها، كما للذكر أغراضه التي لا يغني الحذف غناءه فيها، فالحذف في موضعِهِ بليغ، والذكر في موضعِهِ كذلك [4]، قال الجرجاني في بيان مكانة الحذف: ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنَّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أَنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ))[5]، وأهمية بيان المحذوف في الدرس اللغوي تكمن في إيضاح المعنى التام للتركيب، ذلك أنَّ فهمنا لكثير من العبارات الموجزة يعتمد بشكل أساس على تقديرنا للألفاظ غير المنطوقة في لغة الكلام، أو غير المكتوبة في ما نقرأه ومن ثم فلا مجال لإنكار هذه الظاهرة على الرغم من إمكان وقوع الخلاف فيها عند تقدير اللفظ المحذوف[6].

ولا يمكن حذف الحرف والكلمة والجملة من دون دليل أو قرينه تساعد على تعيين المحذوف، وبخلاف ذلك يصبح الحذف لغواً لا فائدة فيه. قال ابن جني(ت392هـ): ((قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلَّا من دليل يقوم عليه وإلّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفتهِ))[7].

قال ابن الأثير(ت630هـ): ((والأصل في المحذوفات جميعهاً على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف؛ فإنّ لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنّه لغو من الحديث

---

[1] الفراهيدي (2003): كتاب العين (ط 1)، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص297.

[2] الزركشي، بدر الدين (1957): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1: دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركائه، ص10.

[3] الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ) دلائل الإعجاز: (ط 1) تحقيق ياسين الأيوبي، ط1: المكتبة العصرية– الدار النموذجية (د. ت)، ص 76.

[4] ابو موسى، محمد (2000): خصائص التركيب، (ط2)، القاهرة: دار التضامن، ص 135.

[5] الجرجاني، مصدر سابق، ص 146.

[6] حمودة، طاهر سلمان (1982): ظاهر الحذف في الدرس اللغوي، الاسكندرية: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ص 18.

[7] ابن جني، عثمان: الخصائص، (ط4). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. ت)، ص262.

لا يجوز بوجه ولا سبب))[1]، أمّا في القرآن فإنّ الكلمة لا تذكر إلّا إذا اقتضاها المقام، وتطلبها النظم، ولا تحذف إلّا وحذفها أبلغ ولأنسب، لأنَّ نظم القرآن أَرفع أنماط الكلام ومن ثم فلا حشو ولا تطويل يفسد المعنى ويُدخل الملل، ولا اختصار تستغلق به الأفكار ويعسر معه الفهم، بل لكلّ مقام مقال ولكلّ موقف نمط عجيب من النظم، إذ تتداعى الألفاظ تداعياً طبيعياً حسبما تتطلبه المعاني، وتنحدر في سهوله ويسر حتى تتماسك في مواضعها التي وضعت لها[2].

لقد أولى علماء القرآن المحدثون ظاهرة الحذف عناية خاصة، إذ افرد بعضهم مباحث لهذه الظاهرة، فضلاً عن قولهم بالحذف في كثير من الشواهد القرآنية التي عرضوا لها وهم يعالجون قضايا علوم القرآن، بما ينفع بحثهم ويكفل لهم بيان المقاصد القرآنية التي تهم طبيعة بحثهم علوم القرآن الكريم.

الإيجاز:

من أهم المباحث التي خصوها بالذكر في هذا المقام مبحث الإيجاز ولاسيّما إيجاز الحذف، وكانوا معرضين في هذا البحث عن حذف المفردات مهتمين بحذف الجمل، ولأنّ حذف المفردات وما ترتب عليها من أحكام شأن مرتبط بمسائل النحو أكثر من ارتباطه بمسائل البلاغة والبيان على وفق تصورهم[3].

ومن ضروب حذف الجمل في القرآن الكريم الحذف اكتفاء بالسبب عن المُسبّب، نحو قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَلَٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ [القصص: 44-45]، فـ((كأنّه قال: وما كنت شاهداً لموسى- عليه السلام- وما جرى له وعليه، ولكن أوحينا إليك، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة، ودلّ به على المُسبّب الذي هو الوحي، على عادة اختصارات القرآن.وتقدير الكلام: ولكننا أنشأنا -منذ انقطاع الوحي بعد موسى -قروناً كثيرة، فتطاول عليهم العمر، أي أمد انقطاع الوحي، فاندرست العلوم واختلت المعارف بشؤون الأنبياء، ومن جملتها العلم بسيرة موسى-عليه السلام-، فدعت الحاجة إلى تجديد الوحي ببعث نبي جديد، فأرسلناك وعرّفناك العلوم والمعارف، فالمحذوف جملة مقيّدة، وهي

---

[1] ابن الاثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي بدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت)، ص220.

[2] عامر، فهمي (1975): فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (د. ط)، القاهرة: المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، ص188؛ وعليوي، جابر (2013): البحث الدلالي في تفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله، ط 1، دمشق: تموز للطباعة ونشر التوزيع، ص150.

[3] معرفة، محمد هادي (2011): التمهيد في علوم القرآن، ط2، الجمهورية الاسلامية: مؤسسة التمهيد، ص 384.

جملة مطّولة، دلَّ السبب فيها على المُسبّب))[1]، وما ذهب إليه العلامة محمد هادي معرفة، هو ما ذهب إليه الزمخشري(ت538هـ)، بقوله: ((كأنّه قال: وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه، ولكنا أوحينا إليك. فذكر سبب الوحى الذي هو إطالة الفترة، ودلّ به على المُسبّب على عادة الله عزّ وجلّ في اختصاراته، فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وَما كُنْتَ ثاوِياً أي: مقيماً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ وهم شعيب والمؤمنون به تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا تقرؤها عليهم تعلما منهم، يريد: الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه))[2].

أما ابن الأثير فيرى أنّ تقدير الكلام: ولكننا أنشانا–منذ انقطاع الوحي بعد موسى –قروناً كثيرة، فتطاول عليهم العمر، فالمحذوف جملة مقيّدة مطوّلة دلَّ فيها السبب على المُسبّب[3].

وأمّا الاكتفاء بالمُسبّب عن السبب فنحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]، والتقدير: إذا أردت قراءة القرآن، فاكتفي بالمسبّب الذي هو القراءة عن السبّب الذي هو الإرادة، والدليل على ذلك أنّ الاستعاذة تأتي قبل القراءة، أي استعذ إذا قرأت أي: أردت القراءة[4].

قال الزجاج (ت311هـ): ((وقوله:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، معناه إذَا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ باللَّهِ من الشَيطَان الرجيم، ليس معناه استعذ باللَّهِ بعد أن تقرأ، لأنّ الاستعاذة أمِرَ بها قبلَ الابتداء، وهو مستعمل في الكلام، مثله إذا أكلتَ فقل: بسم اللَّه))[5].

قال الطباطبائي: ((قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ الاستعاذة طلب المعاذ والمعنى إذا قرأت القرآن فاطلب منه تعالى ما دمت تقرؤه أن يعيذك من الشيطان الرجيم أن يغويك فالاستعاذة المأمور بها حال نفس القارئ ما دام يقرأ وقد أمر إنّ يوجدها لنفسه ما دام يقرأ، وأمّا قول القارئ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أو ما يشابهه من اللفظ فهو سبب لإيجاد معنى الاستعاذة في النفس وليس بنفسها إلّا بنوع من المجاز، وقد قال سبحانه: استعذ بالله ولم يقل قل: أعوذ بالله وبذلك يظهر أنّ قول بعضهم إنّ المراد بالقراءة إرادتها فهي مجاز مرسل من قبيل اطلاق المسبب وإرادة السبب لا يخلو عن تساهل))[6].

---

[1] المصدر نفسه: 5/379–380.

[2] الزمخشري، مصدر سابق، ص417.

[3] ابن الاثير، مصدر سابق، ص 223؛ الطباطبائي، مصدر سابق، ص50.

[4] معرفة، مصدر سابق، ص380–381.

[5] الزجاج، مصدر سابق، ص218؛ والزمخشري، مصدر سابق، ص633.

[6] الطباطبائي، مصدر سابق، ص 343–344.

الحذف بالإضمار

قد يأتي الحذف بالإضمار على شريطة التفسير، بأن يحذف من الكلام شيء ويكون في آخر الكلام ما يدلُّ عليه من لفظه، كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الزمر: 22]، أذ قدّروها جملة محذوفة، والتقدير: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه؟ ويدلُّ على ذلك ما جاء بعده في قوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [1]، وصاحب البرهان يذكر أيضاً ((وقد يومِئ إِلَى المحذوفِ أمَّا مُتأخّراً كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فإنّه لم يجئ لَهُ جَوَابٌ فِي اللَّفْظِ لَكِنْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ:﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ﴾، وَتَقْدِيرُهُ: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ كَمَنْ قسا قلبه))[2].

قال الزجاج في بيان المحذوف في هذه الآية: ((فهذه الفاء فاء المجازاة، والمعنى أفمن شرح اللَّه صَدْرَهُ فاهْتَدَى كمن طبع على قلبه فلم يَهْتَدِ لِقَسْوته والجواب متروك لأنّ الكلام دَالٌّ عليه, وُيؤكد ذَلك قوله – جلَّ وعزَّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾))[3].

وذكر ابن الاثير أنّ هذا الحذف يأتي على طريق الاستفهام، فتذكر الجملة الأولى من دون الثانية، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، تقدير الآية: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه، ويدلُّ على المحذوف قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[4].

وقد تحذف الجملة إذا كان البيان مضمراً في الآية نفسها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31]، قال موسى إبراهيم: ((فجواب الشرط في هذه الآية مضمر فيها وتقديره لكان هذا القرآن، أي: لو كان هناك قرآن تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو يكلم به الموتى لكان هذا القرآن)) [5].

---

[1] معرفة، مصدر سابق، ص 380؛ والابراهيم، موسى (1996): بحوث منهجية في علوم القران، ط 2، عمان: دار عمار النشر والتوزيع، ص 95.

[2] الزركشي، مصدر سابق، ص185.

[3] الزجاج، مصدر سابق، ص 351؛ والالوسي، شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية. 246–247.

[4] ابن الاثير، مصدر سابق، ص225

[5] الابراهيم، مصدر سابق، ص 95؛ والجديع، عبد الله (2001): المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط1، بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز، ص 417.

ومن مسائل الحذف التي أشار إليها علماء القرآن المحدثين ما ذكروه في باب الزيادة والنقصان التي نتجت عن القراءات القرآنية، إذ قرئت بعض الآيات بزيادة لفظ أو نقصانه، ومن ذلك ما ذكره الدكتور صبحي الصالح، اذ يقول: ((الاختلاف بشيء يسير من الزيادة والنقصان جريا على عادة العرب في حذف أدوات الجر والعطف تارة وإثباتها تارة أخرى. ولذلك لم تحفظ هذه الضروب من الزيادة والنقص إلّا في أحرف قليلة محدودة مع التنبيه على شذوذ كلّ ما لم يحفظه الأئمة الثقات منها: فمن الزيادة قوله تعالى في سورة التوبة: { وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 100]، قرئ: (من تحتها الأنهار)، وهما قراءتان متواترتان، وقد وافق كلّ منهما رسم المصحف الإمام، فإنَّ زيادتها وافقت رسم المصحف المكي، وحذفها وافق غيره. ومن النقصان قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [البقرة: 116] من سورة البقرة بغير واو، وقد وافقت رسم المصحف الشامي)) [(1)]، وهذا ما ذهب إليه سيد قطب[(2)].

والإقرار بهذا النوع من الحذف والزيادة في القراءات القرآنية لا يعني الإقرار بكلّ ما ورد في القراءات من تقدير محذوف، ولاسيّما إذا كان الحذف أو الزيادة لا يوافق الرسم القرآني، عادين هذا النوع من الحذف أو التقدير من باب التفسير والإيضاح، ومن ذلك ((قراءة (الذكر والأنثى) بدلاً من قوله تعالى: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ} [الليل: 3]، بنقص لفظتي (وما خلق)، وقراءة ابن عباس: { أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف: 79] بزيادة (صالحة) وإبدال كلمة (أمام) من كلمة (وراء)، فقراءتان أحاديتان لا يثبت بمثلهما قرآن)) [(3)].

ووقف علماء القرآن المحدثون عند حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو أكثر من أن يحصى في كلام العرب وأشعارهم، فضلاً عن القرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة، وأحسنه ما دلَّ عليه الدليل فلا حذف من دون وجود القرينة والدليل، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ...} [النساء: 23]، إذ حذف المضاف، والتقدير:

[(1)] الصالح، صبحي (1968): مباحث في علوم القرآن، ط 5، بيروت: دار العلم للملايين، ص111-112؛ والسيوطي، جلال الدين (1974): الإتقان في علوم القرآن، ط2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.160؛ الزركشي، مصدر سابق، ص 5.

[(2)] الشاربي، سيد قطب: في ظلال القران، ط17، القاهرة: دار الشروق، ص 461.

[(3)] الصالح، مصدر سابق، ص 111 .112؛ والسيوطي، مصدر سابق، ص166.

وطء أمهاتكم، فترك ذكر النكاح اكتفاء بدلالة الكلام عليه[1]، فَقَوْلُهُ: ٌ آ **تن تى تيَّ** ، المحذوف: وطءٌ كأنّهُ قِيلَ: وَطْءُ أمهاتكم، وأحلّ لكم ما وراء ذلكم أي وطء ما وراء ذلكم[2].

قال مناع القطّان: ((فانه يتضمن إضمار الوطء ويقتضيه، أي وطء أمهاتكم، لأنّ التحريم لا يضاف إلى الأعيان، فوجب لذلك إضمار فعل يتعلّق به التحريم لا يضاف إلى الأعيان، فوجب لذلك إضمار فعل يتعلّق به التحريم هو الوطء، وهذا النوع يقرب من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو من باب إيجاز القصر في البلاغة وسُمّي اقتضاءً، لاقتضاء الكلام شيئاً زائداً على اللفظ))[3].

قال أحد علماء القرآن المحدثين: ((فإنّه يتضمن إضمار الوطء ويقتضيه. أي حُرّم عليكم وطء أمهاتكم؛ لأنَّ التحريم هنا لا يضاف إلى الأعيان، فوجب لذلك إضمار فعل يتعلّق به التحريم وهو الوطء للأمهات. وهذا النوع يقرب من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه))[4].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} [البقرة: 197] فهو عندهم من باب حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه، والتقدير: وقت الحج[5].

من إشاراتهم إلى هذا النوع من الحذف ما جاء في بيان دلالة قوله تعالى: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين: 1]، وقوله تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس: 1]، إذ جعلوه من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والتقدير عندهم: ربِّ التين والزيتون، وربِّ الشمس وضحاها [6]، وما ذكره بعض علماء القرآن المحدثين في تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إلية مقامه في هذه الآيات هو ما

---

[1] الطبري، محمد بن جرير (2001): جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، ضبط وتعليق محمود شاكر بالتعاون، ط1، بيروت: دار احياء التراث العربي، ص 423؛ والطوسي، محمد (1957): التبيان (د. ط)، تحقيق: احمد شوقي واحمد حبيب النجف الاشرف، المطبعة العلمية، ص 156.

[2] البحر المحيط: 3 / 577.

[3] القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، ط1، الرياض: الدار السعودية للنشر (د. ت)؛ والرومي، فهد (2005): دراسات في علوم القران الكريم، ط14، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ص 569.

[4] نفحات من علوم القرآن: 88/1.

[5] الجديع، عبد الله (2001): المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط1، بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز، ص 417.

[6] البغا، مصطفى (1998): الواضح في علوم القرآن، ط 2، دمشق: دار الكلم الطيب دار العلوم الإنسانية، ص 209.

ذهب إليه بعض المفسرين، كالزجاج[1]، والطاهر بن عاشور [2]، وهذا التقدير عند من رأى من علماء القرآن المحدثين أنّه لا يجوز القسم بغير الله تعالى.

ونجد أنّ بعض علماء القرآن المحدثين يقرّون بوجود بعض المحذوفات في التعبير القرآني على الرغم من التكلف الواضح في تقدير ألفاظ محذوفة لا يكون المعنى القرآني تاماً واضحاً من دونها، كما جاء في بيان دلالة قوله تعالى: { وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185]، إذ حُمِلِ الكلام عندهم على تقدير محذوف، أي: فأفطر فعدّة لأنّ قضاء الصوم على المسافر إنما يجب إذا أفطر في سفره، أمّا أذا صام في سفره فلا موجب للقضاء[3].

وقد عدّ علماء القرآن المحدثون هذا النوع من الحذف داخلاً في باب دلالة الاقتضاء، والاقتضاء عندهم: ((دلالة اللفظ على ما يكون مقصوداً للمتكلم ويتوقف عليه صدق الكلام أو صحته))[4]. وتقدير الكلام في الآية السابقة: فمن كان مريضا أو على سفر فأفطر فعدّة من أيام أُخر، فإنَّ صحة المعنى تقتضي إضافة هذه الكلمة، ولذلك سُمّيت الدلالة دلالة اقتضاء[5]، وقد رفض كثير من المفسرين هذا التقدير والقول بوجود محذوف، لأنّ التقدير عندهم خلاف الظاهر، قال السيد محمد حسين فضل الله: ((وقدّروا في الآية كلمة (فأفطر)، فقالوا: إنّ تقديرها: فمن كان مريضا أو على سفر فأفطر فعدّة من أيام أُخر. . لكن هذا ضعيف، بأنّ التقدير خلاف الظاهر ولا يُصار إليه إلّا بدليل، ولا دليل في الآية عليه، وبأنّ هذا التقدير لا يمنع من العزيمة، لأنّ الحديث عن الإفطار لا يعني إلّا جوازه في مقابل التحريم، ولا يعني ذلك في مقابل الإلزام))[6]، ومن المعلوم أنّ هذه الآية من آيات الأحكام التي اختلف فيها الفقهاء، إذ اختلفوا في مسالة الإفطار في شهر رمضان في أثناء السفر والمرض من حيث الرخصة أو العزيمة [7].

---

[1] الزجاج، مصدر سابق، ص331.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر (1984): التحرير والتنوير (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر – تونس، ص294.

[3] القطان، مصدر سابق، ص 214؛ والرومي، فهد (2005): دراسات في علوم القران الكريم، ط14، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ص 569.

[4] الابراهيم، مصدر سابق، ص 175.

[5] المصدر نفسه: 175.

[6] فضل الله، محمد حسين (1990): تفسير من وحي القران، ط2، بيروت: دار الملاك للنشر والتوزيع، ص25؛ والطبرسي، أمين الاسلام: مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: حامد الفدوى، (ط 1)، طهران: المكتبة المرتضوية لإحياء الاثار الجعفرية، ص 9.

[7] الانصاري، محمد بن محمد (2000): الجامع لإحكام القرآن، تحقيق: سالم مصطفى البدري، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ص200.202؛ وعليوي، مصدر سابق، ص154.155.

خصائص منهج المحدثين في بحث ظاهرة الحذف:

لابدَّ من الإشارة هنا إلى أنّ من أبرز خصائص منهج علماء القرآن الكريم المحدثين في بحثهم ظاهرة الحذف وسائر القضايا اللغوية والدلالية أنّهم يأخذون من هذه القضايا ما أفادهم في بحثهم لعلوم القرآن فهذه القضايا ليست غاية بالنسبة لهم بل وسيلة لتوضيح ما هم بصدده من مسائل علوم القرآن، وانسجاماً مع هذا النهج نجدهم يُشيرون في أحيان كثيرة إلى مسائل عامة في الحذف ثم يحيلون القارئ إلى المصادر المختصة لزيادة الفائدة والتوسع في المعرفة. ومن ذلك ما ذُكر في فوائد الحذف، إذ ذكر العلامة محمد هادي معرفة هذه الفوائد بشكل مختصر، وهي [1]:

1- الاختصار والاحتراس عن العبث لظهوره.

2- التنبيه الى أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأنّ الاشتغال بالذكر يفضي إلى تفويت الأهم، كما في بابي التحذير والإغراء، نحو قوله تعالى: {فَقَالَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس: 13]، أي: ذروا ناقة الله والزموا سقياها.

3- التفخيم والإعظام، لما فيها من الإبهام، فقد يُحذف الشيء، وتُترك النفس تجول لتعثر عليه بباعث حبّ الاستطلاع، فيدعو ذلك إلى الاهتمام به، ولهذا القصد يُؤثر الحذف في مواضع يُراد فيها التعجب والتهويل على النفوس، كقوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًاحَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: 73]، فحذف الجواب لدلالة فحوى الكلام على عظم الكرامة التي يلقونها حينذاك، فقد ضاق الكلام عن الإحاطة بذكر تلك الأوصاف.

4-التخفيف، لكثرة دورانها على الألسن، كما في حذف حرف النداء في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ [يوسف: 29] وبعد أن أجمل فوائد الحذف، قال: ((ومنها غير ذلك حسبما فصّله علماء البيان، فراجع)) [2].

ومن مواضع الحذف عند علماء القرآن المحدثين حذف فعل القسم، إذ قدّروا فعلاً محذوفاً، معللين ذلك بكثرة القسم في الكلام، ودلالة سياق القسم على المحذوف.

جاء في كتاب الواضح في علوم القرآن ((الصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل (اقسم) أو (احلف) متعديا بالباء إلى المُقْسَم به، ثم يأتي المقسم عليه، وهو المسمّى بجواب القسم، كقوله تعالى:

---

[1] معرفة، مصدر سابق، ص 388-389؛ والسيوطي، عبد الرحمن (1988): معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ص231-232.

[2] معرفة، مصدر سابق، ص 389.

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ لَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ} [النحل: 38]؛ فأجزاء صيغة القسم ثلاثة:

1. الفعل الذي يتعدى بالباء.
2. المُقْسَمُ به.
3. المُقْسَمُ عليه.

ولمّا كان القسم يكثر في الكلام اخُتصِر فصار فعل القسم يُحذف ويُكتفى بالباء، ثم عوض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: 1] وبالتاء في لفظ الجلالة، كقوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء 57]، وهذا قليل، أمّا الواو فكثيرة))[1]، وفي قوله: ((أمّا الواو فكثيرة)) إشارة إلى كثرة حذف الفعل مع واو القسم، بل عدّه أهل اللغة شرطاً في هذه الواو، قال الرضي الاستراباذي: ((اعلم أنّ واو القسم لها ثلاثة شروط، أحدها: حذف فعل القسم معها، فلا يُقال: أقسم ولله، وذلك لكثرة استعمالها في القسم، فهي أكثر استعمالاً من أصلها أي الباء))[2]، ويظهر قولهم بالحذف في باب القسم جلياً في تقسيمهم القسم إلى قسمين: ظاهر ومضمر، والقسم الظاهر عندهم هو ما صُرّح فيه بفعل القسم وصُرّح فيه بالمقسم به، ومنه ما حُذِفَ فيه فعل القسم، كما هو الغالب اكتفاءً بالجار من الباء أو الواو أو التاء، والقسم المضمر هو مالم يُصرَّح فيه بفعل القسم ولا بالمقسم به، وإنّما تدلُّ عليه اللام المؤكّدة الداخلة على جواب القسم، كقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]، حيث حذف فعل القسم والمقسم به لدلالة اللام عليه في قوله: (لَتُبلَونَّ)[3].

حذف جواب القسم:

من القضايا التي أولاها علماء القرآن المحدثون عنايةً في هذا الباب حذف جواب القسم، لكثرة وروده في التعبير القرآني وكلام العرب، وعدّوه من طريف ما أبدعه القرآن الكريم، الأمر الذي يبدو جمعاً بين متنافيين حسب الظاهر، لأنّ القسم توكيد يستدعي التصريح بالمقسم عليه الذي يُراد توكيده لأنَّ من طبيعة التوكيد الإظهار والتصريح، لمزيد العناية به، الأمر الذي يتنافى مع الحذف والتقدير،

[1] البغا، مصدر سابق، ص 207؛ والابراهيم: 197–198؛ ودراسات في علوم القرآن: 421؛ القطان، مصدر سابق، ص 300.

[2] الرضي الاستراباذي، محمد (1982): شرح الكافية (د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 334؛ ومعرفة، مصدر سابق، ص444.

[3] القطان، مصدر سابق، ص 251؛ والابراهيم، مصدر سابق، ص198، ودراسات في علوم القرآن، الرومي: 422؛ والزركشي، مصدر سابق، ص43.

فالحذف والتقدير إنّما يتناسب مع الاستسلام، حيث لا شبه ولا ترديد في مواجهة الكلام، وأمّا التوكيد فيتناسب مع مواضع الشبهة أو الإنكار، فكيف الجمع بينهما وهما متنافيان؟[1].

قال العلّامة محمد هادي معرفة: ((وهذا فنّ بديع يجمع في كلام واحد بين أمرين يتنافيان، ولكن في وئام ووفاق. وهكذا جاءت براعة القسم القرآني مع حذف الجواب، جمعاً بين العناية الشديدة بالمقسم عليه، مع العناية بعدم ضرورة ذكره، لمكان وضوحه وظهوره))[2].

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: 1-2]، فظاهر هذا الكلام أنّه متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه؟ وفي جواب ذلك يُلحظ أنّ ابتداء هذه السورة بحروف التحدي وإتباعها بالقسم محذوف الجواب، إنّما كان لدلالة التحدي عليه، كأنّه قال: (والقرآن ذي الذكر، إنَّه لكلام معجز)[3].

وذكر بعض علماء القرآن المحدثين دلالات هذا النوع من الحذف، فجواب القسم يحذف وهو جملة خبرية، ويُكتفى بالمقسم به، ليبادرهم بكلام آخر مؤيّد بجوب القسم المحذوف، لكيلا يجد الخصم فرصة لتحويل الإنشاء الى خبر فينازع فيه، وكأنّ المقسم بهذا يهيئ فرصة للسماع وانتظار الجواب، فيأتي عليه بما يؤيّد جوب القسم المحذوف[4]، ففي الآية السابقة في قوله تعالى:﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: 1-2] قال الدكتور فهد الرومي: ((فاكتفى بالمقسم به (والقرآن) واستغنى عن الجواب بما ذكره في صفة القرآن (ذي الذكر) وفي الوقت الذي ينتظر فيه المخاطب جواب القسم يأتيه ما يوكّد معناه:﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، فكأنّه يقول: والقرآنِ ذي الذكر إنّه الحق لكن الكفار استكبروا عن قبوله))[5].

قال ابن قيم الجوزية(ت751: هـ): ((وأكثر ما يُحذف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه وهي طريقة القرآن، فإنّ المقصود يحصل بذكر المقسم به، فيكون حذف المقسم عليه أَبلغ وأَوجز، كقوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: 1-2] فإنّه في القسم من تعظيم القرآن ووصفه بأنّه ذي ذكر المتضمن لتذكير العباد ما

---

[1] معرفة، مصدر سابق، ص468 .469.

[2] المصدر نفسه، ص469.

[3] المصدر نفسه، ص470؛ والزمخشري، ص70..

[4] الرومي، مصدر سابق، ص434.

[5] المصدر نفسه، ص 434.

يحتاجون إليه، وللشرف والقدر، ما يدلّ على المقسم عليه، وهو كونه حقاً من عند الله غير مفترى كما يقول الكافرون ولهذا قال كثيرون: إنّ تقدير الجواب (إنّ) القرآن حق)) [1].

ومن شواهد حذف جواب القسم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4)﴾[البروج: 1-4]، فالأحسن ((أن يكون هذا القسم مستغنياً عن الجواب، لأنّ القصد التنبيه على المقسم به، وأنَّه من آيات الربّ العظمية، وقيل الجواب محذوف دلَّ عليه قُتِلَ أصحاب الأخدود، وقيل حُذِفَ صدره وتقديرهُ: لقد قُتِلَ ؛ لأنَّ الفعل الماضي إذا وقع جواباً لقسم تلزمه اللام و(قد) ولا يجوز الاقتصار على أحدهم إلّا عند طول الكلام)) [2]، وقالَ صاحب البرهان﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ : **الجواب محذوف أي أنهم مَلْعُونُونَ يدلّ عليه قوله: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾**[3].

أشار علماء القرآن المحدثون إلى حذف الحروف في سياق القسم، ومن ذلك حذف اللام وعدم اجتماعها مع (قد) مع جواب القسم مع انّ اجتماعهما واجب مع الفعل الماضي المثبت المتصرّف الذي لم يتقدّم معموله إذا وقع جواباً لقسم إلّا في حالة طول الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وضحاه (1) وَالْقَمَرِ إِذا تلاها (2) وَالنَّهارِ إِذا جلاها (3) وَاللَّيْلِ إِذا يغشاها (4) وَالسَّماءِ وَما بناها (5) وَالْأَرْضِ وَما طحاها (6) وَنَفْسٍ وَما سواها (7) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وتقواها (8)﴾[الشمس: 1-8]، فجواب القسم: قد أَفلح من زكاها، حُذِفت منه اللام ولم تقترن ب(قد) لطول الكلام[4]، ومن التفاتاتهم لظاهرة الحذف ذكرهم حذف بعض الحروف والأدوات في موضع وإثباتها في موضع آخر، مع بيان الدلالة للحذف والذكر، ومن شواهد ذلك حذف (لا) وذكرها في نصوص قرآنية متشابه من جهة اللفظ، إذ جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: 12]، وحُذِفت في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75]، قال الدكتور عبد الفتاح أبو سنه: ((فعدم وجوده في سورة (ص) دلّ على امتناع السجود من جهة المعنى، وفي سورة الأعراف دلت زيادة الحرف (لا) على الامتناع معنوياً ومادياً أي بطريق الخط ألمصحفي، ليصير امتناع إبليس أمام شاهدي عدل، وهم: المعنى والكتابة وقد قيل: شاهد شاهداك قاتلاك))[5].

ومن شواهد ذلك ذكر التاء مع فعل الاستطاعة في قوله تعالىَّ: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78]، وحذف التاء في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ

---

[1] ابن قيم الجوزية، محمد: التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، ص10-11.
[2] القطان، مصدر سابق، ص 252.
[3] الزركشي، مصدر سابق، ص 189.
[4] القطان، مصدر سابق، ص 252.
[5] أبو سنة، عبد الفتاح (1995): علوم القرآن، ط 5، القاهرة: دار الشروق، ص 139.

عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82]. جاء في بيان ذلك أنّ الآية الأولى ((فيها بعض الثقل على اللسان، لتصوير الحالة النفسية التي كان عليها موسى عليه السلام قبل معرفة تأويل ما فعله العبد الصالح وهو الخضر – عليه السلام –؛ فلما علم تأويل الثلاثة: خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وزال ما بنفسه من اللبس والغموض جاء التعبير في الآية الثانية بدون التاء (تسطع)، فعبّر اللفظ عن سرور موسى واغتباطه بحالة الوضوح بعد ضيقه بحالة الغموض. وهذا من إعجاز الإيجار، والأمثلة على ذلك كثيرة))[1].

الحذف لعلم المخاطب بالحذف:

من قضايا الحذف التي ذكرها بعض علماء القرآن المحدثين الحذف لعلم المخاطب بالحذف، لاسيّما في باب المثل القرآني، وفي هذا النوع من الحذف قد تحذف مقاطع كاملة اعتماداً على فهم المخاطب. قال الدكتور فهد الرومي: ((كثيراً ما يحذف من المثل القرآني مقاطع اعتماداً على فهم المخاطب، وقد تُحذف من الممثل له مقاطع أيضا، ومثال ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور: 39] ففي المثل أبرزت صورة السراب ثم صورة الظامئ الذي ظنّه ماءً، ثم خيبته عند وصوله إليه، وحذف ما عدا ذلك، لإدراك المخاطب له. وفي الممثل له لم يذكر إلّا عمل الذين كفروا وطوى ما عدا ذلك لإدراك المخاطب له، وهذا من بلاغة القرآن))[2]

الخاتمة:

- كان لبعضِ الأساليبِ التَّركيبيَّةِ حضورٌ واضحٌ في مباحثِ المحدثينَ الدِّلاليَّةِ، إذ لجأوا الى أسلوب الحذفِ والتَّقدير، حيثُ قالوا بهذه الأسلوب، كونَه من الأساليبِ التي يستدعيها التَّوجيهُ الدِّلاليُّ في كثيرٍ من الألفاظِ، والتَّراكيبِ، والنُّصوصِ التي لا يستقيم ظاهرُها مع مقاصدِ الكلامِ، عادّينَ ذلك ضرباً من ضروبِ الإعجازِ القرآنيّ.
- إن القرآن الكريم نص لغوي مرتبط بمبدعه متصف بصفاته وكمالاته فلا يجوز أن يفهم منفصلاً عنه حتى لا تضيع تلك الكمالات اللفظية والمعنوية.
- له دلالته الخاصة به ويمكن للمفسر أن يتخذ اللغة أداة في فهمه فهماً أوليا وتبقى الدلالة القرآنية في أفق أعلى لاتصل إليها الدلالة اللغوية ذات السمات الحسية.
- يمكن أن يفهم المعنى القرآني وتتكامل أبعاده بمنهج تفسير القرآن بالقرآن وفي ضوئه تدرس السمّات الأسلوبية والنحويّة والصرفية والبلاغية وغيرها.

---

[1] المصدر نفسه، ص 139.

[2] الرومي، مصدر سابق، ص601.

- هناك رؤيتان في فهم ظاهرة الحذف في القرآن؛ الأولى: تبناها اللغويون وأغلب المفسرين وهي قائمة على أساس اللغة وسماتها الأسلوبية العامة: معنى ونحوا وأسلوبا، فكان فهمهم القرآن مطبوعاً بطابع اللغة فقدروا كثيرا من الألفاظ في بنية القرآن ما أدى إلى فهم سطحي أو تغيير في المعنى القرآني والرؤية القرآنية عن الوجود وآثاره. والثانية: تبناها بعض المفسرين وهي قائمة على الدلالة الموضوعية في القرآن والرؤية القرآنية عندهم هي الأساس في بيان ظاهرة الحذف فقد تكون الدلالة تامة وعميقة في ظاهر القرآن من غير حاجة إلى التقدير أو أن القرآن يذكر في ذلك السياق الآخر ؛ لأن للقرآن رؤى متعددة ووجهات نظر كثيرة عن الموضوع الواحد فينبغي مراعاة تلك الرؤى القرآنية المتعددة.
- إنّ التقدير يمكن أن يتبناه المفسرون وغيرهم إذا شكل جزءاً من دلالة النص وقام بإكمال التركيب بشرط أن يكون القرآن هو الأساس في اختيار الألفاظ منه أولا، وأن يكون معنى التركيب بعد التقدير منسجماً مع المعنى الكلي للقرآن.
- إن لآليات تحديد المحذوف أثرها في معرفة المحذوفات ومواضعها في النصوص الأدبية؛ لأنها إبداع إنساني ولكنها عاجزة عن تعيين اللفظ في سياق قرآني إلا بالرجوع إليه واتخاذه مصدراً وأساساً في ذلك؛ لأنه إبداع إلهي معجز.

النتائج:

بعد التتبع للتغير الدلالي العميق في متن علوم القران فنجدو ان هذا التغير وان كان على مستوى المعنى فحسب ألا إنّه القى بظلالهِ على كل مستويات اللغة والحياة والمفاهيم الرئيسة التي اصبحت سلوكات قارّة في الفكر الاسلامي ومن هذه النتائج التي خرج بها هذا البحث:

1- أحيت علوم القران بعض الالفاظ عن طريق تغيّر دلالاتها.

2- لم تقطع مباحث علوم القران بين الدلالة الجديدة للكلمة والدلالة الوضعية القديمة أي ان هذا التغيّر لم يكن جذريا وانما هناك دائماً علاقة بين المعنيين بحيث عندما يغيّر القران الكريم من دلالة لفظة ما يتركها دائماً في مجالها الدلالي العام

3- يحمل التغير الدلالي الذي جاء به القران الكريم دلالات نفسية عميقة، الهدف منها التأثير في المسلمين.

4- أحدث التغير الدلالي نشاطا فكريا عميقا وهذا ما يريده الشارع المقدس.

قائمة المصادر والمراجع:

- السيوطي، جلال الدين (1974): الإتقان في علوم القرآن، ط2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عليوي، جابر (2013): البحث الدلالي في تفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله، ط 1، دمشق: تموز للطباعة ونشر التوزيع.
- الابراهيم، موسى (1996): بحوث منهجية في علوم القران، ط 2، عمان: دار عمار النشر والتوزيع.
- الزركشي، بدر الدين (1957): البرهان في علوم القرآن، ط1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركائه.
- ابن قيم الجوزية، محمد: التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة.
- الطوسي، محمد (1957): التبيان (د. ط)، تحقيق: احمد شوقي واحمد حبيب النجف الاشرف، المطبعة العلمية.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (1984): التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر – تونس.
- فضل الله، محمد حسين (1990): تفسير من وحي القران، ط2، بيروت: دار الملاك للنشر والتوزيع.
- معرفة، محمد هادي (2011): التمهيد في علوم القرآن، ط2، الجمهورية الاسلامية: مؤسسة التمهيد.
- الطبري، محمد بن جرير (2001): جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، ضبط وتعليق محمود شاكر بالتعاون، ط1، بيروت: دار احياء التراث العربي.
- الانصاري، محمد بن محمد (2000): الجامع لإحكام القرآن، تحقيق: سالم مصطفى البدري، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن جني، عثمان: الخصائص، ط4، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. ت).
- ابو موسى، محمد (2000): خصائص التركيب، ط2، القاهرة: دار التضامن.
- الرومي، فهد (2005): دراسات في علوم القران الكريم، ط14، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- إسماعيل، محمد: دراسات في علوم القران، ط1، القاهرة: دار التوفيق للطباعة.
- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق ياسين الأيوبي، ط1، المكتبة العصرية– الدار النموذجية (د. ت).

- الالوسي، شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الرضي الاستراباذي، محمد (1982): شرح الكافية (د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- حمودة، طاهر سلمان (1982): ظاهر الحذف في الدرس اللغوي (د. ط)، الاسكندرية: الدار الجامعية للطباعة والنشر.
- أبو سنة، عبد الفتاح (1995): علوم القرآن، ط 5، القاهرة: دار الشروق.
- عامر، فهمي (1975): فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (د. ط)، القاهرة: المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية.
- الشاربي، سيد قطب: في ظلال القران، ط17، القاهرة: دار الشروق.
- الفراهيدي، الخليل (2003): كتاب العين، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزمخشري، محمود: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط 3، بيروت: دار الكتاب العربي.
- عزت، علي (1971): اللغة ونظرية السياق، بحث منشور في مجلة الفكر المعاصر العدد (٧٦).
- ابن الاثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي بدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت).
- الصالح، صبحي (1968): مباحث في علوم القرآن، ط 5، بيروت: دار العلم للملايين.
- القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، ط1، الرياض: الدار السعودية للنشر (د. ت).
- الزجاج، ابن السري (1988): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت: عالم الكتب.
- السيوطي، عبد الرحمن (1988): معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجديع، عبد الله (2001): المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط1، بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز.
- الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القران، ط1، إيران: مطبعة السيدة المعصومة للطباعة.
- الطبرسي، أمين الاسلام: مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: حامد الفدوى، (ط 1)، طهران: المكتبة المرتضوية لإحياء الاثار الجعفرية.

- البغا، مصطفى (1998): الواضح في علوم القرآن، ط 2، دمشق: دار الكلم الطيب دار العلوم الإنسانية.

القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام

Fundamental rules affecting exemptions from fasting

د. آسيا محمد الجعلي أحمد: أستاذ مساعد في أصول الفقه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان

ASIA MOHAMED ALGALI AHAMED: Assistant Professor of Fundamentals of Jurisprudence, Omdurman Islamic University, Sudan

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام. وبيان رخص الصيام في المذاهب الفقهية المعتبرة، وتوضيح الخلاف في مدلول الصوم والصيام في اللغة وذكر القول المختار. وقد انتهجت الباحثة المنهج الاستقرائي الاستنتاجي في دراسة هذا الموضوع المهم، بحيث تذكر الرخصة وتعريفها وشرحها حكمها، وتحرير موضع النزاع فيها- إن وجد- وبيان القول الذي اختاره البحث. ثم ذكر البحث القواعد الأصولية المؤثرة في كل واحدة من هذه الرخص. قامت الباحثة بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم، وتخريج الأحاديث الوارد ذكرها في البحث، وترجمت الباحثة للأعلام المذكورين -عدا كبار الصحابة ورواة الأحاديث. وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها، أن القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام تندرج تحت القواعد الأصولية الخاصة بالكتاب والسنة، وهي -كغيرها من الرخص- مبنية على شرط التكليف هو القدرة على الفعل والعلم به. وفي ختام البحث توصي الباحثة العلماء بمزيد من البحوث عن القواعد الأصولية، لأهميتها وعدم تفرقة غير المختصين بينها وبين القواعد الفقهية.

الكلمات المفتاحية: القواعد الأصولية، الرخص، رخص الصيام، احكام العبادات.

Abstract:

This research aimed at clarifying the fundamental rules affecting exemptions from fasting and explaining these exemptions in the valuable schools of Islamic jurisprudence. Furthermore, it explained the difference in the meaning of fasting (act of abstaining from talking) and fasting (act of abstaining from food) in the language and mentioning the selected opinion. The researcher had adopted the deductive-inductive approach in studying this important topic. Thus, every exemption was mentioned with its definition, explanation and ruling, in addition to clarifying the points at issue of it and explaining the opinion selected by the researcher. Then the fundamental rules affecting each of these exemptions were mentioned. The researcher ascribed the Quranic verses to their position in the Holy Quran, documented the hadiths mentioned in the research, in addition to the researcher translation of the mentioned eminent persons, except for the great Companions of the Prophet and narrators of hadiths. The research found a set of results and the most significant of which was that the

fundamental rules affecting exemptions from fasting fall under the fundamental rules of the Holy Quran and Sunnah, and as other exemptions, these exemptions are based on the obligation's condition which is the ability to act and know it. At the conclusion, the researcher recommended that scholars ought to write more researches about the fundamental rules due to their importance and because non-specialists couldn't differentiate between the fundamental rules and jurisprudence rules.

Keywords: Fundamental rules, exemptions, exemptions from fasting, worship rules.

المقدمة:

تعد القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة، لارتباطها بالركن الرابع من أركان الإسلام، وأهمية القواعد الأصولية تنبع من فائدتها في استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة، لذا سعى البحث لمعرفة هذه القواعد، مع بيان رخص الصيام في كل المذاهب الفقهية، وذكر موضع الخلاف بينها في أحكام هذه الرخص وتوضيح الرأي الراجح، كما هدف لبيان الخلاف بين العلماء في مدلول الصوم والصيام، فالدراسات السابقة لهذا البحث تناولت القواعد الأصولية المؤثرة في فروع فقه العبادات الأخرى، مثل القواعد الأصولية المؤثرة في مسائل الطهارة والصلاة والحج والعمرة، والقواعد الأصولية المؤثرة في فروع الفقه الأخرى، مثل فقه الحدود والجنايات.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

كان التساؤل المهم الذي البحث للإجابة عنه ما القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام ؟ وقد تفرع عن هذا أسئلة، هي:

- ما رخص الصيام التي أثرت فيها هذه القواعد؟
- ما مدى اتفاق واختلاف العلماء في أحكام هذه الرخص؟
- هل القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام كلها مستمدة من الكتاب والسنة؟ أم أن بعضها قواعد أصولية لغوية؟
- ما الصلة بين لفظ الصوم والصيام من حيث الترادف والاختلاف في المدلول؟
- ما الأساس الذي بنيت عليه رخص الصيام؟

منهج الدراسة:

قد رأت الباحثة أن تنتهج المنهج الاستقرائي الاستنتاجي في دراسة هذا الموضوع المهم فتقوم بذكر الرخص وشرحها وتحرير موضوع النزاع–إن وجد –وبيان القاعدة المؤثرة فيها مع الشرح والترجيح كلما اقتضى ذلك.

قامت الباحثة بعزو الآيات القرآنية إلى موضعها من سور القرآن الكريم وتخريج الأحاديث الواردة في البحث كما ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث عدا كبار الصحابة ورواة الأحاديث.

أهداف الموضوع:

1- بيان القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام.

2- بيان رخص الصيام في المذاهب الفقهية المعتبرة.

3- توضيح الخلاف في مدلول الصوم والصيام في اللغة وذكر القول المختار.

سبب اختيار الموضوع:

يعد موضوع القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام من الموضوعات المهمة لأنها ترتبط بركن من أركان الإسلام وهو الصيام الذي اختصه الله تعالى من بين العبادات بنسبته له تعالى، فكل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لله تعالى وهو سبحانه يجزي به[1] رواه البخاري في صحيحه.

الدراسات السابقة:

تناولت عدد من الدراسات القواعد الأصولية بصفة عامة وبعضها القواعد الأصولية المؤثرة في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رسالة دكتوراه مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تأليف ناصر بن علي الغامدي. القواعد الأصولية المؤثرة في فقه الحدود والجنايات القواعد الأصولية المؤثرة في مسائل الحج والعمرة القواعد الأصولية المؤثرة في مسائل الطهارة والصلاة والزكاة وغيرها.

[1] البخاري، محمد، (1993م) صحيح البخاري، دار بن كثير، ج 2 ص، 226

تمهيد:

تعريف الصيام والصوم لغة واصطلاحاً

تعريف الصيام في اللغة: قال ابن فارس في مقاييس اللغة (الصاد والواو والميم أصل يدل علي إمساك أو ركود في مكان)[1] ومن ذلك صوم الصائم فهو يمسك فيه عن الطعام والشراب وسائر الشهوات ويطلق الصوم على الإمساك عن الكلام والصمت كما في سورة مريم (... إني نذرت للرحمن صوماً...) [مريم: 26] والصيام في اللغة مراد للصوم لأن كلاهما يدل على الإمساك.

تعريف الصيام في الاصطلاح الشرعي: (هو إمساك بنية عن أشياء مخصوصة في زمن معين من شخص مخصوص)[2] فهو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

الفرق بين الصيام والصوم: يرى بعض العلماء أن الصوم والصيام غير مترادفين في المعنى إذا يقصر لفظ الصوم علي علي الامتناع عن الكلام مستدلين بما ورد في سورة مريم ولا يطلق على العبادة المخصوصة بل يطلق عليها لفظ الصيام[3] ولكن باستقراء الأحاديث النبوية نجد عدم صحة هذا الرأي فقد أطلق لفظ الصوم على العبادة المعروفة في حديث أركان الإيمان وفيه(...وصوم رمضان...) رواه البخاري ومسلم [4] وكذلك ورد لفظ الصوم بهذا المعنى في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص (...قال: فصم صوم داود...) [5] ومن ذلك يتضح لنا أن كلمة صوم أعم من كلمة صيام إذ يمكن إطلاق كلمة صوم علي الإمساك عن الكلام وعلى العبادة المعروفة في حين أن الصيام لا يطلق إلا على العبادة المخصوصة لأن في لفظ الصيام زيادة عن مجرد الإمساك لأن كلمة الصيام فيها زيادة في مبناها على كلمة الصوم والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.

[1] ابن فارس، أبي الحسن أحمد، (1999) مقاييس اللغة، ط 1، بيروت، دار الجيل، م 3 ص، 323.
[2] البهوتي، منصور، 2003م، الروض المربع بشرح زاد المستقنع، ط1، المكتبة العصرية بيروت، ص 166
[3] عمر عبد الكافي شحاتة.(من محاضرة بموقع الشيخ عبد بن عبد العزيز)
[4] البخاري، محمد بن إسماعيل، 1993م، صحيح البخاري، دار بن كثير، ج1ص، 10.
[5] العسقلاني، أحمد بن حجر، دار الريان للنشر، حديث رقم 1878 باب صوم داود عليه السلام.

المبحث الأول: تعريف الرخصة وأنواع الرخص

أولاً: تعريف الرخصة لغة:

ذكر ابن فارس[1] أن الراء والخاء والصاد يدل على لين وخلاف الشدة ومن ذلك اللحم الرخص هو الناعم وذلك خلاف الغلاء والرخصة في الأمر خلاف التشديد وفي الحديث (إن الله جل ثناؤه يجب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)[2] وذكر الجرجاني[3] في التعريفات (الرخصة في اللغة السهولة واليسر) وجاء في كتاب لسان العرب لابن منظور(رخص في الأمر إذا أذن فيه بعد النهي عنه والأمر رخصة) [4] وجاء في الصحاح للجوهري (الرخصة في الأمر خلاف التشديد ومن ذلك رخص السعر إذا سهل وتيسر وهي بتسكين الخاء وحكي بضمها)[5] ومن هذه التعريفات نخلص إلى أن الرخصة في اللغة تدل على السهولة واليسر أو الإذن في الأمر بعد النهي عنه.

ثانياً: تعريف الرخصة اصطلاحاً:

عرفت الرخصة في الاصطلاح الشرعي بتعريفات كثيرة متقاربة فقد عرفها الجرجاني بأنها اسم لما شرع متعلقاً بالعوارض أي ما استبيح لعذر مع قيام الدليل المحرم وقيل هي ما بني على أعذار العباد) [6] وعرفها ابن الحاجب (ما شرع من الأحكام لعذر مع قيام المحرم لولا العذر) [7]

وعرفها القرافي ((جواز الإقدام على الفعل مع اشتهار المانع منه شرعاً)[8] وذكر القرافي أن الرازي فسر الرخصة بجواز الإقدام مع قيام المانع واعترض عليه بأن ذلك مشكل لأنه يلزم منه دخول بعض التكليفات في الرخص وهي ليست منها[9]. أي أن هذا التعريف غير مانع. وعرفها الشاطبي بأنها(ما شرع لعذر شاق استثنائي من أصل كلي يقتضي المنع مع الاقتصار على موضع الحاجة منه) [10] ومن كل هذه التعريفات نخلص إلي أن الرخصة تعني جواز فعل المحرم أو ترك الواجب مع قيام

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس مرجع سابق المجلد الثاني ص 500

[2] رواه ابن حبّان رقم 354

[3] الجرجاني، علي2011م التعريفات، دار الفضيلة ص 95

[4]ابن منظور، جمال الدين، 1990م، لسان العرب ط1، المجلد الرابع ص 400

[5]الجوهري، إسماعيل، ط 4 دار العلم للملايين بيروت، ص 94

[6]التعريفات للجرجاني (مرجع سابق) ص 95 7- ابن الحاجب، جمال الدين، 1997م

[7]منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، ط 2 ص 30.

[8]القرافي، أحمد، 1973م، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، ط1، دار الفكر، ص 86

[9]المرجع السابق نفس الصفحة

[10]الشاطبي، إبراهيم، 2011م، الموافقات في أصول الشريعة ط 1، دار الغد الجديد، ج1 ص230.

دليل الوجوب والحظر لعذر ويدخل في الرخص تصحيح بعض العقود الاستثنائية مثل عقد السلم مع مخالفتها للقاعدة العامة في البيع لاقتضاء الحاجة لها.

ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للرخصة:

يتفق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي لأن المعنى اللغوي معناه السهولة واليسر وخلاف الشدة وكذلك المعنى الاصطلاحي الذي يدل على التسهيل والتيسير على المكلف في ظروف خاصة إما بإباحة فعل المحرم مثل أكل الميتة في حالة الاضطرار أو إباحة ترك الواجب لعذر مثل الإفطار في نهار رمضان للسفر أو المرض أو غيرها من الأعذار.

أو إباحة بعض العقود رغم أنها مخالفة للقاعدة العامة للعقود وذلك أيضاً للتسهيل والتيسير على المكلفين.

المبحث الثاني: أنواع الرخص عامة

توطئة:

قسم العلماء الرخص تقسيمات عدة باعتبارات مختلفة فمنهم من قسمها حسب حكمها إلى واجبة ومندوبة ومباحة. ومنهم قسمها حسب نوعها، إلى إباحة ترك الواجب، وإباحة فعل المحرم، وتصحيح بعض العقود الاستثنائية. وقسمها الشاطبي في الموافقات إلي أقسام عدة، باعتبار أنها ما شرع لعذر خاص استثنائي من أصل كلي يقتضي المنع مع الاقتصار على موضع الحاجة فيه وقد أطلق الرخصة على ما استثني من أصل كلي حتى لو لم يكن لعذر شاق فتدخل فيه العقود الاستثنائية مثل المساقاة وأدخل في الرخصة ما وضع عن أمتنا من التكاليف الشاقة التي كانت مفروضة على الأمم السابقة. واعتبر من الرخصة ما كان من المشروعات توسعة على العباد. فالشاطبي بهذا يكون قد قسم الرخصة إلى أربعة أقسام، وفصل فيها إلى عام وخاص[1]–مما لا يسع المجال لذكره– وقسم الحنفية الرخصة إلى رخصة ترفيه ورخصة إسقاط وذلك حسب بقاء حكم العزيمة أو اسقاطه، . ففي الأولي يكون حكم العزيمة باقياً مثل التلفظ بكلمة الكفر في حالة الإكراه لمن كان قلبه مطمئناً بالإيمان وسموا هذا النوع من الرخص رخصة حقيقية والثانية يسقط حكم العزيمة مثل أكل الميتة وشرب الخمر للمضطر وسموا هذا النوع رخصة مجازية [2] وسيتناول البحث تقسيمات الرخصة حسب حكمها، إما واجبة أو مندوبة أو مباحة وذلك في ثلاثة مطالب:

[1] الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة(مرجع سابق ص 230–234)

[2] ابن كمال، أحمد، فروق الأصول، دار ابن حزم ص 73

- **أولاً: الرخصة الواجبة** وهي التي يجب على المكلف الأخذ بها بحيث يأثم بتركها، ومثل العلماء لهذا النوع بأكل الميتة للمضطر [1]في المضطر إذا امتنع عن أكل الميتة ومات يأثم، لوجوب أخذه بالرخصة.

- **ثانياً: الرخصة المندوبة** هي التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها كغيرها من المندوبات أو هي ما كان فعلها أولى من تركها مثل قصر الصلاة للمسافر [2].

- **ثالثاً: الرخصة المباحة** وهي التي يتساوى طرفي فعلها وتركها – كبقية المباحات– فلا ثواب علي الفعل ولا عقاب علي الترك، ولكن قد يثاب المكلف بنيته من فعل المباح فمن أكل أو شرب ليتقوى للعبادة أجر، ومن امتنع عن الأكل لينتحر أثم. ومثل العلماء لهذا النوع من الرخص بالفطر في نهار رمضان للمسافر. [3]

المبحث الثالث: أنواع رخص الصيام

أولاً: السفر:

اتفق العلماء[4] على أن للمسافر في نهار رمضان رخصة الفطر إذا كان سفره مسافة قصر الصلاة[5] فإذا كان سفره أقل من ذلك فلا يباح له الفطر. وهذه الرخصة من الرخص المباحة – كما بينا سابقاً– فمن أراد الأخذ بها فعل ومن أراد الأخذ بالعزيمة فله ذلك.وهذا هو الرأي الراجح، ولكن بعض الظاهرية قال بوجوب هذا النوع من الرخص جاء في كتاب المبسوط أن الصوم في السفر جائز وهو قول أكثر الصحابة وأخذ بهذا القول جمهور الفقهاء. وقد روي عدم جواز الصوم للمسافر عن بعض الصحابة رضي الله عنهم مثل ابن عمر وأبي هريرة مستدلين بقوله تعالى(فعدة من أيام أخر)[البقرة: 184] يرون أن هذا الوقت صار في حق المسافر كالشهر في حق المقيم فلا يجوز

[1] خلاف، عبد الوهاب، 1956م، أصول الفقه، دار الحديث القاهرة ص 115
ابن الحاجب، منتهى السول والأمل (مرجع سابق) ص 30، القرافي، شرح تنقيح الفصول (مرجع سابق) ص 85، البدخشي، محمد، منهاج الفصول في علم الأصول للبيضاوي، دار الكتب العلمية بيروت، ج1 ص 93 ومعه كتاب منهاج الفصول للآسنوي، جمال الدين بن عبد الرحيم

[2] منتهى السول والأمل,(المرجع السابق) ص 30, شرح تنقيح الفصول للقرافي (المرجع السابق) ص 86 , شرح البدخشي (المرجع السابق) ص 93.

[3] نفس المراجع السابقة ونفس الصفحات

[4] الجزيري، عبد الرحمن، 1990م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الفقه على المذاهب الأربعة، ج1 ص521

[5]وهي أربعة برد. وهو ما يعادل الكيلو 80 كيلو وقدرها بعض العلماء بي 83 كيلو الشيرازي, إبراهيم، المهذب في فقه الإمام الشافعي دار المعرفة بيروت لبنان، ج1 ص183

الأداء قبله. ويستدل أصحاب هذا الرأي بحديث (الصائم في السفر كالمفطر في الحضر))[1] وحديث (ليس من البر الصيام في السفر)[2] واستدل الجمهور على جواز الفطر للمسافر بأن آية (... فمن شهد منكم الشهر فليصمه...)[البقرة: 185] تشمل المسافر والمقيم وقوله تعالى (فمن كان مريضاً أو على سفر...)[3] لبيان الترخيص بالفطر فينتفي به وجوب الأداء لا جوازه.[4]

واشترط الحنفية والمالكية لجواز الفطر للمسافر أن يشرع في سفره قبل طلوع خلافاً للحنابلة الذين قالوا بإباحة الفطر للمسافر حتى لو سافر أثناء النهار.

واشترط الشافعية لإباحة الفطر للمسافر أن لا يكون مديماً فإن كان كذلك يحرم عليه الفطر، إلا إذا وجد مشقة في الصوم فيجب عليه الفطر [5] وعلى هذا يرى جمهور الفقهاء أن المسافر لو شرع في السفر بعد طلوع الفجر يحرم عليه الفطر، ولو أفطر عليه القضاء دون الكفارة عند الحنفية والمالكية والحنابلة وخالف الشافعية فقالوا يختلف حكمه بحسب نوع فطره، فإن أفطر بما يوجب القضاء فقط وجب عليه القضاء، ولو أفطر بما يوجب القضاء والكفارة وجب عليه ذلك [6]

واختلف الفقهاء في أيهما أفضل الصوم في السفر أم الفطر فمنهم من فضل الصوم ومنهم من فضل الفطر وأوجب الظاهرية الفطر في السفر– كما رأينا –قال الشافعي: رحمه الله تعالى (الفطر أفضل لأن ظاهر ما روي من الآثار يدل على أن الصوم في السفر لا يجوز، فإن ترك الظاهر في حق الجواز بقي معتبراً الفطر أفضل.وقاس الصوم بالصلاة لأن القصر أفضل من الإتمام وكذلك الصوم لأن السفر يؤثر فيهما)[7] وجاء في كتاب منتهى الإرادات ويكره صوم بسفر قصد ولوبلا مشقة[8]واستدل الفقهاء الذين يرون فضل الفطر على الصوم للمسافر بعدد من الآثار منها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس من البر الصيام في السفر)[9] فصوم المسافر مكروه عندهم، مندوب فطره. ويري بعض الفقهاء أن المسافر الذي لا يشق عليه الصوم يندب له الصوم لقوله تعالى

---

[1] سنن ابن النسائي الجزء الرابع ص 183 كتاب الصيام عن عبدالرحمن بن عوف قال يقال (الصيام في السفر كالإفطار في الحضر.) أما حديث الصائم في السفر كالمفطر في الحضر فقد أخرجه ابن ماجه مرفوعاً من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

[2] صحيح البخاري باب الصوم حديث رقم 1844 الحاشية رقم (1) ص 216

[3] من نفس الآية ونفس السورة

[4] السرخسي، شمس الأئمة , 1993م المبسوط، دار المعرفة لبنان ج3 ص 54

[5] الفقه على المذاهب الأربعة (مرجع سابق) ص 521–522

[6] نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

[7] المهذب في فقه الشافعي (مرجع سابق)ج1 ص183–184

[8] منتهى الإرادات (مرجع سابق)ج1ص217، الفقه على المذاهب الأربعة (المرجع السابق)

[9] سبق تخريجه.

(وأن تصوموا خير لكم)[1] وقال بعض العلماء بالإباحة وذلك للآثار الكثيرة الدالة على ذلك، مثل حديث عائشة – رضي الله عنها–(أن حمزة بن عمرو الأسلمي –رضي الله عنه–[2] قال: يا رسول الله أني أسافر في رمضان فأصوم قال: صم إن شئت[3] وفي حديث أنس رضي الله عنه قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا الصائم ومنا المفطر لا يعيب البعض على البعض)[4] من هذه الأدلة يخلص البحث إلى أن حكم الإفطار للمسافر في نهار رمضان الإباحة إلا إذا تضرر من الصوم فيسن له الفطر.

ثانياً: المرض:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن المكلف إذا مرض وخاف زيادة المرض أو تأخر الشفاء فيجوز له الفطر، وقال الحنابلة يسن له الفطر ويكره له الصيام. أما إذا غلب على ظنه الهلاك وشدة الضرر بالصوم فإنه يجب عليه الفطر ويحرم عليه الصوم باتفاق[5] هذا الحكم لمن كان مريضاً بالفعل أما من كان صحيحاً وظن بالصوم حصول مرض شديد فيري أنه الحنابلة أنه يسن له الفطر كالمريض بالفعل. والحنفية يرون إباحة الفطر له كما لوكان مريضاً بالفعل ويرى المالكية أن ا لصحيح إن ظن الهلاك أو شدة الأذى بالصوم وجب عليه الفطر كالمريض أما الشافعية فقالوا إذاكان المكلف صحيحا وظن حصول المرض بالصوم فلا يجوز له الفطر ما لم يشرع في الصوم ويتحقق الضرر.

والخلاصة أن المرض من الرخص المبيحة للفطر في رمضان مع اختلاف العلماء في الحكم من إباحة وندب ووجوب حسب حالة المريض. ويلزم المريض القضاء إذا أفطر وكان مرضه يرجى شفاؤه لقوله تعالى (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)[البقرة: 185] بلا خلاف.[6]

ثالثاً: الجهل:

كما هو مقرر عند علماء الأصول أن الجهل الذي يعذر المكلف به هو الجهل الذي يكون في غير دار الإسلام وذلك طبقاً لقاعدة (لا يدفع ب الجهل بالأحكام في دار الإسلام) فإن كان في دار حرب ولم يعلم بفرض الصوم فأفطر جاهلا رخص له ذلك.

---

[1] من الآية 184 سورة البقرة

[2] من ولد أسلم بن قصي بن حارثة (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)

[3] سنن أبي داود كتاب الصوم حديث 2402 حاشية 1 ص 33

[4] صحيح مسلم كتاب الصوم ج2، كتاب أحكام الصيام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ج2 ص 406 الحديث رقم 189.

[5] الفقه على المذاهب الأربعة (مرجع سابق) ص 519–520

[6] ابن قدامة، محمد,، مكتبة الرياض الحديثة , المغني علي مختصر الخرقي، ج3 ص 134

رابعاً: النقص:

وتعني الباحثة بالنقص كل أمر يؤدي إلى نقص قدرة المكلف على الصوم عدا الأمور التي اختصت بمباحث منفصلة –، فتناولت في هذا المطلب الحيض والنفاس والحمل والرضاعة والإغماء والجنون والكبر. فالحائض والنفساء لا يجب عليهما الصوم بل يحرم وهذه من الرخص الواجبة فإذا طهرتا وجب عليهما قضاء الصوم. وكذلك الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وأطعمتا مكان كل يوم مسكيناً[1] ويرى بعض الفقهاء أن الكفارة مستحبة غير واجبة وهو قول المزني[2] وذهب فريق من الفقهاء إلى أن الفدية تجب على المرضع دون الحامل لأن الحامل كان فطرها لمعنى فيها كالمريض وأن المرضع أفطرت لمنفصل عنها فوجب عليها الفدية [3]وكره بعض الفقهاء صوم الحامل والمرضع إن خافتا على أنفسهما أو الولد وعليهما القضاء[4]. والإغماء والجنون من الأمور التي ترخص الفطر في رمضان لحديث النبي صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة وفيه المجنون حتى يفيق وفي رواية حتى يعقل.[5]

ويلحق بهذه الرخصة الكبر، فالكبير الذي يجهده الصوم وعليه فدية إطعام مسكين عن كل يوم يفطره لقوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) [6] وعن أبي هريرة رضي الله أنه قال: (من أدركه الكبر ولم يستطع صوم رمضان فعليه لكل يوم مد من قمح)[7] ولما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (الشيخ الكبير يطعم مسكيناً)[8] وقال: ابن عمر رضي الله عنهما (إذا ضعفت عن الصوم أطعم كل يوم مسكيناً) وروي أن أنساً–رضي الله عنه– ضعف عن الصوم قبل وفاته فأفطر وأطعم [9].ويرى بعض العلماء وجوب الفطر على من تعين عليه إنقاذ معصوم من مهلكة كغريق.[10]

---

[1] المهذب في فقه الإمام الشافعي لأبي إسحاق الفيروز بادي الشيرازي مرجع سابق المجلد الأول ص 185

[2] المزني هو: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق بن مسهر شهد له بن عبدالله المصري. كان زاهداً عالماً من كتبه الجامع الكبير والصغير والمختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم وكتاب شرح السنة للمزني وكتاب الوثائق وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1ص217

[3] المرجع السابق ص 186

[4] منتهى الإرادات لابن النجار الجزء الأول ص 218

[5] أخرجه أبو داود (4 / 558) قال: الحاكم صحيح على شرط مسلم

[6] من الآية 184 سورة البقرة

[7] المهذب للشيرازي (مرجع سابق) ص 180–185

[8] نفس المرجع السابق ونفس الصفحات

[9] المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (المرجع السابق ص 180)

[10] منتهى الإرادات لابن النجار (مرجع سابق) ص218

خامساً: النسيان:

اتفق العلماء على أن النسيان من الأعذار المبيحة للفطر، ولكنهم اختلفوا في وجوب القضاء على المفطر ناسياً، فذهب جمهور الفقهاء إلى عدم وجوب القضاء عليه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم (عفي لأمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[1] ولحديث أبي هريرة مرفوعاً (من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)[2] متفق عليه وجاء في الروض المربع (إن كان ناسياً أو مكرهاً) فلا يفسد صومه وأجزاه[3]. وذهب المالكية إلى وجوب القضاء عليه .[4]

سادساً: الإكراه:

فمن أكره على الفطر في نهار رمضان فلا شيئ عليه وذلك للنصوص الكثيرة الدالة على ذلك، كقول النبي صلى الله عليه وسلم –السابق–(عفي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) [5] فإذا أكره الصائم على الأكل والشرب فإنه لا يفطر سواء أكره علي الفطر حتى فعله، أو فعل به، بأن صب الماء في حلقه مكرهاً ولا قضاء عليه–علي الأصح– وقيل يفطر إن فعله بنفسه كالمريض–أي – عليه القضاء. [6]

المبحث الثالث: في القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيا

أولاً: تعريف القاعدة لغة:

جاء في كتاب لسان العرب لابن منظور (القاعدة أصل الأس وفي التنزيل (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)[البقرة: 127] وفيه (فأتي بنيانهم من القواعد)[النحل: 26] قال: الزجاج[7] القواعد أساطين البناء)[8] وجاء في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس (القاف والعين والدال أصل مطرد منقاس لا يتخلف وهو يضاهي الجلوس) [9] والقاعدة في اللغة هي الأساس أو الأصل. وجاء في

---

[1] من حديث بن عباس رضي الله عنهما، صحيح الجامع الحديث رقم 1836. حديث صحيح

[2] رواه البخاري حديث رقم 1933 ومسلم حديث رقم 1155

[3] الروض المربع بشرح المستقنع للبهوتي (مرجع سابق)ص171

[4] ابن رشد، محمد، 1415هـ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ط1 مكتبة بن تيمية ا–، القاهرة، ص 181

[5] سبق تخريجه.

[6] ابن اللحام، علاء الدين، القواعد والفوائد الأصولية، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، ص 64.

[7] الزجاج هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السراي بن سهل الزجاج البغدادي (241 هـ– 311هـ) نحوي من العصر العباسي من أهل العلم والأدب والدين كما وصفه ابن خلكان– صنف العديد من الكتب أشهرها (معاني القرآن) في التفسير. وفيات الأعيان لابن خلكان المجلد الأول ص 49.

[8] –لسان العرب لابن منظور مرجع سابق المجلد الثالث ص 361

[9] مقاييس اللغة لابن فارس مرجع سابق المجلد الخامس ص 108–109

كتاب مختار الصحاح (قواعد البيت أساسه) [1]فالمعنى اللغوي للقاعدة يتفق مع المعنى الاصطلاحي لها إذ القواعد هي الأساس الذي يبني عليه الحكم سواء كانت قواعد أصولية أم قواعد فقهية.

ثانياً: تعريف القاعدة اصطلاحاً: جاء في كتاب التعريفات للجرجاني (هي قضية كلية منطقية منطبقة على جميع جزئياتها)[2] فهذا التعريف يشمل القاعدة سواء كانت فقهية أم أصولية، أم غيرها.

ثالثاً: تعريف القاعدة الأصولية والقاعدة الفقهية والفرق بينهما:

تعريف القاعدة الأصولية:

القواعد الأصولية: هي قضية كلية تنطبق على جميع جزئياتها مستفادة من الأدلة الشرعية[3]. ويري بعض الأصوليين أن القواعد الأصولية هي أصول الفقه لأن تعريف أصول الفقه هو (القواعد التي يتوصل بها إلى الأحكام الشرعية العملية من الأدلة)[4] في القواعد الأصولية مركب إضافي مكون من كلمتين وهي قاعدة وهي القضية الكلية المنطبقة على جزئياتها –كما ذكرنا آنفاً– وأصولية بصفتها متعلقة بعلم الأصول. مثل قاعدة الأمر يقتضي الوجوب والنهي يقتضي التحريم وهي لا يستنبط منها الحكم مباشرة ولكن عن طريقها يستخرج الحكم من الدليل كقولنا الصلاة واجبة وذلك لقوله تعالى (وأقيموا الصلاة)[البقرة: 43] وكلمة(أقيموا) أمر والأمر يقتضي الوجوب. وهي قضية كلية تنطبق على جميع جزئياتها. وإذا اعتبرنا القواعد الأصولية هي علم الأصول – كما ذهب لهذا كثير من الأصوليين–(أن علم الأصول هو المنهاج الذي يلتزم به الفقيه والقانون الذي يلتزمه ليعتصم به من الخطأ).[5]

تعريف القاعدة الفقهية اصطلاحاً:

عرف العلماء القاعدة إصطلاحاً واختار البحث تعريف الجرجاني في المطلب السابق وبين أن هذا التعريف ينطبق على القاعدة سواء كانت فقهية أم غيرها[6]. القواعد الفقهية تختص بعلم الفقه الذي هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من الأدلة التفصيلية.

---

[1]مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مكتبة لبنان طبعة 1989م ص 479

[2] التعريفات للجرجاني مرجع سابق ص 134

[3]التعريفات للجرجاني (مرجع سابق)ص 134

[4]ذكر أبو زهرة أن ابن الهمام عرفه بهذا التعريف في التحرير. أبو زهرة، محمد، 1958، أصول الفقه، دار الفكر العربي –ص (7). وقد عرفه علماء الأصول بتعريفات كثيرة متقاربة. أنظر الغزال، محمد، مكتبة نور، ج1ص12، ا الآمدي، سيف الدين، 2003م، الإحكام في أصول الأحكام، ط 1، م1ص21، دار الصميعي للنشر.

[5]أصول الفقه –محمد أبو زهرة المرجع السابق ص10

[6]التعريفات للجرجاني (مرجع سابق) ص 134

الفرق بين القاعدة الفقهية والأصولية:

ذكر العلماء[1] فروقاً كثيرة بين القواعد الأصولية والقواعد الفقهية باعتبارات مختلفة: من حيث الموضوع والمصدر والغرض من كل منها ومن حيث النشأة، ومن حيث الفائدة، ومن الكلية والأغلبية وغيرها من الفروق. بالنسبة للموضوع نجد موضوع القاعدة الأصولية هو الأدلة الإجمالية لأن القاعدة الأصولية هي علم أصول الفقه. والقاعدة الفقهية موضوعها فعل المكلف الذي هو موضوع الفقه.

أما المصدر فالقاعدة الأصولية مستمدة من الأصول الشرعية وبعضها مستمد من اللغة العربية مثل القواعد الأصولية اللغوية. والقواعد الفقهية مستمدة من النصوص والأدلة الشرعية مباشرة ويتوصل بها للأحكام مباشرة، بخلاف القواعد الأصولية التي يتوصل بها للحكم بواسطة.

أما الغرض والفائدة، فالقواعد الأصولية يحتاجها المجتهد لاستنباط الأحكام الشرعية أما القواعد الفقهية فيحتاجها المجتهد وغيره,أما الكلية والأغلبية , القواعد الأصولية كلية لا تتخلف والقواعد الفقهية أغلبية قد تتخلف أحياناً ,وبالرغم من وجود فروق عدة بين القواعد الأصولية والفقهية نجد قواعد مشتركة بين القواعد الفقهية والأصولية مثل قاعدة (الأصل في الأشياء الإباحة) فهي قاعدة فقهية باعتبار أخذ الحكم منها مباشرة، وقاعدة أصولية لأنه من المبادئ التي بنيت على دليل الاستصحاب.

المبحث الرابع: القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام

أولاً: القواعد الأصولية المؤثرة في رخص السفر والمرض

اتفق العلماء على إباحة الفطر للمريض إذا خاف تأخر الشفاء أو حدوث مشقة شديدة بسبب الصوم وقالوا بندب الفطر له في هذه الحالة ووجوب الفطر في حقه إذا غلب على ظنه الهلال بسبب الصوم[2]. فالفطر مشروع في حق المريض مع اختلاف الحكم من ندب أو إباحة، أو وجوب، في حالة المرض الذي يؤدي الصوم به إلى هلاك المريض. لقوله تعالي (ولا تلقوا بأيديكم للتهلكة)[3] ويندرج هذا تحت قاعدة (لا تكليف بما لا يطاق) لقوله تعالي (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) [البقرة: 286]. وإن لم يصل الأمر لدرجة هلاك المريض بالصوم لأن المشقة تجلب التيسير. وأهم دليل في هذا الصدد قوله تعالى (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) [4] أما السفر فكل ما ينطبق على المرض من أدلة وقواعد ينطبق على السفر لأن المرض جاء مقروناً بالسفر في أغلب الأدلة مثل الآية السابقة وذلك قاعدة (لا تكليف إلا بمستطاع) للنصوص القرآنية الكثيرة الدالة على

[1] عبد الملك بن عبد الله السبيل، الملتقى الفقهي.

[2] انظر الفقه على المذاهب الأربعة (مرجع سابق)ص 519-520

[3] من الآية 195 سورة البقرة

[4] نفس الآية السابقة نفس السورة

ذلك. ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه). [1]

ثانياً: القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الجهل والنسيان والإكراه:

يجمع رخص النسيان والإكراه صلى الله عليه وسلم (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[2] والقاعدة الأصولية المؤثرة في رخصة النسيان (لا تكليف للناسي حال نسيانه)[3] وقال بعض العلماء أن الناسي مكلف [4]أما الإكراه، للحديث السابق، والقاعدة (المكره المحمول كالآلة غير مكلف)[5] ويرى بعض العلماء[6] أن مؤاخذة المكره والناسي تندرج تحت المباح فيما سموه مرتبة العفو أي أن الله تعالى لا يعذب عليها لأنه عفا عنها فلا إكراه نوعان ملجئ وغير ملجئ، فالأول لا يبقى للمكلف معه قدرة ولا اختيار، والثاني يبقى للمكلف قدرة واختيار ولكنه يفقد ركن الرضا لذا صارت له رخصة)[7] أما الجهل: أما الجهل فلأنه من شروط صحة التكليف بالفعل أن يكون المكلف عالماً بما كلف به، إما علماً فعلياً أو إمكانية العلم، لذا لو أخذنا بالمفهوم المخالف لقاعدة (لا يدفع بالجهل بالأحكام في دار الإسلام) نجد أنه يصح الدفع بالجهل بالأحكام في غير دار الإسلام فيصبح الجهل بالأحكام رخصة في هذه الحالة ,والله أعلم.

ثالثا: النقص:

ويشمل كل الرخص التي لم تفرد بالذكر التي لم تفرد بالذكر كالجنون ومستند هذه الرخصة قول النبي صلى الله عليه وسلم في شأن المجنون (رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل)[8] والقاعدة(شرط التكليف العقل وفهم الخطاب)[9] .أما الكبير لقوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) [البقرة: 184] أما الحامل والمرضع إذا شق عليهما الصوم أو خافتا علي أنفسهما أو ولديهما فيدخلان في عموم قاعدة (لا تكليف إلا بمقدور)

---

[1] رواه البخاري حديث رقم 155 من حديث أبي هريرة (إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل– المكتبة الشاملة)

[2] سبق تخريجه

[3] اختاره الجويني وأبي محمد المقدسي. ابن رجب، علاء الدين، 1998م، القواعد والفوائد الأصولية، ط1 ص 52

[4] نفس المرجع ونفس الصفحة.

[5] القواعد والفوائد الأصولية (المرجع السابق) ص64

[6] ابن قدامة، موفق الدين، مؤسسة الريان، بيروت، روضة الناظر وجنة المناظر ص 150–151

[7] نفس المرجع ص 158

[8] سبق تخريجه

[9] روضة الناظر لابن قدامة (مرجع سابق) ص 33

ودليلها قوله تعالى(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)[البقرة: 286] أما الحائض والنفساء يجب عليهما الفطر ويحرم عليهما الصوم

للأدلة الكثيرة الدالة على ذلك مثل الحديث الذي رواه أبو سعيد – رضي الله عنه (... أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم فذلك نقصان دينها)[1] رواه البخاري, ويلحق بالحائض النفساء قياساً عليها.

النتائج:

خلص البحث للنتائج التالية:

1- الصوم والصيام مترادفان في المعنى اللغوي ولكن في الاصطلاح لفظ الصيام أعم من لفظ الصوم لأنه يطلق على العبادة المعروفة وعلي الإمساك عن الكلام، في حين أن الإمساك عن الكلام يطلق عليه لفظ صوم ولا يطلق عليه لفظ صيام.لأن كلمة(صيام) فيها زيادة في المبني علي كلمة (صوم) اقتضت زيادة في المعنى.

2- اتفق العلماء على رخص الصيام ولكنهم اختلفوا في أحكام بعض الرخص من وجوب وندب وإباحة. وهذا الخلاف مبني على اختلاف الأحوال والظروف المحيطة بالمكلف.

3- القواعد الأصولية المؤثرة في رخص الصيام تندرج تحت القواعد الخاصة بالكتاب والسنة.

4- رخص الصيام كغيرها من الرخص مبنية على شرط التكليف وهو القدرة على الفعل والعلم به.

5- أساس الرخص رفع الحرج والمشقة لقوله تعالى (لا يكلف الله إلا وسعها)[البقرة: 286].

التوصيات:

توصي الباحثة العلماء والباحثين بالمزيد من البحوث في القواعد الأصولية لأهميتها وعدم تفرقة – غير المختصين – بينها وبين القواعد الفقهية.

[1] صحيح البخاري ص 1951 حديث صحيح

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- الآمدي، سيف الدين، (2003م): الإحكام في أصول الأحكام، ط1، دار الصميعي للطباعة والنشر.

3-ابن الحاجب، جمال الدين، (1997م): منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، ط2.

4-ابن خلكان، شمس الدين، (1978م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مكتبة نور.

5 -ابن دقيق العيد، تقي الدين، (1995م)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، دار الجيل بيروت.

6-ابن رشد، محمد، (1415هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط1، مكتبة ابن تيمية القاهرة.

7-ابن فارس، أحمد، (1990م) مقاييس اللغة، ط 1، دار الجيل بيروت.

8-ابن قدامة، عبد الله، المغني على مختصر الخرقي، مكتبة الرياض الحديثة –الرياض.

9-ابن قدامة، عبد الله، روضة الناظر وجنة المناظر، مؤسسة الريان بيروت.

10-ابن كمال، أحمد، فروق الأصول، دار بن حزم.

11 – ابن اللحام، علاء الدين، القواعد والفوائد الأصولية، المكتبة العصرية صيدا.

12 -ابن منظور، جمال الدين، (1990م) لسان العرب، ط1.

13.ابن النجار، محمد، (2000م) منتهى الإرادات، مؤسسة الرسالة ناشرون.

14- أبو زهرة، محمد، (1958م) أصول الفقه.، دار الفكر.

15-البخاري، محمد، (1993م) صحيح البخاري، دار ابن كثير

16-البدخشي، محمد، (1993م) منهاج الوصول، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

17- البهوتي، منصور، (2003م) الروض المربع بشرح المستقنع، ط1، المكتبة العصرية بيروت.

18-الجرجاني، علي، (2011م) معجم التعريفات، دار الفضيلة.

19-الجزيري، عبد الرحمن، (1990م) الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

20- الجوهري، إسماعيل، (تاج اللغة وصحاح العربية) ط4، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.

21-الرازي، محمد، (1989م)مختار الصحاح، مكتبة لبنان.

22- السجستاني, سليمان، (1997م)سنن ابي داوود، ط1، بيروت لبنان، دار بن حزم.

23-السرخسي، محمد، (1993م) المبسوط، دار المعرفة لبنان.

24- الشاطبي، إبراهيم، (2022م)ط1، دار الغد الجديد.

25-الشيرازي، إبراهيم، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار المعرفة.للطباعة والنشر –بيروت – لبنان.

26-العسقلاني، أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للنشر.

27-الغزالي، محمد، المستصفى، مكتبة نور.

28 –القرافي، أحمد، (1973م) شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول، ط1، دار الفكر.

29-النسائي، أحمد، سنن النسائي ج 4.

30- النيسابوري، مسلم، (2010م)، صحيح مسلم، بيروت – لبنلن، دار الكتب العلمية .

31- خلاف، عبد الوهاب، (1956م) أصول الفقه، دار الحديث، القاهرة.

الإجارة المنتهية بالتمليك: دراسة تحليلية

Rent-to-own: an analytical study

الباحث إبراهيم فضل الشيخ: باحث في مرحلة الدكتورة، تونس

Ibrahim Fadl Al-Sheikh: PhD researcher.

الملخص:

إن الهدف من البحث يتمثل بمعرفة التكييف الشرعي لعقد الإجارة المنتهية بالتمليك وإمكانية الاستفادة منه في بعض المؤسسات المصرفية في فلسطين، ولقد سبب اختيار "الإجارة المنتهية بالتمليك" موضوعًا للدراسة نتيجة لأهميته كأداة للتمويل ضمن المؤسسات المصرفية الإسلامية، إلى جانب أنّه عقد مستحدث يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة، ولتحقيق أهداف الدراسة فقد اعتمد الباحث على المنهاج العلمي الوصفي التحليلي. وخلصت الدراسة إلى نتائج أبرزها يتمثل في كون الإجارة المنتهية بالتمليك تُطبَّق في فلسطين من خلال (البنك الإسلامي الفلسطيني) ضمن المعايير الشرعية المتعارف عليها بين العلماء، كما أنَّ أقرب العقود للإجارة المنتهية بالتمليك هو عقد الإجارة والبيع بالتقسيط.

الكلمات المفتاحية: الإجارة، الإجارة المنتهية بالتمليك، المعاملات المالية في الإسلام.

Abstract:

This study aimed at identifying the legal classification under Islamic law of the rent-to-own contract and the possibility of benefiting from it in some banking corporations in Palestine. This topic was chosen to be studied by the researcher due to its importance as a financial tool in the Islamic banks. Besides, it is one of the new contracts that need additional research and study. The researcher depended on the descriptive analytical approach to achieve the objectives of the study. The study found a set of results, and the most significant of which was that the rent-to-own is applied in Palestine through (Palestine Islamic bank) within the Shari'a standards known among scholars. Moreover, the closest contract to rent-to-own contract is lease and installment sales contract.

Keywords: Financial transactions in Islam, lease, rent-to-own

مقدمة:

تميزت الشريعة الإسلامية بشمولها، لمجمل نشاطات الإنسان، وفي كافة جوانب حياته، في مجال العبادات التي تعمل على تزكية النفس وتطهيرها من الرذائل، وفي المجال الاجتماعي فنظم علاقة الأفراد فيما بينهم، وفي مجال المعاملات المادية لتستقيم الحياة وليتحرى المسلم الحلال ويبتعد عن الحرام، فَمِن المعاملات والعقود ما بين العلماء قديماً حكمها وما تركوا فيها من شاردة أو واردة إلا وبينوا الحكم الشرعي فيها، ومن العقود ما كانت مستحدثة ومعاصرة أنكب العلماء عليها بالبحث واستنباط حكمها وتكييفها الشرعي ومن هذه العقود عقد الإيجار المنتهي بالتمليك.

الإيجار المنتهي بالتمليك أحد أبرز المعاملات المالية الإسلامية وقد أقرَّه الإسلام لتخطي العديد من المشكلات الاجتماعية ذات العلاقة، وهو يشبه نظام البيع بالتقسيط إلى حدٍ كبيرٍ، لكنه يختلف عنه في كون أنَّه يشتمل على عقدين مستقلين في نفس الوقت؛ عقد إجارة في بداية الأمر، وأحكامه تأخذ نفس أحكام الإجارة خلال فترة العقد، وعقد تمليك العين عند انتهاء تلك الفترة على سبيل الهبة أو البيع بسعر رمزي.

المشكلة البحثية:

تتعلق بالتكييف الشرعي لعقد الإيجار المنتهي بالتمليك، ويمكن صياغة مشكلة البحث في سؤال رئيس: ما هو التكييف والحكم الشرعي لعقد الإيجار المنتهي بالتمليك؟

ترتبط بالسؤال السابق مجموعة من الأسئلة الفرعية على النحو التالي:

1- ما هو عقد الإجارة المنتهية بالتمليك؟

2- ما هي صور الإجارة المنتهية بالتمليك؟

3- ما هو الحكم الشرعي للإجارة المنتهية بالتمليك والتكييف الشرعي لها؟

منهج البحث:

1- وُظِّفَ المنهاج العلمي الوصفي التحليلي، حيث درس عقد الإيجار المنتهي بالتمليك، موقف العلماء وأدلتهم، صور هذا العقد، وضوابط الإجارة المنتهية بالتمليك.
2- وكذلك قام بتوثيق الآيات القرآنية، وقام بتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها، وعرَّف مصطلحات الدراسة بحسب مراجع اللغة، ورجع إلى الكتب المعتمدة في المباحث، ورجع إلى عدد من الكتب المعاصرة التي درست المسألة من منظور شرعي ومنظور اقتصادي.

أسباب اختيار الموضوع:

من تلك الأسباب ما يلي:

1- ما لمسألة الإيجار المنتهي بالتمليك من أهمية.

2- ما للإيجار المنتهي بالتمليك من أهمية كأداة للتمويل ضمن المصارف الإسلامية.

3- أن عقد الإيجار المنتهي بالتمليك عقد مستحدث يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة.

أهمية موضوع البحث:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أن عقد الإيجار المنتهي بالتمليك أحد أحدث الصيغ التمويلية الإسلامية التي تُستَخدَم ضمن المؤسسات المصرفية الإسلامية كوننا والتي شهدت انتشار واضح في الوقت الحاضر، ويكثر التساؤل حول شرعيتها وحكم العلماء فيها وتكييفها الشرعي.

الدراسات السابقة:

بحسب اطِّلاع الباحث، توجد أبحاث ودراسات كثيرة درست موضوع الإجارة المنتهية بالتمليك، منها ما تناول الموضوع بشكل مستقل، ومنها ما تناوله في إطار بحث المعاملات المالية في المؤسسات المصرفية الإسلامية، ومن تلك الدراسات:

1- عقد الإجارة المنتهية بالتمليك من التطبيقات المعاصرة لعقد الإجارة في الفقه الإسلامي، للباحث: محمد يوسف عارف الحاج محمد، إشراف: جمال الكيلاني، وهي رسالة ماجستير، مقدمة لجامعة النجاح، 2003م.

2- عقد الإجارة المنهية بالتمليك دراسة مقارنة مع الشريعة الإسلامية، للباحث: محمد عبدالله بريكان، بحث نقدم لنيل شهادة الماجستير، لجامعة الشرق الأوسط، 2010م.

3- الإجارة المنتهية بالتمليك وصكوك الأعيان المؤجرة، للباحث منذر قحف، بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي، الرياض، 2000م.

4- المُعَامَلَاتُ المَالِيَّةُ أَصَالَة وَمُعَاصَرَة، للدكتور: دُبْيَانِ الدُّبْيَانِ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض – السعودية، ط 2، 1432هـ.

5- العقود المالية المركبة (دراسة فقهية تأصيلية وتطبيقية)، عبد الله بن محمد العمراني، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط 1، 1427هـ-2006م.

الخطة البحثية:

- المبحث الأول: مفهوم عقد الإجارة.
- المبحث الثاني: تعريف الإجارة المنتهية بالتمليك، والتكييف الشرعي لها.
- المبحث الثالث: الإجارة المنتهية بالتمليك في فلسطين وأثارها.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي في عقد الإجارة

المطلب الأول: تعريف الإجارة

الإجارة لغة: أجر: الأَجْرُ: الْجَزَاءُ عَلَى الْعَمَلِ. والإِجارَة: مِنْ أَجَر ما أعطي من أجر على عمل، والأَجِيرُ: هُو: المستأْجَرُ، وجمعُه: أُجَراءُ[1].

أما تعريف الإجارة اصطلاحاً:

هناك عدة تعريفات للإجارة ومن هذه التعريفات ما يلي:

1- المذهب الحنفي: تمليك منفعة بعوض[2].

2- المذهب المالكي: عقد معاوضة على منافع الأعيان، وهي بيع منافع معلومة، بعوض معلوم[3].

3- المذهب الشافعي: عقد على منفعة مقصودة معلومة قابلة للبدل والإباحة بعوض معلوم[4].

4- المذهب الحنبلي: بذل عوض معلوم في منفعة معلومة من عين معينة، أو موصوفة في الذمة، أو في عمل معلوم[5].

---

[1] الأزهري (2001م)، تهذيب اللغة، ج11، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص123؛ ابن منظور، لسان العرب، ج4، ط3، بيروت: دار صادر، ص10؛ الزَّبيدي، (بدون تاريخ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج10، دار الهداية، ص28.

[2] السرخسي، (1993م)، المبسوط، ج23، بيروت: دار المعرفة، ص79.

[3] القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس» 1|1088، بدون طبعة، بدون تاريخ. القاضي عياض، التَّنْبيهَاتُ المُسْتَنْبَطَةُ على الكُتُبِ المُدَوَّنَةِ والمُخْتَلَطَةِ 3|1472، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط1، 1432هـ - 2011م.

[4] الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (المتوفى: 977هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج 3|438، ط1، دار الكتب العلمية، 1994م.

[5] المَرْداوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير) 6|3، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 1415هـ - 1995م.

نلاحظ من هذه التعريفات أنّها كلها متشابهة إلى حد ما، ولكن تعريف الشافعية هو تعريف جامع مانع، فالقول بالمنفعة العين تشمل أن تكون بيعاً أو هبة، ومقصودة: يخرج المنافع التافهة، ومعلومة: حتى لا يدخل فيها الغرر والجهالة، والإباحة: لإخراج المنافع المحرمة، وبعوض يخرج من ذلك الوصية والهبة.

المطلب الثاني: مشروعية عقد الإجارة.

هو عقد مشروع عند جماهير العلماء وأدلتهم من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع والمعقول:

أولاً: القرآن الكريم:

1- **﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾**[الطلاق: 6]، فدّلت الآية الكريمة على جواز الإجارة في الرضاع، فإذا جاز عل ما يكون فيه جهالة مغتفرة من حيث مقدار اللبن وما يشربه الرضيع، جازت على مثله[1].

2- قوله تعالى حكاية عن ابنة شعيب عليه السلام: **﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾**[القصص: 26]، فقال لموسى عليه السلام: **﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾**[القصص: 27]، وهذه الآية هي دليل على جواز الإجارة عند يقول بأنّ شرع الذين من قبلنا يُعدُّ شرعًا لنا[2].

3- **﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾**[الزخرف: 32]، أي: ليستعمل بعضهم بعضاً[3]، فهذه الآية الكريمة تدل على جواز العمل بأجر[4].

4- **﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ﴾** البقرة: (233)، وجه الدلالة في الآية هو: نفي الله عز وجل الجناح عمن يسترضعون أولادهم، وإن الاسترضاع المراد هنا استرضاع بالأجرة، دليله قوله تعالى: **﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾** البقرة: (233)، أي: الأجر الذي قبلتم[5].

ثانياً: السنة النبوية:

تظهر مشروعية عقد الإجارة من السنة الشريفة من خلال عدة مواضع لعل أبرزها ما قاله رسول الله محمد ﷺ: " ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْت خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ

[1] الشافعي، الأم 4|26، دار المعرفة – بيروت، بدون طبعة، 1990م.
[2] القرافي، الذخيرة 5|371، المحقق: محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الأولى، 1994 م.
[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن 19|80، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
[4] السرخسي، المبسوط، 15|74.
[5] الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع 4|173، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1986م.

غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ "[1]، ويمكن استنتاج أنَّ وجه الدلالة في هذا الحديث يتمثل في أنّ الله سبحانه وتعالى توعَّد من يستأجر الأجير ولا يعطيه أجره؛ لأنّه ظلمه حين استخدمه واستحل عرقه بغير أجر[2].

وفي السياق ذاته؛ جاء عَنْ السيدة عَائِشَةَ –رضوان الله عليها– أَنَّهَا قَالَتْ: "اسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ هَادِيًا خِرِّيتًا، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثٍ فَأَتَاهُمَا فَارْتَحَلَا، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ الدِّيلِيُّ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّاحِلِ"[3]، ولعل أقل ما يُستدل بفعل النبي وصاحبه هو: الجواز[4].

ثالثاً: الإجماع:

إن الإجارة جائزة بإجماع العلماء على مدار عصور الإسلام، باستثناء الذي يروى عن عبد الرحمن بن الأصم[5] من قوله بعدم جواز الإجارة كون الإجارة غررًا، أي عقد على منفعة لم توجَد، وإن هذا غلط لا يمنع أن ينعقد الإجماع.[6]

رابعاً: المعقول:

شرعت العقود لحوائج العباد، وحاجتهم إلى الإجارة ماسة؛ لأنّه قد لا يستطيع كل واحد أن يكون له دار مملوكة يسكنها، أو أرض مملوكة يزرعها، أو وسيلة نقل، وقد لا يمكنه تملكها بالشراء لعدم الثمن، ولا بالهبة والإعارة؛ فيحتاج إلى الإجارة فجوزت بخلاف القياس لحاجة الناس كالسلم ونحوه، ولو قيل: بعدم جواز الإجارة لوقع الناس في الحرج والضيق الشديد، بالإضافة إلى تعريض الكثير من الأملاك والأعيان لعدم الاستغلال والكساد.[7]

[1] رواه البخاري، كِتَابُ: البُيُوعِ، بَابُ: إِثْمِ مَنْ بَاعَ حُرًّا، حديث رقم: (2227)، 3|82.

[2] ابن بطال، شرح صحيح البخاري 6|398، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط2، 2003م.

[3] رواه البخاري، حديث رقم: (2263)، 3|88.

[4] الكاساني، بدائع الصنائع 4|173.

[5] عبد الرحمن بن عبد الله، وقيل: عبد الرحمن بن عمرو الأصم الثقفي، سمع أنس بن مالك، روى عنه: سفيان الثوري، كان ثقة، تابعي من البصرة، وكان مؤذن الحجاج. انظر: ابن مَنْجُويَه، رجال صحيح مسلم 1|403، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1407هـ.

[6] ابن قدامة، المغني 5|321، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ.

[7] الكاساني، بدائع الصنائع 4|174.

المطلب الثالث: أركان عقد الإجارة.

يرى الحنفية أنّ لعقد الإجارة ركن واحد وهو الإيجاب والقبول، أي: الصيغة، وأن العاقدان والمعقود عليه والأجرة، تعتبر من لوازم العقد ومستلزماته[1].

والصيغة: ما يتم به إظهار إرادة المتعاقدين من لفظ أو ما يقوم مقامه كالاستئجار، وتعقد أيضًا: بأعرتك هذه الدار شهرًا بكذا؛ لأنّ العارية بعوض إجارة، أو وهبتك منافعها شهرًا بكذا، أو صالحتك على أن تسكن هذه الدار لمدة شهر بكذا[2].

ويرى المالكية[3] والشافعية[4] والحنابلة[5]: أنّ لعقد الإجارة بالإضافة إلى الصيغة أربعة أركان:

1- المستأجر.

2- الأجير.

ويشترط فيهما العقل والبلوغ، أي أهلية كل منهما للاعتبار تصرفات المالية[6].

3- العين، أو المنفعة (المعقود عليه) وهي: محل عقد الإجارة، ومن شروطها أن تكون متقومة، فما لا تتقوم منفعته لا يصح استئجاره[7].

4- الأجرة: وهي: العوض الذي يدفعه المستأجر للمؤجر في مقابلة المنفعة التي يأخذها منه، أو الثمن ويجب أن يكون الثمن معروفاً قدراً وصفة[8].

---

[1] الكاساني، بدائع الصنائع 4|174-176. الدُّبْيَانِ، المُعَامَلَاتُ المَالِيَّةُ أَصَالَة وَمُعَاصَرَة 8|375، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض – السعودية، ط2، 1432هـ.

[2] الطيّار، وآخرون، الفِقهُ الميَسَّر 6|179، مَدَارُ الوَطن للنَّشر، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى 1432هـ-2011م.

[3] القرافي، الذخيرة 9|203، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م.

[4] النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين 5|173، بيروت- دمشق- عمان، ط3، 1991م.

[5] البهوتي، كشاف القناع 3|547، دار الكتب العلمية، بدون طبعة، بدون تاريخ.

[6] النووي، روضة الطالبين 5|173.

[7] المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل 7|544، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ-1994م.

[8] المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل 7|494. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير 4|2، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

المبحث الثاني: تعريف الإجارة المنتهية بالتمليك، والتكييف الشرعي لها.

المطلب الأول: تعريف:

الإيجار المنتهي بالتمليك عقد معاصر، ظهر التعامل بها حديثاً، عرّف بعدة تعريفات منها:

1- تمليك المنفعة ثم تمليك العين نفسها في آخر المدة[1].

2- إيجار يقترن به الوعد بتمليك العين المؤجرة إلى المستأجر في نهاية المدة الإجارة أو في أثنائها[2].

3- عقد على إيجار عين معلومة، تدفع أجرتها على أقساط في مدّة معينة، يتبعها تمليك للعين نفسها بمقتضى العقد الأول، أو بعقد جديد مقابل عوض معلوم أو بدون عوض[3].

4- اتفاق طرفين على إجارة عين لمدة محددة بأجرة معلومة قد تزيد على أجرة المثل بشرط انتهائها بتمليك تلك العين لمن استأجرها[4].

الألفاظ التي تطلق على الإيجار المنتهي بالتمليك:

تطلق عليها عدة ألفاظ منها: الإيجار المنتهي بالتمليك، الإيجار الساتر للبيع، الإجارة التمويلية، الإجارة مع الوعد بالتمليك، الإجارة المنتهية بالتخيير، الإجارة المنتهية بالبيع التدريجي[5].

والهدف من إنشاء مثل هذا العقد هو: الحرص على أن تبقى المنفعة المستأجرة في ملك المؤجر حتى أداء الأقساط المستحقة كاملةً، وأن يأمن المالك (المؤجر) مزاحمة غيره من الغرماء في حال أفلس المشتري، فإن كان العقد على هيئة إيجار فإن ذلك يجعل يتيح إمكانية أن يسترد المالك ملكه[6].

---

[1] الغفيلي، نوازل الزكاة «دراسة فقهية تأصيلية لمستجدات الزكاة» ص312+313، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ط1، 2009م.

[2] المعايير الشرعية النص الكامل للمعايير الشرعية التي تم اعتمادها حتى 1439هـ-2017م، هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (الأيوفي) ص270، المعيار رقم: (9)، مكتبة فهد الوطنية، المنامة- البحرين.

[3] الغفيلي، نوازل الزكاة ص312+313.

[4] الطيار، الفقه الميسر 10|79.

[5] العمراني، العقود المالية المركبة(دراسة فقهية تأصيلية وتطبيقية)، ص198-199، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط1، 1427هـ-2006م.

[6] الدُّبْيَانِ، المُعَامَلَاتُ المَالِيَّةُ أَصَالَة وَمُعَاصَرَة 9|521، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض – السعودية، ط2، 1432هـ.

وأيضاً يسهل على المستأجر الحصول على ما يريده بأقساط تنتهي فيما بعد إلى التمليك، دون الحاجة إلى كثير من الشروط التي تمثِّل ضماناتٍ في البيع من خلال الأقساط[1].

المطلب الثاني: صور الإجارة المنتهية بالتمليك.

الصورة الأولى: البيع الإيجاري:

البيع الإيجاري الأكثر شهرة في المؤسسات المالية غير الإسلامية، وهي تمثِّل اتفاق العاقدان على تسمية هذا العقد إيجاراً، بشرط أن تنتقل العين المؤجرة إلى المستأجر إذا أتم المستأجر جميع دفع جميع الأقساط، ويكون الانتقال تلقائي دون الحاجة لعقد جديد[2].

ويلجأ إلى مثل هذه الصورة صاحب السلعة، بدل بيع التقسيط، رغبة منه في الاحتفاظ بملكية السلعة، خلال مدة تسديد الأقساط، فلا تنتقل ملكيتها إلى الطرف الآخر إلا بعد سداد الثمن المقسط كاملًا، ومن مميزاتها بالنسبة لصاحب السلعة: أنّه لو أفلس لم تدخل السلعة في التفليسة، ولو عقدت هذه المعاملة بيعًا بالتقسيط لانتقلت ملكية المبيع إلى المشتري بمجرد إبرام عقد البيع، فإذا أفلس كانت أملاكه، ومنها هذا المبيع، موضع قسمة بين الدائنين أي الغرماء[3].

وهذه الصورة غير معمول بها في المصارف الإسلامية فهي وذلك للخلل الواقع في ماهية العقد فهي تطبق أحكام البيع والإجارة معاً على العين المؤجرة، ثمّ تنتقل ملكيتها للمستأجر بمجرد سداد آخر قسط، أما الإجارة المنتهية بالتمليك المشروعة فإنّها تطبق أحكام الإجارة دول مدة الإجارة، ثم يحصل التمليك[4]؛ وذلك لأنّ هذه الثورة من الصور التي اعتبرها المجمع الفقهي من الصور الممنوعة؛ لأنّها لا تتضمن عقد جديد يتضمن البيع[5].

[1] العمراني، العقود المالية المركبة ص205.

[2] محمد يوسف عارف الحاج محمد، عقد الإجارة المنتهية بالتمليك، من التطبيقات المعاصرة لعقد الإجارة في الفقه الإسلامي، ص74، إشراف: جمال الكيلاني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، 3003م.

[3] مجلة مجمع الفقه الإسلامي 7|198.

[4] المعايير الشرعية ص261.

[5] انظر: قرار المجمع الفقهي قرار رقم: (110).

الصورة الثانية: الإيجار المنتهي بالتمليك المقرون بالوعد:

وتختلف هذه الصورة عن الصورة الأولى؛ أنّها تشتمل على عقدين اثنين، الأول: الإجارة، والثاني: البيع، وليس مثل الصورة الأولى التي تشمل عقد واحد فيه إجارة وبيع معاً، فيصاغ هذا العقد على أنّه عقد إجارة، بحيث يتمكن المستأجر من الانتفاع بالعين في مقابل أجرة محددة للإجارة، على أن يعد المؤجر المستأجر، وعداً ملزماً ببيع العين المؤجرة في نهاية المدة إذا وفى المستأجر الأقساط الإيجارية في المدة المحددة[1].

وهذه الصورة تعتبر من الصور الجائزة، بسبب أنه يوجد عقدان منفصلان مستقلان عن بعضهما زمانًا، فيصبح إبرام البيع بعد الإجارة، أو وجود وعد بالتمليك في نهاية مدة الإجارة، والخيار يوازي الوعد في الحكم[2].

الصورة الثالثة: الإيجار المنتهي بالتمليك من خلال الهبة:

إبرام عقد الإجارة مقترناً بوعد من المؤجر بالهبة العين المستأجرة، بعد إتمام الأقساط الإيجارية، فهي إجارة مع وعد بالهبة، ويتم تنفيذ الوعد بعقد مستقل، بعد الوفاء بجميع الأقساط الإيجارية، أو إجارة مع عقد هبة فوري معلق بسداد جميع الأقساط الإيجارية[3].

الصورة الرابعة: الإيجار المنتهي بالتمليك عن طريق البيع التدريجي.

اتفاق العاقدين على إجراء عقود إجارة متتالية، ومترادفة للحصة التي يملكها المؤجر من العين المؤجرة، ويدفع المستأجر مبلغاً عند كل فترة إيجارية، يكون لقاء منفعة ذلك الجزء، ويدفع مبلغاً آخر لشراء أسهم أو أجزاء من ذات العين المؤجرة، وهذه الصورة تطبقها الجمعية التعاونية الإسلامية في كندا[4].

[1] انظر: المعايير الشرعية ص 268. عطيات، رزان ناصر (2019م): الإجارة المنتهية بالتمليك: مخاطرها، وطرق الوقاية (البنك الإسلامي الأردني نموذجاً) ص12، إشراف: الدكتور: مجدي غيث.

[2] انظر: قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي عام 2000م.

[3] قحف، منذر، الإجارة المنتهية بالتمليك وصكوك الأعيان المؤجرة ص15، بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي، الرياض، 2000م. المعايير الشرعية ص 253.

[4] محمد يوسف الحاج، عقد الإجارة المنتهية بالتمليك من التطبيقات المعاصرة لعقد الإجارة في الفقه الإسلامي ص75.

المطلب الثالث: ضوابط:

أولاً: ضابط المنع: ورود عقدين مختلفين في الوقت ذاته، على العين ذاتها في الزمن ذاته[1]. وبناء على هذا الضابط فإن الصورة الأولى البيع الإيجاري غير جائزة، لأنّها عقد واحد يتضمن الإجارة والبيع.

ثانياً: ضابط الجواز ويجب أن يتضمن المعايير الآتية:

1- أن يوجد عقدان منفصلان مستقلان عن بعضهما زمانًا، ليصبح إبرام البيع بعد الإجارة، أو أن يوجد وعد تمليك في نهاية مدة الإجارة أو أن يوجد خيار للمستأجر بعد الانتهاء من دفع أقساط الأجرة في ترك محل العقد أو شرائه[2].

ووفق ذلك، فيمكن القول بجواز الصورتين الثانية والرابعة لعقد الإيجار المنتهي بالبيع وعقد الإجارة المنتهية بالتمليك من خلال البيع التدريجي، وذلك لأن كلًّا منها يتضمن عقودًا مستقلة.

2- استجماع الإجارة لأركانها وتوافر شروطها وانتفاء ما يمنعها وألا تكون ساترة للبيع[3].

3- أن يكون ضمان السيء المؤجر على مالكه، لا على مستأجره، فيتحمل مؤجر الشيء ما يلحق بذلك الشيء شرط ألَّا يوجد تقصير أو تجاوز من المستأجر[4].

4- إن اشتمال العقد على تأمين الشيء المستأجر، يجعل من الواجب ألَّا يكون التأمين تجاريًّا، بل أن يكون التأمين تأمينًا تعاونيًّا إسلاميًّا، وأن يتحمله المالك المؤجر، لا أن يتحمله المستأجر[5].

5- من الواجب تطبيق أحكام الإجارة على عقد الإجارة المنتهية بالتمليك طوال مدة الإجارة وأحكام البيع عند تملك الشيء[6].

---

[1] البسام، توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام 5|65، مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، ط5، 2003م.

[2] الطيار، الفقه الميسر 10|78.

[3] الدبيان، المُعَامَلَاتُ المَالِيَّةُ 9|547.

[4] المعايير الشرعية ص251. الرشيدي، بريكان، محمد عبدالله ، عقد الإجارة المنهية بالتمليك دراسة مقارنة مع الشريعة الإسلامية ص64، بحث نقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2010م.

[5] الطيار، الفقه الميسر 10|79.

[6] المعايير الشرعية ص254.البسام، توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام 5|65.

6- من الواجب أن تكون نفقات صيانة العين المؤجرة على المؤجر، وليس على المستأجر، وذلك طوال مدة إجارة العين[1].

7- أنّ يكون المبيع وقت العقد الثاني مملوكاً للمصرف، حتى لا يدخل في بيع ما ليس عند الإنسان[2].

المطلب الرابع: الحكم الشرعي في الإجارة المنتهية بالتمليك.

اختلف العلماء في حكم الإجارة المنتهية بالتمليك بين الإباحة والحظر ولكل فريق أدلته التي استند إليها:

أولا: فريق المانعين وأدلتهم:

1- استدلوا بما ذهب إليه الحنفية[3] أنّ اشتمال عقد على عقدين في سلعة واحدة، مثل: البيع والإجارة فيه غرر وجهالة وتفضي إلى المنازعة والخصومة.

2- تضمُّنها بيعتين في بيعة المنهي عنه، وقد وَرَدَ نهي النبي ﷺ عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ[4] بسبب ما في ذلك من غرر وضرر[5].

3- تضمن هذا العقد شرطًا يجعل العقد باطلًا؛ فلو اعتبرناها عقد مشابه للبيع بالتقسيط مع الاحتفاظ بالملكية للبائع إلى أن يسدد جميع الأقساط ففي ذلك مخالفة لما يقتضيه عقد البيع من نقل الملك بمجرد العقد، فالمبيع يصبح ملكًا للمشتري، والثمن يصبح ملكًا للبائع، ولا يحق للبائع الاحتفاظ بملكية المبيع بعد العقد لمجرد أنه وافق على تأجيل الثمن[6].

4- جمع بين عقدين مختلفين (إجارة وبيع) في وقت واحد على عين واحدة وفي زمن واحد[7].

---

[1] المعايير الشرعية ص 247.

[2] مجلة مجمع الفقه الإسلامي 5|2107.

[3] الكاساني، بدائع الصنائع 4|185.

[4] رواه مالك.

[5] التويجري (2009): موسوعة الفقه الإسلامي 3|537، بيت الأفكار الدولية، ط1، 1430هـ - 2009م.

[6] الدبيان، المُعَامَلَاتُ المَالِيَّةُ 9|529.

[7] الطيار، الفقه الميسر 10|79.

5- بالإمكان أن يُستعاض عن صور الإجارة المنتهية بالتمليك ببدائل، مثل: البيع بالأقساط مع تحصيل ما يكفي من ضمانات، وعقد إيجار مع منح المستأجر الخيار بعد سداد مكا عليه من أقساط في أثناء المدة بإحدى الخيارات التالية: مد مدة الإجارة، أو إنهاء عقد الإجارة ورد العين المأجورة إلى صاحبها، أو أن يشتري الشيء الذي استأجره بسعر السوق بعد أن تنتهي مدة الإجارة[1]، وهذا ما أشار إليه مجمع الفقه الإسلامي[2].

ثانياً: فريق المجيزين وأدلتهم:

1- استدلوا بأنّ المالكية[3] والشافعية[4] والحنابلة[5] أجازوا اجتماع عقدين مختلفي الحكم كالإجارة والبيع أو السلم في صفقة واحدة، وأنّ اجتماع عقدين مختلفي الحكم لا يمنع الصحة، وبالتالي جواز الإيجار المنتهي بالتمليك.

2- لم يشرع عقد الإيجار المنتهي بالتمليك على الإطلاق بلا ضوابط؛ إنّما وضع له ضوابط يجب الالتزام بها، ومنها: انفصال واستقلال العقدين زمانًا، ليكون إبرام البيع بعد الإيجار، أو أن يوجد وعد تمليك في نهاية مدة الإيجار، أو وجود خيار للمستأجر بعد إنهاء تسديد الأجرة في شراء محل العقد أو تركه[6].

3- أنّ هذا العقد شُرع من أجل اطمئنان البائع إلى الوصول إلى حقّه قبل إباحة التصرف للمشتري في الشيء المبيع، فإن لم يوف انفسخ العقد[7].

4- هناك من صور الإجارة المنتهية بالتمليك ما هي جائزة وما هي محرمة، وهذا ما جاء في قرار المجمع الفقهي الذي فصل بين صور الإيجار المنتهي بالتمليك المباحة والمحظورة[8].

---

[1] الزُّحَيْلِيّ، وَهْبَة ، فِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ 7|5161، دار الفكر، دمشق، ط4، بدون تاريخ.

[2] انظر: مجمع الفقه الإسلامي دورة مؤتمره الخامس بالكويت 1409 هـ- 1988م.

[3] الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير 4|5، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

[4] الشربيني، مغني المحتاج 2|399.

[5] ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد 2|20، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.

[6] الطيار، الفقه الميسر 10|80.

[7] الدبيان، المُعَامَلَاتُ المَالِيَّةُ 9|528.

[8] انظر: قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته الثانية عشرة بالرياض في السعودية، 1421هـ- 2000م.

5- الإيجار المنتهي بالتمليك لا تخرج عن كونها عقد إجارة ترتبت عليه جميع أحكام الإجارة، واقترن بها وعد بالتمليك في نهاية المدة، وتأكدت مشروعيتها بقرار المجمع الفقهي الذي فصل الصورة الجائزة وغير الجائزة[1].

6- ومن المعاصرين من اعتبر الإجارة المنتهية تطبق بأسلوب الإجارة للأمر بالشراء عند إبداء العميل رغبته بالاستئجار، فيأمره بشرائها ويعده المصرف بتأجيرها له، ثم يتملكها المصرف ويؤجرها للعميل، وبعد سداد الأقساط الإيجارية يبرم عقد جديد وهو البيع[2].

7- منهم من اعتبره تطبيقًا مطورًا للبيع بالتقسيط فرضه العمل التجاري، خاصة وأنّ سداد المشتري للثمن المتفق عليه يتم مقسطًا إلى دفعات، فهو عقد بيع بالتقسيط بشرط عدم نقل الملكية إلا بعد سداد الأقساط[3].

الترجيح:

يرى الباحث إجازة مثل هذا العقد ولكن مع مراعاة الضوابط التي أقرها مجمع الفقه الإسلامي، لضمان عدم الغرر والجهالة، ولأنّ الأصل في العقود الإباحة ما لا تتضمن شيء محظور، أو ضرر لأحد الأطراف، وأن الأصل بالشروط المقترنة بالعقد الجواز، ولا تمنع إلا إذا خالفت نصاً أو ناقضت مقتضى العقد، ولأنّ الإجارة المنتهية بالتمليك تتم على مرحلتين وعقدين منفصلين، ولما في هذا العقد من مصلحة لكل من المؤجر والمستأجر، وقول المانعين بأنّ هذا العقد بيع في بيعتين غير صحيح وذلك لوجود عقدين مستقلين.

المبحث الثالث: الإجارة المنتهية بالتمليك في فلسطين وأثارها:

المطلب الأول: الإيجار المنتهي بالتمليك في فلسطين المصدر (البنك الإسلامي الفلسطيني نموذجاً)

أولاً: تعريف بالبنك الإسلامي الفلسطيني:

أُسِّس كشركة مساهمة عامة محدودة في عام 1995م، وبدأ نشاطه في بداية عام 1997م، ويمارس البنك أعماله الاستثمارية والتجارية والمالية والمصرفية وفق أحكام الشريعة الإسلامية، ويقدم

[1] المعايير الشرعية ص261.

[2] قحف، منذر، الإجارة المنتهية بالتمليك ص14.

[3] الدبيان، المُعَامَلَاتُ المَالِيَّةُ أَصَالَة وَمُعَاصَرَة 9|521.

الخدمات المصرفية الإسلامية ويعمل على تنمية وتطوير وجذب كوادر بشرية ذات كفاءة عالية، معززاً رسالته التي تتمثل بأن يتميَّز البنك الإسلامي الفلسطيني عن غيره من البنوك في الأسواق المستهدفة عبر تقديم الحلول المصرفية النوعية والعصرية بحسب أحكام الشريعة، والسير قدماً لتلبية الاحتياجات المالية لكافة شرائح المجتمع المحلي تحقيقاً لمبدأ المشاركة في المكاسب، حصل على عدة جوائز كان آخرها جائزة أفضل بنك إسلامي في فلسطين للعام 2019م، وجائزة البنك الرقمي الأكثر ابتكاراً في فلسطين للعام 2019م[1].

ثانياً: أهم معالم عقد الإيجار المنتهي بالتمليك في البنك الإسلامي الفلسطيني[2]:

1- عنوان العقد إيجار منتهٍ بالتمليك.

2- يبحث العقد في إيجار حال، مع التزام المؤجر بنقل ملكية العين المأجورة إلى المستأجر، بعد الانتهاء من دفع الأقساط الإيجارية.

3- الثمن يكون على شكل دفعة أولى، وأقساط شهرية تحدد قيمتها حسب الاتفاق، تكون مدتها عشر سنوات، وتكون الدفعة النهائية أكبر من الدفع الشهرية.

4- إذا تراجع المستأجر عن إتمام العقد لأي سبب كان تعتبر المبالغ المدفوعة، بغض النظر عن قيمة المبالغ المدفوعة بدل إيجار أو تعويض عن الضرر الذي قد يلحق بالمؤجر.

5- يلتزم المستأجر بدفع النفقات الإيجارية، كما يلتزم بضمان ما يتلف من المأجور.

6- التأمين يجب أن يكون تأميناً تعاونياً إسلامياً ومن حقّ المستأجر.

وكل هذه البنود متفقة مع معايير الشريعة المبينة سابقاً[3].

المطلب الثاني: حكم الوعد والإلزام به:

عقد الإيجار المنتهي بالتمليك المطبق في المؤسسات المصرفية الإسلامية مبني وفق وعد في بعض صوره، فهل يجب الوفاء بالوعد أم لا ؟

[1] انظر: موقع البنك الإسلامي الفلسطيني، على الرابط: https://islamicbank.ps/ar/about/overview/pib

[2] محمد يوسف الحاج، الإجارة المنتهية بالتمليك ص166.

[3] انظر: الضوابط ص 10+20.

اختلف العلماء على أقوال على نحو التالي:

- **القول الأول:** رأي الأحناف، إذ قالوا بأن الوعد يجب الوفاء به إن كان معلقاً على شرط[1].
- **القول الثاني:** أنه يجب الوفاء بالوعد إذا كان الوعد على سبب، ودخل الموعود في نتيجة للوعد بكلفة، وهذا قول المالكية[2]، فيُلزم به نفياً للضرر.
- **القول الثالث:** أن الوفاء بالوعد مستحب، وهو قول الشافعية[3] والحنابلة[4] ومن يقولون بهذا الرأي يرون أنه ليس ملزمًا قضاءً، رغم أنّه ملزم ديانةً، لأنّه تفضل وإحسان، ولأنّه يأتي ضمن معاني الهبة قبل القبض.
- **القول الرابع:** أنّه من الواجب أن يوفى بالعقود وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، واستدل بجملة من الأدلة منها قول الله عز وجل: **﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾** المائدة: (1)، ولقد أمر الله عز وجل بأن يوفى بالعقود عمومًا، إلى جانب الأمر بأن يوفى بعهد الله عز وجل وبالعهود ويتضمن ذلك ما يعقده المرء على نفسه، بدليل قوله: **﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولا﴾** الأحزاب: (15)، وهذا دليل على أن عهد الله يتضمن ما عقده المرء على نفسه، وإن لم يؤمر بنفس العهود قبل العهد والنذر والبيع، وإنما أمر بالوفاء به[5].

وإن معايير الشريعة تضمنت أن يكون الوعد ملزماً لمن صدر منه الوعد والطرف الآخر يكون مخيراً، تجنباً للمواعدة الممنوعة وهذا ما نص عليه المعايير الشرعية[6].

[1] الحموي، غمز عيون البصائر 3|237، دار الكتب العلمية، ط1، 1985م.

[2] القرافي، الذخيرة 5|366.

[3] النووي، روضة الطالبين 5|390.

[4] ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع 8|138، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1997م.

[5] ابن تيمية، الفتاوى الكبرى 3|83، دار الكتب العلمية، بدون طبعة، بدون تاريخ.

[6] المعايير الشرعية ص254.

وذهب الدكتور علي السرطاوي[1] إلى أنّ الوعد في الأمور الأخلاقية مثل: الزيارة أو التبرعات أو ما شابه ذلك تكون ملزمة ديانةً لا قضاءً، أما في المعاملات من البيع وما شابه ذلك فإنّها ملزمة ديانةً وقضاءً، وخاصة إذا كان الوعد مبني عليه التزام في المستقبل، وليس هناك وعد محرم أو فيه تحايل على الشرع، بل يجب أن يلزم الطرف الغير ملتزم بتعويض إن أحدث ضرر، أما إذا كان الوعد من باب المساومة والمفاوضة فلا يكون ملزماً[2].

الراجح: أنّه يجب إلزام المستأجر في نهاية المدة الإيجارية بالشراء إذا لم يكن هناك مبرر أو داعٍ لعدم الالتزام؛ خصوصاً في حالة أن تكون المنفعة من سلع والتي تفقد الكثير من قيمتها في حال الاستهلاك، وخاصة إذا كانت المدة الإيجارية أو الأقساط الإيجارية لا تساوي رأس مال السلعة مما يوقع المصرف في خسائر، وكذلك يجب على المصرف الالتزام بالبيع إن وفّى المستأجر بكامل الالتزامات المادية، وأيضاً ما الداعي لتفرقة في الإلزام بين الطرفين إذا التزم كل طرف بما وعد.

المطلب الثالث: أقرب العقود إلى الإيجار المنتهي بالتمليك.

من أقرب العقود إلى الإيجار المنتهي بالتمليك عقد الإجارة، والبيع بالتقسيط:

أولاً: عقد الإجارة:

فالإجارة هي: عقد معاوضة على منافع الأعيان، وهي بيع منافع معلومة، بعوض معلوم[3]، والإجارة المنتهية بالتمليك هي تمليك منفعة ثم تمليك العين، أو إجارة مقترنة بوعدٍ بالبيع في نهاية المدة الإيجارية، فهي تشبه الإجارة ولكن باتباعها بوعدٍ أو عقد بالبيع، فالاجارة تنتهي بانتهاء عقد الإيجار، والإيجار المنتهي بالتمليك، تنتهي بالبيع للمستأجر[4].

[1] علي محمد مصلح السرطاوي، أكاديمي فلسطيني وخبير في الاقتصاد الإسلامي، شغل منصب وزير العدل في الحكومة الحادي عشرة، من محافظة سلفيت، كان عضو الرقابة الشرعية ببنك الأقصى الإسلامي، ثم عضو الرقابة الشرعية بالبنك الإسلامي الفلسطيني، وترأس الرقابة الشرعية بشركة التكافل الفلسطينية للتأمين، ورئيس هيئة رقابة شركة إجارة الفلسطينية. انظر: https://vision-pd.org/archives/406236

[2] السرطاوي، علي محمد مصلح، الوعد والمواعدة في صيغ التمويل الإسلامي، جامعة النجاح، فلسطين، 2018م.

[3] المرداوي، الإنصاف 6|3.

[4] المعايير الشرعية ص270، الطيار، الفقه الميسر 10|79.

ثانياً: البيع بالتقسيط:

البيع بالتقسيط هو: جعل ثمن السلعة موزعًا على أقساط محددة[1]، ويُعرف أيضاً: بأنّه: أن يبيع التاجر السلعة مدفوعة الثمن فورًا بسعر، ومؤجلة أو مقسطة الثمن بسعر أعلى[2].

البيع بالتقسيط جائز شرعاً ولا مانع منه، وهو ما أقره المجمع الفقهي[3] إذ قال الله عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾** [البقرة: 282]، وكذلك ما ورد في الحديث من أنّ الرسول ﷺ قدم المَدِينَةَ وَهُمْ يُسْلِفُونَ فِي الثِّمَارِ السَّنَتَيْنِ وَالثَّلاَثَ، فَقَالَ: " أَسْلِفُوا فِي الثِّمَارِ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ"[4].

الجامع المشترك بين البيع بالتقسيط والإجارة المنتهية بالتمليك من حيث المآل النهائي لهما، فكل منها يهدف في نهاية الأمر إلى نقل ملكية العين إلى المشتري، والإجارة المنتهية بالتمليك نقل ملكية العين إلى المستأجر، ولكن في البيع بالتقسيط يتم نقل الملكية فوراً، وفي الإيجار المنتهي بالتمليك تنقل ملكية العين بعد سداد الأقساط، فالبيع من خلال الأقساط يحصل المشتري على العين بثمن مقسط في حال عدم توفر السيولة لديه، والبائع يزيد من أرباحه ويزيد من ثمن العين في نظير ذلك[5] .

الخاتمة:

إن من أبرز ما خلص إليه البحث من نتائج كان كما يلي:

1- الإجارة المنتهية بالتمليك: اتفاق طرفان، ضمن عقد، على تأجير طرف منهما الطرف المقابل عينًا مقابل أجرة محددة يدفعها المستأجر ضمن أقساط في مدة معينة، بعد انتهاء تلك المدة تنتقل ملكية العين للمستأجر بعد انتهاء سداده القسط الأخير بعقد جديد.

2- الإجارة من العقود الجائزة بأدلة من القرآن والسنة والإجماع والمعقول.

---

[1] الطيار، الفقه الميسر 10|11.

[2] الزحيلي، الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ 7|5172.

[3] انظر: قرار المجمع الفقهي رقم (51) المؤتمر السادس، جدة، 1410هـ-1990م.

[4] متفق عليه، رواه البخاري.

[5] محمد يوسف عارف، عقد الإجارة المنتهية بالتمليك المعاصرة ص62-63.

3- تطلق عليها عدة ألفاظ منها: الإيجار المنتهي بالتمليك، والإيجار الساتر للبيع، والإجارة التمويلية، والإجارة مع الوعد بالتمليك، والإجارة المنتهية بالتخيير، والإجارة المنتهية بالبيع التدريجي.

4- هناك صور متعددة للإيجار المنتهي بالتمليك منها: البيع الإيجاري، والإيجار المنتهي بالتمليك المقرونة بالوعد، والإيجار المنتهي بالتمليك عن طريق الهبة، والإيجار المنتهي بالتمليك عن طريق البيع التدريجي.

5- من ضوابط الإيجار المنتهي بالتمليك: استجماع أركان الإجارة، وتطبيق أحكام الإجارة على عقد الإيجار المنتهي بالتمليك طوال مدة الإجارة وأحكام البيع عند تملك العين المستأجرة، وأن تكون العين المبيعة مملوكةً للمؤسسة المصرفية في وقت العقد الثاني، كي لا يدخل في بيع ما ليس عند المرء وغيرها.

6- الإيجار المنتهي بالتمليك عقد مستحدث اختلف العلماء في حكمه بين المجزين والمانعين والكل له أدلته التي استند إليها، والراجح هو الجواز، مع مراعاة الضوابط الشريعة والمعايير ولحاجة النّاس لمثل هذه العقود.

7- يطبق الإيجار المنتهي بالتمليك في فلسطين (البنك الإسلامي الفلسطيني نموذجاً) ضمن المعايير الشرعية.

8- اختلف العلماء في حكم الوفاء بالوعد والذي يمثل أحد مراحل الإجارة المنتهية بالتمليك بين الجواز وعدمه، والراجح أنّه يجب الوفاء بالوعد إذا اتصل بعقود المعاوضات وترتب على ذلك التزام مستقبلي ولم يوجد مبرر لعدم التزام، حفظاً لحقوق ولمنع الإضرار بالمتعاقدين.

9- أقرب العقود للإجارة المنتهية بالتمليك هو عقد الإجارة والبيع بالتقسيط.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- ابن بطال، علي بن خلف، **شرح صحيح البخاري**، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، 2003م.

3- ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، دار الكتب العلمية، بدون طبعة، بدون تاريخ.

4- ابن مفلح، **المبدع في شرح المقنع**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1997م.

5- ابن قدامة، **المغني**، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ.

6- ابن قدامة، **الكافي في فقه الإمام أحمد**، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.

7- ابن مَنْجُويَه، **رجال صحيح مسلم**، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1407هـ.

8- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط3 - 1414هـ.

9- الأزهري، **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

10- البخاري، **صحيح البخاري**، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

11- بريكان، محمد عبدالله (2010): **عقد الإجارة المنهية بالتمليك دراسة مقارنة مع الشريعة الإسلامية**، بحث نقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2010م.

12- البسام، **توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغِ المَرَام**، مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، ط5، 2003م.

13- البهوتي، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، دار الكتب العلمية، بدون طبعة، بدون تاريخ.

14- التويجري، (2009): موسوعة الفقه الإسلامي، ط1، بيت الأفكار الدولية.

15- الحموي، **غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر**، دار الكتب العلمية، ط1، 1985م.

16- الدُّبْيَانِ، (1432هـ): **المُعَامَلَاتُ المَالِيَّةُ أَصَالَة وَمُعَاصَرَة**، ط2، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

17- الدسوقي، محمد بن (ت: 1230هـ)، **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

18- الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، بدون طلعة.

19- الزُّحَيْلِيّ، **فِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ**، ط4، دمشق: دار الفكر.

20- السرخسي، **المبسوط**، دار المعرفة – بيروت، بدون طبعة، 1993م.

21- الشافعي، **الأم**، بيروت: دار المعرفة، 1410هـ- 1990م.

22- الشربيني، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.

23- الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

24- الطيّار، وآخرون (2011): **الفِقهُ الميَسَّر**، ط1، الرياض: مَدَارُ الوَطن للنَّشر.

25- عبد الوهاب، **المعونة على مذهب عالم المدينة**، المحقق: حميش عبد الحقّ، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز – مكة المكرمة، بدون طبعة، بدون تاريخ.

26- عطيات، رزان ناصر، **الإجارة المنتهية بالتمليك: مخاطرها، وطرق الوقاية (البنك الإسلامي الأردني نموذجاً)**، إشراف: الدكتور: مجدي غيث، 2019م.

27- عفانة، حسام الدين بن موسى محمد، **فقه التاجر المسلم**، المكتبة العلمية، الطبعة: الأولى، بيت المقدس 1426هـ - 2005م.

28- العمراني، عبد الله بن محمد، **العقود المالية المركبة(دراسة فقهية تأصيلية وتطبيقية)**، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م.

29- عياض، ابن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، **التَّنْبِيهَاتُ المُسْتَنْبَطَةُ على الكُتُبِ المُدَوَّنَةِ والمُخْتَلَطَةِ**، تحقيق: الدكتور محمد الوثيق، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م.

30- الغفيلي، عبد الله بن منصور (2009): **نوازل الزكاة «دراسة فقهية تأصيلية لمستجدات الزكاة»**، ط1، الرياض: دار الميمان للنشر والتوزيع.

31- قحف، (2000): **الإجارة المنتهية بالتمليك وصكوك الأعيان المؤجرة**، الرياض: بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي،.

32- **قرارات المجمع الفقهي**، صادر عن: منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الثانية عشرة بالرياض في السعودية، 1421هـ- 2000م.

33- القرافي، شهاب الدين أحمد، **الذخيرة**، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1994م.

34- الكاساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، دار الكتب العلمية، ط2، 1986م.

35- مالك بن أنس، **الموطأ**، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، ط1، 2004م.

36- محمد يوسف عارف الحاج محمد، **عقد الإجارة المنتهية بالتمليك، من التطبيقات المعاصرة لعقد الإجارة في الفقه الإسلامي**، إشراف: جمال الكيلاني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، 3003م.

37- مسلم، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.

38- المَرْداوي، **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)**، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 1995م.

39- **مجلة مجمع الفقه الإسلامي**، تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، بدون طبعة، بدون تاريخ..

40- **المعايير الشرعية** النص الكامل للمعايير الشرعية التي اعتُمِدَت حتى 2017م، هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (الأيوفي)، مكتبة فهد الوطنية، المنامة- البحرين.

41- المواق، **التاج والإكليل لمختصر خليل**، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.

42- النووي، **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط3، 1991م.

معالم النقد والتجديد والمراجعة لمنهج التفسير لدى بعض أعلام مدرسة المنار: الشيخ محمد عبده نموذجا

Criticism, renewal, and a revision of the interpretation approach of some pioneers of Al-Manar school: Sheikh Muhammad Abdo as a model

د. عبد العزيز ديدي: أستاذ التعليم العالي مساعد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل مكناس المملكة المغربية.

Dr. Abdelaaziz Didi: Assistant Professor at Moulay Ismail University, College of Arts and Humanities, Meknes, Kingdom of Morocco

E-mail: didiabdelaaziz@gmail.com

الملخص:

تعد جهود أعلام مدرسة المنار من الجهود التجديدية في العصر الحديث؛ وفي مقدمتهم؛ جهود محمد عبده الذي كانت له رؤية خاصة فيما يتعلق بالتعامل مع مناهج التراث الإسلامي، من حيث منهج استثمارها في سبيل إحياء نهضة الأمة، وانتشالها من أوحال التخلف والانحطاط الذي تعيش فيه. وقد كانت للشيخ رؤية نقدية تجديدية لكثير من مناهج التراث الإسلامي، وبخاصة في مجال التفسير، الذي كانت له فيه رؤية نقدية تجديدية فريدة. ويرمي البحث إلى التوقف مع معالم النقد والتجديد والمراجعة، وبواعث كل منها عند الشيخ محمد عبده رحمه في مجال التفسير. واعتمد الباحث على المنهج الوصفي في مقاربة عناصر هذا البحث. وأسفرت الرؤية النقدية التجديدية لعلم التفسير عند الشيخ محمد عبده عن منهج جديد في علم التفسير في العصر الحديث، منهج يطبعه الاشتغال بمقاصد الكتاب العزيز، واستلهام الفقه السنني منه، ومراجعة كثير من مرتكزات التفسير عند القدامى، بما يجعل هذا العلم ينبض بمشكلات هذه الأمة، وقضاياها الراهنة، وهو ما يعتبر تجديدا في منهج التفسير. وأوصى الباحث بمجموعة من التوصيات أبرزها ضرورة البحث في تراث الشيخ محمد عبده ما يزال بحاجة إلى عناية أكبر في سبيل الاستفادة من رؤيته التجديدية في مجالات أخرى غير مجال التفسير.

الكلمات المفتاحية: محمد رشيد رضا، محمد عبده، تجديد، اصلاح، مدرسة المنار.

Abstract:

The efforts of Al-Manar School pioneers, led by the efforts of Sheikh Muhammad Abdo, who had a special vision regarding dealing with the curricula of Islamic heritage, in terms of investing them in order to revive the renaissance of the nation, and to rescue it from the stalemate and decadence in which it lives. The Sheikh had a critical innovative vision for many of the Islamic heritage curricula, especially in the field of interpretation, in which he had a unique innovative critical vision. The research aims to tackle the features of criticism, renewal and the revision, and the motives of each of them according to Sheikh Muhammad Abduh, in the field of interpretation. The descriptive analytical method was the mainstay in approaching the elements of this research. The research reached a several **results like:** The innovative critical vision of the science of interpretation of Sheikh Muhammad Abdo, may God have mercy on him, resulted in a new

approach in the science of interpretation in the modern era, an approach that is characterized by engaging with the purposes of the Quran, drawing inspiration from Sunni jurisprudence from it, and reviewing many of the foundations of interpretation for the ancients, which makes this science come alive with the problems of this nation.

keywords: Criticism, Renewal, Interpretation, Muhammad Abdo, Method.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل الشريعة ملاذًا يَأْرِز إلى هُداها كلُّ جيل، وحِصنًا حصينا تحتمي به الأمة من كل خطر دخيل، فأقام على منهجها أعلام البيان ونصب أوضح الدليل، وقيض لها علماء مجددين يحيون ما اندرس من تعاليمها، ويهدون بنورها إلى سواء السبيل، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الورى، سيدنا محمد المخصوص بالتنزيل، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى القائمين بأمر الشريعة من بعده من غير تبديل، وعلى كل من اقتفى أثرهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فمن خصائص هذه الشريعة الغراء؛ أنها شريعة الزمان والمكان ومن يتقلب بينهما من إنسان؛ شريعة تستمد عناصر ديمومتها ومكامن قيوميتها من طبيعة الوحي الذي صدرت عنه، ولذلك ما فتئت الأمة ترجع إليه افتقارا، وتُثوِّر بمناهج النظر فيه السنن والنواميس اعتبارا، وتجدد به السير دأبا واستمرارا.

غير أنه تأتي على الأمة أوقات عصيبة يحاط بها من كل جانب، ويتطاول عليها كل معتد غالب، فتضعف صلتها بهذا التراث استمدادا، وتخبو جذوة التلقي عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم اعتمادا، فيقيض الله للأمة أعلاما مجددين، ينفضون عن هذا التراث غبار التقليد، وينفخون في الأمة روح التجديد والتقصيد لمناهج تراثها التليد؛ لينهض بعمق رسالتها، ويبني لها بين الأمم مجدا لا تبغي عنه حولا ولا تحيد.

ومن المدارس التي قيضها الله تعالى لهاته المهمة؛ مدرسة المنار التي ابتدأ مسيرتها الشيخ جمال الدين الأفغاني، وقفاه في ذلك تلامذته ومن أبرزهم الشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والتي تركت بصمة كبيرة في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر.

لقد انطلقت هذه المدرسة في عملها التجديدي من التراث مرجعا، لكنها سرعان ما عملت على الدعوة إلى تجديد التعامل معه في مختلف مجالاته وجوانبه، عقيدة، وفقها، وتفسيرا...، فكان أن دعت إلى ضرورة أن تتجدد مناهج التعامل مع تراث الأمة؛ بما يحقق نهضتها، ويقوي شوكتها ومنعتها، ويمكنها من التدافع مع الغير، خاصة إبان نكبة الأمة في العصر الحديث عقب وقوع كثير من البلاد الإسلامية تحت نير الاحتلال الصليبي.

مشكلة البحث:

يتأسس إشكال هذا البحث على استقراء جهود واحد من أعلام هذه المدرسة التجديدية في العصر الحديث، وهو الشيخ محمد عبده، وبيان مدى إسهامه في تجديد ونقد بعض مناهج التراث الإسلامي؛ خاصة في مجال التفسير الذي يمم الشيخ محمد عبده وجهَه شطرَه، وجعله منطلقا لبيان رؤيته الإصلاحية التجديدية، والإسفار عن منهجه التجديدي الذي يترجم خلاصة فكره وزبدة نظره،

كما يترجم جزءا كبيرا من رؤية المدرسة التي ينتمي إليها، والتي كان له كبير الفضل وعظيم الإسهام في بناء منهجها، وتشييد صرح فكرها، إلى جانب كبار روادها، وفي مقدمتهم تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا. وقد استطاعت هذه المدرسة بفضل الجهود التجديدية لأعلامها ؛ وفي مقدمتهم الشيخ محمد عبده –استطاعت– أن تزاحم كبرى اتجاهات التفسير في القديم والحديث، وتمكنت من إرساء منهج انطلقت فيه من نقد المناهج التفسيرية في التراث الإسلامي، لتنطلق من رؤية مفادها ضرورة تثوير معاني الكتاب العزيز ليكون الموئل الأساس والميزان القسطاس الذي ترجع إليه الأمة في حل مشكلاتها، وذلك ما يحتم –بحسب رواد هذه المدرسة– ضرورة تجديد التعامل مع مناهج التفسير لتكون معبرة عن نبض الأمة، فتستخرج منها السنن الشرعية والاجتماعية الكفيلة بإحيائها، من خلال إحياء الدين ومظاهره وشعائره في واقعها وصولا إلى تحقيق تدافعها الحضاري مع غيرها من الأمم. ومن هنا نطرح التساؤلات الآتية:

- ما مسوغات النقد والتجديد والمراجعة لعلم التفسير عند الشيخ محمد عبده؟
- ما أهم المرتكزات العلمية التي استند إليها الشيخ محمد عبده في نقده لمنهج علم التفسير؟
- ما أهم معالم التجديد لعلم التفسير في منهج الشيخ محمد عبده؟

منهج البحث:

كان المنهج الوصفي التحليلي العمدة في مقاربة عناصر هذا البحث، بالنظر إلى ما يتيحه من إمكان جمع المادة العلمية وتحليلها وتوظيفها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الوقوف عند جهود هذه المدرسة التجديدية الإصلاحية عامة، وجهود أحد أبرز روادها، وبيان منهجه في النقد والتجديد لعلم التفسير، ثم القصد إلى بيان وتجلية أهم مرتكزاته سواء في جانب النقد، أو جانب التجديد، وتجليات ذلك كله في فكر ومنهج الشيخ محمد عبده.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في هذا الموضوع، في كونه يسعى إلى إبراز جهود أحد رواد الإصلاح والتجديد في العصر الحديث، وهو الشيخ محمد عبده في مجال التفسير، والذي استطاع أن يخط منهجا جديدا في التفسير قوامه التركيز على البعدين المقاصدي والسنني، وهما ميسمان طبعا منهج التفسير الذي ابتدأه الشيخ، وأكمله تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، وذلك في تفسيرهما المسمى بتفسير "المنار".

المبحث الأول: مقتضيات تجديد علم التفسير عند محمد عبده[1]

يعتبر مجال علم التفسير واحدا من المجالات التي جسد من خلالها الإمام الشيخ محمد عبده رؤيته الإصلاحية المنبثقة من التجديد لمناهج التراث الإسلامي، فطفق برؤيته التجديدية تلك يخط معالم التفسير المعاصر لكتاب الله تعالى، الذي ينبني على الإفادة من جهود السابقين، من غير الجمود عليها، بل إن الإمام لم يستنكف عن نقد ما حقه النقد من أقوال المفسرين؛ بلهَ مخالفة أقوالهم واختياراتهم، حتى أضحى منهجه في التفسير بيِّنَ الرسم، جليَّ الوسم بين مدارس التفسير، ومناهج المفسرين في تاريخ الأمة قديمها وحديثها، وقد استطاع أن يخط معالم منهج جديد في التفسير، قفاه في ترجمة معالمه تلميذُه الشيخ محمد رشيد رضا[2] في تفسير المنار، فضلا عن عدد من كبار مفسري العصر الذين ساروا على هذا المنهج، وإن اختلفوا معه في بعض جزئياته وتفاصيله،

إن مما أوقد جِذوة التجديد في التفسير عند الإمام الشيخ محمد عبده – وقد تأثر في ذلك بشيخه جمال الين الأفغاني[3]–؛ رغبته الكبيرة في أن يكون لأهل عصره نظر مستقل في هذا الكتاب العزيز،

---

[1] – هو محمد عبده حسن خير الله، ولد عام (1266هـ /1849م) بقرية "محلة نصر" محافظة " البحيرة" بمصر، ينحدر من أسرة عرفت بمقاومتها لظلم الحكام، تلقى تعليمه الأولي بقريته، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي بطنطا، ثم التحق بالأزهر، كان ميالا إلى التيار المحافظ في الأزهر، قبل أن يتأثر بالشيخ جمال الدين الأفغاني، وكانت له تجارب سياسية خاضها مع بعض الأحزاب، حيث انضم إلى الحزب الوطني الحر، رحل إلى بيروت لبنان، ثم لحق بأستاذه الأفغاني بباريس، ولما رجع إلى مصر كانت له رؤية إصلاحية مضى فيها، واجتهد في تنزيلها فيما تقلده من الوظائف، وعلى رأسها " مفتي الديار"، ترك الاهتمام بالسياسة منذ رجوعه من باريس، ومشروعه الإصلاحي واحد من بين أهم المشاريع الإصلاحية التجديدية في العصر الحديث، ترجم عناصره فيما كان ينشر له من مقالات في "العروة الوثقى" وغيرها، ونقل جزءا من منهجه في التفسير الشيخ محمد رشيد رضا في "تفسير المنار"، توفي عام (1323هـ/1905م)، تنظر ترجمته مفصلة عند: العقاد عباس محمود (2013م)، "عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده"، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم، ص55 وما بعدها. وينظر كذلك: عمارة محمد، (2006م)، "الإصلاح بالإسلام، معالم المشروع الحضاري للإمام محمد عبده"، مصر: ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص: 05، وينظر: عمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده"، مصر: ط1، دار الشروق: 19/1.

[2] – هو محمد رشيد بن علي رضا، من أعلام الفكر الإصلاحي في العصر الحديث، ولد ببلدة القلمون نواحي طرابلس الشام عام (1282هـ/ 1865م)، من أسرة متدينة، تلقى تعليمه الأولي بقريته، فحفظ القرآن وحصل العلوم التي تؤهله للانخراط في سلك العلماء، ثم التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس الشرق، كما درس بعد ذلك ببيروت، وحصل شهادة العالمية. كان يغلب على تكوينه وفكره المنهج السلفي قبل أن يتأثر بفكر ومنهج جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، مما كان يُنْشر لهما في مجلة " العروة الوثقى"، كانت له أعمال جليلة يأتي في مقدمتها، نشره لفكر شيخه محمد عبده، خاصة ما يتعلق بتفسيره، حيث كان الوحيد من بين طلبته الذي يدون تلك الأقوال، قبل أن يؤلف تفسير المنار، وله مؤلفات عديدة تدل على سعة علمه، وهو من كبار رواد الإصلاح في مدرسة المنار، توفي عام (1365هـ/1965م). تنظر ترجمته ومحطات حياته في: عمارة محمد، "الشيخ رشيد رضا والعلمانية والصهيونية والطائفية، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص5 وما بعدها، وعند الشيخ رضا محمد رشيد نفسه (1324هـ)، "تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده"، ط1، مصر: مطبعة المنار.

3 – هو السيد جمال الدين بن صفتر، عربي الأصل، أفغاني المولد، ينحدر من بيت عظيم له المكانة السنية بين الأفغانيين، ولد عام (1314هـ/1897م)، تلقى العلوم الدينية والعربية وعلم الفلسفة والتصوف بكابل، ثم رحل بعدها إلى بلاد الهند والحجاز لإكمال تعليمه، ثم عاد إلى بلاده فتقلد منصب الوزير الأول ف حكومة بلاده، ليرحل بعدا إلى كثير من البلاد كتركيا ومصر،

ينظرون فيه بمنظار واقعهم، وبأعينهم لا بأعين من سبقهم من أهل التفسير لكثير من قضاياه، وكل ذلك من منطلق أن الأمة متى حيل بينها وبين الإقبال على هذا الكتاب الذي هو معجزة الله الخالدة المتجددة في كل جيل، فقد حيل بينها وبين حياتها الحقيقية التي إنما تكون بهذا القرآن، ولذلك طفق الشيخ محمد عبده يحيي بدعوته هذه روح العودة إلى القرآن إقبالا عليه وتثويرا لمعانيه في إحياء الأمة، وتحييدا لكل الحجب[1] التي تمنعها من ورود حياضه حتى ولو كانت تتعلق بفهوم السابقين، إذا كان من شأنها أن تعطل عقل الأمة عن الإبصار لأدوائها، وتشخيص دوائها، فالمنطلق في رؤية الشيخ محمد عبده من القرآن لإصلاح حياة هذا الإنسان، وتحقيق نهضته في كل عصر؛ " فكان القرآن حينئذ على ما رآه الشيخ محمد عبده الدواء الشافي للمسلمين مما هم فيه، ولكنهم لا يتناولونه، فأين اليد التي تقرب من هذا المريض داوءَه وتُناوِله إيَّاه، لا جَرم أنها لن تكون إلا يد التعليم الصحيح للإسلام والتفسير الحكيم للقرآن (...) وهناك ابتدأ ينتهج النهج الذي رآه الموصل إلى تحقيق حالة إسعاد المسلمين، وهو منهج تقرير العقيدة الدينية، وتفسير القرآن تقريرا وتفسيرا يتجردان عما رُبط به كل منهما من الطرائق الملتزمة والأنظار غير المسَلَّمة"[2]، ولسان الحال يقول: "أفليس في هدى القرآن الذي هدى مَن كان قبلهم ممن هم أجهل منهم وأضل؛ ما هو كفيل بإصلاح ذلك الفساد، فما بال الأولين اهتدوا بهدى الكتاب المبين، فأصلحوا ما بهم من فساد، وقوموا ما بهم من منحرف، وهؤلاء الآخِرون عجزوا عن إصلاح فسادهم، وعلاج دائهم، مع أن الدواء الذي عالج أوائلهم بالأمس موجود بين يديهم اليوم، فكانوا كالذي يتجرع الغُصص من آلامه والدواء في بيته وهو لا يتناوله"[3].

ومن الدوافع الكبرى والمقتضيات المنهجية الكامنة وراء الدعوة التجديدية للتفسير عند الشيخ محمد عبده ؛ ما اعتبره صوارف عن النفاذ إلى روح القرآن ومعانيه الباعثة للأمة من مراقد الجهل

وهناك نشر فكره ومنهجه، فكون تلامذة وروادا حملوا فكره الإصلاحي، وقد كانت له آراء سياسية وآراء في القضايا الاجتماعية والدينية وغيرها من المجالات، وقد أخرج من مصر ورحل إلى باريس، والتقى بكثير من المفكرين، وهو ملهم مدرسة المنار، ومؤسس مجلة "العروة الوثقى"، وأحد كبار الرواد الذين تأثر بهم الشيخ محمد عبده، توفي الشيخ جمال الدين الأفغاني عام(1254هـ/1897). تنظر ترجمته مفصلة: عمارة محمد، (1988م)، "جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام"، ط2، القاهرة: دار الشروق، ص15 وما بعدها ويُنظر: أمين أحمد (1975م)، "زعماء الإصلاح في العصر الحديث" ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص129 وما بعدها، وينظر: النجار عبد المجيد، (1999م) "مشاريع الإشهاد الحضاري". ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص86 وما بعدها.

1 – ما من شك أن نهضة كل أمة تنطلق من تحييد كل العوائق التي تحول بينها وبين أسباب الرقي، ويأتي في مقدمة ذلك إزاحة خلل فكرة النهوض في ذهن أبناء الأمة، فما لم تزح الأمة عن ذهنها هذا الخلل في الفكرة لا تقوم لها قائمة، ولذلك تتركز جهود المصلحين على هذا الجانب، ينظر أثر خلل الفكرة في الشهود: النجار عبد المجيد، (1999م)، "عوامل الشهود الحضاري"، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص: 18 وما بعدها. وينظر: حسنة عمر عبيد،(1991م)، "حتى يتحقق الشهود الحضاري"، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، ص: 10 وما بعدها

2 – ابن عاشور محمد الفاضل، (1970م)، "التفسير ورجاله"، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية ص: 164.

3 – ابن عاشور محمد الفاضل، (1970م)، "التفسير ورجاله"، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية ص: 164.

والتخلف والهوان، ويقصد بذلك بعضا من تلك العلوم الوسَلية المرتبطة بالقرآن الكريم، والتي تضخمت حتى حجبت المقصد الأسمى من إنزال القرآن؛ وهو هداية الإنسان، ولذلك ما فتئ يلهج بضرورة تجاوز كثير من العلوم التي زاحمت المقصد الأصلي من الإقبال على تفسير الكتاب واستلهام أنواع الهدايات منه، ولهذا نادى بضرورة تجديد النظر في كتاب الله من منطلق حاجة العصر، لا من منطلق حاجة من مضى؛ " ويمكن أن يقول بعض أهل هذا العصر: لا حاجة إلى التفسير والنظر في القرآن؛ لأن الأئمة السابقين نظروا في الكتاب والسنة، واستنبطوا الأحكام منهما، فما علينا إلا أن ننظر في كتبهم ونستغني بها، هكذا زعم بعضهم، ولو صح هذا الزعم لكان طلب التفسير عبثا يضيع به الوقت سدى، ولا أدري كيف يخطر هذا على بال مسلم.

خاطب الله بالقرآن من كان في زمن التنزيل، ولم يوجه الخطاب إليهم لخصوصية في أشخاصهم، بل لأنهم من أفراد النوع الإنساني الذي أُنزل القرآن لهدايته، يقول الله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ**﴾ [النساء: 1]، فهل يعقل أنه يرضى منا بألا نفهم قوله هذا، ونكتفي بالنظر في قول ناظر فيه، لم يأتنا من الله وحي بوجوب اتباعه، لا جملة ولا تفصيلا"[1].

ومن المقتضيات العلمية الحضارية التي حدت بالإمام إلى المناداة بالتجديد في التفسير اضطراب مناهج العلوم الدينية في عصره، والتي أفضت إلى ركود العلم في الأمة، فركدت بركودها مناهج التلقي لهذا الكتاب وفهم مقاصده العليا في الخلق، فكان الشيخ محمد عبده ممن انبروا لإصلاحها من خلال الدعوة إلى تجديد النظر في هذا الكتاب، وفي منهج تفسيره وتدارسه، يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عن هذا الباعث الإصلاحي لدى الشيخ محمد عبده: " نجمت في هذه العهود الأخيرة ناجمة اضطراب وتبرم من طرائق التعليم المتَّبعة، وكُتبه الملتزَمة، وارتفعت الأصوات بالشكوى من أضرارها وسوء عواقبها، وكان الأستاذ الإمام محمد عبده أعلى الحكماء صوتا بلزوم إصلاحها، وأبلغهم بيانا لأضرارها وسَوْءاتها ومعايبها، وأسدَّهم رأيا في تغييرها، بما هو أجدى منها وأنفع، وأكثرهم عملا جديا في ذلك"[2].

المبحث الثاني: معالم التجديد في التفسير عند محمد عبده

لا يُماري أحد أن رؤية الشيخ محمد عبده للتفسير فَتَّقت عن منهج جديد في التعامل مع كتاب الله تعالى، بما حملته من الدعوة إلى تجديد النظر فيه بما يحقق الثمرة العملية من وجوده في حياة الأمة، وذلك بأن تحيا به من خلال إحياء منهجه واقعا عمليا في حياتها، فكانت دعوته تلك تحمل

[1] – عمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده"، ط1، القاهرة: دار الشروق، 9/4.

[2] – الإبراهيمي أحمد طالب، (1997م). "آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي"، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 342/1.

لعصره منهجا جديدا في التعامل مع كتاب الله تعالى، جعله الشيخ منطلقا وبُلْغة لإصلاح واقع الأمة؛ وهو منهج يكاد يُجمع الباحثون على أنه حمل من مقومات التجديد في التفسير ما استطاع به الشيخ محمد عبده أن يزاحم كبرى مناهج التفسير في تاريخ الأمة، ويقارع أشهر المدارس التفسيرية، بل ويكون مصدر إلهام لكثير من مفسري العصر الحديث[1]، من حيث لفته الانتباه إلى جوانب ستطبع منهج اشتغال المفسرين في العصر الحديث، وفي مقدمتها العناية بإظهار مقاصد الكتاب العزيز، وما من شك أن منهجه في التفسير قد عُدَّ من بين إصلاحاته العملية الكبرى في تجديد التعامل مع نصوص التراث من خلال "درسه لكتاب الله بأسلوب حكيم لم يَسبِقْه إليه سابق"[2]، وكان منهج تفسيره "فيضا من إلهام الله، أجراه على قلب ذلك الإمام وعلى لسانه، وأنه مما لم تنطوِ عليه حنايا عالم ولا صحائف كتاب (...) إنه المنهاج المعجزة في التفسير المنبئ بظهور إمام المفسرين بلا منازع، وأبلغ من تكلم في التفسير بيانا لهديه، وفهما لأسراره، وتوفيقا بين آيات الله في القرآن وبين آياته في الأكوان... وآية على أن القرآن لا يفسر إلا بلسان العرب ولسان الزمان، فيه وجد علم التفسير وتم، فهو تفسير لمعجزات القرآن وليس مجرد تفسير القرآن"[3]، إنه المنهج المعاصر في التفسير الذي خالف فيه مناهج من سبقه من المفسرين، وجعله منطلقا لترجمة رؤيته الإصلاحية التي بناها على جعل القرآن موئل الأمة الأساس وميزانها القسطاس.

ومن هنا أمكن الوقوف على كثير من معالم التجديد للتفسير عند الإمام محمد عبده من خلال:

- **الإعلاء من سلطان العقل في تفسير آيات الكتاب العزيز، مقابل التقليل من الاعتماد على روايات المأثور**، وهي إحدى معالم التجديد في التفسير عند الشيخ محمد عبده، وسمة بارزة طبعت منهجه فيما نقل عنه فيه، حتى إن المحققين من الباحثين ليرونها من خواص منهجه التي تفرد بها ولم يشاركه فيها أقرب الناس حملا لمنهجه، وهو تلميذه وراعي فكره؛ الشيخ محمد رشيد رضا، ذلك أن الشيخ محمد عبده كان ممن يتصدى للتفسير مُعَوِّلا بشكل كبير على النظر العقلي، ومعليا لسلطانه في تفهم حقائقه، ولعل من نتائج ذلك تقديمه للمعقول على المنقول عند التعارض كما سلف بيانه، وأما تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا فقد أعاد كتابة تفسير المنار بعد وفاة شيخه،

[1] – من هؤلاء الشيخ عبد الحميد ابن باديس في الجزائر، والعلامة الطاهر بن عاشور في تونس، والشيخ المراغي، والأستاذ سيد قطب، والشيخ شلتوت والشيخ أبو زهرة في مصر، والمودودي في باكستان وغيرهم من أعلام التفسير في العصر الحديث. ينظر الإبراهيمي أحمد طالب، (1997م). "آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي": 342/1 (مرجع سابق)، وينظر: عبد الحميد محسن (1996م)، "تجديد الفكر الإسلامي"، ط1، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص109. وينظر غير هؤلاء الأعلام عند: أمين عثمان، "رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده"، (د ط)، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ص227–236.

[2] – الإبراهيمي أحمد طالب، (1997م). "آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي"، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي،343/1.

[3] – المرجع السابق.

لكن بمنهج آخر أحيا به المنهج الأثري في التفسير[1]، مما جعل منهج الإمام محمد عبده يخبو وسط هذا المزج، وهو أمر جر على الشيخ رشيد رضا أقلام النقد من حيث ما كان له من الأثر في ضمور منهج الإمام فيما فسره مما نَقله ودَوَّنه الشيخ رشيد رضا، يقول الدكتور محمد عمارة: "ونحن نقول إن المزج بين تفسير الشيخ رشيد رضا لم يكن له ما يبرره، خصوصا بعد إضافات الشيخ رشيد الكثيرة التي ضَمَّنها هذا التفسير عند طبعه ككتاب مؤلَّف من اثني عشر مجلدا؛ اشتملت على ما فسره الشيخ رشيد بعد وفاة الإمام حتى قول الله سبحانه في سورة يوسف: ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ﴾**[يوسف: 52]**، ذلك أن منهج كل من الرجلين مختلف عن الآخر إلى حد كبير، وذلك بحكم التكوين الفكري والموقف والمنطلق لكل منهما... وهو الفرق بين رشيد رضا السلفي الأثري الذي يقدِّس النصوص ويقدمها على نظر العقل، ومحمد عبده الذي كان يقف بعقله ونظره أمام قضايا القرآن وآياته، غير حافل بما قدمه من سبقه من المفسرين من آراء وتخريجات"[2].

- **التركيز على بيان مقاصد القرآن الكبرى في هداية الخلق:** وهي من السمات المميزة لصرح التجديد في تناول التفسير عند الشيخ محمد عبده، بل يمكن القول إنها السمة المهيمنة عنده على سائر السمات الأخرى؛ فهي المقصودة بالذات وغيرها لها كالأدوات، بل إنها الداعية عنده إلى تجاوز كل ما يحجب الأمة عن الانتفاع بهدي القرآن ونفاذ أثره في الأمة، وفي هذا يقول إن: "التفسير الذي قلنا إنه يجب على الناس – على أنه فرض كفاية – هو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تستعمل لغايتها، وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقق فيه معنى قوله: ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةً**﴾ [الأعراف: 51]، ونحوهما من الأوصاف، فالمقصد

[1] – وهو الأمر الذي صرح به الشيخ رشيد رضا في مقدمة تفسير المنار بقوله: " هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه – تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس، وأستحسن للقارئ أن يقرأ الفصول الاستطرادية الطويلة وحدها في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير لتدبر القرآن والاهتداء به في نفسه، وفي النهوض بإصلاح أمته وتجديد شباب ملته الذي هو المقصود بالذات منه". رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار، أو تفسير القرآن الحكيم مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب: 16/1.

[2] – عمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده"، ط1، القاهرة: دار الشروق: 251-252/1.

الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن"[1]، "لهذا كان الذي نُعنى به من التفسير هو ما سبق ذكره؛ أي من فهم الكتاب من حيث هو دين، وهداية من الله للعالمين، جامعة بين بيان ما يصلح به أمر الناس في هذه الحياة الدنيا، وما يكونون به سعداء في الآخرة"[2].

- **الدعوة إلى تجاوز كثير من وجوه التفسير التي هي من أقوال الرجال واجتهاداتهم، والتي تحجب عن النفاذ إلى مقاصد القرآن في الخلق:** ما من شك أن هذا من لوازم الخصيصة السابقة الذكر في معالم تجديد التعامل مع التفسير عند الإمام محمد عبده، وإنما قصدنا إلى إفرادها بالذكر لما يلحظ من قوة حضورها في منهج الإمام التفسيري، وكثرة تنبيهه عليها، فقد كان يرى أن ما توسع فيه السابقون من المفسرين في بيان وجوه الإعراب والبلاغة والبيان والتخريجات الأصولية والفقهية وتأويلات المتصوفة؛ كل ذلك كان يراه الإمام جهدا شاغلا عن الانتفاع بالقرآن في أسمى مقاصده، حتى عَدَّه من الصوارف عن هدي الكتاب ومقصده من التنزل، وفي ذلك يقول: "كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن؛ هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان، تصدُّ قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن، نعم؛ إن أكثر ما ذكر من وسائل فهم القرآن، فنون العربية لا بد منها، واصطلاحات الأصول وقواعده الخاصة بالقرآن ضرورية أيضا، كقواعد النحو والمعاني، وكذلك معرفة الكون وسنن الله تعالى فيه – كل ذلك يعين على فهم القرآن"[3].

- **التركيز على فقه السنن الكونية والتشريعية والاجتماعية التي حفل القرآن بالتنبيه عليها، والتي من شأنها أن تلهم الأمة سبل النهوض،** وتحقق لها أسباب الشهود، وقد كان هذا الأمر صبغة اصطبغ بها منهج الإمام في التفسير، وأساسا من أسس إكمال التفسير على منهجه مع الشيخ رشيد رضا، وهو أمر كان بَيّنا من خلال ما كان يُنشر للإمام في مجلة العروة الوثقى، بل هو

[1] – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 22/1، (مرجع سابق)، وعمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده": 13/4، (مرجع سابق).

[2] – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 18/1. (مرجع سابق):

[3] – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 08/1، (مرجع سابق)

رأس الأمر في منهجها، يقول الشيخ رشيد رضا: " وأهم ما انفرد به منهج " العروة الوثقى " في ذلك ثلاثة أمور [ذكر على رأسها] بيان سنن الله تعالى في الخلق ونظام الاجتماع البشري، وأسباب ترقي الأمم وتدليها، وقوتها وضعفها"[1]، وما من شك أن تفسير الإمام كان مجسدا لهذا المنهج ذي الطابع المقصدي العملي في حياة الأمة.

- **الدعوة إلى تحرير معان جامعة لآيات الكتاب، وتقليل دائرة الاختلاف الواقع فيها:** سلك الشيخ محمد عبده مسلك الدعوة إلى صرف جهود العناية بالكتاب العزيز في مصب بيان مقاصده، والخلوص إلى تقرير معان جامعة لآياته، بدل كثرة الاختلافات التي إنما أتت من جهة التوسع بالاشتغال بالوسائل على حساب المقاصد، مما منع الأجيال الحاضرة من الانتفاع الأمثل بمعاني الكتاب، يقول: "وليت أهل العناية بالاطلاع على كتب التفسير يطلبون لأنفسهم معنىً تستقر عليه أفهامهم في العلم بمعاني الكتاب، ثم يبثونه في الناس ويحملونهم عليه"[2].

- **ربط التفسير بالواقع: وقد كان غرض الإمام أن يُخرِج للناس منهجا في التفسير يبرهن به على قدرة هذا الكتاب على الإجابة على مشكلات الناس في عصره،** فكان يسعى جاهدا إلى ربط معاني الكتاب بواقع الأمة، تحقيقا لمبدأ نفاذ أحكامه في واقعها، يقول في إحدى رسائله لأحد أعضاء مجلة العروة الوثقى: " داوم على قراءة القرآن، وتفهم أوامره ونواهيه ومواعظه كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي، وحاذر النظر إلى وجوه التفسير إلا لفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد العرب منه (...) ثم اذهب إلى ما يشخصك القرآن إليه، واحمل بنفسك على ما يحمل عليه"[3].

لقد خطت يمين الإمام منهجا جديدا في التفسير استطاع أن يجد له موطئ قدم بين مناهج التفسير ومدارسه القائمة في الأمة، كما استطاع أن يأخذ بتلابيب منهج كتابة التفسير لجيل بأكمله، على اختلاف في درجة وقوة اعتماد منهجه بينهم.

---

[1] – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 11/1، (مرجع سابق)

2 – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 22/1، (مرجع سابق)، وعمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده": 13/4، (مرجع سابق).

3 – عمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده": 1/ 670–671، (مرجع سابق).

المبحث الثالث: أسس النقد والمراجعة ومنهج فقه الاختلاف عند محمد عبده في مجال التفسير

1. أسس النقد والمراجعة عند الإمام الشيخ محمد عبده في مجال التفسير.

لا يكاد يختلف اثنان أن فكر رواد مدرسة المنار قد حمل لواء النقد والدعوة إلى مراجعة جوانب كثيرة في منهج التعامل مع التراث الإسلامي فهما وتنزيلا، ولا تكاد تخطئ عين المطلع على فكر هؤلاء الرواد؛ أن الشيخ محمد عبده كان من أبرز من حمل هذا اللواء، إن لم يكن أكثرهم؛ على اعتبار طبيعة المهام والوظائف التي اضطلع بها في ساحة قطره، وما نسجه من وجوه العلائق المختلفة مع رواد الفكر الإسلامي في مختلف الربوع[1]، فضلا عن حجم القضايا التي تصدى لها بِعُدَّتِه الفكرية، وزاده المنهجي في إطار ما عبر عنه بعض الباحثين بالمشروع الحضاري للشيخ محمد عبده، والذي ترجم لرؤيته التجديدية الإصلاحية في مختلف مجالات الحياة الإسلامية، والذي انبنى في جزء كبير منه على اعتماد منهج النقد والعروج من معراجه لتجديد أثر هذا التراث في واقع الأمة، فكان النقد للمناهج السائدة في التعامل مع التراث أحدَ السمات البارزة في الفكر التجديدي الإصلاحي للشيخ محمد عبده، والذي آل به إلى دعوته إلى مراجعة شاملة لمقومات التعامل مع هذا التراث؛ حتى يكون مدخلا إلى إحداث نهضة حضارية يظهر فيها أثر الوحي جليا في واقع الأمة.

ومن المجالات التي برز فيها هذا المنهج النقدي بشكل لافت علم التفسير، الذي شكل حسب الباحثين مجالا خصبا لبسط الرؤية التجديدية في فكر الإمام، وبسط الرؤية النقدية فيه، والدعوة إلى مراجعة المنهج السائد في التعامل مع قضاياه.

وقد تميز نقد التفسير عند الشيخ محمد عبده ؛ بكونه نقدا في المنهج والمضمون من الداخل والخارج، حَدَا به إلى دعوته إلى اطراح كثير مما علق بالتفسير، مما من شأنه أن يخرجه عن مقاصده الكبرى في الأمة، بل وصل به الأمر في دائرة هذا النقد إلى حد اعتبار بعض مناهج التفسير مُبعِدةً الأمةَ عن المقصد الذي وُجد لأجله هذا العلم في الأمة، داعيا إلى أن يُيَمِّم علماء الأمة في العصر الحديث وجوهَهم صوب تفسيرٍ ينبض بحاجات الأمة، ويعكس همومها وانشغالاتها من منطلق أن القرآن معجزة الله الخالدة المتجددة في كل جيل، فلا مندوحة عن إقبال الأمة عليه بروح الافتقار إلى هديه، ولا مندوحة للتفسير في أن يستجيب لهذا المقصد العظيم، فيتجاوز – حسب رأي الشيخ محمد عبده– كل ما يمكن أن يحُول بين الأمة وبين كتاب ربها، ومن ذلك تلك المناهج التي أوغلت في التوسع في بعض متعلقات التفسير، فانشغلت ببُنَيَّاتِ الطريق عن المقصد الأسمى من التفسير، وقد

[1] – ينظر ما كتبه د. أمين عثمان في " رائد الفكر المصري محمد عبده": 213– 236، (مرجع سابق)، تحت عنوان "أشعة الأستاذ الإمام"، حيث ذكر من تأثر بمدرسته من العلماء والرواد سواء داخل مصر أو في العالم الإسلامي.

جعل الشيخ محمد عبده ذلك مدخلا لنقد الجمود على أقوال المفسرين، كما اتخذه بُلْغة إلى نقد كثير من المضامين التفسيرية التي إنما هي من أقوال الرجال واجتهاداتهم، ومن ثم قامت مسوغات الدعوة عنده إلى مراجعتها بعد نقده لها.

ويمكن تجلية أسس النقد والمراجعة لعلم التفسير عند الشيخ محمد عبده في الآتي:

- **نقده التوسع في الاعتماد على الروايات المأثورة في التفسير:** فقد كان يراه من الحُجب التي تمنع النفاذ إلى معاني الكتاب، وتصرف المشتغل بالتفسير عن الوقوف على حقائقه الهادية ومقاصده الحادية، وفي هذا يقول: "إن أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس، المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات، التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا"[1]، فكانت الدعوة منه قائمة على ضرورة تجاوز جوانب كثيرة في هذا النمط من التفسير، وبناء منهج جديد قائم على النظر العقلي فيه بما هو مبيِّن لمقاصده، وكاشف عن أسراره في الهداية لقاصده.

- **نقده الجمود والتعصب على أقوال الرجال في التفسير:** وهو منهج طبع فكر الشيخ محمد عبده في دعوته التجديدية لمناهج التراث الإسلامي، بحجة أن أولئك نظروا في الكتاب بما تفرضه حاجة عصرهم، فلا معنى لأن يجمد المعاصرون على أقوالهم، بَلْهَ أن يُتعصب لتلك الأقوال التي ينص الشيخ محمد عبده على أنه لم يقم دليل شرعي على وجوب اتباعها واعتمادها؛" فهل يعقل أنه يرضى –سبحانه– منا بألا نفهم قوله هذا، ونكتفي بالنظر في قول ناظر فيه، لم يأتنا من الله وحي بوجوب اتباعه، لا جملة ولا تفصيلا"[2].

- **نقده التوسع في كثير من العلوم الخادمة للتفسير على حساب بيان مقاصد الكتاب وهداياته:** وقد انبنى هذا الجانب من النقد عنده على أن تلك العلوم قد صارت تصرف عن تَلَمُّس الهدى من الكتاب، الذي إنما أنزل لتحقيق الهداية للتي هي أقوم، فكيف تنصرف الأمة عن هذا المقصد الأصل، وتبذل الجهود في خدمة قصود أخرى يفضي الانكباب عليها إلى تفويت مقصد الهداية الأسمى وهو الأصل، فكان يقول إن: "من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم

1 – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 10/1. (مرجع سابق).

2 – عمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده": 9/4، (مرجع سابق).

الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن".[1]

- **نقده ضمور البعد المقاصدي في التفسير:** وهو لازم لما سبق من نقد التوسع في العلوم المرتبطة بالتفسير، الصارفة – حسب رأي الشيخ محمد عبده– عن الالتفات إلى مقاصد الكتاب التي كان يرى ضرورة تجديد النظر في التفسير على أساسها، فقال في سياق نقده لهذا المنهج السائد: "وقد عرفتَ أن الإكثار في مقصد خاص من هذه المقاصد يَخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهي، ويذهب بهم في مذاهبَ تنسيهم معناه الحقيقي"[2].

- **نقده للاختلافات الكثيرة في معاني آيات التفسير:** وقد عَدّ ذلك من جملة ما يمنع من انتفاع الناس بهدي الكتاب؛ "وليت أهل العناية بالاطلاع على كتب التفسير يطلبون لأنفسهم معنى تستقر عليه أفهامهم في العلم بمعاني الكتاب، ثم يبثونه في الناس ويحملونهم عليه"[3].

- **دعوته إلى مراجعة منهج التفسير ومراجعة مضامينه بما يستجيب لحاجات الأمة وينبض بهمومها:** وتلك هي الغاية من وراء دعوته التجديدية في هذا المجال، وقد جسدها واقعا عمليا فيما كان يلقيه من الدروس التفسيرية بالرواق العباسي بالأزهر، فقد ترجمت تلك الدروس لرؤيته التجديدية في المنهج، وكذا في مضامين التفسير[4] حيث؛ "كان درس التفسير [عنده] سائرا على منهج الاعتناء بحاجة العصر وعدم التقيد بما هو موجود في كتب التفسير، وتدارك ما خلت منه مرامي الحكمة الإسلامية الجديرة بالإبراز والتقرير"[5]، وقد تولى الشيخ محمد رشيد رضا نقل جزء من هذه الرؤية فيما كان يدونه وينشره في العروة الوثقى، أو فيما كتبه استقلالا في تفسير المنار، وإن كان النقاد يرون تباين منهجه في تفسير المنار عن منهج شيخه محمد عبده كما سبق بيانه.

وبهذا يكون الشيخ محمد عبده قد جسد هذه الرؤية النقدية للمناهج السائدة في التعامل مع التفسير، ودعا من خلاله إلى مراجعتها لبناء منهج معاصر في التفسير يمتح من الموجود لتحقيق

---

[1] – عمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده": 9/4، (مرجع سابق).

2 – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 18/1. (مرجع سابق).

3– رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 22/1،(مرجع سابق). وعمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده": 13/4. (مرجع سابق).

4 – أمين أحمد (1975م)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث"، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص ص: 17–18.

5 – ابن عاشور محمد الفاضل، (1970م)، "التفسير ورجاله"، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ص168.

الشهود، يقول صاحب "التفسير والمفسرون": "كان الأستاذ الإمام هو الذي قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد، والتحرر من قيود التقليد، فاستعمل عقله الحر في كتاباته وبحوثه، ولم يجر على ما جمد عليه غيره من أفكار المتقدمين، وأقوال السابقين، فكان له من وراء ذلك آراء وأفكار خالف بها مَن سبقه"[1].

2. منهج فقه الاختلاف وتدبيره عند محمد عبده في مجال التفسير

إن المتأمل في المنهج التجديدي لعلم التفسير الذي حمل لواءه الشيخ محمد عبده، وما انطوى عليه من أبعاد نقدية ودعوات لمراجعة مضامينه ومناهجه، ليسترعي انتباهه طبيعة رؤية الإمام لفقه الاختلاف من داخل مجال علم التفسير ومنهج تدبيره له، ويمكن حصر معالم منهج الإمام في فقه الاختلاف في لآتي:

- **إيمانه بمشروعية الاختلاف في مناهج التفسير بين العصور**: وما دعوته إلى تجديد منهج تناول التفسير قضية ومنهجا؛ إلا ترجمة لأصل هذه المشروعية في هذا الاختلاف، وتجسيد لحق المتأخرين في تجديد النظر في هذا الكتاب العزيز، بما هو محقق لألوان الهداية التي إنما أنزل القرآن ابتداء لتحقيقها، بما يجعل النظر فيه ملبيا لحاجات إنسان العصر، لا لحاجات غيره من العصور.

- **إيمانه بمشروعية الاختلاف في مضامين هذا التفسير**: خاصة تلك التي مرجعها إلى أقوال الرجال واجتهاداتهم، لا إلى الوحي المعصوم، وقد انبنى على هذا نقده الواسع للتعصب والجمود على أقوال السابقين في التفسير وعدم الخروج عنها، وقد كان يقول: " إن الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه، وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا، وعن سنة نبيه الذي بيَّن لنا ما نُزِّل إلينا"[2].

- **دعوته إلى التركيز على هدايات الكتاب العزيز وبيان مقاصده في الخلق**: واعتمادها منهجا للتقليل من دائرة الاختلاف بين أقوال المفسرين في بيان معاني آيات الكتاب العزيز؛ "التفسير عند قومنا اليوم ومن قبل اليوم يقرون: هو عبارة عن الاطلاع على ما قاله بعض العلماء في كتب التفسير على ما في كلامهم من اختلاف يتنزه عنه القرآن ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [3]، وليت أهل العناية بالاطلاع على كتب التفسير يطلبون لأنفسهم معنى تستقر عليه أفهامهم في العلم بمعاني الكتاب، ثم يبثونه في الناس ويحملونهم عليه، ولكنهم

[1]– الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة: مكتبة وهبة: 407/2.

[2] – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 22/1،(مرجع سابق).

[3] – النساء: 81.

لم يطلبوا ذلك، وإنما طلبوا صناعة يفاخرون بالتفنن فيها، ويمارون فيها من يباريهم في طلبها، ولا يخرجون لإظهار البراعة في تحصيلها عن حد الإكثار من القول، واختراع الوجوه من التأويل، والإغراب في الإبعاد عن مقاصد التنزيل"[1].

- **نقده لاختلاف أقوال المفسرين الناجمة عن توسعهم في بعض النواحي من المعاني المشغلة عن المقصد الأصلي من التفسير والبيان لمعاني آيات الكتاب العزيز**، وقد كان يرى أن "من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن: نعم إن أكثر ما ذكر من وسائل فهم القرآن، فنون العربية لا بد منها، واصطلاحات الأصول وقواعده الخاصة بالقرآن ضرورية أيضا، كقواعد النحو والمعاني، وكذلك معرفة الكون وسنن الله تعالى فيه – كل ذلك يعين على فهم القرآن"[2].

الخاتمة:

تبين بما سبق عرضه الإسهام الكبير لمدرسة المنار من خلال جهود أحد أعلامها؛ وهو الشيخ محمد عبده في تجديد ونقد ومراجعة مناهج التراث الإسلامي؛ التفسير نموذجا، وهو ما يعتبر جهدا تجديديا إصلاحيا، ترجم لرؤية المدرسة وفكرها، والتي تبلغت بتجديد مناهج التراث الإسلامي لمحاولة إصلاح واقع الأمة، وإحداث التغيير المنشود فيه.

كما كان هذا الجهد التجديدي النقدي في مجال التفسير الذي خط معالمه الشيخ محمد عبده ؛ أساسا ومنهجا سيطبع مرحلة من الاشتغال بكتاب الله تفسيرا وبيانا؛ وإن اختلفت درجة إعمال هذا المنهج مِن بَعدِه، من خلال انخراط ثلة من أعلام التفسير في العصر الحديث في إعمال بعض من مقتضيات هذه الرؤية، خاصة ما تعلق منها بالتركيز على استلهام السنن، إضافة إلى إعمال البعد

1 – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 22/1،(مرجع سابق)، و عمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده": 13/4.

2 – رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار: 08/1.

المقاصدي في التفسير، وهو ما يدل على أن الجهد الذي بذله الشيخ محمد عبده؛ كان جهدا استثنائيا إحيائيا، استطاع به أن يستقطب إليه رواد الإصلاح والتجديد في العصر الحديث، كما استطاع بذات المنهج والجهد أن يتدافع مع مناهج أخرى، قصدت إلى هدم أثر النص القرآني في الأمة؛ جمودا على آراء السابقين، أو تحللا من كل ضابط هو شرط في صحة التفسير للكتاب المبين.

ولئن كان جهد الشيخ محمد عبده جهدا كبيرا في تجديد التفسير؛ إلا أنه لم يسلم من سهام النقد؛ خاصة في إطلاقه عنان العقل في التفسير، لدرجة الإغراب فيه أحيانا، وهو ما يفسر مخالفة بعض كبار الرواد له، المتأثرين بمنهجه في ذات العلم، وفي مقدمتهم تلميذه الشيخ رشيد رضا، الذي حاول أن يتدارك بعضا مما رآه نقصا في هذا المنهج، وبعضا مما حاد فيه صاحبه عن الأصل الذي عُلم بالاستقراء ثبوته من أكثر من جهة، وهو أمر لا ينفك عن كل جهد بشري تواق إلى انتشال الأمة من ركودها، فلا شك أن تؤثِّر السياقات الحضارية والاجتماعية من حيث هي هموم يحملها المجددون والمصلحون؛ أن تؤثر في منهج وطبيعة تعاملهم مع النص الشرعي، تفسيرا وبيانا، وتوظيفا وإعمالا، لكن ذلك لا يُنقِص من عظيم الجهد التجديدي الإصلاحي الذي بذله هؤلاء الرواد المجددون المصلحون خاصة، ومدارسهم التي ينتمون إليها عامة، لا سيما إذا قرئت تلك الجهود في سياقها الفكري والحضاري والاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الإبراهيمي أحمد طالب، (1997م). "آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي"، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ابن عاشور محمد الفاضل، (1970م)، "التفسير ورجاله"، (د ط)، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية.
- أمين أحمد (1975م)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط3، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- أمين عثمان، (د ت) "رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده"، (د ط)، مصر، المجلس الأعلى للثقافة.
- حسنة عمر عبيد،(1991م)، "حتى يتحقق الشهود الحضاري"، ط1، بيروت، المكتب الإسلامي.
- الذهبي محمد حسين، (د ت) التفسير والمفسرون، (د ط)، القاهرة، مكتبة وهبة.

- رضا محمد رشيد (1324هـ)، "تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده"، ط1، مصر مطبعة، المنار.
- رضا محمد رشيد (1990م)، تفسير المنار، أو تفسير القرآن الحكيم، (د ط) مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبد الحميد محسن (1996م)، "تجديد الفكر الإسلامي"، ط1، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- العقاد عباس محمود، (2013م)، "عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده"، (د ط)، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم.
- عمارة محمد، (2006م)، "الإصلاح بالإسلام، معالم المشروع الحضاري للإمام محمد عبده"، ط1، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر.
- عمارة محمد، (1988م)، "الإمام محمد عبده، مجدد الدنيا بالدين"، ط2، القاهرة، دار الشروق.
- عمارة محمد، (1988م)، "جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام"، ط2، القاهرة، دار الشروق.
- عمارة محمد، (دت)، "الشيخ رشيد رضا والعلمانية والصهيونية والطائفية، (دط)، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- عمارة محمد، (دت)، "الشيخ رشيد رضا والعلمانية والصهيونية والطائفية، (د ط)، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- عمارة محمد، تحقيق وتقديم، (1993م)، "الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده"، ط1 القاهرة، دار الشروق.
- النجار عبد المجيد، (1999م) "مشاريع الإشهاد الحضاري"، ط1 بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- النجار عبد المجيد، (1999م)، "عوامل الشهود الحضاري"، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

جامعة آل البيت في العراق مبررات التأسيس والنشأة

Al AlBayt University in Iraq Justifications for its establishment and upbringing

أ.د. مؤيد شاكر كاظم: كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق

الباحثة: أسيل نجم محمد: مديرية تربية ذي قار، جمهورية العراق

Prof. Dr. Muayyad Shaker Kadhem: College of Arts, University of Dhi-Qar, Iraq

Aseel Najm Muhammad: Directorate of Education Dhi-Qar, Iraq

الملخص:

تعد جامعة آل البيت أول جامعة في تاريخ العراق المعاصر، الذي شهد تطوراً كبيراً في مجال التعليم منذ قيام الحكم الوطني عام 1921 لغرض النهوض بالبلاد آنذاك، والتي وضع نواتها الأولى الملك فيصل الأول بإصداره لقرار التأسيس والمباشر بالعمل في الحادي عشر من كانون الثاني 1922 وبمساعده نخبه من المثقفين العراقيين الذين تعلموا خارج العراق. وهدفت الدراسة إلى الوقوف على الأسباب والمبررات التي دعت الى إنشاء الجامعة منذ بداية تأسيس الحكم الوطني في العراق، والتعرف على الجهود التي بذلت لإنجاح هذا الصرح العلمي لما له من أهمية في بناء لمؤسسات البلاد. ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم استخدام المنهج الوصفي التاريخي. وتمكنت الدراسة من التوصل الى مجموعة من النتائج أبرزها أنَّ الملك فيصل الأول أدرك أهمية التعليم كمحور أساسي لخلق جيل متعلم قادر على إدارة مؤسسات بلادة والنهوض به في الحاضر والمستقبل. وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها ضرورة استلهام العبر من تجارب التاريخ العراقي والعربي، وذلك لإحداث مستوى أعلى من النهوض بالعملية التعليمية في العراق.

الكلمات المفتاحية: جامعة آل البيت، الجامعات العراقية، التعليم في العراق، التعليم العالي في العراق.

Abstract:

Al-Bayt University is the first university in the contemporary history of Iraq, which has witnessed a great development in the field of education since the establishment of the national governance in 1921 for the purpose of the country advancement at that time. The nucleus of this advancement was set by king Faisal I, who issued the foundation decision and started work On Jan. 11, 1922, with the help of a group of Iraqi intellectuals who were educated outside Iraq. The study aimed to identify the reasons and justifications that led to the establishment of the university since the beginning of the foundation of national governance in Iraq, and to identify the efforts that were made to success in making this scientific edifice because of its importance in building the country's institutions. The historical descriptive method was used to achieve the objectives of the study. The study found a set of results, the most significant of which is that King Faisal I realized the importance of education as an essential core for creating an educated generation capable of managing and advancing his country's institutions in the present and the future. The study recommended a group of

recommendations and the most significant of which is the need to inspire lessons from the experiences of Iraqi and Arab history, in order to implement a higher level of progression of the educational process in Iraq.

Keywords: Al-Bayt University, Iraqi universities, education in Iraq, higher education in Iraq.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تعد جامعة آل البيت أول جامعة تأسست في العراق عام 1924، وكانت أول فكرة راودت الملك فيصل الأول منذ اعتلائه عرش العراق عام 1921، فعمل الملك بكل اصرار على إنشاء هذا الصرح العلمي الاكاديمي، وكانت غايته الأساسية تطوير التعليم وإيجاد نخبة مثقفة من أبناء الشعب العراقي، وذلك نتيجة إدراكه أن النهوض بالبلاد لا يمكن أن يتحقق إلا بتطور التعليم، فتحولت تلك الفكرة إلى حقيقة ملموسة على الأرض من خلال بتأسيس جامعة عراقية حملت اسم "جامعة آل البيت"، لتصبح منذ تلك الفترة صرحاً علمياً كبيراً في بغداد، لكن لم يقدر لهذه الجامعة الاستمرار بمسيرتها العلمية بسبب ما واجهها من ظروف صعبة كانت سبباً في إغلاقها عام 1930. ولقد شهد العراق منذ بدايات القرن العشرين نقلة نوعية في تطور ميادين التعليم وعلى وجه الخصوص التعليم العالي الذي عدَ مطلباً أساسياً لتحقيق التقدم الفكري والمعرفي والأزدهار الحضاري للبلاد في بناءجميع مؤسساته ابتداءً بالتعليم الذي يعد أساس الأصلاح والبناء ونهضة الأمة وازدهارها.

إشكالية الدراسة:

كان تأسيس جامعة آل البيت في العراق يهدف الى رفع المستوى التعليمي لأبناء العراق قادرين على ادارة مؤسسات الدولة والبلاد ليضاهي الدول المتطورة علمياً، فكان العراق هو السباق في تطور مؤسساته التعلمية، وبالتالي تدور الدراسة حول ايضاح كيفية إنشاء الجامعة ووضع الأسس لها، والمبررات التي تدعوا الى هذا التأسيس، وهذا ما شهده العراق خلال المرحلة الاولى من تأسيس الحكم الوطني.

تحاول الدراسة الجواب عن السؤال الرئيسي التالي:

ما أوضاع التعليم العالي في العراق خلال عهدي الاحتلال والانتداب البريطاني؟

كما ترتبت مجموعة من الأسئلة الفرعية يمكن صياغتها كالتالي:

- الأسباب التي دفعت الملك فيصل الأول الى تأسيس الجامعة؟
- كيفية إنشاء جامعة مع بدايات القرن العشرين وما يواجهه العراق من تحديات؟

منهجية الدراسة:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التاريخي، وهو الأسلوب والطريقة لتحليل المعلومات حول موضعٍ ما خلال فترات زمنية محددة، بغرض التوصل لأستتاجات علمية هنا يجب تعريف المنهج قبل توضيح كيفية استعملته الباحثة. حيث سلط الضوء على بدايات التعليم العالي في العراق والوقوف على الأهداف والمبررات الأساسية لإنشاء الجامعة والمراحل الأولى لبناء الجامعة وما الغاية من ذلك وتتبعها تاريخياً من حيث نشوء الفكرة إلى مراحل التأسيس.

اهمية الدراسة:

يعد تاريخ العملية التعليمية الأكاديمية في العراق من الموضوعات ذات الأهمية البارزة والأكثر حيوية في تاريخ العراق المعاصر، لاسيما في المدة التي شهدت اهتمام كبيراً بالتعليم العالي والعمل على تطوره، فأن أهمية الحديث عن التعليم وتطوره خلال مراحل التاريخ ما هو الأ دافع لمواصلة الجهود الحثيثة التي بذلت من أجل تطور سير العملية التعليمية بمختلف الأزمان، وإن ما يمكن استلهامة من التجارب التاريخية وتحليلها وتتبعها لكشف مواطن الضعف والقوة والأستفاده منها بما يخدم المصلحة العامة في الوقت الحالي. يجب تطوير الأهمية بشكل أفضل، مع إيضاح أهمية إعداد الدراسة بالنسبة للباحثة وبالنسبة للباحثين وبالنسبة للمكتبة العربية

اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة للوقوف على حيثيات تأسيس أول صرح علمي أكاديمي إنشاء في العراق منذ بدايات القرن العشرين الذي شهد تطوراً كبيراً في مجال التعليم العالي الذي عد مطلباً اساسياً لتحقيق التقدم والازدهار الفكري والمعرفي للبلاد.

مدخل تاريخي للتعليم العالي في العراق خلال العراق 1914- 1932

اولاً: مدرسة الحقوق:

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى واحتلال بريطانيا للعراق (1914 – 1918) ظهرت بعض المصاعب التي لابد لبريطانيا ان تجابهها لغرض ادارة أحوال العراق[1]، وعملت على اتخاذ التدابير الكفيلة للتخلص من هذه المصاعب بأسرع وقت ممكن، لاسيما بعد أنْ ادركت حاجتها الى موظفين

[1] بيل، المس (1971): فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، ط1، بيروت: دار الرافدين، ص302.

عراقيين متخصصين بالحقوق والادارة والمالية، لذلك عمدت الى اعادة افتتاح مدرسة الحقوق[1]، بوصفها أقدم مؤسسة للدراسة العالية والتي يعود افتتاحها الى عام 1908 بعد ان توقفت الدراسة فيها بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى من اجل التحاق الطلاب ممن لم يكملوا دراستهم بها[2]، وقد اعلن عن اعادة فتح مدرسة الحقوق مجددا في 23 تموز 1919 بعد ان نشر ناظر المعارف العمومية (الميجر بومن) عن إعادة افتتاحها [3]، وحددت مدة الدراسة في صفوفها بـ (سنتان)[4]، وان افتتاحها او تأجيل الدراسة فيها خلال هذا العام سوف يعتمد على مجموع الطلاب الذين ينون الرجوع الى الدراسة فيها[5].

انضم الى صفوف مدرسة الحقوق الطلاب الذين كانوا سابقاً قد درسوا في صفوف مدرسة الحقوق العثمانية التي تضمنت صفين، الصف الاول ضم الطلاب الذين درسوا سابقاً في مدرسة الحقوق العثمانية في الصف الاول والثاني وان يستمروا بالدراسة لعامين كحد ادنى لنيل الشهادة، بينما الصف العالي فقد التحق به طلاب الصف الثالث والرابع الذين درسوا في صفوف مدرسة الحقوق العثمانية لمدة عامين حينما اندلعت الحرب العالمية الاولى ويلزمون بالدراسة فيها لمدة عام واحد لغرض اتمام دراستهم لنيلهم الشهادة بعد نجاحهم [6].

حددت اجور الدراسة في هذه المدرسة بـ(150) روبية ويتم تسديدها على ثلاث دفعات خلال السنة الدراسية الواحدة [7]، وتم المباشرة بالتدريس في 1 تشرين الاول 1919بعد ان انظم الى صفوفها (40) طالبا [8]. ومنذ بداية تأسيسها حتى عام 1920 قد تخرج منها حوالي عشرون طالبا، وتقرر في عام 1921 ان يكون مدة الدراسة في الكلية بـ (3 سنوات)[9]، وبعد افتتاح المدرسة من جديد في زمن السيطرة البريطانية على العراق اصبح التدريس فيها باللغة العربية كونها في السابق أي في

[1] الهلالي، عبد الرزاق (1953): معجم العراق: ج1، بغداد: مطبعة النجاح، ص236.
[2] بيل، المس، مصدر سابق، ص303.
[3] الدجيلي، حسن (1963): تقدم التعليم العالي في العراق، بغداد: مطبعة الرشاد، ص30-32.
[4] السعدي، تغريد عباس رشيد (2013): كلية الحقوق العراقية 1928 – 1958: دراسة تاريخية، بغداد: جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، ص54.
[5] الهلالي، عبد الرزاق، مصدر سابق، ص236.
[6] الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص32.
[7] الهلالي، عبد الرزاق، مصدر سابق، ص237؛ الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص32
[8] عبد الحسن، حيدر غانم (2011): موقف المجلس النيابي العراقي من حركة التعليم في العراق 1925- 1939: دراسة تاريخية، بغداد: جامعة الكوفة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص34.
[9] المحمداوي، إيمان مصطفى خلف (2008): التعليم العالي في العراق 1956—1970: دراسة تاريخية، بغداد: جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، ص10.

العهد العثماني كانت تعتمد على اللغة التركية للتدريس في صفوفها[1]، وتولى توفيق السويدي[2] ادارة المدرسة عام 1921 وهو اول عراقي تولى ادارة المدرسة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وتم اختياره لإدارة مدرسة الحقوق كونه يحظى بسيرة ذاتية مقبولة لدى الجميع[3]. واصبح معظم الكادر التدريسي لمدرسة الحقوق من العراقيين وفيما يلي اسماءهم والمواد التي درسوها (توفيق السويدي حقوق الرومان – مديراً، عارف السويدي المجلة، نشأت السنوي المجلة، امجد الزهاوي المجلة والوصايا، سليمان فيضي صك الحقوق – الحقوق الدستورية، عبد القادر السنوي حقوق الدولة الخاصة، عبد الله ثنيان حقوق الادارة، حكمت سليمان علم المالية، خالد الشابندر صك الجزاء – قانون الاراضي، حسين افنان الاقتصاد السياسي، يوسف العطا احكام النكاح)[4].

اندفعتْ اعداد كبيرة من الشباب العراقيين للالتحاق بمدرسة الحقوق بعد ان ادركوا ان التخرج من المدرسة يوفر لهم فرصة كبيرة للتعين في مختلف الوزارات والعمل بالمحاماة [5]، وفي عام 1922 شرع (النظام الاساسي لمدرسة الحقوق العراقية) الذي جعل مراحل الدراسة في صفوفها اربع سنوات[6]، واطلق عليها بـ (كلية الحقوق) عوضاً عن(مدرسة الحقوق) وكانت اغلب اختبارات الكلية تجري بطريقة شفوية وتستثنى من ذلك مادة الصكوك التي كانت بحاجة لتطبيقات عملية[7].

اصدرت ادارة المدرسة في عام 1923 معايير وشروط اكثر صرامة ودقة للانضمام للدراسة في الحقوق بسبب قدوم اعداد كبيرة من الطلبة ومن ابرز تلك الشروط ان يكون المتقدم للقبول في مدرسة الحقوق حاصلا على شهادة من مدرسة ثانوية، وعلى المتقدم للدراسة في المدرسة أنْ يقدم

---

[1]() بيل، المس، مصدر سابق، ص303.

[2]() توفيق السويدي وهو سليمان توفيق بن يوسف السويدي من مواليد بغداد ولد عام 1892 اكمل دراسته في مدرسة الحقوق بإستنبول وجامعة السوربون في باريس يتقن اللغة الانكليزية والفرنسية والايطالية والتركية والفارسية وتقلد ناصب عدة منها مستشارا قانونيا للحكومة العراقية 1921 وعين وزيرا للعدلية عام 1926 في وزارة عبد المحسن السعدون الثانية واصبح رئيسا للوزارة ولأول مرة في 28 نيسان 1929 غادر العراق 1962 الى لبنان، توفي 15 تشرين الاول 1968 في بيروت وحملت جنازته الى بغداد ودفن فيها، للمزيد ينظر: السويدي، توفيق (2011): مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق و القضية العربية، بغداد: الذاكرة ؛ الجوال، خالد احمد (2013): موسوعة اعلام كبار ساسة العراق الملكي 1920–1958، ج1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ص82.

[3]() الهلالي، عبد الرزاق (2017): تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني 1914 – 1921، مراجعة عالية الهلالي، عبد الرزاق، بيروت: دار الرافدين، ص184.

[4]() الهلالي، عبد الرزاق، معجم العراق، ج1، ص239.

[5]() الحصري، ساطع (1967): مذكراتي في العراق 1921–1927، ج1، بيروت: دار الطليعة، ص256.

[6]() احمد، ابراهيم خليل (1982): تطور التعليم الوطني في العراق 1869 – 1932، البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ص 208–209.

[7]() الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص35.

أوراقه الثبوتية التي تؤيد صحة معلوماته (كورقة نفوس تؤيد بأنه يبلغ 18 سنه من عمره على الاقل، وشهادة تلقيح ضد الجدري وشهادة تؤيد سلامته من الأمراض المعدية)[1]، والحقت المدرسة بوزارة المعارف في 17 كانون الثاني 1924 بعد ان كانت تابعة لوزارة العدلية لتدني المستوى العلمي للمدرسة[2]، وفي عام 1928 قد صدر نظام جديد بدلاً عن نظام عام 1922 لأنه لم يساعد على الارتقاء بالمستوى العلمي للمدرسة لهذا حددت مدة الدراسة بـ (3) سنوات على ان تكون امتحاناتها تحريرية في معظم مناهجها الدراسية [3]، وسعيا لتطوير كلية الحقوق شكلت في عام 1930 لجنة تعمل على دراسة نظام الكلية فيما يخص المنهج والإدارة وكفاءة المدرسين [4]، وادخلت بعض التعديلات على نظام الكلية ومنها اضيفت لشروط القبول معرفة احدى اللغات الاوربية واحداث امتحان نصف سنوي فضلاً عن زيادة مدة الدوام الى ثلاثة ارباع بدلا من ثلثي المدة المحددة[5].

ثانياً: كلية الأمام الأعظم:

بعد أن تعطلت الدراسة في صفوف كلية الأمام الأعظم خلال الحرب العالمية الأولى تم اعادة افتتاحها بعد انتهاء الحرب والمباشرة بالدراسة وأعيد النظر في مناهجها نتيجة الإرشادات والتوجيهات التي اتخذتها وزارة الأوقاف العامة[6]، ولذلك منحت وزارة الأوقاف ستين الفاً روبية في عام 1918 لغرض الاستفادة من هذه الأموال بما يعود بالنفع على عامة السكان وتصرف الأموال على المؤسسات التعليمية وبوجه الخصوص على التعليم العالي والاستفادة منها بأفضل ما يكونْ لذلك أعيد تنظيم كلية الأمام الأعظم وموقعها في مدفن مؤسس المذهب الحنفي (أبو حنيفة النعمان) والتي يعود إنشاءها الى عام 1066 في عهد الدولة السلجوقية، وتم توفير الكادر التدريسي المناسب لها على خلاف ما كانت تصرف واردات الأوقاف في عهد الاتراك أي ان الإدارة البريطانية كانت اكثر محافظة في تسيير شؤون الأوقاف من العثمانيين[7].

بلغت مدة الدراسة في صفوف الكلية (6 سنوات)،قسما (سنتان) للدراسة الإعدادية أمَّا العالية (اربع سنوات) والدراسة فيها صباحية واصبح عدد طلابها (80 طالبا) من الذكور في عام 1920،

---

[1] () الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم العالي في عهد الاحتلال البريطاني 1914–1921، ص256–257.

[2] () السعدي، تغريد رشيد عباس، مصدر سابق، ص65.

[3] () المحمداوي، إيمان مصطفى خلف، مصدر سابق، ص11.

[4] () الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني، ص270 ؛ الدجيلي، حسن،مصدر سابق، ص104.

[5] () وزارة المعارف، التقرير السنوي لسير المعارف لعام 1930–1931، بغداد، مطبعة الحكومية، 1934، ص63.

[6] () الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص2.

[7] () بيل، المس، مصدر سابق، ص206–307.

وكان من حق خريجيها التوظيف في الأوقاف والمعارف[1]، وقدم مجموعة من أساتذة كلية الأمام الأعظم عدة مقترحات في شباط 1921 لاستصلاح وتعديل نظام الكلية وتمثلت هذه المقترحات بجعل الدراسة في صفوفها مسائية والمطالبة بزيادة رواتب أساتذتها وأصلاح أبنيتها وإعادة تعميرها بشكل يتناسب معها ككلية، لكن هذه المقترحات لم تنلْ رضى وزارة الأوقاف واقترحت ان تنتقل كلية الأمام الأعظم الى(بستان الطلمبة) التابع لوزارة الأوقاف والواقع في الأعظمية [2]، وفعلا أصبحت كلية الأمام الأعظم أحد الأقسام التابعة لجامعة آل البيت في عام 1928 ولكن بعد إغلاق الجامعة إعيدت الى موقعها في مسجد الأمام أبو حنيفة النعمان[3].

ثالثاً: كلية الهندسة:

يرجع الفضل في تأسيس كلية الهندسة الى السلطات البريطانية عندما احتلت العراق والتي وضعت نواتها الأولى 1917 تحت اسم (مدرسة الهندسة) وكان سير الدراسة فيها على شكل دورات تدريبية فأقيمت أول دورة في 1 آيلول 1917 علما أن مجموع طلابها (61 طالباً)، ونجح منهم (39 طالبا) بعد أن تم امتحانهم في أواخر تشرين الثاني 1917[4]، وفي عام 1918 تولى إدارتها الأستاذ داود السعدي[5]، ثم إنشأت في عام 1921 (مدرسة الهندسة العراقية) التي اسستها وزارة الاشغال والمواصلات واطلق عليها تسمية (كلية الري التدريبة)، وكان الغرض من إنشائها إعداد وتدريب خريجي المدارس الابتدائية لثلاث سنوات على الاغراض الهندسية البدائية واعدادهم ليصبحوا

---

[1] () الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص2.

[2] () د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 311/2422، قرارات مجلس الوزراء لعام 1921–1922، و10،ص15.

(4) مهدي، ميسون باقر (2015): التعليم العالي في العراق (نشأته، مسيرته، ملامح تطوره)، بغداد: جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، ص24.

[4] () الهلالي، عبد الرزاق، معجم العراق، ج1، س253.

[5] () وهو داود بن عبد اللطيف بن داود السعدي من اصول موصلية ولد في بغداد 1894، التحق بمدرسة الحقوق 1912 وتخرج منها عام 1920، ومارس مهنة المحاماة، وساهم بإصدار صحيفة دجلة 1921 التي سعى من خلالها للمطالبة باستقلال العراق وتخليصه من السيطرة الاجنبية توفي عام 1966 في بغداد للمزيد ينظر: المطبعي، حميد (1995): موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، ج1، بغداد: دار الشؤون الثقافية افاق عربية، ص69 ؛ بصري، مير (2004): اعلام السياسة في العراق الحديث،ج2، لندن: دار الحكمة، ص575.

ملاحظين فنيين في الري والأشغال وسكك الحديد[1]، وتم استبدال اسم الكلية إلى (مدرسة الهندسة) عام 1923، وأول دفعة تخرجت من طلابها عام 1924[2].

وفي عام 1925 قدمت وزارة المواصلات مقترحاً بنقل مسؤوليات مدرسة الهندسة وكل ما يخص ادارتها ومناهجها الى وزارة المعارف، وتم الحاقها بوزارة المعارف عام 1926 واشترطت بقبول الطلاب الذين يرغبون بالانضمام اليها حاصلين على شهادة متوسطة وهذا مما كان له اثر في رفع مستواها العلمي[3]، وانقسمت الدراسة فيها على فرعين، هما الدراسة التي اختصت بالهندسة لمدة (3سنوات)، والدراسة التي اختصت بالمساحة ومدتها (2سنة) وانظم ايها اثنا عشر طالبا فقط عند تأسيسها، وكان السبب في قلة عدد طلابها، هو تأخر القرار النهائي الذي يبين مستوى الدراسة فيها[4]، وفي عام 1928 تم الغاء مدرسة الهندسة لأسباب مالية إلا أنها أعيدت ثانيةً عام 1929 معتمدةً على الأُسس التي وضعتها وزارة المعارف بقبول الطلاب فكان عدد صفوفها (3 صفوف)، وعدد طلابها (54 طالباً) ونجح منهم (9 طلاب فقط) وتم توظيفه كُلاً حسب اختصاصه (3) منهم في هندسة السكك الحديدية و(3) للأشغال العمومية و(5) منهم للري[5].

استمرت مدرسة الهندسة في أداء عملها حتى عام 1932 فصدرت الأوامر بإغلاقها بتوجيه من الخبير المالي البريطاني (السير هلتن يونك) والمندوب السامي البريطاني (هنري دوبس) بحجة قلة اقبال عدد الطلاب للانضمام لمدرسة الهندسة والاقتصاد وبالأموال بسبب الازمة المالية العالمية (1929 – 1933) والتي اثرت على الاقتصاد العراقي بسبب ارتباطها بالاقتصاد البريطاني [6].

رابعاً: دار المعلمين العالية:

ان التطورات الثقافية والاجتماعية التي شهدها العراق بعد احتلال بريطانيا له ادى الى زيادة العناية في المجالات التعليمية والعمل على تهيئة الطلبة واعدادهم الى وظائف مختلفة تتلاءم مع

(1)حاتم، صالح محمد (1994): تطور التعليم في العراق 1945 – 1958: دراسةً تاريخية، بغداد: جامعة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، ص140 ؛ الهلالي، عبد الرزاق، التعليم العالي في العراق في عهد الاحتلال البريطاني، ص253.

(2) المحمداوي، إيمان مصطفى خلف، مصدر سابق، ص11؛ ابراهيم، محمد احمد (2020): جامعة ديالى ونشاطها الفكري والثقافي وتأثيرها في محيطها المحلي (1999 – 2008)، بغداد: جامعة ديالى، رسالة ماجستير غير منشورة، ص46.

(3) احمد، ابراهيم خليل، مصدر سابق، ص205.

(4)وزارة المعارف،التقرير السنوي عن سير المعارف لغاية 1927 – 1928، مطبعة الحكومة، بغداد، 1928، ص17 ؛ التقرير السنوي عن سير المعارف لعام 1928 –1929، مطبعة الحكومة، بغداد، 1929، ص193.

(5)وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف لعام 1929 –1930، مطبعة الحكومة، بغداد، 1928، ص13.

(6) احمد، ابراهيم خليل، مصدر سابق، ص291.

مقتضيات حياتهم ومتطلباتها الحديثة [1]، لذلك لاحظت وزارة المعارف بعد إنشاء المدرسة الثانوية أنها بحاجة لمدرسين، لهذا بدأ التوجيه نحو تأسيس مدرسة عالية لإعداد المعلمين للمدارس الثانوية [2]، وفي 7 تشرين الثاني 1923 [3]، تم تأسيس دار المعلمين على أساس راسخ وفعال وجعلت مدة الدراسة في صفوفها سنتين وقبلت الطلاب المتخرجين من المدارس الثانوية [4]، وتقرر ان تكون الدراسة فيها بفرعين هما العلمي والادبي [5]، الأول يخرج معلمين للدروس الطبيعية اما الفرع الثاني فتخرج معلمين لتدريس التاريخ والجغرافية، وان السبب وراء اعتمادها على هذين الفرعين راجع الى حاجة المدارس الثانوية لمدرسين ذوي قدرة وكفاية في هذين المجالين وكان يأخذ من كل طالب (15) روبية في الشهر كأجور للدراسة في صفوف دار المعلمين العالية [6]، وكانت الدراسة بها مسائية وتقتصر على معلمي المدارس الابتدائية الذين تتوفر لديهم الرغبة في الدراسة العالية، وانظم اليها عدد من الطلاب في العام الاول لإنشائها حوالي (50 طالباً) استمر منهم بالدراسة (39 طالباً) وترك الباقون الدراسة فيها [7].

استمرت الدراسة في صفوف دار المعلمين مسائية حتى عام 1927 اذ تحولت الدراسة في هذا العام صباحية وبدأ يلتحق في صفوفها خريجو الدراسة الثانوية و ما يعادلها [8]، أي اصبحت دار المعلمين العالية معهداً مستقلاً بذاته وبمنهج صباحي واستمرت الدراسة لمدة عامين دراسيين[9]، وتولت وزارة المعارف ادارتها والانفاق عليها أي اخذ طلابها يتلقون العلم في صفوفها مجانا، وقد الحق فيها قسم داخلي للطلبة وقد بلغ عدد طلاب دار المعلمين العالية لعام 1929–1930 (26) طالبا في الفرع العلمي (11) طالباً في الصف الاول و(5) طلاب في الصف الثاني و (10) طلاب في القسم الادبي، واخذ عدد الطلبة بالتزايد حتى بلغ (44) طالباً للعام الدراسي 1930 – 1931، في القسم العلمي (15) طالباً في الصف الاول و (9) طلاب في الصف الثاني، أمَّا القسم الأدبي

[1] () مهدي، ميسون باقر، مصدر سابق، ص26.
[2] () الهلالي، عبد الرزاق، معجم العراق ج1، ص244.
[3] () وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف في العراق، 1928–1929، مطبعة الحكومة، بغداد، 1930، ص26.
[4] () احمد، ابراهيم خليل، مصدر سابق، ص186.
[5] () وزارة المعارف،التقرير السنوي عن سير المعارف في العراق، 1928–1929، مطبعة الحكومة، بغداد، 1930، ص14.
[6] () احمد، ابراهيم خليل، مصدر سابق، ص187.
[7] () الهلالي، عبد الرزاق، معجم العراق، ج1، ص244.
[8] () المصدر نفسه، ص245.
[9] () حاتم، صالح محمد، مصدر سابق، 135.

(10) طلاب في الصف الأول و (10) طلاب في الصف الثاني[1]، وقررت وزارة المعارف عام 1931 الغاء دار المعلمين العالية والاعتماد في اعداد المدرسين على البعثات العلمية وذلك لأن وزارة المعارف كانت تشعر بان مستوى الدراسة في دار المعلمين العليا ليس بالمستوى العلمي المطلوب والقادر على اعداد مدرسين للتدريس في المدارس الثانوية [2].

خامساً: الكلية الطبية الملكية:

تعود بدايات تأسيس كلية الطب الى عام 1919 عندما تولت بريطانيا ادارة الشؤون الادارية والسياسية للعراق، فتولدت لدى السلطات الصحية البريطانية رؤية بإنشاء مدرسة طبية في العراق عندما قدم الكولونيل (لين Laine) القائم بشؤون الصحة مقترحا بذلك، لكن الامر لم يتم بسبب قلة المال والرجال [3]، وفي عام 1920 طرح الكولونيل لين فكرة إنشاء مدرسة الطب مرة اخرى في التقرير السنوي لمصلحة الصحة وأشار إلى الوضع المالي الذي كان سبباً في تأخير إنشاء مدرسة الطب وبين انه لا يمكن تأسيس المدرسة الطبية ما لم تترك السلطات البريطانية فكرة إنشاء المستشفى البريطاني الثابت رقم 23 (مستشفى المجيدية[4]) [5].

وعقدت في حزيران 1921 الجمعية الطبية العراقية اجتماع خاص اكدت فيه ضرورة إنشاء مدرسة طبية في بغداد وحضر الاجتماع مجموعة من الأطباء العراقيين الذين رجعوا الى أرض الوطن ومنهم (سامي شوكت، سليمان غزالة) وعدد من الاطباء البريطانيين وقدمت الجمعية البريطانية مجموعة من المقترحات الى الرأي العام العراقي والجهة الحكومية المختصة بذلك وتمثلت بما يلي:

أ- العمل على تهيئة الأجواء المناسبة لتدريس الطب في العراق بوصفة امر ضروري ومطلب جماهيري.

---

[1] () وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف لعام 1930- 1933، مطبعة الحكومة، بغداد، 1934، ص59.

[2] () الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص 399.

[3] () المصدر نفسه، ص63.

[4] () مستشفى المجيدية وهو ما يطلق علية المستشفى الملكي او الجمهوري وهو في مقدمة المستشفيات العراقية في بغداد انذاك كانت ارضة تابعة لوالي بغداد العثماني محمد نجيب باشا وبنى عليها قصرا له، وتمتد هذه الارض جهة نهر دجلة حتى الاعظمية، وقد اتخذته القيادة العسكرية للجيش البريطاني مقرا لمشفاها العسكري الثابت رقم 23،عند احتلالها لبغداد وبقى تحت ادارتها حتى عام 1923حيث تم تسليمة لمديرية الصحة لتجمع فية سائر مؤسساتها ومعاهدها الفنية.للمزيد ينظر: العلاف، عبد الكريم (1999): بغداد القديمة،ط2، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ص33 ؛ الوتري، هاشم و الشابندر، معمر خالد (1939): تاريخ الطب في العراق مع نشوء وتقدم الكلية الطبية الملكية العراقية، بغداد: مطبعة الحكومة، ص91 -92.

[5] () المصدر نفسة، ص97.

ب–الاسراع في تأسيس كلية الطب وتوفير كافة المستلزمات لتامين احتياجات العراق الطبية.

ج– العمل على توفير بناية خاصة لكلية الطب بالقرب من مستشفى المجيدية.

د– ان تطور العراق وازدهاره صحياً يعتمد على الفروع التعليمية لمشروع إنشاء كلية الطب

هـ– ان مشروع الكلية الطبية يعتمد على لجنتين يتكون اعضاؤها من وزارتي المعارف والصحة[1].

بعثت هذه المقترحات الى المندوب السامي البريطاني والى رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب والى كل من وزير الصحة والمعارف وسكرتير الملك فيصل الاول وقد حظيت هذه المقترحات بموافقة الأطراف المعنية، كما ان الملك فيصل الأول ساند الجمعية الطبية في مقترحاته بضرورة إنشاء الكلية الطبية في بغداد إلا أنه عد هذا الموضوع مبكراً وغير ناضج ويحتاج الى وقت لنجاحه و كان السبب هو أن التعليم الثانوي في العراق لايزال منخفض وليس باستطاعته تهيئة طلاب ذوي قدرة وكفاءة للانخراط في صفوف كلية الطب [2].

وفق ذلك تعطل العمل بمشروع كلية الطب حتى حل عام 1925 فنشطت فكرة إنشاء الكلية وذلك لتحسن وضع التعليم الثانوي في العراق والتقدم الذي أحرزه المستشفى الملكي فضلاً عن ازدياد إعداد المبتعثين للدراسة في الخارج [3]، فسعت الجمعية الطبية العراقية في مواصلة جهودها لغرض إنشاء الكلية الطبية ولم يمضِ وقت طويل حتى تمَّ المشروع وخرج الى حيز الواقع في 19 تشرين الثاني 1927 وفتحت كلية الطب أبوابها كفرع لجامعة آل البيت[4]، فباشرت الكلية بتدريس طلابها الذين تلقوا دروسهم في جناح مستشفى المجيدية وكان عددهم (20 طالبا) في العام الأول للكلية[5].

وتم اختيار (هاري سندرسن باشا)[6] طبيب العائلة المالكة عميداً لكلية الطب العراقية الذي عمل على تهيئة واعداد مناهجها وتوفير كل الوسائل على انجاح هذا المشروع وديمومته واعتمد نظام

---

[1] () الهلالي، عبدالرزاق، معجم العراق، ج1، ص247 ؛ الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص66.

[2] () الوتري، هاشم، مصدر سابق، ص102.

[3] () الدجيلي، حسن، مصدر سابق، 67.

[4] () الجشعمي، سهير هاتف حمد (2012): تطور التعليم الصحي في العراق " الكلية الطبية الملكية العراقية انموذجاً" 1927 – 1958: دراسة تأريخية، بغداد: جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، ص30.

[5] () جريدة البلاد (بغداد) العدد 4، 29 تشرين الاول 1929.

(6) هاري سندرسن باشا وهو من اصول انكليزية، اكمل دراسته العليا في كلية الطب بجامعة ادنبره عام 1914 البريطانية، وصل الى العراق عام 1918 مع الحملة البريطانية وتولى مناصب عدة ضمن الحملة البريطانية، وعند قيام الحكم الوطني بالعراق برئاسة الملك فيصل اصبح طبيبا خاصا بالعائلة المالكة، وتولى رئاسة كلية الطب وهو اول رئيسا لها عام 1927 واستمر بممارسة مهمة الملقاة على عاتقة حتى عام 1934 لكنه عاد الى منصبه مرة

كلية الطب تشكيل أساسي على نمط وطراز مماثل لنظام جامعة (إدنبرة البريطانية) لان اغلب التدريسيين وذو الاختصاص كانوا من خريجي هذه الجامعة [1]، أمّا شعار الكلية الذي صممته زوجة الدكتور سندرسن فكان شعار خاص ومميز الذي ميز الكلية عن باقي الكليات، الذي تضمن صورة لنهري دجلة والفرات، وصورة ثعبان تدل على العلاج بالداء والعقار وكتاباً مفتوحاً، يرمز لبداية الكتابة في بلاد الرافدين، وهي تدل على شعار الطب العالمي، وصورة لثور أشوري[2] وقبلت الكلية خريجي الدراسة الاعدادية ومن الفرع العلمي فقط، أما مدة الدراسة فيها فكانت خمس سنوات [3].

كما منحت الكلية خريجيها شهادة البكالوريوس في الطب والجراحة وتمنح شهادة ماجستير بالجراحة ودكتوراه في الفلسفة في المواضيع غير السريرية[4]. وارتبطت الكلية في اول تأسيسها بمديرية الصحة العامة التي كانت تابعة لوزارة الداخلية، وهي المرجع للمديرية العامة، ولم ترتبط بوزارة المعارف إلا أن أنظمتها كانت تصدر على عرض وزارة المعارف وموافقة مجلس الوزراء العراقي لغرض ضمان خضوعها الى أحكام قانون المعارف العامة [5].

شهد عام 1931 تخرج الدفعة الأولى لطلبة كلية الطب العراقية وكان عددهم (12) خريجا وهم (كرجن ربيع، جاك عبودي، ليون رسام، رؤوف سيمج، البير نسيم، محمد إحسان القماقجي، يعقوب ازاجي، عبد المجيد الشهربنلي، فؤاد مراد، صيوان منشي، عبد الحميد شلاش،علي البير)[6].

هكذا ترسخت أسس الكلية الطبية العراقية وتوطدت مناهجها التعليمية وزاد الاهتمام والاعتناء بها حتى عدت فيما بعد في مقدمة الكليات العراقية [7]

اخرى عام 1941 لغاية 1945. للمزيد ينظر: باشا، سندرسن (1982): مذكرات سندرسن باشا طبيب العائلة الملكية في العراق 1918–1946، ترجمة: طه التكريتي،ط2، بغداد: منشورات مكتبة اليقظة العربية.

[1]() المصدر نفسه، ص131.

[2]() الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص69؛ باشا، سندرسن، مصدر سابق، ص139.

[3]() درويش، محمود فهمي واخرون(1961): دليل الجمهورية العراقية، بغداد: مطبعة النعمان، ص507.

[4]() وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1949 – 1950، بغداد: مطبعة الرابطة، 1951، ص62.

[5]() الحصري، ساطع (1949): حولية الثقافة العربية لعام 1948– 1949 السنة الاولى، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص281.

[6]() الهلالي، عبد الرزاق، معجم العراق، ج1، ص253.

[7]() الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص70.

المبحث الأول: مبررات افتتاح الجامعة وأهدافها:

وفي عام ١٩٢١ عندما تأسس الحكم الوطني العراقي توجه عدد كبير إلى العلم من المثقفين والضباط العراقيين الذين شاركوا في ثورة ١٩١٦[1] في الحجاز ضد الدولة العثمانية وعملوا مع الأمير فيصل عندما تسلم حكم سوريا (١٩١٨-١٩٢٠)، فكان تولي الملك فيصل عرش العراق في 23 آب 1921 وتربعه على كرسي الحكم قد زادهم إقداماً نحو العلم، وكان وجوده بمثابة مبعث قوه لهم و عزيمه وإصراره وكان في مقدمتهم فهمي المدرس، [2] وفي مقدمة مطالب هؤلاء هو تأسيس جامعة في العراق، لذلك أولى الملك فيصل الأول تلك الفكرة اهتماماً خاصاً واشتدت حماسته للأمر، وذلك لأنه قد أكمل دراسته في استنبول فأبصر بعينه التطور العلمي الذي تشهده أوربا بإنشائها للجامعات وازدياد أعداد المثقفين فيها[3].

من هذا المنطلق بدأ التفكير وبشكل جدي في إنشاء جامعة في العراق كونه يعد خطوه ضرورية والحجر الأساس في تطور وتقدم التعليم العالي في البلاد بوصفها أساس البحث العلمي لإنشاء الخلق الصحيح وتكوين جيل راسخ ذو ثقافة عالية ويتمتع بمقدرات ومواهب سامية ليكون قادرً على بناء وتطوير بلاده ليضاهي الدول المتقدمة علميا[4].

إن وجود الملك فيصل كان حافزاً كبيراً للمفكرين للنهوض بالبلاد وقد انفتح أمامهم الطريق في مجال العمل ليعملوا بنشاط فلا عثره توجد في طريقهم ولا يجدون من الحكومة إلا التحفيز والعضد على القيام بما يود القيام به من أعمال لها أثر للنهوض بالبلد وازدهاره وتطوره[5].

([1]) الثورة العربية الكبرى (1916-1918) وهي الثورة التي قامت بزعامة الشريف حسين امير مكة ضد العثمانيين وبتشجيع من بريطانيا لأنها رأت بالعرب بعد انتهاء الرب العالمية الاولى 1914 القدرة على شل حركة التركي في سوريا والعراق والحجاز، وكذلك رغبة العرب بالتخلص من الاضطهاد العثماني، فجرت المراسلات بين الشريف حسين والسير (هنري مكماهون) في تموز 1915 ولغاية اذار 1916 والتي عرفت بمراسلات حسين مكماهون وقد تضمنت بان يحصل العرب على استقلالهم والتخلص من العثمانيين وان تعترف بريطانيا بهذا الاستقلال مقابل حصولها على الافضلية في جميع المشاريع الاقتصادية التي سوف تنجز في البلاد العربية، فأعلنت الثورة في 10 حزيران 1916 حقق فيها العرب انتصارا ساحقا وتمكنوا من طرد العثمانيين من الجزيرة العربية وبلاد الشام. للمزيد ينظر: البيطار، فراس(2013): الموسوعة السياسية والعسكرية، ج1، عمان: دار اسامة للنشر والتوزيع، ص252-256.

([2])عز الدين، يوسف (1970): فهمي المدرس من رواد الفكر الحديث، القاهرة: معهد الدراسات والبحوث العربية، ص153.

([3])سلمان، جعفر محمود (٢٠١٥): فهمي المدرس ونشاطه الثقافي والسياسي في العراق ١٨٧٣-١٩٤٤، بغداد: جامعه ديالى، رسالة ماجستير غير منشورة ص٦٤.

([4])الهلالي، عبد الرازق، معجم العراق، ج١، ص٢٦٩.

([5]) جريدة العراق (بغداد)، العدد ١٠٤٦، ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٣.

ويمكن أنْ نجمل الأهداف من وراء تأسيس هذه الجامعة بما يلي:

1. إن إصرار الملك فيصل الأول على تأسيس جامعة في العراق جاء مرافقا لتأسيس مؤسسات الدولة الأخرى وذلك نتيجة الضرورة الملحة لحاجة أبناء العراق لمؤسسة اكاديمية تعمل على تكوين جيل مثقف وذو كفاءة علمية عليا وقادر على بناء مؤسسات بلاده[1]، ومن هذا المنطلق أجمع المفكرون على ضرورة تأسيس جامعة في بغداد[2]، في وقت كان فيه الملك فيصل يؤكد دائماً على أهمية التعليم ويرى أن التعليم هو أساس تقدم البلد وتطوره وبين إنَّ نجاح العرب وتحقيق أمانيهم بالاستقلال والوحدة لا يمكن نيلها الا بالعلم[3]، لأنه لاحظ عندما توج على عرش العراق ان الطبقة المتعلمة لا تتجاوز ال (1%) من مجموع سكان العراق وبناءً على ذلك ركز اهتمامه على نشر التعليم بين أبناء البلد بشكل واسع[4].
2. أدرك الملك فيصل الأول منذ الوهلة الاولى لتسلمه حكم العراق أنَّ شعب العراقي الذي سوف يتولى قيادته يحتاج الى العلم والمعرفة والنضج الفكري الذي يساعد على التخلص من الخلافات الطائفية والمذهبية، لأن الشعب العراقي تختلف انتماءاته المذهبية لذلك فهو بحاجه ماسه الى إنشاء مؤسسات علمية تأخذ على عاتقها رقي المجتمع وتطوره علمياً من أجل ان تتوحد صفوفهم لتحقيق الاستقلال والتخلص من الانتداب البريطاني الذي كان مسيطرا على مقدرات العراق الاقتصادية وان هذا الاستقلال لا يتحقق الا بوجود طبقه مثقفة ذات كفاءةٍ علمية [5].
3. إنَّ معظم العراقيين كانوا يكملون دراستهم في استانبول وذلك لعدم وجود مدارس عليا في العراق وكانوا يتحملون عناء السفر وتكاليف الدراسة مما دفع الملك فيصل منذ نشوء الحكومة العراقية وقيام الحكم الوطني الى التفكير بما يحتاج إليه البلد في الأيام القادمة والعمل على إيجاد حلول جذرية للشباب العراقي حتى يقوموا بتأدية واجباتهم الوطنية والنهوض ببلادهم والعمل على ازدهاره وتطوره علميا نتيجة حصولهم على شهادات عليا وحتى تتمكن الدولة بالاعتماد عليهم بالعمل في دوائرها الحديثة النشوء[6].

([1]) جميل، سيار كوكب (2021): الملك فيصل الاول 1883–1933 ادواره التاريخية ومشروعاته النهضوية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص٣٦١.

([2])المدرس، فهمي (1930): بيان موجز عن جامعة آل البيت الشعبة العالية الدينية، بغداد: مطبعة الآداب، ص٧.

([3]) محمد، علاء جاسم (1990): الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق 1883–1932، بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ص٢٣٥.

([4]) زكي، مأمون امين (2013): ازدهار العراق تحت الحكم الملكي ١٩٢١–١٩٥٨ دراسة تاريخيه سياسيه اجتماعيه مقارنه، لندن: دار الحكمة، ص ٦٢.

([5]) جميل، سيار كوكب، مصدر سابق، ص ٣٦٢ ؛ عز الدين، يوسف، مصدر سابق، ص١٥٧.

([6])المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص٧.

4. كانت الحكومة العراقية بحاجة ماسة لتوفير طاقات بشرية قادره على أداره البلاد والنهوض به نحو الأمام ويكون الاعتماد عليهم كنخبة متميزة قادرة على إصلاح البلاد وتقدمهم خاصة وان الدولة لا تتوفر لديها الامكانيات المادية لأرسال بعثات الى خارج البلاد[1]، وان المسألة التي يجب ان ينتهي الى حلها التعليم هي تثقيف العقول وتهذيب المشاعر والعمل على اعداد العقل لتفهم ما يتعرض للإنسان في حياته الفكرية والروحية والمادية من المعضلات والمشاكل[2].

المبحث الثاني: قرار التأسيس والتهيئة لتنفيذ المشروع:

أصدر الملك فيصل الأول في اوائل كانون الثاني 1922 قراره في المباشرة واتخاذ التدابير لإنشاء جامعة في العراق، وفي إثر ذلك تشكلت لجنة في الحادي عشر من كانون الثاني ١٩٢٢ من رجال العراق الأكفاء ومن ذوي الاختصاص من الأجانب[3]، حيث تكون فريق العمل من وزير الأوقاف محمد على فاضل[4]، ومن مستشار وزير الأوقاف المستر كوك[5]، والميجرولسن[6] مدير الأشغال

([1])جميل، سيار كوكب، مصدر سابق، ص ٣٦٢.

([2]) صحيفه البلاد، العدد ٩٢٤، ٤ آب ١٩٣٦.

([3]) مجلة الجامعة، العدد ١، ١٥ اذار، ١٩٢٦، ص٢؛ المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص٩.

([4])محمد علي فاضل، ١٨٦٤ –١٩٣٥ وهو بن حافظ بن علي بن خليل ينتهي نسبه الى الأمام علي السجاد ابن الأمام الحسن بن علي (عليهم السلام) ولد في الموصل، اتقن اللغة التركية، والفارسية واكمل دراسته على يد علماء عصره عاصر فترتين العثمانية والحكم الملكي العراقي فتقلد عده مناصب عين قاضياً عام ١٨٩٣ في زيبار في اربيل ١٨٩٥ وعضواً بمحكمه استئناف الموصل وفي ١٩٠٨ انتخب نائبا عن الموصل في مجلس المبعوثين وتم اختياره وزيرا للأوقاف في حكومة عبد الرحمن النقيب في ٢٥تشرين الاول ١٩٢٠ واحتفظت بمنصبه في الوزارة النقيبية الثانية والثالثة بعد تسلم الملك فيصل الحكم، وعين عضوا بمجلس الاعيان ١٩٢٥ وعرف بالحكمة والوقار للمزيد ينظر: بصري، مير، مصدر سابق، ج2، ص٢٢.

([5]) المستر كوك وهو ضابط في الحكومة البريطانية في العراق تسلم مناصب عده منها مدير عام للأوقاف ١٩١٩ ومستشاراً لوزارة الوقاف ١٩٢٠، وفي عام ١٩٢٩ اصبح مستشاراً لمديريه المعارف العامة، وغادر العراق ١٩٣٢ للمزيد ينظر: بيل، المس، مصدر سابق،ص٣٠٤.

([6]) الميجر ولسن هو جيمس مولسون ولسن ١٨٨٧ – ١٩٦٥ ولد في اسكتلندا وعمل كمتدرب في الكاتب المعمارية في مدينته لمدت ٥ اعوام ثم انتقل الى لندن وعمل في مكتب استشاري مما اتيح لهو فرصه الدراسة في الأكاديمية الملكية وبعدها سافر الى الهند ومارس العمل مع (لاجنس) المعماري الإنجليزي وشارك في رسم مخطط مدينه نيودلهي ووضع التصاميم لأبنيتها، وصل الى العراق مع القوات البريطانية عام ١٩١٧، وتم تعينه مديرا لدائرة الاشغال العمومية ثم تعين مديرا لدائرة الاشغال العمومية عام ١٩١٨، وفي عام ١٩٢٦ ترك العراق وعاد الى بريطانيا ومن اعماله في العراق هو الذي صمم مخطط جامعه ال البيت ووضع تصاميم مستشفى مود التذكاري في البصرة عام ١٩٢٠ وساهم في وضع مخطط ضواحي بغداد (ضاحية العلوية) ١٩٢١ كذلك صمم نادي العلوية بطلب من المس بيل عام ١٩٢١ وصمم مشروع سكه الحديد ١٩٤٧ – ١٩٥٢ ثم مستشفى المحطة العالمية في بغداد كصرح معماري مذهل ومثيرا للذهول. للمزيد ينظر: السلطاني، خالد (٢٠٠٠): رؤى معماريه، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 57

العامة، وصالح الملّي رئيس مجلس وزاره الأوقاف، ومدير الأوقاف حمدي الأعظمي، و فهمي المدرس[1].

فعرض الميجر ولسن رأيه الفني إزاء موضوع تأسيس جامعة في العراق موضحا ما يلي: [2]

1. خلو العراق من أيّ مؤسسة أكاديمية تؤهل أبنائه للعمل في مؤسساته الحكومية.
2. يقتصر التعليم في العراق على الدراسة الثانوية فقط، وإذا ما رغب أحد الطلاب أكمال دراسته فأنه يتحمل أعباء السفر وتكاليفه للحصول على شهادة عليا.
3. ونتيجة لما يعانيه العراق من أساليب تعليمية بدائية غير قادرة على خلق جيل متعلم كفوء قادر على ادارة بلاده، لذا يتوجب إنشاء هذا الصرح العلمي الكبير، لأنه يعود بالنفع على ابنائه وليصبح العراق في مصافي الدول المتقدمة علميا والنهوض بالبلاد من ظلمات الجهل والتخلف[3].

ومما تجدر الإشارة إلية إنَّ الميجر ولسن أرسل في 4 كانون الثاني 1922 تقريراً بشأن إنشاء الجامعة نسخة منه الى وزارة الأوقاف ليعلمها باكتمال الرسوم والمخططات للجامعة بناء على رغبة الملك فيصل الأول، وهذا مما يدل ان كتاب دائرة الاشغال العمومية المرقم ب و / 112 صادر قبل (قرار تأسيس اللجنة ب سبعة ايام) الذي بين فيه ضرورة إنشاء جامعة وانه قدم تقريراً مفصلاً عن الحاجه الضرورية لإنشاء هكذا صرح علمي في العراق كما انه ارسل النسخة الاخرى من التقرير الى الملك فيصل الاول ليعرض عليه كافة تفاصيل البناء والخطط والتكاليف المخمنة، فمن الملاحظ من تاريخ صدور التقرير وما جاء فيه من تفاصيل ان الملك فيصل قد طلب من ولسن دراسة المشروع وبشكل مسهب ومفصل قبل قرار تأسيس لجنة إنشاء الجامعة وجاء فيه ما يلي "أقدم صورة من التقرير الذي قدمته الى صاحب الجلالة الملك المعظم، فيما يخص الجامعة الجديدة في الاعظمية. وقد تفضل صاحب الجلالة بالموافقة على معروضاتي وكلفني ان اعرض المسألة الى معاليكم لأجراء الايجاب. واني افتكر ان اول خطوة يجب اتخاذها تقديم هذا المشروع الى مجلس الوزراء لاستحصال تصديق الحكومة الرسمي"[4].

وفق ذلك تحولت فكره إنشاء جامعه في بغداد الى حقيقة على أرض الواقع عندما اصدر مجلس الوزراء العراقي في عهد وزارة عبد الرحمن النقيب الثانية (12 أيلول 1921 – 19 أب 1922)، قراراً في 19 كانون الثاني 1922 بإنشاء جامعة في العراق نتيجة حاجة البلاد لمؤسسة

(1)عز الدين، يوسف، مصدر سابق، ص ١٦٣.
(2) د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٢٠٢٧/ 311، جامعة آل البيت، و٢، ص١١.
(3) المرجع السابق، ص11.
(4) للمزيد ينظر: د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 311/2027، جامعة آل البيت، و2، ص1.

اكاديمي تكون ملزمة بتدريس كافة العلوم والفنون الحديثة[1]، والتي اطلق عليها الملك اسم جامعة آل البيت تبركاً بآل البيت [2].

لقد منح الملك فيصل الأول هذا المشروع أهتماماً خاصاً كون فكرة إنشاء جامعة أصبحت حقيقة بعد أنْ خصصت لها الأموال ووضعت لها الرسوم واستحصلت موافقة مجلس الوزراء على إنشاء جامعة في العراق تنفيذاً لأرادته، وفق التقرير الذي قدمه الميجر ولسن والذي تضمن الرسوم والخطط والمقدرات المالية، التي كانت اغلبها خطط مبدئية لهكذا مشروع مهم وخطير، لأنه ليس من السهل رسم خطته وتقدير تكاليفه المالية دون أن يطرأ أي تغيير في المستقبل، بل كانت معظمها بشكل تقريبي لذلك قام معظم المخططين للمشروع بتشكيل لجنة عمومية واسعه تتولى رسم السياسة والكيفية التي يجب السير على نهجها، لإتمام المشرع وتطوره مع الأخذ بنظر الاعتبار ان رقي البلاد وتطوره خلال هذه المدة هي المسؤولة بإنجاز العمل على أتَمَّ وجه[3].

حظيت الرسوم والخطط المستقبلية التي وضعها ولسن لإنشاء الجامعة على استحسان الملك ورضاه، وأمر بأنْ ترسل تلك الخطط والرسوم الى وزارة الأوقاف لتتولّى امر انجاز العمل [4]، لذا قامت وزارة الأوقاف بتخصيص مبالغ مالية من ميزانيتها الخاصة لإنشاء الكلية الدينية لترقية التعليم الديني في العراق[5]، وتم اختيار الأرض المناسبة التي سوف تقام عليها الجامعة بعد إجازتها من قبل الاختصاصيين، وقرروا ان افضل مكان لبناء الجامعة ما بين مرقد الأمام ابو حنيفة النعمان وبغداد سابقاً اي في مدينة الأعظمية[6](حاليا) مجاورة للمقبرة الملكية، والتي تشغل ابنيتها في الوقت الحاضر (الجامعة العراقية)[7]، اي في بستان الطلمبة وهو أحد الأوقاف التابعة لداود باشا[8] التي تقع في

([1])عز الدين، يوسف، مصدر سابق، ص154؛ د.ك.و، البلاط لملكي، رقم الملفة 2028 /311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و6، ص6.

([2])الحسني، عبد الرزاق (1978): تاريخ الوزارات العراقية، ج١، بيروت: دار الشؤون الثقافية، ص9.

([3]) د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2027 / 311، جامعة آل البيت، و3 ص11.

([4]) د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2027/ 311، جامعة آل البيت، و5، ص11.

([5])المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص9.

([6]) الاعظمية احدى النواحي التابعة لمدينة بغداد، تقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة، تبعد عن بغداد بثلاثة اميال، عرفت في بادئ الامر بالشماسية نسبة الى شماسي الانصاري، بعدها عرفت بالأعظمية تيمناً بالأمام ابو حنيفة النعمان. للمزيد ينظر: الحسني، عبد الرزاق (1930): موجز تاريخ البلدان العربية، بغداد: مطبعة النجاح، ص42.

([7]) المرجع السابق، ص11.

([8]) وهو اخر والي مملوكي حكم بغداد (1817–1831)، من اصل كرجي مسيحي من تفليس عاصمة جورجيا، بيع في بغداد بعد اختطافه من قبل احد النخاسين فتم شراجة من قبل مصطفى الربيعي، ثم بيع الى سليمان باشا الكبير الذي الحقه بالمماليك لأنه بحاجه الى عدد جديد من المماليك، التحق بحرس سليمان الكبير، وتسلم عدة مناصب

مدينة الاعظمية[1]، والذي بلغت مساحتها أربعمائة الف متر مربع وهي مساحه شاسعة وكبيرة اي ما تعادل (٤٠هكتار)، وان هذا المساحة الكبيرة تمثل بحد ذاتها تصميماً مهماً وفريداً لان مدينه بغداد على الرغم من تاريخها وامتداده العريق لم يوجد فيها اقطاعات واسعة تحدد لأي دائرة او مؤسسة تعليمية وهذا ما انفردت به جامعة آل البيت بمساحتها الشاسعة[2].

وهناك مجموعة من المقومات الأساسية التي اعتمد عليها اقتراح هذا المكان واختياره ليكون مؤسسة أكاديمية وتمثلت تلك المقومات:

1- اتصف المكان بمساحة واسعة الأمر الذي يساعد على إضافة أبنية جديده في حال التوسع في المستقبل مما يجعله أمراً ممكناً وسهلاً.

2- تميز المكان بالهدوء والبعد عن الضوضاء بسبب صخب وضجيج مدينة بغداد.

3- توفر ظروف بيئية مناسبة تمثلت بطيبة الهواء ولطفة لأن المكان يقع على مصدر هبوب رياح صحية وبموازاة نهر دجلة مما يقلل من ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف فيكون مناخاً ملائماً بصورة عامة[3].

قدم الميجر ولسن مخططاً مرسوماً للكلية يتكون من واجهتين وحديقتين، احدهما متجه الى النهر والآخر نحو الطريق من المعظم الى بغداد، وكان يحتوي المخطط على باب كبير ومسرح كبير ومتحف ومكتبة ومجمع للإدارة، وتكون المخطط من جزئيين احدهما لمساكن الأساتذة والطلبة، أما الجزء الآخر للكليات (الشعب)، ويتم الدخول للجامعة من خلال باب كبير على طريق المعظم، وعلى جانبي الطريق توجد ساحات كبيرة لغرض ممارسة الألعاب والرياضة، واذا عبر الى الجهة الثانية يتم الدخول الى باب الصرح الكبير، وعلى جهتي الطريق هناك أبنيه الكليات(6) منها كبيرة و(4) صغيرة وان الكليات أو ما يطلق عليها بالشعب التي سوف يتم إنشاؤها في المستقبل من قبل الوزارات التابعة لها هي(الحقوق، الهندسة، الطب، الفنون، التربية والتعليم، والشعبة الدينية)، أمَّا الأبنية الأربعة الصغيرة فيتم استغلالها في أمور الألعاب وممارسة الرياضة في ساحاتها الكبيرة، أمَّا قاعاتها فيتم استغلالها لأجراء الامتحانات[4].

ادارية ولما وجد فيه من قدره على الادارة وسياسة الامور، كما زوجه ابنته الكبرى، للمزيد ينظر: نوار، عبد العزيز سليمان (1968): داود باشا والي بغداد، القاهرة: دار الكتاب العربي.

(1) احمد، ابراهيم خليل، مصدر سابق، ص٢٠١ ؛ الحصري، ساطع، مذكراتي في العراق، ج١، ص٤١٩.

(2) السلطاني، خالد (2014): عمارة الحداثة في بغداد سنوات التأسيس، بغداد: مطبعة دار الاديب،ص٨٥.

(3) المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص١١؛ السلطاني، خالد، عماره الحداثة، ص٥٨.

(4) د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٢٠٢٧ / ٣١١، جامعة آل البيت، و٣، ص12.

تتسع كلٌ كليه من الكليات الستة المزعم إنشاؤها في المستقبل حوالي (٤٠٠ طالباً) وكل صف من الصفوف يستوعب (٤٠ طالباً)، أمَّا قاعات الندوة والاجتماعات فهي تسع (٢٥٠ شخصاً)[1].

وأشار الميجر ولسن في تقريره الى طبيعة المعالجات المعمارية ونوعها التي سيبذل جهداً كبيراً بتوظيفها بشكل صحيح في تصميم بنايات الجامعة واثر هذه المعالجات في العملية التدريسية الجامعية[2].

كان نمط البناء الموضوع لهذه البناية يحاكي التراث الأسلامي الذي يدل على أصالة ماضي العراق وتاريخه العريق الذي امتد تأثيره على معظم بلدان العالم المتحضر وكان يأمل استخدام أجود أنواع المواد الطبيعية المتوفرة في العراق، وقد جاء البناء كطليعة نهضةٍ عربيةٍ في الفنون الحديثة[3]، وكما كان هنالك اقتراح ربط مدينة بغداد بواسطة خط (ترامواي) لتسهيل عمليه النقل بين الجامعة و مدينة بغداد على أن يتم إنشاء هذا الخط بعد اكتمال بناء الجامعة و أشغال مبانيها وفق التصاميم التي وضعها جيمس ولسن وكان تصميم الجامعة في غاية الروعة المعمارية التي جمعت بين الحداثة والتراث الأسلامي[4].

ومن خلال ما تقدم يتضح أنَّ صاحب الفكرة هو الملك فيصل وان الميجر ولسن بالنظر الى المنصب الذي كان يشغله في دائرة الأشغال العمومية كلف بدراسة المشروع، وقد رأى ولسن بأن هذا العمل يتفق مع اهتمامه وطموحه الكبيرين لهذا اعطى هذه الفكرة الكثير من الأفكار والمقترحات وأكد ضرورة بناء هذا الصرح العلمي لما له من أهمية تعود بثمارها على أبناء العراق وتقدمه علمياً.

أمَّا ما يخص التكاليف المالية المقدرة لبناء الجامعة فأن بالتأكيد بناء صرح علمي كبير ومهم ستكون تقدير نفقاته على التخمين، لأنه سينفذ بسلسلة متدرجة وعلى شكل مراحل بالنظر الى الأمور المتعلقة بأسعار المواد المستخدمة في البناء والأجور التي تدفع للعمال في ظروف غير مستقرة وأسعار متقلبة، ولهذا كان من المتعذر وغير الممكن وضع تقديره الأموال وبشكل جازم[5].

مع ذلك، وضع المهندسون وذوو الاختصاص تقدير مالي للأبنية المقرر انشاؤها وهي:

1- الكلية الدينية.

([1])المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص ١٠.

([2])السلطاني، خالد، عماره الحداثة، ص ٥٤.

([3]) د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة، ٢٠٢٧ /٣١١، جامعة آل البيت، و٣، ص١٢.

([4])السلطاني، خالد، عماره الحداثة، ص ٥٨ ؛ ابو طبيخ، جميل (٢٠٠٨): مذكرات بغداد مراجعة في تاريخ الصراع الطائفي والعنصري ٦٧٢م، ٢٠٠٧م، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص١٢٧ – ١٢٩.

([5])المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص١٠.

2- الصرح المركزي.

3- الاقسام الداخلية.

ولتوضيح التكلفة المقدرة ينظر الى الجدول التالي:

الموقع	اقل تقدير مالي	اقصى تقدير مالي	التقدير المالي الاقل	اقصى تقدير
الكلية الدينية	300000 روبية	400000 روبية	22500 دينار	30000 دينار
المجموع	1200000 روبية	1550000 روبية	900000 دينار	116250 دينار

وقد تم تقدير نفقات المشروع بشكل كامل بين (٤ الى ٥ ملايين روبية)[1].

أي ما يعادل بالدينار العراقي (ثلاثمائة الف دينار / وثلاثمائة وخمسة وسبعون ديناراً) والتي يمكن أن توزع على إجمالي سنوات البناء وفق ظروف البلاد المالية[2]، واقترح إن من الافضل ان يتم صرف مبلغ مالي قدره (خمسمائة الف روبية) سنوياً اي ما يعادل بالدينار العراقي (ثلاثمائة وخمسة وسبعون الف دينار) سنوياً الى ان يتم اتمام العمل بشكل نهائي[3].

تكفلت وزاره الأوقاف بتوفير الأموال اللازمة لإنشاء الكلية الدينية والصرح المركزي وما يتبعها من الأبنية والمرافق الأخرى التابعة للجامعة، وقد رصدت مبلغ يقدر بـ (١٢٨٥٠٠٠ روبية) اي ما يوازي بالدينار العراقي (٩٦٣٧٥ ديناراً)، وان تتولى كل وزارة توفير الأموال وتأسيس الكليات التابعة لها على أن يكتمل البناء خلال(٤ اعوام) كحد اقصى[4].

قامت وزارة الأوقاف برصد مبالغ مالية في ميزانيتها من أجل المباشرة بالبناء(الجدول التالي يوضح الأموال التي وفرتها وزارة الأوقاف خلال السنوات الأربعة)[5]:

الأعوام	المبالغ المالية بالروبية	المبالغ المالية بالدينار
السنة الاولى والثانية	375000	28125
السنة الثالثة والرابعة	1750000	13125
المجموع	550000	41250

(1) د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة ٢٠٢٧ /٣١١، جامعة آل البيت، و٣، ص١٣.
(2) جميل، سيار كوكب (٢٠١٢): جامعة آل البيت في العراق ١٩٢٤ -١٩٣٠،بغداد: دار الضفاف، ص١٢٦.
(3)المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص١١.
(4) المرجع السابق، ص١٣.
(5) المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص11؛ الجميل، سيار كوكب، جامعة آل البيت، ص١٢٧.

واعطي حق للوزارة ان تنفق اكثر من الأموال المخصصة للأنفاق السنوي في حال توفرت أموال إضافية لديها لغرض الاسراع بالعمل[1]، وقد صدرت موافقة مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في 19 كانون الثاني ١٩٢٢ على الكتاب المرسل من قبل وزارة الأوقاف المرقم ب(١٣٠٥) والمؤرخ في ١١ كانون الثاني ١٩٢٢ بالاقتراح المقدم بالمبالغ المخصصة للأعوام الأربعة المتتالية لإنشاء الكلية الدينية والصرح المركزي والأقسام الداخلية على أن تصرف المبالغ المالية ابتداء من سنه ١٩٢٢ وان الجدول التالي يوضح لنا الأموال التي تمت موافقة مجلس الوزراء بصرفها لغرض إنشاء الجامعة ومرافقها الحيوية وهو كما يلي[2]:

السنوات	الاعوام	المبالغ بالروبية	المبالغ بالدينار
السنة الاولى	1922	325000روبية	24375 دينارا
السنة الثانية	1923	325000روبية	24375 دينارا
السنة الثالثة	1924	285000روبية	21375 دينارا
السنة الرابعة	1925	225000روبية	16875 دينارا
المجموع		1160000 روبية	87000 دينارا

المبحث الثالث: تنفيذ مشروع الجامعة وافتتاحها

1- المباشرة بالعمل:

بعد صدور قرار مجلس الوزراء في 19 كانون الثاني ١٩٢٢[3]، باشرت وزارة الأوقاف بتشييد الكلية الدينية من جامعة آل البيت في ٧ نيسان ١٩٢٢[4]، وقد صادف هذه اليوم العيد السادس للثورة العربية 1916 فانتهزت وزارة الأوقاف هذه الفرصة بوضع الحجر الأساس لجامعة آل البيت تخليداً منها للذكرى السنوية للثورة العربية[5]، فأعدت المعدات و جهزتها و نصبت الخيام في حديقة الجامعة، ووضعت الخرائط و التصاميم التي سوف يتم إنجازها لبناء الجامعة كي توضح للحضور الأقسام (الستة) التي تتكون منها الجامعة[6]، وحضر الحفل الملك فيصل الأول ورجال الدولة والأعيان

(1)المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص12.

(2) الجدول من اعداد الباحثة بالاعتماد على د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة ٢٤٢٣/ ٣١١، مقررات مجلس الوزراء ١٩٢٢، و١٦، ص٢٢.

(3)د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة ٢٤٢٣ /٣١١، مقررات مجلس الوزراء ١٩٢٢، و ١٦، ص ٢٢.

(4) د.ك.و، البلاط الملكي،٢٠٢٨ /٣١١، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و١١، ص١٣؛ د.ك.و، وزارة الأوقاف،٣٢١٦ /٢٦٢، جامعة آل البيت وهيئة الامتحان، و١، ص٢.

(5)الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات، ج١، ص٩١ –٩٢ ؛ الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص١١.

(6)المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص١٢.

والأشراف من رجال العراق والمعتمد السامي البريطاني السير برسي كوكس[1]، فضلاً عن العلماء والأدباء العراقيين[2]، وبدأ وزير الأوقاف محمد علي فاضل بإلقاء خطبته التي جاء فيها:

"مضى زمن على بغداد وهي أعظم عاصمه في العراق تستضيء بأنوار علومها الأمصار، وتشد الى معاهدها الرحال حتى أن التاريخ كان يعترف بعجزه عن وصفها، وكنا نقف أمامه وقفت مرتاب لولا ان رأينا بأعيننا المستنصرية وأمثالها من الآثار الجليلة غير ان الخلل تطرق إليها في القرون السالفة تحت عوامل شتى يعلمها الجميع. ولما أراد الله عز وجل أعادت مجدها القديم ألهم جلالة سيدنا الملك المعظم أدام الله سلطانه أن يفكر في حالتها السالفة والحاضرة، فرأى بعين الحكمة أن انجح واسطه لأعاده ذلك المجد، وإحياء تلك المعاهد تشيد جامعه تدرس فيها العلوم الدينية والفنون العصرية، فأمر بتشييدها أدام الله بقاءه باسم (جامعه آل البيت) فأعد لها هذا المكان، واستحضرت اللوازم للشروع بتأسيسها، أحضرت أسطوانة خزن فيها تصوير جلالته الموشح بتوقيعه وخريطة الجامعة، وخريطة الكلية الدينية وصحف العاصمة، وبيان تأريخي مكتوب على رق، وأنواع النقود، وهذا أول الشروع، باسم الله الملك المعين" [3].

بعد انتهاء الوزير من إلقاء خطبته سلم الملك الأسطوانة المختومة بالرصاص فوضعها بيده في الاساس ودق على حجر الزاوية وهو يردد " كل عمل لا يشيد على اساس متين كهذا الاساس لا تقوم له قائمة وها اني اضع الحجر الأساسي في أول جامعة تشاد في هذا البلد واؤمل ان تقدرها الأمة العزيزة حق قدرها وتعنى بتأسيس الجامعات الكثيرة أمثالها وارقى منها تستعيد مجدها التاريخي وغارب عزها القديم وتتنسم مكانة رفيعة في عالم العلم والادب والفن "[2].

(1) السير برسي كوكس ١٨٦٤ –١٩٣٧ ولد في بريطانيا وتلقى تعليمه العسكري في الأكاديمية الملكية العسكرية وخدم في الجيش البريطاني في الهند حتى عام ١٨٩٠، وتقلد مناصب عده منها وكيلاً سياسيا لبلاده في مسقط ومقيم في منطقه الخليج العربي، وتم تعينه قنصلاً في بوشهر عام ١٩٠٩، واصبح رئيسا للضباط في الحملة العسكرية البريطانية التي احتلت العراق ١٩١٧ وعين حاكم سياسيا في العراق ثم اصبح سفيرا لبلاده عام ١٩١٨ في طهران، وقد استدعته الحكومة البريطانية وعينته مندوبا ساميا في بغداد بعد ثوره العشرين ضد الاحتلال البريطاني (1920 – 1923) وللمزيد ينظر: ذويب، منتهى عذاب(1995): برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية 1864 – 1923، بغداد: جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة.

(2)الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص١١.

(3)د.ك.و، وزاره الأوقاف، رقم الملفة ٣٢١٦ /٢٦٢، جامعة آل البيت وهيئة الامتحان، و٦، ص٧.

ومن جانبها ارتأت وزارة الأوقاف كتابة بعض العبارات والآيات القرآنية الدالة على العلم وتحث عليه ووضعها على أعالي جدران الكلية الدينية وارسلت بكتابها المؤرخ في 2 تشرين الاول 1923 الى الملك باختيار افضلها واحسنها حسب رأيه[1]

عرض الأمر على الملك فيصل الاول ووافق على ما ارتأته وزارة الأوقاف وامر ان تنقش الصفائح بآيات قرانيه من كتاب الله الكريم وتوضع في اعالي الكلية العالية الدينية[2].

وفضل الملك الآيات القرآنية التي تحث على العلم والمعرفة[3]. فاستحسن الآيات القرآنية التالية: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122) و ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: 9)[4].

تم تنفيذ ما أمر به فيصل الاول بإجراء بعض التغيرات للرسوم والكتابات التي سوف توضع في واجهة جامعة آل البيت وعلى جانبيها[5]، وقد بدأ العمال الشروع بالعمل والمباشرة في بناء الكلية الدينية والصرح المركزي، وقد لاحظ الملك فيصل ان هناك تأخير وتكاسل في التنفيذ الامر الذي دفعه الى متابعة سير العمل اول بأول واخذ يحث على الاسراع واتمام العمل بالشكل المتفق علية وبأسرع ما يمكن[6]، وبناء على ذلك ارسل رئيس الديوان الملكي كتاب الى وزارة الأوقاف وبأمر من الملك لمعرفة سبب التباطؤ في الأنجاز، حيث بعث بكتاب في 10 أيلول 1923 الى مجلس الوزراء

([1]) د.ك.و، وزارة الأوقاف، رقم الملفة 3216/ 262، جامعة آل البيت وهيئة الامتحان، و 1 ص1 ؛ د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و12، ص12 ؛ و13، ص15. ؛ مؤسسة كاشف الغطاء العامة، العراق، النجف.

([2]) د.ك.و، وزارة الأوقاف، رقم الملفة 3216 / 262، جامعة آل البيت وهيئة الامتحان، و2، ص3 ؛ د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 /311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و11،ص11؛ مؤسسة كاشف الغطاء العامة، النجف.

([3]) د.ك.و، وزارة الأوقاف، رقم الملفة 3216 / 262، جامعة آل البيت وهيئة الامتحان، و5، ص6 ؛د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و 12،ص14؛ مؤسسة كاشف الغطاء العامة، النجف.

([4]) د.ك.و، وزارة الأوقاف، رقم الملفة 3216/ 262، جامعة آل البيت وهيئة الامتحان و 4، ص5 ؛ و3، ص4 ؛ و12، ص14؛ د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028/ 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و14،ص16؛ مؤسسة كاشف الغطاء العامة، العراق، النجف.

([5]) د.ك.و، وزارة الأوقاف، رقم الملفة 3216/ 262، جامعة آل البيت وهيئة الامتحان، و10، ص16 ؛ مؤسسة كاشف الغطاء العامة، العراق، النجف.

([6]) الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني 1921 – 1932، مراجعة عايد حبيب خليل العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، بغداد، 2007، ص282.

لمعرفة ما يدور من كلام حول بناء جامعة آل البيت وما تجري من مناقشات شفوية عن مستقبل الجامعة وما كانت تنويه وزارة الأوقاف بأن تطوي أمر الصرح وتشرع ببناء الكليات الأُخرى وأنَّها أخذت تتماهل في إنشاء الصرح المركزي واعدت مضابطاً تلتمس فيها التراجع عن ما تعهدت به وان تباشر العمل بإنشاء كلية بدلاً عنه[1].

وبناءً على هذه المخاطبة بدأت وزارة الأوقاف باتخاذ التدابير والإجراءات الضرورية لإكمال ما تعهدت ببنائه وفي اقرب وقت[2]، وأكد الملك فيصل إصراره على أكمال البناء من قبل وزارة الأوقاف وعلى وجه السرعة[3]، وقد صدرت كتب كثيرة من رئاسة الديوان الملكي الى وزارة الأوقاف لتحثها على بناء الصرح والاطلاع على التفاصيل المتعلقة بأمر الكلية الدينية والصرح المركزي[4]، ومعرفة الأموال المخصصة في ميزانية (1923)لإنشاء الجامعة وما تم صرفة من أموال على البناء[5]، فأرسلت وزارة الأوقاف رداً على ما تم طلبه من قبل الملك فيصل بأن ما خصص من ميزانية 1922 و1923 هو (650000 روبية) ولكل سنة (325000 روبية) وما تم صرفة لغاية 27 ايلول 1923 (456046 روبية) و (7 آنات) و ما تم صرفه على الكلية الدينية (419918 روبية) و(8 آنات) وما صرف على العمال (36127 روبية) و(15 آنة) للذين حفروا أساس الصرح وقيمة المواد التي تم شراؤها[6]، وان المبلغ اللازم لإكمال بناء الكلية الدينية وملاحقها كالمسجد والأقسام الداخلية للطلاب والاثاث والماء والتنوير وتعبيد الطرق المؤدية الى الجامعة تقدر بـ (298000 روبية) بزيادة (143 267 روبية) عن المبلغ المتبقي، وأنَّ وزارة الأوقاف سوف تقتصد بصرف الأموال في المباني الخاصة بمساكن الطلاب والعمل على الاختصار بالبناء بما تبقى من أموال وانها تتوقع بأنَّ انجاز العمل بشكل كامل سوف يتم في غضون (4أشهر)[7].

على وفق ذلك ارسل الملك كتاباً الى وزارة الأوقاف بإكمال الكلية الدينية والشروع بوضع اساس الصرح المركزي من جامعة آل البيت، وان ما تبقى من المال في الميزانية هو أكثر ما يلزم اكمال الكلية الدينية وعلى وزارة الأوقاف أنْ تخصص (60000 روبية) لوضع حجر أساس الصرح

([1])د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و8، ص8.

([2]) المرجع السابق، ص8.

([3]) د.ك.و، وزارة الداخلية الديوان، رقم الملفة 2033 / 32050، كلية ال البيت، و 22، ص24؛ د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و16، ص18 ؛ و9، ص9.

([4]) د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و 4 ص4.

([5]) د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و3، ص3.

([6])د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و 2، ص2 ؛ و18، ص21.

([7]) د.ك.و، وزارة الداخلية الديوان، رقم الملفة 2033 / 32050، كلية ال البيت، و 21، ص23.

والبدء بالعمل، لأن الملك علم من الميجر ولسن ان هذا المبلغ من المال يكفي لإنشاء الصرح[1]، وأكد مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في 17 كانون الاول 1923على وزارة الأوقاف بأنْ تشرع في بناء الصرح بعد اتمام بناء الكلية الدينية خلال السنة المالية الحاضرة[2]، ونتيجة اصرار الملك على المباشرة ببناء الصرح من قبل وزارة الأوقاف أرسل كتاباً في 3 تشرين الاول 1923 وتأكيداً لطلبة قرر مجلس الوزراء الشروع في البناء[3].

وفي 2 كانون الثاني 1924 ارسل الملك كتاباً الى وزارة الأوقاف بانه يأمل أن يتم افتتاح الكلية الدينية من جامعة آل البيت بعد نحو شهرين وفي نفس الوقت وضع الحجر الأساس للصرح في نفس اليوم[4].

2- مراسيم حفل افتتاح الكلية الدينية ووضع حجر الاساس للصرح المركزي

اكملت وزارة الأوقاف بناء الكلية الدينية بعد مرور عامين متتاليين من العمل المتواصل والمضني تحت الأشراف المباشر والمتابعة المستمرة من قبل الملك فيصل الذي قام بافتتاح الكلية الدينية في يوم 6 اذار 1924، بناءً على قرار مجلس الوزراء بافتتاحها بهذا اليوم، الذي اطلقت عليه الصحف العراقية (يوم الجامعة) و (عيد الامة) كونه شهد إنشاء اول جامعة عراقية حديثة، وباشر الملك بفتح بوابة الكلية الدينية بمفتاح مصنوع من الذهب[5]، كتب على الجانب الاول من المفتاح "**افتتح جلالة فيصل** الأول **ملك العراق بهذا المفتاح**" و على الجانب الاخر "**القسم الديني من جامعة آل البيت**"[6].

(1) د.ك.و، وزارة الداخلية الديوان، رقم الملفة 2033 / 32050، كلية ال البيت، و23، ص25 ؛ د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 /311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و1،ص1.

(2) د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 /311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و18،ص21.

(3) د.ك.و، وزارة الداخلية، رقم الملفة 2033/ 32050، كلية ال البيت، و 22، ص24؛ د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و16، ص18.

(4) د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 /311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و23، ص27.

(5)د.ك.و، وزارة الداخلية الديوان، رقم الملفة 2033 / 32050، كلية ال البيت، و17، ص19 ؛ جريدة الاستقلال (بغداد)، العدد 383، 16 اذار 1924 ؛ الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في عهد الانتداب البريطاني، مصدر سابق، ص283.

(6)د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و27، ص12.

وفي نفس اليوم وضع الملك فيصل الحجر الأساس للصرح المركزي الذي صادف عيد النهضة العربية[1][2]، ودق حجر الزاوية للصرح المركزي بفأس مصنوع من الفضة[3]، ودق اربع دقات قائلاً عند كلا منها "**بسم الله الرحمن الرحيم بحول الله وقوته أسس هذا الصرح**" فتعالت أصوات الحاضرين بالدعاء والثناء للملك وقد شهدت بغداد يوماً تاريخياً مشهوداً وبارزاً بافتتاح أول جامعة في العراق[4]، جرى في هذا اليوم حفلٌ كبيرٌ حضره الملك فيصل ورجال الدولة من الاعيان والعلماء وطلاب المدارس العالية وتلاميذ المدارس وفرق الكشافة والمعتمد السامي البريطاني هنري دوبس[5] فضلاً عن عدداً من الموظفين الاجانب في حديقة الجامعة التي تزينت بالأعلام والفرش الثمينة وكل مظاهر الابتهاج بهذا اليوم وقد اكتظت الحديقة بالحضور الذين علقوا على صدورهم رمز الجامعة "**شعار يدعى روزه**" الذي تمثل بزهرة من حرير ملونه بالألوان العلم العربي تتكون من شريطين كتب على الجانب الأول "**تذكار جامعة آل البيت**" أمَّا الجانب الاخر "**1342هـ**" الذي قدمها طلاب دار المعلمين للوافدين للاحتفال[6].

(1) وهي التسمية التي اطلقت على الثورة العربية الكبرى التي قادها العرب ضد العثمانيين في(التاسع من شعبان 1334) والتي اطلق رصاصتها الشريف حسين بن علي للتخلص من الاضطهاد العثماني واسقاط حكمه، وانطلقت شرارتها الاولى من مكة المكرمة لتمتد لتشمل الحجاز وبلاد السام والعراق للمزيد ينظر: جمعية عربية سرية(1991): ثورة العرب الكبرى 1916، ط2، عمان.

(2)د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2028 / 311، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف، و 24، ص29 ؛ جريدة الاستقلال، العدد 384، 17 اذار 1924.

(3)المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص13.

(4) د.ك.و، وزارة الداخلية الديوان، رقم الملفة 2033 / 32050، كلية ال البيت، و 18، ص20.

(5) هنري دوبس (1871– 1934) ذو اصول ايرلندية، ولد في بريطانيا واكمل دراسته في جامعة اكسفورد البريطانية، ليتولى ادارة الشؤون الادارية والسياسية في الشرق (الهند، ايران، الخليج العربي، افغانستان)، ثم تم تعينه مندوباً سامياً للعراق خلفاً لبرسي كوكس عام 1923 وبقى في هذا المنصب لغاية 1929 للمزيد ينظر: السلمان، انعام مهدي علي(1997): هنري دوبس واثره في السياسة العراقية 1923–1929، بغداد: جامعة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة.

(6) الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص13 ؛ المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص13 ؛الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في عهد الانتداب البريطاني، ص283.

وأثناء مراسيم الاحتفال تلى مدير الأوقاف عطا الخطيب[1]، خطبة وزير الأوقاف صالح باش أعيان[2] نيابة عنه، أوضح فيها مدى أهمية وفائدة الجامعة وضرورتها في حياة ابناء العراق ومستقبلهم[3]،واستعرض الجهود التي بذلتها وزارة الأوقاف من اجل إنجاز هذا الصرح العلمي، وبين أنَّ الكلية الدينية اكتمل بناؤها خلال(سنتين) وفق الخرائط والرسوم التي وضعها ذوو الاختصاص من المهندسين البريطانيين وفي مقدمتهم (الميجر ولسن والميجر ميسن والمستر ترنو) بناء على رغبة الملك لإنشاء هذا الصرح العلمي العظيم وقد أوضح كذلك أثناء الخطبة التكاليف المالية التي انفقت للبناء والتي قدرت بـ (خمسمائة وتسعة وسبعون الف روبية وروبيتان وعشر آنات)[4].

ومن الجدير بالذكر أن مراسيم وضع حجر الأساس للصرح المركزي قد جرت قبل مراسيم افتتاح الكلية الدينية[5]، حيث قدم وزير الأوقاف الى الملك فيصل الأسطوانة التي وضعت فيها ثلاثة خرائط (خريطة الجامعة، الكلية الدينية، الصرح المركزي) وكتب على خريطة الكلية الدينية تم انشاؤها في "التاسع من شعبان 1342 هـ" اما خريطة الصرح المركزي كتب عليها "باشر بإنشائها في التاسع من شعبان 1342" وكذلك وضعت فيها عددا من الطوابع والصحف المحلية[6].

وفي هذا الشأن اثنى الملك فيصل على وزارة الأوقاف لجهودها التي بذلتها في اتمام بناء الكلية الدينية وملاحقها وبين انه يأمل من وزارة الأوقاف الاستمرار في هذه الجهود الحثيثة لتشييد

([1]) عطا الخطيب (1886 – 1929) هو عطا بن محمد جميل بن عبد القدار ولد في ديالى في مدينة (شهربان)، انتقل مع ابوه الى بغداد عندما كلف بإدارة بلدية بغداد 1891 التحق بالمدرسة الرشدية في بغداد لمدة عام ثم انتقل العمارة مع جده، وبعد وفاة جدة سافر الى البصرة ملتحقا بابية اكمل دراسته فيها، ثم رجع لبغداد عام 1900 والتحق بمدرسة الحقوق لكنه لم يكمل دراسته فيها بسبب قيام الحرب العالمية الاولى آنذاك، عين عام 1908 مدرسا ولمدة ثمانية اعوام في الاعدادية الملكية، اصدر جريدة صدى الاسلام بثلاث لغات (عربية وتركية وفارسية) وفي عام 1916 اصبح نقيباً لبغداد، وفي عام 1920 اختير لإدارة مديرية الأوقاف، وفي عام 1928 انتخب نائباً في مجلس النواب عن لواء الكوت.للمزيد ينظر: الجبوري، كامل سلمان (2003): معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، ج4، بيروت: دار الكتب العلمية، ص223 ؛ المطبعي، حميد، مصدر سابق، ص141.

([2]) صالح باش اعيان (1874 – 1946) وهو محمد صالح بن عبد الله ضياء الدين، ولد في البصرة واكمل دراسته فيها وانظم الى المدرسة الرشدية، وتقلد مناصب ادارية فيها، ثم انتقل الى استنبول عاد الى العراق بعد الاحتلال البريطاني منها وزارة الأوقاف في وزارة جعفر العسكري الاولى عام 1923، عضو في مجلس الاعيان 1925، نائباً عن البصرة والعمارة، وعضواً في مجلس الاعيان 1939، ورئيساً لمجلس الاعيان عام 194 – 1945. للمزيد ينظر: بصري، مير، مصدر سابق، ج 2، ص48–49.

([3]) د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملفة 2027 / 311، جامعة آل البيت، و 31، ص37 ؛ د.ك.و، وزارة الداخلية الديوان، رقم الملفة 2033 / 32050، كلية آل البيت، و17، ص19.

([4]) الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص 13.

([5])د.ك.و، البلاط الملكي، رقم الملف 2027 /311، جامعة آل البيت، و31، ص37.

([6])المدرس، فهمي، مصدر سابق، ص13 – 14.

باقي فروع الجامعة التابعة للوزرات الأخرى من أجل رفع مكانة العراق العلمية وقد تم هذا الحفل في زمن وزارة جعفر العسكري الأولى (22 تشرين الثاني 1923 – 2 اب 1924)[1]، وبهذه الطريق كرس الملك أهتمامه بتأسيس الجامعة ووفرت وزارة الأوقاف الأموال اللازمة لغرض إنجاز البناء وبأسرع وقت[2].

ولابد من الاشارة الى أنَّ وزارة الآثار كانت حريصة بالحفاظ على العاديات الأثرية للجامعة لذا أرسلت بواسطة مديرتها(المس بيل)[3] بكتاب الى وزارة الأوقاف بتجهيز مكان خاص لحفظ تلك العاديات والآثار التي يجري التنقيب والبحث عنها بناء على طلب الملك فيصل بوصها من الآثار المهمة والتي لا يمكن التخلي عنها والاستهانة بها كوثائق تخص الحكومة العراقية لأجل الاحتفاظ بها داخل الكلية الدينية[4]، وقد تم بناء وتجهيز احدى الغرف الدينية من جامعة آل البيت في25 تشرين الثاني1923وجعلها صالحة لحفظ تلك الآثار بناء على طلب مديرة الآثار[5]، وجرى البحث عن تلك الآثار التي كانت تخص جامعة آل البيت وأرسلت مديرة الآثار بكتاب الى وزارة الأوقاف من اجل تأييدها بحفظ تلك المواد التاريخية في دائرة الآثار وان تحافظ عليها من التلف على مرور الزمن لكن وزارة الأوقاف العامة لم تحتفظ بتلك الآثار فأرسلت الى مديرية الآثار تخبرها بأنها حققت عن الفأس والمفتاح التي يجري البحث عنهما وكانت نتيجة البحث والتحقق عن الآثار هي عدم وجود اي اثر لتلك الآثار في مديرية الأوقاف وكما تبين ان وزارة الأوقاف لم تحتفظ بهما في وقتها[6].

([1]) الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص14.

([2])لونكريك، ستيفن همبسلي (1988): العراق الحديث من سنة 1900 الى سنة 1950، ترجمة: سليم طه التكريتي، ج1، بغداد: منشورات الفجر، ص276.

([3]) المس بيل (كرتروبل) وهي فرترود مرفريت لوثيان بيل ولدة عام 1868 في بريطانيا واكملت دراستها الاولية في كلية الملكية في لندن، بعدها التحقت بجامعة اكسفورد وعمرها 17 عاما و حصلت على شهادة التفوق في التاريخ سنة 1887، واتقنت اللغة العربية التي استهوتها لذلك تعلمت قواعدها فضلاً عن تعلمها اللغة الفرنسية والالمانية و الفارسية، وفي عام 1899 زارت الشرق الاوسط وفي مقدمة البلدان العربية التي زارتها فلسطين وسوريا وفي عام 1909 وصلت الى العراق واجرت مسحاً من الشمال الى الجنوب والتقت هنا بالسير برسي كوكس لأول مرة في دار القنصل البريطاني في بغداد المستر ريجموند وغادرت العراق الى سوريا، وعند قيام الحرب العالمية الاولى دعتها المخابرات البريطانية بمهمة رسمية باعتبارها ذات خبرة في مشاكل وشؤون السياسة العربية فالتحقت بالحملة العسكرية التي احتلت العراق ودخلت الى بغداد مع الجيش البريطاني في 11 اذار 1917 وبقيت في العراق الى ان توفت في عام 1926 ودفنت في المقبرة التي تقع في ساحة الطيران في بغداد. للمزيد ينظر: بيل، المس (2003): العراق في رسائل المس بيل (1917–1926)، ترجمة وتعليق: جعفر الخياط وتقديم عبد الحميد العلوجي، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ص13–19.

([4])د.ك.و.، الأوقاف العامة، رقم الملفة 3216/ 97، كلية آل البيت، و1، ص1.

([5])د.ك.و، الأوقاف العامة، رقم الملفة 3216/ 97، كلية آل البيت، و2،ص2.

([6]) الدجيلي، حسن، مصدر سابق، ص16.

الخاتمة:

إن السياسة التي تبعها الملك فيصل الأول منذ توليه حكم العراق بناء جميع مؤسسات الدولة وتطورها، فأدرك أن أساس تطور المجتمع بناء مؤسساته التعليمية والنهوض بها، فكانت أول خطواته بناء أول جامعة في العراق والتي كان لها حدثاً تاريخياً مهماً في تاريخ العراق المعاصر، لما لها من دور كبير في تخريج نخبة من ابناء العراق الذين اصبح لهم دور في بناء مؤسسات للبلاد على الرغم من عدم استمرارها بعملها الأكاديمي، لاكنها خلال تجربتها العلمية التي استمرت 7 سنوات تمكنت من تحقيق نتاجات فكرية وثقافية على ارض الواقع.

من خلال ما تم عرضه اتضحت بعض النتائج التي يمكن تلخيصها كالآتي:

1. إن ظهور فكرة إنشاء جامعة عراقية منذ بدايات القرن العشرين فهو يدل على مدى الوعي الفكري والثقافي لأبناء العراق.

2. إن تبني الملك فيصل الأول فكرة إنشاء أول جامعة في العراق منذ تسلمه عرش العراق يوضح مدى إدراكه لحاجة أبناء العراق لهكذا صرح علمي.

3. كان العراق سباقاً في مضمار التعليم العالي.

4. هدف الملك الأساسي هو توسيع التعليم وتطوره لخلق جيل متعلم قادر على ادارة بلادة نحو الأمام.

5. لاحظ الباحث مدى تفاني الملك فيصل الاول ورجال العراق المخلصين لبناء الصرح العلمي في وقت كان يعاني العراق من ضعف في سير الحركة التعليمية بسبب ما خلفه الحكم العثماني.

6. حاول الملك فيصل الأول بناء دولة متكاملة في جميع مؤسساتها منذ بداية تأسيسها بالرغم مما كان يواجه العراق من تحديات في جميع الأصعدة.

التوصيات:

1. لابد من استلهام العبر من تاريخ امتنا وامجادها وما خلفه أجدادنا القدماء من علماء ومفكرين الذين برعوا في مجال التعليم والسير على خطاهم لتحقيق التطور العلمي للبلاد.
2. أن النهوض بالبلاد واصلاحها وتقدمها منوطٌ بالتعليم، فأن تطور الأمم وأزدهارها يقاس بتقدم التعليم بين ابنائها.
3. أن التعليم هو المحور الأساسي للأصلاح والبناء وإقامة جيل مثقف قادر على النهوض ببلاده نحو بناء مستقبل زاهر.

4. المساهمة قدر الأمكان في بناء جيل متعلم، فكلاً من موقعه يعمل على نشر العلم وتطوره، لأرساء قواعده بالشكل الذي يساعد على ازدهار الحركة التعليمية في البلاد.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: الوثائق الرسمية غير المنشورة

- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة 311/2027، جامعة آل البيت.
- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة 311/2423، مقررات مجلس الوزراء 1921.
- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة 311/2028، جامعة آل البيت ومدارس الأوقاف.
- د.ك.و، ملفات وزارة الأوقاف، رقم الملفة 262/3216، جامعة آل البيت وهيئة الامتحان.
- د.ك.و، ملفات وزارة الداخلية الديوان، رقم الملفة 32050/2033، كلية آل البيت.
- د.ك.و، ملفات وزارة الأوقاف، رقم الملفة97/3216، كلية آل البيت.
- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملفة، 2422 / 311، قرارات مجلس الوزراء لعام 1921–1922.
- ملفات مؤسسة كاشف الغطاء العامة، العراق، النجف.

ثانياً: الوثائق الرسمية المنشورة

- وزارة المعارف، التقرير السنوي لسير المعارف لعام 1930 – 1931، مطبعة الحكومة، بغداد، 1934.
- وزارة المعارف، التقرير السنوي لسير المعارف لعام 1927 – 1928، مطبعة الحكومة، بغداد،1928.
- وزارة المعارف، التقرير السنوي لسير المعارف لعام 1928 – 1929، مطبعة الحكومة، بغداد،1929.
- وزارة المعارف، التقرير السنوي لسير المعارف لعام 1930 – 1933، مطبعة الحكومة، بغداد، 1934.
- وزارة المعارف، التقرير السنوي لسير المعارف لعام 1949 – 1950، مطبعة الرابطة، بغداد، 1951.

الرسائل والأطاريح الجامعية غير المنشورة:

- انعام مهدي علي السلمان، هنري دوبس واثره في السياسة العراقية 1923–1929، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 1997.
- إيمان مصطفى خلف المحمداوي، التعليم العالي في العراق 1956 – 1970 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 2008.
- تغريد عباس رشيد السعدي، كلية الحقوق العراقية 1928 – 1958 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 2013.
- جعفر محمود سلمان، فهمي المدرس ونشاطه الثقافي والسياسي في العراق ١٨٧٣–١٩٤٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعه ديالى،٢٠١٥.
- حيدر غانم عبد الحسن، موقف المجلس النيابي العراقي من حركة التعلم في العراق 1925 – 1939 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة، 2011.
- سهير هاتف حمد الجشعمي، تطور التعليم الصحي في العراق " الكلية الطبية الملكية العراقية انموذجاً " 1927 – 1958 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،2012.
- صالح محمد حاتم، تطور التعليم في العراق 1945 – 1958 دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 1949.
- محمد احمد ابراهيم، جامعة ديالى ونشاطها الفكري والثقافي وتأثيرها في محيطها المحلي 1999 – 2008، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ديالى، 2020.
- منتهى عذاب ذويب، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية 1864 – 1923، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1995.
- ميسون باقر مهدي، التعليم العالي في العراق (نشأته، مسيرته، ملامح تطوره)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 2015.

الكتب العربية والمعربة:

- ابراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق 1869–1932، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، 1982.
- توفيق السويدي، مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، الذاكرة، بغداد، 2011.

- جمعية عربية سرية، ثورة العرب الكبرى 1916، ط2، الاردن، 1991.
- جميل ابو طبيخ، مذكرات بغداد مراجعه في تاريخ الصراع الطائفي والعنصري ٦٧٢م، ٢٠٠٧م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.
- حسن الدجيلي، تقدم التعليم العالي في العراق، مطبعة الرشاد، بغداد، 1963. عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني 1921 – 1932، مراجعة عايد حبيب خليل العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، بغداد، 2007.
- حميد المطبعي، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1995.
- خالد احمد الجوال، موسوعة اعلام كبار ساسة العراق الملكي 1920 – 1958، ج1، بغداد، 2013.
- خالد السلطاني، رؤى معماريه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
- خالد السلطاني، عمارة الحداثة في بغداد سنوات التأسيس، مطبعة دار الاديب،الاردن،٢٠١٤.
- ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية لعام 1948 – 1949 السنة الاولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949.
- ساطع الحصري، مذكراتي في العراق 1921–1927،ج١، منشورات الطليعة، بيروت، 1967.
- ستيفن همبسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة 1900 الى سنة 1950، ج1، ترجمة سليم طه التكريتي، منشورات الفجر، بغداد، 1988.
- سندرسن باشا، مذكرات سندرسن باشا، طبيب العائلة الملكية في العراق 1918– 1946، ترجمة طه التكريتي، ط2، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1982.
- سيار كوكب جميل، الملك فيصل الاول 1883–1933 ادواره التاريخية ومشروعاته النهضوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2021.
- سيار كوكب جميل، جامعة آل البيت في العراق ١٩٢٤ –١٩٣٠، دار الضفاف، العراق، ٢٠١٢.
- عبد الرازق الهلالي، معجم العراق، ج١، مطبعة النجاح، بغداد، 1935.
- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، دار الشؤون الثقافية، بيروت، 1978.

- عبد الرزاق الحسني، موجز تاريخ البلدان العربية، مطبعة النجاح، بغداد، 1930.
- عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني 1921 – 1932، مراجعة عايد حبيب خليل العاني دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، بغداد، 2007.
- عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في عهد الاحتلال البريطاني 1914 – 1921، مراجعة عالية عبد الرزاق الهلالي، دار الرافدين، بيروت، 2017.
- عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968.
- علاء جاسم محمد، الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق 1883 –1932، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1990.
- فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج1، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن، 2013.
- فهمي المدرس، بيان موجز عن جامعة آل البيت الشعبة العالية الدينية، مطبعة الآداب، بغداد، 1930.
- كامل سلمان الجبوري، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- مأمون امين زكي، ازدهار العراق تحت الحكم الملكي ١٩٢١–١٩٥٨ دراسة تاريخيه سياسيه اجتماعيه مقارنه، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٣.
- محمود فهمي درويش، دليل الجمهورية العراقية، مطبعة النعمان، بغداد، 1961.
- المس بيل، العراق في رسائل المس بيل (1917–1926)، ترجمة وتعليق جعفر الخياط وتقديم عبد الحميد العلوجي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2003.
- المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة وتعليق جعفر الخياط، طبع بمساعدة وزارة التربية والتعليم، 1971.
- منير بكر التكريتي، الكاتب الصحفي الاديب فهمي المدرس، مطبعة جامعة بغداد، 1979.
- مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، ج2، دار الحكمة، لندن، 2005.
- هاشم الوتري ومعمر خالد الشابندر، تاريخ الطب في العراق مع نشوء وتقدم الكلية الطبية العراقية، مطبعة الحكومة، بغداد، 1939.

- يوسف عز الدين، فهمي المدرس من رواد الفكر الحديث، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، 1970.

الصحف:

- جريدة الاستقلال، العدد 383، 16 اذار 1924.
- جريدة البلاد، العدد 4، 29 تشرين الاول 1929.
- جريدة الاستقلال، العدد 384، 17 اذار 1924.
- جريدة البلاد، العدد ٩٢٤، ٤ آب ١٩٣٦.
- جريدة العراق، العدد1046، 27 تشرين الاول 1923.
- مجلة الجامعة، العدد ١، ١٥ اذار، ١٩٢٦، ص٢.

تأسيس القوة الجوية والبحرية في ليبيا إبان العهد الملكي عام 1962

The establishment of the Air and Navy Force in Libya during the royal era in 1962

أ.د. علي حسين نمر الإسماعيلي.

الباحثة: بسمة جمال طعمة: كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق.

Prof. Dr. Ali Hussein Nemer Al-Ismaili

Researcher: Basma Jamal Tohme: Faculty of Arts, University of Dhi Qar, Iraq

الملخص:

تأسست القوة الجوية والقوة البحرية عام 1962 بمرسوم صدر من الملك إدريس السنوسي، وبمساعدة الدول الأجنبية (بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية)، مقابل إبقاء قواعدهم العسكرية في الأراضي الليبية المتمثلة بقاعدتي عدم ويلس، واقتضت طبيعة هذه الدراسة المؤلفة من مقدمة ومبحث واحد وخاتمة، وتناولنا في المبحث تأسيس القوتين الجوية والبحرية التي تُعَدُّ أحد الجوانب المهمة لتطوير الجيش الليبي وموقف الدول الأجنبية منه، وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تأسيس القوة الجوية والقوة البحرية في ليبيا، وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها محاولةً لفهم ومعرفة الأوضاع التي ساهمت في تأسيس القوتين الجوية والبحرية عام 1962.

الكلمات المفتاحية: الجيش الليبي، القوة الجوية، القوة البحرية، المساعدات الدولية.

Abstract:

The Air force and Navy force were established in 1962 by a decree issued by King Idris al-Senussi, and with the help of foreign countries (Britain and the United States of America), in exchange for keeping their military bases in the Libyan territories represented by the two military bases of al-Adam and Wheelus. The nature of this study required an introduction, one chapter, and a conclusion. In the topic, the establishment of the Air Force and the Navy force were discussed, which are one of the significant aspects of the development of the Libyan army and the attitude of foreign countries towards it. This study aimed at shedding light on the establishment of the Air force and Navy force in Libya. The importance of this study lies in being an attempt to understand and know the conditions that contributed to the establishment of the Air force and Navy force in 1962.

Keywords: Libyan army – Air force – Navy force – International aid.

المقدمة:

بعد أن نالت ليبيا استقلالها عام 1951 ونُصِّب إدريس السنوسي ملكًا على البلاد، سعت ليبيا إلى تأسيس جيش وطني منظَّم عام 1952، والحصول على مساعدات عسكرية من الدول الصديقة العربية والأجنبية لتوسيعه، والتي تمثلت باتفاقيات عسكرية، لا سيما مع الحكومة البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية، طمحت لتوسيع صفوف جيشها. فقد جاء هذا البحث تحت عنوان "تأسيس القوتين الجوية والبحرية الليبية عام 1962"، ليتناول تأسيس تلك القوتين وأهم مصادر التدريب والتسليح التي أصبحت العماد الرئيسي في تطور تلك القوات والتي أصبحت مؤثرةً في الجيش الليبي.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في قلة الحصول على المعلومات التي تخص الموضوع، كونه غير متداول ولصعوبة الوصول إلى المصادر في دولة ليبيا بسبب أوضاعهم الأمنية، لكن الباحث استند إلى مجموعة من الوثائق وبعض المصادر التي اعتُمِدت في كتابة هذا البحث، وتتلخص إشكالية هذا الموضوع بالتساؤلات الآتية:

1. هل استطاعت المملكة الليبية أن تؤسس القوتين الجوية والبحرية؟
2. هل كان يوجد دور للحكومتين البريطانية والأمريكية في تأسيس القوتين؟
3. ما طبيعة العلاقات التي تربط الملك إدريس السنوسي والحكومتين البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية؟

المنهج البحثي:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التي تتلاءم وطبيعة الموضوع، من خلال الظروف والأوضاع التي ساعدت في تطور ركن من أركان الجيش الليبي (القوة الجوية والبحري). كما اعتمدت على المنهج التحليلي لبيان غاية الدول الأجنبية، التي أبدت مساعداتها في تطوير الجيش الليبي بإنشاء القوتين الجوية والبحرية، مقابل إبقاء قواعدها العسكرية الجوية في الأراضي الليبية وإيقاف المد السوفييتي ومنع انتشاره في مناطق الشرق الاوسط.

مصادر جمع المعلومات:

اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة، إذ رفدت الوثائق العراقية غير المنشورة الصدارة في هذه الدراسة المحفوظة في أرشيف الكتب والوثائق العراقية في بغداد، فضلًا عن وثائق العلاقات الخارجية الأمريكية المنشورة والكتب العربية والرسائل والأطاريح، إضافةً إلى الاتصال الهاتفي الذي

أجراه الباحث مع وزير الدفاع الليبي السابق محمد محمود البرغثي، والذي زوَّدَنا بمعلومات مهمة تخص الموضوع.

تقسيمات الدراسة:

- المقدمة.
- المبحث الأول: تأسيس القوة الجوية الليبية.
- المبحث الثاني: تأسيس القوة البحرية الليبية.
- الخاتمة.

المبحث الأول: تأسيس القوة الجوية الليبية

قرار تأسيس سلاح الجو الليبي:

أُسِّسَ السلاح الجوي الليبي في 13 أيلول 1962 بموجب مرسوم ملكي صدرَ من الملك إدريس السنوسي[1]، وبقرار من وزير الدفاع الليبي يونس عبد النبي بالخير[2]، إذ قررَ أنه[3]:

أ- يُطلق على القوات العسكرية الجوية اسم "السلاح الجوي الملكي الليبي".

ب- تُنشِئ رئاسة أركان الجيش المديريات والمؤسسات الفنية المتعلقة بالسلاح الجوي الملكي الليبي.

ج- يعيَّن لقيادة السلاح الجوي الملكي الليبي ضابط جوي يكون مساعدًا لرئيس أركان الجيش للشؤون الجوية.

1- **إدريس السنوسي:** ولد عام 1890 في واحة جغبوب، وهو ابن محمد مهدي السنوسي الأبن الأكبر لمؤسس الحركة السنوسية. كانت ثقافته دينية بحتة. عندما قام الاحتلال الإيطالي لليبيا عام 1912 تكفل بتنظيم المقاومة ضد الاحتلال، وهو أول حاكم لليبيا بعد الاستقلال، وتوفي في 25 حزيران 1983 في القاهرة. للمزيد من التفاصيل ينظر هند عادل إسماعيل النعيمي، محمد إدريس السنوسي ودوره في استقلال ليبيا (1890-1952)، دار ومكتبة القناديل، بغداد، 2018، ص 86-90.

2 - **يونس عبد النبي بالخير:** ولد عام 1928 في قزان. تقلد عدة مناصب إدارية منها قائم مقام 1955 ومتصرف لعدة مناطق ليبية. فاز في انتخابات مجلس النواب 1960-1964 عُيّن وزيرًا للدفاع عام 1963 توفي عام 2003 على إثر جلطة دفاعية ودُفن في طرابلس. ينظر: سالم الكبتي، الإعلام الليبية، ج2، مقال منشور، ليبيا المستقبل، 2010.

3-تاريخ القوات الجوية الليبية، ركن الدفاع الجوي، شبكة موسوعتي، 2020.

د- يشكِّل رئيس أركان الجيش لجنةً لإعداد كادر التشكيلات لسلاح الجوي الملكي، عُيِّن الطيار الهادي سالم الحسومي كمعاون رئيس أركان الجيش لشؤون، أما مقر السلاح الجوي كان في قاعدة "ويلس" الجوية الأمريكية[1].

تنظيمات قيادة القوة الجوية الليبية:

شملت القوة الجوية العسكرية في تنظيماتها[2]:

1- شعبة التدريب: وتشمل (الكليات والحوانيت الجوية والمراكز للتدريب).

2- -شعبة الآمر الفني.

3- شعبة الشؤون الفنية، بما فيها تأهيل الفنين والإشراف عليهم ورسم الصيانة وتجهيزها، بما فيها مصنع تركيب الطائرات.

4- شعبة التسليح: وتشمل مخازن الأسلحة والذخيرة الجوية وتجهيز الصواريخ والقنابل وتحديد ملاكات الخط الأول والقواعد.

5- شعبة المخابرة: كل ما يتعلق بالاتصالات الجوية والأرضية وأبراج المراقبة الجوية وأجهزة الملاحة والهبوط الآلي.

6- شعبة الإدارة: تشمل تطوع الضباط والمراتب.

7- -شعبة الأشغال: تشمل الصيانة والإصلاح والمهابط والمباني.

8- شعبة الآليات: تشمل جميع آليات جر الطائرة والآليات الأرضية الخاضعة بالخدمات في المهابط، بما فيها سيارات المهابط وروافع الإنقاذ.

---

[1]- **قاعدة "ويلس"**: كانت قاعدة "ويلس" في الأصل مطار للملاحة الجوية أنشأه الإيطاليون، في خلال احتلالهم لليبيا عام 1923 في حرب العالمية الثانية، استطاعت القوات البريطانية أن تفرض سيطرتها عليهِ عام 1943، وفي ذلك التاريخ أصبح بمقدور القوات الجوية الأمريكية استعمال هذا المطار في طلعاتها الجوية ضد دول المحور، استمر الوجود العسكري الأمريكي في المطار إلى بعدَ الحرب العالمية الثانية، إذ أطلق عليها قاعدة "ويلس" الجوية في 17 حزيران 1945، كانت من أهم الركائز الأساسية لضمان تحقيق الأهداف الاستراتيجية الأمريكية في شمال إفريقيا والحيلولة دون تغلغل نفوذ الاتحاد السوفييتي، أصبحت القاعدة أساسًا لمسار العلاقات الأمريكية منذ استقلال ليبيا. للمزيد من التفاصيل ينظر: إبراهيم فنجان الإمارة، الانسحاب الامريكي من قاعدة "ويلس" في ليبيا 1970، بحث منشور، مجلة دراسات تاريخية، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العدد 15،2013، ص264-266.

[2]- اتصال هاتفي أجراه الباحث مع الوزير لدفاع السابق عام 2013 محمد محمود موسى البرغثي بتاريخ 10 أيار 2022 الساعة 10:30 مساءً.

9- شعبة الوقود: مهمتها توفير جميع أنواع وقود الطيران.

أهم القواعد الجوية التي تمركزت فيها القوات الجوية:

تشكلت في ليبيا العديد من القواعد الجوية، وكان أبرزها: قاعدة طرابلس، وقاعدة "ويلس" الأمريكية التي أطلق عليها بعد الثورة اسم قاعدة عقبة بن نافع، وقاعدة القرضابية (سرت)، وقاعدة بنينا، وقاعدة جمال عبد الناصر، وقاعدة سبها، وقاعدة غات، والكلية الجوية في مصراتة[1]. فضلًا عن المطارات، مثل مطار زواره ومطار غدامس ومطار المرج الزراعي ومطار الغزال[2].

كان السلاح الجوي الليبي في بداياته يحتوي على أربع طائرات تدريب (T33) أمريكية الصنع، و6 طائرات مروحية واكوتا (C-47)، أما الكادر فيتكون من الطيارين 17 طيار و36 فني، وقد أكدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال رسالة توجَّه بها الوزير الدفاع ماكنمارا (McNamara)[3] إلى وزير الدفاع الليبي يونس بالخير، جاءَ فيها: "إن مبدأ التعاون الوثيق بين بلدينا في تعزيز القوات الليبية أمر لا جدال فيه، وستوافق الولايات المتحدة بالمساعدات كما أظهرت سابقًا"[4].

أكدَ نائب وزير الدفاع الأمريكي، في مذكرة رفعها إلى وزير الدفاع، أن الحكومة الليبية بحاجة إلى زيادة المبالغ لتوسيع الجيش الليبي، في وقت تتسابق فيه الحكومة السوفييتية في تعزيز علاقاتها مع ليبيا، وقد قررت وزارة الدفاع الأمريكية إرسال فريق المسح الجوي الأمريكي إلى ليبيا الذي جاء بعدة توصيات، منها[5]:

1- زيادة نفقات المالية للجيش الليبي حتى تصل إلى 2.6 مليار دولار للمعدات العسكرية.

---

[1]- اتصال هاتفي أجراه الباحث مع الوزير لدفاع السابق محمد محمود موسى البرغثي، بتاريخ 10 أيار 2022 الساعة 10:30 مساءً.

[2] - المصدر نفسه.

[3] -روبرت ماكنمارا: ولد عام 1916 في ولاية كاليفورنيا. عمل في القوات الجوية الأمريكية. شغل منصب وزير الدفاع عام 1961 حتى 1968. توفي عام 2009. ينظر: كاظم جواد أحمد العبيدي، العلاقات الأمريكية-الأسترالية خلال حرب فيتنام 1954-1966 دراسة وثائقية، بحث منشور، مجلة دار الأدب، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد 20، 2020، ص342

[4] - F.R.U.S ، Vol XXL , Letter From Secretary of Defense McNamara to the Libyan mini steer To Defense Belk heir (,25 June1962,p95.).

[5] -F.R.U.S , Vol XXL , Memoradum From the Joint Chiefe of staff To secretary of defense McNamara , 31 October 1962 , P100.

2- تخصيص 9.8 مليون دولار لزيادة تدريب الجيش الليبي على مدى خمس سنوات لتعزيز قدرة الجيش الأمني الداخلي.

3- بيَّن الفريق من خلال تقريره سد النقص في تحديث وتوحيد الجيش الليبي وتزويده بمعدات ثقيلة مطلوبة، ووجهت بأن يصل إجمالي البرنامج مستوى 1.5 مليون دولار في فترة 1963-1967.

4- تزويد الجيش الليبي بمدافع الهاوتزر عيار 155 ملم M-48

5- زيادة الدعم العسكري ليصل إلى 7500 جندي في الجيش، بعدما كانت تتكفل بـ5000 جندي.

وافقت الحكومة الأمريكية على تقرير الفريق الجوي، على أساس أنه الحد الطلوب للمحافظة على مكانهم في قاعدة "ويلس" الجوية، إذ تتركز المصلحة العسكرية الأمريكية في ليبيا تركُّزًا أساسيًّا على استمرار استخدام القاعدة لمنع مد النفوذ الشيوعي في ليبيا[1].

صدرت مذكرة من هيئة الأركان المشتركة الأمريكية إلى وزير الدفاع ماكنمارا في 31 تشرين الأول 1962، إذ بينت أن المصلحة العسكرية الأمريكية تتركز بوجود القاعدة في ليبيا مقابل زيادة الضمانات للحكومة الليبية، المتمثلة بأخذ جزء معين من القاعدة لتدريب القوات الجوية الليبية، أو تعهد بتقديم 4 طائرات تدريب نفاثة وطائرتي (C-47) و6 طائرات نقل من طراز (T-33) ومعدات مساعدة في تكلفتها نحو 3 ملايين و4-E هليكوبتر على مدى 6 سنوات[2].

أبلغ الرئيس الأمريكي جون كيندي (John Kennedy) [3] الحكومة الليبية استعداد حكومته بتقديم المساعدة للقوات الجوية الليبية، لكي تتمكن من الوصول إلى مستوى (usaf) القوات الجوية الأمريكية في قاعدة "ويلس" الجوية، بشرط أن تحمي قواتها أمنها الداخلي.[4]

كذلك أوصى الفريق في تقريره تكاليف الخطة المساعدة العسكرية لسنة المالية 1964-1969 بدعم القوات الجوية الليبية، على أساس تقاسم التكاليف بين الحكومة بنسبة 50%، وذلك بسبب أن تلك المساعدة الأمريكية في الواقع مدفوعاتٌ مقابل استخدام التسهيلات في ليبيا، (ويُقصد بها قاعدة

---

1 – Ibid.p100.

2 Ibid. p100

3-**جون كيندي**: ولد عام 1917 في مقاطعة ماساشوستس الأمريكية، وهو الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية. درس في جامعة هاوارد وتخرج من كلية العلوم السياسية، رُشح لرئاسة الولايات المتحدة عن الحزب الديمقراطي وفاز في المنصب عام 1961، توفي عام 1963 إثر إطلاق نار على موكبه في أثناء مروره في دالاس. المزيد ينظر: أودو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة 1789 حتى اليوم، دار الحكمة، لندن، 2006.ص224-225.

4– F.R.U.S , Vol, xxL , Memoradum From the Joint Chiefe of seaff To Staff secretary of defense Mcnamar ,31 October1962, P100.

"ويلس" الجوية)، إضافةً إلى أن برنامج تقسيم التكاليف لديه قدرة في التفاوض أقل بكثير من برنامج المنح المباشرة[1].

فضلًا عن زيادة عائدات النفط[2]. قد تؤدي إلى تحسين الوضع الاقتصادي والمادي في ليبيا على مدى سنوات القادمة، وبذلك تستطيع سد عجزها العسكري، وأضاف الفريق في تقريره طلب زيادة في القوة العاملة من الضباط لتطوير القوة الجوية، إضافةً إلى إرسال بعثة تدريبية للولايات المتحدة تتألف من 4 ضباط و13 جندي للتدريب على السلاح الجوي.[3]

نستنتج مما تقدم أن الحكومتين قد استفادتا من قرار تأسيس القوة الجوية، إذ ضمنت الحكومة الأمريكية إبقاء أهم قواعدها العسكرية على الأراضي الليبية، في المقابل ساهمت في تأسيس ركن جديد انضم لأركان وزارة الدفاع الليبية.

المبحث الثاني: تأسيس القوة البحرية الليبية

نتيجةً للمساعدات الدولية التي استطاعت ليبيا الحصول عليها منذ استقلالها، طمحت في زيادة المساعدات لتوسيع جيشها وإنشاء قوة بحرية ليبية، على هذا الأساس جرت مفاوضات بين رئيس الوزراء البريطاني هارولد ماكميلان (Harold MacMillan)[4]. ورئيس الوزراء الليبي عبد المجيد كعبار[5] في حزيران 1958، إذ أدلى عبد المجيد ببيان أوضح فيه المادة الثالثة من معاهدة

---

1 –Ibid.p100.

2– يرجع اكتشاف النفط في ليبيا إلى عهد الاستعمار الإيطالي (1911–1943)، أسست الولايات المتحدة (هيئة احتياط البترول) عام 1946 لتنمية المصالح النفطية الأمريكية، وعملت تلك الهيئة في مناطق رئيسية في ليبيا عام 1955، وذلك للحصول على امتيازات رئيسية مع زيادة هائلة للنفط الليبي، فظهوره وبكميات كبيرة يعني أن ليبيا لا تعتمد على المعونات الأجنبية، فقد زادت إيراداتها النفطية في السنوات التالية لكن مع هذا بقيت تحتاج إلى الخبرة الأجنبية لتطوير.

3– 17–F.R.U.S,Vol,XXI,Memorandam From The Joint Chife of Staff to Secretary of Defense Mcnamara,31October 1962, p100.

4–**هارولد ماكميلان:** ولد عام 1894 تقلَّد عدة مناصب منها وزير للإسكان ووزير للدفاع والمالية، وتولى منصب رئيس الوزراء بعد استقالة أنطوني أيدن عام 1957، استقال من منصبه عام 1963، وتوفي عام 1986. ينظر: سعد علي نعيم الأسدي، موقف بريطانيا من الصراع العربي–الإسرائيلي 1967–1970، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، 2015، ص4.

5 –**عبد المجيد كعبار:** ولد عام 1909 في طرابلس، كانت عائلته معروفة بالجهاد ضد الإيطاليين كان من المساهمين في نشاطات الحركة الوطنية وشارك في تأسيس حزب الاستقلال، انتخب رئيس لمجلس النواب عام 1952 وأعيد انتخابه مرة ثانية عام 1957، عين رئيسًا للوزراء في 25 أيار 1957 حتى تشرين الأول 1960، توفي عام 1978. ينظر: مجيد خدوري، ليبيا الحديثة (دراسة في تطورها السياسي)، بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، 1966، ص325–326.

الصداقة والتحالف بين بريطانيا وليبيا بشأن المساعدات المالية التي تدفعها الحكومة البريطانية، لكن بعد عدة مشاورات بين الطرفين أوضحت من خلالها الحكومة البريطانية أن المشاكل المالية التي تمر بها تحول دون قبول المطالب الليبية[1].

لذا عملت على تقليص قواتها المسلحة، وأجلت أكثر قواتها من برقة وقلَّصت الأخرى في طرابلس بشكل ملحوظ، لذا توقعت الحكومة البريطانية أن حكومة الولايات المتحدة سوف تتحمل الأعباء المالية، إلا أن الحكومة الليبية عارضت ذلك بسبب أن علاقاتها مع بريطانيا مرتبطة بمعاهدة وتحالف، إما مع الولايات المتحدة فهي علاقة صداقة وتأجير قواعد[2].

بيَّن عبد المجيد كعبار في خلال تلك المفاوضات أن بلاده ليست بحاجة إلى معونة مالية فقط، بل تشمل المساعدة نواحيَ أخرى تهم دفاع البلد وتقوية الجيش وإنشاء أسطول بحري لحماية موانئ ومياه ليبيا الإقليمية، إذ نجح مسعاه في الحصول على وعد من الحكومة البريطانية بتقديم المساعدات لإنشاء القوة البحرية، وتشمل أسلحةً خفيفةً ومعداتٍ لتسليح 5 آلاف جندي والاستمرار بالتدريب العسكري لهم مجانًا طوال 5 سنوات قادمة[3].

إضافةً إلى موافقة الحكومة البريطانية على إرسال خبراء للتشاور مع المسؤولين في الحكومة الليبية، لدراسة الوضع العام والإسراع بتزويد ليبيا بما تحتاجه لإنشاء أسطول بحري، وربما كانت هذه الوعود البريطانية للحكومة الليبية مقابل الحفاظ على مصالحها المتمثلة بقاعدة عدم الجوية، وغيرها من المصالح التي تخدم الحكومة البريطانية بالدرجة الأولى[4].

---

[1]– د.ك. وملفات البلاط الملكي، رقم الملف 311/2696، المفوضية الملكية العراقية في طرابلس الغرب إلى وزارة الخارجية في بغداد، بيان رئيس وزراء ليبيا بمجلس النواب بشأن المساعدات البريطانية إلى ليبيا، بالرقم س / ا / 132، بتاريخ 21 أيار 1958، ص4.

[2]– المصدر نفسه. ص4

[3]– د.ك. وملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2696 / 311، المفوضية الملكية العراقية في طرابلس الغرب إلى وزارة الخارجية في بغداد، بيان رئيس وزراء ليبيا بمجلس النواب بشأن المساعدات البريطانية إلى ليبيا، بالرقم س / ا / 132، بتاريخ 21 أيار 1958، و4، ص4.

[4]– د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2696 / 311، المفوضية الملكية العراقية في طرابلس الغرب إلى وزارة الخارجية – بغداد، المفاوضات الليبية البريطانية بشأن المعونة المالية البريطانية إلى ليبيا، بالرقم س / ا / 117، بتاريخ 16 أيار 1958، ص9.

بالفعل، وصل أعضاء البعثة البحرية البريطانية إلى بنغازي في 1 أيلول 1958، وأجرَوا الاتصالات اللازمة مع المسؤولين، وبدأ العمل في التنفيذ بعدَ الانتهاء من جمع المعلومات والوقوف على جميع الاحتياجات الحكومة الليبية[1].

شمل المشروع البريطاني بشأن إنشاء أسطول بحري ليبي إعداد الفنيين لاستلام الشؤون البحرية، وتدريب البحارة، وزيارة جميع موانئ ليبيا، موانئ بنغازي وطرابلس وزوارة، ومن ثم عادت البعثة إلى بنغازي للاجتماع مع المسؤولين الليبيين لتنسيق الإجراءات اللازمة[2].

وبعد دراسة المشروع من جميع الجوانب، قرَّر وزير الدفاع الليبي يونس عبد النبي بالخير تأسيس قوة بحرية في 17 تشرين الأول 1962، وعيَّن الضابط منصور بدر[3] قائدًا ومعاونًا لرئيس أركان الجيش لشؤون البحرية، وتركَّز مقر القوة البحرية في قاعدة أبي ستة في ميناء طرابلس، أما تسليح وتدريب ضباط القوة البحرية تم من خلال الدول الخارجية تركيا واليونان والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا[4].

كانت القوة البحرية في بداية تأسيسها ضعيفة، إذ اعتمدت إلى حد ما على فرقاطات وطرادات وزوارق دورية للدفاع عن السواحل فضلًا عن اعتمادها على السفن الصغيرة، وقد طلبت الحكومة الليبية برئاسة محمد عثمان الصيد[5] من الحكومة البريطانية تزويد الأسطول البحري ببوارج بحرية.

---

[1]– د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2696 / 311، المفوضية الملكية العراقية في طرابلس الغرب إلى ديوان مجلس الوزراء، تأسيس نواة الأسطول البحري الليبي، بالرقم س / ا / 326، بتاريخ 24 أيار 1958، و30، ص67.

[2]– المصدر نفسه. ص67.

[3]– **منصور بدر**: ولد عام 1931 كان من ضمن أول بعثة عسكرية وفدت إلى تركيا عام 1954، تخرج عام 1958 في الأكاديمية البحرية التركية عاد إلى عام 1961 وعين مساعدًا لرئيس أركان الجيش الليبي للشؤون البحرية، وأول قائد للبحرية في عام 1962 إلى عام 1969، توفي عام 2002. ينظر: بوابة إفريقيا الإخبارية، مقال منشور، 2018.

[4]– اتصال هاتفي أجراه الباحث مع وزير الدفاع الليبي السابق محمد محمود موسى البرغثي، بتاريخ 10 أيار 2022، الساعة 10:30 مساءً.

[5]– **محمد عثمان الصيد**: ولِد عام 1924 في فزان كان أحد أعضاء الجمعية السياسية عام 1950 عين بمنصب رئاسة الحكومة 1961–1963 عُدِّل الدستور الليبي في خلال حكومتهِ لتصبح ليبيا دولة موحدة توفي في 31 كانون الثاني 2007. ينظر: إيمان جميل صخيل، الملك إدريس ودوره السياسي في ليبيا 1952–1963، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار،2018، ص32.

وأُوفِد ضباط ليبيون للتدريب في البحرية البريطانية، فضلًا عن تفويض مدير عام الجمارك لتعاقد مع شركات أجنبية مختصة بصناعة السفن الحربية [1].

دُشِّنت أول باخرة حربية (طبرق) في 16 حزيران عام 1966 من الحكومة البريطانية، إذ تُعَدُّ النواة الأولى للقوه البحرية الليبية، إضافةً لتسلُّم السفارة الليبية في لندن ثلاث سفن بنيت خصيصًا للأسطول البحري الليبي في 23 كانون الثاني 1969 من قبل شركة "فوسبر ثور نيكروفت" (Fosper Thoruy croft) البريطانية التي تولت تصميم الباخرة الحربية طبرق، وجرى تسليم هذه السفن الثلاث (زلطن – سوسة –سرت) من الحكومة البريطانية إلى الحكومة الليبية، بهدف توسيع وتطور القوة البحرية الليبية[2].

الخاتمة:

كان للمساعدات البريطانية والأمريكية بالغ الأثر في تأسيس القوة الجوية والبحرية في ليبيا، فضلًا عن إرادة الليبيين أنفسهم، إذ كان لهم موقف مهم ومؤثر من خلال ممارسة الضغط على القوتين العظمتين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي عجَّل بتقديم تلك المساعدات، وعلى الرغم من أن المملكة الليبية لم تدخل في حرب مع أي دولة إلا أنها استطاعت تأسيس نواة لقوات ردع قادرة على حماية ليبيا، على الرغم من ضعف إمكانيات ليبيا. وقد توصَّلنا إلى عدة استنتاجات، كان من أبرزها:

1- أُسِّسَت القوتان الجوية والبحرية عام 1962 بمرسوم صدر من الملك إدريس السنوسي، وبقرار من وزير الدفاع يونس عبد النبي بالخير.

2- ساهمت الحكومات الأجنبية، لا سيما بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، بتأسيس تلك القوتين مقابل إبقاء المصالح الأجنبية في ليبيا المتمثلة بالقواعد العسكرية، مثل قاعدة عدم البريطانية وقاعدة "ويلس" الأمريكية.

3- كان مقر تدريب القوات الجوية الليبية في القواعد العسكرية الأجنبية الموجودة في الأراضي الليبية.

4- ساهمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى حد كبير في تزويد السلاح الجوي الليبي بطائرات حربية وطاقم للتدريب.

---

[1]–مذكرات محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا السياسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996، ص238.

[2]–محمد علي الشح، أحداث ووقائع من تاريخ الجيش الليبي السياسي–العسكري، مكتبة 17 فبراير، بنغازي، د.ت، ص217.

5- سعت الحكومة الليبية لتأسيس قوة بحرية لحماية مياهها الإقليمية.

6- ساهمت الحكومة البريطانية في تأسيس تلك القوة من خلال إرسال البعثة الحربية البريطانية لدراسة الوضع في ليبيا.

7- أُرسِلَت أول باخرة حربية من الحكومة البريطانية، والتي تُعَدُّ النواة الأولى لتأسيس القوة البحرية الليبية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا-الوثائق

الوثائق غير المنشورة (الوثائق العراقية):

1. د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2696 / 311، المفوضية الملكية العراقية في طرابلس الغرب إلى وزارة الخارجية – بغداد، المفاوضات الليبية البريطانية بشأن المعونة المالية البريطانية إلى ليبيا، بالرقم س / ا / 117، بتاريخ 16 أيار 1958، و6، ص9.

2. د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2696 / 311، المفوضية الملكية العراقية في طرابلس الغرب إلى ديوان مجلس الوزراء، تأسيس نواة الأسطول البحري الليبي، بالرقم س / ا / 326، بتاريخ 24 أيار 1958، و30، ص67.

3. 3-د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2696 / 311، المفوضية الملكية العراقية في طرابلس الغرب إلى وزارة الخارجية في بغداد، بيان رئيس وزراء ليبيا بمجلس النواب بشأن المساعدات البريطانية إلى ليبيا، بالرقم س / ا / 132، بتاريخ 21 أيار 1958، و4، ص4.

الوثائق المنشورة (وثائق العلاقات الخارجية الأمريكية):

1. F.R.U.S , Vol XXL , Letter From Secretary of Defense McNamara to the Libyan mini steer To Defense (Belk heir) , 25 June1962.

2. F.R.U.S , Vol XXL , Memorandum From the Joint Chief of staff To Secretary of defense McNamara , 31 October 1962.

المذكرات العربية:

1. مذكرات محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا السياسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996.

الرسائل والأطاريح:

1. إيمان جميل صخيل، الملك إدريس ودوره السياسي في ليبيا 1952–1963، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، 2018.
2. سعد علي نعيم الأسدي، موقف بريطانيا من الصراع العربي – الإسرائيلي 1967–1970، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، 2015.

الكتب:

1. هند عادل إسماعيل النعيمي، محمد إدريس السنوسي ودوره في استقلال ليبيا (1890–1952)، دار ومكتبة القناديل، بغداد، 2018.
2. مجيد خدوري، ليبيا الحديثة (دراسة في تطورها السياسي)، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1966.
3. محمد علي الشح، أحداث ووقائع من تاريخ الجيش الليبي السياسي–العسكري، مكتبة 17فبراير، بنغازي، د.ت.
4. أودو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة 1789 حتى اليوم، دار الحكمة، لندن، 2006.ص224–225.

البحوث المنشورة:

1. عطية مساهر محمد العبيدي، سياسة الولايات المتحدة تجاه ليبيا 1951–1969، بحث منشور مجلة آداب الفراهيدي، كلية الآداب، جامعة تكريت، العدد 5، 2011.
2. كاظم جواد أحمد العبيدي، العلاقات الأمريكية–الأسترالية في خلال حرب فيتنام 1954–1966 دراسة وثائقية، بحث منشور، مجلة دار الأدب، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ع20، 2020، ص342.
3. إبراهيم فنجان الإمارة، الانسحاب الأمريكي من قاعدة "ويلس" في ليبيا 1970، بحث منشور، مجلة دراسات تأريخية، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العدد 15، 2013.

المقابلات الشخصية:

1. اتصال هاتفي أجراه الباحث مع الوزير لدفاع السابق عام 2013 محمد محمود موسى البرغثي بتاريخ 10 أيار 2022 الساعة 10:30 مساءً.

سابعًا: مقالات إلكترونية:

1. سالم الكبتي، الإعلام علام ليبية، مقال منشور، ليبيا المستقبل، ج2، 2010، على الرابط التالي: https://archive 2- -Libya-al-mostakbal.Org.

2. منصور البدر، بوابة إفريقيا الإخبارية، 2018، على الرابط التالي: www.aprigaten news.net.

3. تاريخ القوات الجوية الليبية/ ركن الدفاع الجوي، موسوعتي، على الرابط التالي..https://mawsoati.Com

البطريرك أنطوان عريضة ودورهُ في استقلال لبنان عام 1943

Patriarch Antoine Arida and his role in the independence of Lebanon in 1943

أ.د علي حسين نمر

الباحثة: رشا صاحب سفر: كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق

Prof. Dr. Ali Hussein Nimr

Researcher: Rasha Sahib Safr: Faculty of Arts, University of Thi Qar, Republic of Iraq

الملخص:

كان البطريرك عريضة شخصية فريدة من نوعها، اختلفت كثيراً عن غيرها من الشخصيات اللبنانية، لما لها من مميزات تفاعلت مع البيئة التي عاشت فيها واستطاعت أن تحقق ما سعت إليه عن طريق تثبيت النفوذ وتعزيز الموقف وبالتالي تنفيذ الأهداف والمشاريع التي رسمتها في مضمار التحرك والنشاط منذ أن وضعت أقدامها في أول خطوة من خطوات الطموح لتسلك سياسة خاصة بها استطاعت خلالها أن تطرق بثقة الأبواب وتفتح الآفاق الواسعة والرحبة ، رغم الكثير من العوائق والعراقيل التي وضعت في طريقها آنذاك، لذا كان له الدور الكبير في استقلال لبنان عام 1943. وتهدف الدراسة لتحليل دور البطريرك أنطوان عريضة في استقلال لبنان عام 1943م، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها أنَّ البطريرك عريضة ترك بصماته الواضحة على الأحداث السياسية اللبنانية التي عاصرها وأثر فيها كثيراً، إلى الحد الذي كان فيه يشغل وبقوة المكان والعمل الذي يمارسه.

الكلمات المفتاحية: لبنان، انطوان عريضة، الاستقلال عن فرنسا.

Abstract:

Patriarch Arida was a unique personality, as he greatly differed from other Lebanese personalities, because of his characteristics that interacted with the environment in which he lived and was able to achieve what he sought by establishing influence and strengthening the position. Thus, he was able to implement the goals and projects that he planned in the field of movement and activity since step one of his ambition to pursue a policy of his own during which he was able to confidently enter into subjects and open wide and spacious horizons, despite of many difficulties and obstacles that he faced at that time. Therefore, he played a major role in the independence of Lebanon in 1943. The study aimed at analyzing the role of Patriarch Antoine Arida in the independence of Lebanon in 1943 AD. Furthermore, the study concluded that Patriarch Antoine Arida left his footprints in the Lebanese political events that he experienced and affected a lot, to the extent that he strongly made his presence felt in the place he occupied and at the work he practiced.

Keywords: Lebanon, Antoine Arida, independence from France.

المقدمة:

تُعد دراسة أثر الشخصيات اللبنانية في التاريخ السياسي اللبناني الحديث والمعاصر ذات أهمية كبيرة، ليس لعلاقتها ومدى ارتباطها وتأثيرها بالأحداث السياسية التي رافقتها حسب، بل لأن البعض منها كان جزءاً لا يتجزأ من تاريخ حافل بالأحداث السياسية، لا سيما وإنَّ تلك الشخصيات كانت تمثل عنواناً بارزاً للأحداث، واطلالة ارتبطتْ ارتباطاً قوياً بتطوراتها المتناقضة؛ لما لها من دور تعدى أن يكون دوراً عابراً بقدر ما كان دوراً سياسياً مهماً في صناعة التاريخ بحد ذاته ، حتى أصبحت من الشخصيات القيادية التي تفاعلت مع الأحداث، وتصدت لردود أفعالها، وباتت تشكل رمزاً فريداً من رموز زعمائها الدينيين والسياسيين، لا بل أنها مثلت عهداً سياسياً كاملاً، إذ تركت بصماتها الروحية والسياسية على تاريخ دانَّ بجزء منه إذ لم نقل بأكمله لها بالكثير وتعلم منها الكثير، وخلفت ارثاً تاريخياً ارتبط بها لوحدها، وتلك هي شخصية البطريرك أنطوان عريضة.

ومن هنا جاءت دراستنا لموضوع (البطريرك أنطوان عريضة ودورهُ في استقلال لبنان عام 1943) لإبراز أهم المواقف والادوار التي اتخذها عريضة من اجل تحقيق الاستقلال الناجز للبنان، وتحديد طبيعة العلاقة مع فرنسا وبعض القوى الخارجية.

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة. وقد تناولت المقدمة أهمية البحث والدوافع وراء اختياره، بينما سلطت المحاور الثلاث الضوء على بعض النقاط الرئيسة التي أدت إلى حصول لبنان على الاستقلال وهي المحور الأول تناول الاوضاع السياسية في لبنان قبيل إعلان الاستقلال، وجاء المحور الثاني بعنوان الميثاق الوطني واستقلال لبنان عام 1934، أما المحور الثالث فقد تناول استقلال لبنان في ظل مواقف أنطوان عريضة.، في حين أبرزت الخاتمة النتائج التي توصلت لها الدراسة.

المبحث الأول: الاوضاع السياسية في لبنان قبيل اعلان الاستقلال

كانت لبنان تشهد صراعاً داخلياً شمل بعض الطوائف والكتل من اجل الفوز في الانتخابات المزمع اجراؤها في أيلول 1943، لذا عمدت كل جهة من أجل كسب الجمهور لصالح عسكرها، كما كانت القوى الخارجية ولاسيّما بريطانيا وفرنسا تسعى من أجل تحقيق بعض المكاسب لصالحها من خلال الترويج لفوز الجهات المؤيدة لها، لذا لم يكن من المستغرب أن تكون البلاد أشبه بما يمكن أن نصفهُ بأنها كانت تغلي على نار هادئة، وربما يؤدي ذلك الأمر إلى نتائج لا يمكن التكهن بها في ذلك الوقت [1].

[1] يوسف سالم، المصدر السابق، ص139.

وفي الوقت الذي أرادت فيه الحكومة اللبنانية الإعلان عن موعد الانتخابات حتى سارع البطريرك عريضة، بتوجيه نداء إلى الأساقفة يطلب إليهم، أن يتلى على الموارنة في الكنائس منشور استهلَهُ البطريرك بقولهِ: "إنَنا باسمنا وباسم الشعب اللبناني نشكر فرنسا التي شاءت فأعطت لبنان الاستقلال، وسائر الدول الحليفة التي اعترفت بهذا الاستقلال...فنحث ونستحلف جمهور الناخبين أن يضعوا نصب أعينهم مصلحة لبنان التي هيَ في الحقيقة مصلحة كل فرد منهم، وأن لا يصّوتوا إلاّ للأشخاص المرشحين للنيابة المعروفين بحبهم للبنان...وعلى نتيجة الانتخاب يتعلّق مصير لبنان ورفعة شأنهِ"[1].

وفي ذات الشأن أصدر عريضة نداءً في أوائل شهر آب 1943، إلى جميع الطوائف المسيحية دعاهم فيه إلى انتخاب أشخاص ذوي كفاءة يحافظون على استقلال لبنان بحدوده الحاضرة، دون اتحاد ولا ارتباط، وعلى وضع المبادئ العامة التي تقوم على المساواة والعدل لجميع الطوائف اللبنانية وعلى حقوق المغتربين الذين لم يتخلوا عن لبنانهم[2].

وفي 29 أب 1943 أصدرت الحكومة اللبنانية مرسوماً حددت فيه موعداً للانتخابات النيابية، وجرت تلك الانتخابات في الموعد المقرر في أيلول 1943، وكان هناك تدخل واضح للسلطات الفرنسية التي حاولت أكثر من مرة تأجيل تلك الانتخابات خوفاً من وصول المعارضة للحكم، ممّا جعل المفوض البريطاني سبيرس يحتج وبشدّة على السلطات الفرنسية من جراء ذلك التدخل، وقد نفت فرنسا ذلك الاتهام ووجهت في الوقت نفسه التهمة للجانب البريطاني[3].

وعلى الرغم من ذلك فقد شهدت الانتخابات النيابية تنافساً شديداً بين تيارين أساسيّين، وهما الكتلة الوطنية بزعامة إميل إده والكتلة الدستورية بزعامة بشارة الخوري، وقد حظيت الكتلة الوطنية بدعم فرنسا، في حين حظيت الكتلة الدستورية بدعم بريطانيا وقد أسفرت النتائج بمرحلتيها الاولى والثانية في 6 أيلول 1943، عن فوز الكتلة الدستورية مع فوز أقلية موالية لفرنسا[4].

ويبدو من خلال النتائج إنَ هناك امتعاض لبناني من التدخل الفرنسي لذلك جاءت النتائج لصالح الجهة المؤيدة لبريطانيا.

---

[1] نقلاً عن: محمد جميل بيهم، النزعات السياسية...، ص21.

[2] المصدر نفسه، ص22.

[3] جاسم محمد خضير الجبوري، الموقف العربي والدولي من أزمة العلاقات اللبنانية– الفرنسية 11–12 تشرين الثاني 1943، مجلة أداب الرافدين، العدد (280)، جامعة الموصل، 2020، ص350.

[4] فاضل حايف كاظم غربي السلطاني، صائب سلام ودوره السياسي في لبنان حتى عام 2000، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، 2014، ص47؛ محمد حسين زبون الساعدي، المصدر السابق، ص48؛ طوني مفرج، موسوعة عالم...، ص308.

وفي 21 أيلول 1943 اجتمع المجلس النيابي الجديد برئاسة صبري حمادة[1]، الذي اختير لرئاسة المجلس النيابي، وقد تعهد امام المجلس ان يكون صادقاً، راعياً للقوانين والأنظمة وحريصاً على تطبيقها، وانتخب المجلس بشارة الخوري رئيساً للجمهورية بأغلبية 44 صوت[2] من أصل 47 مقترع، وقد ظهرت ثلاث ورقات بيضاء[3]، وأدى الرئيس المنتخب اليمين الدستوري في 23 أيلول 1943[4]، فخطب باللبنانيين قائلاً:"...هذا الوطن اللبناني الذي نضع حبهُ فوق كل شيء، والذي يجب أن يظل للبلدان المحيطة بهِ جاراً أميناً، وأخاً صادقاً، تربطهُ بها روابط تعاون يسودها الود والاخلاص"[5].

كما أكدَ الخوري على التفاهم بين الطوائف لتحقيق استقلال لبنان الكامل وسيادته البعيدة عن أي مصلحة للدول الأجنبية[6]، وبعد أيام قليلة كلّف الرئيس بشارة الخوري رياض الصلح بتأليف الوزارة الأولى[7] وفي 7 تشرين الأول عام 1943 وبعد ذلك أذاع رياض الصلح البيان الوزاري، والذي عرف (بوثيقة الاستقلال)[8] وضح فيه سياسة الحكومة لاسيّما الأمور التي تعلقت بالشأن الداخلي[9].

وقد جاء في البيان ما يلي: "إنَ العهد الذي يدخلهُ لبنان اليوم، عهدُ دقيق خطير لم يستقبل مثله من قبل، عهدُ تطلع إليه أحراره زماناً طويلاً فهوَ عهد الاستقلال وسيادة وعزة وطنية توفرت لهُ

[1] صبري حمادة: ولد في بلدة الهرمل عام 1905، عاش طفولته فيها، درس القرآن الكريم، وفي عام 1915 رافق صبري والده بعد أن نفى جمال باشا زعماء آل حمادة إلى بلد الأناضول، ألَمَ باللغة التركية، وفي عام 1925 اصبح نائباً في المجلس النيابي اللبناني، انتخب رئيساً لمجلس النواب عام 1943،عُين وزيراً للداخلية ونائب للرئيس في كانون الأول 1946. توفي في 21 كانون الثاني 1976. للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: أحمد زين الدين، صفحات من حياة الرئيس صبري حمادة، نوفل، بيروت، 1997؛ جورج صليبي، زعامات وعائلات، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت،ج1، ص95-97.

[2] م.م.ن، الدور التشريعي الخامس، العقد الاستثنائي الأول، بتاريخ 21 أيلول 1943.

[3] بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية...، ج2، ص15.

[4] م.م.ن، الدور التشريعي الخامس، العقد الاستثنائي الأول، محضر الجلسة الثانية المنعقدة بتاريخ 23 أيلول 1943.

[5] المؤتمر الثقافي العربي الأول، لبنان في عهد الاستقلال، دار الأحد، بيروت، 1947، ص23.

[6] محمد رضيوي فجر محمد الحميداوي، الأزمة السياسية اللبنانية...، ص78.

[7] فهد عباس سليمان السبعاوي، موقف بريطانيا من الأزمة السياسية في لبنان تشرين الثاني 1943، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد (2)، العدد(16)، 2013، ص426.

[8] عمار منهل محمد، كمال جنبلاط ودوره في السياسة الداخلية اللبنانية 1917- 1977، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، 2013، ص65؛ جورج فرح، اللبناني الأول، دار النشر السياسية للشرق الأوسط، د.م، د.ت، ص35.

[9] محمد حسين زبون الساعدي، المصدر السابق، ص52.

العوامل والإمكانات التي تجعلهُ استقلالاً صحيحاً...وعلينا قبل كل شيء أن ننظم هذا الاستقلال تنظيماً محكماً، بحيث يصبح أمراً واقعياً، بل نعمة شاملة يتمتع بها اللبنانيون كافة"[1].

وفي 25 كانون الأول 1943، بدأ التمهيد لبناء (الميثاق الوطني) الذي تمثل بدولة تضم طوائف متعايشة على أرض واحدة، وقد تجسد ذلك في التقارب بين المسلمين والمسيحيين في اجتماع وفود عديدة، في مقر البطريركية المارونية للتهنئة في عيد الميلاد، فألقى البطريرك عريضة خطاباً طالب فيه بالاستقلال المبني على المساواة بين الطوائف لتحقيق المصلحة الوطنية[2].

وهكذا دخلت لبنان منعطفاً سياسياً جديداً أواخر عام 1943، إذ كان للصراع الفرنسي–الانكليزي دوراً بارزاً في التوصل إلى اتفاق بين الطوائف اللبنانية للتخلص من سياسة الانتداب التي رافقت البلاد لسنوات عديدة وقد تمثل ذلك الاتفاق في صيغة عرفت بالميثاق الوطني.

المبحث الثاني: الميثاق الوطني واستقلال لبنان عام 1934

إنَ الميثاق الوطني جاء كمحاولة لوضع الأسس التي تسمح لجميع الطوائف اللبنانية، بالعيش معاً في تعاون وانسجام، لذا كان بمثابة العهد بين جميع اللبنانيين على أن يكون لبنان فوق كل الخلافات[3].

ولم يكن الميثاق الوطني نتاج صدفة، بل كان وليد مراحل وتطورات تاريخية شهدتها لبنان، تمثلت في مؤتمر بكركي عام 1936، والذي دعا فيه البطريرك عريضة إلى عقد معاهدة بين لبنان وفرنسا تتضمن استقلال لبنان استقلالاً كاملاً ضمن حدوده الحاضرة، يضاف إلى ذلك مؤتمر الساحل الذي عقد في العام ذاته والذي طالب بالاستقلال أيضاً أمّا الحدث الأبرز الذي كان لهُ الأثر الكبير في بروز الميثاق الوطني فهوَ المؤتمر الذي عقد في بكركي عام 1941 بزعامة البطريرك عريضة، فقد ضمَ جميع الطوائف اللبنانية وتم فيه الاتفاق على استقلال لبنان استقلالاً نهائياً ودون قيد أو شرط وقد عُدَ ذلك المؤتمر الركيزة الأساسية لولادة الميثاق[4].

[1] م.م.ن، محضر الجلسة الثالثة لمجلس النواب اللبناني، العقد الاستثنائي، بتاريخ 7 تشرين الأول 1943.

[2] سالي سعد محمد، أزمات الفراغ الرئاسي...، ص20.

[3] ريغي صادق، تأثير البعد الهوياتي على بناء الدولة(العراق ولبنان–أنموذجا)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بو ضياف المسيلة، الجزائر، 2019، ص66؛ بشير تركي كريشان، المصدر السابق، ص296.

[4] قاسم خليف عمار العكيلي، المصدر السابق، ص210؛ حسان الأشمر، المصدر السابق، ص126.

وممّا لاشك فيه إنَ ذلك الميثاق كان إحدى المحاولات الجادّة بين تيارين سياسيّين متناقضين حول هوية لبنان ودوره وعلاقاته الدولية والإقليمية في مرحلة معينة[1] وعلى أثر اتفاق شفهي أي غير مكتوب تمّ بين رجال الاستقلال وتحديداً بين الرئيس بشارة الخوري ، وبين رياض الصلح حيث كان كل منهما ينتمي الى طائفة مختلفة [2]، سُميّ ذلك الميثاق الذي جاء فيه الاتفاق على عدة مبادئ أساسية أبرزها[3]:

1. اعتبار لبنان جمهورية ذو وجه عربي مستقلة عن أي تدخل عربي أو أجنبي.
2. يتخلى المسيحيون اللبنانيون عن رغبتهم في طلب الحماية الفرنسية، مقابل تخلي المسلمين عن السعي لضم لبنان أو أي جزء منه إلى سوريا أو أي وحدة عربية اخرى[4].
3. اعتراف المسيحيون بالفكرة العربية على ان لا يطلب من لبنان أن يتبع سياسة عربية تتعارض مع مصالحهِ ووحدتهِ الوطنية[5].
4. نص الميثاق على توزيع المقاعد النيابية بين طوائف لبنان بنسبة معينة، كما جرى تفاهم على توزيع مناصب الدولة الرئيسية بشكل يفهم منه إنَ رئاسة الجمهورية ستبقى دائماً للموارنة، ورئاسة الوزارة والمجلس النيابي للمسلمين[6].
5. يعمل اللبنانيون جميعاً لإنهاء الانتداب الفرنسي ولتحقيق استقلال لبنان استقلالاً كاملاً حقيقياً، وللمحافظة عل ذلك الاستقلال حراً طليق دون قيد أو شرط أو ارتهان لأيٍ كان.

---

[1] عباس ابو صالح، الأزمة اللبنانية عام 1958 في ضوء وثائق يكشف عنها لأول مرة، المنشورات العربية، بيروت، 1998، ص23؛ غسان فوزي طه، هوية لبنان (عند الكيانيين– القوميين– الإسلاميين)، المركز الاسلامي للدراسات الفكرية، د.م، 2009، ص41.

[2] عصام سليمان، الفدرالية والمجتمعات التعددية ولبنان، دار العلم للملايين، بيروت، 1991، ص153.

[3] روعة محمد ملص، إشكالية ممارسة السلطة التنفيذية في لبنان بعد اتفاق الطائف، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2020، ص28–29؛ محمد جميل بيهم، العروبة والشعوبيات الحديثة، مطابع دار الكشاف، بيروت، 1957، ص22.

[4] محمود صالح منسي، المصدر السابق، ص248؛ عارف العبد، المصدر السابق، ص85.

[5] رحيم صدام جبر الساعدي، التعددية السياسية وصنع السياسة العامة في لبنان بحث في واقع النظام السياسي اللبناني 1975– 1990، بغداد: جامعة النهرين، رسالة ماجستير غير منشورة، 2007، ص63؛ حسان الأشمر، المصدر السابق، ص126؛ William Harris, Lebanon; a history, 600–2011,Oxford University press,New York, 2012,p193.

[6] اميل بستاني، الميثاق الوطني ولبنان المستقل، د.م، د.ت، ص18؛ رحيم صدام جبر الساعدي، المصدر السابق، ص64؛ سعد الدين ابراهيم، تأملات في مسألة الاقليات، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1992، ص157.

6. تعترف الدول العربية بكيان لبنان بحدوده المنصوص عليها في الفقرة الأولى من دستور عام 1926 وباستقلاله وسيادتهِ[1].

7. أن لا يكون لبنان للاستعمار ممراً ولا مقراً[2].

يتضح مّما سبق إنَ الميثاق الوطني بمفهومه الأساسي أريد به أن يكون أداة تجمع كل اللبنانيين ومن مختلف الطوائف المسيحية والمسلمة في مصير واحد مشترك، وهو تحقيق الاستقلال المنشود والتخلص من الانتداب الفرنسي، وعدم تدخل أي من دول الجوار في شؤون لبنان الداخلية، وكان ذلك واضحاً من خلال المبادئ التي أكد عليها الميثاق.

وفي ضوء ذلك بدأ رياض الصلح بإجراء مفاوضات مع الفرنسيين لنقل سلطاتهم الانتدابية إلى اللبنانيين وتحويل مقر المندوبية الفرنسية إلى سفارة، إضافةً إلى إجراء بعض التعديلات الدستورية التي من شأنها التأكيد على استقلال لبنان وسيادتهِ على أراضيه، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة في دوائر الدولة، وقد طلب المفوض السامي الفرنسي هيللو امهالهُ عشرة أيام أو أكثر لاستشارة الحكومة الفرنسية، للتوصل إلى حل يرضي الطرفين حسب ما كان يدّعي فأعلنت الحكومة الفرنسية رفضها لطلب الحكومة اللبنانية[3]، إلاّ أن الرئيس بشارة الخوري ورئيس حكومته رياض الصلح أصراّ على مناقشتها داخل مجلس النواب فأقرها المجلس بالإجماع[4].

ونتيجة تلك الإجراءات التي عدتها فرنسا تطاولاً عليها، عمد هيللو في 11 تشرين الثاني 1943، إلى إصدار قرار أعلن فيه اعتقال رئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح[5] مع ثلاث وزراء من حكومته وهم: سليم تقلا، وكميل شمعون، وعادل عسيران، وبعد ذلك

[1] شفيق جحا، معركة مصير...، ج2، ص812.

[2] عبد الله إبراهيم ابي عبد الله، دولة لبنان الكبير...، ص101.

[3] ماجد كامل عبد الله لفته الرديني، المصدر السابق، ص64.

[4] شفيق جحا وآخرون، المصور في تاريخ لبنان وفقاً لمنهج التعليم الرسمي الاخير في الجمهورية اللبنانية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1954، ج2، ص249؛ شكري نصر الله، تاريخ لبنان واللبنانيين نظرة إلى الوراء، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2006، ص16؛ بطرس فهد الاباتي، المصدر السابق، ص299؛ س. أيوب، الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان 1922- 1958، منشورات دار الحرية، بيروت، 1959، ص107.

[5] كميل شمعون، مراحل الاستقلال لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية، مكتبة صادر، بيروت، 1949، ص9؛ A.B Gaunson, The Anglo- French Clash in Lebanon and Syria, 1940-1945, St. Martin,s Press, New York,1987,p.123.

القي القبض على النائب عبد الحميد كرامي[1]، واستثني من الاعتقال حبيب أبو شهلا[2] وزير العدل، ومجيد أرسلان وزير الدفاع خوفاً من ثورة أنصاره الدروز[3]، وقد سيق المعتقلون إلى قلعة راشيا[4]، كما أصدر قراراً آخر أعلن فيه تعليق العمل بالدستور[5] وحل المجلس النيابي وتعيين إميل إده رئيساً للدولة والحكومة بصورة مؤقتة[6].

يتضح من تلك الإجراءات التي اتخذتها فرنسا انها لم تكن صادقة في نواياها، لذا كشرت عن انيابها بعد ان جاءت نتائج الانتخابات بغير صالحها، لذا ضربت بالديمقراطية التي كانت تنشدها عرض الحائط وتجاوزت على الحقوق الشرعية للشعب اللبناني، وعمدت الى كبح جماح الحياة النيابية في لبنان، وتبين بأن مسألة الاستقلال ماهي إلاّ قضية شكلية، حيث لم تحصل لبنان على السيادة الكاملة وظل استقلالها منقوصاً بسبب التدخلات الاجنبية، ولكن مع ذلك يمكن القول إنَه حقق خطوة نحو الامام لتحقيق الغاية المنشودة.

وعلى غرار ذلك احتج النواب اللبنانيون وعقدوا جلسةً استثنائية على الرغم من محاولات الجند الفرنسي منعهم من عقد تلك الجلسة وكان ذلك في التاريخ نفسه المشار إليه وقرروا في ذلك الاجتماع تغيير العلم اللبناني وتحريرهُ من الألوان الفرنسية، كما حرروا الدستور من كل أثر للانتداب[7].

---

[1] صلاح عبوشي، تاريخ لبنان الحديث من خلال 10 رؤساء حكومة، دار العلم للملايين، بيروت، 1989، ص27.

[2] حبيب أبو شهلا: من مواليد بيروت عام 1902، اتمَ دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثمَ اكمل دراسة ليسانس الحقوق في باريس، وبعد عودته من فرنسا عام 1924، قام ببعض التظاهرات التي يغلب عليها الطابع العربي نوعاً ما، عُين وزيراً للداخلية عامي 1937 و 1939، كُلِف برئاسة الحكومة عام 1944 مرتين. انتخب رئيساً لمجلس النواب عام 1946.توفي عام 1957. ينظر: جورج الراسي، المصدر السابق، ص153-154؛ عدنان محسن ضاهر، رياض غنام، المعجم الوزاري...، ص19-20.

[3] ماجد كامل عبد الله لفته الرديني، المصدر السابق، ص65-66.

[4] قلعة راشيا: تقع في قضاء راشيا على مسافة 85 كم من بيروت، وتشتهر تلك البلدة بقلعتها التي بنيت في عهد الصليبيين والتي سجن فيها رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري وعدد من رجالات الحكم في أواخر عهد الانتداب الفرنسي على لبنان. ينظر: موسوعة لبنان، لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الامس واليوم، Edito Creps، بيروت 1998، ج15، ص98-99.

[5] ابراهيم الفاعوري، تاريخ الوطن العربي، دار ومكتبة الحامد للنشر، عمان، 2010،ص194.

[6] محمد رجائي ريان، قضية استقلال لبنان 1943- 1946 وموقف بريطانيا منها دراسة تاريخية وثائقية، اتحاد الجامعات العربية- الجمعية العلمية لكليات الآداب، المجلد(4)، العدد(2)، 2007، ص325؛ ياسر الخزاعلة، المصدر السابق، ص39؛ كميل شمعون، مذكراتي، د.م، بيروت، 1969، ج1، ص28-29؛ يحيى محمد زاير الكورجي، سعد محسن عبد العبيدي، مشاركة سنة لبنان في أزمة الاستقلال اللبناني عام 1943، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد(3)، 2021، ص620.

[7] منير تقي الدين، المصدر السابق، ص88.

وقد عمَ السخط والاستنكار كافة الطوائف اللبنانية المسيحية والمسلمة احتجاجاً على الإجراءات الفرنسية[1]، وانطلقت المظاهرات الشعبية في بيروت وغيرها من المدن اللبنانية، وقد شارك في تلك المظاهرات المناهضة لاعتقال المسؤولين اللبنانيين، النساء اللبنانيات بقيادة زلفا ثابت قرينة كميل شمعون، وتوجهن نحو القنصليات الدولية لبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية ومصر والعراق، وانتهت مسيرتهن عند البطريك عريضة في بكركي، وقدّمنَ الاحتجاج والاستنكار لما قامت بهِ المفوضية الفرنسية من إجراءات تجاه الحكومة اللبنانية[2]، ولم تكن الصحافة بعيدةً عن تلك الاحداث فقد كان لها الدور الكبير والمتضامن مع الحركة الوطنية، فأعلنت الاضراب لحين اطلاق سراح المعتقلين[3].

ومن جانب آخر تمَ اعلان الاستنكار العربي والدولي، يضاف إلى ذلك التهديد البريطاني، فعمد المجلس النيابي على مطالبة الدول الحليفة والشقيقة للعمل على الافراج عن المعتقلين [4].

المبحث الثالث: استقلال لبنان في ظل مواقف أنطوان عريضة

وإزاء تلك الاحداث عقد في 13 تشرين الثاني 1943 مؤتمراً وطنياً في قصر نقولا بسترس لمواجهة مؤامرات عملاء الانتداب العاملين على اثارة الفتن الطائفية، وقد اقترح محمد جميل بيهم على المؤتمرين ارسال وفد لاستقبال البطريرك عريضة في بكركي بعد عودتهِ من مقرهِ الصيفي في الديمان لإطلاّعهِ على حقيقة الموقف قبل أن يتصل بهِ عملاء الانتداب الفرنسي ويشوهوا الحقائق، فرَحبَ المؤتمرين بإقتراح بيهم، إلاّ أن النائب فريد الخازن اقترب من بيهم وقال لهُ بصوت خافت[5]:"إنَ عمال الانتداب سواء كانوا من الفرنسيين أو من اللبنانيين سرعان ما تسلقوا الجبال إلى الديمان قبل أن يعقد المؤتمر جلسته، وشرعوا ينذرون البطريرك من سوء المصير ومن عواقب السياسة العربية التي يتبعها رياض الصلح تلك السياسة التي ترمي في هدفها البعيد إلى الوحدة العربية، وقد أكدّوا له إنَ السياسة سوف تؤدي إلى طغيان الاسلام والمسلمين على لبنان على اعتبار إنَ العروبة هيَ الاسلام"[6].

---

[1] مير بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، لندن، 1999، ص214؛ محسن أيمن، لبنان الصورة ذاكرة قرن في خمسين الاستقلال، دار جروس برس، بيروت، د.ت، ص38.

[2] عداي إبراهيم مجيد، المصدر السابق، ص35؛ شفيق جحا، معركة مصير لبنان...،ج2، ص825.

[3] محمد رضيوي فجر محمد الحميداوي، الموارنة ودورهم...، ص192؛ مسعود ضاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق...، ص171.

[4] ياسر الخزاعلة، المصدر السابق، ص39.

[5] حسان حلاق، المؤرخ العلامة...، المصدر السابق، ص58.

[6] نقلاً عن: محمد جميل بيهم، لبنان بين مشرق...، ص108-109.

وفي السياق ذاته حاولت المفوضية الفرنسية اقناع البطريرك عريضة إنَ الإجراءات الاخيرة التي قامت بها، كانت لصالح الطائفة المسيحية وبالضّد من الدعاة للوحدة العربية وأن يكون لبنان بلداً عربياً، وقد رفض البطريرك ذلك الأمر وردَ على المفوضية الفرنسية مستنكراً اعتقال الحكومة اللبنانية، فأقدم الجنرال كاترو إلى زيارة البطريك عريضة في 19 تشرين الثاني عام 1943 لبحث الأزمة اللبنانية والتي عرفت باسم أزمة تشرين الثاني، وقد جرى استقبال كاترو استقبالاً مهيباً في بكركي الأمر الذي دفع البطريرك عريضة إلى مخاطبة كاترو[1] قائلاً :"لا تظن إنَ الذين استقبلوك هنا بهذه المظاهر وحملوك، يعبرون عن عاطفة صادقة ورأي مجرد، إنَ معظمهم من موظفي الأمن العام، ومن لم يكن منهم كذلك، فهوَ رجل قد استأجروه وجروه إلى هذا الدار ليخدعوك، وليوهموك أن في البلاد من هوَ راضٍ عن هذه الحال...وثق أخيراً أنَه لم يرض لبناني واحد عن الحكومة الشرعية بديلاً، ولن يرضى بغير رجوع جميع رجال الحكم، إلى ما كانوا عليه...وأنا في طليعة الجميع، وخيرٌ لكم أن تسرعوا، ومرور الوقت خسارةٌ لكم، وربحٌ لغيرِكم"[2].

ونتيجة الضغط المتزايد من قبل الشعب اللبناني والبطريركية المارونية بزعامة البطريرك عريضة، اضافةً إلى الضغوط العربية والبريطانية[3] على الحكومة الفرنسية والداعية إلى ضرورة الافراج عن الحكومة اللبنانية الشرعية وإعادة الاستقرار إلى البلاد، اضطرت السلطات الفرنسية إلى الافراج عن المعتقلين في 22 تشرين الثاني عام 1943، بعد أن امضّوا 12 يوم في الاعتقال، وتمَ اعادتهم إلى مناصبهم السابقة، كما أُعيدت الحياة الدستورية إلى لبنان وعُدَ ذلك اليوم عيداً وطنياً لّلبنانيين[4].

وقد سجّل خروج الزعماء المعتقلين هزيمةً كاملة لسياسة العصا الغليظة التي اعتمدتها المفوضية العليا الفرنسية في بيروت بدعم مباشر من الجنرال ديغول، وكانت فرحة اللبنانيين كبيرةً في ذلك اليوم

[1] بشرى ابراهيم سلمان العنزي، المصدر السابق، ص293-294.

[2] نقلاً عن: شادي خليل أبو عيسى، الولايات غير المتحدة...، ص229؛ مسعود ضاهر، لبنان الاستقلال، الصيغة...، ص210؛ علي عبد المنعم شعيب، تاريخ لبنان من الاحتلال...، ص222؛ منير تقي الدين، المصدر السابق، ص185.

[3] تيودور هاتف، لبنان تعايش في زمن الحرب من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة، نقله عن الألمانية موريس صليبا، مركز الدراسات العربي- الأوربي، باريس،1993، ص100؛ ياسر الخزاعلة، المصدر السابق، ص43.

[4] جاسم محمد خضير الجبوري، الموقف العربي والدولي...، ص354-355؛ علي حسين نعيم الوائلي، المصدر السابق، ص43؛ بشارة الخوري، حقائق لبنانية...، ج2، ص49؛ شادي خليل أبو عيسى، رؤساء الجمهورية...، ص56.

التاريخي الذي أكّد ولادة استقلال لبنان السياسي وعُدّ عام 1943 نهاية الانتداب الفرنسي وولادة استقلال لبنان[1].

النتائج:

لقد توصلت الدراسة عن شخصية البطريرك عريضة إلى عدة امور يمكن تلخيصها بالتالي:

- ترك البطريرك عريضة بصماته الواضحة على الأحداث السياسية اللبنانية التي عاصرها وأثر فيها كثيراً، إلى الحد الذي كان فيه يشغل وبقوة المكان والعمل الذي يمارسه، ففي الوقت الذي كان فيه كاهناً تحت امرة البطريرك في مراحل حياته الأولى، عمل على أن يكون مثالاً لرجل الدين الوطني المطالب لمصالح شعبه، والأكثر من ذلك عندما جلس على كرسي البطريركية تصرف وكأنه يمتلك خبرات سابقة بمنصبه الجديد، وبذلك كان رجل دين وسياسي ناجح وزعيم متميز ورجل محب لوطنه.

- ولعلنا لم نغالِ كثيراً إذا قلنا بأن الذي نترجم له كان على الرغم من مواقفه الأخرى، إلا أنه ظل قريباً إلى حدٍ ما من تطلعات الشعب اللبناني، وسعى خلال مرحلة تسنمه مركز البطريركية على تحقيق ما فيه صالح البلاد، وهذا ما يحسب له بين بقية أفراد الطوائف الأخرى.

- هناك من يعتقد بأن البطريرك عريضة كان غامضاً في بعض مواقفه وتوجهاته الخارجية، ولا يستبعد أن يكون ذلك الاعتقاد نابع من مواقفه إزاء بعض الأحداث ومراحلها التاريخية، فنجده مثلاً يساير مواقف الفرنسيين تارةً، والبريطانيين تارةً اخرى، وربما هذا التقلب بالمواقف يرجع إلى سياسة تكتيكية عمد إليها البطريرك عريضة لكسب بعض النجاحات لصالح بلده من خلال إيجاد قوة منافسه ثانية لسياسة فرنسا تجاه لبنان، لذا اتصفت سياسته بعدم الاستقرار تجاه جهة محددة.

[1] مسعود ضاهر، لبنان الاستقلال، الصيغة...، ص218؛ Samuel M. Katz and Lee E. Russell, Armies in Lebanon 1982–1984, Osbrey publishing Lud,1985,p3.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق

الوثائق المنشورة وغير المنشورة

1. م.م.ن، الدور التشريعي الخامس، العقد الاستثنائي الاول، بتاريخ 21 أيلول 1943.
2. م.م.ن، الدور التشريعي الخامس، العقد الاستثنائي الأول، محضر الجلسة الثانية المنعقدة بتاريخ 23 أيلول 1943.
3. م.م.ن، محضر الجلسة الثالثة لمجلس النواب اللبناني، العقد الاستثنائي، بتاريخ 7 تشرين الأول 1943.

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية

1. بشرى ابراهيم سلمان العنزي، موقف اللبنانيين من إعلان دولة لبنان الكبير والجمهورية اللبنانية 1920- 1946، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 2017.
2. حسان الاشمر، دور الطوائف في النظام السياسي اللبناني(النشأة- والتطور- والافاق)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالي للدكتوراه في الحقوق والعلوم السياسية والادارية والاقتصادية، الجامعة اللبنانية، 2011.
3. رحيم صدام جبر الساعدي، التعددية السياسية وصنع السياسة العامة في لبنان بحث في واقع النظام السياسي اللبناني 1975- 1990، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النهرين، 2007.
4. رحيم صدام جبر الساعدي، التعددية السياسية وصنع السياسة العامة في لبنان بحث في واقع النظام السياسي اللبناني 1975- 1990، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النهرين، 2007.
5. روعة محمد ملص، اشكالية ممارسة السلطة التنفيذية في لبنان بعد اتفاق الطائف، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2020.
6. ريغي صادق، تأثير البعد الهوياتي على بناء الدولة(العراق ولبنان-أنموذجا)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بو ضياف المسيلة، الجزائر، 2019.
7. سالي سعد محمد الفراجي، أزمة رئاسة الجمهورية في لبنان دراسة في الأسس والأبعاد المستقبلية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 2016.
8. علي حسين نعيم الوائلي، مجلس النواب اللبناني وموقفه من التطورات السياسية في لبنان 1958- 1975، اطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، 2014.

9. عمار منهل محمد، كمال جنبلاط ودوره في السياسة الداخلية اللبنانية 1917- 1977، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، 2013.

10. فاضل حايف كاظم غربي السلطاني، صائب سلام ودوره السياسي في لبنان حتى عام 2000، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، 2014.

11. قاسم خليف عمار العكيلي، التنوع الطائفي وأثره على الواقع السياسي في لبنان 1920-1958 دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 2013.

12. ماجد كامل عبدالله لفتة الرديني، مجيد أرسلان ودوره السياسي في لبنان 1908- 1983، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 2021.

13. محمد حسين زبون الساعدي، الدروز ودورهم السياسي في لبنان 1943- 1989، اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، 2008.

14. محمد رضيوي فجر محمد الحميداوي، الازمة السياسية اللبنانية عام 1943 والموقف الدولي منها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، 2010.

15. محمد رضيوي فجر محمد الحميداوي، الموارنة ودورهم في الحياة السياسية اللبنانية (1919-1958)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 2015.

ثالثاً: الكتب العربية والاجنبية

1. ابراهيم الفاعوري، تاريخ الوطن العربي، دار ومكتبة الحامد للنشر، عمان، 2010.

2. أحمد زين الدين، صفحات من حياة الرئيس صبري حمادة، نوفل، بيروت، 1997.

3. اميل بستاني، الميثاق الوطني ولبنان المستقل، د.م، د.ت.

4. بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج2، منشورات لبنانية، بيروت، د.ت.

5. بطرس فهد الاباتي، بطاركة الموارنة وأساقفتهم القرن 20، دار لحد خاطر، بيروت، 1987.

6. تيودور هاتف، لبنان تعايش في زمن الحرب من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة، نقله عن الألمانية موريس صليبا، مركز الدراسات العربي- الأوربي، باريس،1993،

7. جورج الراسي، لبنان الأزل بين الجد والهزل، المركز العربي للتوثيق والإعلام، بيروت، 2004.

8. جورج صليبي، زعامات وعائلات، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

9. جورج فرح، اللبناني الأول، دار النشر السياسية للشرق الأوسط، د.م، د.ت.

10. حسان حلاق، المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم 1887- 1978، بيروت، 1980.

11. س. أيوب، الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان 1922- 1958، منشورات دار الحرية، بيروت، 1959.

12. سعد الدين ابراهيم، تأملات في مسألة الاقليات، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1992.

13. شادي خليل ابو عيسى، رؤساء الجمهورية اللبنانية ، خفايا، وقائع، وثائق، صور، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2008.

14. شادي خليل أبو عيسى، قدم له روبير غانم، الولايات غير المتحدة اللبنانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2009.

15. شفيق جحا وآخرون، المصور في تاريخ لبنان وفقاً لمنهج التعليم الرسمي الاخير في الجمهورية اللبنانية،ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1954، ج2،

16. شفيق جحا، معركة مصير لبنان في عهد الانتداب الفرنسي 1918-1946، مكتبة رأس بيروت، بيروت، 1995، ج2.

17. شكري نصر الله، تاريخ لبنان واللبنانيين نظرة إلى الوراء، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2006.

18. صلاح عبوشي، تاريخ لبنان الحديث من خلال 10 رؤساء حكومة، دار العلم للملايين، بيروت، 1989.

19. عارف العبد، لبنان والطائف تقاطع تاريخي ومسار غير مكتمل، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.

20. عباس ابو صالح، الازمة اللبنانية عام 1958 في ضوء وثائق يكشف عنها لأول مرة، المنشورات العربية، بيروت، 1998.

21. عبد الله ابراهيم أبي عبد الله، دولة لبنان الكبير من العام 1918 إلى العام 1945، دار نوبليس، بيروت، 1991، ج7.

22. عدنان محسن ضاهر ورياض غنام، المعجم الوزاري اللبناني سيرة وتراجم وزراء لبنان 1922- 2008، دار بلال للطباعة والنشر، بيروت، 2008.

23. عصام سليمان، الفدرالية والمجتمعات التعددية ولبنان، دار العلم للملايين، بيروت، 1991.

24. علي عبد المنعب شعيب، تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء 1918–1946، دار الفارابي، بيروت، 1990.

25. غسان فوزي طه، هوية لبنان (عند الكيانيين– القوميين– الإسلاميين)، المركز الاسلامي للدراسات الفكرية، د.م، 2009.

26. كميل شمعون، مذكراتي، ج1، د.م، بيروت، 1969.

27. كميل شمعون، مراحل الاستقلال لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية، مكتبة صادر، بيروت، 1949.

28. محسن أيمن، لبنان الصورة ذاكرة قرن في خمسين الاستقلال، دار جروس برس، بيروت، د.ت.

29. محمد جميل بيهم، العروبة والشعوبيات الحديثة، مطابع دار الكشاف، بيروت، 1957.

30. محمد جميل بيهم، النزعات السياسية بلبنان عهد الانتداب والاحتلال 1918 – 1945، دار الاحد، بيروت، 1977.

31. محمد جميل بيهم، لبنان بين مشرق ومغرب 1920 – 1969، بيروت، 1969.

32. محمود صالح منسي، الشرق العربي المعاصر القسم الاول الهلال الخصيب، د.م، 1990.

33. مسعود ضاهر، لبنان الاستقلال، الصيغة والميثاق،ط3، دار الفارابي، بيروت، 2016.

34. مسعود ضاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، معهد الانماء العربي، بيروت، 1977.

35. منير تقي الدين، الجلاء – وثائق خطيرة تنشر لأول مرة تكشف النقاب عن اسرار جلاء القوات الاجنبية عن لبنان وسورية عام 1946، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1956.

36. المؤتمر الثقافي العربي الاول، لبنان في عهد الاستقلال، دار الأحد، بيروت، 1947.

37. موسوعة لبنان، لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الامس واليوم، ج15، Edito Creps، بيروت 1998.

38. مير بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، لندن، 1999.

39. ياسر الخزاعلة، تاريخ الازمة السياسية في لبنان 1957– 1958، دار الخليج، عمّان، 2007.

40. يوسف سالم، 50 سنة مع الناس، ط2، دار النهار، بيروت، 1998.

41. A.B Gaunson, The Anglo- French Clash in Lebanon and Syria, 1940-1945, St. Martin,s Press, New York,1987.

42. Samuel M. Katz and Lee E. Russell, Armies in Lebanon 1982-1984, Osbrey publishing Lud,1985.

43. William Harris, Lebanon; a history, 600-2011,Oxford University press,New York, 2012.

رابعاً: البحوث والمجلات

1. بشير تركي كريشان، الهوية الطائفية والتنوع وحقوق الأقليات في صياغة الدساتير العربية (لبنان نموذجاً)، مجلس قضايا سياسية، جامعة النهرين، العدد 63 السنة الثانية عشر، 2020.

2. جاسم محمد خضير الجبوري، الموقف العربي والدولي من أزمة العلاقات اللبنانية- الفرنسية 11-12 تشرين الثاني 1943، مجلة أداب الرافدين، العدد (280)، جامعة الموصل، 2020.

3. عداي إبراهيم مجيد حوران، جاسم محمد عبد الشجيري، أثر الحركة الفكرية في الاوضاع والقضايا الاجتماعية والاقتصادية في لبنان 1920- 1958، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، جامعة الانبار، ملحق العدد 72، 2019.

4. فهد عباس سليمان السبعاوي، موقف بريطانيا من الأزمة السياسية في لبنان تشرين الثاني 1943، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد(2)، العدد(16)، 2013.

5. محمد رجائي ريان، قضية استقلال لبنان 1943- 1946 وموقف بريطانيا منها دراسة تاريخية وثائقية، اتحاد الجامعات العربية- الجمعية العلمية لكليات الآداب، المجلد(4)، العدد(2)، 2007.

6. يحيى محمد زاير الكورجي، سعد محسن عبد العبيدي، مشاركة سنة لبنان في أزمة الاستقلال اللبناني عام 1943، الجامعة المستنصرية، العدد(3)، 2021.

الدوافع الدينية للصراع في روايات المتاهة لبرهان شاوي

Religious motivations for Conflict in Burhan Shawi's Labyrinth Novels

الباحث: عطا جواد كاظم

أ.م.د. سلام مهدي الموسوي: كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق

Ata Jawad Kadham

Assist. Prof. DR. Salam Mahdi AL Musawi: Faculty of Arts, University of Dhi Qar, Iraq

الملخص:

تعد الدوافع الدينية من المحركات الأساسية للشخصيات الروائية في تحديد مواقفها وأسلوب تعاملها مع الشخصيات الأخرى، فنجد في روايات المتاهة لبرهان شاوي شخصيات سوية تفهم الدين فهماً صحيحاً، ونجد أيضاً شخصيات غير سوية تقوم بتجيير الدين لصالحها ولتحقيق أهدافها، فقد كان التركيز على هذه الأخيرة، حيث أنها كانت سبب لبؤر كثيرة من الصراع، ذلك لعدم استقامتها وأضرارها بالآخرين. إن أهم الأهداف التي ركز عليها بحثنا هذا، هو صراع هذه الشخصيات المتلبسة بالدين مع الآخر المختلف عن آيديلوجيتها الفكرية واختلاق سوء فهم الآخر من اجل السيطرة عليه وإقصائه، بذلك يجعل له الصدارة في المجتمع والحصول على زمام السلطة، أما المحور الآخر من الصراع هو صراع المرأة مع الآخر المتمثل بالرجل الذي يفهم الدين على نحو متشابك مع التقاليد مما يجعله يفتقد السماحة. وان المشكلة التي يمكن أن نرصدها، هي الشخصيات المتمثلة بالدين والتي لا حياء لها ولو على حساب الآخرين (لا دين لمن لا حياء له) على عكس الذي يمارس العقل الديني بحياء كما تأمره الشريعة الإسلامية، والنتيجة الأهم التي لمسناها في متاهات برهان شاوي هي أشير إلى فلسفة التضاد التي أوجدتها الحياة وأوجدها الإنسان نفسه وهو المفعل لهذا الاختلاف، ليضع العقل في مفترق طرق، وقد أخترنا لهذه الدراسة المنهج المناسب وهو المنهج الوصفي الذي يقوم الباحث فيه بالشرح والتفصيل بحسب مكونات الظاهرة كما هي من دون زيادة أو نقصان، أو معيار، أو نقد، بل يقوم التوصيف على ذكر الحقائق كما هي سلبا وإيجابا.

الكلمات المفتاحية: شخصيات روائية، دوافع دينية، روايات المتاهة.

Abstract:

Religious motivations are among the main incentive of the novelistic characters in determining their attitudes and the way they deal with other characters. In Burhan Shawi's labyrinth novels, there are normal characters who understand religion correctly, and abnormal characters who wrongly use religion in their favor to achieve their goals. The focus was on the abnormal characters as they were the cause of many hotbeds of conflict due to their lack of integrity and their harm to others. The most significant objectives that this research focused on are the conflict of these dubious religious figures with the other who differs from their intellectual ideology and the fabrication of misunderstanding the other for control and exclusion. Thus, they have the lead in society and gain the power. The other core of

the conflict is a woman's conflict with the other represented by a man who understands religion in a way that intertwines religion with tradition, which makes it lack of tolerance. Moreover, the problem that we can observe is the characters represented by religion and who have no shame, even at the expense of others (There is no religion for the one who has no modesty) in contrast to the one who practices religious thinking modestly as ordered by Islamic law. The most important result that we have seen in Burhan Shawi's Labyrinth is the reference to the philosophy of contradiction created by life and created by man himself, who is the activator of this difference, to put the mind at a crossroads. In this study an appropriate approach is used which is the descriptive approach, in which the researcher explains in detail according to the components of the phenomenon as it is, without addition, decrease, criterion, or criticism. Rather, the description is based on stating the facts as they are either positive and negative.

Keywords: fictional characters, religious motivations, Labyrinth novels.

المقدمة:

يُعد الدين في المجتمعات البشرية من البُنى الأساسية التي ينطلق منها المجتمع ويتحرك، فهو من المؤكد يعد ما يسمى بالحافز أو الدافع أو المحرك، فهو لم ينطلق من متخيل اجتماعي فهو شكل من أشكال النتاج العاطفي أو الانفعالي، أو هو عبارة لتجسيد هوية مجتمع معين يحرك الإنسان بدافع يقيني فيه من الجزمية التي لا تقبل الخطأ، وهذا الدافع قد يتحول من تقديس الخطاب الديني الإلهي إلى تقديس القراءات البشرية للدين، وبسبب اختلاف هذه القراءات فإننا نرى الكثير من المحركات التي تخلق فجوات كبيرة في المجتمع، والتي قد تنمي مفاهيم الطائفية والأفضلية على الآخر، أو لتحقيق منافع ايديولوجية تصنع متخيل للإنسان وقراءة المجتمع لخطابه الديني، وتصبح هذه الخطابات جزء من طبيعة المجتمع والأفراد وبالنتيجة تصبح جزء من البنية السيكولوجية النفسية للفرد أو جزء من البنية الثقافية والممارسات اليومية، لذلك أصبحت الفتاوى التكفيرية هي البوابة التي تحقق الكثير من الأهداف والغايات والتي تتعلق بالمفاهيم السياسية المنشودة والتي تحقق غايات برغماتية نفعية.

شغل الخطاب الديني مساحات واسعة في متون الرواية العربية المعاصرة، باعتباره عاكس للثقافة العربية ومشخص للمنظومة الفكرية التي ينتهجها المجتمع، الذي يفسح للدين مجالاً واسعاً ويجعل الناس يتخذونه كتعبير عن الالتزام والاستقامة، كما يعد الدين المقياس الأكثر دقة لأخلاق وآداب المجتمع[1]. فللدين تمثلات ايجابية من حيث الأخلاق والتوجيه والتوعية، وإنها تخلق شكل من أشكال التوازن في المجتمع، وتعطي الأفراد دافعية في التعاون والإخاء والإخلاص في العمل، و هذه لها الدور الكبير في صناعة المجتمع الفاضل، ومنطلق ووسيلة إلى الوصول إلى مجتمع اليوتوبيا أو المجتمع المتكامل.

والدين نسق ثقافي مرتبط بنشأة الإنسان ومتعالق مع ظهور المجتمعات، فهو قديم مع قدم الإنسان، الذي يلجأ إلى الله ليجد تفسير لوجوده ولوجود الظواهر الطبيعة المحيطة به، تتضح أهميته من أثره المطبوع في الأنظمة والأبنية الثقافية كافة. ومن هنا، يعتمد أو بالأحرى يستثمر هذا النسق الثقافي– الدين – في أي محركٍ وتثوير لمكونات وعناصر بنية أي نظام اجتماعي؛ وذلك لما يملكه هذا النسق من قوة روحية ثقافية وقوة مادية اقتصادية في ذات البنية العميقة والظاهرة للمجتمعات العامة.[2]

[1]– مفيدة بنوناس، تمظهر الخطاب الديني في الرواية المغاربية المعاصرة، أ/، الجزائر، المركز الجامعي الطارف، العدد ١٣، مارس ٢٠١٢م، ص٢٥٧.

[2]– عروبة جبار صواب الله، الأهوار في الرواية العراقية (دراسة في ضوء النقد الثقافي)، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١١٥.

ومن الطبيعي أن الروائي يقوم بالكتابة عن مجتمعه الذي عاش فيه وتربى على فطرته، وهو شأنه شأن أي إنسان آخر يرتبط بمعتقدات دينية مستمدة بطبيعتها من مرجعيات وثقافات، هي أصلها رواسخ ذاتية نشأ وتربى عليها وتأثر بها، والموروث الديني شأنه شأن أي نوع آخر من الموروثات الحضارية، و من المرتكزات الهامة في بناء المجتمعات العصرية المتطورة. [1]وعلى ذلك فإن الدين هو (المنبع الأساسي لكل العمليات في المجتمع الإنساني)[2] لأن الإنسان يتخذ من الدين لتنظيم النفس من الداخل على وجهة من التوجهات، وبحسب هذا الاعتقاد يقوم بتجسيد أفعاله وفق تطبيقات للسلوك والتصرفات (لذلك كان الجانب الديني من الأمور التي لا يمكن تجاوزها في التنقيب النقدي الروائي، لما له من صلات ثقافية واجتماعية مهمة، فهو الركيزة الأساسية في بناء وتطوير العلاقات الاجتماعية المتبادلة، وهو كذلك من أهم الظواهر الاجتماعية وأقواها على الإطلاق؛ لأنه يضفي نشاطاً إنسانياً داخل المجتمع الواحد، وبالتالي فإن عملية خلق النص الأدبي متصلة في جوانبها الأدبية المتعددة بالمجتمع، الأمر الذي يؤكد اتصال النظرة الدينية بالبنية الداخلية للعمل الأدبي)[3].

فالدوافع الدينية كثيرة، التي من شأنها تحمل على عاتقها بتحريك الإنسان فكريا وخطابيا وديناميكيا، تتغير أحواله من اعتقاد إلى آخر ومن موقع إلى آخر، فهو يحدد مسيرة حياته وتعامله مع المجتمع والأفراد مما يجعل لدوافعه أهمية في البنيات السردية، والتي تتخذ منه في تركيبة منظور الشخصيات وحوارها في الأعمال الروائية، من خلال تفكيرها بنهاية الإنسان وما ورائه من جزاء في الجنة ووعيد من عذاب النار، وهذا ما يجعل للشخصية أسلوبها الخاص من حيث مبدأ الثواب والعقاب وصراعها من أجل غفران الذنوب والخوف من بلاء الدنيا، أو يتخذ من المعتقد الديني تعبير عن الهوية التي ينتمي لها.

استناداً إلى ذلك فبإمكاننا بناء مؤشر للدين باعتباره مجموعة من المبادئ والأفكار والقيم التي تحكم سلوكيات البشر في مختلف مجالات الحياة الدنيا، كما تؤسس سلوكيات البشر نحو حياتهم الآخرة. ومن الممكن أن يكون الدين قوة محافظة على الاستقرار والتماسك الاجتماعي، كما يمكن أن تلعب معانيه دورا في إثارة التغيير الاجتماعي وفي كثير من الحركات والثورات الاجتماعية. فالإنسان العربي متدين بطبعه وذلك أن الأرض التي عاش عليها كانت ولا زالت تحفل بمختلف الديانات، فالدين ينظم له كل تفاصيل حياته، فهو آلة من آليات التماسك والاستقرار، أو أنه قد يصبح أداة من

[1]– معاذ بشير عبد العزيز المناصير، (2009م) الخطاب النقدي في الرواية العربية، الروايات الثلاثية نموذجا، الجامعة الأردنية (اطروحة دكتوراه غير منشورة، ص٣٦.

[2]– عدلي ابو الطاحون (1999م) سوسيولوجيا التطرف الديني، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ص٢٣.

[3]– معاذ بشير عبد العزيز المناصير، الخطاب النقدي في الرواية العربية، الروايات الثلاثية نموذجا، ص٣٥.

أدوات الفوضى الاجتماعية إذ لعبت يد خفية دورها في نشر تصورات أو توجهات سلبية بين أصحاب الأديان المختلفة كل تجاه الآخر[1].

الصراع الديني الفكري

عندما يستخدم الدين في قضايا ايديولوجية أو مصالح سياسية فيصبح معول هدم للإنسان وتقويض كثير من المجتمعات، ويزرع الكراهية فيما بينها من خلال جهات وأطراف تقوم على تغذية ثقافة الكراهية وتفكر بمصالحها الخاصة أو مناصبها، وتصبح مضامين الدين والخطاب الديني مادة تؤدي إلى جانب سلبي ولا تؤدي إلى بناء مجتمع حقيقي.

ومن الصراعات التي تمثلت من رؤية دينية واختلاف في وجهات النظر بين الشخصيات، هو صراع شخصية **آدم الأسير** مع مدير المدرسة **الأستاذ قابيل الفهد** وكان الموضوع المشترك بينهما والموجب للصراع، هو شخصية **حواء الزاهد** التي اتهمها **آدم الأسير** بالفسق و الفجور، فحينما دخل آدم الأسير و وجد حواء الزاهد جالسة في إدارة المدرسة، وتتحدث مع المدير قابيل الفهد **(في تلك اللحظات بالذات دخل إلى المكتب رجل، كان واضحا من هيئته، وبقعة السواد على جبينه، وقميصه المفتوح عند الرقبة، وملابسه السوداء)** وعندما رأته حواء الزاهد **(نهضت وغادرت المكتب. بينما هي تغادر غرفة المدير التقت عند الباب بالفراش وهو يقود ابنها، فأخذت ابنها وهرعت شبه راكضة)**[2] فهذا الوصف لهيئة آدم الأسير الذي يتسم بمظهره ولون ملابسه، يوحي إلى الشخصية الدينية المتزمته والتي تهتم بالمظهر وتخالف الجوهر، وهذه الشخصية ذات أفكار متطرفة غير متسامحة مع الآخرين، شكوكة، حقودة، تتهم الناس دون الرجوع إلى أحكام الشرع وفي التأني قبل التثبت من الاتهام.

فالشخصية المغايرة والمختلفة التفكير، هي الشخصية التي تتشكل فيها بؤرة الصراع، لأن الشخصية من أهم عناصر السرد، إذ هي التي يقوم عليها السرد ويستقيم أو يتشابك حتى يخلق لنا حبكة وعقدة تلتقي وتتصارع في دائرتها الشخصيات غير المتوافقة في وجهات نظرها وكل شخصية تمتلك دليلها في أبطال الحجة الأخرى.[3] فالطريقة الوصفية هي الطريقة المباشرة التي يعتمدها الكاتب كثيراً، فالكاتب المبدع هو الذي يترك لخياله أن يلعب دوراً مهماً في رسم شخصياته، وهذا

---

[1]– علي ليلة، (2012م) الأمن القومي العربي في عصر العولمة (اختراق الثقافة وتبدد الهوية)، جامعة عين الشمس، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ص٢٥٧.

[2] –برهان شاوي، (2013م) متاهة قابيل الدار العربية للعلوم ناشرون ص١٠٠.

[3] – بو دومي مليكة (2009م) تقنيات الراوي في السرد الروائي الجزائري، في ضوء نظرية التلقي، رواية (الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء) للطاهر وطار نموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، ص٣٧.

يعتمد على قدرته وفهمه لها، وعلى تصوره لتصرفاتها التي قد تصدر منها تحت ظروف معينة، ويتحدث عنها بإيجاز ويتناولها بالاعتماد على المظهر الخارجي الذي يشمل الملابس والهيكل الخارجي والبنية الجسمانية، التي تدل على البيئة الاجتماعية أو العمل أو الوضع الاجتماعي[1].

وبما تقدم من تحليل نقدي لهيئة **آدم الأسير**، فإن الأستاذ **قابيل الفهد** كان يكره **آدم الأسير**، الذي يعمل بوظيفة محاسباً للشؤون المالية في المدرسة، فبرقت في ذهن الأستاذ **قابيل الفهد** أفكار وأحاديث مع نفسه، حيث كان يفكر كيف يعرف من هذا المحاسب سبب خوف **حواء الزاهد** منه، لأنه تأكد بأن هناك شيء مرعب بين هما، ففكر **(كيف له أن يستل المعلومات عن هذه العلاقة من هذا المحاسب الأصولي المقيت)**[2] فقد وصف قابيل الفهد الحاج آدم الأسير بالمقيت، وذلك لما يتصف بأفكار متطرفة ولا تقبل الحوار والنقاش، فدار حوار طويل بين آدم الأسير والأستاذ قابيل الفهد حول شخصية حواء الزاهد، فكان **آدم الأسير** يقذفها بأقذع الألفاظ بينما المدير **قابيل الفهد** وهو الإنسان المتسامح المثقف ظل يقاومه بالرد عليه ودحضه بالحجج، مدافعا عن **حواء الزاهد** وعن سوء ظن **آدم الأسير** بها.

(- عفواً أستاذ قابيل.. هل تعرف هذه المرأة؟

- عفوا ماذا تقصد؟

- سؤالي واضح أستاذ قابيل.. هذه المرأة لا يليق بها أن تدخل إلى مدرسة محترمة لأنها ستسيئ لسمعتها.. إنها امرأة سيئة السمعة..؟

- سيئة السمعة. من أين تعرف ذلك؟

- أنا أعرف ذلك من مصادري الخاصة..

نظر إليه المدير قابيل الفهد متفحصاً، وقال له ما بين السخرية ومحاولة استسقاء المعلومات منه:

- ألا يمكن لمصادرك أن تكون مخطئة، وإنك ترمي المحصنات دون علم أو دليلاً وبرهان؟..!

- مصادري لا تخطئ أستاذ قابيل.. قال ذلك بعصبية وتحدٍ.([3]

[1] - فاطمة عيسى جاسم (2004م) غائب طعمة فرمان روائيا، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ص١١٨- ١١٩.

[2] متاهة قابيل، ص ١٠٠

[3] متاهة قابيل، ص ١٠١

فالأستاذ **قابيل الفهد** أجابه بمنطق ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم، فقال له أنك ترمي المحصنات دون دليل وعلم مستنداً إلى قوله تعالى **(**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**)**[النور: ٢٣] فمن هذه الآية الكريمة يتحرك الدافع الديني عند **قابيل الفهد** في محاججته **لآدم الأسير**، فقد كان نتيجة ذلك الحوار هو بداية الصراع بين **آدم الأسير** والأستاذ **قابيل الفهد**، فهذا الأخير يدافع وينزه شخصية **حواء الزاهد** لأن **آدم الأسير** يشهّر بها بأنها امرأة سيئة وفاسقة، دون دليل أو علم. **(نظر كل منهما إلى الآخر بتحدٍ وعداءٍ مبطن، لكنه كان واضحا لكليهما، وكأنما كان كل منهما يتوعد الآخر بصمت، ولم ينته هذا التوتر الذي دام لنصف دقيقة تقريباً، إلا بمغادرة المحاسب آدم الأسير للمكتب)**[1] فقد اخترنا الشخصيات المسببة للصراع، وهي الشخصيات غير السوية، ولكنها متمثلة بالدين لابسة لباس الدين، متقنعة بالدين، بعيدة عن الشخصية الدينية الحقيقة، التي لا تقدم على أمر إلا أن تكون متيقنة منه، عالمه بحدوده الشرعية.

فهو صراع بين اتجاهين الأول متطرف والآخر معتدل، فكلاهما يُعد خطاباً دينياً و الحقيقة أن الفارق بين هذين النمطين من الخطاب، فارق في الدرجة لا في النوع وذلك من حيث المنطلقات الفكرية أو الآليات بينهما[2]. فهذا **آدم الأسير** يتهم **حواء الزاهد** ويقول: **(مصر على بأن هذه المرأة فاسقة، وسيئة السمعة، وأن ابنها الرضيع هو ابن زنا)**[3] فهو يؤكد على تزمته وتطرفه، داعماً هذا التطرف بألفاظ دينية تشير إلى عدم شرعية الابن الرضيع وألفاظ تصف هذه المرأة بالفسق وسوء السمعة، إما الشخصية المعتدلة التي تتمثل بالأستاذ **قابيل الفهد**، فقد أصر على موقفه أيضا، ذلك في الدفاع عن **حواء الزاهد** وتبرئتها من هذه التهم التي نسبها لها **آدم الأسير**.

فحين ما خاطب قابيل الفهد مؤنباً **آدم الأسير (عجيب أمرك.. سيد آدم.. مازلت مصرا على موقفك.. من أين لك هذه الثقة بما تقوله عنها وتتهمها به)**[4].

وبعد هذا الحوار بين **قابيل الفهد وآدم الأسير** تبين أن آدم الأسير ينتمي إلى عصابة دينية تتهم كل من يخالفها بأنه علماني وبعيد عن الدين، وأن احد أفراد هذه العصابة وهي شخصية **الحاج هابيل** يكون أخ وزوج **حواء الزاهد**، حيث كانت هذه الشخصية قد اتهمت الأستاذ **قابيل الفهد** بالتقرب من زوجة أخيه الراحل، واتهمته أيضا بأنه ينتمي إلى تيارات علمانية، وأنه عشيق لحواء الزاهد مثل ما عشقت **آدم المحروم** الذي قُتل على يد هذه العصابة، حيث قال له **(مصيرك لن يختلف عن ذلك**

[1] – متاهة قابيل، ص ١٠٢

[2] – نصر حامد ابو زيد(1994م) نقد الخطاب الديني، نصر، سينا للنشر، ط١، ص٦٧.

[3] – متاهة قابيل، ص ١٠٢.

[4] – المصدر السابق، ص102.

الشيوعي الحقير.. وربما أنت شيوعي حقير مثله)[1] بينما كان الأستاذ **قابيل الفهد** يصف المحاسب **آدم الأسير** وهو أحد أفراد هذه العصابة ب **(المحاسب الأصولي المقيت)**[2] فإن بؤرة الصراع تدور حول دائرة التطرف والاعتدال، فهما قطبان متنافران، واتجاهان متعاكسان، مما دعا هذه العصابة إلى اختطاف **الأستاذ قابيل الفهد** تحت تهمة أنه يعارض التيارات الدينية، أنه هو من **(العلمانيين الملحدين الكفرة)**[3] وأدرك الأستاذ **قابيل الفهد** أن سبب اختطافه، هو الحوار الذي دار بينه وبين **آدم الأسير** ودفاعه عن **حواء الزاهد**، ومعارضته لأفكار آدم الأسير الدينية الخاطئة والتي تتهم الناس بدون دليل، معتمدة على الظن في إدانة الآخرين، حيث أن ساعي المدرسة الذي يعمل بصفة حارس للمدرسة أيضا، أخبر الأستاذ **قابيل الفهد** عن تآمر **آدم الأسير** عليه واتهامه بتهم زائفة تحط من أخلاقه وشخصيته وعن علاقته بحواء الزاهد حيث قال له: **(بأن المحاسب جاء غاضبا وجلس يوسوس هامسا للموظفة حواء آل حجر، عن علاقة المدير بامرأة سيئة السمعة، وأنه وجدهما في أوضاع غير سوية، وأنه يسيء استخدام منصبه الوظيفي بإقامة علاقات مع أمهات وأخوات التلاميذ، وأحيانا لديه علاقات شاذة مع الصبيان الصغار**[4] فكل هذه الصراعات بين الأستاذ قابيل الفهد وآدم الأسير أدت نتيجتها إلى اختطاف المدير قابيل الفهد **(أدرك قابيل الفهد بكل وضوح بأن هؤلاء يقصدون السيدة حواء الزاهد، إذاً فما قاله المستخدم ساعي بريد المدرسة صحيح، كما أن حديثه مع المحاسب آدم الأسير ودفاعه عن حواء الزاهد هو ما عجل اختطافه)**[5]والنتيجة الأخرى التي عجلت اختطاف عصابة آدم الأسير للأستاذ قابيل الفهد، هو ما حذر به آدم الشبيبي الأستاذ قابيل الفهد وعن تورطه في العلاقة مع حواء الزاهد التي ترتبط بخيوط متشابكة مع تلك العصابة، قد تنعكس بصراعها على شخصية المدير قابيل الفهد والتي شكلت وسببت له صراعات متنوعة متمثلة بالاعتداء على الشرف أو اتهامه بالابتعاد عن الدين وأنه ينتمي إلى التيارات العلمانية أو أنه يشكل خطر على تلك العصابة، ولأنه كشف أحد عناصرها وهو الحاج آدم الأسير والمتورط بجريمة قتل آدم المحروم، حيث قال له **آدم الشبيبي: (أتدري يا صديقي بأنك قد تورطت في قضية خطيرة دون أن تعرف؟ فهؤلاء كما يبدو يعرفون السيدة حواء الزاهد، ولهم علاقة بذبح صديقها آدم المحروم، ولأن أحدهم قابلها في مكتبك، فيظنون بأن لك علاقة معها، أما تخميناتهم فتنصب في محورين كما أتصور، أولهما: إنهم يعتقدون بأن لك علاقة خاصة بها، وهذا سبب مهم بالنسبة لهم للقضاء عليك كما فعلوا مع صديقها آدم المحروم، أو يظنون بأنها تعرفت على المحاسب آدم الأسير الذي هو أحد القتلة الأربعة الذين زاروها بعد أن اقترف والجريمة، وبالتالي فهم يتابعونك ليعرفوا تحركاتك،**

[1] – المصدر السابق،، ص٢١٣.

[2] – المصدر السابق،، ص١٠٠.

[3] –المصدر السابق،، ص١٠٣.

[4] – المصدر السابق،، ص١٥٢.

[5] – المصدر السابق،، ص٢٠١.

رواحك ومجيئك، فلربما يفكرون بأنها أخبرتك عن شخصية المحاسب القاتل، وأنك ستذهب إلى الجهات المختصة لتبلغ عنه.. هذا ما أعتقده)[1].

ومن الدوافع الدينية التي تسب بالصراع، هي إطلاق العبارات الطائفية التي تفضل مذهب على مذهب ديني آخر، وتكون هذه العبارات مؤججة في جعل الأحداث أكثر احتداماً وتصادماً بين المجموعات والشخصيات المختلفة في التفكير والتوجه الديني، فمن هذه الشخصيات المؤججة والمسببة للصراع الديني الطائفي هي شخصية **قابيل العباسي** حينما يتحدث مع **آدم ذو النورين** في إقناعه أن يكون طائفياً وشديد الكره لمن يخالف قواعد وأحكام مذهبه الديني، مستنداً في إقناعه لحجج وأدلة تجعله مستعداً ومهيئاً للأعمال الإرهابية تجاها لآخر. قال قابيل العباسي محدثاً آدم ذو النورين عن الضحايا والمختطفين لديه **(يبدو أنك خجول.. عليك أن تنسى خجلك، وأخلاقك مع هؤلاء.. هؤلاء ليس وابشراً.. مباح لك ما تفعل بهم.. ألم تسمع فتاوئ شيوخنا عن هذا الأمر؟)**[2] إن هذا الفهم غير الصحيح لثوابت الدين، وإطلاق الأحكام بهذه الطريقة غير الإنسانية، فإنها فتحت فجوة كبيرة بين الطرفين المتخاصمين، وتكون لها آثار بالغة في الأفكار والأفعال، فحينما تدعي عصابة من الناشطين أن أعمالهم الإرهابية هي بشكل خاص مقدرة نتيجة وصايا إسلامية، ومن ثم فَهم يحاولون توسيع قاعدة الأوامر الدينية التي تجعل لهم السلطة وقيادة المجتمع التابع لهم وإقناعه بهذه الفتاوى، مما دعا شخصية آدم ذو النورين يشك في هذه الفتاوى وما ادعى به قابيل العباسي، وبأنها لا تقترب إلى الصحة، حيث فهم آدم ذو النورين أن هذا خطأ واضحاً وهائلاً بأن يسير في ركاب هذا الفشل الذي يكرسون للإرهاب فيه، ويرونه أنه قضية الإسلام. [3] **(لم يقل آدم ذو النورين شيئا، وإنما أنسحب إشارة لتجاوزه الأمر)**[4] فآدم ذو النورين فهم أن هذا غير صحيح بل تسييس للدين أو تطرف يكون فيها لتطبيق متعصباً وعدوانياً بدرجة قاسية ومعقدة، تتغذى منهجياً بالخلط بين أن يكون للإنسان دين وتجاهل الحاجة إلى العقل في تقبل هذه الفتاوى المنحرفة. إن عمليات التسييس الخاطئة والتي يمكن رؤيتها بدرجات مختلفة في العالم المتزايد الاستقطاب، الذي يمكن أن يقوم بالمساهمة المباشرة بالتجنيد في الإرهاب النشط وإلى تعزيز التعرض لمثل هذا التجنيد، أو تشجيع العنف باسم الدين. [5] فحينما يعبر قابيل العباسي عن تطبيقه للعنف، يدعم هذا الفعل ويؤيده بدافع ديني يبرر فيه الإرهاب والقتل للآخر وإقصائه من الوجود، ذلك بإطلاق عبارات مملوءة بالتعصب، يقول **قابيل العباسي لآدم**

---

[1] – المصدر السابق، ص١٥٥.

[2] – المصدر السابق، ص٣٧٣.

[3] – امارتا صن، تر سحر توفيق (2008م): الهوية والعنف، وهم المصير الحتمي، الكويت: عالم المعرفة، ص٧٩.

٣ – متاهة قابيل، ص ٣٧٣.

[5] – امارتا صن، الهوية والعنف، وهم المصير الحتمي، ص٨٠.

ذو النورين: (هنا نقطع جثث هؤلاء الخنازير الرافضة وكذلك الخونة من أبناء جماعتنا الذين يتعاونون مع الحكومة ومع الاحتلال..

سأل آدم ذو النورين محاولاً أن يكتم ظلال الخوف في نبرته:

– تقطعونهم..؟ وماذا تفعلون بعد ذلك..؟

ابتسم قابيل العباسي وكأنه يروي نكتة طريفة:

– نوزع لحومهم على الكلاب التي رأيتها في الحديقة.)[1].

وإضافة على ذلك يستمر **قابيل العباسي** في إطلاق الكلمات الطائفية التي تؤيد الشر الذي يقوم به، ومحاولاً إقناع **آدم ذو النورين** في العمل بإيمان مع عصابته، يقول **لآدم ذو النورين** مصطلحات دينية تأجج الصراع الطائفي، فهي نابعة من فكر متطرف بعيد عن الأهداف الإنسانية للإسلام، يقول ذلك عندما اختطفوا امرأة، وعند اختطافها يقول: **(كانت تقرأ آيات من مصحفهم المزيف**

– ماذا تقصد؟

– الرافضة لديهم مصحف خاص بهم)[2].

هكذا كانت شخصية قابيل العباسي تلفق الحجج العدائية على الآخر، شخصية طائفية منهجها التمييز بين شرائح المجتمع، مستخدماً الدين وسيلة في كسب النفوذ والتنافس في السيطرة على منطقة المنصور ببغداد، بأنه هو الحامي والمدافع عنها ويعرف عن دخول الغرباء إليها، متسلحاً بالعصبية المذهبية الطائفية التي حدثت أحداثها في التاريخ الإسلامي والتي بقيت متحكمة في النفوس حتى اليوم، والمتجذرة من النزاع بين هاشم وبين أُمية على الرئاسة في مكة قبل الإسلام، ثم على الرئاسة والزعامة في الإسلام والتي سُلبت من أبناء وأتباع الإمام علي عليه السلام. [3] فالحقد الطائفي الذي تمثلت به شخصية قابيل العباسي تجاوزت كل القيم والمثل الإنسانية التي نادى بها الإسلام، مشكلاً نقطة محور للصراع في قتله وتعذيبه لضحاياه، دون أن يشعر بألم وآهات المعذبين الذين اعتقلهم،

[1] – متاهة قابيل، ص ٣٧٢.

[2] – المصدر السابق، ص373–374.

[3] – صادق عبدة علي قائد(2004م) الهوية السياسية والحضارية لليمن، في التاريخ القديم وعصر الإسلام صنعاء: إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، ص٢١١.

حيث وصِف ب **(الوحش الآدمي)**[1] ناسياً أن البشر (صنفان، إما أخٌ لك في الدين، وإما نظيرٌ لك في الخلق[2].

وعندما نعود إلى شخصية **الأستاذ قابيل الفهد** وهو يتحدث مع **آدم ذو النورين**، حينما كانا مختطفين من قبل عصابة **آدم الأسير**، يسأل الأستاذ **قابيل الفهد آدم ذو النورين** عن سبب اختطافه، فأجابه **آدم ذو النورين: (– أنا عراقي.. وبس.. لا أريد التفكير بأكثر من هذا.. وإذا ما أردت أن أتجاوز هذا التصنيف، فأنا إنسان.. إنسان فقط.**

– هل هذا يعني أنت هنا ليس لأسباب طائفية؟

– نعم.

– لكن هؤلاء طائفيون.. طوال وقت تعذيبهم لي كانوا يشتموني، ويشتمون كل الصحابة والخلفاء وكأنني وريثهم الشرعي...!

– إنها الغطاء لتحقيق رغباتهم الدنيئة.. كل طرف يغطي جرائمه بوشاح الإيمان كي يحولوا ضحاياهم إلى قرابين مقدسة باسم الجماعة التي ينتمون إليها.. وفي النهاية ليس هناك من خاسر أو قربان مجاني سوى قطيع الخرفان من الطرفين، بل ومن العابرين في هذا الليل البهيم)[3].

فيقول هنا الأستاذ **قابيل الفهد** أن هذه العصابات المتسترة بالدين أو بالأحرى الفكر الديني الايديولوجي النفعي، الذي تتبناه هذه العصابات من أجل تحقيق مصالحها في القصد من تدينها، متجاوزة أن الدين عنصر من العناصر الأساسية للنهضة وإحلال المساواة الإنسانية، فهو الرسالة التي تجمع ولا تفرق، من أجل تحقيق السلام والعدل والتعايش السلمي في الحياة البشرية.[4] وإن مثل هذه الجماعات المتطرفة، أنها تدفع إلى تبديد رأس المال الديني بالممارسات التي تقوم بها، حيث يتمثل الخط الرئيسي لهذه الجماعات في التحدي وبأخذ شكل الهروب إلى الماضي لفرض نموذج استعير من هذا الماضي السحيق وتطبيقه على الواقع المعاصر، المغاير للواقع البعيد، وإقحام كلمات اللعن والتمييز والتي تسبب محور وبؤر للصراع والكراهية بين الشخصيات التي تكون هي الأخرى ذات خلفيات وآيديولوجيات ثقافية ودينية مختلفة. [5]

---

[1] – متاهة قابيل، ص ٥٢١.

[2] – نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام –، ج٣،: ٨٤، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي– ع –، شرح الشيخ: محمد عبده، مكتبة النهضة، بغداد، مطبعة منير ص٥٦٤

[3] – متاهة قابيل، ص ٢١٠– ٢١١.

[4] – نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص١٠.

[5] – علي ليلة، الأمن القومي العربي في عصر العولمة، اختراق الثقافة وتبدد الهوية، ص٢٦٠.

ومن الأمثلة الأخرى عن شخصيات المتاهة والتي نجد فيها الدوافع الدينية في الإدلاء بآرائها وتفسيرها لمنظوراتها السردية وتشكيلها ثيمة للصراع، فمثال ذلك هو شخصية **حواء كربلائي** عندما تتحدث عن مصير الإنسان، وصراعه مع مشاكل الحياة وتحمل هذا الاختيار من أجل حصول الإنسان على جائزة الجنة، ذلك على الإنسان أن يصارع جحيم الحياة ولا ينغمس بجنتها بارتكاب الآثام والمعاصي **(لولا الجحيم لما كان هناك ضرورة للجنة يا حواء.. طريق الجنة يمر عبر الجحيم.. الجنة هي المطاف الأخير... لا يمكن الوصول إليها بسهولة.. حتى في الأديان.. عليك أن تمري بالجحيم ثم البرزخ ثم الفردوس.. لا أحد يمر بالجنة ليجتازها إلى الجحيم.. الجحيم هو الذي يهددنا.. نخافه.. خوفنا منه أضعاف طمعنا بالجنة)**[1].

فبحديث **حواء كربلائي** هذا والذي كانت هي مفسرة لسبب وجود الجحيم مقابل الجنة، فإن هذا يُعد دافع ديني يوجه برؤية دينية تقوّم سلوك الإنسان في الدنيا بخوفه من الجحيم، ومحفزاً له إلى تجنب الشر مهما كلفته الضغوطات والنفس الإمارة بالسوء، ومقابلة الشر والآثام بفعل الإحسان والخير.

صراع المرأة والرجل المتمثل بالدين

إنّ الحياة الأسرية تبدأ بين الرجل والمرأة وهذه العلاقة في المجتمعات الإسلامية ترتكز على الدين وعلى عقد شرعي يضمن حقوق الطرفين، فيخلط البعض بين الدين والتقاليد وتتشابك عليه المفاهيم مما يسبب فجوات وتهضم بعض الحقوق.

ومن الشخصيات غير السوية والتي تفهم الدين بنحوٍ خاطئ، وهو زوج نادلة الفندق العراقية **حواء المظلوم**، تروي قصتها **لآدم التائه**، حيث كان زوجها يفهم أن المرأة من حيث العموم هي تابعة للرجل ومنسوبة إليه ومسيرة بأمره، وهو يمثلها بكل شيء، وهو بذلك يعلم أو من حيث لا يعلم، أنه لا يعترف للمرأة مركزاً اجتماعياً في الحياة، بل يعدها عنصراً ثانوياً، وذلك كما في المجتمع العربي قبل الإسلام، والتي كانت متاعاً أو ملكاً من أملاك الرجل، يتصرف به حسب مشيئته، أما الدوران الرئيسيان والأساسيان للمرأة يتمثلان في كونها وسيلة متعة للرجل، وآلة إنجاب للأطفال[2].

فعندما تزوجت حواء المظلوم من هذا الرجل الذي يعيش في البلدان الأوربية، وسافر بها من العراق إلى ألمانيا، تقول حواء المظلوم: **(لحظة وصولنا إلى مطار تيغل ببرلين، قال لي بالحرف الواحد: أسمعي.. هنا لا أحد لديك لتذهبي إليه.. أنا بالنسبة لك الثاني الذي يجب طاعته بعد الله..**

[1] – برهان شاوي(2013م) متاهة الأشباح الدار العربية للعلوم ناشرون ص٣٤٥.

[2] – براش تسوش فوزية (1989م): الصراع النفسي والاجتماعي للمرأة المطلقة، الجزائر رسالة ماجستير غير منشورة،، ص21.

هكذا قال النبي)[1] فهي بمقولته هذه تحملت كثيراً من العذابات والصراعات فقد كان سكيراً شارباً للخمر يفهم الدين بأن الرجل يتسلط على الزوجة في كل شيء، فقد كان عنده تشابك بين الشرع والتقاليد الاجتماعية في تحجيم دور المرأة، وعدم نيل حقوقها المشروعة[2]. فقد دفعه هذا التفكير الخاطئ إلى الشك بها إلى درجة مخيفة، ومحاصرتها من جميع النواحي، ومحاسبتها على أتفه الأسباب. فتقول حواء المظلوم: **(كان يغلق الباب عليّ بالمفتاح، ويأخذ المفتاح معه. لم يكن يسمح بإقامة أي علاقة مع الجيران. كان هناك عوائل عراقية، كوردية، وعربية، وآشورية، عوائل لبنانية وفلسطينية، لكنه كان يرفض، يتفجر غضباً إذا ما دقت علينا إحدى الجارات الباب طلباً لحاجة بيتية مفقودة لديهم.. كان يشك بالجميع وكان يقول لي بأنه لا يثق بأي إنسان مهما كان.. لا يثق حتى بنفسه.. ولا بي طبعاً)**[3].

ومن الشخصيات التي تشبه شخصية حواء المظلوم هي شخصية **إيفا بعلبكي**، التي زوجوها أهلها وهي صغيرة إلى فلسطيني يكبرها بخمسة وعشرين سنة، وكان زوجها قائدا في أحد التنظيمات الإسلامية الفلسطينية، فقد كان متعصب ومتزمت حتى في حياته العائلية، وهذا التعصب وعدم الاعتدال قد شكل بؤر للصراع بينه وبين زوجته. فقد تشابكت عنده أحكام الشريعة والتقاليد الاجتماعية الموروثة والتي تتسم بالسلطة الذكورية، وأصر على تشييئها باستخدام العنف معها مكتسباً صفة الشرعية من قنوات كثيرة، كعادات المجتمع المتخلف وتقاليده العمياء وليس قوانينه العادلة، ولذلك رأى حس بمفهومه الخاطئ في معاملة الزوجة وحقوقها الشرعية أن من واجبها الخضوع المطلق لسلطته[4]. فعندما جاءت أخت إيفا بعلبكي لتخبرها أن والدها مريض وعليها أن تذهب لرؤيته، اعترض زوجها وشتم أختها وشتم زوجها الذي جاء معها. فأصرّ بمنعها للذهاب إلى أهلها من منطلق أن الزوجة خاضعة في كل شيء لسلطة زوجها **(كانت أختي هي التي تقود معركتي معه... زوجها كان يقول لها بأنني زوجته ومن حقه يفعل بي ما يشاء..!)**[5].

فكلمة (يفعل بي ما يشاء)، هي نابعة من مفهوم خاطئ للدين، وهو مفهوم القيومية على النساء من قبل الرجل، بأن تكون مطيعة له حتى في قطع صلة الرحم مع والدها ووالدتها وأهلها، ويبين هذا المنظور الخاطئ، أنها في مجتمع متخلف قيمياً و دينياً، لا يأبه بالمرأة ولا يقيم لها أدنى اعتبار، وأن

---

[1] – متاهة قابيل، ص٧١.

[2] – جمعية النهضة النسائية الخيرية (1426هـ) حقوق المرأة المسلمة في ميزان الشرع لاميزان التقاليد، الرياض، ١٤٢٦هـ ص٤.

[3] – متاهة قابيل ص٧١.

[4] – محمد رضا الأوسي (2012م) الخطاب الروائي النسوي العراقي (دراسة في التمثيل السردي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ص١٩١ – ١٩٢.

[5] متاهة الأشباح ص١٩٩.

هذا المجتمع بأمس الحاجة إلى المعالجات الجذرية، كونه محكوم بالثقافة البطرياركية الأبوية، والتي منحت السلطة المطلقة للرجل، لا لشيء سوى جنسه بوصفه ذكراً، بينما إيفا بعلبكي كانت ذات وعي معاند ورافض لمصادرة كينونتها تحت مظلة هذه الأعراف البالية، والتي تلصق بالدين لجعلها ذات قوة شرعية.[1]

فإيفا بعلبكي قررت مصارعة هذا الواقع، وعدم الخضوع لهذه المفاهيم غير السوية، مما دعاها إلى التفكير بالهرب من سجنها الزوجي وانتصارها لذاتها في حصولها على حريتها، فتقول لحظة هروبها إلى أهلها **(تدليت من النافذة وأنا احضن طفلي.. توغلتُ في البستان الذي كان يقع خلف غرفتنا من الخلف.. أخذتُ أركض على غير هُدى)**[2].

ومن الصراعات التي يكون الدين محور رئيسي لها، وهي قضية أبناء الحرام(ابن الزنا) وهذه القضية أو القصص التي شهدتها النصوص السردية والتي تنعكس على البناء السليم للأُسرة، والتي تعرضها إلى آثار وخيمة تؤثر بصفة مباشرة على الأفراد وعلاقاتهم الأسرية والاجتماعية وتزعزعها ومن ثم تزعزع المجتمع بكاملة وتحيطه بمشاكل لا حصر لها[3].

ومثال على ذلك هي شخصية **إيفا ماريا الذهبي**، والتي سببت لها هذه القضية مشاكل في الدين والمجتمع، وصراع مع أمها ومعاملتها السيئة لها. فقالت **إيفا ماريا الذهبي: (وذات مرة حين نعتتني ببنت الحرام أجبتها أنا ابنتك فكيف أنا بنت حرام..؟.. وإذا ما كنت كذلك فهذا يعني كل أولادك أبناء حرام..!! فضربتني.. لكني الآن أعرف بل إني شبه متأكدة من أنني لست من صلب أبي..)**[4] فقد كانت إيفا ماريا الذهبي جاحدة للدين ولا تعير له وزنا، وإن أمها قد حملت بها بسبب علاقة زنا مع رجل آخر غير زوجها، فقد كانت أمها تكرهها ودائماً غاضبة منها، ذلك لعدم التزامها الديني قياسا بأخواتها الأُخريات وإخوانها، فتقول إيفا ماريا الذهبي **(أنا أختلف عن بقية أفراد عائلتي.. اختلف عن عائلتي المتدينة).....(أبي الوحيد الذي كان يدافع عني ويبسط جناحه الوارف والحنون ليحميني من غضب والدتي حينما كانت تشتكي له من مشاكستي وجحودي للدين)**[5]. فشخصية إيفا ماريا الذهبي عاشت صراعين: صراع مع المجتمع ونبذها لكل تقاليده ونسفها بالكامل من خلال علاقتها الأسرية مع أمها وإخوانها، الذين دائما يتهمونها بالجنون، وإنها ممسوسة بالجن، ذلك بسبب

---

1 – محمد رضا الأوسي، الخطاب الروائي النسوي العراقي، محمد رضا الأوسي: ١٨٩– ١٩٠.

2 – متاهة الأشباح، ص١٩٩.

3 – دواس يمينة (2019م) جريمة الزنا في الشريعة الإسلامية والقوانين العقابية للبلدان العربية والاتفاقيات الدولية، المركز الجامعي لتامن غست، مجلة آفاق علمية، المجلد ١١، العدد ٤، ٢٠١٩م، رقم العدد التسلسلي ٢١، تاريخ القبول ٢٠١٩/٧/٢٧م، ص١٢٠.

4 – برهان شاوي (2015م): متاهة الأرواح المنسية، الجزائر: منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، ص٩٩–٠٠.

5 – المصدر السابق، ص٨٥.

أفكارها الغريبة، أما النمط الثاني من الصراع، ف هو جحودها للدين والتشكيك بالمعتقدات ذات الخطوط العريضة والواضحة، فتقول: **(فأنا متمردة على كل التقاليد الدينية والاجتماعية)**[1] فهذا التمرد وصل بها إلى قيامها بحرق الكتب الدينية الموجودة في مكتبة أخيها الأكبر، الذي يقوم بوظيفة إمام مسجد، فهذا الأخ الأكبر المتمسك بالمبادئ الدينية، كان دائما ينصحها لكي تكف عن تفكيرها المغاير في انتقاد الدين والاستهزاء من سلوكياته، وينصحها أن تكون كبقية أفراد الأسرة في الهدوء والرزانة الدينية، فبعدها وصل بها إلى الضرب والتوبيخ. **(بدأ يضربني بشدة.. حتى أنه كسر ضلعاً من أضلاعي.. وبعد أن تعب من ضربي.. خرج.. فقمت أنا إلى المكتبة المنزلية.. أخذت مجلدات أمهات الكتب.. وكانت مجلدات (البداية والنهاية) لابن كثير وكتب المغازي النبوية جميعها.. وضعتها في برميل كبير في الحديقة، و أشعلت فيها النار.. حرقتها.. وأخذت أدور راقصة بمتعة حول النار المتأججة في البرميل مثلما يرقص الهنود الحمر حول نيرانهم..)**[2] ومن جملة صراعاتها الدينية مع أمها، هو عدم قراءتها للقرآن، وأنها غير ملتزمة، فقد كانت أمها تنعتها بألفاظ بذيئة بسبب عنادها في المخالفة، التي لا تحصل منها سوى انتقاد المجتمع لها والذي يتعجب من تطاولها على الشريعة الدينية ويعدها ذات سمعة سيئة[3]، ولذلك كانت أمها تشكوها لطبيبها النفسي، بأنها غير ملتزمة وبعيدة عن التدين **(فكانت تشكوني له بأني اقرأ كتباً فاجرة.. ولا اقرأ القرآن على رأسها كي تشفيها بركات القرآن.. فكان هذا الطبيب يكذب لينقذني من شتائمها الوسخة.. كان يؤكد لها بأني اقرأ القرآن حينما تكون هي نائمة.. ثم أتى لي بصندوق هو بالأساس غلاف كبير للقرآن، لكنه فارغ من الداخل وعلمني بأن أضع الكتاب الذي أريد قراءته داخله حتى تظن أمي أني اقرأ القرآن.)**[4].

فهذا النموذج المسمى بأبناء الحرام فقد يتشعب إلى محورين من الصراع: صراع نظرة المجتمع الدونية له، وصراع موقفه من الشريعة والدين وموقف الشريعة والدين منه، فيزداد تمرد هذه الشخصية خاصةً إذا علم بأنه ابن غير شرعي، فتقول **إيفا ماريا الذهبي: (فأنا اختلف في شكلي عن جميع أفراد عائلتي.. أنا أميل إلى الشقرة على الرغم من أن عائلتي من ذوي اللون الأسمر)**[5].

[1] – المصدر السابق، ص٨١ – ٨٢.
[2] – المصدر السابق، ص٨٢ – ٨٣.
[3] – المصدر السابق، ص٨٦.
[4] – المصدر السابق، ص٩٥.
[5] – المصدر السابق، ص٩٩.

الخاتمة:

تمخضت هذه الدراسة بثيماتها السردية التي تدور فيها الشخصيات عن الكشف للدوافع الدينية التي تحرك الشخصيات نحو الصراع.

1. كان الصراع بين الشخصيات فكري وعقائدي، فيه كثير من المناظرات وتبرير الفعل بطرح الأدلة والحجج.
2. إن في اعتراف الشخصيات الصريح، جاء للمطالبة بحقها المسلوب وكشف عن ما تعانيه في أعماق النفس الإنسانية.
3. شخصية المرأة كانت أكثر حضوراً في المتاهات والتي تقع تحت منظار الأشخاص المتمثلين بالدين بأنها تكون سلعة من أجل الاستفادة منها.
4. كذلك إن أكثر الشخصيات في المتاهات لبرهان شاوي هي شخصيات غير رومانسية ولا حالمة تفكر بحقيقة ما يدور حولها وما يترتب عليها من الدين والمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

1. امارتا صن، تر سحر توفيق (2008م) الهوية والعنف، وهم المصير الحتمي، الكويت: عالم المعرفة.
2. براش تسوش فوزية (1989م) الصراع النفسي والاجتماعي للمرأة المطلقة، الجزائر رسالة ماجستير غير منشورة،.
3. برهان شاوي (2015م) متاهة الأرواح المنسية، الجزائر: منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف.
4. برهان شاوي (2013م) متاهة الأشباح الدار العربية للعلوم ناشرون.
5. برهان شاوي، (2013م) متاهة قابيل الدار العربية للعلوم ناشرون.
6. بو دومي مليكة(2009م) تقنيات الراوي في السرد الروائي الجزائري، في ضوء نظرية التلقي، رواية (الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء) للطاهر وطار نموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة،، الجزائر، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها.
7. جمعية النهضة النسائية الخيرية (1426هـ) حقوق المرأة المسلمة في ميزان الشرع لاميزان التقاليد، الرياض، ١٤٢٦هـ.

8. دواس يمينة(2019م) جريمة الزنا في الشريعة الإسلامية والقوانين العقابية للبلدان العربية والاتفاقيات الدولية، المركز الجامعي لتامن غست، مجلة آفاق علمية، المجلد ١١، العدد ٤، ٢٠١٩م، رقم العدد التسلسلي ٢١، تاريخ القبول ٢٠١٩/٧/٢٧م.

9. صادق عبدة علي قائد(2004م) الهوية السياسية والحضارية لليمن، في التاريخ القديم وعصر الإسلام صنعاء: إصدارات وزارة الثقافة والسياحة.

10. عدلي أبو الطاحون (1999م) سوسيولوجيا التطرف الديني، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.

11. عروبة جبار صواب الله، الأهوار في الرواية العراقية (دراسة في ضوء النقد الثقافي)، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٣م (رسالة ماجستير غير منشورة،).

12. علي ليلة (2012م) الأمن القومي العربي في عصر العولمة (اختراق الثقافة وتبدد الهوية)، جامعة عين الشمس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

13. فاطمة عيسى جاسم (2004م) غائب طعمة فرمان روائيا، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

14. محمد رضا الأوسي (2012م) الخطاب الروائي النسوي العراقي (دراسة في التمثيل السردي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١.

15. معاذ بشير عبد العزيز المناصير، الخطاب النقدي في الرواية العربية، الروايات الثلاثية نموذجا.

16. معاذ بشير عبد العزيز المناصير (2009م) الخطاب النقدي في الرواية العربية، الروايات الثلاثية نموذجا، الجامعة الأردنية: أطروحة دكتوراه غير منشورة.

17. مفيدة بنوناس، تمظهر الخطاب الديني في الرواية المغاربية المعاصرة، أ، الجزائر، المركز الجامعي الطارف، العدد ١٣، مارس ٢٠١٢م.

18. نصر حامد أبو زيد (1994م): نقد الخطاب الديني، نصر، سينا للنشر، ط١.

19. نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام –، ج٣، ٨٤، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي–ع–، شرح الشيخ: محمد عبده، مكتبة النهضة، بغداد، مطبعة منير.

الإرث السقراطي أو الخوف من الكتابة: مركزيّة الصوت في السرد العربي القديم عند عبد اللّه إبراهيم

Socratic legacy or fear of writing: About the Centrality of Sound in the Old Arab Narrative by Abdullah Ibrahim

أ.د سوسن هادي جعفر
كلية الآداب جامعة تكريت

م.م سعد رفعت سرحت
مديرية تربية صلاح الدين

Assit Prof. Sawsan Hadi Jaafar
Faculty of Arts Tikrit University، Iraq

Assist Lec.Saad Rifaat Sarhat
Education Directorate Salahaldi, Iraq

الملخّص:

موضوع هذه الدراسة الإرث السقراطي فيما يتعلّق بالكتابة، فقد شغل هذا الأمرُ الدكتور "عبدالله إبراهيم" في مستهلّ مشروعه عن السرد العربيّ القديم، ويمكن التعبير عنه بـ"مركزية الصوت "في الحضارة العربيّة على غرار مركزيته في الحضارة الغربيّة منذ العهد الإغريقي، في هذه الدراسة نعاين رؤيته إبراهيم الريادية إزاء الشفاهية العربيّة، وهو يستعين بمرجعيات المنهج التفكيكيّ، ونحاول أن نلتمس قدرته على تذويب مضمونها في مشروعه عن السرد العربيّ من جهة، نعاين ومدى تمكّنه من تكييف مقولات هذا المنهج مع السرديات العربيّة من جهة أخرى، وهل ظلّ وفيًّا لهذه المقولات أو تجاوزها برؤية مغايرة تناسب نتاجات الثقافة العربيّة؟. وتكمن أهميّة هذا الموضوع في أنّه يقف عند خطابٍ رائدٍ نجح في تحليل الظاهرة السردية في الثقافة العربية، سعيًا منه للكشف عن أبنيتها وظروف تشكّلها، وبيان العلاقة المتبادلة بين النصوص السردية وسياقاتها الثقافية، وقد مكّنه ذلك من الكشف عن "مركزية إسلامية– عربيّة" على غرار المركزية الغربيّة، ومن ثمّ الانتهاء إلى أنّ المركزيتين كلتيهما تحفلان بالكلام وتقدمانِه على الكتابة، بالنظر إلى أنّهما لغايات إيديولوجيّة كانتا تحفلان بعلاقات الحضور وتقدمانه على علاقات الغياب.

الكلمات المفتاحية: الإرث السقراطي، الخوف من الكتابة، مركزية الصوت، السرد العربي القديم، عبدالله إبراهيم.

Abstract:

The subject of this study is the Socratic legacy of writing. Dr. Abdullah Ibrahim took up this matter at the beginning of his project on the ancient Arab narrative, which can be expressed by"Centralization of sound" in Arab civilization, similar to its centrality in Western civilization since the Greek era,In this study, we see Abraham Al-Raidiya's vision of the Arab question, and he uses the terms of reference of the de constructive approach.We are trying to seek Dr. Ibrahim's ability to dissolve his content from the Arab narrative, on the one hand, and, on the other, to see whether he can adapt this approach to Arab narratives. The importance of this topic lies in the fact that, in a groundbreaking speech that succeeded in analysing the narrative phenomenon in Arab culture, it seeks to reveal its buildings, the conditions that shape them, and the correlation between narrative texts and their cultural contexts. "The centralization of Arab Islam," like the Western Central, thus concluding that both centers were interested in speaking and writing, since for ideological purposes they were concerned with the relations of presence and with the relations of absence.

Keywords: Socrates legacy, fear of writing, centralization of Arabic soundtrack, Arabic narrative, Abdullah Ibrahim.

المقدّمة:

يعدّ الدكتور "**عبد الله إبراهيم**" أحد رواد الدراسات السرديّة في العالم العربي ممّن تصدّوا لمعالجة السرديات العربية وتحليلها بطرائق منهجيّة حديثة، إذ استطاع مقاربة الظاهرة السردية في الثقافة العربية مقاربة معاصرة، سعيًا منه إلى الكشف عن أبنيتها وظروف تشكلها، وبيان العلاقة المتبادلة بين النصوص السردية وسياقاتها الثقافيّة، فقد مكّنه ذلك من الكشف عن "مركزية إسلاميّة" على غرار المركزية الغربية التي تحصنت بالعقل(اللوغوس) وحفلت بالصوت وقدّمته على الكتابة، منطلقا في مشروعه القرائي من خلال تسخير مقولات المنهج التفكيكيّ،مسلطًا إياها على الظاهرة السردية في الثقافة العربية، بغية الكشف عن مضامينها الفكرية وما تحويه من قناعات ورؤى مركزية، فهو يرى أنّ السرد العربيّ بأشكاله وأنواعه كان محكومًا بنسق فكريّ شفاهي تحفّزه وتعضده الأصول والثوابت الدينية والتوجّهات المؤسسيّة، فالأصول الدينية وتوجهات المؤسسة استطاعتا القبض على زمام السرد، الأمر الذي أدّى إلى أن يكون السرد العربي انعكاسًا لإرغاماتهما، فقد ظهرت آثارهما على بنيته لأغراض معينة تخدم السلطة، ممّا يعني أنّ المتن السردي القديم استجاب لمكونات هذه الثقافة، وعندئذٍ هيمنت الموجهات الخارجيّة على مبناه وعلى وظيفته وعلى غاياته.

وإجمالًا تدور مقاربته في مستهلّ مشروعه على فكرة الإرث السقراطي الذي لقيَ متنفسًا في حياة العرب وثقافتها؛ ذلك أنّ الثقافة البشرية في مستهلها، وإلى أمدٍ غير بعيد من صعودها، كانت شفوية بحكم سنن الحياة ونواميس التطور الإنساني، والثقافةُ العربيةُ لم تكن بِدعًا من الثقافات، إذ كانتْ ثقافة روايةٍ ونقلٍ، حتى تُوّجتْ أخيرًا بتقانة (الأسانيد) في عصر التدوين، فالسند إعادة إنتاج كتابي لتعزيز الثقافة الشفهية؛ لأن شروط السند متعِبة ثقيلة تكبح جماح الأهواء، فلا يُروى (يُدوّنُ) إلّا ما كان صدقًا، فالحفظ سمة غالبة على هذه الثقافة، إنّه الأصل الذي لا مراء فيه، ثقافة العرب شفاهية هذا كلّ ما في الأمر. أمّا الكتابة فقد تأخّر ظهورها ومن ثمّ رواجها، إذ كانت تخيف العرب، لا بل كانت مثلبة عند الكثير منهم[1] وإلى اليوم هناك من يفخر بأميّته ويفتعل بُعْدَه عن الكتابة، على ما تؤكد ذلك الشواهد في أمّات الكتب القديمة وفي واقع حياتنا الاجتماعية.

لقيت الكتابة ضروباً من الحذر من المؤسسة الرسمية في التراث، فقد لحظت في الكتابة– بلْه التوثيق والتضبير وحفظ المواثيق والعهود والتعليم– أنّها ذات مردود خطير على الإنسان، فمن شأنها أنْ تفقده بداهته، وتسرق منه براءته، والأهمّ هو أنّ الكتابة من شأنها أن تزين له فكرة (التأجيل) بدعوى التأني والتّأمل والاختلاف والتشتيت، فضلًا عن أنّه مع الكتابة تفقد الكلمات نبضها الحي، وتفقد التراكيب حرارتها، ومن ثمّ يفقد الكلام أشياء كثيرة، كذا الكتّاب يفقدون مع الوقت لباقتهم وقدراتهم على الخطابة ومواجهة الجمهور.

[1] خليف، يوسف (1981): دراسات في الشعر الجاهلي، ط1، الفجالة، دار غريب للطباعة، ص12.

وقد واجهتْ منذ عهد الرسالة مرورًا بالخلفاء الراشدين إلى أيام الأمويين والعباسيين ضروبًا من العنت والحذر، لأنهم رأوا في الكتابة سبيلًا الى التوسّع والانفلات، وبهذا لم تفسح المؤسسة المدنية في الإسلام مجالًا للكتابة، ويسوق الدكتور "**عبدالله إبراهيم**" أمثلة وشواهد كثيرة من حياة العرب تعبّر عن موقفهم غير المحمود من الكتابة، فضلًا عن استناده إلى دلائل وشواهد تعكسان موقف المؤسسة الإسلامية من الكتابة، وهو بكلّ ذلك يتوصّل إلى أنّ سيادة الشفاهية على متن السرد العربيّ لم تكن إلّا انعكاسًا للثقافة العربية آنذاك.

على الرغم ممّا حظي به الخطاب النقديّ للدكتور"**عبدالله إبراهيم**" من دراسات نقدية من شتّى الجوانب المعرفية في مضامير البحث العلمي، إلّا أنّ أحدًا من الدارسين لم يتناول هذا الجانب من خطابه، وفي رأينا هو جانب حساس، لأنّه يتعلق بأصول السرد العربي ويمسّ جذوره وأشكاله الأولى.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تكمن مشكلة الدراسة في تفحّص رؤية الدكتور إبراهيم الريادية إزاء الحمولة الشفاهية في متون السرد العربي، وتفحّص مرجعياته محاولين التماس قدرته على الاستعانة بالمناهج الغربية وتمكّنه منها في قراءته الرائدة على السرد العربي، وعندئذٍ تحاول الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة:

- ما أهمّ المرجعيات التي استند إليها الدكتور "**عبدالله إبراهيم**"؟
- ما مدى تمكّنه من تكييف مقولات هذا المنهج التفكيكيّ؟
- هل ظلّ وفيًّا لهذه المقولات أو تجاوزها برؤية مغايرة تناسب نتاجات الثقافة العربيّة؟

أهداف الدراسة:

تكمن أهميّة الدراسة في وقوفها عند خطابٍ رائدٍ نجح في تحليل أبنية السرد في الثقافة العربية وظروف تشكّلها، وإيضاح العلاقة الجدلية بين النصوص السردية العربية والبيئة الثقافية، وفي المقابل تسعى الدراسة للوصول الى مرجعيات هذا الخطاب، وبيان مدى تمكّنه من بلوغ أهدافه، ومدى وفائه لهذه المرجعيات.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي، إذ تحاول عرض مفهوم الإرث السقراطي، ومن ثمَّ عرض خطاب الدكتور "**عبدالله إبراهيم**" بشأن أصول السرد العربيّ وظروف تشكّل بنيته في ظلّ سيادة شفهية مطلقة، ومن خلاله نرصد إشاراته الصريحة والضمنيّة الى فكرة " الخوف من الكتابة" وعرض هذه الإشارات للمساءلة للكشف عن مضامينها، فضلًا عن محاولة الدراسة إرجاع منطلقات الخطاب إلى مرجعياتها، والكشف عن مدى نجاعة الخطاب وبيان مواطن الضعف والقوة فيه.

جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث، خصّص الباحثان أولها (الإرث السقراطي: الخوف من الكتابة) للحديث عمّا يراد بالإرث السقراطي، وذلك عبر الرجوع الى الحقبة اليونانية التي توطد عندها التمركز على الصوت، ومنه توطدت المركزية الغربية، أمّا في المبحث الثاني (موقع السرد العربي من بين الشفاهيّة والكتابيّة من منظور الدكتور "**عبدالله إبراهيم**") فقد تناولا موقع السرد العربي بين الشفاهية والكتابية عنده، وفيه عرجا على رؤيته وتسلحه بالمنهج التفكيكيّ، أمّا في المبحث الثالث (المركزية الدينية وركائز الشفاهية) فقد جاءا على المركزية الدينية والركائز التي اعتمدتها في ترسيخ الشفاهيّة.

المبحث الأول: الإرث السقراطي: الخوف من الكتابة.

ارتكزت الثقافات كلُّها على(الصوت)، ونظرت إلى الكتابة نظرة مريبة ملؤها الخوف والشكّ، حتى أنّ هناك ثقافاتٍ ربطت الكتابة بالسحر والشعوذة أو بشيء قريب منهما كأنْ تكون خديعة أو دسيسة أو انفلات في الخلق أو تلويث الفطرة وإلى غير ذلك، هكذا كان الموقف من الكتابة في مدنية الإغريق، فقد كانت حقبة "اللوغوس" حقبة التمركز على الصوت، إذ يمتزج هذا التمركز بالتحديد التاريخي لمعنى الوجود عامة، متكئة في ذلك على الحطّ من الكتابة المنظور إليها بوصفها وساطة للوساطة وسقوطًا في برانية المعنى أو خارجيته [1] ولهذا لم يُؤثَر عن "**سقراط**" ولا عمّن سبقوه أيّ أثر كتابي، ولعلّ ثقافة (الشذرات) الفلسفية خير دليل على ذلك، إذ لم توثّق إلا بعد عهود، وقد لحقها التغيير والتبديل والدسّ والانتحال والوضع بشيء لا يختلف كثيرًا عمّا سيحدث في أدبيات العرب.

في محاورة "**فايدروس**" لـ"**افلاطون**" ينبري "**سقراط**" الى إقناع "**فايدروس**" بفضل الصوت على الخطّ، فحديثهما عن الكتابة مقترن بالخوف حينًا والخزي حينًا وبالسفسطة حينًا، إذ يقول "**فايدروس**": (إنّك لا تجهل فيما اعتقد أنّ من لهم أقوى سلطة في المدن ومن يكون احترامهم راسخًا في النفوس يتوردون خجلاً من كتابة المقالات أو من ترك كتابات بخطهم خوفًا من الأحكام المستقبلية عليهم أو خوفًا من أن يسموا سفسطائيين)[2]، ومن جانبه يؤيد "**سقراط**" قول " **فايدروس**" معزّزًا إياه ومستدلًّا بأمثلة. وفي هذا دليل على أنّ مشاعر الخوف والخجل والرهبة اقترنت بالكتابة

في المدنيات القديمة، مثلما ارتبطت بها لدى البدائيين والثقافات غير المتمدنة.

يستند "**سقراط**" في الترويج لمركزية الصوت إلى أسطورة تأسيسيّة عن الإله " **تحوت المصري**" مكتشف الكتابة، تقول الأسطورة أنّ تحوت عرض على الملك "**تاموز**" اختراعه قائلًا: لقد اكتشفت سرّ الحكمة والذاكرة إلّا أنّ عرضه فيما يبدو لم يعجب الملك، ورأى أنّ اختراعه هذا إذا أسيء تسخيره

---

[1] دريدا، جاك (1988): الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، تقديم: محمد هلال ناصر، ط1، الدار البيضاء، دار توبقال، ص112.

[2] أفلاطون (1969): فايدروس أو عن الجمال، ترجمة وتقديم: أميرة حلمي مطر، ط1، القاهرة، دار المعارف، ص89.

فسيكون ذا تأثير عكسيّ هدّام، إذ ستنعكس نتائجه لما هو سيء وضارّ ((ذلك لأن هذا الاختراع سينتهي بمن يستعملونه إلى ضعف التذكّر، لأنهم سيتوقفون عن تمرين ذاكرتهم حين يعتمدون على المكتوب، وبفضل ما يأتيهم من انطباعات خارجية غريبة عن أنفسهم وليس بما بباطن أنفسهم، إنك لم تجد علاجًا للذاكرة ولكن للتداعي، أمّا بخصوص الحكمة فإنّ ما قدمته لتلاميذك ليس هو الحقيقة بل مظهرها))[1]، فالكتابة أربكت الملك لأنها تتعدى حفظ الذاكرة صوب التداعي والكشف، وأنها تكتفي بنقل مظاهر الحكمة بدلًا من أنْ تعلم الحكمة، وبدوره يعتمد "**سقراط**" هذا الإرث ويتبناه فيقول:((إنّ كلّ من يظنّ أنّه قد ترك بالكتابة فنًّا أو من يظنّ أنّه قد تلقاه معتقدًا أنّ الكتابة تنطوي على تعليم مؤكّد واضح فلا شكّ أنّ مثل هذا الشخص هو رجل على قدر كبير من السذاجة)) [2].

وقد لحظ " **دريدا**" بدهشة وامتعاض حالة التناقض والازدواجية في خطابات " **افلاطون**" حيال الكتابة، إذ تدان الكتابة ويُلجأ إليها في آن واحد لتثبيت إدانتها، فليس من المنطق إدانة المكتوب داخل المكتوب، ويتساءل: أيّ قانون يتحكم بهذا التناقض أو التعارض الذاتي للقول ضدّ الكتابة؟ فهذا القول ينهض ضدّ نفسه بمجرد أن ينكتب[3].

يتسلّل الإرث السقراطي إلى العالم الحديث فيتلقفه "**جان جاك روسو**"، إذ يأتي تعاطفه مع البدائيين وانتصاره للفطرة السليمة، فعنده أنّ ((الأفكار العامة المجردة هي ما أسقط البشر في مهاوي الأخطاء)) [4]، ويرى أن الركون الى الكتابة ليس إلّا تحوّلًا من البداهة إلى الافتعال، فـ((الكتابة التي تبدو من مهامها تثبيت اللغة، هي عينها التي تغيّرها، فهي لا تغيّر كلماتها بل عبقريتها، إنّها تعوّض التفكير بالدقة، فالمرء يؤدي مشاعره عندما يتكلم وأفكاره عندما يكتب))[5]، فإذا كانت الكتابة جاءت تلبي الحاجات فإنّ الأصل في الكلام استجابة للأهواء،ولهذ كان ((أولَ اختراع الكلام ليس نتاجًا عن الحاجات بل عن الأهواء))[6]، ومن هنا يصل " **روسو**" الى القول بأنّه ((لا بدّ أنّ اللغة الأولى كانت مجازية... ففي البداية لم يتكلّم الناس الا شعرًا ولم يخطر ببالهم أنْ يفكّروا إلا بعد زمن طويل))[7] إنّ ما يريد قوله هو أنّ الكتابة طارئة على الجبلة، ومن ثمّ ليس من العدل جعلها شرطًا لابدّ منه في المعرفة فيقول: ((لن أتصوّر أبدًا أنّ كلّ ما يجب على الإنسان أن يعرفه محصور في الكتب ...فكيف

---

(1) أفلاطون، فايدروس، مصدر السابق، ص89.

(2) المصدر السابق،124.

(3) دريدا، جاك(1989): صيدلية أفلاطون، ترجمة: كاظم جهاد، تونس: دار الجنوب للنشر، ص119.

(4) روسو، جان جاك (2012): دين الفطرة، ترجمة: عبد الله العروي، ط1، المغرب: المركز الثقافي العربي، ص42.

(5) روسو، جان جاك (1984): محاولة في أصل اللغات، تعريب محمد محجوب، تقديم: عبد السلام المسدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد– تونس، الدار التونسية للنشر، ص44.

(6)روسو، جان جاك، محاولة في أصل اللغات، مصدر سابق، ص٣٣.

(7) المصدر السابق، 35.

أضحت الكتب شرطًا لازمًا لهم لمعرفة واجباتهم كيف عرفوها قبل أن تنشر؟ إمّا أنْ يتعلّم الإنسان واجباته من نفسه،وإمّا هو مُعفى من معرفتها))[1].

يتسلّلُ الإرث السقراطي إلى الخطاب اللساني المعاصر، فحين تقرأ محاضرات " **فرديناند دي سوسير**" سترى كيف يربط بين الكتابة والخداع، حتى أنك تظنه رجلًا يعيش في العصور الوسطى، والسبب في ذلك هو أنّ فكرة (النَّسق) سيطرت عليه، وبما أن الصوت حضور وثبات، وأنّ الكتابة غياب وأهواء وحركة دائبة، فإنّ " **سوسير**" عوّل على الحضور والثبات لإقامة النسق، فارتكز على الصوت، ومن هنا يعتقد "**دريدا**" أنّ أبا اللسانيات الحديثة جارى "**افلاطون**" **و**" **روسو**" في تصوراتهما عن الكتابة، فقد عدّها تابعة قاصرة، ويتلخّص دورها في تمثيل الصوت فلا مبرّر لوجود الكتابة سوى وظيفتها هذه[2]، ولا يتحدّد عنده موضوع الألسنية ((في كونه نتيجة الجمع بين صورة الكلمة مكتوبةً وصورتها منطوقةً، بل ينحصر هذا الموضوع في الكلمة المنطوقة فقط، إلّا أنّ الكلمة المكتوبة– وما هي إلا صورة للكلمة المنطوقة– تمتزج وإياها امتزاجاً عميقًا ينتهي بها الى اغتصاب الدور الأساسي حتى أنّ الأمر يؤول بالناس إلى أنْ يعيروا صورة الدليل الصوتي في الخطّ أهمية تساوي بل تفوق أهمية الدليل نفسه))[3]، ومن هنا تظهر ازدواجية "**سوسير**" إزاء الكتابة ويدخل في تناقض عجيب حين يضيف: أنّ في تفضيل الناس الصورة المكتوبة على الصورة الصوتية لا يعدو أن يكون كمثل المرء يريد معرفة أحد الأشخاص فيتصور أنّ أفضل طريقة لمعرفة ذلك هي النظر في صورته الفوتوغرافية بدل النظر إلى وجهه، وإلّا فإنّ للغة صورة شفوية مستقلة عن الكتابة، وأكثر منها ثباتًا، ولكن تعظيم الناس للصورة المكتوبة يمنعهم من تبيان ذلك، ومن ثمّ يدين "**سوسير**" في التراث الألسني أولئك الذين ساووا بين الاثنتين، إذ يتحتّم في الدرس اللغويّ تغلّب الصورة المكتوبة على الصورة المسموعة؛ وذلك لأن الالتجاء إلى الصورة المكتوبة ما هو إلا من قبيل الركون إلى أيسر السبل، وعلى هذا تبوّأت الكتابة منزلة لا حق لها فيها[4]، وتبلغ النغمة السقراطية في دروسه غايتها القصوى وهو ينتقد شهادة المكتوب على المنطوق، فمن خلال مجموعة من الأمثلة والشواهد عن الجناسات المصحفة_على غرار ما يفعل " **افلاطون**" في محاورة " **كراتيلوس**" يتوصل " **سوسير**" إلى أنّ الكتابة تقوم بتمثيل الصوت تمثيلًا ناقصًا يحول بينها وبين أنْ تُعمّم أو أن تأخذ دورًا كبيرا في التمثيل، وهي في ذلك أبعد ما تكون عن "المنطق" وذلك لِمَا تتصف به من" تضليل وخداع " ومن هنا يكون من التجنّي الاعتقاد بحاجة الألسنية والفونولوجيا إلى إحداث إصلاح قواعد الرسم، فشهادة الكتابة على

---

[1] روسو، دين الفطرة، مصدر سابق، 108.

[2] دوسوسير، فرديناند(1985)، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح الفرمادي ومحمد عجينة، طرابلس، الدار العربية للكتاب، ص49، كذلك، إبراهيم،عبدالله (2010)، المركزية الغربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،422.

[3] دوسوسير، فرديناند، دروس في الألسنية العامة، مصدر سابق، ص49.

[4] دوسوسير، فرديناند، دروس في الألسنية العامة، مصدر سابق، ص49–51.

اللغة لا قيمة لها إلّا إذا أولناها تأويلًا، وعليه ينبغي أنْ نتوخى الحذر إزاء تلك الصورة المكتوبة التي يجب أن نمرّ بواسطتها كي ندرك اللغة [1].

وبهذا يرى " **دريدا**" أنّه كان على الألسنية،التي هيّأها "**سوسير**" على هدِي "**افلاطون**" و"**روسو**"، أن تضع الكتابة في الخارج وفي الأوان ذاته تستعير منها مخزونها البرهاني والنظري كلّه، إنّ تمرير هذا التناقض المعتمد وتكريره منذ "**أفلاطون**" وصولًا إلى "**سوسير**" وخلفائه ليس شيئًا عرضيًّا بل يمكننا من متابعة خيط جديد وتمييز عُقَد أخرى في تاريخ الفلسفة أو المعرفة، وعنده أنّ هذا الخيط يشكّل براديمًا(= أنموذجًا إرشاديًّا) يقتضي ويجبر كلّ معرفة على محاذاته والتكييف معه من خلال إحداث انسجام بين موقفين متناقضين أيما تناقض، إذ لابدّ أن ينسجم استبعاد الكتابة والحطّ منها في الموضع الذي يُصرّح عن مكانتهما بالذات[2].

وقد لقي التعاطف مع البدائيين حظوة في الخطاب الأنثروبولوجيّ من بعد " **روسو**" وخير من يمثّله " **كلود ليفي شتراوس**"، إذ يبدو الإرث السقراطي عند عالم الإنثروبولوجيا الفرنسي " **شتراوس** " بصورة أوضح ممّا هي عند " **روسو**"، فيعزو " **إدموند ليتش**" خطاب "**شتراوس**" عن اللغة إلى "**روسو**"[3] مثلما ترى " **ميشال دوشيه**" أنّ " **شتراوس**" يعيد قراءة " **روسو**"، ويتّكئ على "**ديدرو**" في بعض تصوّراته، فالكتابة في أنسكلوبيديا ديدرو عبارة عن ذاكرة مصطنعة مثلما هي تكملة للذاكرة عند " **شتراوس**"[4]، ولكن من يراجع الفصل الثامن والعشرين في كتابه "مداريات حزينة" يرى كيف يحفل " **شتراوس**" بهذا الإرث السقراطي لا من خلال قراءة " **روسو**" و"**ديدرو**" فحسب، بل يستدعيه من محاورات "**افلاطون**" أيضًا، إذ ليس موقفه من الكتابة إلّا تمثيلًا للقصّة التأسيسية المصريّة التي اعتمدتها حقبة اللوغوس منذ "**سقراط**"، ولا يلبث "**شتراوس**" حتى يقوم بتأصيل مضامينها في حياة البدائيين، إذ تقوم فرضيته على أن البشريّة خطت خطوات عملاقة من دون معونة الكتابة، فضلًا عن أنّ الكتابة جمّدت حضارة الغرب التاريخية زمنًا طويلًا، فمع أنه لا ينكر دورها في الازدهار الحضاري، فأنّه لا يجد في انتشار الكتابة شرطًا ضروريًا لهذا الازدهار[5]، وهو حين يتحدث عن وظيفة الكتابة ومغزى وجودها كأنّك به يستدعي فكرة الملك "تاموز" التي يسوقها "**سقراط**" "**لفايدروس**"، فالوظيفة الأولية للتواصل المكتوب –عند " **شتراوس**"– هي تسهيل الاستعباد، أمّا استعمالها لغايات

---

[1] دوسوسير، فرديناند (1985)، دروس في الألسنية العامة، مصدر سابق، ص64.

[2] دريدا، صيدلية أفلاطون، مصدر سابق، ص119–120.

[3] ليتش، أدموند(2010)، كلود ليفي شتراوس– دراسة فكرية، ترجمة: ثائر ديب، ط1، سورية، دار الفرقد، ٣٥.

[4] دوشيه، ميشال(2010)، تقاسم المعارف، ترجمة: حسين جواد قبيسي، ط1، بيروت، المنظمة العربيّة للترجمة،،٢٧٥– 276.

[5] شتراوس، كلود ليفي(2000–2003)، مداريات حزينة، ترجمة: محمد صبح، قدم له د. فيصل درّاج، ط1، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية،٣٨٣.

منزهة عن الغرض بغية الحصول على متع فكرية وجمالية فهو نتيجة ثانوية، ذلك أنّ الشواهد التاريخية تؤكد أنّ ظهور الكتابة كان لغاية تسهيل استغلال بني الإنسان قبل إنارة عقولهم، إذ لم تكن كافية لترسيخ المعارف بقدر ما كانت ضرورية لتوطيد أشكال الهيمنة كلّها، فمن خلال ملاحظاته عن الأهالي لاحظ "**شتراوس**" أنّهم كانوا يفهمون بصورة غامضة أنّ الكتابة والخديعة تدخلان إليهما جنبًا الى جنب، فضلًا عن أنّ عبقرية أحد رؤساء القبائل أثارت إعجابه، حين ((انتبه دفعة واحدة للدعم الذي يمكن أن تقدّمه الكتابة لسلطته، مدركًا هكذا أسس المؤسسة دون أن يمتلك استعمالها))[1]، فما أشبه مضمون هذه الملحوظة بفكرة الملك تاموز التي أوردها "**سقراط**" لـ" **فايدروس**".

والحقّ أنّ هذا القدر من الخوف والحذر تجاه الكتابة واقعٌ في حياة العرب قديمًا ولم يزل لهما آثار في حياتنا، على أنّهما يُترجَمانِ في الغالب بالترفّع والدناءة والعيب، وفي المقابل قد يكونا سبيلًا الى المفاضلة والتفاخر، وقد يبدو ذلك بصورة واضحة في رغبة الشعراء عن الكتابة، إذ كانوا يترفعون عنها، بل تكاد تكون الكتابة مثلبة في أعراف الشعراء، والبعد عنها فضيلة، وفي ذلك يقول " **سليط بن جرير النمري**": [2]–الوافر –

تحقّرني ولستَ لذاك أهلًا * وتُدني الأصغرين من الخوانِ**
جهابذة وكتّابًا وليسوا * بفرسان الكريهة والطّعانِ**
ستعرفني وتذكرني إذا ما * تلاقى الحلقتان من البطانِ**

بل أنّ من الشعراء من يفتعل ويتصنّع جهلَه الكتابةَ ويبالغ في إظهار بدويته، على غرار ما أثر عن "**عيسى بن عمر**" حين سأل " **ذا الرّمة**": أتكتب؟ فقال بيده على فيه: أكتم عليّ فإنه عندنا عيب[3].

ولتأكيد موقف العرب غير السارّ من الكتابة شواهد كثيرة، ويبدو أنّ ترفّع العرب عن الكتابة

والنظر إليها بوصفها مثلبة ظلت آثارها في حياة العرب حتى على المستوى المؤسسيّ والثقافيّ، فعلى المستوى المؤسسيّ واجه " **يزيد بن معاوية زياد بن أبيه**" بفضل بيّته على زياد بقوله: ((لقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى عزّ قريش، ومن **عُبيد إلى أبي سفيان**، ومن القلم إلى المنابر))[4].

---

[1] شتراوس، كلود ليفي، مداريات حزينة، مصدر سابق، ص،٣٨٥.

[2] الأبيات في شرح مقامات الحريري(2006)، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية،1 :174. وينظر، أمين، أحمد (2010)، ضحى الإسلام، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية،1 :134.

[3] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(1902)، الشعر والشعراء، ليدن، مطبعة بريل،،334.

[4] الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (1988)، **كتاب الوزراء والكتّاب**، قدم له: حسن الزين، ط1، بيروت، دار الفكر الحديث،24، والأصبهاني، الراغب(1420هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الادباء، بيروت، شركة الأرقم بن الأرقم،1 :501. وضحى الإسلام، 1 :134.

أمّا على المستوى الثقافي فقد رأى أدونيس أنّ الشعر العربي في العصور التي تلت الجاهلية ظلّ وفيًّا لهذه التقاليد، ومن خلاله ظلّ النقد العربي القديم يدعم هذه التقاليد و يتحيّز إليها، وبهذا ظلّ الشعر العربي يكرّر الشفوية الجاهلية ويعيد إنتاجها إلى أمدٍ بعيد[1].

والذي يبدو للباحثَيْنِ أنّ الرغبة عن الكتابة وتقديم الصوت على الخطّ وتمجيده وإبداء مشاعر غير سارة تجاه الكتابة والافتخار بجهلها قدر محتوم على كلّ الثقافات البشرية، وهنا نستبعد مع الدكتور "**عبدالله إبراهيم**" أن يكون العرب قد اطّلعوا على مواقف "**سقراط**" من الكتابة في القرن الأول الهجري، إلّا أنّه في المقابل يشير الى أنّ استمرار موقف الحذر من الكتابة في الحياة المؤسسية عند العرب تماثل مواقف "**سقراط**" الى حدّ بعيد[2].

وبهذا فنحن حين نتكلّم عن" إرث سقراطيّ في السرد العربي القديم، فإنّ هذا المفهوم ما هو إلّا تجوّزٌ وتعبيرٌ عن الخوف من الكتابة في الثقافة العربية القديمة على غرار ما كان في الحضارة الغربيّة بنسختها الهيلينية التي تمركزت على الصوت وتحصّنت بالحضور.

المبحث الثاني: موقع السرد العربي بين الشفاهيّة والكتابيّة من منظور عبد الله إبراهيم

الشفاهية هي تلك الثقافة التي ترتكز على السمع /الصوت وتحفل بالمشافهة، وهي نسق يسبق النسق الكتابي بزمن بعيد جدًا من حياه الإنسان، ولعلّ أهم خصائص هذا النسق الارتكاز على الصوت وآنية التلقي، على أنّ مفهوم الشفاهية ينسحب على النصوص المكتوبة وعندئذٍ فإنّ أهم خاصية تميّز الصياغة الشفوية في الكتابة هي الشفافيّة والتكرارية العالية التي معها تكرّر توافق الكلمات والعبارات، إذ تأتي المرسلة الشفوية على قوالب صياغة معهودة، وبعبارة أخرى تعدّ النصوص كتابيّةً في حال اعتمادها على القيم الصوتية والضغط عليها عبر التكثيف الصوتي والمماثلة الإيقاعية عبر أساليب التكرار المتنوعة، كالقافية والسجع والازدواج وغير ذلك[3]، ولكن يجدر التنبيه على أن الشفاهية لا تعني(الأميّة) لأنها مفهوم واسع يستوعب الآثار الكتابية والشفوية معًا، وينبغي ألَّا يراد بها حكمًا قيميًّا على "الآخر" بالتقدّم والتخلّف، اذ لا تزال الشفاهية مستمرة، ولها حضورها في أرقى المجتمعات وعلى المستويين: الشعبي والنخبوي.

---

[1] أدونيس، علي أحمد سعيد(1989)، الشعرية العربية، ط2، بيروت، دار الاداب،27-60.

[2] إبراهيم، عبدالله (2008)، موسوعة السرد العربيّ، طبعة موسعة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1 :55.

[3] مونرو، جيمز (1996)، النظم الشفوي، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1، المغرب، دار فارس للنشر والتوزيع، 36. و،موسوعة السرد العربي، بالأخص حديثه عن الصيغ السجعية،1 :72-73 وسرحت، سعد رفعت(أيلول 2021)، الأثنولوجيا منهجًا في الخطاب الاستشراقيّ نقد فكرة "التقاليد الشفهيّة" في الشعر الجاهلي لدى جيمز مونرو، مجلة آداب الفراهيديّ، كلية الآداب،جامعة تكريت، م(13)ع (47) القسم الأول-،39-40.

أمَّا الكتابية فهي نسق مرئي يرتكز على (الرؤية) ويحفل بالخطّ، والكتابية ثقافة لاحقة، جاءت متأخرة جدًّا عن الشفاهية، وتتميز الثقافة الكتابية بالعمق والرؤية الفكرية المتبصرة، وهي لذلك دليل على النضوج الفكري؛ فالكتابة لا يمكن أن تستغني عن الشفاهية حسب " **والتر–ج–اونج** " الذي يرى أنَّ النصوص المكتوبة مضطرة بطريقة ما، مباشرة أو غير مباشرة،إلى الارتباط بعلم الصوت الموطن الطبيعي للغة كي تعطي معانيها[1].

ولهذا فإنّ كثيرًا من النصوص تحمل سمات مجتمعة للجانبين[2].

في ضوء ما تقدم تتحدّد شفاهية السرد العربي القديم، في أنَّه نشأ في ظلّ سيادة مطلقة للنَّسق الشفويّ، إذ لم يفهم التدوين الذي عرف في وقت لاحق إلا بتثبيت آخر صورة بلغها المروي، فضلًا عن أنّ خواص هذا السرد التركيبية تتألف من: (الراوي وحكايته – المتلقي الضمنيّ) على خلاف السرد الكتابي الذي يعتمد (التمثيل) لكل من (الراوي وحكايته والمتلقي الضمني)، ذلك أن المرويات الشفوية لا توجد إلا بحضور جليّ لطرفي الخطاب: الراوي والمروي له، ولا يمكن تغييب أيّ مكوّن منها، بالنظر إلى أنّ تلك المرويات استمدت وجودها من نمط الإرسال الشّفويّ الذي كان مهيمنًا زمناً طويلاً من البنية الذهنية للمجتمع العربي[3].

ولعلّ أهم الخصائص التي بها تحدَّد شفوية السرد هو أنّ المرويات الشفوية تضع (مسافة) واضحة بين مكونات البنية السردية: (الراوي– والمروي– والمروي له) فمن شأن المشافهة الانفصال بين الراوي والمروي، لأنها تستعين بالصوت المسموع وسيلة لها، على خلاف الكتابة التي تعتمد على الخطّ وسيلة لها، الأمر الذي لا يستدعي انفصالًا بين المؤلف والخطاب، فإذا كانت المتون الكتابية تستعين بـ(الراوي المتماهي بمرويه) فإنّ السرود الشفاهية تستعين بـ(الراوي المفارق لمرويه) لأنه يروى متونًا لا تنتسب إليه وأحداثًا لا تعاصره، وهذا ما يجعل السرود الشفاهية عرضة للتّغيير والتبديل، أي بتغيير الرواة وعصورهم، ولا تتّصف بسمة الثبات والبقاء، الأمر الذي يعرضها للتزييف والفناء بمرور الزمن، في الوقت الذي تبقى فيه السرود الكتابية ثابتة خالدة مع مرور الزمن، والأهم من كلّ ذلك هو أنّ السرود الكتابية تلين لإعادة الانتاج والتأويل في سياقات مختلفة وقراءات جديدة على الرغم من ثباتها، وهذا ما أفضى بـ" **نورثروب فراي**" إلى وصف السرود الشفوية بـ(العرضية) وفي المقابل وصف السرود الكتابية بـ(الدائمة) [4].

---

[1] أونج، والتر.ج (1990)، الشفاهية والكتابية، ترجمة: حسن البنا عز الدين، الكويت، سلسله عالم المعرفة(182)، ص44.

[2] أونج، والتر.ج، الشفاهية والكتابية، مصدر سابق، ص31.

[3] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص7.

[4] المصدر السابق، ج1، ص7– 8.

والحقّ أنّ تمييز السرود الكتابية عن السرود الشفوية بالاعتماد على مفهوم (المسافة) يذكّرنا بمفهوم (الفجوة) في مقاربة "**لورد وباري**" على الشعر الهوميري، فقد لاحظا أنّ الاختلاف النوعي بين الشعر الشفوي والكتابيّ يكمن في اللحظة الزمنية للأداء، فاللحظة الزمنية للتأليف هي عينها لحظة الأداء، على خلاف القصيدة المكتوبة التي تكشف عن "فجوة" بين الزمن التأليف والإلقاء الشفويّ، وبذلك تنفصل اللحظة الزمنية للتأليف عن لحظة الأداء [1].

يرى الدكتور "**عبدالله إبراهيم**" أنّ (النسق الشفاهي) أخذ يتعزّز في البنية الثقافية العربية بفعل موجهات خارجيّة، لعلّ أهمّها الأصول الدينيّة التي انتزعت منها الشفاهية شرعيتها إلى الحدّ الذي جعل منها ممارسة مبجّلة، لها ما ليس للكتابة من فضائل[2].

وهنا ينطلق "**عبدالله إبراهيم**" من رؤية تأصيلية للظاهرة السردية في الثقافة العربية، فهذه الثقافة ثقافة شفاهية، مظهرًا مكانة السرد في حياة العرب عبر البحث في أنواعه وأشكاله ووظائفه ومقاصده الظاهرة والمضمرة، وأثر كلّ ذلك في توجيه العرب.

إنّ السّرد العربي– بما أن مضمار السرد الأثير الكتابة– خضع لإرغامات الشفاهية بشكل فجّ، وذلك بالنظر إلى وقوع السرد تحت سلطة الدّين، فقد خضعت المرويات العربية للمزاج الشفاهي عنوةً، بفعل المؤثرات الخارجية، التي أدت إلى أن يكون التداول الشفاهي ذا أثر مباشر في صياغة المتون السردية، فقد وجدت الشفاهية سنداً من الدين الإسلامي الذي قام بتوجيه الموروث النثري وتغذيتهِ بفعل سلطة تلك الموجهات التي أرغمتهُ على الانحراف عن مسارهِ الصحيح، بحيث أصبحت الشفاهية جزءًا أساساً في بنية المتن السردي، في الوقت الذي كانت فيه بواكير الإسلام وطلائعهِ ترتكز على فضل الكتابة، وتمجيد القلم، ومن هنا تشهد الثقافة العربية إشكالية تتمثل بوقوع السرد العربي في منطقة الصراع بين الشفاهية والكتابية، ذلك الصراع الذي ينتهي بتسيّد

الشفاهية على بنية الثقافة العربية، وسيترك ذلك آثارهُ الواضحة على بنية السرد العربي.

يتبنّى الدكتور "**ابراهيم**" مقولات المنهج التفكيكيّ، لاسيّما ما يتعلق منها ب(مركزية الصوت) التي يشير بها "**جاك دريدا**" إلى الفكرة القائلة بأفضلية (الصوت/ الكلام) على (الكتابة)، ومؤدّى هذهِ الفكرة أنّ الحضارة الغربية منذ نشوئها تقوم على مركزية الصوت، أي أن المنطوق أقرب إلى الفكر من المكتوب؛ لأن المنطوق يمثل الحضور الكامل للعالم[3]، على حين تمثل الكتابة إطار الغياب

[1] قرني، غادة جميل(2014)، الشفاهية والكتابية في الشعر الجاهلي، ط1، الأسكندرية، دار النابغة للنشر، 7.
[2] قرني، غادة جميل، الشفاهية والكتابية في الشعر الجاهلي، مصدر سابق، ج1، ص6–7.
[3] سلدن، رامان (1996)، النظرية الأدبية المعاصرة، ط1، المغرب، دار فارس للنشر والتوزيع، 137.

والاختلاف والتعدّد والتباين، وفي ذلك نقض لمركزية الصوت[1]؛ لأنّ الكتابة ((لا تهدف إلى توصيل المعاني الجاهزة أو الكلمات المنطوقة، وإنّما إحداث الأثر فقط))[2]، فالكتابة مقولة أساسية في فلسفة " دريدا " استعان بها لمناوأة المركزية الغربية، ودحض الحجج التي ثبتتها للحطّ من الكتابة المنظور إليها بوصفها وساطة للوساطة وسقوطا في برّانية المعنى أو خارجه[3]، وذلك بالنظر إلى أنّ الكتابة ظلّت في الفكر الغربي محاطة بالحذر، ذات قدرة خطيرة على التّلاعب والتّضليل ((فهي شيء مرادف للشرّ والعدوان، وضرب من التهديد الخارجي لعالم أوليّ بسيط يعيش متزامنًا ومتطابقًا مع وجوده المباشر الذي لا يكاد يتجاوز حاجاته اليومية، والتي تؤكد له ثقافته الشفاهية من خلال رؤية جمعية بالغه في التبسيط، وربما خالية من كلّ مظاهر التفرّد والخصوصية من جهة أخرى))[4].

للكتابة خصائص تقدمه على (الكلام) ويبدو ذلك في استعدادها على حرية الحركة والانتقال من حالة إلى أخرى، عبر قدرتها على اللعب دلاليًّا وإمكاناتها على استدعاء سياقات شتّى، وعندئذ يرى " **دريدا** " وجوب قلب المعادلة التي تقضي بأسبقية المنطوق على المكتوب، لأنّ العلامة المكتوبة ((تتجاوز حالتها القديمة من كونها حدثًا ثانويًّا يأتي بعد (النطق) وليس له من وظيفة إلّا أن يدلّ على النطق ويميل إليه. إنّ الكتابة تتجاوز هذه الحالة لتلغي النطق وتحلّ محله، وبذلك تسبق حتى اللغة، وتكون اللغة نفسها تولّدًا ينتج عن النص، وبذا تدخل الكتابة في محاورة مع اللغة فتظهر سابقة على اللغة ومتجاورة لها، ومن ثَمَّ فهي تستوعب اللغة))[5] وعن هذا يتمخّض "الأثر" أيْ التّشكيل السحري الناتج عن الكتابة التي أصبحت القيمة الأولى[6].

إنّ النص الأدبيّ– على غرار اللغة– مبني على أساس (الاختلاف)، ما يعني أنّ الكتابة ماهي إلا عملية إظهار لتلك الاختلافات، لكونها العملية الوحيدة التي تستعمل اللغة وسيلة اللعب على

---

(1) إبراهيم،عبد الله وآخران (1996)، معرفة الآخر– مدخل الى المناهج النقدية الحديثة، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت،130.

(2) هذيلي، علي حسين (2018): التفكيك والتلقي بين النظرية والممارسة– مقاربة نقدية، ط1، بغداد، دار سطور للنشر، 58.

(3) دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، مصدر سابق، ص 112.

(4) الكردي، محمد علي(2001)، الصوت والتفكيك، مجلة علامات في النقد، مج(10)ج(40)، المملكة العربية السعودية، جدة، ص113.

(5) الغذامي، عبدالله(1998)، الخطيئة والتكفير– من البنيوية إلى التشريحية– قراءة نقدية لنموذج معاصر، ط4، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،55.

(6) الغذامي،عبدالله، الخطيئة والتكفير، مصدر سابق، ص55

المعاني وتجسيدها داخل النصوص التي تجسدها، على حين يتمحور الصوت حول مقولات جامدة لا تتعدّى الذات [1].

أمَّا عن الأثر الحضاريّ للكتابة ومرتبته بالنسبة للكلام، فهي الموروث الحضاريّ الذي به تؤكد الثقافة هويتها واستمرارها، على الرَّغم من أنها لم تحظَ بعناية الفلاسفة وأساطين الفكر الغربيّ[2]، ومرد ذلك يعود إلى خوفهم من المساءلة وخشيتهم من زعزعة قناعتهم، لذا ((عبّر الفلاسفة عن كرههم الكتابة، لأنها تدمر سلطان الحقيقة الفلسفية.))[3].

يتحرّك الدكتور "**عبدالله إبراهيم**" في مقاربة (الشفاهية العربية) على وفق هذه المرجعية، فوجد أنّ موجهات خارجية عملت على ترسيخ إحلال المشافهة محل الكتابة في الثقافة العربية، وأسهمت في ترسيخها ومنحها قوة لممارسة دورها المركزي في عصر تأسيسها الأول [4]، ممّا ترك ذلك أثرًا واضحًا في أساليب النثر القديم وأبنيته وخصائصه الأسلوبية، وعطل فيه إمكانات كبيرة، وخنقت فيه كلّ المحاولات التي كان من شأنها أن تثري المتن السردي العربي بقيم أدبية وجمالية أخرى، فقد وجدت الشفاهية العربية عونًا من الفكر الديني الذي تأطر بفكرة (الإسناد) الذي فرضته أدبيات الحديث النبوي الشريف على مجالات أخرى لا صلة لها بالدين، إلى درجة أصبح فيها الإسناد ركنًا لا يمكن تجاوزه في أغلب المرويات السردية، وإن كانت لا تمت إلى الدّين بصلة[5].

ولكن لا يعني ذلك أنّ " الشفاهية " كانت نظامًا طارئًا في الثقافة العربية، بل على العكس فقد كانت محضنًا نشأت فيه كثير من مكونات الثقافة العربية في مظاهرها الدينية والتاريخية والأدبية واللغوية، ومع ذلك كان للنظام المعرفي العربي في العصر الإسلامي فرصة في أنْ يخفّف من وطأة الشفوية ويحدّ من فجاجتها، لاسيّما مع نزول القرآن الكريم، هذا الكتاب العظيم الذي مجّد الكتابة في مستهل آياته المباركة، وجعلها مقدمًا على الكلام، لولا أنّ (ثقافة الإسناد) التي كرستها رواية الحديث أعادت للنّسق الشفاهي مكان الصدارة، ودعمها بقوة الدين، على الرّغم من أنَّ متوناً كثيرة لم تكن لها صلة أكيدة بالدين لا من قريب ولا من بعيد، ولكن (انتقلت إليه القداسة بفعل المجاورة، مجاورته

---

[1] تاوريريت، بشير (2010)، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية– دراسة في الأصول والمفاهيم، ط1، إربد، عالم الكتب الحديث،243.

[2] تاوريريت، بشير (2010)، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية– دراسة في الأصول والمفاهيم، مصدر سابق، ص243.

[3] سيلدن، رامان، النظرية الأدبية المعاصرة، مصدر سابق، ص137.

[4] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص54 .

[5] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص7 .

لمتون الحديث النبوي، كونه حاملًا لتلك النصوص المقدّسة، وكما أنّ الصلة قوية وضرورية بين السند والمتن، فقد تجلّت بالصورة نفسها في المرويات السردية بين الراوي والمروي)) [1].

ووجه التقصير هنا يتّضح من أن ثقافةً تشهد تحولات كبيره بالانتقال من الجاهلية الى الإسلام، وهي لا تنفكّ تصرّ على الحضور والشفويّة وتحدّ بل تحطّ من مظاهر الكتابة، مع أنّ ((هذا النسق لا يظهر إلّا في الثقافات الشفاهية)) [2] المتأخرة، وعندئذٍ ظلّ دور الكتابة لا يتعدّى كونها تابعًا، ولا يعدّ دورها في تدعيم النسق الشفوي وتقيده ((وإلى ذلك فالشفاهية هي التي منحت المرويات القديمة هويتها المميزة، وربط تلك المرويات بأصولها، والمؤثرات الفاعلة في تكوينها لا يمثّل أيّ خفض لقيمتها الأدبية، وإنّما يصف واقع حالتها من حيث النشأة والتطور، فتلازم الأصول في الثقافات القديمة معروف وشائع)) [3].

لم يعتمد الدكتور "**عبدالله إبراهيم**" المنهج التفكيكي وآليات اشتغاله على المدونة السردية العربي القديمة من فراغ، بل وجد من المناسب جدًّا قراءة هذا التراث – لاسيّما في بواكيره في ضوء هذا المنهج، والاستعانة بمقولة (الكتابية او الغراموتولوجيا) التي اصطنعها " **جاك دريدا** " لمواجهة (المركزية الغربية) التي اتّكأت في بواكيرها إلى (مركزيه الصوت)، فجاء الدكتور"عبدالله إبراهيم" ليتبناها في مشروعه السردي، لتفكيك الأصول الميتافيزيقية في الشفاهية العربية.

المبحث الثالث: المركزية الدينية وركائز الشفاهية

بنزول القرآن الكريم أُسّستْ المركزية الدينية في الثقافية العربية، بما أنَّ القرآن العظيم خطابٌ متعالٍ انبثقت عنه الرؤية الدينية للوجود، يضاف إلى ذلك (الحديث النبوي) الذي يكتسب وجوده وأهميته من أنّه تفصيل لكتاب الله المجمل، فعلاقة القرآن الكريم والحديث النبوي علاقة متن بالحاشية، فهما يصدران عن رؤية واحدة [4]، وبما أنّ القرآن خطاب لغويّ ذو محمول ديني إلهي صار خطابًا من الدرجة الأولى أسلوبًا وتركيبًا ودلالة، ولمّا كان الحديث الشريف حاشية عليه أصبح خطابًا من الدرجة الثانية، وفي ظلّ هذه التراتبية أُقْصِيتْ الخطابات الأخرى الشعرية منها والسردية، وفي أحسن الأحوال أدمِجتْ في سياقات أخرى لتخدم هذه المركزية، فاحتلتْ – وفق هذا النظام التراتبي – موقع الدرجة الثالثة، أمَّا إذا أرادتْ هذه الخطابات أن تؤسس لنفسها وجودها الخاصّ بعيدًا عن مركزية الوحي، فلا موقع لها في أي مجال تقترحه المركزية الدينية، لأن وجودها رهن بخدمة هذه المركزية،

---

[1] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص7.

[2] المصدر السابق، ج1، ص7.

[3] المصدر السابق، ج1، ص7.

[4] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ص1 :29.

وإلّا فمصيرها الإقصاء، إذ تندرج، حينئذ، في ما اصطُلح عليه بـ " الفضلة" لأنّها لا تُسهم في خدمة العلم الإلهي [1] .

استندت المركزية الدينية في الإسلام الى مفهوم الكتاب، بالنظر إلى أنّ القرآن الكريم مثبت في مصحف، ويمثل المرجع الأساس لكلّ منظومة، والمنهل الذي لا ينضب، وبهذا استطاع أن يقدّم رؤية كتابية للوجود في مجتمع يعوم في المشافهة [2] وقد تأكدت هذه الرؤية ببعض الروايات التي تؤكد على أن أول ما خلق الله هو القلم، وذلك في قوله (ﷺ):((إنّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن))[3] .

إلّا أنّ هذه الرؤية لم تستطع أن تمدّ (الكتابة) بقوة خاصّة في بنية الثقافة، بل على خلاف ذلك سوّغت تثبيت الشفاهية، ودعم وجودها بفروض دينية، بحيث ظهرت مقاومة حقيقية للكتاب، فلم تتمكّن هذه الرؤية من إضفاء شرعية تاريخية وواقعية على الكتابة، ونظرًا لهذه المقاومة لم تتحوّل الكتابة إلى ممارسة في التواصل والتفاعل لا على مستوى الحياة، ولا على مستوى الفكر والثقافة، وإنّما أخذت تلحق بالكلام، وتحدّدت وظيفتها في تقييد المنطوق[4]، أمّا عن آليات هذه المقاومة فيمكن إجمالها بما يأتي:

<u>أولا:</u> عدم استعداد البنية الثقافية لاحتضان هذه الرؤية.

احتضنت البنية الثقافية هذه الرؤية، وحفلت بالكتابة في أضيق حدودها، إذ حددت وظيفتها في تقييد المنطوق، ففي ثقافة تموج في الشفاهية الطاغية، لم تدلّ الكتابة على ذاتها، بل أخذت دور التابع، وأدّت دور الدال على غيره، فقد صارت أهميتها تتقرّر في ضوء ما تقوم بتدوينه من كلام شفويّ، ومرد ذلك إلى تغليب تفسير خاص بالقرآن الكريم، وهو تفسير ينطلق من منطلق علوم (كلام الله) وخفض قيمة الكتابة، لأنها صارت وسيلة ثانوية دالّة عليه، فالكتاب الإلهي (القرآن الكريم) تجسّد بالكتابة، ولكنَّه في سياق الثقافة الشفوية خضعت الكتابة لمفاضلة جائرة بينها وبين القرآن الكريم، وهي مفاضلة تفضي إلى الارتقاء بطرف وخفض آخر، ولعل هذه المفاضلة بين (ماهو ربانيّ) و(ماهو إنسانيّ) كانت إحدى الركائز التي ستبنى عليها الشفاهية العربية على يد أساطين الفكر العربي من متكلمين وفلاسفة وفقهاء وأدباء، مثل " **الجاحظ 255هـ**" و"**أبي حسن الأشعري330هـ** "والإمام "**الغزالي505هـ**" و" **ابن الاثير637هـ**" و" **ابن خلدون808هـ**" وغيرهم، فكلّ هؤلاء على ما

---

[1] المصدر السابق،1: 31 .

[2] المصدر السابق،1: 32 – 33.

[3] المصدر السابق،1: 35، والحديث في سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (2013)، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، رقم الحديث،4700.

[4] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص40 –41.

بينهم من تباعد في الزمان والرؤية، كانوا يصدرون عن رؤية واحدة ثابتة تجاه المعنى واللفظ فألحقوا الأول بـ(النّفس) والثاني بـ(الجسم) وهذا يُفضي إلى أن تكون الألفاظ خدماً للمعاني وقوالب لها، وذلك وجه من وجوه المقاومة التي منيت بها الكتابة في بنية هذه الثقافة [1]، حتى أصبحت هذه البنية عاجزة عن احتضان الرؤية الكتابيّة.

ثانياً: أمية الرسول (ﷺ) وموقفه من الكتابة.

إنّ موقف الرّسول (ﷺ) من الكتابة يثير إشكالية كبيرة في الفكر الإسلامي، فقد ورد عنه(ﷺ): ((لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، ومن كتب عنّي غير القرآن فلْيمحِه))[2]، وقوله: ((إنَّما ضلّ من كان قبلكم بالكتابة)) [3]، شجعت هذه التوجهات الآخرين على استخلاص مواقف ذمّ وعدم ارتياح من الكتابة، فساعد ذلك وأدّى إلى تشكيل وعي ثقافيّ يدافع عن المشافهة بالاستناد إلى هذه الأحاديث، وجرى الكثير من الإشارات الواردة في نصوص دينية لتعزيز الشفاهية ونبذ الكتابة[4].

وقد أدت هذه المواقف إلى تأكيد الشفاهية والانتصار لها بأمية الرسول (ﷺ) وهو ما أدّى إلى شحن الشفاهية بالقوة المنطقية التي قامت عليها، بل أخذت هذه القوه تتدخّل في توجيه وعي المقلدين، فمثلًا ظلّ السلاطين العثمانيون وخلفاؤهم يتفاخرون بأميتهم في مراسلاتهم الرسمية إلى وقت متأخر، وذلك اقتداء بأمية الرسول عليه الصلاة والسلام[5].

ثالثا: استبداد ثقافة الإسناد

في خضم هذه الثقافة الغارقة في الشفاهية، اعْتُمد الإسناد في نقل الأخبار والحكايات، لتأكيد صحتها ودرجه موثوقيتها، وشيئا فشيئا انسحبت ثقافه الإسناد على الحقول المعرفيّة الأخرى كلِّها، بحيث ((صارت الأسانيد تخنق المتون، وتطمس أهميتها))[6] ومن ثمَّ فـ((مثلما كان الكلام يستدعي

---

[1] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص41 – 42.

[2] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري(2012)، صحيح مسلم، ط1، بيروت، دار إحياء الترجمة العربي، 4، ص2298.

[3] الحديث في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (بدون تاريخ)، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف محمد شرف الدين والتاقيا أحد، طبعة دار إحياء الترجمة العربي، بيروت، 1 :33. وينسبه السمرقندي (1993) في بستان العارفين، ط3، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، الى ابن عباس ينظر،1 :305، كذلك ينسبه ابن عبد البر (1994) لابن عباس ويرويه " إنما ضل من كان قبلكم بالكتب" بدلا من "الكتابة"،1رقم الحديث،352 ابن عبد البر (1994)، **جامع بيان العلم وفضله**، تح: أبو الأشبال الزهيري، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ج1، ص280.

[4] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص44.

[5] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص33.

[6] المصدر السابق، ج1، ص46.

إسنادا، أصبح نظام الاسناد الكتابي يعتمد على النسق الشفوي نفسه))[1] وهذا يقضي إلى أن يأخذ نظام المشافهة دورًا مركزيًّا في عمليه التواصل، وامتدَّ ذلك ((الى القصص الذي كان يتكوّن في هذا الإطار، الأمر الذي جعل المرويات السَّردية العربية، تتميَّز بظهور كامل لثنائية الراوي والمروي، المتحدرة من ثنائيه السند– والمتن)) [2].

وبناء على ذلك أدّى استبداد ثقافة الإسناد الى ظهور قسمين أساسيين في أي كلام شفويًّا كان أم مدوّنًا: القسم الأول يحيل على (الرواة) ويحيل الآخر على (المتن)، ونظرًا لارتكاز نظام المشافهة على عدالة الراوي ومدى صدقه أفضى ذلك إلى وجود عدد من الرواة يتمثَّل دورهم في نقل متن الكلام، من دون أن يكون لهم أثر في عمليه الإرسال، فتظلّ العلاقة بينهم وبين ما يرونه واهية جدًّا، ذلك أنّهم يروون متونًا قديمة تنتسب الى رواة سبقوهم في الزمان[3].

رابعا: اللوغوس العربيّ.

رسم فلاسفة العرب وكُتَّابها نظرية راسخة في فصل الشفاهية وتأصيلها في الثقافة العربية، وهي نظرية كرَّست حججها في الدّفاع عن النَّسق الشفاهي، والعجيب أنَّ أسماء كبيرة في التراث العربي، وأساطين في الكتابة العربية قد بلورت هذه النظرية، فمن أولئك " **الجاحظ**" الذي حاول في رسالته الشهيرة (ذمّ أخلاق الكتاب) تثبيت الشفاهية العربية، حين ألغى أهميه الكتابة، ودعا بشكل صريح إلى تبنّي المشافهة [4]، ومنهم أيضًا الطبيب المصري "**علي بن رضوان453هـ**" الذي عُرف بمحاولاته لتكريس نظريه تسوغ الشفاهية بالاستناد إلى ركائز قوية تلخّص كلّ ما قيل في إرساء

دعائم هذه الثقافة [5].

وعلى خطى "**جاك دريدا**" يستدعى الدكتور "**عبدالله إبراهيم**" رأي "**سقراط**" الذي عبر عنه "**دريدا**" في كتابه (الكتابة والاختلاف) بمقولة "**فردريك نيتشه**": ((سقراط، هذا الذي لا يكتب))[6]، فيرى "**عبدالله إبراهيم**" أنّ مضمون مواقف "**سقراط**" من الكتابة يماثل الموقف الذي اتخذه المسلمون منها، فالحكمة المقدسة عند "**سقراط**" تقابل العلم الاسلامي الذي هو القرآن والحديث النبوي، وتنزيه الحكمة المقدّسة وعدم إفسادها لدى "**سقراط**"، يقابل تنزيه العلم الإسلامي وعدم إفساده، فموطن العلم الإلهي

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص48.

[2] المصدر السابق، ج1، ص48.

[3] المصدر السابق، ج1، ص48–49.

[4] المصدر السابق، ج1، ص56.

[5] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص55 – 56.

[6] دريدا، الكتابة والاختلاف، مصدر سابق، ص103.

هو القلوب الطاهرة، ولهذا ظلّ المحدّثون الى وقت قريب يتفاخرون بحفظ سلاسل الإسناد الطويلة [1].

وهكذا ثبتت في الثقافة العربية ركائز متينه تدعم الشفاهية، وتقصي الكتابة إلا في أحوال ضيّقة، وقد اعتمدت هذه الركائز على حجج لا تنطوي على قوة معرفية خاصة بها، وإنّما بالاستناد الى موجهات اجتماعية ودينية كانت توجه رؤية المجتمع صوب الحضور والثبات، من دون أن تولي هذه الموجهات أهمية لقيمة التفكير الكتابي.

الخاتمة ونتائج الدراسة:

موضوع الدراسة الإرث السقراطي الذي يراد به الموقف البشريّ من الكتابة، فقد واجهت الكتابة أشكالًا كثيرة من الرفض في تاريخ الثقافات، والعجيب في الأمر أنّ بناة الفكر في كلّ حضارة كانوا يؤكدون هذا الرفض، ولعلّ خير من يشار إليه في هذا الشأن "**سقراط**"، فعلى ما يحمله اسم "**سقراط**" من وقع على الفكر العالمي، إلّا أنّ له مواقفَ غيرَ محمودة من الكتابة، حتى أصبح جديرًا بأنْ ينسب إليه هذا الإرث، وعلى هذا كان الدكتور "**عبدالله إبراهيم**" في مستهل مشروعه عن السرديّة العربية، يبحث عن الأسباب التي جعلت الروح الشفويّة تغلب على المتون السرديّة في هذه الثقافة، ولعلّه كان يبحث عن هذا الإرث انطلاقًا من خلفية فكريّة تفكيكية، ويبحث عن "مركزية الصوت" في الحضارة العربيّة على غرار مركزيته في الحضارة الغربيّة منذ العهد الإغريقي.

وبعد قراءة مستفيضة لهذا الموضوع واستنطاقه لدى الدكتور "**عبدالله ابراهيم**" كان لابد لهذه الدراسة أن تصل إلى نتائج عدة لعل اهمها:

1. إنّ الخوف والحذر تجاه الكتابة أو ما أطلقنا عليه "الإرث السقراطي" قدرٌ في حياة كلّ الأمم في بواكيرها، فلا يمكن أن تُؤاخذ أمة عليه، على أنّها تؤاخذ حين تصرّ على الشفاهية مع حضور الكتابة وتوافرها في ظلّ التحولات الحضارية التي تشهدها، وعندئذٍ تُترجم مشاعر الخوف والحذر السلبية بمشاعر إيجابية تفضي إلى أن تكون الأمية مفخرة وقمة للتفاضل.
2. أنّ كلّ الأمم حين تنتقل من طور إلى آخر تحترس من الكتابة وتقيّد انتشاره، سعيًا منها الى تحصين ثوابتها، ومن هنا جوبهت الكتابة في الإسلام بضروب من الحذر، وإلّا فمن شأن الكتابة أن تعيق مسيرته في حال شيوعها.
3. تأثرت السرديات العربية ببنيتها ومضامينها بالشفاهية، وقد لقيت في العصر الإسلامي والعصور التي تلته عونًا من المؤسسة الدينية والثقافية، الأمر الذي ترك آثاره واضحة في مكونات البنية

[1] موسوعة السرد العربي، مصدر سابق، ج1، ص55-56.

السردية: (الراوي والمروي والمروي له) عبر وقوع مسافات واضحة بينها، من دون أدنى اندماج بينها.

4. استعان الدكتور "**عبد الله إبراهيم**" في مستهل قراءته للسرد العربيّ بمرجعيات كثيرة كشف عن بعضها وأخفى البعض الآخر، على أنَّه- إذ كشف عن مرجعيته التفكيكية- لا يطاله اللوم كثيرًا على ما أخفاه، وذلك لأن المنهج التفكيكي يلخّص كلّ ما قيل عن الشفاهية والكتابية في الثقافات القديمة والراهنة، ولعلّه أرجأ الكشف عنها احتياطًا من أن تطاله المساءلة الأكاديمية وهو يقدم أطروحته، على أمل أن يكشف عنها في نتاجات أخرى لاحقًا، وقد خصّ لها مساحة على درجة من السّعة في كتابه "المركزية الغربيّة" .

5. تمكّن الدكتور"**عبد الله ابراهيم**" من تكييف مقولات هذا المنهج مع السرديات العربيّة، وقد تجاوزها برؤية تناسب نتاجات الثقافة العربيّة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، عبد الله (1996)، **معرفة الآخر، مدخل الى المناهج النقدية الحديثة**، ط2، بيروت، المركز الثقافي العربي.
2. إبراهيم، عبد الله (2008)، **موسوعة السرد العربي**، طبعة موسعة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
3. إبراهيم، عبد الله (2010)، **المركزية الغربية**، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون.
4. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (1994)، **جامع بيان العلم وفضله**، تح: أبو الأشبال الزهيري، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي.
5. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (1902)، **الشعر والشعراء**، ليدن، مطبعة بريل.
6. ادونيس،علي احمد سعيد(1989)، **الشعرية العربية**، ط2، بيروت، دار الاداب.
7. افلاطون(1969)، **فايدروس أو عن الجمال**، ترجمة وتقديم د. أميرة حلمي مطر، ط1، مصر، دار المعارف.
8. أمين، أحمد(2010)، **ضحى الإسلام**، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية .
9. أونج، والتر.ج. (1990)،**الشفاهية والكتابية** تر: حسن البنا عز الدين، الكويت، سلسله عالم المعرفة(182).
10. تاوريريت، بشير (2010)، **الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية- دراسة في الأصول والمفاهيم**، ط1، إربد، عالم الكتب الحديث.
11. الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (1988)، **كتاب الوزراء والكتّاب**، قدم له : حسن الزين، ط1، بيروت، دار الفكر الحديث.

12. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (1999)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف محمد شرف الدين والتاقيا أحد، بيروت، طبعة دار إحياء التراث العربي.
13. خليف، يوسف (1981)، **دراسات في الشعر الجاهلي**، ط1، الفجالة، دار غريب للطباعة.
14. دريدا، جاك (1988)، **الكتابة والاختلاف**، ترجمة: كاظم جهاد، تقديم محمد هلال ناصر، ط1، دار توبقال.
15. دريدا، جاك (1989)، **صيدلية افلاطون**، ترجمة: كاظم جهاد، تونس، دار الجنوب للنشر.
16. دو سوسير، فرديناند (1985)، **دروس في الألسنية العامة**، تعريب صالح الفرمادي ومحمد عجينة،، طرابلس، الدار العربية للكتاب.
17. دوشيه، ميشال(2010)، **تقاسم المعارف الخطاب التاريخي والخطاب النياسيّ**، تر: حسين جواد قبيسي، ط1، بيروت، المنظمة العربيّة للترجمة.
18. الراغب الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (1420هـ)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء**، بيروت، شركة الأرقم بن الأرقم.
19. روسو، جان جاك (1984)، **محاولة في أصل اللغات**، تعريب محمد محجوب، تقديم د.عبد السلام المسدي، بغداد– دار الشؤون الثقافية العامة– تونس– الدار التونسية للنشر.
20. روسو، جان جاك (2012)، **دين الفطرة**، تر: عبد الله العروي، ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي.
21. السجستاني، سليمان بن الأشعث (2013)، **سنن أبي داود**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون.
22. سرحت، سعد رفعت (أيلول2021)، **الأثنولوجيا منهجًا في الخطاب الاستشراقيّ نقد فكرة "التقاليد الشفهيّة" في الشعر الجاهلي لدى جيمز مونرو**، مج: آداب الفراهيديّ، كلية الآداب،م (13)، ع (47) القسم الأول.
23. سلدن، رامان (1996)، **النظرية الأدبية المعاصرة**، تر: سعيد الغانمي، ط1، المغرب، دار فارس للنشر والتوزيع.
24. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد(1993)، **بستان العارفين**، ط3، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.
25. شتراوس، كلود ليفي (2000–2003)، **مداريات حزينة**، تر: محمد صبح، قدم له د. فيصل درّاج، ط1، دمشق، دار كنعان، للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية.
26. الشريشي، أبو العباس بن عبد المؤمن (2006)، **شرح مقامات الحريري**، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية.

27. الغذامي، عبدالله (1998)، **الخطيئة والتكفير– من البنيوية إلى التشريحية– قراءة نقدية لنموذج معاصر**، ط4، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

28. قرني، غادة جميل (2014)، **الشفاهية والكتابية في الشعر الجاهلي**، ط1، الأسكندرية، دار النابغة للنشر.

29. القشيري، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج (2012)، **صحيح مسلم**، حققه وصححه محمد فؤاد عبدالباقي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

30. الكردي، محمد علي (2001)، **الصوت والتفكيك**، مجلة علامات في النقد، مج (10) ج (40) المملكة العربية السعودية، جدة.

31. ليتش أدموند (2010)، **كلود ليفي شتراوس– دراسة فكرية**، ترجمة: ثائر ديب، ط1، سورية، دار الفرقد.

32. مونرو، جيمز(1987)، **النظم الشفوي في الشعر الجاهلي**، تر: فضل بن عمار العماري، ط1، الرياض، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام.

33. هذيلي، علي حسين (2018)، **التفكيك والتلقي بين النظرية والممارسة– مقاربة نقدية**، ط1، بغداد، دار سطور للنشر.

الاكتساب اللغوي: أسسه ومراحله

Language acquisition: basics and phases

د. بشرى البلقاسمي: الأكاديمية الجهوية فاس–مكناس، المغرب

Dr. Bouchra EL Belkasmi: Regional Academy Fez–Meknes, Morocco

ملخص:

يعد اكتساب اللغة مرحلة هامة من مراحل النمو، ويحرص أي طفل على تأسيس معارفه اللغوية بغرض التواصل وتحقيق الاندماج الاجتماعي واكتشاف العالم واقتسام التجارب واللذات والحاجات، ولقد أظهرت الأبحاث المنجزة في مجال علوم الأعصاب وجود بنيات دماغية بدئية خاصة باللغة منذ الشهور الأولى من حياة الرضع، لذلك يقوم الطفل بالبحث داخل محيطه عن المدخل اللغوي المناسب، ولقد أظهرت الأبحاث في السنوات الثلاثين الأخيرة أن الكبار يكيفون لغتهم التي يخاطبون بها الصغار صواتيا وتركيبيا ودلاليا وتداوليا، ويستلزم الاكتساب فضلا عن الاستعداد البيولوجي وتدخل المحيط امتلاك الطفل قدرات معرفية تمكنه من التفكير والبرهنة واتخاذ القرار، ولقد حضي تعالق اللغوي والمعرفي بإجماع الباحثين رغم تباين وجهات نظرهم حول أسبقية أحدهما على الآخر. ونتبنى في هذا العمل مقاربة وصفية للاكتساب اللغوي، نعمد بدءا إلى عرض أسسه الدماغية والمعرفية ننتقل بعد ذلك إلى تتبع مراحل اكتساب اللغة إدراكا وفهما وستكشف لنا الدراسة ارتباط الاكتساب اللغوي مبكرا بأهداف تواصلية.

الكلمات المفتاحية: الاكتساب اللغوي، مراحل الاكتساب، البنيات الدماغية، الأسس المعرفية، التنشئة الاجتماعية.

Abstract

The acquisition of language is the most important stage in the development of the child. Everywhere in the world, any child learning to speak must build, during early childhood, his own knowledge of the language in order to be able to communicate. the study of the neural bases of these capacities shows us that the infant is an actor in his learning and that his cerebral organization allows him to go and seek in his environment the adequate input. the environment influences this acquisition during the critical phase of the development of language, Research conducted over the last thirty years has shown that the language spoken to children by adults is different from that used in adult communication at all levels of linguistic analysis: phonology, syntax, semantics and pragmatics. We adopt in this work a descriptive linguistic approach; we talk about the cerebral and cognitive bases of language acquisition and also the stages of acquisition of perception and production of language. We conclude that the communicative intention is present very early even in the pre-linguistic phase.

keywords: language acquisition, brain structures, socialization, acquisition phases, adaptation, cognitive bases.

المقدمة:

تعدّ اللغة أكثر أداة حرص البشر على إتقانها أثناء نموهم، غير أن تطوير القدرة اللغوية يستلزم تطوير قدرات معرفية ترتبط بها بالضرورة وهي: الذاكرة والاكتساب والمقْولة، ولقد أجمع الباحثون على تعالق المعرفي واللغوي وإن اختلفوا في أسبقية أحدهما على الآخر. ويبدأ اكتساب اللغة بشكل متماثل عند كل أطفال العالم، وتحيل كلمات الأطفال الأولى وكذلك توليفاتهم على معاني جد متقاربة، ويعود ذلك الى امتلاكهم بنية دماغية مرنة متخصصة في معالجة اللغة إدراكا وإنتاجا، وتوفر كل اللغات الطبيعية أدوات للتعبير عن مفهوم "الفاعل" و"المفعول" و"الموضع".. ومن ثمة يحرص الأطفال أثناء تطويرهم للمعارف اللغوية على إيجاد وسائل التعبير عن هذه المفاهيم، وهنا يظهر دور التنشئة الاجتماعية حيث ينبغي أن يوفر محيط الطفل المدخل اللغوي المناسب عبر تبني استراتيجيات التكييف والتبسيط.

إشكاليات الدراسة:

يحرص العمل على تناول إشكاليتين؛ تتمثل أولاهما في تحديد العوامل المحفزة للاكتساب اللغوي، هل هي بيولوجية؟ أي هل يولد الطفل مزودا ببنيات دماغية خاصة باللغة؟ أم ان التفاعل مع المحيط اللغوي هو الذي يؤدي إلى تخصص مناطق دماغية معينة في اللغة؟ أم أن الشروع في الاكتساب ناتج عن تدخل كل هذه العوامل؟ وأما الإشكالية الثانية فتتمثل في أداتية اللغة منذ بدايات الاكتساب، بمعنى هل يضطلع ما ينتجه الطفل بمقاصد تواصلية حتى قبل تلفظه بالكلمات الأولى؟

منهج الدراسة:

نعتمد في عملنا هذا منهجية استقرائية نقوم من خلالها بعرض مختلف الأبحاث المنجزة في موضوع الاكتساب اللغوي، وسيظهر لنا ذلك أن فيها التي تبنت وجود استعداد بيولوجي عند الأطفال يتيح لهم الاكتساب، بينما افترضت دراسات غيرها أنه لا يتم الشروع في الاكتساب إلا بوجود المدخل اللغوي المناسب في محيط الطفل، وسنصل بعد ذلك إلى طرح مفاده أنه لا يتأتى الاكتساب إلى بتدخل هذين العاملين، سنحرص بعده على تتبع مراحل ظهور اللغة عند الطفل من خلال وصف مراحل تطوره معتمدين في ذلك على نتائج عدد من الدراسات النفسية والدراسات النفسية العصبية المنجزة في موضوع الاكتساب اللغوي.

أهداف الدراسة وأهميتها:

ستكشف الدراسة عن ضرورة تحفير الاكتساب اللغوي عند الطفل من خلال الاشتغال على كل عوامله، من خلال توفير المدخل اللغوي المناسب في فترة الاكتساب الحرجة، ثم الحرص على سلامة الباحات الدماغية الخاصة باللغة وصحة أجهزة الإدراك السمعي أو البصري وجهاز النطق وخلوها

من الاختلالات العضوية والوظيفية، فضلا عن تتبع النمو اللغوي عند الطفل ومقارنته بما سيتم تقديمه من مظاهر إدراك اللغة وإنتاجها في كل مرحلة من مراحل النمو عند الطفل بغرض التدخل العلاجي حين رصد تأخر أو اضطراب لغوي.

المبحث الأول: عوامل للاكتساب اللغوي: البنيات الدماغية والأسس المعرفية والتفاعل مع المحيط

تشير بعض الأبحاث النفسية إلى تدخل جهازين في الاكتساب اللغوي، إضافة إلى البنيات الدماغية المتخصصة أولهما: الأسس المعرفية وثانيهما التفاعل مع المحيط (Rondal، 2004).

1) البنيات الدماغية البدئية الخاصة باللغة

مكنت التقنيات الحديثة من دراسة الترابطات الدماغية الخاصة بالقدرات اللغوية في سن مبكرة، حيث أظهرت نتائج التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي والجهد المحرض عالي الكثافة لرّضع في الشهور الأولى من حياتهم، أن الدماغ منظم وفق شبكات وظيفية قريبة من مثيلاتها عند الكبار، أي أن تعريض المولود للغته الأم لا يخلق لديه شبكات جديدة، وإنما يشكّل شبكات سابقة محددة وراثيا (Dehaene – Lambertz، 2004).كما تم الكشف عن وجود اختلاف بين كرتي الدماغ، فالمسطّح الصدغي– مثلا – أكثر نشاطا في الشق الأيسر من الدماغ لكنه أقل جانبية عند الكبار، ولقد يعدّ تخصص الشق الأيسر من الدماغ في جزء كبير من العمليات اللغوية نتيجة غير مباشرة لتقدم نمو هذه المنطقة الصدغية في الجهة اليسرى منذ البداية.

لقد أظهرت نتائج اختبار القدرات المعرفية عند الرضّع ودراسة أسسها العصبية أن الرضيع فاعل في تعلمه يساعده تنظيمه الدماغي في البحث داخل محيطه عن المدخل اللغوي المناسب، وهي بنية دماغية مرنة تحدث الجروح فيها آثارا أقل أهمية عند الصغار بحيث تتكفل الجهة الموازية غير المصابة بالسيرورات اللغوية (Dehaene–Lambertz وآخرون,2004)، ولاتكفي هذه الهندسة الدماغية اللغوية البدئية لفهم الاكتساب اللغوي حيث تؤكد ظاهرة الطفل المتوحش . مثلا . صعوبة اكتساب اللغة دون تفاعل الطفل مع محيط لغوي مناسب، بل واستحالته إذا تم بعد المرحلة الحرجة فلا تنجح عملية الاكتساب اللغوي إلا بتدخل عدد من العوامل الأخرى المساعدة (Squires, 1927).

2) الأسس المعرفية

تدرس العلوم المعرفية تطور القدرات المعرفية عند الإنسان منها التفكير والبرهنة واتخاذ القرار والتحليل الإدراكي واللغة، ولقد اعتبرت الأدوات الحجرية التي نحتها إنسان ما قبل التاريخ مؤشرا على

المعرفة عند هؤلاء وعلى تطورها مع الزمن ودليلا . أيضا . على وجود لغة آنذاك، ذلك أن نقل تقنية أو مهارة يقتضي قدرة الإنسان على تشكيل خطاطات ذهنية والتعبير عنها شفويا.

ولقد تساءل الباحثون –على اختلاف تخصصاتهم–حول علاقة المعرفة باللغة، فمنهم من اعتبر المعرفي يسبق . بالضرورة . اللساني، كحال أي ترميز أو تشكيل أو صياغة، ومنهم من اعتقد اننا أصلا نفكر عبر اللغة، غير انهم اتفقوا على تعالقهما، والعلاقات هي الأحق بالدراسة حسب Heurtebise (2009)، وبسبب هذا التعالق نجد أن مضمون لغة الطفل أو البالغ يحيل على مستواه المعرفي (Piaget، 1979)، كما يظهر النمو اللغوي عند المتأخرين ذهنيا تفاقم العجز اللغوي مع حدة الإعاقة الذهنية. سنحاول في موضع آخر تفسير هذا التعالق استنادا على نموذج نحو الخطاب الوظيفي للتبادل اللغوي هنخفلد وماكنزي (2008) ونسخته المعدلة البلقاسمي (2017–2018).

3) التفاعل مع المحيط

تنشأ كل لغة في الواقع من خلال ضرورة التواصل وتقاسم المعلومة، ويعد اكتساب اللغة جزءا من التنشئة الاجتماعية للطفل داخل مجتمعه ولقد أظهرت الأعمال المنجزة وفق مقاربة عبر–ثقافية أن الاختلافات الهامة بين المجتمعات والتي تظهر الطفل وهو يتعلم لغته فهو يمتلك ثقافته أيضا، " فقد لوحظ ان أطفال الشيلي يعرفون ان تكرار السؤال يعني الشتم، وان أطفال المكسيك يعرفون أنه من غير المناسب اجتماعيا توجيه اسؤال بطريقة مباشرة وأطفال البرازيل ان إجابة مباشرة من أول سؤال في الحوار تعني عدم الرغبة في الكلام" (البوشيخي، 123 : 2005).

لقد أظهرت الدراسات السلوكية للتبادل اللغوي أن تأصيل اللغة في إطارها التداولي قائم على الفعل وتبادله، وبذلك يُجبر الطفل على تشفير المعلومة استنادا على اللغة المدركة في بيئته Jiza (2003)، ولا يكون التفاعل بين الأم والطفل عشوائيا، وإنما يتمظهر –كما أصر على ذلك Bruner (1985)– وفق نسقية تتيح للطفل استحضار معجم لغته وقواعدها النحوية، وخلافا لما صرح به تشومسكي من كون اللغة التي يخاطب بها الكبار الصغار منحرفة، فإن الأبحاث المنجزة في الأعوام الثلاثين الأخيرة قد بيّنت ان اللغة التي يخاطب بها الكبار الصغار ليست منحرفة وإنما مختلفة في كل مستويات التحليل اللغوي عن تلك المستعملة في التواصل مع الكبار، حيث يتمّ تعديل الإشارة المصوّتة عبر صبيب اللغة البطيء والنغم المرتفع والتنغيم المبالغ فيه، واستعمال الأمهات للجمل القصيرة السهلة الاستيعاب والغنية نحويا وتكرّر الأمهات جزئيا او كلّيا عباراتهم او عبارات أولادهم مع اللجوء إلى الامتدادات النحوية والدلالية، ويتسم تركيب العبارات المستعملة من طرف الكبار في تواصلهم مع الأطفال ببساطته وعزل مكوناته أثناء التلفظ، ونذرة تضمنه للجمل المدمجة أو الرابطية، وتقوم الأمهات بالإحالة على الأشياء المحسوسة والأفعال الآنية التي يسهل كشفها داخل سياق محدد

ويرمي هذا التبسيط الى إظهار العلاقة بين الخطاب والوضعية من خلال استحضار أشياء موجودة أثناء التواصل.

تقتضي آلية التعلم اللغوي . صراحة أو ضمنا . تمكين الطفل من نماذج لسانية مناسبة، وتوزيع التغذية الراجعة الكافية لملفوظات الطفل فتُعزّز المقبولة منها وتستبعد الخاطئة (Rondal، 2003)، وتركز تغذية ملفوظات الأطفال الراجعة على الاعتبارات الدلالية وكفاية الملفوظات المرجعية أكثر من الاعتبارات النحوية، غير أن هذا المدخل اللغوي لا يحمل للطفل بنينة نحوية صريحة، وهذا ما أثاره تشوسكي (1980)في نظرية فقر المثير، ومفادها أن المدخل اللغوي الذي يستقبله الطفل أثناء عملية الاكتساب لا يكفي ليفسر معارفه المفصلة حول لغته الأم ، وبالتالي فمحرك البناء اللغوي المبحوث عنه موجود بداخل الطفل.

تنشأ اللغة–إذن–عن التقاء المدخل اللغوي المناسب مع قدرة بنائية خاصة بالدماغ البشري، وتمر – أثناء تطورها–بمراحل نحددها في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: مراحل اكتساب الأطفال اللغة الأم

1) تطور قدرة الطفل الإدراكية الخاصة باللغة

أظهرت الأبحاث النفسية إدراك الرضّع للغتهم الأم قبل إصدارهم للكلمات الأولى، إذ يتمكن الرضيع ذو الشهرين من تمييز جمل لغته الأم موظفا المعلومات النغمية الإيقاعية، ويستجيب الرضيع ذو الأربعة إلى الستة أشهر أكثر لصوائت لغته مقارنة مع صوائت لغة غريبة عنه، وحين بلوغه الشهر العاشر يصبح أكثر تفاعلا مع الصوامت كما يعرف نوعية سلاسل الوحدات الصوتية الواردة في بداية الكلمات الخاصة بلغته Jusczyk) وآخرون، 1999)،

ويمكن للرضيع –في شهره السابع أو الثامن–تقسيم جملة إلى عناصرها باستعمال المؤشرات التطريزية (Marcus وآخرون، 1999)، وقد مكنت هذه المؤشرات الرضيع من عزل كلمات الإشارة الصوتية المتواصلة(Mehler وآخرون، 1986)، وأظهر Jusczyk ومعاونوه تمكن رضع ذوي سبعة أشهر من كشف تردد الصيغ المجهورة (الكلمات) داخل الملفوظات في غياب فهم معانيها، وقدرتهم على تخزين الصيغ الإصغائية لعدة أيام رغم جهلهم بمدلولاتها.

2) تطور قدرة الطفل التعبيرية

2.1. النمو الصوتي

يختلف إدراك الوحدات الصوتية عن إدراك أصوات أخرى، ولا يتحقق النمو الصوتي إلا بعد تمكن الطفل من عمليتين ذهنيتين هما: التسوية والمقْولة، ويُقصد بالتسوية القدرة على معرفة الوحدة

الصوتية رغم الاختلافات السمعية بين النماذج المتباينة، أي أن لا يجد السامع صعوبة في التعرف على الوحدة الصوتية / ب ـَ / سواء أصدرها طفل بصوت حاد أو بالغ بصوت جهير، وتُحدّد المقْولة بكونها القدرة على كشف تمايز الصوتيات المختلفة وليس التغيرات السمعية لنفس الصوتية، ويتم تحديد الصوتيات عبر تمييز الحدود بين الأبواب الصوتياتية (Dehaene–Lambertz وآخرون، 2004).

يظهر الرصف والمقْولة عند الرضع منذ الشهور الأولى من حياتهم، واستنادا على معطيات علم النفس العصبي، تقوم المناطق المحيطة بشق سلفيوس بالإدراك الصحيح للصوتيات، وعند سماع صوت ما تقوم شبكات عصبية مختلفة داخل المناطق الصدغية بتشفير الشدة والمدة والنبر والصوت وهوية الوحدة الصوتية، وتتمركز المناطق المهمة للتشفير الصوتي على اليسار في الجزء الخلفي من التلفيف الصدغي وفي التلفيف فوق هامشي.

2.2. النمو الصواتي

يقصد بالنمو الصواتي التمكن التدريجي من الوحدات المقطعية المتقابلة بغرض بناء معجميات اللغة وكان جاكبسون(1968) قد افترض وجود قطيعة بين النمو الصوتي والصواتي، لكن الأبحاث المعاصرة أثبتت وجود استمرارية بين المناغاة وإنتاج الكلمات الأولى من خلال التشابه البنيوي بين سلسلة المناغاة والكلمات الأولى المكتسبة، إذ يصيب الإبدال والحذف أصواتا متطابقة داخلهما، ولا يكتمل النمو الصواتي إلا بعد التمكن من كلمات اللغة أي بعد بلوغ النمو المعجمي والذي يحدث غالبا في العام الثاني من حياة الطفل، وتظهر الوحدات الصوتية بشكل منظّم رغم بعض الاختلاف بين الأطفال.

يصدر الطفل أول صائت من الوحدة الصوتية وهو /ـَ/ ثم أولى صوائت الوحدات الصوتية /م/ و/ب/ فتكون بذلك أولى المعجميات /م ـَ م ـَ/ ثم /ب ـَ ب ـَ/ وبعدها /د ـَ د ـَ/ وتظهر هذه المعجميات في عدد كبير من اللغات، ويبدو التباين السمعي النطقي جليا بين مكوني الوحدة الصوتية، فالصائت ـَ يحصل عبر فتح الفم واهتزاز الحبلين الصوتيين مع مدة غير محدودة، بينما يتميز الصامت /ب/ بسمات سمعية نطقية مخالفة، وتتعلق سلاسل الاكتساب الخاصة بإنتاج الصوتيات عموما بصعوبة الوحدة الصوتية نطقيا وتردد استعمالها ومدى سماحها بالولوج إلى المعجم، وتأخذ هذه السيرورة التطورية سنين عديدة، لهذا لا ينبغي افتراض وجود تأخر نطقي قبل ست سنوات.

حدد الباحثان Oller و Lynch (1993) مراحل التطور الصواتي من حيث مظاهره التعبيرية في خمس هي:

- **المرحلة الأولى:** من 0 إلى شهرين تقريبا، يصدر الرضع تصويتا انعكاسيا أو شبه انعكاسي مع بكاء وأصوات أخرى.
- **المرحلة الثانية:** ما بين شهرين إلى أربعة أشهر، يصدر الرضّع أصوات ما قبل التصويت تتصاعد مدتها لتبلغ 14000ms فيما بين 4 إلى 5 أشهر.
- **المرحلة الثالثة:** ما بين 4 إلى 8 أشهر، تتنوع أصوات المناغاة، إذ يصدر الرضيع تنوعا من الأصوات: شبه صوائت وطقطقة وما قبل الصوامت الشديدة/الرخوة والصفيرية والمغورة والمستديرة.
- **المرحلة الرابعة:** ما بين 5 و6 أشهر إلى 10 أشهر تتميز في هذه المرحلة بالإنتاج المنتظم للمقاطع الكاملة جيدة الصياغة من صنف "صامت صائت" /ب ـَ/، /د ـَ/ وهي الوحدة الإيقاعية الاندماجية الدنيا للغات الطبيعية مع مكونها الأساسي النواة الصوتية والتي تسمح بتحديد الصامت، وتكون المناغاة فيما بين ستة إلى ثمانية/تسعة أشهر مضاعفة تقوم على تردد نفس الوحدة الصوتية في سلسلة ثلاث أو أربع /ب ـَ ب ـَ ب ـَ/ ؛/ت ـَ ت ـَ ت ـَ/ /ب ـَ ب ـَ ب ـَ ب ـَ ب ـَ/ /ت . ت ـَ ت ـَ ت ـَ/ ثم تأتي بعدها المناغاة المتنوعة عبر تتابع وحدات صوتية مختلفة.
- **المرحلة الخامسة:** من 9 إلى 15 – 18 شهرا، تظهر ما قبل الكلمات إذ يؤول الطفل الشكل الصوتي (الدال) للتدليل بشكل ثابت –ولو فترة من الزمن–على كيان مرجعي ما فيحاول مثلا تقليد صوت محرك عربة للتدليل به على نوع من العربات.

نستنتج من ذلك أن قبل ستة أشهر يكون تأثر مناغاة الأطفال بلغة المحيط ضعيفا، لكن يتغير هذا الوضع في النصف الثاني من العام الأول إذ يقوم الرضيع بالتكثيف التصاعدي للمناغاة حتى تقترب من الوحدات الصوتية الخاصة باللغة الأم عند الكبار، إن الطفل يناغي في النصف الثاني من العام الأول بلغته الأم.

لا يختلف الطفل المغربي في نموه اللغوي عن غيره من الأطفال فرغم صعوبة تتبع الرضع في هذه المرحلة لطول فترات الصمت الذي يقطعه البكاء في أحيان كثيرة.

رُصدت ملفوظات مجموعة من الأطفال وُضعوا في اختبار تقليد حيث طلب من الأم والإخوة تلفظ كلمات تنتمي إلى معجم الأطفال لحثّ الرضع على محاكاتها، فتم تحصيل النتائج التالية (السباعي، 1997: 138).

(1) حنان رضيعة ذات 10 أشهر.

الأم: /م ـَ ـَ م ـَ/ (أمي)

حنان: /م م ـَ/

الأم: /ت ـِ ت ت ـِ/ (اجلسي)

حنان: /ت ت ـَ /

(2) فيصل رضيع ذو 11 شهرا:

الأخ: /ن ـِ ن ن ـِ / (نمْ)

فيصل: /ن ن ـَ /.

لا يهدف الطفل في تواصله إلى تحقيق التعارض الإصغائي–النطقي، وإنما إنتاج أشكال صوتية تتناسب والمتواضع عليه ضمنا داخل محيطه اللغوي، فيلجأ إلى تقريب إنتاجه الصوتي من لغة الكبار عبر تبسيطه، ويقوم التبسيط على عدد من العمليات منها الإبدال والمحاكاة والحذف وتكرار المقاطع، وقد تجتمع كلها في كلمة واحدة، وبالتالي يمكن اعتبار النمو الصوتي تخلُّصا تدريجيا من عمليات التبسيط.

2.3. النمو المعجمي

يأخذ النمو المعجمي دورا رياديا في نمو الثقافة ووسائل التواصل، وهو يقوم على استيعاب الرمزية، فلاكتساب معجم ذهني ينبغي أن يربط الطفل سلسلة من الوحدات الصوتية (الدوال) بأنشطة أو وضعيات أو أحداث (المدلولات) عبر التمثيل الذهني، وفي نهاية عامه الأول، تبدأ أولى الكلمات الفعلية بالظهور ما بين الشهر التاسع والشهر الثامن عشر، ولرصد النمو المعجمي في العامية المغربية تمّ تتبع أطفال مغاربة تتراوح أعمارهم ما بين عام وشهرين وعام وتسعة أشهر، ويمثل الجدول 1.1. نتائج هذه الأبحاث:

- *ها*جر رضيعة ذات عام وشهرين:

الجدول 1. الكلمات الأولى عند رضع مغاربة

ملفوظات الرضيعة	ملفوظات الكبار على شكل حديث أطفال	الملفوظات باللغة العربية
/م م ـَ م م ـَ/	/م ـَ م ـَ/	أمي
/ب ـَ ت/	/س ـَ ب ب ـَ ط/	حذاء
/ب ـِ ك ـَ/	/ب ـِ ض ـَ/	بيضة
/د د ـُ/	/ض ض ـُ/	الضوء
/ك ـُ ك ـَ/	/ز ـِ ت ـُ ـُ ن/	زيتون

/ب ـَ ب ـَ ك ـَ/	/ب ـَ ط ـَ ط ـَ/	بطاطس

المصدر: (السباعي، 1997: 141-143)

وقد لاحظت السباعي (1997) من خلال هذه النتائج أن عموم ملفوظات الرضع سيئة النطق أو غير مكتملة، وقد يلجؤون إلى استراتيجيات لإعادة إنتاج ملفوظات الكبار:

(أ) إما باستبدال الوحدات الحرفية الأقل تعارضا بالأكثر تعارضا، كما في (3)

(3) /ك ـُ و ـَ/ بدل /ك ـُ ر ـَ/ (كرة)

/س ـِ ي ـِ ـِ/ بدل /س ـِ ر ـِ ـِ/ (اذهبي)

(ب) بالمحاكاة كما في (4)

(4) /أ ـَ م م ـِ/ لـ / ع ـَ م م ـِ/ (عمي)

(ج) بمضاعفة المقاطع كما في (5)

(5) /ث ـَ ث ـَ/ لـ / ث ل ـَ ث ـَ/ (ثلاثة)

/د ـَ د ـَ/ لـ /ن ـَ ـَ د ي ـِ/ (نادية)

(د) بحذف بعض الوحدات الصوتية كما في (6)

(6) /ب ب ـَ ط/ لـ /س ـَ ب ب ـَ ط/ (حذاء)

الجدول 2. المقولات المعجمية عند أطفال مغاربة

وينبغي أن يستوعب الطفل أبعادا معجمية أخرى منها علاقات التضمن (مثل، الكلب ⇦ حيوان) وعلاقات الجزئية (مثل، أصبع، يد، ذراع) والتنافر المعجمي (مثل، الكلب لا يكون قطّا في نفس الوقت)، والتعدد الدلالي والترادف.. إضافة إلى المقولات النحوية (اسم؛ فعل) الخاصة بكل مصطلح معجمي والمعلومات التصريفية (العدد والنوع والزمن ومظهر الفعل).

وقد أجرت السباعي (1997) جردا للمقولات المعجمية عند عدد من الأطفال المغاربة *فتوصلت إلى النتائج الموالية:*

- **مقولة الأسماء:**

تشكل الأسماء أغلب ملفوظات الأطفال، وقد يعود ذلك إلى رغبتهم في تسمية كل ما يحيط بهم إضافة إلى الانبثاق المبكر لمبدأ المرجع. يمثل الجدول التالي لمجموعة من المصطلحات المسجلة عند من أطفال مغاربة:

الجدول 3. المصطلحات المسجلة عند مجموعة من الأطفال المغاربة (السباعي، 149:1997)

ملفوظات الأطفال	ملفوظات الكبار	الكلمة باللغة العربية
/م ـَ/	/ل م ـَ/	ماء
/ك ـُ و ـَ/	/ك ـُ ر ـَ/	كرة
/س ـَ د ـَ/	/ء ـُ س ت ـَ ذ ـَ/	أستاذة
/ت ـُ و ـَ/	/ت ـُ ر ـِ ي ـَ/	ثريا (اسم علم)
/ب ـَ چ ـَ/	/ب ـَ د ر/	بدر (اسم علم)
/د ـَ د ـَ/	/ن ـَ ـَ د ي ـَ/	نادية (اسم علم)

يبدو واضحا أن الأسماء الأولى المتلفظ بها من طرف هؤلاء الأطفال "ملموسة"، تحيل جميعها على محيط الطفل المباشر سواء كانت أسماء وجدانية أو أسماء أعلام.

- **مقولة الأفعال**

الجدول 4. الأفعال المسجلة عند مجموعة أطفال مغاربة (السباعي، 1997: 150).

ملفوظات الأطفال	ملفوظات الكبار	الملفوظات باللغة العربية
/س ـِ ي ـِ/	/س ـِ ر/ ؛/ س ـِ ر ـِ/	اذهب /إذهبي.
/ه ـَ ـَ ك ـِ/	/ه ـَ ـَ ك/ ؛/ه ـَ ـَ ك ـِ/	خذ / خذي
/أ ـَ ر ـَ/	/أ ـَ ر ـَ/؛/أ ـَ ر ـَ ـَ ي /	أعطني
س ـَ ـَ ي ن ـِ/	/س ـَ ـَ ي ـَ ن/ ؛/س ـَ ـَ ي ن ـِ/	انتظر / انتظري

يلاحظ أن الأفعال المرصودة قليلة مقارنة بالأسماء، وهي أمرية . عموما . تُحدّد فواعلها انطلاقا من السياق، ويغيب فيها التوافق مع نوع الفاعل (ذكرا أو أنثى).

- **مقولة الصفات:**

الجدول 5. الصفات المسجلة عند مجموعة أطفال مغاربة (السباعي، 1997: 151)

ملفوظات الأطفال	ملفوظات الكبار	الملفوظات باللغة العربية
/ب ـِ ل ـَ/	/ك ب ـِ ر ـَ/	كبيرة

/ب ـِ ب ـِ/	/ح ب ـِ ب ـِ/	حبيبتي

والملاحظ أنها نادرة في لغة الأطفال في مرحلة الكلمة الواحدة وكذلك الروابط حيث تم رصد رابط واحد كما في (7)

(7) /د ـَ ل ـِ/	/د ي ـَ ل ـِ/	ملكي، لي (ياء النسبة).

يكون الطفل المفردات المشتقة من المفردات الأصول باستعمال قواعد اشتقاقية معينة، ولا يتم ذلك إلا في مراحل متقدمة من النمو اللغوي حين يتأتى له اكتساب هذ القواعد. حاولت رصد اشتقاق اسم الفاعل عند الطفلين زياد (8 سنوات) وريّان (5 سنوات) في الحوار الموالي:

زياد 8 سنوات:

الأم: فين باباك؟

الابن: خْرَجْ

الأم: واش باباك خارج؟

زياد: آه.

الأم: واش خَارَجْ؟

زياد: آه خارج.

ريان 5 سنوات.

الأم: فين باباك؟

الابن: خرج.

الأم: واش باباك خارج؟

الابن: آه خرج

تلفظ زياد باسم الفاعل بعد طول إلحاح، بينما لم يتلفظ به ريّان أبدا.

ينبغي على الطفل أيضا أن يكتسب الجنس النحوي (النوع) واحدا واحدا أيضا باعتباره هو الآخر اعتباطيا غالبا (تُستثنى أسماء الأعلام أو أسماء الكائنات الحية) فلا حجة يُستدل بها على تأنيث "حافلة" و"كراسة"، وتذكير "حائط" و"قلم"، وغالبا ما ينجح الأطفال في ذلك.

لم ترصد ضمن ملفوظات مجموعة الأطفال المدروسة أي خطأ في نوع الملفوظ كأن يتلفظ الطفل ب/ق ـَ ط ط ـَ/ بدل /ق ـَ ط/ ويعود ذلك إلى اكتساب الطفل للنوع مبكرا من محاوريه المحيطين به عبر سماع الكلمات مقترنة بمخصصات إشارية أو نعوت تحدد نوعها، وهي وسيلة عملية لتخزين الاسم في الذاكرة، لكن الطفل في هذه المرحلة، رغم عدم خلطه بين المفردات من حيث النوع لا يستطيع الانتقال من المذكر إلى المؤنث بإضافة الصرفية /ـَ/ التي تؤشر على المؤنث بالعامية المغربية (مثل، من /ق ـَ ط / إلى /ق ـَ ط ط ـَ/)، ويعجز أيضا عن الانتقال من المفرد إلى الجمع بإضافة الصرفات اللواحق /ـَ ت/ و/ـَ ل/ و/ـِ ن/ (السباعي، 1997: 160-162)، تغيب -إذن- المقولات الصرفية عند الأطفال في مرحلة الكلمة الواحدة سواء صرفات النوع أو صرفات العدد.

منذ بداية ظهور الكلمات الأولى إلى السنة الثانية يتزايد المعجم المنتج والمدرك بإيقاع بطيء نسبيا، يتطور بعدها بإيقاع أسرع مع ظهور الملفوظات من كلمتين فأكثر، ثم يتسارع إيقاعه فيما بعد الشهر 20 إلى24، وقد عزا بعض الباحثين ذلك إلى استيعاب الطفل -في هذه المرحلة -للدورالتعييني لإنتاجات الكبار اللفظية باعتبار الأشخاص والأشياء والوقائع أصنافا قابلة للتعيين، وكذلك خصائصها من نوع وكمّ وصفات مختلفة.

ويلاحظ وجود تفاوت بين إدراك الكلام وإنتاجه إن على مستوى المعجم أو على مستويات أخرى، فالفرد يدرك من الكلمات أكثر مما ينتج، وتستمر عملية الاكتساب اللغوي مدى الحياة لكن بإيقاع أقل سرعة.

4) العلاقات الدلالية والنمو النحوي

يعتبر ولوج الطفل إلى اللغة التوليفية ما بين الشهر 20 إلى 24 مرحلة هامة في نموه اللغوي وقد سبقتها مرحلة توسطت مرحلة الملفوظات من كلمة واحدة ومرحلة التعبير التوليفي وفيها يتمكن الطفل من إنتاج كلمات معزولة متتابعة يظهر ترابطها الدلالي جليا للملاحظ، بسبب حفاظ كل كلمة على محيطها النبري الخاص بها في وجود وقفة مدتها متغيرة مثلا في العامية المغربية: /ب ـَ ـَ ب ـَ # م ش ـَ/ (ذهب أبي)، وبحذف الوقفة بين الكلمتين وإحاطتهما معا بنبر واحد عبر خفض الصوت في نهاية الكلمة الثانية، يضمن الطفل المرور إلى مرحلة الملفوظات الثنائية والتي تسمح بالتعبير الواضح عن سلسلة من العلاقات الدلالية، وحين يبلغ الطفل الصغير شهره 30 تكون أغلب ملفوظاته منتظمة بالشكل الصحيح.

تختلف ملفوظات الأطفال عن ملفوظات الكبار في أمرين اثنين أولهما: أنها تلغرافية تفتقر للصرفيات النحوية من قبيل المحددات والضمائر وحروف المعاني والمساعدات والروابط والظروف،

وثانيهما أنها تفتقر –أيضا–لوسم نمط الخطاب تركيبيا ولا تظهر الملفوظات الأنماط التداولية والإنجازية للجمل من خلال التركيب وإنما عبر النغم والنبر.

5) نشوئية الجملة

الجملة هي وحدة نحوية تضم – على الأقل – مسندا ومسندا إليه، وتشتمل أيضا على أدوات التعريف والنعوت والروابط والظروف (Rondal وآخرون، 2003: 128)، ويصدرها الطفل إلا بعد أن يبني أفكاره فيتمكن من تنظيم الملفوظات بشكل سليم.

6) الصرفيات النحوية

معلوم أن عدد الصرفيات النحوية محدود فهي تنتمي إلى صنف مغلق يتضمن المخصصات والضمائر والروابط وحروف الجر واللواصق، فأما المخصصات فلا يتمكن الطفل من إدماجها داخل الذاكرة قبل ست سنوات ما جعل Radford (1990) يفترض أن البنيات الاسمية الأولى في ملفوظات الأطفال هي فقط إسقاطات معجمية كما نلاحظ في الجدول 6.

الجدول 6. المخصصات عند مجموعة أطفال مغاربة تتراوح أعمارهم بين عام وستة أشهر إلى سنتين (السباعي، 1997: 167)

ملفوظات الأطفال	ملفوظات الكبار	الملفوظات باللغة العربية
/ل َ ع ب ُ # ك ُ ر َ/	/ل َ ع ب ُ # ل ك ُ ر َ/	نعلب بالكرة
/ح َ ل ل َ # ب َ َ ب/	/ح َ ل ل ِ ب َ َ ب/	افتحي الباب
/ل َ ب س ُ # س َ ر و َ ل/	/ن ل َ ب س ُ # س س َ رو َ َ ل/	ألبس السروال
/م ش َ # ب َ َ ب َ #خ َ د م َ/	/م ش َ #ب َ َ ب َ # ل خ َ د م َ/	ذهب أبي إلى العمل

وأما ضمائر الملكية، فيستجيب استعمالها إلى مبدأ "الاقتصاد"، بحيث يتم استبدال التعابير من صنف "أ" ينتمي إلى "ب أو "أ" ضمن "ب" بتوظيف ضمير الملكية بطريقتين:

ضمير الملكية + أ (مثل، mon livre ; ma veste)

أ+ ضمير الملكية (مثل، مذكراتي؛ طموحاتك)

ويستلزم اختيار ضمير الملكية الإجراءين المواليين: أولهما، اختيار صاحب "ضمير الملكية" حسب السياق العلاقي للتبادل اللغوي وثانيهما، اختيار ضمير الملكية المناسب حسب عدد المالكين (فرد أو جماعة)، نصنف ضمائر الملكية حسب المتغيرين "المالك" و"العدد" فنحصل على النتائج المدرجة في الجدول 7.1:

- المتكلم هو المالك

	العامية المغربية	اللغة العربية
مفرد	/ـِ/	/ ـِ /
جمع	/ ن ـَ /	/ن ـَـ /

- المخاطب هو المالك:

	العامية المغربية	اللغة العربية
مفرد	/ ك/	/ ك ـَ/؛ /ك ـِ/
جمع	/ ك ـُ م /	/ ك ـُ م /؛ /ك ـُ ن ن ـَ /

الجدول 7. تصنيف ضمائر الملكية حسب المتغيرين "المالك"و "العدد"

لا يستعمل الطفل في البداية ضمير الملكية، وإنما يعبر عنها بطرق أخرى (مثل، nounous > à moi) (Rondal، 2003) و(مثل، / د ي ـَ ل ـِ/).

وأما الروابط فاستعمالها نادر إلى حدود ثلاث سنوات حيث يبقى فهم الروابط الدالة على الزمن والظروف الدالة على المكان والزمان تقريبيا لمدة طويلة ما دامت المفاهيم المعرفية التي تخول الإحالة على هذه المصطلحات لم تستقر بعد.

7) الأنماط الإنجازية للجمل

يلجأ الطفل فيما بين 12 إلى18 شهرا تقريبا إلى التنغيم للتعبير عن الاختلاف بين ما يدركه كأمر أو كتصريح أو كاستفهام، مثلا يدل الملفوظ / ب ـَ ب ـَ /↙ بنبر نازل على الحضور الفعلي (الفيزيائي) الرمزي للأب، وعلى الاستفهام أو الطلب –حسب السياق الخارج لغوي –في حالة النبر الصاعد /ب ـَ ب ـَ / ↗.

وتظهر في المرحلة الثانية الملفوظات من كلمتين، وتتميز الملفوظات المنفية عن المثبتة بوجود "عنصر النفي "في مكان ما من الجملة حسب طبيعة اللغة، فتكون الجملة في العامية المغربية – مثلا–منفية بوجود الحرفين /م ـَ/ في بداية الملفوظ و/ش/ في نهايته.

الملفوظات بالعامية المغربية	الملفوظ باللغة العربية
/م ـَ # ن ـَـ ك ـَ ل # ش/	لا آكُل
/م ـَ # ن ـَ ش ر ـَ ب # ش	لا أشرب

ابتداء من أربع سنوات تتحد الأنماط الخطابية تدريجيا مع قواعد لغة الكبار، ويصاغ الاستفهام عبر التنغيم، فإذا كان الغرض منه التصديق "بلغة القدامى"، فتأتي الجملة الاستفهامية إما بمحيط نبري / ج ـَ # ب ـَ ـَ ب ـَ / ↗، أو باستعمال صرفية الاستفهام

/و ـَ ـَ ش/ ؛/و ـَ ـَ ش # ج ـَ # ب ـَ ـَ ب ـَ/ (هل جاء أبي)، أما إن كان الاستفهام للتصور فتتقدم الملفوظة صرفية الاستفهام المناسبة مثل /ف ـِ ـِ ن/، / ف ـُ ق ـَ ـَ ش/، /ع ل ـَ ـَ ش/، /ف ـِ ـِ ن # م ش ـَ # ب ـَ ـَ ب ـَ/ (أين ذهب أبي؟).

8) اكتساب الجوانب التداولية

يكتسب الطفل –أثناء نموه اللغوي كيفية استعمال اللغة حسب الأوضاع التواصلية ومع نمو كفايته اللغوية يطور–أيضا– كفايته التداولية بتبادل الأدوار أثناء الكلام والحفاظ على تماسك الحوار وجلب الانتباه والطلب.. وتقديم الوعود، أي أنه، ذلك أن إنتاج الكلام ليس هو تمثل العالم فقط وإنما هو أيضا. فعل اجتماعي يرمي إلى التأثير على المحيط الاجتماعي.

وتدعم المعطيات المحصل عليها من دراسة الاضطرابات اللغوية فرضية وجود كفاية نوعية مستقلة خاصة بالمظاهر التداولية للغة حيث رصد عند المصابين بالديسفازيا وجود فئة تعاني اضطراب نوعي يخص الكفاية االتداولية أثناء وضعية تواصلية.

يستلزم اكتساب الطفل للغة تعلم العناصر المشكلة لها (الجانب المعجمي) وقواعد تأليفه هذه العناصر (الجانب الصرفي . التركيبي) وأيضا تعلم اختيار الأشكال اللغوية المناسبة للمخاطب وللقواعد الاجتماعية والقمينة بتحقيق الأهداف التواصلية (الجانب التداولي) إذ يكتسب الطفل بموازاة معارفه اللغوية قواعد توظيفها اجتماعيا على شكل حزمة من السلوكات كالحكي والحجاج والوصف والتفسير... (Rondal، 2003)، وهي تتمايز منذ ظهور النماذج البدئية لتحاور الطفل ذي العامين مع محيطه بل تظهر بداياتها في مرحلة المناغاة، أما المونولوج فلا يكتسب إلا في مراحل متأخرة من النمو اللغوي (Clark و Schaefer، 1989).

نشير إلى أن عرض مراحل النمو اللغوي متتابعة بحيث تناسب كل مرحلة مستوى من مستويات التحليل اللساني كان بغرض تسهيل الدراسة، أما في الواقع فإنها متداخلة، فقد يبدأ الطفل بالحكي أو البرهنة قبل التمكن من كل البنيات التركيبية أو التوفر على معجم واسع أو تحقيق كل القواعد الصواتية، فالطفل يكتسب العناصر اللغوية الضرورية داخل أوضاع تواصلية بما تفرضه من إكراهات، حيث لا يتعلم أدوات لغوية معزولة وإنما باعتبارها عناصر تنتمي إلى نشاط لغوي خاص، ليقوم بإخراجها من سياقاتها وتوظيفها في أنشطة مختلفة (Esperet، 1991)، لكن الأطفال يختلفون في هذا الاكتساب حتى داخل الأسرة الواحدة، ، ولقد أسفرت دراسة هذا الاختلاف عن تصور أساليب اللغة واستراتيجيات الاكتساب، وتم تحديد أساليب متعددة لاستعمال اللغة، ورصد توظيف الطفل –

في اكتسابه اللغوي– لاستراتيجيتين: إحداهما تحليلية إذ يبني ملفوظاته بدمج تدريجي للكلمات المكتسبة مسبقا، والثانية شمولية إذ يستعمل تعابير تعلمها بصورة شاملة ثم يفككها بعد ذلك إلى عناصر بغرض استعمالها داخل توليفات جديدة.

نشير إلى أنَّ رصد الباحثين لأنشطة فوق–لغوية (ميتا لغوية) عند الطفل ذي العامين ومصطلح " فوق–لغوي" حديث في اللسانيات وضع لتعيين النشاط اللساني الذي يتناول اللغة في حد ذاتها، ويعرف داخل علم النفس اللغوي بأنه القدرة على النأي عن الاستعمال العادي للغة وصرف الاتجاه إلى أهداف التواصل ويتجلى النشاط الميتا لغوي عند الطفل عند قيامه بسلوك تلقائي، مثل تكييفه الخطاب حسب المرسل إليه ووعيه بالأخطاء أو النجاحات اللغوية.

الخاتمة:

تناولنا في هذا العمل مسألة الاكتساب اللغوي، فقمنا بعرض مختلف النظريات التي حاولت تحديد العوامل المحفزة للاكتساب، فوجدنا ان فيها من قدمت تفسيرا بيولوجيا قائما على نتائج أبحاث أظهرت امتلاك رضّع لبنيات دماغية خاصة باللغة في سن مبكرة جدا، وفيها نظريات أخرى اعتبرت المحيط اللغوي أساس الاكتساب باعتباره يقدم المدخل اللغوي المناسب، كما تتبعنا وصفا مراحل ظهور اللغة بدا من المناغاة حتى إنتاج الجمل، ولقد خلصنا إلى ما يلي:

- بخصوص مسألة الاكتساب اللغوي تميل النظرية الوظيفية إلى فريقPiaget وأتباعه، إذ تعتبر الاكتساب اللغوي عملية تدريجية قائمة على التفاعل مع المحيط لكنها تقرّ بتوفر الطفل على فطرية عضوية تمكنه بوجود مدخل لغوي مناسب . من تحصيل قدرة تواصلية، سندرس مكوناتها في المبحث الموالي.
- إن دماغ الطفل مهيأ تشريحيا للاضطلاع بالاشتغال اللغوي منذ الطفولة المبكرة، مع توزيع الوظائف اللغوية على قسمي الدماغ الأيمن والأيسر.
- أن الاشتغال اللغوي يتوزع آنيا على مختلف مناطق الدماغ ولا يشتغل تسلسليا من منطقة إلى أخرى.
- ساد الاعتقاد أن النمو اللغوي تدريجي يتم فيه الانتقال من مرحلة ما قبل اللغة (أصوات عشوائية شديدة الاختلاف بعيدة الصلة عن لغة الأطفال والكبار كما افترضJakobson (1969))إلى مرحلة التواصل عبر المفردات والمركبات والجمل، والواقع أن الأصوات التي يصدرها الطفل تعبير عن أحوال نفسية كالرضا عند المناغاة أو عدمه عند البكاء إذ ينظر الرضيع من خلاله إشباع حاجاته الفيزيولوجية (كالرضاع أو تغيير الحفاظات) أو النفسية (كمداعبته وحمله) فمناغاة الرضيع تضطلع بوظيفة تواصلية قبل ظهور اللغة مما يدل على أن الوظيفة التواصلية هي الأصل وأنّ اللغة نسق من أنساق تحققها.

يشكل هذا العمل دراسة وصفية للاكتساب اللغوي، وسنقوم في موضع آخر بتفسيره لسانيا باعتماد نموذج نحو الخطاي الوظيفي، مع الانفتاح على نتائج الأبحاث النفسية والأبحاث النفسية العصبية التي عالجت موضوع الاكتساب.

قائمة المصادر والمراجع:

- البلقاسمي، بشرى. (2018): نحو الخطاب الوظيفي: نموذج متعدد المقاربات. في قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية والجمالية: التحولات والرهانات، الجزء الأول: قضايا لسانية معاصرة، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، 407-447
- البلقاسمي، بشرى (2020): نحو الخطاب الوظيفي: تطور النمذجة. اللسانيات الوظيفية: النظرية والنماذج والمقاربات. عمان، دار كنوز المعرفة، 295-324
- البلقاسمي، بشرى (2021): الاضطرابات اللغوية، مقاربة لسانية وظيفية. إربد، دار ركاز للنشر والتوزيع
- الفاسي الفهري، عبد القادر. (1990). البناء الموازي (نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- البوعناني، مصطفى.(2015):الإنجاز اللغوي العربي ومسارات النفاذ إلى المعجم الذهني: بين اللساني والمعرفي. في: المعجم الذهني واللغة العربية، منشورات مختبر العلوم المعرفية، 7-44
- Bruner, J. (1985). Child's talk: Learning to use language. Child Language Teaching and Therapy, 1(1), 111-114.
- Chomsky, N. (1980). Rules and representations. Behavioral and brain sciences, 3(1), 1-15.
- Clark, H. H., & Schaefer, E. F. (1989). Contributing to discourse. Cognitive science, 13(2), 259-294.
- Dehaene-Lambertz, G. (2004). Bases cérébrales de l'acquisition du langage: apport de la neuro-imagerie. Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence, 52(7), 452-459.
- Eilers, R. E., Oller, D. K., Levine, S., Basinger, D., Lynch, M. P., & Urbano, R. (1993). The role of prematurity and socioeconomic status in the onset of canonical babbling in infants. Infant Behavior and Development, 16(3), 297-315.

- Esperet, E., & Piolat, A. (1991). Production: planning and control. In Advances in psychology (Vol. 79, pp. 317-331). North-Holland.
- Heurtebise, J-Y. (2009).La pensee et le langage.Disponible en ligne à.
- Jakobson, R. (1968). The role of phonic elements in speech perception. STUF-Language Typology and Universals, 21(1-6), 9-20.
- Jisa, H. (2003). L'acquisition du langage. Ce que l'enfant nous apprend sur l'homme (No. 40, pp. 115-132). Association Terrain.
- Marcus, G. F., Vijayan, S., Bandi Rao, S., & Vishton, P. M. (1999). Rule learning by seven-month-old infants. Science, 283(5398), 77-80.
- Rondal, J.A. (2003). Langage oral. In J-A, Rondal & X., Seron (eds) Troubles du langage : Bases théoriques, diagnostic et rééducation ,375-411. Sprimont (Belgique) : Mardaga.
  Rondal, J.A. (2006). Expliquer l'acquisition du langage : caveats et perspectives. Sprimont (Belgique) : Pierre Mardaga éditeur
- Piaget, J. (1979). Comments on Vygotsky's critical remarks.
- Sbai, S. (1997). Aspects syntaxiques de l'acquisition du groupe nominal chez l'enfant Marocain (Parler : Arabe Marocain). Mémoire préparé en vue de l'obtention du Diplôme d'études supérieures en linguistiques sous la direction de H, ElMoujahid, R abat ,Faculté des lettres et des sciences humaines.
- Squires, P. C. (1927). 'Wolf children'of India. The American Journal of Psychology, 38(2), 313-315.

القصة نمط للإقناع في مشاهد القيامة عند المحدثين

The story as a way of persuasion in the scenes of the Resurrection among narrators.

أ.د. هادي شندوخ حميد السعيدي

عباس حسين عناد الإبراهيمي: كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق

Prof. Dr. Hadi Shandokh Hamid Al-Saidi

Abbas Hussein Inad Al-Ibrahimi: Faculty of Arts, University of Thi-Qar, Iraq

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان طريقة تناول الدارسين المحدثين للقصة في مشاهد القيامة، وكيفية اظهارهم للجانب الإقناعي فيها، فالقصة لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان، ولها دور بارز في إقناعه والتأثير فيه وهدايته إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، ولقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي تم من خلاله وصف الظاهرة القصصية المتجلية في الشواهد القرآنية وتحليلها وفق مكونات لغوية أو دلالية من قبل الدارسين المحدثين لملاحظة جريان الإقناع فيها، وبذلك يكون البحث منتميا إلى حقل الدراسات اللسانية الحديثة التي تُعنى بالنصوص القرآنية عند التطبيق، وقد توصلت هذه الدراسة إلى أنّ القصّة في مشاهد القيامة لها دور إقناعي؛ لأنّها تقوم على الحقيقة والواقع، ولقد تجلّت فيها ظاهرتا الاستباق والاسترجاع الزمنيين، وهذا التخلخل الزمني له بُعدٌ إقناعي، كما تجلى فيها أسلوب الالتفات وأسلوب السخرية.

الكلمات المفتاحية: قصص القرآن، إقناع، مشاهد القيامة ، محدثين

Abstract:

This study aims at clarifying the way modern scholars dealt with the story in the scenes of the Resurrection, and how they show the persuasive aspect in it. The story has great importance in human life, and it has a prominent role in persuading and influencing people and guiding them to the truth and to the straight path. This study used the descriptive analytical approach, through which the narrative phenomenon, that is obvious in the Qur'anic evidence, was described and analyzed according to linguistic or semantic components by modern scholars to note the flow of persuasion in it. Thus, the research belongs to the field of modern linguistic studies that are concerned with Quranic texts when applied. This study concluded that the story in the scenes of the Resurrection has a persuasive role, because it is based on truth and reality, and the phenomena of temporal anticipatory and retrospectiveness appeared in it. This temporal dislocation has a persuasive dimension, and the style of attention and irony appeared in it.

Keywords: Quran stories, persuasion style, Resurrection scenes, modernists.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين، مما لاشك فيه أن القصّة في القرآن الكريم تعد من الموضوعات القرآنية المهمة التي تحتاج إلى اهتمام خاص وعناية مميزة، فالقصة في القرآن الكريم قد شغلت مساحة واسعة فيه، وهي من أحسن القصص الحق؛ لأن الله الله هو من تفضل علينا بهذه القصص، وبين لنا أنّ القصص في القرآن جيء بها لتحقيق أهداف تربوية وفكرية وعلمية، ولأجل إيقاد الفكر، فقد قال الله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف: 176].

لقد اقبل العلماء المسلمون على القصص القرآني دارسين وباحثين ومتدبرين، من مفسرين ومؤرخين، قدماء ومحدَثين؛ لما لهذا القصص من أثر عميق في النفوس، وبما يحتويه من تشويق وعظة واعتبار وغيرها من الصفات التي تؤثر في المتلقي بحيث تجذبه وتجعله منشدّا لما يُلقى عليه. ولقد أخذتْ مشاهد القيامة حيّزا كبيرا من القصة القرآنية، بحيث تحدثت الكثير من القصص القرآنية عن أحوال مشاهد القيامة وأهواله، فبعضها يصف قصص المؤمنين وأحوالهم، والبعض الآخر يروي لنا أحوال الكافرين والمستكبرين والأتباع، بأسلوب قصصي يشدّ الأسماع ويجذب الأفكار ويثير في النفوس نوازع الخوف والرجاء،

لقد جاء عنوان البحث: القصّة نمط للإقناع في مشاهد القيامة عند المحدَثين، تبيانا لأهمية القصّة بصفتها أسلوبا من أساليب الإقناع، التي يستعملها القرآن الكريم؛ ليحاجّ بها الناس وليحملهم على اتباع الأوامر الإلهية، وقد سعى البحث لبيان رؤية بعض المحدَثين وكيفية دراستهم لهذا النمط الإقناعي عن طريق بعض الشواهد القصصية المختصة بيوم القيامة، ثمّ جاءت الخلاصة وقد أتبعتْ بقائمة المصادر التي استنار بها البحث.

مشكلة الدراسة:

تدور مشكلة الدراسة حول مسألة مهمة تناولها الدارسون المحدثون وهي مسألة القصة في مشاهد القيامة، والسؤال المحوري هنا هو: هل تمكن الدارسون المحدثون في بيان إقناعية القصة في مشاهد القيامة؟، وهل كانت جهودهم كاشفة للطاقات الإقناعية المؤثرة في المتلقي فكريا ونفسيا؟.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم من خلاله وصف إقناع القصة القرآنية في مشاهد القيامة من خلال بعض الشواهد القرآنية التي تناولها الدارسون المحدثون.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى بيان الطاقة الإقناعية للقصة في مشاهد القيامة عند الدارسين المحدثين وكيفية تحليلهم للنصوص القصصية القرانية من خلال بعض النماذج التطبيقية.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها متعلقة بالقصة القرآنية وكيفية تأثيرها في المتلقي فهي وسيلة من وسائل الإقناع وركيزة من ركائزه المهمة التي استعملها القرآن الكريم في الدعوة إلى الحق وهداية البشرية.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي في القصة

القصّة: لغة واصطلاحا

ذكرت كتب اللغة والمعجمات أنّ القصّة قد أُخِذت من القصّ و (القَصَص من قولهم: قَصَصْتُ الشّيء قصَصاً، إذا اتّبعته، والقَصَص اتّباعك الأثَر من قوله جلّ وعزّ (فارتدّا على آثارهما قَصَصا)[الكهف: 64][1]، وجاء في لسان العرب أنّ(القَصُّ: فعل القاصّ إذا قصَّ القِصَصَ، والقِصّة معروفة. ويُقال في رأسه قِصّة يعني الجملة من الكلام... والقاصّ الذي يأتي بالقِصّة من فَصّها، ويقال قَصَصْت الشيء إذا تتبّعت أثَره شيئاً بعد شيء... والقِصّة: الخبر وهو القَصَصُ. وقصّ عليَّ خبرَه يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً: أوْرَدَه. والقَصَصُ: الخبرُ المَقْصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغْلَبَ عليه، والقِصَص بكسر القاف جمع القِصّة التي تُكتَب... وتقصَّصَ كلامَه: حَفِظه، وتقصَّصَ الخَبَرَ تتبّعه)[2]، فالمعنى اللغوي لهذه المادة يدلّ على تتبع الشّيء أو اقتفاء أثره، أو الخبر. والقاصّ: هو الشّخص الذي يأتي بالقصّة ويتتبع معانيها وألفاظها. والقصّة: تتبع الأخبار من القاصّ.أمّا في الاصطلاح فإنّ معناها وليد من المعنى اللغوي ونابع منه، فقد عُرّفت القصّة بأنّها: (عرض لفكرة مرّت بخاطر الكاتب، أو تخيّل لصورة تأثر بها، أو بسط لعاطفة التهبت في صدره فأراد أنْ يُعبّر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القُرّاء، محاولا أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه، أو هي تصوير الحياة في فترة من فتراتها بكل جزئياتها وملابساتها وتفصيلاتها كما تمرّ في الزمن، ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية))[3]، فهي بذلك عرض لفكرة الكاتب أو القاصّ التي تأثر بها وأثارت مخيلته، أو هي عرض لحادثة في فترة زمنية معينة، فعبّر بها القاصّ ليبلغها إلى ذهن المتلقي؛ قاصدا بذلك التأثير فيه، وإثارة عواطفه وأحاسيسه ومشاعره، وجذب انتباهه لما يُلقى عليه.

---

[1] ابن دريد، جمهرة اللغة: 1010/2 (ص ق ق)

[2] ابن منظور، لسان العرب: 11/ 190-191 (قصص)

[3] محمود الشريف، القصّة في القرآن: 21

ولقد عُرّف الأدب القصصي بأنّه: (انتقاء أو انتخاب خاص لواحد، أو مجموعة من الشخصيات والأحداث والبيئات والأفكار، يُكتب بلغة الحوار أو السرد أو كليهما، وتخضع لبناء هندسي خاص من حيث بدايته ووسطه ونهايته والعلاقة العضوية بينهما، كما يخضع رسم الشخصيات والحوادث... إلى تقنيات أو صياغات خاصّة بكلّ منها)[1]، فالقصّة عمل فني وبناء هندسي رائع، وانتقاء خاصّ لشخصية ما، أو مجموعة من الشخصيات مع أحداث ومواقف وبيئات، وهي تعتمد السرد أو الحوار أو الاثنين معا، متضمنة أهدافا فكرية معينة وتخضع عناصرها إلى صياغة وتقنية خاصّة، وهي من الفنون الأدبية التي لها دور كبير ومهم في تحليل الواقع والتعبير عنه، ولها الأثر الفعّال والكبير في جذب النفوس والتأثير في العقول؛ لما تحتويه من تشويق ومعرفة، ولقد كانت أسلوبا مفضلا عند النّاس لما فيها من عظة وعِبْرة.

القصّة القرآنية:

تُعّد القصّة من النماذج الأدبية الرفيعة والرائعة التي تجلّت في القرآن الكريم؛ لما لها من أثر كبير في التوجيه والإرشاد لخير الدنيا والآخرة، وبما فيها من العبر والعظات التي ينتفع بها النّاس بصورة عامة، والمؤمنين بصورة خاصّة، و(القصّة في القرآن ليست عملا فنيّا مستقلا عن موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصّة الفنيّة الحرّة التي ترمي إلى غرض فنّي طليق، إنّما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كلّ شيء، والقصّة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها)[2]. فالقصّة القرآنية من وسائل القرآن المهمّة التي تهدف إلى تبليغ وإيصال الغرض الديني للمتلقي، وهي من الوسائل الرائعة لجذبه والتأثير الوجداني فيه، الذي بدوره يرتقي به إلى تلقي التأثير الديني، والقصّة في القرآن الكريم وإن كانت قصّة أدبية، لكنها ليست كباقي القصص الأخرى، فهي ليست عملا فنيّا محضا، ولا يطرأ عليها الخيال، بل هي وسيلة قائمة على أساس الحقيقة والواقع، فهي تنقل لنا أحداثا واقعية حقيقية، وتميزت بأنّها قائمة على الحقائق المطلقة والحجج الدامغة والبراهين الساطعة، متسقة في سياقها مع ما قبلها وما بعدها، مؤتلفة مع غرضه الذي سيقت لأجله، وهي في نقلها للحقائق تستحوذ على العقول وتأسر النفوس وتثير الوجدان[3].

لقد شغل الخطاب القصصي في القرآن الكريم حيّزاً كبيراً، وهو يُعدّ من الفعاليات التواصلية التي تؤثر في النّفوس وتسيطر على الأفئدة؛ فهو يشكل عاملا مهما في إنجاح أيّة دعوة من الدعوات التي يراد إبلاغها للمخاطبين، ولقد استعمل القرآن الكريم الخطاب القصصي في كثير من المواقف؛

---

[1] محمود البستاني، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي: 297

[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن: 143

[3] ينظر: عدنان الدليمي، الإعجاز البلاغي في القصّة القرآنية: 37

بوصفه وسيلة من وسائل التبليغ والدّعوة الإسلامية التي يناط بها التبصر بمبادئ الدّعوة، والكشف عن مقاصدها في نفس المخاطَب[1]، فالقصّة أسلوب من أساليب التواصل ووسيلة من وسائله التي تفعل فعلها وتؤثر أثرها في النفوس، والاستحواذ على القلوب، وهي من العوامل المهمة التي يتم من خلالها إيصال الفكرة والمعلومة إلى المخاطَب؛ من أجل التأثير فيه وإقناعه بما يلقى عليه؛ لذلك وظّفها القرآن الكريم لتكون وسيلة من وسائل التبليغ التي من خلالها يتم إيصال المبادئ والاحكام الإلهية، ولتكون حجّة على العباد كغيرها من الحجج التي تقطع الطريق على المشككين في الدين الاسلامي ودعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله.

عناصر القصّة:

تتكون القصّة بصورة عامّة من عناصر فنيّة تختصّ بها، وهي العناصر ذاتها التي تتكون منها القصّة القرآنية، وتتمثل هذه العناصر في [2]:

1- الحادثة: وهي سلسلة من الأحداث والوقائع التي يضمها إطار خاص.
2- الشّخصيات: التي تدور حولهم الأحداث.
3- الزّمان: الذي تسير فيه الأحداث وتتطور وتنضج.
4- المكان: وهو موضع وقوع الأحداث.

أهداف القصّة[3]:

للقصّة في القرآن الكريم مجموعة من الأهداف والأغراض منها

1- التفكّر والتدبّر، قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف: 176].
2- إثبات الوحي والرسالة المحمدية، وبيان أنّ الدين قد جاء من عند الله سبحانه وتعالى، من عهد نوح إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله.
3- تنبيه النّاس من غواية الشيّطان بإظهار العداوة بينه وبين بني آدم عن طريق القصص.
4- تثبيت النبي وتسلية له ولأمته، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود: 120].
5- الاهتداء بهدي الأنبياء والاقتداء بهم.

---

[1] ينظر: لطفي فكري، جمالية الخطاب في النص القرآني: 133 .
[2] ينظر: عمر اسماعيل، خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني: 23
ينظر: سيد قطب، التصوير الفنّي في القرآن: 144-145، وينظر: محمد البخيت: خصائص الأسلوب القرآني: 248-250
[3]

المبحث الثاني: إقناعية القصّة

يتمظهر البعد الإقناعي للقصّة القرآنية في أنّها إحدى الأساليب التي استعملها القرآن الكريم ليحاجّ بها النّاس، وليقطعهم عن المجادلة والمماحكة، شأنها في ذلك شأن الأساليب الأخرى من استدلال ومناظرة ووعد ووعيد وترغيب وترهيب، وغيرها من الأساليب المبثوثة في القرآن الكريم، ولقد كانت القصّة القرآنية ركيزة قوية من ركائز الدّعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي والاطمئنان النفسي؛ بما تدعو إليه من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسله وبكتبه وباليوم الآخر، وبما تحمله من مُثُل في الجهاد والبذل والتّضحية، في سبيل الدّعوة إلى الحق، والتوجيه إلى عمل الخير والهُدى، والتّنكر والرفض للباطل والضلال، والصّمود في وجه الظلم والجور والطغيان [1]، فالقصّة القرآنية أخذت مجالا واسعا في النصّ القرآني فكانت أسلوبا فعّالا في إبلاغ الدّعوة الإسلامية والمبادئ القرآنية؛ لما لها من الأثر الكبير في العقول والنفوس؛ ولما تحتويه من خصائص عديدة تجعلها أسلوبا مؤثّرا، فهي تمتاز بأنّ مصدرها إلهي، وهذا المصدر بعيد كلّ البعد عن الكذب والخطأ.إنّ المتكلم قد يعمد في بعض الاحيان إلى وضع أدلّته في قالب (قصصي فيذكر حال جماعة تشابه الجماعة التي يخاطبها، ويذكر ما يجري بينهما من مناقشات في الموضوع الذي يتكلم فيه، ويجري الحجّة على ما يدعو إليه على ألسنة الفريق الذي يدعو إلى تغيير مواقفهم، ويذكر المعنى الذي يرمي إليه مصوّرا في قصّة... ليكون المعنى واضحا ومكشوفا)[2]، فالمتكلم يوظف حالة التشابه بين فئتين من النّاس؛ بهدف جعل المعنى واضحا؛ قاصدا من ذلك تغيير موقفهم وجذبهم إلى ما يدعو اليه، معتمدا الأسلوب القصصي؛ لغرض التعميم والعبرة.

لقد استعمل القرآن الكريم الأسلوب القصصي؛ (ليفْتَحَ القلوبَ الغُلْفَ ويضيء العيونَ العمي، ويرهفَ الآذان الصّم حين يذيع أسرار الوجود)[3]، فالخطاب القصصي الذي جاء به القرآن الكريم لم يكتف بإثارة الذائقة الجمالية في وجدان المتلقي بجمال الأسلوب وجدة العرض ونشاط الخيال وقوة العاطفة فحسب، بل تضمن الكثير من التصورات والرؤى التي تتعاطى مع الإنسان بوصفه المرتكز الأساسي الذي يدور حوله الكون؛ لذلك جاءت القصّة في القرآن الكريم ولها الأثر الكبير في النفوس والوقع الكبير على القلوب؛ ففيها عنصر التشويق وجوانب الاعتبار والاتعاظ [4]. إنّ الخطاب القرآني عندما يقصّ القصّة لا يأتي بها إلّا ليواجه حالة ما، ولا يقرر حقيقة إلّا ليغير بها باطلا، إنّه يتحرك حركة واقعية حيّة وهادفة في وسط واقعي حيّ، إنّه لا يقرر حقائقه للنظر المجرد، ولا يقصّ القصص لمجرد الإمتاع الفنّي، إنّه يقصّ القصص مذكّرا ومبشّرا ونذيرا؛ قاصدا إيصال الحقيقة من أجل إحداث

---

[1] ينظر: عبد الكريم الخطيب القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: 8 .

[2] كريمة شعبان، الاتصال الخطابي وفن الإقناع: 183 .

[3] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: 206 .

[4] ينظر: محمد طنطاوي، القصة في القرآن الكريم: 3/1 .

تأثير في المخاطَب، وبالتالي حصول الاقتناع والاذعان لديه [1]. ونظرا لأهمية القصّة وشغلها حيزا واسعا في الخطاب القرآني؛ فقد توجهت أنظار الدارسين المحدَثين لهذا الفن العظيم، وقد بذلوا جهدا كبيرا من أجل كشف أسراره المكنونة وخزائنه العظيمة، ولما يحتويه من طاقات إقناعية لها الأثر الكبير في المتلقي نفسيّا وفكريا، ولأجل هذا وغيره يسعى البحث إلى أخذ بعض النصوص القصصية التي وقت عليها أنظار الدارسين المحدثين، وتبيان طريقة تناولهم لها من جانب إقناعي. فمن نماذج القصص القرآني التي تطرّقت الى مشاهد القيامة قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) [...] فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: 90-103]. تتحدّث هذه الآيات الكريمة عن مشهد من مشاهد يوم القيامة التي خلصت إليها قصّة نبي الله إبراهيم، بعد أنْ انقطعت كلّ السبل لهدايتهم؛ بسبب عنادهم وكثرة مماطلتهم، فتُبين أنّ الجنّة قد قُرّبت واعدت للمتقين، أمّا الجحيم فقد برّزت للغاوين، ثمّ بدأ النص القرآني بسرد الأحداث والوقائع في هذه القصّة.

لقد تحدّث الدكتور عدنان مهدي الدليمي عن انطواء الزّمن في هذه القصّة القرآنية وهو ما يسمى بالاستباق فنراه يقول: (القصّة تطوي الزمن، وتتخطى عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وإذا بقوم إبراهيم وقوف بين يدي الله عزّ وجلّ وهم يُسْألون عما كانوا يعبدون، تساوقا مع سؤال إبراهيم عليه السلام لهم في الدنيا...ثمّ يصور كبكبتم في جهنّم هم ومن اغواهم... فجاء هذا المشهد المفاجئ والمباغت لتصوير حال المشركين في نار جهنّم؛ ردعا لهم عن شركهم، وحملا على الانضواء تحت راية التوحيد، وبرهانا ساطعا على حتمية البعث والحساب))[2]، فهذه الآيات تتحدث عن قوم إبراهيم عليه السلام، أي أنّها كانت تتحدث عنهم في الحياة الدنيا، ثمّ جاء هذا المشهد المباغت الذي طوي به الزمن، وحصل الانتقال من الحياة الدنيا إلى الحساب، بأسلوب مفاجئ، وهو ما يسمى بالاستباق أو الاستشراف، والاستباق: هو عملية سردية، تتمثل في إيراد حدث لم يقع بعد، سابق للنقطة التي وقف عندها السرد، أو الاشارة اليها صعودا إلى المستقبل على شكل قفزات إلى الامام، فهو استباق للمستقبل يدلّ على أحداث سابقة عن أدائها ويمكن توقع حدوثها والتطلّع الى ما سيحصل من مستجدات وأحداث [3]، فمن فوائد الاستباق أنّه يعمل على تهيئة القارئ لتلقي ومعرفة ما سيجري من أحداث وتغيرات مفاجئة، كما أنّه يعمل على خلق حالة من الانتظار والتوقع لدى المتلقي مما يجعله منجذبا لما سيحدث، متفاعلا مع ما يُلقى عليه [4].

---

[1] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: 77 .

[2] عدنان الدليمي، الإعجاز البلاغي في القصّة القرآنية: 272 .

[3] ينظر: بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصّة القرآنية: 87 .

[4] ينظر: المصدر السابق: 88 .

بعد ذلك يعقب الدكتور عدنان مهدي الدليمي على هذا النص القرآني القصصي بقوله: (والتّعبير بالفعل الماضي المبني للمجهول في (أزلفت) و(برّزت) للدلالة على تحقق وقوع الفعل، كلّ منهما لمستحقه على جهة التّمكين والاقتدار مع التّركيز على الحدث... ومما يزيد المتقين غبطة وتكريما وتنعيما، والغاوين تحسّرا وتنديما وإيلاما وتهويلا المحسّن البديعي بـ (المقابلة) بين الحالين، مع ما تحدثه في المتلقي من هزّة نفسيّة تدفعه إلى المقارنة بين الحالين المتضادين، والتمعن في مقام كلّ من الفريقين)[1]، فاستعمال الفعل الماضي في مشاهد القيامة سرّ بلاغي وغرض مقصود؛ فبه يُنزّل الأمر المستقبلي بمنزلة الأمر الواقع والحادث، وهذا الاستعمال القرآني نوع من الالتفات، وهو من الأساليب الحجاجية التي يستعملها القرآن الكريم عندما يكون الشيء المتحدَّث عنه حتمي الحصول، وإيذانا بصحة وجوده وتحققه، فاستعمال الفعل الماضي عن أمر لم يقع بعد فذلك أسلوب بليغ، وهو يستعمل عادة في الأمور التي يستعظم وجودها، وبالخصوص مشاهد القيامة والحساب[2].

إنّ التّعاقب الزمني البديع بلا مهلة أو انقطاع لأفعال متلاحقة صيغت بصيغة المجهول يزيد في روعة التّعبير القرآني، وهي ظاهرة بارزة وتكاد تكون مطّردة في القرآن الكريم وخاصّة عند وصف العذاب وأهوال وأحداث يوم القيامة[3].

ومما يلاحظ في حديث الدّكتور الدليمي أنّه وظّف أسلوب التّقابل في حديثه عن هذا النصّ القصصي، وما يحدثه من أثر نفسيّ في المتلقي، ولإثارة انتباهه وتحفيز عقله ليستقبل الفكرة ويستوعب ما يُلقى عليه، فأسلوب التقابل "يأتي معزّزا للحجاج في بيان وجه الصّلة العميقة بين المتقابلين ضدّيّا من حيث الدلالة، وسرّ أسلوب المقابلة كلّه في تهيئة مفاجئة وتوضيح توتر ما بينهما؛ إذ توجد علاقة ظاهرة أو باطنة بين المتقابلين تقوم هذه العلاقة على أساس التناسب من أجل بلوغ غاية حجاجية"[4]، فالتّقابل بين أجر المتقين وهو الجنّة، وبين عقاب الغاوين وهي الجحيم يفعل فعله ويؤثر أثره في المتلقي، ويدفعه الى المقارنة بين هاذين المصيرين والتّمعن والتّفكر في مقام كلّ من الطّائفتين.

ومن أمثلة القصص القرآني الأخروي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) [...] عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[الإنسان: 5-22]. هذه القصّة تنقل لنا حادثة قد وقعت لأفراد يمثلون نموذجا من صفوة

[1] عدنان الدليمي، الإعجاز البلاغي في القصّة القرآنية: 272-273

[2] ينظر: عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية: 457 .

[3] ينظر: نقرة التهامي، سيكولوجية القصّة في القرآن: 504 .

[4] مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: 195-196 .

البشر وخالصتهم، وهم آل البيت عليهم السلام، علي وفاطمة والحسن والحسين وجارتهم فضة، حيث نذروا صوم ثلاثة أيام وأوفوا بنذرهم، وأطعموا يتيما ومسكينا وأسيرا[1]

يبين هذا النصّ القصصي مشهدا من المشاهد الأخروية وهو مصير المؤمنين، فباشر بوصف ما يلقاه الأبرار من النّعيم الدائم في الجنّة من الشراب والملذات المعنوية والجسدية، فهم قد أدخلوا جنّة لا يرون فيها حرّا ولا بردا، وفيها من كل النّعم والخدم؛ كلّ هذه النّعم كانت جزاء لما عملوا من الصالحات من إيفاء النذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والاسير.

إنّ سبب بداية هذه القصّة الأخروية بذكر الثواب والشّراب هو أنّ التّلويح بالثواب له معطيات نفسيّة كبيرة في التأثير على السلوك، وحمله على الضبط والاستقامة والتّعديل، وأمّا السبب الذي من أجله بدأ هذا التّلويح بعرض الكؤوس والعيون، وامتزاجها بالرائحة العطرة، وتفجيرها وفق المشتهيات؛ فلأنّها تتصل بأقوى الدّوافع الحيوية والنفسية عند الإنسان، فمن الواضح في حقل الدراسات النّفسيّة، أنّ دافع العطش يبقى من أقوى الدّوافع وأشدها إلحاحا في تركيبة الإنسان، يليها دافع الجوع، وبعده سائر الدوافع الحيوية الأخرى [2]، فمن المعلوم أنّ التّرغيب بالثواب والشّراب له الأثر الكبير في التّأثير في النفوس، وجذبها وشدّها إلى ما يُلقى عليها، وخاصّة قضية الشّراب ودفع العطش، فهي من أقوى الدّوافع وأشدّها على النفس البشرية؛ لأنّ الماء والشّراب من أولويات الإنسان، ومن أشد حاجاته التي لا يستطيع العيش بدونها. يقول الدّكتور لطفي فكري في معرض حديثه عن هذه البنية السّردية: (فالقصّة تتحدث عن بيئة الجنّة وموقع الأبرار منها وبطريقة فنيّة في التّعامل مع الزّمن، حيث تنتقل من بيئة الجنّة إلى بيئة الدنيا، فتنقل عن هؤلاء الأبطال بأنّهم كانوا يوفون بالنذر ويخافون الحساب ويطعمون الطعام لوجه الله، ثم تقطع القصّة عنصر السرد، وتترك أبطالها يتحدثون بأنفسهم عن حقيقة سلوكهم الذي استحقوا عليه هذا الموقع المذكور من الجنّة)[3]، فالسّرد في هذه القصّة القرآنية يبدأ من لحظة تمتع الأبرار بنعيم الجنّة وشرابها جزاء لهم فهم قد وفّوا نذرهم وأطعموا الطّعام للمسكين واليتيم والأسير، وفي أثناء هذه النّعم ينقطع السّرد والعرض فجأة ويرتد مباشرة من بيئة الآخرة الى بيئة الدنيا، وهو قوله تعالى: (إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنّا نخاف من ربّنا يوما عبوسا قمطريرا)، ثمّ بعد ذلك يعود السّرد مرّة اخرى لبيئة الآخرة ويعرضها من جديد بقوله: (فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم، ولقّاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنّة وحريرا)، فهذا الأسلوب الفنّي الذي هو الارتداد أو الاسترجاع أسلوب من أساليب السّرد القصصي، حيث يتجسد الاسترجاع أو اللاحقة السّردية في ترك السّارد والقاصّ مستوى القصّ الأول، ويقطع ترتيب الحدث الزمني؛ من أجل الارتداد إلى حادثة حدثت في الماضي في لحظة لاحقة لحدوثها، فهو إذن بنية

[1] ينظر: تفسير النور: 294/10 .

[2] ينظر: محمود البستاني، قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا: 474/2 .

[3] لطفي فكري، جمالية الخطاب في النصّ القرآني: 204 .

سردية صغيرة في بناء سردي كلّي والهدف من ذلك هو إعطاء معلومات عن عنصر من عناصر السرد، أو لسد ثغرة حصلت في النصّ القصصي [1]، فالسّرد القصصي قد يرتد الى الماضي فجأة، ليلفت نظر المتلقي إلى أحداث سابقة؛ ليكون مستحقا درجة الأبرار ومنزلتهم، وما أُعدّ لهم من النّعم؛ ليحمل المتلقي على الاقتناع بما يلقى عليه، والاسترجاع هنا قد أخذ بيد المتلقي وسار به مع نعيم الجنّة وجزاء الأبرار، ثم انقطع تسلسل الأحداث ورجع إلى الماضي؛ ليثير في نفس المتلقي دافع البحث عن سبب هذا الاسترجاع، ومعرفة السبب من شأنه أن يحقق الاقناع لديه والتأثير فيه.

ومن أمثلة السّرد القصصي قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[المسد: 1-5]. هذه السّورة من السّور المكيّة التي نزلت في أوائل الدعوة الإسلامية وبدايتها، وهي من السّور الوحيدة التي تشنّ هجوما عنيفا بالاسم على عدو الإسلام أبي لهب، وهو عبد العزى، وكُنّي بأبي لهب؛ لحمرة كانت في وجهه، وامراته أم جميل كانت من أشدّ الناس عداوة تجاه النبي محمد صلى الله عليه وآله، وأقذعهم لسانا عليه[2]. إذن شخصيات هذه القصّة: هما الزوجان المنحرفان، والموقف: هو موقف العداء للنبي محمد صلى الله عليه وآله، والحدث متمثل في حمل الحطب، والبيئة: هي بيئة الاخرة بحيث أنّ مصيرهما الخسران ونار جهنّم والعذاب الأبدي.

تحدث الدكتور محمود البستاني عن هذه الآيات بقوله: (لعلّ أبرز العناصر القصصية إثارة في الاقصوصة التي نتحدث عنها هو عنصر السّخرية، والسّخرية كما نعرف ذلك جميعا في ميدان الخطاب الأدبي في السّرديات وسواها يظل من أهم المنبهات أو المحركات التي يستجيب لها المتلقي بما هو ممتع وطريف ومثير، بخاصة إذا كان العنصر المذكور يتناول شخصيات معروفة في انحرافها، وفي نمط تعاملها مع الأطراف الإيجابية كرسالة الإسلام وشخصية المرسِل) [3]، فأسلوب السخرية من المقابل من الأساليب المهمة التي يستجيب لها المتلقي ويتفاعل معها، وخاصّة إذا كانت السخرية تتحدث عن شخصيات مشهورة ومعروفة بانحرافها، وهي تتعامل مع شخصيات مشهورة في عظمتها وإيجابيتها. ثم يعقّب الدكتور محمود البستاني على هذا النصّ السّردي بقوله: (إنّ العبارة الجزائية (سيصلى نارا ذات لهب) تجسّد ولا شّك قمة الإثارة والدّهشة والطرافة الفنيّة من حيث مجانستها كما قلنا مع كنية الشّخصية المنحرفة أبي لهب... إذن كم هو طريف وممتع ومدهش حينما نلاحظ هذا التجانس الملفت للنظر بين الكنية وبين نار جهنّم) [4]، فالمتلقي يمكنه أن يرصد التجانس الصّوتي بين كنية أبي لهب السّلبية وبين المصير السّيء الذي ينتظره، وهي النّار ذات اللهب، إذ

[1] ينظر: يادكار لطيف، جماليات التلقي في السرد القرآني: 318
[2] ينظر: ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: 534
[3] محمود البستاني، قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا: 518/2
[4] المصدر السابق: 519/2

هو أبو لهب وهي ذات لهب، فبينهما جناس تام، ولقد استعمل هذا النصّ القرآني كلمة (اللهب)، ولم يستعمل بدلها جهنّم أو النّار؛ لتتجانس مع كنيته الظالمة؛ تأكيدا على المصير الذي ينتظره، فضلا عن أنّ ذكر كنيته ينطوي على هجوم لاذع على هذه الشّخصية السّلبية، والعرب تستعمل الكنية للتعظيم والتكريم، أمّا هنا فهي تنتظم على الضّد من ذلك، فهي جاءت للتهكّم والاستهزاء والسّخرية والعكس في الكلام [1]. ومما يلاحظ في كلام الدكتور البستاني أنّه قد وظّف أسلوب المجانسة في حديثه عن هذه القصّة، وبيّن أهميته في إثارة المتلقي، ومن المعلوم أنّ أسلوب المجانسة وغيره من الأشكال البديعية لها دور حجاجي واضح يهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي، فللأشكال الموسيقية دور مهم وكبير في عملية الإقناع النّفسي، فهي نشاط يقوم بتحفيز المخاطَب، ولها القدرة على توليد تأويلات ودلالات كثيرة، كما وتتماز أيضا بقدرتها على إقناع واستمالة النّفوس والتأثير فيها[2].

إنّ التجانس يُعدّ من المنبهات الأسلوبية التي تتكأ على القيم الصوتية، والتي تفرز إيقاعا صوتيا ودلاليا، وهذا الإيقاع له من الأثر الكبير في تأكيد المعنى وإبراز العواطف، كما أنّ هذا الإيقاع والجرس الموسيقي الذي يخلقه الجناس يؤثر بصورة ما في المتلقي ويحقق اختلافا وتنوّعا في المعنى بسبب التنوع الموجود في دلالات الكلمات المتجانسة، ويحقق عنصر المفاجئة بالنسبة للمتلقي؛ نتيجة التشابه في الالفاظ واختلاف المعاني، فعندما يسمع المتلقي أو يقرأ اللفظة الثّانية حتى يظن أنّها اللفظة الأولى نفسها والمعنى الأول نفسه، إلّا أنّه يتفاجأ بأنّ المعنى الثّاني مختلف تماما عن المعنى الأول، وهذه المفاجئة تأخذ بعقل المتلقي وسمعه وبصره، وبالخصوص إذا علمنا أنّ النصّ القرآني لا يأتي بشيء إلّا ويكون حاملا لقصدية الخالق جلّ وعزّ [3].

لقد برزت في هذه القصّة تقنية الاستشراف، أو ما يسمى بالاستباق، وفي ذلك يقول الدكتور بشار إبراهيم نايف: (ونجد الاستشرافات في هذه الآية قد تواصلت من بداية القصّة إلى نهايتها، وهي استشرافات لأحداث ستقع في يوم القيامة، بعدما يحاسب الناس على اعمالهم، وقد جاءت الصيغ الاستباقية الآتية لتدل عليها(ما أغنى، سيصلى، امراته حمّالة الحطب، في جيدها حبل من مسد)...)) [4] فإنّ الاستباق قد ملئ هذه القصّة من بدايتها إلى نهايتها، والاستباق تقنية تبدو في الوهلة الاولى أنّها بعيدة عن المنطق إذ أنّها تؤدي إلى تقليل شوق القارئ، غير أنّ للاستباق والاستشراف أهمية كبيرة لا تقلّ عن اهمية الاسترجاع، وتتجلى أهميته في وظائفه التي يحققها، ومنها أنّه يقوم بتهيئة المتلقي واطلاعه على ما سيحصل في المستقبل، ومعرفة مصير الشّخصيات، وغيرها من الوظائف.

[1] ينظر: يادكار لطيف، جماليات التلقي في السرد القرآني: 150
[2] ينظر: باسم خيري، الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته: 136
[3] ينظر: طلال خليفة، مستويات السرد الوصفي القرآني: 158
[4] بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصّة القرآنية: 104

ومن أمثلة القصّة القرآنية قول الله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (21) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]. ترسم هذه القصّة موقفا من مواقف اليوم الآخر ومشهدا من مشاهده، فهي تروي لنا نزاعا بين المستكبرين والمستضَعفين والشيطان وأتباعه. ومما يلحظ في هذه القصّة أنّها من حيث الزمان لم تقع بعد، وبما أنّها لم تقع بعد كان يجب بحسب المنطق العقلي أن تصوَّر هذه الصّورة بالصيغ التي تدلّ على المستقبل، لكنها جاءت بصورة تدلّ على أنّها قد وقعت فعلا وتحققت، بدليل وجود الصيغ: (وبرزوا، وقال الشيطان، فقال الضعفاء) وهي صيغ تدلّ على المضي، فما هو السرّ في ذلك؟ والجواب على ذلك هو أنّ القرآن الكريم يقصد من هذه الصّورة أن يبث الخوف والرعب والقلق في نفوس المعاصرين للنبي محمد عليه وعلى آله وصحبه السلام، وأن يصرف المستضعفين عن إتباع المستكبرين والاستماع إليهم وليصرف المستكبرين عن الجري مع الهوى واتباع الشّيطان، وأنّه من أجل ذلك كله صوّر هذه المحاورة بصورة الأمر الواقع والحاصل، وجاء لها بصيغة الماضي، وهو لم يفعل ذلك إلّا لأنّه يعلم أنّ المعاصرين للنبي ينكرون البعث والنشور [2]، فهذا النصّ السّردي يستهدف المستمع ويقصد التأثير فيه، وذلك من خلال تصوير الأمر وكأنّه قد وقع وتمّ، ولكي يسدّ الطريق عليهم، ويجعل من المسألة في موضع الأمر الواقع، وقد مضت عليه فترة من الزمن؛ لتوكيد وقوع الفعل، وأنّه حاصل لا محالة.

إنّ استعمال القرآن الكريم لأسلوب الالتفات في هذا النصّ يجعل وقعه قويا على المتلقي؛ فالالتفات تصرّف أسلوبي مفاجئ، وغير متوقع، وانتقال مفاجئ، ولما كانت له هذه الخصائص، فقد عُدّ طريقة ضغط على ذهن المتلقي من أجل لفت انتباهه إلى مواطن مخصوصة [3].

ومن أمثلة القصة القرآنية أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [...] (118) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: 112-119]. توضّح هذه الآيات المباركة الحوار الذي يدور بين الله سبحانه وتعالى وبين السيد المسيح عليه السلام يوم القيامة بأسلوب قصصي رائع، حيث يسأله الله سبحانه وتعالى هل أنّ الاعتقاد به وبأمّه أنّهما الهان كان بأمر منه أم هم ابتدعوه؟ فبادر عيسى عليه السلام الى تنزيه الله

[1] سورة إبراهيم: 21-22

[2] ينظر: محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم: 165

[3] ينظر: عبدالله صولة الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية: 460

سبحانه وتعالى عمّا لا يليق به وإلى تبرئة نفسه من ادعاء الألوهية. إنّ السّمة البارزة في هذه القصّة القرآنية هي أنّ صيغ الأفعال قد جاءت بالزّمن الماضي مع أنّ هذه القصّة القرآنية لم تقع بعد، فهي مرتبطة بأحوال يوم القيامة، فلماذا جاءت بصيغة الزمن الماضي؟ يجيب الشيخ جعفر السّبحاني عن هذا السؤال بقوله: (إنّ ظرف الحوار الدائر بين الرّب والمربوب هو يوم القيامة، بشهادة قوله في نهاية الحوار: (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)، ولكنْ بما أنّ الحوار أمر محقق الوقوع في المستقبل حكاه بصيغة الماضي)) [1]، فاستعمال الفعل الماضي بدل المستقبل هو نوع من الالتفات، وهو اسلوب يغلب فيما إذا كان مدلول الفعل من الامور المهولة والمخيفة المتوعَد بها، فيُعدَل من لفظ المستقبل الى لفظ الماضي تقريرا وتحقيقا لوقوعه [2].

لقد جرى الحوار في هذه القصّة بين عيسى عليه السلام وأتباعه الحواريين، ثمّ بعد إتمام المبادلة بينهم ينتقل الحوار بين عيسى والله تعالى، ثمّ ينتقل إلى بُعْدٍ آخر، حيث يكون الحوار بين الله سبحانه وتعالى وبين عيسى، لكنّ المبادرة بين عيسى قد انتقلت من بُعْدٍ زمني في الدّنيا الى بُعْدٍ زمني مختلف، وهو زمن يوم القيامة، وهذه التقنية هي تقنية الاستشراف أو ما يسمى بالاستباق. والاستباق (هو الطرف الآخر في تقنيتي المفارقة السّردية: الاسترجاع/ الاستباق، وهو يعني من حيث مفهومه الفنّي: تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة حتما في امتداد بنية السّرد الروائي، على العكس من التوقع الذي قد يتحقق وقد لا يتحقق لاحقا) [3]، فالسّرد في هذا النصّ القصصي يبدأ بين الحواريين وعيسى عليه السلام، ثمّ يقفز للأمام حيث عالم الآخرة والحساب، فيقول الله جلّ جلاله لعيسى ويسأله هل هو مَنْ طلب مِنَ النّاس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله، فيجيب عيسى ربه جوابا مؤدبا بقوله: (قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته)، وهذا الجواب من قِبل عيسى عليه السلام لربه توفيق للتأدب في الجواب الكامل التام، وتصغير لذاته في مقام الذّات الإلهية المقدّسة [4]، فالسّرد القصصي في هذا النصّ قد اتخذ مسارا إقناعيا تمثل في توظيف تقنية الاستباق، فهو قد جعل المتلقي يسير مع حوار الحواريين مع عيسى، ثمّ قفز مباشرة إلى حوار الله مع عيسى من الدنيا الى الآخرة، وهذه المفاجئة لها الأثر الكبير في التأثير في المتلقي، وجذب انتباهه، وشد أفكاره لما يُلقى عليه.

ومن أمثلة السّرد القصصي كذلك قوله تعالى:﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) [...] ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾[ق: 19-

[1] جعفر السبحاني، القصص القرآنية: 467

[2] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/ 372 .

[3] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق: 119 .

[4] ينظر: يادكار لطيف، جماليات التلقي في السرد القرآني: 84 .

34]. يتكون هذا النصّ القرآني من أربعة أطراف حاضرة في هذا العرض السّردي وهي[1]: 1- الذّات الإلهية المقدّسة. 2- الملائكة فمنهم سائق ومنهم شهيد. 3- المسوقون للحساب وهم بني البشر. 3- المسوقون للحساب وهم بني البشر. 4- القرين.

إنّ المتتبع لهذا النصّ السّردي القرآني يلاحظ أنّه يعجّ بأسلوب الالتفات، أو ما يسمى بالعدول، ومنه حذف لفظ القول؛ لغرض استحضار المشهد، وهو يتجلى في قوله تعالى: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)، والتقدير: يقال له عند مجيئها ذلك ما كنت منه تحيد. وفي قوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد)، أي ونقول له. وكذلك في قوله: (وأزلفت الجنّة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكلّ أوّاب حفيظ)، اي ونقول لهم هذا ما توعدون، وكذلك قوله تعالى: (أدخلوها بسلام)، أي ونقول لهم أيضا أدخلوها بسلام. فهذه الأفانين من الحذف تجعل السّامع ينطلق بخياله مع ما يسمع من وصف خلاب، حتى يصير وكأنّه حاضر في هذا الموقف الموصوف، يسمع بإذنه ما يقال، ويشاهد بعينه ما يوصَف [2]. فأسلوب الحذف أبلغ من الذكر؛ لأنّه يذهب بالنّفس كلّ مذهب في القصد في الجواب[3]، ويُقصَد منه إشراك المتلقي، وشدّه الى النصّ؛ لغرض إفهامه، بعد أن يُضَع في موضع الحَيرة؛ ليكون عنصرا فعّالا في النصّ، والحذف يترك ذهن المتلقي ينصرف إلى تقدير المحذوف؛ لغرض الوصول إلى فهم أكثر للنصّ والكشف عن الشّيء المحذوف، سواء كان المحذوف جملة أو كلمة أو حرفا أو حركة. كما يُلاحظ في هذا النصّ القصصي الحوار المفاجئ ممن لا يُنتظَر منه وبأسلوب غير متوقّع حيث نلاحظ التقديم المختصَر للمشهد، ثم الانتقال بصورة مفاجئة إلى توجيه الخطاب إلى المسوق لحسابه (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد)، فلا يُسمع منه ردّ، وإنّما يُسمع القرين، بتقديمه لصحيفة أعماله: هذا ما لديّ عتيد[4]، فالنصّ يبدأ بتوجيه الخطاب إلى المحتضر بدون أن يسبق بلفظ القول، ثم يعود النصّ مباشرة إلى الصيغة السّردية في قوله تعالى: (ونفخ في الصور) ثم يعود بعد ذلك إلى حوار غير مسبوق بلفظ القول في قوله تعالى: (ذلك يوم الوعيد)، فأسلوب المفاجئة يحقق روح العرض في هذا المشهد، بحيث ينتقل السّامع من غير سبق إعلام إلى قلب المشهد فيسمع بإذنه حقيقة الموت التي يواجهها المحتضر، ثمّ يسمع ويرى المشاهد الأخرى المتعاقبة بأسلوب مفاجئ وغير متوقع، بحيث ينجذب إلى هذا المشهد؛ لأنّ

[1] ينظر: كاظم الظواهري، بدائع الاضمار القصصي في القرآن الكريم: 288

[2] المصدر السابق: 96 .

[3] ينظر الباقلاني، إعجاز القران: 397 .

[4] كاظم الظواهري، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم: 287.

أسلوب المفاجئة في الكلام ملمح لطيف في طريقة التعبير، فهو يستنهض المشاعر والاحاسيس عند المتلقي، ويوقض النفوس ويلهبها[1].

الخاتمة:

أسفر البحث عن منطق الإحساس العميق عند الدارسين المحدثين وهم يتلقون مشهدا من مشاهد القيامة متمثلا في القصة القرآنية، وما يثيره هذا التلقي من حالة إيمانية تتساوق مع معتقدات الدارس ويقينياته باليوم الآخر، كما أفصح البحث عن بنية دلالية ذات مجال متنوع في مشاهد القيامة، قابل للتأويل عند الدارسين المحدثين في منظور التلقي، بمتوالية تقوم على القصة، ينفتح فيها الخطاب الإقناعي على مضامين مختلفة لها اقتضاؤها في تحريك المخاطَب واستمالته.

النتائج:

- استعمل القرآن الكريم القصّة كوسيلة لإيصال الغرض الديني، فهي إحدى وسائل إبلاغ الدعوة وتثبيتها.
- القصّة في القرآن الكريم ليست عملا فنيا مستقلا عن موضوعه كما هو شأن القصص الفنية الأخرى، بل هي ترتبط ارتباطا وثيقا مع موضوعها وموقعها الذي ذكرت فيه.
- من مميزات القصّة القرآنية أنّها قائمة على أساس الحقيقة والواقع، فلا يطرأ عليها الخيال.
- القصّة في القرآن الكريم من أهم الفعاليات التواصلية التي لها القدرة على التأثير في النفوس والسيطرة على العقول، فهي من أفضل الأساليب التي استعملها القرآن الكريم ليحاج بها الناس، وهي ركيزة قوية قائمة على الإقناع العقلي والاطمئنان القلبي.
- تجلت ظاهرتا الاستباق والاسترجاع بصورة كبيرة في قصص القرآن الكريم المختصة بيوم القيامة؛ لما لهاتين الظاهرتين من أهمية في تهيئة القارئ بحيث يكون متفاعلا مع ما يلقى عليه ومنجذبا إليه.
- من الخصائص البارزة في القصّة القرآنية المختصة بيوم القيامة هو اسلوب الالتفات باستعمال الأفعال الماضية بدل الافعال المستقبلية، وهو أسلوب بليغ يستعمل عادة في الأمور التي يستعظم وجودها وبالخصوص مشاهد القيامة.
- السخرية برزت بصورة واضحة في القصّة القرآنية المختصة بيوم القيامة.

([1]) ينظر: ظافر غرمان، بلاغة القرآن الكريم: 166.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: الدكتور رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، 1988م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1419هـ/1999م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، (د. ط)، دار المعرف بمصر، (د. ت).
- البخيت، محمد فوزي، خصائص الأسلوب القرآني، ط1، 1436هـ.
- البرزنجي، عمر اسماعيل أحمين، خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، سورية- دمشق، 2017م.
- البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي، ط1، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، 1414هـ.
- البستاني، محمود، قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ط2، مؤسسة السبطين العالمية، 1428هـ.
- التهامي، نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، (د. ط)، الشركة التونسية للتوزيع، (د. ت).
- الجودي، لطفي فكري، جمالية الخطاب في النص القرآني، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1435هـ/2014م.
- الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر،
- خضير، باسم خيري، الحجاج وتوجيه الخطاب، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2019م/1440هـ. بيروت، 1395هـ/1975م.
- خلف الله، محمد محمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط4، سينا للنشر، 1999م.
- الدليمي، عدنان مهدي، الإعجاز البلاغي في القصّة القرآنية، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013م/ 1434هـ.
- الزركشي، محمد بن عبدالله (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، مكتبة دار التراث، 1404هـ/1984م.
- السبحاني، جعفر، القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، ط1، مؤسسة الإمام الصادق، قم، 1427هـ.

- سلمان، طلال خليفة، مستويات السرد الوصفي القرآني دراسة أسلوبية، ط1، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بغداد، 1433هـ/ 2012م.
- الشريف، محمود، القصة في القرآن، (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).
- شعبان، كريمة أحسن، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن– عمان، 2015م.
- الشهرزوري، يادكار لطيف، جماليات التلقي في السرد القرآني، ط1، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق –سوريا، 2010م.
- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، مطبعة أمير المؤمنين، قم، 1421هـ.
- صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، 1436هـ/2015م.
- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.
- صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2007م.
- طنطاوي، محمد سيد، القصة في القرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
- الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ط1، 1991م/ 1412هـ.
- عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد– الأردن، 2012م.
- العمري، ظافر بن غرمان، بلاغة القرآن الكريم، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.
- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ط16، دار الشروق، 1423هـ/2002م.
- نايف، بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصّة القرآنية الاسترجاع والاستباق، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2011م.
- يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2015م.

القرائن المعنوية آلية ترجيحية في الخلاف النحوي

The moral clues are a weighting mechanism in the grammatical dispute

الباحثة: شيماء نعيم مطر الحچامي

أ.د. **ماجد جميل كاظم الزهيـري:** كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق

Researcher: Shaima Naim Matar Al-Hijami

Prof. Dr. Majid Jamil Kazem Al-Zuhairi: faculty of Arts, University of Dhi Qar, Iraq

الملخص:

يُعنى هذا البحث ببيان كيفية تعامل النحاة القدماء مع القرائن المعنوية باعتبارها آلية ترجيحية في الخلاف النحوي، والقرائن المعنوية هي إحدى القضايا المهمة التي أُثيرت قديماً وحديثاً لما لها من أهمية في توجيه المعنى في النص. كما ناقشنا في هذا البحث آراء المحدثين حول أصالة وجود القرائن المعنوية عند النحاة القدماء، وبالخصوص (قرينة التنغيم) التي نفى بعض المحدثين دراستها، أو تسجيلها عند القدماء، وخلصنا في نهاية بحثنا هذا إلى نتائج بينت لنا أن القرائن المعنوية كانت محط اهتمام النحاة القدماء، ومن يخالف هذا الرأي، فلا بد له من مراجعة كتب القدماء بكل أمانة علمية بعيداً عن التفاخر والعنجهية، فيجد بذلك بغيته، وبذلك نجد القدماء قد سبقوا المحدثين في معرفة القرائن المعنوية، وتسجيلها في كتبهم.

الكلمات المفتاحية: القرائن المعنوية، الترجيح، الخلاف النحوي.

Abstract:

This research means by explaining how the ancient grammarians dealt with intangible presumptions as a weighting mechanism in the grammatical dispute, and intangible precepts are one of the important issues that have been raised in the past and recent because of their importance in directing the meaning in the text. The ancient grammarians, and in particular (Al-Rina Al-Tana'im), which in some of the modernists studied or recorded with the ancients, and we concluded at the end of our research to results that showed us that the moral clues were the focus of the attention of the ancient grammarians, and whoever disagrees with this opinion, he must review the books of the ancients with all scientific honesty Away from arrogance and arrogance, so he finds his purpose, and thus we find the ancients ahead of the moderns in knowing the moral clues, and recording them in their books

Keywords: moral clues, weighting, grammatical disagreement.

المقدمــة:

إن موضوع القرائن من المواضيع المهمة والمثيرة للجدل في الأوساط النحوية القديمة والحديثة، ولعل أجرأُ تجربة حديثة في هذا المجال هي (نظرية تضافر القرائن) للدكتور تمام حسان، والجديد في هذه الدراسة أنها تركزت على كيفية الترجيح بالقرائن المعنوية في الخلاف النحوي عند النحاة القدماء في القرون الأربعة الأولى، وذلك وفق منهج القرائن الحديث، فكانت دراستنا بعنوان: ((القرائن المعنوية آلية ترجيحية في الخلاف النحوي))، ووقع اختيارنا على تقسيم الدكتور تمام حسان دون غيره من المحدثين، كونه جاء بنظرية بديلة عن نظرية (العامل النحوي).

والقرينة المعنوية:" هي العلاقة التي تربط بين عنصر من عناصر الجملة وبقية العناصر"[1]، والقرائن المعنوية متعددة، وهي: (قرينة الإسناد– وقرينة التخصيص– وقرينة النسبة– وقرينة التبعية– وقرينة المخالفة)[2].

وقد مزجت هذه الدراسة بين المصادر الحديثة والقديمة، فالمصادر القديمة هي: (الكتاب) لسيبويه، و(المقتضب)، للمبرد، و(معاني القرآن)، للفراء، و(الأنصاف في مسائل الخلاف)، لأبي البركات الأنباري، أما الحديثة، فهي: (اللغة العربية معناها ومبناها)، للدكتور تمام حسان، (الجملة العربية والمعنى)، للدكتور فاضل السامرائي، (في النحو العربي نقد وتوجيه)، للدكتور مهدي المخزومي، (القرائن في النحو العربي)، للدكتور محمد عبدالله سعادة.

مشكلة الدراسة:

اختيرت هذه الدراسة لبيان إن القرائن المعنوية هي من الآليات التي أعتمدها النحاة القدماء للترجيح بين الآراء المختلف عليها، وتركزت هذه الدراسة على القرائن المعنوية ودورها في الترجيح في الخلافات النحوية بين المذهبين أو في المذهب الواحد، فضلاً عن بيان موقف المحدثين من ذلك.

منهج الدراسة:

سيعتمد في هذه الدراسة على المنهج (الوصفي والتحليلي)، وذلك عبر تحديد مفاهيم القرائن المعنوية عند القدماء والمحدثين، وبيان كيفية تعامل النحاة القدماء معها باعتبارها آلية ترجيحية في الخلاف النحوي، فضلاً عن تحليل آراء القدماء، وبيان كيفية تناولهم القرائن المعنوية في مصنفاتهم، مع بيان موقف المحدثين من ذلك.

[1] حسان، تمام (1993م): البيان في روائع القران، ط1، القاهرة: عالم الكتب، ص7.

[2] المصدر نفسه.

هدف الدراسة:

هدف دراستنا هذه هو لبيان موقف النحاة القدماء من القرائن المعنوية وكيفية تناولها كآلية ترجيحية في الخلاف النحوي.

أهمية الدراسة:

أهمية موضوع بحثنا هذا تأتي من كونه يتناول موضوعاً مهماً قد أثار جدلاً واسعاً في الأوساط النحوية القديمة والحديثة بين شذب وجذب كونه يمس أهم المواضيع النحوية إلا وهو الخلاف النحوي.

هيكل الدراسة:

- المطلب الأول: قرينة الإسناد.
- المطلب الثاني: قرينة التخصيص.
- المطلب الثالث: قرينة النسبة.
- المطلب الرابع: قرينة التبعية.
- المطلب الخامس: قرينة المخالفة.

المطلب الأول: قرينة الإسناد:

قرينة الإسناد "عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة، أي على وجه يحسن السكوت عليه"[1]، وعند البلاغيين هو:" إضافة الشيء إلى الشيء وإمالته وجعله متصلاً وملابساً"[2]، وعند المحدثين فعرفوها على أنها:" هي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر أو بين الفعل والفاعل أو نائبه فإذا تصورنا هذه العلاقة صار الأول مبتدأ والثاني خبراً، أو أن الأول فعل، والثاني فاعل أو نائب فاعل، وهي لا تكفي وحدها بل تحتاج إلى قرائن لفظية أخرى تفيد تحديد طرفي الإسناد"[3].

كما ذكر **سيبويه** طرفي الإسناد وحدهما: (المسند والمسند إليه)، والإسناد قرينة دالة على العمد في الجملة[4]، لأنه يمثل:" علاقة المبتدأ بالخبر، والفعل بفاعله، والفعل بنائب فاعله، والوصف

[1] الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، القاهرة: دار الفضيلة، ص22.
[2] الجرجاني، عبد القاهر (1982م): المقتصد في شرح الإيضاح، العراق: دار الرشيد للنشر ج1، ص77.
[3] سعادة، محمد عبدالله (1985م): القرائن في النحو العربي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، والعربية للبنات، مج2، العدد1، الإسكندرية، ص286.
[4] سيبويه، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1988م): الكتاب كتاب سيبويه، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص23.

المعتمد بفاعله، أو نائب فاعله، وبعض الخوالف بضمائمها"[1]، وقد تنبه قدماء النحاة الى أهمية (قرينة الإسناد) في بيان معنى الجملة، وأن الإسناد هو الذي يربط بين عنصري الجملة الأساسيين ولا تحصل الفائدة إلا بها، وهذا ما ذهب إليه **ابن مالك** بقوله:

كَلامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كاسْتَقَمْ *** وَاسم وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الكَلِمْ [2]

فأدرك أن لا معنى للجملة إلا بعلاقة الإسناد التي تربط بين طرفيها المسند والمسند إليه. كما أن الدكتور **تمام حسان** قد تنبه إلى أهمية علاقة الإسناد في الجملة فعدها أولى القرائن المعنوية الموضحة لمعناها ومع أهمية قرينة الإسناد إلا أنها لا تعد قرينة كافية لأداء المعنى، وذلك:" لأنها يمكن أن تكون إسنادا في جملة اسمية أو إسنادا في جملة فعلية ويمكن أن تكون إسنادا خبريا أو إسنادا إنشائيا وهلم جرا ومن هنا تحتاج إلى قرائن أخرى لفظية تعينها على تحديد نوعها"[3]، وبهذا يفهم أن أهمية تضافر القرائن هو لبيان المعنى النحوي.

وقد قسم القدماء مصنفاتهم على أساس (باب الابتداء) و(باب الفاعل) وما يندرج تحتهما، والقرينة المعنوية الدالة على كلا البابين هي قرينة الإسناد، وهذا يدل على أنهم تنبهوا إلى تضافر القرائن، لأن (قرينة الإسناد) وحدها لا تكفي لمعرفة (الفاعل) من (المبتدأ)، فهي تدل عليهما معاً، والاكتفاء بها يؤدي إلى الالتباس بينهما، وبتضافر (القرائن اللفظية) مع (القرينة المعنوية) يتحدد معناهما، فيقول **ابن مالك** في (باب المبتدأ والخبر):

مُبْتَدَأ زَيْدٌ وَعَاذِرٌ خَبَرْ *** إنْ قُلْتَ زَيْدٌ عَاذِرٌ مَنِ اعْتَذَرْ [4]

فأشار إلى عدد من القرائن المتضافرة التي دلت على المبتدأ كـ(الرتبة، والتضام، والربط، والمطابقة)، فيتضح لنا أن النحاة القدماء لهم الأسبقية في ملاحظة قرينة الإسناد في جميع الأبواب النحوية، ودقة ملاحظتهم لتضافر القرائن من خلال تقسيم الأبواب النحوية لمؤلفاتهم. ومن استدلالات النحاة **بـ(قرينة الإسناد)** للترجيح بين الآراء النحوية، خلافهم حول (العامل في الاسم المرفوع بعد

[1] حسان، تمام (1994م): اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ص194.

[2] ابن عقيل (1999م): ألفية ابن مالك، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ج1، ص13.

[3] حسان، مصدر سابق، ص 192.

[4] المرادي، ابن أم قاسم (2001م): توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، ص470.

لولا)، فأختلف النحويون في ذلك، فذهب البصريون إلى أن الاسم بعد (لولا) مرفوع بالابتداء، وذهب الكوفيون إلى أنه مرفوع بـ(لولا)، نحو: (لَوْلاَ زَيْدٌ لأكْرَمْتُكَ)[1].

فالبصريون احتجوا لرأيهم بأن قالوا: يرتفع بالابتداء، وذلك لأن «لولا» إنما تعمل إذا كانت مختصة، و«لولا» غير مختصة تدخل على الاسم، وتدخل على الفعل، قال الشاعر[2]:

قَالَتْ أَمَامَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا *** هَلاَّ رَمَيْتَ بِبَعْضِ الاسْهُمِ السَّودِ

لاَ دَرَّ دَرُّكِ؛ إِنِّي قَدْ رَمَيْتُهُمُ *** لَوْلاَ حُدِدْتُ وَلا عُذْرَي لِمَحْدُودِ

فقال: (لولا حددت)، فأدخلها على الفعل فدل ذلك على أنها غير مختصة، فوجب أن لا تعمل، واذا لم تعمل وجب أن ترفع الاسم بعدها بالابتداء[3]، أما الكوفيون فاحتجوا لرأيهم بإن قالوا:" إن (لولا) ترفع الاسم بعدها لأنها تنوب عن الفعل الذي لو كان ظاهراً لرفع الاسم إلا أنهم حذفوه تخفيفاً، وزادوا (لا) على (لو) فصارت (لولا) بمنزلة حرف واحد، فهي عوض عن الفعل والذي يدل على ذلك أنه لا يجوز ذكرها مع الفعل، لئلا يجتمع العوض والمعوض عنه[4]، وردّ **ابن الأنباري** قول البصريين بقوله: صحيح إن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً، و(لولا) هنا في شاهدهم الشعري، قول الشاعر:

** لَوْلاَ حُدِدْتُ وَلاَ عُذْرَي لِمَحْدُودِ ** [5]

غير مركبة مع (لا) كما في قولك: (لولا زيد لأكرمتك)، وإنما (لو) هنا هي حرف امتناع باقٍ على أصله، و(لا) مع (لو) بمعنى لم، لأن لا مع الماضي بمنزلة لم مع المستقبل، فدل على أن (لولا) في الجملة مختصة بالاسماء دون الأفعال فوجب أن تكون عاملة[6].

وذهب **سيبويه** إلى أن الاسم بعد (لولا) مرفوع بالابتداء:" وذلك قولك: لولا عبدُ الله لكان كذا وكذا. أمَّا لكانَ كذا وكذا فحديثٌ معلَّقٌ بحديثِ لَوْلاَ. وأما عبد الله فإنه من حديث لولاَ، وارتَفع

[1] الانباري، كمال الدين أبو بركات (2016م): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، ص74.

[2] البغدادي، عبد القادر بن عمر (1997م): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط4، القاهرة: مكتبة الخانجي ، ص462.

[3] الانباري، مصدر سابق، ص78، 77 .

[4] الانباري، المصدر نفسه، ص75، 74.

[5] البغدادي، مصدر سابق، ص263.

[6] الانباري، مصدر سابق، ص79.

بالابتداء..."[1]، وذهب **الفراء** إلى أن الاسم الذي بعد (لولا) مرفوعاً بها[2]، وذهب **المبرد** إلى أن الاسم بعدها مرفوع بالابتداء، فيقول:" اعلم أنَّ الاسم الذي بعد (لولا) يرتفع بالابتداء. وخبرهُ محذوف لما يدلُّ عليه"[3]، وذهب **ابن السراج** إلى أن الاسم بعد (لولا) مرفوع بالابتداء، فقال: (لولا عبد الله لكان كذا وكذا)، فـ(عبد الله) مرتفع بالابتداء، وخبره محذوف وهو في مكان (كذا وكذا)[4]، وذهب **أبو علي الفارسي** إلى أن من الاسماء المرتفعة بالابتداء، وهو الاسم الواقع بعد (لولا) نحو قولك: (لولا زيد لذهب عمرو)، فـ(زيد) مرتفع بالابتداء، والخبر محذوف، والتقدير: (لولا زيد حاضر أو مقيم)[5]، وذهب **الأعلم الشنتمري** إلى أنه مرفوع بالابتداء، فيقول:" أن الاسم الظاهر بعد (لولا) مرفوع بالابتداء على مذهب سيبويه ومن تابعه، فينبغي إذا كنى عنه أن يكون منفصلا، فيقال فيه: (لولا أنت)، لأن سبيل المضمر سبيل الظاهر في موضعه من الإعراب، وهذا هو الشائع الكثير في كلام العرب. قال الله تعالى: **{لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ}(سبأ: 31)**"[6]، وتابعه في ذلك **ابن بابشاذ**[7].

أما آراء المحدثين في ذلك، فنجد الدكتور **مهدي المخزومي** يميل إلى رأي الكوفيين، إذ يقول:" وقد ذهب الكوفيون إلى الرفع بلولا، لأنهم كانوا يرون أن الأداة تعمل إذا كانت مختصة، ولولا مختصة بالاسماء، فينبغي إعمالها، أو نسبة الرفع في الاسم بعدها إليها"[8]، أما **تمام حسان**، فيرى أن قرينة الإسناد لا تكفي وحدها، ولابد لها من قرائن أخرى تعينها، وذلك:" لأنها يمكن أن تكون إسناداً في جملة اسمية أو إسناداً في جملة فعلية ويمكن أن تكون إسناداً خبريا أو إسناداً إنشائياً وهلم جرا ومن هنا تحتاج إلى قرائن أخرى لفظية تعينها على تحديد نوعها"[9].

ويتضح لنا أن القول الراجح هو ما ذهب إليه جمهور البصريين، وذلك لقوة حجتهم بالسماع والقياس، و(قرينة الإسناد)، فبذلك يكون الاسم بعد (لولا) مرفوع بالابتداء على أنه مبتدأ، وخبره

---

[1] سيبويه، مصدر سابق، ص١٢٩.

[2] البغدادي، مصدر سابق، ص263.

[3] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (1994م): كتاب المقتضب، ط3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة لجنة إحياء التراث، ج3، ص76).

[4] النحوي، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج (1996م): الأصول في النحو، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة. ص68.

[5] الفارسي، أبو علي (1969م): الإيضاح العضدي، ط1، الرياض، ص٢٩.

[6] الشنتمري، ابو الحجاج (1999م): النكت في تفسير كتاب سيبويه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السعودية، ص277.

[7] ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد: شرح المقدمة المحسبة، الكويت: المطبعة العصرية، ص253.

[8] المخزومي، مهدي (1958م): مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط2، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص289.

[9] حسان، مصدر سابق، ص١٩٢.

محذوف وجوباً، وذلك لأن (لولا) حرف غير مختص قد يدخل على الاسماء، وقد يدخل على الأفعال، والحرف لا يعمل إذا لم يكن مختصاً، وبذلك وجب أن يرفع الاسم بعدها بالابتداء.

المطلب الثاني: قرينة التخصيص:

"تمييز أفراد بعض الجملة بحكم اختص به"[1]، وورد مصطلح (التخصيص) في كتب النحاة القدماء، إذ يقول **سيبويه** عند حديثه عن الأدوات: (هلا، ولولا، وألا):" أخلصوهن للفعل حيث دخل فيهن معنى التخصيص"[2]، أما **تمام حسان** فقد عرفها بأنها: قرينة معنوية كبرى وتتفرع منها قرائن معنوية أخص منها، وهي تسع قرائن: (التعدية– والغائية– والمعية– والظرفية– والتحديد والتوكيد– والملابسة– والتفسير– والإخراج– والمخالفة)[3]، وهذه القرائن الخاصة تجمع كلها في قرينة معنوية كبرى هي (التخصيص) أعم منها وتشملها جميعاً، وسميت قرينة كبرى، وذلك لكثرة القرائن المعنوية المتفرعة منها[4]، وسميت بالتخصيص حسب رأي **تمام حسان**، إذ يقول:" لما لاحظته من أن كل ما تفرع عنها من القرائن قيود على علاقة الإسناد بمعن أن هذه القرائن المعنوية المتفرعة عن التخصيص ويعبر كل منها عن جهة خاصة في فهم معنى الحدث الذي يشير إليه الفعل أو الصفة"[5]، فقد قصر قرينة التخصيص على المنصوبات فقط، وقد خالفه الدكتور **سليمان ياقوت** في ذلك، فقال:" إن كل كلام في اللغة العربية هو تخصيص لمعنى، وليس التخصيص مقصوراً على المنصوبات فحسب، بل يتناول المجرور أيضاً، فقولنا «ويذهب المريض إلى المستشفى»، تخصيص لجهة الذهاب، فكأنك خصصت ذهابه إلى مكان بعينه وليس غيره، وإذا قلت «هذا كتابُ محمدٍ»، فكأنك خصصت ملكية الكتاب لمحمد، وأيضاً فإن قرينة التخصيص تتناول الفاعل أيضاً في قولنا «إنما ينجح المجتهد»، أليس في ذلك تخصيص للنجاح وجعله للمجتهد... من ذلك نرى أن قرينة التخصيص هذه قرينة واسعة، يدخل تحتها المعاني النحوية بعامة، وليس المنصوبات فقط..."[6].

والقرائن التي تندرج تحتها، هي كالآتي: (التعدية: تدل على المفعول به– والغائية: تدل على المفعول لأجله والمضارع بعد اللام (غائية العلة وغائية المدى)– والمعية: تدل على المفعول معه

[1] ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر (1984م): تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر. ص653.
[2] سيبويه، مصدر سابق، ص115.
[3] حسان، مصدر سابق، ص194.
[4] المصدر السابق، ص194.
[5] المصدر السابق، ص 195.
[6] ياقوت، أحمد سليمان (1994م): ظاهرة الإعراب في النحو العربي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ص85.

والمضارع بعد الواو– والظرفية: تدل على المفعول فيه– والتحديد والتوكيد: تدل على المفعول المطلق– والملابسة: تدل على الحال– والتفسير: تدل على التمييز– والإخراج: تدل على الاستثناء[1].

ومن استدلالات النحويين **بـ(قرينة التخصيص)** للترجيح بين الآراء النحوية، خلافهم حول (القول في أولى العاملين بالعمل في التنازع)، فذهب البصريون إلى أن الفعل الثاني أولى بالعمل، وذهب الكوفيون إلى إن الفعلين يعملان نحو: (أكْرَمَنِي وأكْرَمْتُ زَيداً)، و (أكْرَمْتُ وأكْرَمَنِي زَيدٌ)، والفعل الأول أولى بالعمل[2].

فالبصريون كان دليلهم النقل والقياس، أما الكوفيون فاحتجوا لرأيهم بأن قالوا: قلنا أن إعمال الفعل الأول أولى من الثاني، لأنك إذا أعملت الثاني، فذلك يؤدي إلى الإضمار قبل الذكر، والإضمار قبل الذكر لا يجوز في كلام العرب[3]، وردّ **ابن الأنباري** على قول الكوفيين، إذ يقول: أنه يجوز الإضمار قبل الذكر؛" لأنهم قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض إذا كان في الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المخاطب"[4].

وذهب **سيبويه** إلى أن الفعل الثاني أولى بالعمل، إذ يقول:" وهو قولك: ضربتُ وضَربَنَي زيدٌ، وضربَنِي وضربتُ زيداً، تَحمل الاسم على الفعل الذي يَليه. فالعاملُ في اللفظ أحدُ الفعلينِ، وأما في المعنى فقد يُعْلم أنَّ الأوّل قد وقع إلاّ أنّه لا يُعْمَلُ في اسم واحدٍ نصبٌ ورفعٌ. وإنّما كان الذي يليه أَوْلَى لقُربِ جِواره وأنه لا ينقُضُ معنى، وأنّ المخاطَبَ قد عَرَفَ أنَّ الأوّل قد وقع بزَيْدٍ، ..."[5]، وأما **الفراء** فأجاز توجه العاملين معاً إلى الاسم الظاهر، وهذا بناءً على منع الإضمار في العامل الأول عند إعمال الثاني، لأن إذا أعمل أحد العاملين في الاسم، وأهمل الأخر عنه أعمل في ضميره[6]، وذهب **الزجاجي** إلى إعمال الفعل الثاني، إذ يقول:" اعلم أن الاختيار في هذا الباب إعمال الفعل الثاني، لأنه أقرب إلى الاسم"[7]، وذهب **الصيمري**، إلى أن الفعل الثاني أولى بالعمل، فيقول:" اعلم أنك إذا عطفت فعلاً على فعل، وذكرت لهما فاعلاً واحداً فأنت مخير، إن شئت رفعت الفاعلَ بالفعل الأوّل، وإن شئت رفعته بالفعل الثاني، إلا أن الأجود أن يعمل الفعل في الذي يليه، لأنه أقربُ إليه،

---

[1] حسان، مصدر سابق، ص201، 200.

[2] الأنباري، مصدر سابق، ص87.

[3] المصدر السابق، ص90.

[4] المصدر السابق، ص94.

[5] سيبويه، مصدر سابق، ص74، 73.

[6] عبد الحميد، محمد محيي الدين (1999م): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط1، القاهرة: دار التراث، ص163، 162.

[7] الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (1984م): الجمل في النحو، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، عمان: دار الامل، ص111.

فحمْلُه على ما كان أَقرب مُتَنَاولاً أحسنُ، ويجوز حمله على الأبعد، لصحّة معناه إذ كانت الجملتان قد صارتا بمنزلة جملة واحدة فتقول: قامَ وقعد زيد، إنْ شئْتَ رَفَعْتَ «زيدا» بقعد، وإن شئت بقام، والأجود أن ترفعه بقعد، لأنه أقرب الفعلين إليه، ويكون في «قام» ضمير فاعل، لأن الفعل لا يخلو من فاعل ظاهرٍ أو مضمر، فلمّا رفعْت الفاعل الظاهر بأحد الفعلين وجب أن يُضْمَرَ في الآخرِ، وقد قدمنا أن ضمير الغائب الواحد لا يظهر في الفعل"[1].

أما آراء المحدثين في قضية التنازع، فنجد الدكتور **إبراهيم مصطفى** ذهب إلى أن باب التنازع خلقه القدماء، وفيه تعسف وتعقيد، إذ يقول:" ولرفضهم أن يعمل عاملان في معمول واحد خلقوا باب التنازع في العمل وما فيه من قواعد وأحكام ليس يخفى ما بها من اعتساف وتعقيد"[2]، ونفهم من النص أنه يميل إلى رأي الكوفيين، ويؤيد فكرة عمل عاملان في معمولٍ واحدٍ، وكذلك **تمام حسان**، نجده يميل إلى رأي الكوفيين في إعمال الفعليين في معمولٍ واحدٍ، فيقول:" فقد يتعلق الاسم المعرب بفعلين أو وصفين سابقين يتطلبانه في وقت معاً فيمكن تعليقه عندئذ بأول هذين العنصرين اعتداداً برتبته أو بثانيهما اعتداداً بتضامه حتى إذا جرى تعليقه بأحدهما وجب إهمال الآخر"[3]، **فتمام حسان** يرجح رأي الكوفيين على أنه الأقوى، فقال:" مستند الكوفيين أقوى؛ واعتمد الكوفيون ثانياً على أن إعمال الثاني يؤدي إلى مخالفة قاعدة توجيهية أخرى تقول: «لا يجوز الإضمار قبل الذكر، لأنك عندئذ ستضمر للأول، ومعنى ذلك أن توجيهات الكوفيين هنا تأتي من منطلق «قواعد التوجيه» التي سبق الكلام فيها، ولم يقدم البصريون من التوجيه القياسي إلا محاولة التدليل على أن القرب والجوار أولى بالاعتبار من السبق..."[4]، ويميل الدكتور **مهدي المخزومي** إلى رأي الكوفيين أيضا، فقال:" فليس بدعاً ان يجتمع في جملة واحدة فعلان، أو اكثر من فعلين، يسندان الى فاعل واحد، ..."[5].

ويتبين لنا أن القول الراجح ما ذهب إليه البصريون، وذلك بقوة الإجماع، ودلالة (قرينة التخصيص) على أن إعمال الفعل الثاني أولى من الأول، لأنه لو عمل الأول لوجب إضمار (الضمير) فيه، فلما لم يظهر (الضمير)، فيدل ذلك على إعمال الثاني، فإعمال الأول أولى من الثاني لأنه أقرب إليه منه، وقد حملوه على القرب والجوار.

[1] الصيمري، أبو محمد عبدالله بن علي بن إسحاق (1982م): التبصرة والتذكرة، ط1، دمشق: دار الفكر، ص148.

[2] مصطفى، إبراهيم. (2012م): إحياء النحو، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 30.

[3] حسان، تمام (2000م): الخلاصة النحوية، ط1، القاهرة: عالم الكتب، ص132.

[4] حسان، تمام (2000م): الأصول دراسة أبستمولوجيا للفكر اللغوي عند العرب، القاهرة: عالم الكتب، ص211.

[5] المخزومي، مهدي (2005م): في النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ص174.

المطلب الثالث: قرينة النسبة:

ورد مصطلح النسبة عند النحاة من خلال تعبيرهم عن الإضافة، فذهب **سيبويه** الى تعرف الإضافة بأنها:" نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر، فخرج بالتقييدية الإسنادية نحو زيدٌ قائمٌ"[1]، وأما **تمام حسان** فمفهوم (النسبة) عنده لا يختلف عن ذلك، فيقول:" والنسبة قيد عام على علاقة الإسناد أو ما وقع في نطاقها أيضاً وهذا القيد يجعل علاقة الإسناد نسبية"[2]، والنسبة هي قيد في علاقة (الإسناد) التي يمكن جعلها أم العلاقات النحوية، وهناك فرق بين معنى القيد في علاقة النسبة، وعلاقة التخصيص وهي أن:" معنى النسبة غير معنى التخصيص لأن معنى التخصيص تضييق ومعنى النسبة إلحاق"[3].

وكان للنحاة القدماء السبق في فهم الارتباط الوارد في علاقة (النسبة) داخل (الإسناد) وأطلقوا عليها مصطلح (التعليق)، وتعني:" إيقاع التعلق بين شيئين"[4]، والمراد بها العلاقة التي تربط بين الجار والمجرور والفعل في (اللفظ او المعنى)، والفعل في اللفظ نحو: (ذهبتُ إلى بكرٍ)، وفي المعنى نحو: (المالُ لزيد) بتقدير: المال حاصل أو كائن لزيد[5]

ومصطلح (النسبة) عند النحاة القدماء يشمل: معاني حروف الجر ومعنى الإضافة، كما يقول **الاشموني** في (باب الاستثناء):" وإنما لم تعمل الجر لأن عَمَلَ الجر بحروفٍ تُضيفُ معاني الأفعال إلى الاسماء، وتنسبها إليها؛ وإلاّ ليست كذلك، فإنها لا تنسب إلى الاسم الذي بعدها شيئا، بل تخرجه من هذه النسبة"[6]، وقد تنبه النحاة القدماء لحروف الجر، فأحصوها في عشرين حرفاً، وعددوا معانيها، إذ يقول **ابن مالك**[7]:

هاكَ حروفَ الجَرِّ وهْيَ مِن إلى *** حتى خَلا حاشا عداَ في عَنْ عَلى

مُذْ منذُ ربَّ اللامُ كَيْ واوٌ وتا *** والكاف والبا ولعلَّ ومتـى

[1] سيبويه، 1988م، مصدر سابق، ص411.

[2] حسان، تمام (1994م): اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ص 201.

[3] حسان، مصدر سابق، ص 201.

[4] الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، القاهرة: دار الفضيلة، ص 202.

[5] ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، ص125.

[6] الاشموني، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد بن محمد بن عيسى (1939م): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط2، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص434.

[7] المرادي، ابن أم قاسم (2001م): توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، ص738.

أما الدكتور **تمام حسان** فقد حصر معاني حروف الجر في تسعة وعشرين معنى، مع ملاحظة (تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد)، فإن كل حرف من (حروف النسبة) قد يستعمل في أكثر من معنى، ومعاني حروف النسبة أو حروف الجر كما اسماها النحاة هي كالآتي[1]: 1- ابتداء الغاية؛ 2- إنتهاء الغاية؛ ٣- البعضية؛ 4- الظرفية؛ 5- التعليل؛ 6- المجـاوزة؛ 7- الاستعـــانة؛ 8- الإستعلاء؛ 9- المصاحبة؛ 10- الإلصاق؛ 11- القسم؛ 12- التشبيه 13- بيان الجنس؛ 14- التوكيد؛ 15- الملك؛ 1- الإستحقاق؛ 17- النسب؛ ١٨- العاقبة ١٩- المقايسة؛ 20- التعويض؛ 21- التعجب؛ 22- الإستدراك؛ ٢٣- التبليغ؛ ؛ ٢٤- التبيين ؛ 25- البعدية ؛ ٢٦- البدلية؛ 27- العندية؛ 28- التعدية؛ 29- الزيادة، فهذه تسع وعشرين قرينة داخله ضمن مفهوم النسبة ومع قرينة الإضافة تكون ثلاثين قرينة معنوية.

وأشار النحاة القدماء إلى إن الإضافة قد تكون على معنى (من أو في أو اللام)، أما **تمام حسان** فيضف إلى أنها قد تكون على معنى:" الباء مثل ضرب العصا، اللام مثل جزاء الإحسان، ومِنْ مثل انتقاص القدر، وعَنْ مثل تجاوز الحد، وإلى مثل بلوغ الغاية، وعلى مثل ركوب الخيل وهلم جرا"[2].

ومن استدلالات النحويين **بـ(قرينة النسبة)** للترجيح بين الآراء النحوية، خلافهم حول(هل يجوز إضافة الاسم إلى اسم يوافقه في المعنى؟)، فذهب البصريون إلى أنه لا يجوز، وذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إضافة الشيء إلى نفسه إذا أختلف اللفظان[3]، واحتج **الكسائي** بقولهم: (صلاة الأولى)، وأحتج **الأخفش** بقولهم: (مسجد الجامع)[4].

أما البصريون فاحتجوا لرأيهم بإن قالوا: قلنا لا يجوز وذلك تمسكاً بالأصل، لأن الغرض المقصود من الإضافة هو التعريف أو التخصيص، والأشياء لا تتعرف بنفسها، ولو كان فيها تعريف لكانت مستغنية عن الإضافة، ولو لم يكن فيها تعريف كان بأن تضاف إلى نفسها أبعد من التعريف[5]، وأما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: أنه قد جاء في كتاب الله سبحانه وكلام العرب كثيراً. قال تعالى: **{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}(الواقعة: 95)**، و(اليقين) في المعنى نعت لـ(الحق)، لأن الأصل فيه

[1] حسان، مصدر سابق، ص 203.

[2] المصدر السابق، ص 170.

[3] الأنباري، مصدر سابق، ص389.

[4] النحاس، ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل (2008م): إعراب القرآن، ط2، لبنان: دار المعرفة، ص464.

[5] الاشموني، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد بن محمد بن عيسى (1939م): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط2، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص377.

(الحق اليقين)، والنعت في المعنى هو المنعوت[1]، وردّ **ابن الأنباري** على قول الكوفيين بقوله:" أما ما احتجوا به فلا حجّة لهم فيه؛ لأنه كله محمول على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مقامه"[2].

وذهب **سيبويه** إلى أنه لا يجوز إضافة الموصوف إلى صفته، ولا الصفة إلى موصوفها، وقالوا دار الأخرة، وصلاة الأولى، ومسجد الجامع، وجانب الغربي، وبقلة الحمقاء، على تأويل دار الحياة الأخرة، وصلاة الساعة الأولى، ومسجد الوقت الجامع وجانب المكان الغربي، وبقلة الحبة الحمقاء[3]، وذهب **الفـراء** إلى جواز إضافة الشي إلى نفسه لأنه جاء عن العرب، فيقول:" وقوله: ولدارُ الآخرةِ أُضيفت الدار إلى الآخرة وهي الآخرة وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا أختلف لفظه كقوله: **{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}(الواقعة– 95)**، والحق هو اليقين، ومثله أتيتك بارحة الأولى، وعام الأوَّل وليلة الأولى ويوم الخميس. وجميع الأيام تضاف إلى أنفسها لاختلاف. وكذلك شهر الربيع"[4]، وقال **أبو جعفر النحاس** (ت338هـ):" إضافة الشيء إلى نفسه محال لأنه أنما يضاف الشيء إلى غيره ليعرف به، والأجود الصلاة الأولى لأنها أول ما صلي حين فرضت الصلوات. وأول ما أظهر فلذلك قيل لها أيضاً: ظهر والتقدير ولدار حال الآخرة خير"[5].

وذهب **أبو على الفارسي** إلى أنه لا يجوز إضافة الاسم إلى صفته، فيقول:" إضافة الاسم إلى الصفة وذلك نحو: صلاة الأولى، ومسجد الجامع. فهذا كلام مخرج عن حده والأصل فيه: الصلاة الأولى والمسجد الجامع. فمن أضاف فينبغي أن يكون أراد صلاة الساعة الأولى، ومسجد الوقت الجامع، أو اليوم الجامع. وقال عز وجل: **{قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ}(البقرة– 94)**، وقال عز وجل: **{وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ}(يوسف –109)**، والآخرة صفة للدار. والإضافة على من زوال الشمس تقدير: دار الساعة الأخرة. وكذلك: **{وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا}(القصص: 44)**، وقال الراعي:

وَقَرّبَ جَانِبَ الْغَرْبِيِّ يَأْدُو *** مَدَبَّ السَّيْلِ واجْتَنَبَ الشِّعَارَا [6]

فهذا على جانب المكان الغربي لا يكون على غير ذلك"[7]، وذهب **ابن جني** في قراءة ابن أبي إسحاق وإبراهيم بن أبى بكير لقوله تعالى: **{فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ}(إبراهيم: 18)** إلى جواز إضافة

---

[1] الأشموني، مصدر سابق، ص377.

[2] الانباري، مصدر سابق، ص390.

[3] النحوي، ابن علي بن يعيش: شرح المفصل، القاهرة: أدارة الطباعة المنيرية، ص10.

[4] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (1983م): معاني القرآن، ط3، بيروت: عالم الكتب. ص56، 55.

[5] النحاس، مصدر سابق، ص464.

[6] النميري، الراعي (1995م): ديوان الراعي النميري، ط1، بيروت: دار الجيل. ص153.

[7] الفارسي، مصدر سابق، ص271–273.

الاسم الى صفته إذا اختلفا بالمعنى، فيقول:" هذا على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، أي في يوم ريح عاصف، وحُسن حذف الموصوف هنا شيئاً؛ لأَنه قد أُلف حذفه في قراءَة الجماعة: «في يوم عاصف». فإن قيل: فإذا كان «عاصف» قد جرى وصفا على «يوم» فكيف جاز إضافة «يوم» إليه، والموصوف لا يضاف إلى صفته؛ إذ كانت هي هو في المعنى؛ والشيء لا يضاف إلى نفسه؟ ألا تراك لا تقول: هذا رجُلُ عاقلٍ، ولا غُلاَمُ ظريفٍ وأَنت تريد الصفة؟ قيل: جاز ذلك من حيث كان «اليوم» غيرَ العاصف في المعنى وإن كان إياه في اللفظ؛ لأن العاصف في الحقيقة إنما هو الريح لا اليوم، وليس كذلك هذا رجُلُ عاقلٍ؛ لأَن الرجل هو العاقل في الحقيقة، والشيء: لا يضاف إلى نفسه، فهذا فرق"[1]، وذهب **ابن بابشاذ** إلى جواز إضافة الشيء إلى صفته على تقدير حذف مضاف، نحو: (مسجد الجامع وصلاة الأولى)، وعدها إضافة غير محضة، وعلته: أن المراد غير اللفظ المذكور، ولا يضاف الشيء الى صفته، فلا بد من تقدير موصوف محذوف، فتقول: (مسجد مكان الجامع، وصلاة الساعة الأولى)، وكذلك الحال مع: (دار الأخرة، وحق اليقين)[2].

أما آراء المحدثين في ذلك، فنجد الدكتور **عباس حسن** من المحدثين الى تأييد رأي الكوفيين، فقال:" ورأي الكوفيين سديد مفيد وفي الاخذ به هنا تيسير محمود تتطلبه حياة الناس..."[3]، وذهب الدكتور **فاضل السامرائي** مذهب الكوفيين في جواز إضافة الشي الى مرادفه، إذ قال:" كقوله تعالى: **{وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ}(الحاقة: 51)** فأضاف الحق إلى اليقين توكيداً واحتياطاً للمعنى، ..."[4]. أما الدكتور **تمام حسان** فأيد مذهب البصريين، إذ قال:" تمتنع إضافة الاسم إلى ما في معناه لأن الإضافة على نية التعريف أو التخصيص وهما لا يتحققان عند اتحاد المعنى. وذلك كإضافة المترادفين (فلا يقال: بلدة القرية) والموصوف وصفته إلا على التأويل كما في مسجد الجامع"[5].

ويتضح لنا أن القول الراجح هو رأي جمهور البصريين، وذلك بقوة الإجماع، ودليل استصحاب الحال، ودلالة (قرينة النسبة)، وبذلك لا يجوز إضافة الاسم إلى اسم أخر، لأن الإضافة الغرض منها التعريف، أو التخصيص، والأشياء لا تتعرف بنفسها، إذ لو كان فيها تعريف لكانت مستغنية عن الإضافة، ولو لم يكن فيها تعريف كان بأن يضاف إلى نفسه أبعد من التعريف[6].

---

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان (1994م): المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، القاهرة: لجنة إحياء التراث الاسلامي، ص٣٦٠.

[2] المحسن، محمد بن عبد الرحمن: اختيارات ابن بابشاذ النحوية في كتابه (شرح جمل الزجاجي)، الرياض: جامعة القصيم، رسالة ماجستير غير منشورة، ص33.

[3] حسن، عباس (2008م): النحو الوافي، ط15، القاهرة: دار المعارف. ص49).

[4] السامرائي، فاضل صالح (2000م): الجملة العربية والمعنى، ط1، بيروت: دار ابن حزم، ص149.

[5] حسان، مصدر سابق، ص171.

[6] الاشموني، مصدر سابق، ص377.

المطلب الرابع: قرينة التبعية:

التبعية قرينة معنوية عامة، ويندرج تحتها أربع قرائن هي: (النعت- العطف- التوكيد- والابدال)، وهذه القرائن المعنوية تتضافر معها قرائن لفظية أخرى منها (المطابقة) كمطابقة التابع لمتبوعه في الحركة الإعرابية، أو كـ(الرتبة) فرتبة التابع هي التأخر عن المتبوع دائماً[1]، والتوابع لم تقصد لذاتها إنما هي تكملة الأول وهو المتبوع، **فابن يعيش** يقول:" نظير ذلك أن الرجل ذا العبيد والأتباع يدعي إلى وليمة فينال العبيد من الكرامة مثل ما نال السيد لكن ذلك بحكم التبعية والمقصود بذلك السيد كأنهم ليسوا غيره لأنهم من لوازمه كذلك ههنا الإعراب"[2].

ومن استدلالات النحويين **بـ(قرينة التبعية)** للترجيح بين الآراء النحوية، خلافهم حول (هل يجوز توكيد النكرة معنوياً)، فذهب البصريون إلى أن تأكيد النكرة بغير لفظها غير جائز مطلقاً، ويجوز تأكيدها بلفظها، نحو: جاءني رجل رجل، ورأيت رجلاً رجلاً، و مررت برجل رجل[3]، وذهب الكوفيون **والأخفش** إلى جواز توكيد النكرة بغير لفظها إذا كانت مؤقتة، وأجاز بعض الكوفيين التوكيد مطلقاً سواء كانت مؤقتة أو غير مؤقتة[4]، نحو: قعدت يوماً كله، و قمت ليلة كلها[5].

وأحتج البصريون لقولهم بإن قالوا: لا يجوز تأكيد النكرة لأنها تدل على العموم والشيوع، ولأن تأكيدها لا فائدة فيه، والتوكيد يدل على الخصوص والتعيين، فكل واحد منهما ضد الأخر[6]، أما الكوفيون، فكان دليلهم النقل والقياس على جواز تأكيد النكرة، فالنقل قد جاء عن العرب، قول الشاعر:

لكنَّه شَاقَهُ أنْ قيلَ ذَا رجبٌ *** ياليتَ عدةَ حولٍ كلهِ رجبُ [7]

فأكد(حولٍ) النكرة بقوله: (كله)، وقال الآخر:

إذا الـقَعودُ كـرَّ فيها حَفَدا *** يـوماً جديداً كـلَّه مطـّردا [8]

فأكد(يوماً) النكرة بقوله: (كله)، وقال الاخر:

---

[1] حسان، مصدر سابق، ص204.
[2] ابن يعيش، مصدر سابق، ص39.
[3] الانباري، مصدر سابق، ص402.
[4] المرادي، مصدر سابق، ص976.
[5] الانباري، مصدر سابق، ص402.
[6] المصدر السابق، ص402-404.
[7] البغدادي، مصدر سابق، ص170.
[8] المصدر السابق، ص170.

زحَرتَ بـهِ ليلـةً كـلَّهَـا *** فَجئْتَ بـهِ مُؤيـداً خَنفـَقِيقـَا [1]

فأكد (ليلة) بقوله: (كلها)، وأما القياس فـ(اليوم) مؤقت يجوز أن يقعد في بعضه، و(الليلة) مؤقته يجوز أن يقوم بعضها، وبذلك صح معنى التوكيد[2]، وردّ **ابن الانباري** على نقول الكوفيين: بان ما استشهدوا به من أبيات فلا حجة فيها، وذلك لشذوذها، وقلتها في بابها، مع اختلاف روايتها[3].

وذهب **سيبويه** إلى المنع مطلقاً، وهذا مذهب جمهور البصريين سواء أفادت أو لم تفد، وعلل ذلك بقوله: كراهة أن يكون (أَجْمَعُونَ ونَفْسُهُ) معطوفاً على النكرة في نحو قولهم: (مررتُ برجلٍ نفسهِ)، و(مررتُ بقومٍ أجمعين)[4]، وذهب **ابن كيسان** إلى أنه لا يجوز توكيد النكرة، فيقول:" والتوكيد يتبع المعرفة ولا يتبع النكرة إلا أن تكون متبعضة موفية فتؤكد بكل وأجمع نحو قمت يوماً أجمع وأخذت مالاً كله"[5]، وذهب **ابن الوراق** إلى عدم جواز توكيد النكرة معنوياً، فيقول:" وأمَّا التوكيدُ: فالغرضُ إثباتُ الخبرِ عن المخبرِ عنهُ، وذلك أنَّكَ إذا قُلتَ: جَاءَنِي زيدٌ نفسُهُ، أَخْبَرْتَ أنَّ الذي تَولّى المجيءَ هُوَ بعينِهِ، فلذلكَ دخلَ التوكيدُ في الكلامِ، ولهذهِ العلةِ لمْ يجزْ أنْ تؤكدَ النكرةُ، لأنَّهُ ليسَ لها عينٌ ثابتةٌ كالمعارفِ، فلمْ يحتجْ إلى إثباتِهَا إذا كانتْ لا تثبتُ بالتوكيدِ، فلهذا أسقطَ التوكيدُ عنها"[6]، وذهب **الزجاجي** إلى أن النكرة لا يجوز توكيدها مطلقاً، فيقول:" واعلم أن الاسماء كلها تؤكد إلا النكرات، فإنها لا تؤكد، لو قلت: «قام رجل نفسه»، و«قبضت درهماً كله»، لم يجز، لأن النكرة لم تثبت لها عين فتؤكد، لأنّ الاسماء التي يؤكد بها معارف، ولا تتبع النكرات توكيداً لها"[7]، وذهب **ابن جني** إلى أنه لا يجوز توكيد النكرة معنوياً، فيقول:" اعلم أن التوكيد لفظ يتبع الاسم المؤكد (في إعرابه) لرفع اللبس، وإزالة الاتساع، وإنما تؤكد المعارف دون النكرات– مظهرها ومضمرها"[8]، وأما **الصيمري**، فيقول:" أنه لا فائدة في تأكيد مالا يُعرف؛ لأن الغرض في التوكيد إثباتُ الخبر عن المخْبِر عنه، وذلك أنك إذا قلتَ: جاءني زيد، فقد يجوز أن يُتَوهّم أن أمرَ زيد جاءك دون زيد، فإذا قلت: جاءني زيدٌ نفسه أخْبَرْتَ أن الذي تولى المجيء هو بعينه، وأنت إذا قُلت: جاءني رجل، فليس

---

[1] البغدادي، مصدر سابق، ص170.

[2] الأنباري، مصدر سابق، ص402– 405.

[3] المصدر السابق، ص406، 405.

[4] سيبويه، مصدر سابق، ص386.

[5] بن كيسان، أبو الحسن محمد بن أحمد (1975م): الموفقي في النحو، مجلة المورد، مج 4، العدد2، بغداد، ص١١١.

[6] ابن الوراق، أبو الحسن محمد بن عبد الله (1999م): علل النحو، ط1، الرياض: مكتبة الرشيد. المملكة العربية السعودي، ص٣٨٧.

[7] الزجاجي، مصدر سابق، ص٢٢.

[8] ابن جني، أبو الفتح عثمان (1988م): اللمع في العربية، عمان: دار مجدلاوي للنشر، ص٦٦.

من إثبات هذا الخبر فائدة إذْ لا يُسْتَنْكَرُ أن يجيئك رجل؛ فلذلك لم تؤكدَّ النكرة"[1]، وتابعهم في ذلك **ابن بابشاذ**، إذ يقول:" والتأكيد هو تمكين المعنى في النفس بإعادة لفظ أو معنى لفظ. فاللفظ كقولك: زيد زيد، فعل فعل، إن إن، والله والله، وما أشبه ذلك. وليس عليه باب يحصره، لأنه تكرير الشيء بلفظه. وليس كذلك التواكيد المعنوية، لأن التواكيد المعنوية ألفاظها محصورة. وجملتها تسعة، وهي: نفسه، عينه، كله، أجمع، أجمعون، جمعاء، جمع، كلاهما، كلتاهما والتابع لهذه هو: أكتع أبصع، أكتعون أبصعون، كتعاء بصعاء، كتع بصع فجميع هذه التسعة وتوابعها لا يؤكد بها إلا المعارف الخمس دون النكرات كلها. تقول: جاءني زيد نفسه، ولا يجوز: جاءني رجل نفسه. وكذلك الباقي. سواء كان المؤكد ظاهراً أو مضمراً أو بينهما"[2].

وذهب الشيخ **مصطفى الغلاييني** إلى القول بأنه:" لا يجوز توكيد النكرة، إلا إذا كان توكيدهما مفيداً، بحيث تكون النكرة المؤكدة محدودة، والتوكيد من ألفاظ الإحاطة والشمول نحو: «اعتكفتُ أُسبوعاً كلَّهُ»، ولا يقال: «صُمتُ دهراً كلَّهُ»، ولا «سِرتُ شهراً نفسَهُ»، لأن الأول مُبهَمٌ، والثاني مؤكدٌ بما لا يفيد الشُّمولَ"[3]، وهو بذلك يقترب من رأي البصريين، أما **تمام حسان**، فلم يفصل بالموضوع غير أنه ذكر أن التوكيد نوعين: (لفظي ومعنوي)، فاللفظي: بتكرار اللفظ، والمعنوي: بألفاظ معينة[4].

ويتبين لنا أن القول الراجح ما ذهب إليه جمهور النحاة، لإجماع النحاة عليه، وصحة القياس، ودلالة (قرينة التبعية)، فلذلك لا يجوز تأكيد النكرة مطلقاً سواء أفادت، أو لم تفد، لأنه لا فائدة من تأكيدها، لأن النكرة تدل على العموم والشمول، والتوكيد يدل على الخصوص والتعيين، فكلاهما ضد صاحبه، لذلك لا يجوز توكيدها.

المطلب الخامس: قرينة المخالفة:

وردت مصطلحات (الخلاف، والمخالفة، والخروج، والصرف) بمعنى واحد هو (الخلاف)، " فقد عدّ **سيبويه** نصب المضارع في نحو: ما أتينا فتحدثنا، على الصرف، فالثاني (تحدثنا) مصروف عن الأول (أتينا)، إذ الأول ماضٍ والثاني مضارع، وكذلك في نحو: ألم تأتنا فتحدثنا، فقد اختير النصب لأن الثاني لم يكن على الأول، كما ذكر **سيبويه** هذا المعنى في باب المستثنى، فقال: «هذا بابٌ لا يكون المستثنى فيه إلا نصباً، لأنه مُخرج مما أدخلت فيه غيره، فعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم حين قلت: له عشرون درهماً. وهذا قول الخليل رحمه الله...»، ومثل ذلك كان

[1] الصيمري، مصدر سابق، ص165.
[2] ابن بابشاذ، مصدر سابق، ص408، 407.
[3] الغلاييني، الشيخ مصطفى (2003م): جامع الدروس العربية، القاهرة: المكتبة التوفيقية. ص166.
[4] حسان، مصدر سابق، ص 204.

تفسيره لما ينتصب لأنه ليس من اسم ما قبله ولا هو هو"[1]، وقد، حدّ **الفراء** (الصرف) بقوله:" والصرف أن يجتمع الفعلان بالواو أو ثم أو الفاء أو، وفي أوله جحد أو استفهام، ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعا أن يكر في العطف"[2]، فالصرف إذاً هو إخراج الفعل الأول من حكم الفعل الثاني، وهو ما يسمى بـ(النصب على الخلاف أو النصب على الصرف)، وقد ناقش **ابن يعيش** نصب المضارع بعد أو والواو والفاء، فذكر رأي الكوفيين في النصب بعامل (الخلاف)...، أما **الرضي** فإنه رادف بين الصرف والخلاف فقال «إنه نصب على الصرف بمعنى قولهم نصب على الخلاف سواء"[3].

ومن استدلالات النحويين **بـ(قرينة المخالفة)** للترجيح بين الآراء النحوية، خلافهم حول (عامل النصب في الفعل المضارع بعد واو المعية)، فذهب البصريون إلى أنه منصوب بتقدير (أنْ)، وذهب الكوفيون إلى أن الفعل المضارع في نحو قولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، منصوب على الصرف[4].

فالبصريون احتجوا لرأيهم بأن قالوا: أنه منصوب بتقدير أن وذلك لأن الأصل في الواو أن تكون حرف عطف، والأصل في حروف العطف أن لا تعمل؛ لأنها لا تختص؛ لأنها تدخل تارة على الاسم وتارة على الفعل... وإنما لما قصدوا أن يكون الثاني في غير حكم الأول وحول المعنى حول الى الاسم، فاستحال أن يضم الفعل الى الاسم، فوجب تقدير أن لأنها مع الفعل بمنزلة الاسم، وهي الأصل في عوامل النصب في الفعل"[5]، أما الكوفيون فاحتجوا لرأيهم بأن قالوا: بأن الفعل المضارع منصوب على الصرف، لأن الفعل الثاني مخالف للأول، ولما كان مخالفا له، فصارت مخالفته وصرفه عنه ناصبا له[6]. أما البغداديون، فقالوا:" إننا ننصب الجواب على الصرف، كلام فيه إجمال، بعضه صحيح، وبعضه فاسد. أما الصحيح فقولهم «الصرف، أي: ينصرف بالفعل الثاني عن معنى الفعل الأول، وهذا هو معنى قولنا: إن الثاني يخالف الأول. فأما انتصابه بالصرف فخطأ، ولا بد له من ناصب مقتضٍ له؛ لأن المعاني لا تنصب الأفعال، وإنما ترفعها المعاني، والمعنى الذي يرفع الفعل هو وقوع الفعل موقع الاسم. وجاز في الأفعال أن يرفعها المعنى، كما جاز في الاسماء أن

---

[1] عيسى، فارس محمد (1993م): النصب على الخلاف في ضوء نظرية العامل، مجلة مؤته للبحوث والدراسات: مج8، العدد6، جامعة عمان، كلية الآداب، الأردن، ص189.

[2] القوزي، عوض حمد (1981م): المصطلح النحوي ونشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ط1، جامعة الرياض، الناشر عمادة شؤون المكتبات، ص187.

[3] عيسى، مصدر سابق، ص189.

[4] الأنباري، مصدر سابق، 87.

[5] المصدر السابق، ص88.

[6] المصدر السابق، ص75.

يرفعها المعنى، أعني الابتداء، لمضارعة الاسم للفعل، فكما أن المضارعة في الفعل بمنزلة التمكن في الاسم في إيجابهما جنس الإعراب لهما، فكذلك وقوع الفعل موقع الاسم يوجب له الرفع، كما أن ابتداء الاسم يوجب له الرفع، وكما أن الاسماء لا تنتصب إلا بناصب لفظي، فكذلك الأفعال لا تنتصب إلا بناصب لفظي"[1].

وردّ **ابن الأنباري** على الكوفيين بقوله: أن الخلاف لا يصلح أن يكون موجباً للنصب، لان العامل هو نفس الخلاف والصرف[2]، ويقول أن:" الذي أوجب نصب الفعل هاهنا بتقدير «أنْ» هو امتناعه من أن يدخل في حكم الأول"[3]، وهو بذلك يتفق مع البصريين.

فالصرف مصطلح كوفي إلا أنه غير متفق عليه عند جمهور الكوفيين، ومرفوض عند البصريين، فرفض **سيبويه** أن تكون (الواو) هي الناصبة للفعل المضارع، لأنه حرف عطف، وإنما ينصب بتقدير (أنْ) مضمرة بعد الواو، فيقول:" اعلم أنّ الواو ينتصب ما بعدها في غير الواجب من حيث انتَصب ما بعد الفاء، وأنها قد تُشرِك بين الأوّل والآخرِ كما تُشرِك الفاءُ، وأنَّها يُستقبَحَ فيها أن تُشرِك بين الأوّل والآخر كما استُقبح ذلك في الفاء، وأنَّها يجيء ما بعدها مرتفعاً منقطِعا من الأوّل كما جاء ما بعد الفاء. واعلم أنّ الواو وإنْ جرت هذا المجرى فإنَّ معناها ومعنى الفاء مختلفان. ألا ترى الأخطل قال:

لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتي مثلهُ *** عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ [4]

فلو دخلت الفاءُ ههنا لأفْسدتِ المعنى، وإنَّما أراد لا يَجتمعنَّ النهيُ والإتيانُ، فصار تأتي على إضمار أنْ. ومما يدلك أيضاً على أن الفاء ليست كالواو قولك: مررتُ بزيدٍ وعمرٍو، ومررتُ بزيدٍ فعمرٍو، تريد أن تُعْلِم [بالفاء] أنَّ الآخرِ مُرَّ به بعد الأوّل . وتقول: لا تأكلِ السمكَ وتَشربَ اللبنَ، فلو أدخلتَ الفاءَ ههنا فَسد المعنى. وإن شئت جزمتَ على النهي في غير هذا الموضع"[5]. أما **الفراء** فلا يرى النصب بحرف العطف ولا بالإضمار ولكن بالخلاف[6]، أي أن المعطوف به صار مخالفا للمعطوف عليه في المعنى فخالفه في الإعراب، وإنما حصل التخالف ههنا بينهما، لأنه طرأ على

---

[1] ابن جني، مصدر سابق، 275.

[2] الانباري، 2016م، ج2، ص88.

[3] المصدر السابق، ص88.

[4] السكري، أبو سعيد الحسن (1998م): ديوان أبو الاسود الدؤلي، ط2، بيروت: منشورات دار ومكتبة الهلال، ص404.

[5] سيبويه، مصدر سابق، ص41-43.

[6] القوزي، عوض حمد (1981م): المصطلح النحوي ونشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ط1، جامعة الرياض، الناشر عمادة شؤون المكتبات، ص188.

الواو معنى الجمعية، وقولهم في نحو: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، أنه نصب على الصرف بمعنى قولهم: نصب على الخلاف سواء[1]. أما **المبرد** فأبطل مذهب **الجرمي** في أن حرف العطف هو الناصب للفعل[2]، وذهب **ابن جني** إلى أن الفعل المضارع ينصب بعد الواو بـ(أنْ) مضمرة، فيقول:" وأما الواو فإذا كانت بمعنى الجمع والجواب (مجردة من العطف) فإن الفعل أيضاً ينصب بعدها بأن مضمرة تقول لا تأكل السمك وتشرب اللبن أي لا تجمع بينهما (فتنصب). قال الشاعر:

[لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتي مثلهُ *** عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ] [3]

أي لا تجمع بين أن تنهي عن خلق، وأن تأتي مثله، فإن أردت أن تنهاه عن الأكل والشرب على كل حال جزمت فقلت: لا تأكل لا تنه عن خلق وان تأتي مثله، فان أردت أن تناه عن الأكل والشرب على كل حال جزمت فقلت: لا تأكل السمك وتشرب اللبن"[4]، وذهب **الصيمري** إلى أن الفعل المضارع منصوب بالواو بإضمار (انْ)، فيقول:" وأما الواو فتنصبُ الفعل المستقبل بإضمار «أنْ» إذَا أريد به الجمعُ بين الشيئَيْنِ في جواب الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنّي، والنفي، والعَرْض، تقول في الأمْر: زُرْني وأَزُورَك، أَيْ ليَكُنْ مِنْكَ زيارةٌ وأَنْ أَزُورَك، أَيْ ليجتمع هذان. قال الشاعر:

فقلتُ ادْعي وأَدْعُو إنَّ أَنْدَى *** لِصَوتٍ أنْ يُنَادِيَ دَاعِيَان [5]

وتقول في النّهي: لا تأكل السمكَ وتشرب اللّبنَ، أي وأنْ تشرب اللّبن، أَي لا تجمع بينها، قال الله عز وجل: **{وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ }(البقرة–42)** وقال الأخطل:

لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتي مثلهُ *** عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ [6]

أي لا تجمع بين هذين"[7].

أما آراء المحدثين في ذلك، فنجد الدكتور **إبراهيم مصطفى** يميل في القول الى رأي البصريين، إذ يقول:" قد يعترض العامل ما يلغي عمله أو يكفه عنه، وقد يعترضه ما يعلّقه عن العمل فيكون

[1] ابن الحاجب، عثمان بن عمر (1996م): شرح الرضي على الكافية، ط2، بنغازي: دار الكتب الوطنية، ص54.
[2] القوزي، مصدر سابق، ص188.
[3] السكري، مصدر سابق، ص404.
[4] ابن جني، مصدر سابق، ص٩٢.
[5] الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل (2010م): ديوان الأعشى الكبير، ط1، الدوحة: وزارة الأوقاف والفنون والتراث. ص260.
[6] السكري، مصدر سابق، ص 404.
[7] الصيمري، مصدر سابق، ص399.

عاملاً في المحل وليس له من أثر في اللفظ، ..."[1]، ونفهم من النص أن واو المعية قد لا تعمل النصب في الفعل المضارع، وهو بذلك يقترب من رأي البصريين. أما **تمام حسان**، فيقول:" ومن أمثلة المضارع المذكور نحو «لا تأكل السمك و تشرب اللبن»، ومع أن معنى الواو هنا هو نفسه معنى الواو التي في المفعول كما يتشابه المعنى هنا والمعنى هناك أحب النحاة أن يفرقوا بين معنيين متشابهين بسبب الاختلاف في التضام بين الواو وما يتبعها فالذي يضام الواو في المعية اسم منصوب والذي يضام الواو في المصاحبة مضارع منصوب ومن هذا يتضح أن نصب المضارع بعد الواو على المعية من نوع نصب المفعول معه بعد الواو ذاتها"[2]، وهو بذلك يقترب من رأي البصريين.

يتضح لنا أن القول الراجح هو ما ذهب إليه البصريون، لأجماع النحاة عليه، ولكثرة المسموع، وبدلالة (قرينة المخالفة)، فلذلك أن الفعل المضارع بعد (واو) العطف منصوب بـ(أنْ) مضمرة، لان الأصل في (الواو) أن تكون للعطف، والأصل أن لا تعمل، لأنها غير مختصة، ولما قصدوا أن يكون الثاني في غير حكم الأول، وحول المعنى إلى الاسم، فأستحال أن يضم الفعل إلى الاسم، وبذلك وجب تقدير (أنْ) لأنها مع الفعل بمنزلة الاسم، وهي الأصل في عوامل النصب في الفعل.

الخاتمة:

بعد أن يسر الله سبحانه وتعالى لنا لمّ شتات هذا البحث، والإبانة عمّا ورد فيه، وما يمكن استخلاصه من دراستنا هذه، أنه تعد القرائن المعنوية من الآليات التي أعتمدها النحاة القدماء للترجيح بين الآراء النحوية المختلف عليها. وفي ختام بحثنا هذا توصلنا إلى عدة نتائج، وهي كالآتي:

1. بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن القرائن المعنوية تعد من الآليات التي أعتمدها النحاة القدماء للترجيح بين الآراء المختلف عليها.
2. ولاحظنا إن الخلاف النحوي بين البصريين أنفسهم كان أوسع من الخلاف بين البصريين والكوفيين، ويمكن الرجوع في سبب ذلك إلى أن الكسائي والفراء لم يأتي بعدهم من العلماء من له قدرة على تطوير النحو الكوفي، مما أدى إلى بقاء الحال على ما جاء به الكسائي والفراء، وعلى العكس البصريين الذين طوروا نحوهم، وزادوا عليه الكثير من التعليلات والتخريجات حتى أصبح ناضجاً متكاملاً.

[1] مصطفى، مصدر سابق، ص 32.

[2] حسان، مصدر سابق، ص 196.

3. وتبين لنا أن النحاة القدماء قد عرفوا مصطلح القرائن ودرسوه وسجلوه في مصنفاتهم، وأهتموا بجميع القرائن دون استثناء، وليس كما ذهب إليه المحدثون بعدم اهتمامهم بالقرائن الأخرى، واقتصار اهتمامهم على قرينة واحدة إلا وهي قرينة العلامة الإعرابية.

4. أن الدكتور تمام حسان من اللسانين الذين وجهوا مصنفاتهم في نقد النحو العربي القديم، وإعادة وصف اللغة العربية القديمة، ولم يعرف أنه معني بدراسة اللغة العربية المعاصرة، وحل المشكلات التي تواجه الطلبة في دراستها.

5. يمكن عدّ محاولة الدكتور تمام حسان في إيجاد نظرية بديلة لنظرية العامل النحو، وهي (نظرية تضافر القرائن)، وهي محاولة جريئة تحسب له، إلا أنها لا تخلو من العثرات كغيره من الباحثين.

المصادر والمراجع:

1. القران الكريـم.
2. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، القاهرة: دار الفضيلة.
3. عبد الحميد، محمد محيي الدين (1999م): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط1، القاهرة: دار التراث.
4. الاشموني، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد بن محمد بن عيسى (1939م): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط2، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
5. البغدادي، عبد القادر بن عمر (1997م): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط4، القاهرة: مكتبة الخانجي.
6. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (1994م): كتاب المقتضب، ط3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة لجنة إحياء التراث.
7. الجرجاني، عبد القاهر (1982م): المقتصد في شرح الإيضاح، العراق: دار الرشيد للنشر.
8. حسن، عباس (2008م): النحو الوافي، ط15، القاهرة: دار المعارف.
9. الشنتمري، ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (1999م): النكت في تفسير كتاب سيبويه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السعودية.
10. ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر (1984م): تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.
11. المرادي، ابن أم قاسم (2001م): توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي.

12. ياقوت، أحمد سليمان (1994م): ظاهرة الإعراب في النحو العربي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

13. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (1984م): الجمل في النحو، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، عمان: دار الامل.

14. حسان، تمام (2000م): الخلاصة النحوية، ط1، القاهرة: عالم الكتب.

15. النحوي، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج (1996م): الأصول في النحو، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة.

16. النحاس، ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل (2008م): إعراب القرآن، ط2، لبنان: دار المعرفة.

17. ابن جني، أبو الفتح عثمان (1994م): المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، القاهرة: لجنة إحياء التراث الاسلامي.

18. القوزي، عوض حمد (1981م): المصطلح النحوي ونشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ط1، جامعة الرياض، الناشر عمادة شؤون المكتبات.

19. النميري، الراعي (1995م): ديوان الراعي النميري، ط1، بيروت: دار الجيل.

20. المحسن، محمد بن عبد الرحمن: اختيارات ابن بابشاذ النحوية في كتابه (شرح جمل الزجاجي)، الرياض: جامعة القصيم، رسالة ماجستير غير منشورة.

21. السامرائي، فاضل صالح(2000م): الجملة العربية والمعنى، ط1، بيروت: دار ابن حزم.

22. حسان، تمام(1993م): البيان في روائع القران، ط1، القاهرة: عالم الكتب.

23. بن كيسان، أبو الحسن محمد بن أحمد (1975م): الموفقي في النحو، مجلة المورد، مج 4، العدد2، بغداد.

24. سعادة، محمد عبدالله (1985م): القرائن في النحو العربي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، والعربية للبنات، مج2، العدد1، الإسكندرية.

25. ابن الوراق، أبو الحسن محمد بن عبد الله (1999م): علل النحو، ط1، الرياض: مكتبة الرشيد. المملكة العربية السعودية.

26. المخزومي، مهدي (1958م): مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط2، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

27. الفارسي، أبو علي (1969م): الإيضاح العضدي، ط1، الرياض.

28. النحوي، ابن علي بن يعيش: شرح المفصل، القاهرة: أدارة الطباعة المنيرية.

29. ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد: شرح المقدمة المحسبة، الكويت: المطبعة العصرية.

30. الغلاييني، الشيخ مصطفى (2003م): جامع الدروس العربية، القاهرة: المكتبة التوفيقية.

31. عيسى، فارس محمد (1993م): النصب على الخلاف في ضوء نظرية العامل، مجلة مؤته للبحوث والدراسات: مج8، العدد6، جامعة عمان، كلية الآداب، الاردن.

32. ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب.

33. سيبويه، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1988م): الكتاب كتاب سيبويه، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي.

34. الانباري، كمال الدين أبو بركات (2016م): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية.

35. ابن الحاجب، عثمان بن عمر (1996م): شرح الرضي على الكافية، ط2، بنغازي: دار الكتب الوطنية.

36. حسان، تمام (1994م): اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

37. مصطفى، إبراهيم. (2012م): إحياء النحو، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

38. ابن جني، أبو الفتح عثمان (1988م): اللمع في العربية، عمان: دار مجدلاوي للنشر.

39. السكري، أبو سعيد الحسن (1998م): ديوان أبو الاسود الدؤلي، ط2، بيروت: منشورات دار ومكتبة الهلال.

40. الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل (2010م): ديوان الأعشى الكبير، ط1، الدوحة: وزارة الأوقاف والفنون والتراث.

41. الصيمري، أبو محمد عبدالله بن علي بن إسحاق (1982م): التبصرة والتذكرة، ط1، دمشق: دار الفكر.

42. حسان، تمام (2000م): الأصول دراسة أبستمولوجيا للفكر اللغوي عند العرب، القاهرة: عالم الكتب.

43. المخزومي، مهدي (2005م): في النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، بغداد: دار الشؤون الثقافية.

44. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (1983م): معاني القرآن، ط3، بيروت: عالم الكتب.

تلقي شرّاح اللمع لآراء الأخفش الأوسط (ت215هـ) النحوية بين القبول والرفض

The opinions of Alluma's book's explainers (Sharh Alluma) about the grammatical views of Al-Akhfash Al-Awsat between acceptance and rejection (date 215 AH).

كوثر فليح عبد الموسوي

مديرية تربية المثنى، العراق

أ.د. باسم خيري خضير

كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، العراق

Kawthar fleeh Abdel Moussawi

Muthanna Education Directorate, Iraq

mast1.kawtharfleeh@mu.edu.iq

Prof. Dr. Basem Khairy Khudair

Faculty of Education for Human Sciences, University of Al-Muthanna, Iraq

basem.Khairey96@mu.edu.iq

الملخص:

تقدم هذه الدراسة تحليلاً لتلقي شرّاح اللمع لآراء الأخفش الأوسط النحوية ومدى موافقتهم لها ومخالفتها، فلما كانت آراؤه حاضرة بين ثنايا شروحهم فهذا دليل أهيمتها عندهم، فعمدَ البحث لبيان تلقيهم لها، بين الرفض والقبول، فبعد تحليل هذه الآراء يتلخص ختامها في قول الشارح الذي نقلها فيما إذا كان موافقًا أو مخالفًا لها، وتعددت أسباب الرفض لبعض المسائل بين متابعتهم لمذهب خالف رأي الأخفش، أو ذهابهم لتأويل الشواهد التي احتج بها الأخفش لرأيه، فيما وافقوه في مسائل أخرى مؤيدين حجته فيها، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في شرح ووصف تلك الأقوال وبيان مدى قبولهم أو رفضهم للآراء الأخفش، وتوصلنا لمجموعة من النتائج منها: موافقة الشرّاح للأخفش في اغلب المسائل التي لم يخرج بها عن إجماع الجمهور، ويقدم البحث أمثلة من المسائل التي ناقشتها شروح اللمع.

الكلمات المفتاحية: آراء الأخفش، شروح اللمع، القبول، الرفض.

Abstract:

This study presents an analysis of the opinions of Alluma's book's explainers (Sharh Alluma) about the grammatical views of Al-Akhfash Al-Awsat, and the extent of agreement and disagreement regarding them. Then because the opinions of Al-Akhfash Al-Awsat were presented among their explanations, this indicates the importance of these opinions to them. The research showed how they received these opinions either by accepting or rejecting them. After analyzing these opinions, the conclusion is summarized in the saying of the explainer who conveyed them whether he agreed or disagreed with them. Moreover, the reasons for the rejection of some issues were varied between their follow to an ideology that contradicted Al-Akhfash's opinion, or their interpretation of the evidences that Al-Akhfash use as an argument for his opinion. While they agreed with him on other issues as a support for his argument in them. The study depended on the analytical descriptive approach in explaining and describing those sayings and indicating the extent of their acceptance or rejection of Al-Akhfash's opinions. It concluded that the explainers agreed with Al-Akhfash in most of the issues in which his opinion did not differ from that of the majority of scholars. The research provided examples of the issues discussed by the Alluma's explanations book (Shoroh Alluma's book).

Keywords: Al-Akhfash's Opinions, Shoroh Alluma, acceptance, rejection.

المقدمة:

يدور هذا البحث حول مجموعة من المسائل النحوية التي كان للأخفش فيها رأي تناقلته شروح اللمع، فالسؤال ذي يتبادر للأذهان هنا هل تقبّل شرّاح اللمع كل تلك الآراء ووجهات النظر النحوية؟ أو رفضوها؟ وبعد دراسة تلك الآراء ومعرفة وجهة نظر الشارح فيها تبين أن هناك من الشرّاح من رفض رأيه معللًا رفضه بعدم وجود السماع به، أو من ذهب إلى أن إجماع الجمهور يخالفه فلا يمكن موافقة رأي الأخفش في هذه المسألة، وهناك من الشرّاح من وافق مذهب الأخفش في مسائل أخرى أما لأنه احتج برأي الأخفش على ما ينقله حول المسألة النحوية، أو لأن رأيه موافق لرأي جمهور النحاة، أو لقوة الحجة والدليل الذي استدل به الأخفش، فكانت مجموعة من المسائل التي رفضها الشرّاح أو قبلوها مدار الحديث في هذا البحث.

وهذه الدراسة نحوية تحليلية تتناول الآراء الأخفش التي وردت في شروح اللمع وأثرها في الفكر النحوي، وعلى الشرّاح ومدى موافقتها أو محالفتها، وأسباب ذلك، فعمد البحث لتحليل تلك الآراء من خلال آراء النحاة المتقدمين والمتأخرين، ورأي الشارح أيضًا.

وأما المصادر الأساسية التي اعتمدت فهي شروح اللمع، وكتاب معاني القرآن للأخفش، وقد قدمنا لبحث بمدخل يُعرّف بشروح اللمع وشارحيها التي قام عليها البحث، ولم يُذكر تعريف بالأخفش؛ لاستيفاء الدراسات التعريف به؛ كما أن له من الشهرة ما يُغني عن التعريف به في سطور موجزة، لذا كان الجزء الأكبر من البحث في المسائل التي رفضها الشرّاح أو قبلوها، وخُتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها، ونسأل الله التوفيق إنه وليُّ ذلك.

مشكلة البحث:

واجهت البحث بعض المشكلات أثناء الدراسة منها ما يتعلق في صعوبة استقراء كل الأقوال الواردة حول المسألة النحوية التي تُناقش ومن ثُم تحليلها، وكذلك تحليل قول الشارح وهل يؤيد رأي الأخفش أو يعارضه؛ لأنه في أكثر الأحيان لا يصرح بذلك.

أسئلة البحث:

1- كيف استدل الشرّاح بالآراء الأخفش في المسائل النحوية؟
2- هل قبلوا تلك الآراء وما الأسباب التي دعت للقبول؟
3- رفض الرأي وما الأسباب التي دعتهم إلى رفضه؟

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وتم استخدام هذا المنهج على الآراء التي استقيت من شروح اللمع ومن ثم بيّنت تلقي الشرّاح لها.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

1- بيان أثر الآراء الأخفش في شروح اللمع، وأهميتها عند الشارح.
2- تلقي الشراح لتلك الآراء موافقةً ورفضًا.

أهمية البحث:

تكسب الدراسات أهميتها من أهمية الموضوع الذي تعرض له، وبما أن هذا يدور حول آراء الأخفش الأوسط النحوية فهذا يضفي عليه أهمية بالمقام الأول، وكذلك شروح اللمع التي تمثل متن المعتمد وشرّاحها الذين كانوا في مقدمة النحاة في القرن الرابع الهجري إلى القرن السادس الهجري، فآراء الأخفش في شروحهم لها مزية خاصة إذ اهتموا بذكرها وتفصيل القول فيها في أغلب المسائل، وردّها أو قبولها وفق توجههم فاهتمت الدراسة في بيان ذلك.

هيكل البحث:

قسم البحث إلى:

- المبحث الأول: التعريف بشروح اللمع وشارحيها.
- المبحث الثاني: رفض الشرّاح لآراء الأخفش.
- المبحث الثالث: قبول الشرّاح لآراء الأخفش.
- الخاتمة

تمهيد:

إنَّ آراء الأخفش من الآراء البارزة في شروح اللمع، والتي لا يخلو موضوع منها إلا وكان الأخفش قد ذُكر في صفحاته، فكان رأيه مقترنًا برأي أستاذه سيبويه، أو يتميز رأيه عن غيره في مسألة ما؛ لأنه خالف بقية النحاة فيها، وهذا الذي جعل شرّاح اللمع لا يغفلون آراءه، وتعددت طرق إيراد هذه الآراء عند الشرّاح بين قبولٍ للرأي ورفضٍ له، وقبل الخوض في تفاصيل تلقي الشرّاح للآراء الأخفش يأتي التعريف بالشروح المعتمدة، وشارحيها مرتبة حسب وفاة الشرّاح،

المبحث الأول: التعريف بشروح اللمع وشارحيها

أولًا: شرح اللمع للثمانيني: هو عمر بن ثابت أَبو القاسم الثمانينيّ النحويّ الضرير، إِمامٌ فاضلٌ، وأَديبٌ كاملٌ، أخذ عن ابن جني، وكان خواص الناس في ذلك الوقت يقرأون على أبي القاسم عبد الله بن برهان الأَسديّ، وعمومهم يقرأون على الثمانينيّ[1]، لم تذكر المصادر سنة ولادته، أَمَّا وفاته فكانت في سنة اثنين وأَربعين وأَربعمائة، وقد لقب بالثمانينيّ نسبة إِلى سوق ثمانين، بلدة صغيرة في الموصل، ويقال أَنَّها أول مدينة بُنيت بعد الطوفان، بناها الثمانون الذين نجوا في سفينة نوح فَسُمِيتْ بهذا الاسم[2]، له تصانيف منها: شرح كتاب اللمع، والفوائد والقواعد، والمفيد، وكل ذلك في النحو، وشرح التصريف[3].

ثانيًا: شرح اللمع لابن برهان العكبري: عبد الواحد بن علي بن عمر بن إِسحاق بن إِبراهيم بن برهان، ويكنى بأبي القاسم الأسديّ[4]، العكبريّ النحويّ، لغوي، ونحويّ، ونسابة، وإِخباري[5]، كان من العلماء القائمين بعلوم كثيرة، منها النحو واللغة، ومعرفة النسب والحفظ لأَيَّام العرب وأَخبار المتقدمين ، ولـيس له أُنْسٌ شديدٌ بعلم الحديث ولم يروِ شيئاً من الحديث[6]، وقرأ على عبد السلام البصري(ت405هـ) وأَبي الحسن السمسميّ (ت420هـ)، كان أَوَّل الأَمر مُنَجِّماً، ثم صار نحوياً، وكان حنبلياً ثم صار حنفياً[7]، ويحكى عنه أَنَّه كان يقول: " الحمد لله لأَنّي كنت مُنَجِّماً فصرتُ نحوياً وكنت حنبلياً فصرت حنفياً عدلاً[8] "، وتوفي سنة (456هـ)، ومن مؤلفاته: كتاب شرح اللمع.

ثالثًا: شرح اللمع للواسطي: هو القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي الضرير، ويكنى بأَبي نصر النحوي، لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، وإِنَّما ذكرت أَنَّه توفي سنة (469هـ) في مصر، رحل

---

[1] الحموي، ياقوت (1993): معجم الأدباء، تحقيق: د- إحسان عباس، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج5، ص2092.

[2] الحموي، مصدر سابق: ج5، ص2091.

[3] السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (1979): بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، بيروت، دار الفكر، ج2، ص120.

[4] الأنباري، لأبي البركات (1998): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، د-ط، القاهرة، دار الفكر العربي، ص308. القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (1986): إنباه الرواة على إنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، ج2، ص123.

[5] القفطي، مصدر سابق، ج2، ص312.

[6] السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص120. الأنباري، مصدر سابق، ص460.

[7] القفطي، مصدر سابق، ج2، ص210. الأنباري، مصدر سابق، ص308.

[8] الأنباري، مصدر سابق، ص260.

الواسطي إلى بغداد، ولقي فيها أَصحاب أَبي علي، وتنقل في البلاد حتى استوطن في مصر، ومن مصنفاته: كتاب شرح اللمع، وكتاب في النحو رتبه على أبواب الجمل، وشرح من كل باب مسألة[1].

رابعًا: كتاب البيان في شرح اللمع للعلوي: عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أَحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين، العلويّ، الكوفيّ، الزيديّ، ويُكنّى بأَبي البركات[2]، ولد في الكوفة سنة (442هـ)، ورحل إلى الشام، وسمع من جماعة، وأَقام بدمشق وحلب مدَّة، فالتقى بشيخه أَبي القاسم زيد بن علي الفارسيّ، فلزمه، وقرأَ عليه كتاب الإيضاح لأَبي علي، ويُعدُّ العلويّ إماماً من أَئمة النحو واللغة والفقه والقراءات والحديث[3]، وقال فيه السمعاني: "كان خشن العيش، صابراً على الفقر، قانعاً باليسير"[4]، كما قال فيه: "سمعته يقول أنا زيديّ المذهب، لكنّي أفتي على مذهب السلطان، يعني أَبا حنيفة[5]"، توفي الشريف العلوي سنة (539هـ)[6]، ومن مؤلفاته شرح اللمع[7].

خامسًا: شرح اللمع للأصفهاني: هو علي بن الحسين بن علي الضرير النحويّ، الباقوليّ، الأصفهانيّ، المعروف بالجامع أو جامع العلوم، ويكنى بأَبي الحسن[8]، لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، ومصادر علمه، غير أَنَّ السيوطي قال عنه في بغية الوعاة: "قال البيهقي في الوشاح: هو في النحو والإعراب كعبة لها، أَفاضل العصر سدنة، وللفضل بعد خفائه أسوة حسنة"[9]، وتوفي الأصفهانيّ سنة (543هـ)، ومن تصانيفه: شرح اللمع، وشرح الجمل، والجوهر، والمجمل، والاستدراك على أبي علي، والبيان في شواهد القرآن، وعلل القراءات[10]، وكتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في علل القرآن[11].

سادسًا: الغرة في شرح اللمع لابن الدّهان: أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن عبدالله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد وقيل يرجع نسبه إلى الصحابي أبي اليسر كعب بن عمرو

---

[1] الحموي، مصدر سابق، ج5، ص2230. السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص262.
[2] الحموي، مصدر سابق، ج5، ص2062. السيوطي، مصدر سابق، ج5، ص215.
[3] السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص215.
[4] السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص215.
[5] الحموي، مصدر سابق، ج5، ص2062.
[6] السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص215. الحموي، مصدر سابق، ج5، ص2062.
[7] السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص215. الحموي، مصدر سابق، ج5، ص2062.
[8] القفطي، مصدر سابق، ج2، ص247. السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص160.
[9] القفطي، مصدر سابق، ج2، ص247.
[10] السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص160.
[11] الحموي، مصدر سابق، ج4، ص1337.

الأنصاري [1]، ولد بنهر طابق، وكان أصله من بغداد من محلة المقتدية، ويذكر المترجمون أنه انتقل من بغداد إلى أصفهان ثم عاد إلى بغداد واستوطنها زمنًا ثم خرج طالبا دمشق فلما اجتاز الموصل طلبه وزيرها الجواد الأصفهاني وأكرمه وصدره للإقراء والتأليف وبقي فيها حتى وفاته، مؤلفاته شرح الإيضاح والتكملة، شرح اللمع المسمى الغرة، كتاب تفسير القرآن، كتاب النهاية في العروض، كتاب الدروس، وكتاب الفصول، وكتاب الأضداد في اللغة طبع بتحقيق دكتور محمد حسين آل ياسين وغيرها من المصنفات التي ألفها ابن الدهان وتوفي في الموصل سنة (569هـ)[2].

سابعًا: المتبع في شرح اللمع لأبي البقاء العكبري: وهو عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن الحسين العكبري، المعروف بأبي البقاء النحوي الضرير، ولد سنة (538هـ)، وهو من أهل باب الأزج وهي محلة كبيرة تقع شرق بغداد، وأصله من عكبرا، قرأ النحو واللغة والأصول والحساب والخلاف والفرائض، ورُحل إليه من الأقطار، كان أديبًا ذو معرفة بعلوم القرآن والجبر والمقابلة وغوامض العربية، أصيب بالجدري وهو صبي فعُمي، وله مؤلفات منها: إعراب القرآن، وتفسير القرآن الكريم، وإعراب الشواذ من القرآن، والصباح في شرح لإيضاح، والمتبع في رشح اللمع، واللباب في علل البناء والإعراب، وغيرها من المصنفات، توفي سنة (616هـ)[3].

ثامنًا: توجيه اللمع لابن الخباز: أَحمد بن الحسين بن أَحمد بن معالي بن منصور بن علي الشيخ شمس الدين بن الخباز، الإربليّ، الموصليّ، النحويّ، الضرير[4]، كان ابن الخباز علَّامة زمانه في النحو واللغة والفقه والعروض والفرائض، توفي في الموصل سنة سبع وثلاثين وستمائة، ومن مصنفاته: النهاية في النحو، وشرح ابن معطٍ[5]، وشرح اللمع.

وبعد هذا التعريف بشروح المعتمدة وشارحيها انتقل لآراء الأخفش عند شرّاح اللمع في بيان موافقتهم له بالرأي أو مخالفته أوضحه في أمثلة للرفض والقبول:

---

[1] الحموي، مصدر سابق، ج4، ص1337.

[2] ابن الدّهان، سعيد بن المبارك (2011): الغرة في شرح اللمع، تحقيق: فريد عبدالعزيز الزّامل السُّليم، ط1، الرياض، دار التدمرية، ج1، ص12- 25.

[3] الفيروزابادي، محب الدين محمد بن يعقوب (2000): البلغة في تراجم ائمة النحو، تحقيق: محمد المصري، ط1، دمشق، دار سعدالدين للطباعة والنشر، ص168- 169. العكبري، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين (1994): المتبع في شرح اللمع، تحقيق: عبدالحميد حمد محمود الزويّ، ط1، بنغازي، منشورات جامعة قازيونس، ج1، ص36- 37.

[4] السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص304.

[5] السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص304.

المبحث الثاني: رفض شرّاح اللمع لآراء الأخفش

قدمت مسألة رفض الشرّاح لآراء الأخفش؛ لأن أكثر ما صادفني في جمع هذه الآراء وتحليلها في الفصول السابقة هو عدم موافقة الشرّاح على رأي الأخفش، ولذلك عدة أسباب منها متابعتهم لرأي خالفه الأخفش، أو لتشكيكهم بالشاهد والحجة التي اعتمدها، وسأعرض أمثلة لما رفضه الشرّاح من آراء وسبب رفضهم:

أ- جواز إقامة المصدر مقام الفاعل مع حضور المفعول في الكلام: نقل ابن الخباز هذا الرأي بقوله: ذهب قومٌ إلى إجازة أن يقوم المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول في الكلام، محتجين لمذهبهم بقراءة أبي جعفر[1]: {ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون}[الجاثية: 14] دون أن ينسب الرأي[2]، ولكن هذا الرأي للأخفش كما ذكر ابن مالك والرضي[3]، ورفض ابن الخباز هذا الرأي فقال: ((والذي احتجوا به مخرج على غير ما فهموه، أما قوله: {نجي المؤمنين}[4]، فلو كان كما قالوا لكان فعلًا ماضيًا قد أسكنت ياؤه من غير ضرورة، وذلك إنما يجيء في الشعر، وهو محمول على أن الأصل: ننجي، فأبدل النون الثانية جيمًا كما قالوا: إنجاص وإنجانة: إجَّاص، وإجَّانه، وأما قوله: {ليجزي قومًا} [الأنبياء: 88] ففي يجزي ضمير الغفران الذي دل عليه يغفر، وذلك ليس مصدر يجزي، والنزاع إنما وقع في مصدر الفعل المبني للمفعول[5]، ففي قوله هذا يفند ابن الخباز حجة الأخفش فيما ذهب إليه في هذه المسألة، وأما الثمانيني فلم يجز أن يقوم مقام الفاعل إلا المفعول، ولم يذكر في هذه المسألة إلا رأي البصريين[6]، وتابعه بقية شرّاح اللمع في عدم جواز إقامة غير المفعول مقام الفاعل، ويحتج ابن برهان لرفضه هذا الرأي بأن المفعول شريك الفاعل، فالفاعل يُخرج الفعل من العدم إلى الوجود، والمفعول به حافظ لوجوده، وأما العلوي فعلل رفضه بقوله: بأنه هو الذي يقصد بالإخبار عنه فكيف تخبر عن غيره مع القدرة عليه، ثم أضاف

([1]) القيسي، مكي بن أبي طالب (1984): الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج2، ص112 ونسب القراءة بنون واحدة وتشديد الجيم لأبي بكر وابن عامر ومن قرأ بها فقد بنى الفعل للمفعول.

([2]) ابن الخباز، أحمد بن الحسين (2007): توجيه اللمع، تحقيق: فايز زكي محمد دياب، ط2، القاهرة، دار السلام للطباعة، ص132.

[3] ابن مالك، جمال الدين محمد (1977): شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق: عدنان عبدالرحمن الدوري، د- ط، بغداد، مطبعة العاني، ص186. الرضي، محمد بن الحسن (1996): شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: د- يحيى بشير مصري، ط1، الرياض، طباعة الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج1، ص245.

[5] ابن الخباز، مصدر سابق، ص132- 133.

([6]) الثمانيني، أبو القاسم عمر بن ثابت (2010) : شرح اللمع، تحقيق: فتحي علي حسانين، ط1، القاهرة، دار الحرم للتراث، ج1، ص373.

حجة ابن برهان على الرفض، وأما الأصفهاني فلم يجز المسألة دون أن يذكر تعليلًا لرفضه، فيما ذهب أبو البقاء إلى اعتماد حجة ابن برهان والعلوي في رفضه للمسألة [1]، وعليه يكون الشرّاح قد تابعوا المذهب البصري في عدم إجازة أن يقوم مقام الفاعل غير المفعول، محتجين بأن المفعول به شريك الفاعل، وأنه حافظ للفعل فيكون هذا رفضًا لمذهب الأخفش الذي أجاز المسألة.

ب- زيادة الواو: نقل شارحا اللمع ابن برهان العكبري وابن الدهان قول الأخفش في زيادة الواو في باب حروف العطف، ذاكرين حججه على صحة ما ذكره[2]، وقد رد ابن الدهان القول بزيادتها ويظهر ذلك في قوله: ((والتقدير فيه عندهم [3]، فلو قال: التقدير عندنا أو التقدير فيها، لأمكن أن يقال إنه يؤيد زيادتها، ولكنه أغلب ما استعمل في شرحه للمسألة هو الضمير "هم" وهذا يظهر أنه ليس على مذهب الأخفش والكوفيين، ثم بعد ذلك يعلل رفضه بقوله: وهذا جميعه متأوَّل تأويلًا يخرجه عن زيادة الواو[4]، فتابع المذهب البصري الذي نفى أن تكون زائدة وإن كل الشواهد القرآنية والشعرية التي أُحتج بها لزيادة الواو تذهب إلى تأويلها؛ لأن الواو حرف وضع لمعنى فلا يجوز أن يُحكم بزيادتها مخالفة للأصل [5]، وكما رفض أبو البقاء العكبري أن تأتي الواو زائدة، فقال: ((واعلم أن مذهب المحققين أن "الواو" لا تكون زائدة؛ لأن الواو حرف معنى، وحروف المعاني إذا زيدت أوقعت لبسًا [6]، والذي نصل إليه أن ابن الدهان وأبا البقاء قد رفضوا أن تأتي الواو زائدة على رأي الأخفش والكوفيين؛ لأنهم تابعوا المذهب البصري في هذه المسألة.

ت-صلة أي: نقل الثمانيني قول الأخفش في "أي" في قوله تعالى: {قلْ يا أيُّها الكافرون} [الكافرون:1] أنه يقدر الكلام: يا أيُّها القوم الكافرون، فيسميها صلة لأي[7]، كما نقل هذا الرأي عن الأخفش

([1]) ابن برهان العكبري، أبو القاسم عبدالواحد بن علي (1984): شرح اللمع، تحقيق: فائز فارس، ط1، الكويت، السلسلة التراثية 11، ج 1، ص46. العلوي، عمر بن ابراهيم (2002): كتاب البيان في شرح اللمع، تحقيق: علاء الدين حموية، ط1، عمّان، دار عمّار، ص137. الأصفهاني، أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي (1990): شرح اللمع، تحقيق ابراهيم بن محمد أبو عباة، د-ط، الرياض، طباعة إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج1، ص331، والعكبري، مصدر سابق، ج1، ص255.

([2]) ابن برهان، مصدر سابق، ج1، ص245. ابن الدهان، مصدر سابق، ج2، ص875- 876.

([3]) ابن الدهان، مصدر سابق، ج2، ص873.

([4]) المصدر السابق، ج2، ص876- 877.

([5]) الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، د-ط، بيروت، دار الفكر، ج2، ص458- 459.

([6]) العكبري، مصدر سابق، ج2، ص425.

([7]) الثمانيني، مصدر سابق، ج2، ص626.

الواسطي والأصفهاني[1]، وقد ردَّ كلا الشارحين قول الأخفش فالواسطي نقل رد الفارسي على الأخفش وكأنه اكتفى برد مذهب الأخفش بقول الفارسي[2]، وأما الأصفهاني فقد خطّأ الأخفش فقال: إن مذهب أبي الحسن أن "أيّا" موصول وأن الرجل خبر مبتدأ مضمر على تقدير "يا أيها هو الرجل" والجملة صلة ل" أيّ" وهذا خطأ؛ لأن هذا المضمر قط لم يظهر هنا فكيف يكون صلة لأي؟[3]، فالواسطي لم يصرح برفض مذهب الأخفش إنما اكتفى برد الفارسي عليه، وهذا إن دلَّ فيدلُّ على أنه رفض كونها موصولة، أما الأصفهاني فقد صرّح بأنها خطأ وعلل لرأيه في رفضه رأي الأخفش.

ث-ما في التعجب: من الآراء التي نقلها شرّاح اللمع عن الأخفش أنه عدَّ "ما" في "ما أفعله" اسمًا موصولًا بمعنى الذي[4]، وقد خالفه الرأي الواسطي، والعلوي، فالواسطي ذكر أن هذا لا يصلح؛ لأنه لم يظهر في قرآن أو شعر[5]، وعدَّ العلوي رأيه فاسدًا فلا يمكن ان تكون "ما" اسمًا موصولًا؛ لأن الصلة والصفة متخصصان، والتعجب من حقه أن يكون مبهمًا ليدل على التكثير، وعليه تكون "ما" في التعجب اسمًا مبهمًا تامًا[6].

ج- تثنية أجمع: نقل هذه المسألة ابن الدهان في الغرة أن الأخفش أجاز تثنية "أجمع" محتجًا بما سمعه عن العرب في أنهم يثنونها، ولكنه لا يؤيد تثنيتها لأنهم استغنوا عن التثنية بكلا وكلتا[7]، وأما الأصفهاني فلم ينص على رأي الأخفش وإنما ذهب إلى أنها لا تثنى استغناءً بكلا وكلتا كما استغنت العرب بترك عن ودع[8]، فيكون ابن الدهان والأصفهاني قد رفضا تثنية "أجمع"؛ لأنها

([1]) الواسطي، القاسم بن محمد بن مباشر الضرير (2000): شرح اللمع، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص146. الأصفهاني، مصدر سابق، ص622.

([2]) الواسطي، مصدر سابق، ص146.

([3])الأصفهاني، مصدر سابق، ص622.

([4]) الثمانيني، مصدر سابق، ج2، ص717. الواسطي، مصدر سابق، ص178. العلوي، مصدر سابق، ص458. الأصفهاني، مصدر سابق، ص669. العكبري، مصدر سابق، ج2، ص539. العكبري، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين (2009): اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: محمد عثمان، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص143. ابن الخباز، مصدر سابق، ص382.

([5]) الواسطي، مصدر سابق، ص179.

([6]) العلوي، مصدر سابق، ص458.

([7]) ابن الدهان، مصدر سابق، ج2، ص789.

([8]) الأصفهاني، مصدر سابق، ص561.

مخالفة للإجماع فلا سماع يؤيد مذهبه، والقياس إذا عارض السماع لا يعتد به [1]، لذا فالمسألة هنا خالفت الإجماع فرفضها ابن الدهان والأصفهاني.

المبحث الثالث: قبول شرّاح اللمع لآراء الأخفش

يبحث هذا القسم في قبول الشرّاح للآراء الأخفش موافقتهم لما ذهب إليه، وتعددت المسائل التي لا يختلف فيها رأي الشارح عن رأي الأخفش أما لأنهم يرون أن الحجة التي اعتدَّ بها كافية لأثبات رأيه، أو لأنه لم يخالف مذهبًا هم من أتباعه، ولأهمية آراء الأخفش عند النحاة وشرّاح اللمع بالخصوص يظهر مدى حرصهم على إثباتها، وموافقتها في كثير من الأحيان، ومن أمثلة الموافقة على آرائه وقبولها:

أ- الجر بـ"مذ ومنذ": نقل ابن برهان العكبري رأي الأخفش في أن "مذ ومنذ" يُجر بها على لغة أهل الحجاز [2]، ونقل هذا القول أيضًا ابن الدهان [3]، وأما بقية الشرّاح فلم ينقلوا رأي الأخفش في هذه المسألة؛ لأنها لم يختلف فيها القول إذ قد تأتي اسمًا، أو تأتي حرفًا، ولكن ما نقله الأخفش هنا هو لغة أهل الحجاز الذين يجرون بها، وقد كان موقف الشرّاح موافقًا لما نقله الأخفش في أنها تعمل الجر فيما بعدها؛ لأن العرب تستعملهما حرفين او اسمين، وبما أنها مسألة مثّلت إجماعًا فقد وافق الثمانيني قول الأخفش، وكذلك ابن برهان العكبري، والواسطي، والعلوي، والأصفهاني، وابن الدهان، وأبو البقاء العكبري، وابن الخباز [4].

ب- ترك صرف ما ينصرف في الضرورة: نقل ابن برهان العكبري في باب الممنوع من الصرف أن الأخفش أجاز ترك صرف ما ينصرف للضرورة، مستدلًا على ذلك بما ورد من أشعار عن العرب[5]، وقد وافق ابن برهان الأخفش فيما ذهب إليه، وكان مناصرًا لمذهبه فقال: يقال لمن رغب عن مذهب أبي الحسن في إجازته ترك صرف ما ينصرف في الضرورة، إنه جهل مقاييس

---

(1) الشلوبين، أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي (1993): شرح المقدمة الجزولية الكبير، تحقيق: تركي بن سهو بن نزال العتيبي، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج2، ص679.

2 ابن برهان، مصدر سابق، ج1، ص189.

3 ابن الدهان، مصدر سابق، ج2، ص636.

4 الثمانيني، مصدر سابق، ج1، ص220. الواسطي، مصدر سابق، ص97. العلوي، مصدر سابق، ص257-258. الأصفهاني، مصدر سابق، ص519. ابن الدهان، مصدر سابق، ج2،ص 631. العكبري، مصدر سابق، ج1،ص 384. ابن الخباز، مصدر سابق، ص241.

(5) ابن برهان، مصدر سابق، ج2، ص477- 479.

العربية، أو ذهب عن كثرة الرواية به، أو إنه عاند؛ لأن الشعر يضطرك إلى ترك صرفها[1]، فذهب إلى نصرة رأي الأخفش في المسألة لكثرة السماع الوارد فيها.

ت- نقل شرّاح اللمع رأي الأخفش في أن الألف واللام تزاد في بعض المواضع، كما في " الذي، والتي، والرجل "محتجين لمذهبه بالسماع الوارد فيه، وكذلك أنه إذا لا يمكنك أن تدخل ألف ولام أخرى على اللفظة دلَّ على أنها زائدة[2]، وقد وافق الواسطي الأخفش فيما ذهب إليه، فقال: إن من أنواع الألف واللام أن تكون زائدة كما في " أم العمرو" [3]، فهو يؤيد رأي الأخفش في مجيئها زائدة.

ث- منع صرف الاسماء الثلاثية ساكنة الوسط: نقل العلوي أن الأخفش لا يجيز صرف الاسماء الثلاثية ساكنة الوسط بأي حال؛ لأنها اجتمعت فيها علتان تمنعانها من الصرف، وسكون وسطها لا يغير الحكم الثابت فيها[4]، والعلوي هنا موافق لما ذهب إليه الأخفش في عدم صرفها، كما أنه لم يخالف الرأي الآخر الذي جعل الصرف اختيارًا فقال: ((وكل مذهب جيد مأخوذ به؛ لأن العرب تكلمت بالصرف وتركه ألا ترى قول الشاعر: [5] (البيت من المنسرح)

لم تَتلفَّعْ بفضلِ مئزرها *** دعدٌ ولم تُسْقَ دعدُ بالعلبِ

فصرف ولم يصرف في بيت واحد؛ لأنهما جائزان[6]، ومع أن الأخفش منعها من الصرف مطلقًا إلا أن العلوي كان معه في الرأي؛ لأنه قد ورد هذا المذهب عن العرب فيؤخذ به، وأيضًا وافق من صرفها؛ لأنه جائز أيضًا.

ج- رافع الخبر: نقل شرّاح اللمع الواسطي والأصفهاني وأبو البقاء العكبري الأقوال المختلفة في رافع الخبر، ولم ينسبوها، وتابع الأصفهاني وأبو البقاء الرأي القائل بأن رافع الخبر هو الابتداء، فقال الأصفهاني: (الخبر مرفوع عندنا بالابتداء[7]، وقال أبو البقاء العكبري: والصحيح أنه مرفوع

([1]) ابن برهان، مصدر سابق، ج2، ص501.

([2]) الثمانيني، مصدر سابق، ج2، ص876. ابن برهان، مصدر سابق، ج 2، ص580. الواسطي، مصدر سابق، ص231. العلوي، مصدر سابق، ص578. الأصفهاني، مصدر سابق، ص748. العكبري، مصدر سابق، ج2، ص634. ابن الخباز، مصدر سابق، ص487.

([3]) الواسطي، مصدر سابق، ص114.

([4])العلوي، مصدر سابق، ص509.

([5]) جرير، جرير بن عطية الخطفي (1986): ديوان جرير، تحقيق: كرم البستاني، د-ط، بيروت، دار بيروت للطباعة، ص67، وفي الديوان عجز البيت: ولم تُغْذَ دعدُ بالعلبِ.

([6]) العلوي، مصدر سابق، ص509.

([7]) الأصفهاني، مصدر سابق، ص286.

بالابتداء لوجهين: أحدهما: أن الابتداء لما رفع المبتدأ، وجب أن يرفع الخبر؛ لاقتضائه لهما معاً، والآخر: أن المبتدأ اسم جامد فلا يصلح للعمل في الخبر[1]، وقد تبين أن من ذهب إلى أن رافع الخبر هو الابتداء هو الأخفش وبعض النحاة[2]، وقد نصَّ الأخفش على هذا الرأي في "معاني القرآن" وأيده بأنه أقيس الآراء في العامل في الخبر[3]، وعليه يكون الأصفهاني وأبو البقاء العكبري قد وافقا الأخفش في أن رافع الخبر هو الابتداء.

الخاتمة:

من خلال العرض السابق لمسائل الرفض والقبول يمكن القول بأنه لم يقف شرّاح اللمع عند حد نقل آراء الأخفش في شروحهم، وإنما قاموا بدراسة الرأي وفق مذهبهم النحوي، ومدى موافقته له، أو لمذهب الجمهور، أو لرؤيتهم الخاصة للمسألة التي يناقشونها، فكانوا يرفضون بعض الآراء، ويقبلون أخرى معللين القبول والرفض وتتلخص أبرز النتائج بالآتي:

- تمسك الشرّاح بالتعليل في عدم إقامة المصدر مقام الفاعل مع حضور المفعول، فيما أحتج الأخفش لإجازته ذلك بالسماع الوارد فيها.
- رفض شرّاح اللمع لمسألة زيادة الواو؛ لأنهم تابعوا المذهب البصري الذي تأول الشواهد التي احتج بها الأخفش والكوفيون لصحة مذهبهم.
- اكتفى الواسطي بردّ رأي الأخفش في مسألة صلة أي بنقل رد الفارسي على قول الأخفش.
- رفض الواسطي والعلوي قول الأخفش في عدّه "ما" في "ما أفعله" في التعجب اسمًا موصولًا؛ لأنه لم يرد سماع بها.
- الاستغناء ب "كلا وكلتا" عن تثنية " أجمع" يوافقه الأصفهاني وابن الدهان، ورفضا مذهب الأخفش في إجازة تثنيتها والذي احتج له بما سمعه عن العرب.
- اعتداد الأخفش بحجية لغات القبائل العربية واحتجاجه بما سمعه منهم في بعض المسائل تابعه فيه شرّاح اللمع.
- وافق العلوي الأخفش في مسألة " الاسماء الثلاثية ساكنة الوسط " في صرفها ومنعها من الصرف؛ لأن المسألة تجوز بالوجهين فجاز الاختيار في الصرف أو المنع لورود السماع به.

([1]) العكبري، مصدر سابق، ج1، ص229.

([2]) أبو حيان، مصدر سابق، ج3، ص1085

([3]) الأخفش، سعيد بن مسعدة (1990): معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج1، ص9.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الخباز، أحمد بن الحسين (2007): توجيه اللمع، تحقيق: فايز زكي محمد دياب، ط2، القاهرة، دار السلام للطباعة.
- ابن الدّهان، سعيد بن المبارك (2011): الغرة في شرح اللمع، تحقيق: فريد عبدالعزيز الزّامل السُليم، ط1، الرياض، دار التدمرية.
- ابن برهان العكبري، أبو القاسم عبدالواحد بن علي (1984): شرح اللمع، تحقيق: فائز فارس، ط1، الكويت، السلسلة التراثية.
- ابن مالك، جمال الدين محمد (1977): شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق: عدنان عبدالرحمن الدوري، د–ط، بغداد، مطبعة العاني.
- الأخفش، سعيد بن مسعدة (1990): معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج1، ص9.
- الأصفهاني، أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي (1990): شرح اللمع، تحقيق: ابراهيم بن محمد أبو عباة، د–ط، الرياض، طباعة إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، د–ط، بيروت، دار الفكر.
- الأنباري، لأبي البركات (1998): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، د–ط، القاهرة، دار الفكر العربي.
- الثمانيني، أبو القاسم عمر بن ثابت (2010): شرح اللمع، تحقيق: فتحي علي حسانين، ط1، القاهرة، دار الحرم للتراث.
- جرير، جرير بن عطية الخطفي (1986): ديوان جرير، تحقيق: كرم البستاني، د–ط، بيروت، دار بيروت للطباعة.
- الحموي، ياقوت (1993): معجم الأدباء، تحقيق: د– إحسان عباس، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- الرضي، محمد بن الحسن (1996): شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تخقيق: يحيى بشير مصري، ط1، الرياض، طباعة الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (1979): بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، بيروت، دار الفكر.

- الشلوبين، أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي (1993): شرح المقدمة الجزولية الكبير، تحقيق: د- تركي بن سهو بن نزال العتيبي، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- العكبري، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين (1994): المتبع في شرح اللمع، تحقيق: عبدالحميد حمد محمود الزويّ، ط1، بنغازي، منشورات جامعة قازيونس.
- العكبري، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين (2009): اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: محمد عثمان، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
- العلوي، عمر بن ابراهيم (2002): كتاب البيان في شرح اللمع، تحقيق: علاء الدين حموية، ط1، عمّان، دار عمّار.
- الفيروزابادي، محب الدين محمد بن يعقوب (2000): البلغة في تراجم ائمة النحو، تحقيق: محمد المصري، ط1، دمشق، دار سعدالدين للطباعة والنشر.
- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (1986): إنباه الرواة على إنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي.
- القيسي، مكي بن أبي طالب (1984): الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الواسطي، القاسم بن محمد بن مباشر الضرير (2000): شرح اللمع، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي.

مشكلات التربية العملية لطلاب كليات التربية الفيدرالية بنيجيريا

Practical education problems for students of the Federal Colleges of Education in Nigeria

إعداد الباحث: **مختار حمزة آدم:** قسم العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة كردفان، السودان

إشراف: **د. عمر الشفيع أحمد الشفيع:** قسم العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة كردفان، السودان

Prepared by: Mukhtar Hamza Adam: Department of Educational and Psychological Sciences, College of Education, University of Kordofan, Sudan

Supervision: Dr. Omar Al-Shafi` Ahmed Al-Shafi`: Department of Educational and Psychological Sciences, College of Education, University of Kordofan, Sudan

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة واقع برنامج التربية العملية لطلاب كليات التربية الفيدرالية بنيجيريا، من خلال التعرف على المشكلات التي تعوق فاعلية سير هذا البرنامج بصفةٍ جيدةٍ متعلقة بجميع مكونات البرنامج: إدارة الكليات، المشرفين على البرنامج من قبل إدارة الكليات، إدارة مدرسة التدريب، المعلم المتعاون، والطالب المعلم. واعتمدت الدراسة على تحليل نتائج إجابات أفراد العينة المفحوصة من خلال الاستبانة البالغ عددها 202 استبانةً. وأسفرت نتائج الدراسة عن وجود مشكلات ذات علاقة ببعض مكونات البرنامج التي تمنع البرنامج من تحقيق أهدافه المنشودة بفعاليةٍ عاليةٍ؛ وقد قدمت الدراسة في ضوء نتائجها توصيات لتحسين برنامج التربية العملية لطلاب كليات التربية الفيدرالية بنيجيريا.

الكلمات المفتاحية: التربية العملية، اهداف التربية العملية، مجالات التربية العملية، مكونات التربية العملية، التربية والتعليم، التربية الفيدرالية، التعليم في نيجيريا.

Abstract:

This study aimed to know the reality of the practical education program for students of the Federal Colleges of Education in Nigeria (FCE) by identifying the problems that impede the effective functioning of this program in a good way related to all components of the program: the administration of the colleges, the supervisors of the program by the administration of the colleges, the administration of the training school, the cooperating teacher, and the student teacher.The study relied on analyzing the results of the answers of the examined sample members through the questionnaire, which numbered 202 student-teachers. The results of the study revealed that there are problems related to some components of the program that prevent the program from achieving its desired goals effectively. And in light of its results, the study presented recommendations for improving the practical education program for students of the Federal Colleges of Education in Nigeria.

Keywords: practical education, areas of practical education, components of practical education, education, federal education, education in Nigeria

المقدمة:

يمثل المعلم الركيزة الاساسية في عملية التعليم، كان لابد من أن يحظى إعداده بالاهتمام والدراسة؛ لكونه عصب المهنة ومحركها الاساسي، فهو المسؤول الأول عن تحقيق أهداف التربية، وعامل من عوامل تطوير المجتمع وتنميته. (نجم: 2010م: 2)

فالمعلم أساس المنظومة التعليمية، وبمقدار قدرته وكفاءته، تكون فاعلية التعليم، حيث تتضاءل الامكانات المادية والمناهج الدراسية، في غيبة المعلم الكفء (مطر، 2011م: 40)، فهو ذخيرة قوية كبرى؛ ذلك أن تكوين جيل بأكمله، إنما يعتمد اعتمادًا كبيرًا على ما يتصف به ذلك المعلم، من سمات شخصية وتربوية، تعينه على أداء مهنته بنجاح، مما يؤهله للقدرة على إحداث تغيير في سلوك طلابه، وهذه القدرة هي التي تصنع المعلم المتميز، وتجعل دروسه فعالة ذات أثر واضح، وتحقق النتائج المنشودة (العجمي، 2003م: 87)

وتركز عملية الاعداد المهني للتدريس على جانبين متكاملين هما: الجانب النظري، المتعلق بالدراسات النظرية في علوم التربية وعلم النفس، والجانب العملي المتعلق بالتربية العملية، التي تجعل الطالب المعلم في مواجهة مباشرة مع الواقع، وتضعقدراته ومهاراته على محك التجربة، فالتربية العملية فرصة حقيقية للطلبة المعلمين لمعايشة العملية التعليمية، وتدريبهم على مختلف المهارات التدريسية، التي يحتاجونها لتحسين أدائهم (العطاب، 2004م: 611).

وتقوم فلسفة التربية العملية على تعريف الطالب المعلم بحقيقة التدريس من جميع جوانبه، ابتداءً من العرض المنظم للدرس، والطريقة التي تركز على الفهم والاستيعاب، واعتماد التقنيات التي تيسر العملية التعليمية التعلمية. كما أنها تعمل على رفد المجتمع بالكوادر التعليمية المؤهلة وفق أحدث الأساليب والطرائق التربوية العملية، والتنمية المستدامة في كافة المجالات، وهي تتناغم مع رسالة كلية التربية وفلسفتها في تحقيق رؤيتها ورسالتها النفسية التربوية الشاملة.

وكما يهدف برنامج التربية العملية إلى إتاحة الفرصة أمام الطالب المعلم لتطبيق المفاهيم والمبادئ والنظريات التربوية تطبيقًا أدائيًا على نحو معرفي – سلوكي وفي الميدان الحقيقي الذي يتمثل في المدرسة، بشكل يؤدي إلى اكتساب الطالب المعلم للكفايات التربوية التي تتطلبها طبيعة الأدوار المتعددة والمتجددة للمعلم، بحيث يصبح في النهاية قادرًا على ممارسة هذه الكفايات بكفاءة وفاعلية. (عبد الرؤوف، 2008: 23)

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تمثل التربية العملية مختبرًا تربويًا، يطبق فيه الطلبة المعلمون معظم المبادئ والنظريات التربوية، بشكل أدائي وعملي في الميدان الحقيقي لها وهي المدرسة، وبذلك يتحقق الربط بين النظرية والتطبيق. وهنالك صعوبات ومشكلات تعوق هذا البرنامج، تمثلت في عدم مقدرة الطالب المعلم وضعفه في توصيل المواد الدراسية وضعف الامكانيات والأدوات المستخدمة، ومشكلة التقويم التي تواجه المشرفين على هذا البرنامج. ويتم تفعيل هذا البرنامج بالقدر الذي يجعل العمل التعليمي في معاهد المعلمين متطورًا ومواكبًا للآليات التحديث في البلدان العالم المتطورة.

لذلك يمكن صياغة مشكلة هذه الدراسة في السؤال الرئيسي الآتي:

ما مشكلات التربية العملية لطلاب كليات التربية الفيدرالية بنيجيريا؟

وتفرع من هذا السؤال الرئيسي خمس أسئلة فرعية كالاتي:

1) ما المشكلات التي تواجه البرنامج في الجانب الاداري؟
2) ما المشكلات التي تواجه البرنامج المتعلقة بالمشرفين على التربية العملية من قبل الكليات؟
3) ما المشكلات التي تواجه البرنامج التي لها صلة بإدارة مدرسة التدريب؟
4) ما المشكلات التي تواجه البرنامج التي تتعلق بالمعلم المتعاون؟
5) ما المشكلات التي تواجه البرنامج من قبل الطلبة المعلمين؟

أهمية الدراسة:

تتحدد أهمية هذه الدراسة في الآتي:

1) يؤمل أن تكون هذه الدراسة إضافة معرفية على المستوى النظري والتطبيقي في موضوع إعداد المعلمين.
2) قد تساهم هذه الدراسة في حل بعض المشكلات التي تعيق برنامج التربية العملية من تحقيق هدفه المنشود.
3) تسهم هذه الدراسة اسهامًا فعالًا في وزارة التربية والتعليم في تطوير وتعزيز مواطن القوة في البرنامج، وتعديل أوتصحيح مواطن الضعف فيه، واتخاذ القرارات المناسبة المسبقة للمشكلات التي تمثل سلبًا في البرنامج.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

1) التعرف على المشكلات التي تواجه برنامج التربية العملية لطلاب كليات التربية الفيدرالية بنيجيريا.
2) رفع كفاءة الطالب المعلم بدرجةٍ تجعله قادرًا متطورًا ومُعينًا لتحقيق أهداف البرنامج في الواقع.
3) تطوير واقعالبرنامج وتنفيذهفي الكليات بصورة تضمن فاعليتها في المواقف التعليمية.

فروض الدراسة:

اشتملت الدراسة على خمس فرضيات كالاتي:

1) توجد مشكلات للبرنامج في الجانب الاداري.
2) هناك مشكلات للبرنامج التي ترتبط مع المشرفين على البرنامج من قبل الكليات.
3) توجد مشكلات للبرنامج ذات صلة بإدارة مدرسة التدريب.
4) هناك مشكلات على البرنامج التي تتعلق بالمعلم المتعاون.
5) توجد مشكلات في البرناج من قبل الطلبة المعلمين.

حدود الدراسة:

- الحد الزماني: في الفترة ما بين 2020م – 2022م
- الحد المكاني: نيجيريا – كلية التربية الفيدرالية كانو
- الحد الموضوعي: مشكلات التربية العملية لطلاب كليات التربية الفيدرالية بنيجيريا (من وجهة نظر الطلبة المعلمين بالكليات).

مصطلحات الدراسة:

1) **واقع:** يعرفه الباحث إجرائياً بأنه: الوضع الحقيقي لبرنامج التربية العملية لطلاب كلية التربية الفيدرالية كانو.
2) **التربية العملية:** وتعرف التربية العملية والتي يطلق عليها أحيانًا التدريب الميداني بأنها "تدريب على الممارسة الفعلية لمهنة التدريس في المدارس المرحلة التي يعد الطالب المعلم للتدريس بها تحت توجيه وإشراف المسؤولين. (البوهي والمصري، 2018م: 522).

3) **الطلبة المعلمين:** جمع الطالب المعلم، ويسمى أحيانًا (الطالب المتدرب) ويعرفه الباحث إجرائياً بأنه: طالب كلية التربية الفيدرالية (الفرقة الثالثة) والمتوقع تخرجه، ويتم تدريبه على التدريس تحت إشراف وتوجيه المختصين من أعضاء هيئة التدريس بالكلية ومدير مدرسة التدريب والمعلم المتعاون.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

مفهوم التربية العملية:

ثمة تعريفات كثيرة للتربية العملية، وفيما يلي عرض بسيط لبعض هذه التعريفات:

عرفها محمد حسان سعد: (2000م: 24) بأنها مجمل الأنشطة والخبرات التطبيقية التي تنظم في إطار برنامج إعداد المعلمين وتأهيلهم، وتهدف إلى اكساب الطالب الكفايات المسلكية اللازمة التي يحتاج إليها في أداء مهامه التعليمية.

وعرفها اللقاني والجمل: (1999م: 12) بأنها هي فترة من التدريب الموجه، يقضيها الطالب المعلم بالمدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية، والتي يختارها الطالب أو تحددها له الكلية، ويقوم أثنائها بالتدريب على تدريس مادة تخصصه خلال أيام متفرقة طوال العام الدراسي، وأيام متصلة في نهاية العام الدراسي وتتم تحت إشراف تربوي وهي تهدف إلى إتقان المهارات التدريسية بطريقة عملية.

أما مسعود وائل محمد: (2006م: 46) فقد عرفها بأنها هو ذلك الجانب من برنامج إعداد المعلمي التربية الخاصة الذي يتناول الجانب التطبيقي من عملية الاعداد، حيث يتعرض الطالب خلال فترة تدريبه الميداني إلى الاحتكاك والتعامل المباشر مع التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة وإدارة المدرسة والمعلمين وأولياء الأمور وتطبيق المفاهيم النظرية التي قاموا بدراستها في الجامعة.

ويرى الباحث أنه من خلال التعريفات الواردة سابقًا يمكن القول بأن التربية العملية:

- جزء مستقل في برنامج إعداد المعلمين ولا يتجزء منه.

- تعطي الطالب المعلم فرصة إحالة نظرياته ومعارفه التربوية إلى الواقع العملي التطبيقي.

- عملية مشتركة يشترك في القيام بها كلٌّ من الجامعة أو المعهد، المشرف التربوي، مدرسة التدريب، المعلم المتعاون، والطالب المعلم.

- أنها عملية موجهة، يتلقى الطالب المعلم أثناء أدائها التوجيهات والإرشادات من المشرف التربوي والمعلم المتعاون ومدير مدرسة التدريب.

– أنها تستغرق فصلًا دراسيًا واحدًا أو عامًا دراسيًا واحدًا على حسب نظام الجامعة أو المعهد.

– يقوِّم أداء الطالب المعلم في نهايتها ويرفع إلى الجامعة أو المعهد.

أهداف التربية العملية:

أفاد أبو الضبعات: (2009م: 280) أنه ليس المهم صياغة أهداف محددة ومجردة للتربية العملية، ولكن الأهم هو ترجمة هذه الأهداف إلى سلوك وإجراءات يقوم بها المتدرب وبإشراف دقيق من أساتذته أكان ذلك في المعهد أو في الكلية أثناء فترة التهيئة، أو في أثناء التطبيق العملي.

ومن أهداف التربية العملية ما يلي:

- أن يطبق الطالب الأساليب التربوية الحديثة التي اكتسبها أثناء إعداده النظري، وأن يجرب بعض الطرق التربوية الحديثة.
- أن يحضر في كراسته الخاصة الدروس المحددة له أثناء التطبيق بحيث يراعي في إعدادها الأسس السليمة للتحضير، وينفذ الأساليب التي يراها مناسبة للموقف التعليمي.
- أن يحسن التعامل مع الادارة المدرسية والمعلمين ويتفاعل معهم كواحد منهم.

وزادا الخطايبة وبني حمد: (2002م: 16) أن من أهداف التربية العملية أيضًا:

- توطيد العلاقة الاكاديمية والمنهجية بين كليات العلوم التربوية والقطاع التربوي في المناطق المجاورة من خلال المدارس المتعاونة.
- الاسهام في تعزيز توجيهات وزارة التربية والتعليم والمتعلقة بإعداد وتأهيل المعلمين من الناحيتين النظرية والعملية قبل الخدمة وأثناءها.

بينما الأحمد: (2005م: 142 – 143) زاد من أهدافها أيضًا:

- الاسهام بالأنشطة والفعاليات المدرسية المختلفة.
- تعميق معرفة الطالب المعلم بذاته وثقته بنفسه.
- تنمية قدرة الطالب المعلم على النقد، والنقد الذاتي وتقبل آراء الآخرين.

مجالات التربية العملية:

- **الجانب الأكاديمي**

يتم الاعداد التخصصي عن طريق الاعداد السابق للمهنة والأسس التي تقوم عليها برامج الاعداد والتأهيل لتوفير المتطلبات اللازمة للانتساب لمهنة التدريس وهي متعددة ومتنوعة وفقا

للسياسات التربوية في اعداد الخريج بكل دولة والمعايير اللازمة للترشح لمهنة التدريس. (محمود عبد الحليم عبد الكريم: 2013م: 394).

ويبدو أنه يمكن القول بأن الاعداد الاكاديمي أو التخصصي يسعى إلى تمكين الطالب المعلم في مادة تخصصه العلمية، وتدريبه على المطالعة في المصادر والمراجع ذات الصلة بمادة تخصصه العلمي، وكيفية الاستفادة من هذه المصادر والمراجع، وجمع المعلومات منها حتى يكون الطالب المعلم متمكنًا وملمًا بجميع جوانب مادة تخصصه العلمي. وذلك عن طريق المحاضرات التي يتلقاها الطالب المعلم من أساتذة الكلية أو المعهد في مادة تخصصه، والأوراق البحثية التي يقوم الطالب المعلم بإعدادها طوال سنواته الدراسية تحت إشراف أستاذ المادة.

- **الجانب التربوي**

هذا الجانب من جوانب إعداد المعلم يهتم بالناحية التربوية والنفسية ويتعلق بالتدريس كمهنة من حيث أصوله النظرية والعلمية، وتطبيقاته وممارساته العلمية، وكذا تزويد المعلم بالنظريات والأفكار والاتجاهات التربوية. (عفاف عثمان مصطفى: 2014م: 96).

وبالنظر إلى التعريف السابق لإعداد الطالب المعلم في الجانب التربوي يتضح جليًا أنه يسعى إلى تزويد الطالب المعلم بمختلف المعارف والنظريات التربوية، تتمثل في تدريبه على كيفية تحضير الدرس، وصياغة الأهداف التربوية العامة والخاصة، والتعرف على الطرائق التدريس المناسبة في تدريس مادة معينة، وكيفية القيام بإدارة الفصل، ومراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ أثناء أداء الدرس. وذلك عن طريق المحاضرات التي يتلقاها الطالب المعلم من أساتذة الكلية أو المعهد في العلوم التربوية المختلفة، مثل الادارة التربوية وعلم النفس التربوي ومناهج وطرق التدريس وأصول التربية وتقنيات التربوية؛ والأوراق البحثية التي يقوم الطالب المعلم بإعدادها طوال سنواته الدراسية تحت إشراف أساتذة المادة.

ويمكن المساهمة في إعداد الطالب المعلم تربويًا من خلال:

- توجيه وارشاد الطالب المعلم للأهداف التربوية والتعليمية التي ينبغي أن يحققها.
- –إكساب الطالب المعلم معارف ومعلومات عن أبعادالعملية التعليمية.
- تنمية مهارات الشخصية والمهنية للطالب المعلم من خلال الموافق التعليمية المختلفة لتنمية أسلوب تفكيره. (أحمد ماهر أنور وآخرون: 2008م: 204).

- **الجانب الثقافي**

ويعني به الخبرات التي ينبغي أن يكسبها الطالب المعلم في مرحلة إعداده، بهدف تثقيفه ثقافة عامة في شؤون الحياة على وجه العموم، وفيما يخص مجتمعه ونموه المهني على وجه الخصوص. (الفقعاوي: 2011م: 50).

والطالب المعلم لا يستطيع أن ينقل الثقافة أو يسهم في اكتسابها أو يضمن أن يكون تلاميذه مثقفين إلا إذا كان هو شخصيًا مثقفًا. (خفاجة ومحمد: 2008م: 182).

وبالنظر أيضًا إلى التعريف السابق لهذا الجانب أو المجال يمكن القول بأنه يهتم بتزويد الطالب المعلم بالثقافة العامة التي تتيح له التعرف على مختلف العلوم الأخرى خارج مجال تخصصه، حيث يساعده ذلك في نضج شخصيته والقيام بمختلف الأدوار الاجتماعية والتعرف على المشكلات المحيطة ببيئته ليساهم في إيجاد الحلول لها.

ويمكن المساهمة في إعداد الطالب المعلم ثقافيًا من خلال:

- تنمية الاهتمام بالقضايا القومية والتطورات المعاصرة في المجتمع.
- دراسة خصائص المجتمع (المحلي – القومي – العالمي).
- دراسة المشكلات العامة وانعكاساتها على مجال التخصص. (أحمد ماهر أنوروأخرون: 2008م: 197).

- **الجانب الشخصي**

يعد الاعداد الشخصي من الأمور المهمة في مجال إعداد معلم المستقبل، فالمعلم قدوة لتلاميذه وتنعكس شخصيته عليهم، والسمات الشخصية للمعلم تنطبع بدورها على السمات الشخصية لتلاميذه، لذلك يجب على المعلم أن يتحلى بالسمات الشخصية الايجابية. (الفقعاوي: 2011م: 50).

وبالنظر أيضًا إلى التعريف السابق يرى الباحث أن الاعداد الشخصي هو عملية تهيئة شخصية الطالب المعلم ليكون قائدًا تربويًا يتمتع بالسمات والخصائص الشخصية السوية والسلوك المتميز والتوافق النفسي، خاليًا من المشاكل النفسية الداخلية، ما يساهم في نشاطه العلمي الاجتماعي وقدرته على التأثير الجيد على تلاميذه.

مكونات التربية العملية:

- **مكتب التربية العملية في مؤسسة الاعداد (المشرف العام):**

وهو يقوم بمهام متعددة في هذا المجال منها: الاشراف على برامج التربية العملية وخططها ومتابعة المشرفين الاختصاصيين والتنسيق بين مجموعات الطلبة المعلمين والاتصال بالمدارس التطبيقية. (الأحمد: 2005م: 151).

- **المشرف على التربية العملية:**

هو ذلك الشخص الذي تسند إليه مهمة الاشراف على الطلبة المعلمين في أثناء فترة التربية العملية، ويؤدي عمله من خلال الزيارات المدرسية والصفية لملاحظة سلوكهم الشخصي والتعليمي، وكذلك الاجتماع بهم بهدف توجيههم ومساعدتهم على تعزيز جوانب القوة، وتجنب جوانب القصور والضعف فيما يتصل بطرائق التخطيط والتنفيذ والتقويم للتعليم الصفي. (الكثيري: 1406هـ: 4).

ويكون عادة إما عضوًا في هيئة التدريس بمؤسسة الاعداد، ولديه المؤهل العلمي الذي يتناسب بتخصص المجموعة التي أسندت إليه، وإما من خارج المؤسسة شريطة أن يحمل المؤهل العلمي والتربوي والخبرة الكافية لتخويله مهمة الاشراف على التربية العملية. (الأحمد: 2005م: 152).

- **مدير المدرسة التطبيقية:**

يعتبر مدير المدرسة في معظم الحالات القوة الرئيسية التي تقوم بالتخطيط، والتي تقرر وتحدد الأساليب والممارسات التربوية والادارية المستعملة في مدرسته. ومن الممكن أن يكون العامل الاساسي والحاسم الذي يؤدي لنجاح أو فشل العملية التربوية. ونجاح أو فشل المتدربين من الطلاب والمعلمين لأن المدير غير مؤهل علميًا والذي ينقصه الخبرة، قد يحول العملية التربوية في مدرسته إلى مهمة يومية ثقيلة ترهقها القوانين والأحكام والإجراءات الإنضباطية المباشرة السلبية. وفي مثل هذه البيئة من المؤكد أن برامج التربية العملية ستعاني لدرجة قد لا يصل معها الطلاب المتدربون إلى نتيجة محسوسة تذكر، بخصوص تطوير مهاراتهم التدريسية. (نصر الله: 2001م: 45 – 46).

- **المعلم المتعاون:**

هو معلم الصف أو معلم المادة في مدرسة التطبيق، ويقوم بتقديم العون والمساعدة للطالب المعلم والمشاركة في الاشراف عليه بالاضافة إلى مسؤولياته التعليمية والتربوية. وليس كل معلم يصلح لأن يكون معلمًا متعاونًا في مجال التربية العملية؛ بل لا بد من خبرة في مجال عمله ومهارة في العلاقات الانسانية وميول إيجابية نحو التربية العملية ولياقة في مظهره العام يوحي بالثقة والاطمئنان. (الشهراني: 1994م: 75).

- **الطالب المعلم:**

هو الطالب الذي يتعلم في كلية التربية أو معهد إعداد المعلمين الذين سيصبحون في المستقبل بعد إنهاء المتطلبات المهنية التعليمية، معلمين رسميين أكفاء يشاركون في تطوير الأجيال القادمة وتقدمها. وهنا لا بد أن نذكر أهمية المعلم المدرب الذي يكون معلمًا رسميًا في المدرسة، وفي الغالب يكون مؤهلا ولديه الميول والكفاية الوظيفية لتوجيه الطلاب المتدربين والعمل معهم والاشراف عليهم في المدرسة، أثناء القيام بالتطبيق. (نصر الله: 2001م: 52 – 53).

مراحل التربية العملية:

إن الناحية العملية في التعليم، تتكون من قسمين أساسيين هما: المشاهدة والملاحظة من ناحية، والتطبيق الميداني الفعلي في التدريس من ناحية ثانية. وهاتين الناحيتين يجب أن تسيران معًا طوال الفترة الزمنية التعليمية التي يعد فيها الطالب نفسه للتعليم. (نصر الله: 2001م: 36).

المرحلة الأولى: مرحلة المشاهدة والملاحظة

تعتبر هي مرحلة الأولى في عملية التدريب الميداني الفعلية، وفيها يتم إتاحة الفرصة للطالب المتدرب بالتعرف على كل ما يحصل داخل أسوار المدرسة أو المعهد من إجراءات إدارية وتعليمية وأنشطة ومرافق، والتعرف على النظام المتبع وعلى أعضاء هيئة التدريس فيها وأخصائيوا الخدمات المساندة، ويتم كذلك في هذه المرحلة التعرف على أنماط سلوك كل من المعلمين والتلاميذ والعلاقات الوظيفية فيما بينهم وطريقة إعداد المدرسين للخطط التربوية الفردية، والتعرف على التلاميذ من خلال مراجعة سجلاتهم وجمع المعلومات اللازمة عنهم. إن هذه المرحلة تعتبر مرحلة مهمة جدًا بالنسبة للطالب المتدرب حيث يتم خلالها التقليل من عوامل القلق والخوف عنده والشعور بالثقة بالنفس والشعور بالمسؤولية، وتنمي لديه الاتجاهات الايجابية والدافعية نحو العمل ونحو التلاميذ المتخلفين عقليًا. لذا فإن من الضروري الاهتمام بهذه المرحلة والتخطيط لها بشكل جيد حتى تؤتي ثمارها. (مسعود وائل محمد: 2006م: 66 – 67).

المرحلة الثانية: مرحلة التطبيق الميداني الفعلي

أ- مرحلة المشاركة الجزئية في عملية التدريس:

بعد الانتهاء من عملية المشاهدة التي تدرجت بالطالب مما يشاهده داخل أسوار المدرسة، ومرافقها المختلفة والصف، ومما يشاهده من موافق، وما يجب على المعلم القيام به بدءًا من دخوله غرفة الصف وانتهاء الحصة واليوم الدراسي. وتأتي بعد ذلك عملية المشاركة الجزئية في عملية التدريس، ويقوم الطالب المعلم بتنفيذ موقف تعليمي محدد، ومخطط له مسبقًا سواء كان الموقف في

الصف أو خارجه، وينفذ الطالب الدرس تحت إشراف المعلم المتعاون أو المشرف التربوي، وقد يكون تنفيذ جزء من الحصة أو حصة كاملة ثم يكمل المعلم المتعاون باقي الحصة أو اليوم الدراسي، ولا بد أن يعرف الطالب بأن تنفيذ جزء من الحصة لا يعفيه من تحضير كل الحصة. (الخطايبة وبني حمد: 2002م: 93).

ب- مرحلة الانفراد بالتدريس في عملية التدريس:

ويقصد بالانفراد استقلالية الطالب المعلم بمهمة التعليم، وقيادة العملية التربوية في الصفوف الدراسية خلال فترة محددة لعدة أيام أو لعدة أسابيع. وهنا يقوم الطالب المعلم بمهمات معلك الصف كاملة، من حيث تقيده بمواعيد الحصص الدراسية والبرنامج الأسبوعي، وتسلسل الدروس وفق المناهج والخطة المقررة. بالإضافة إلى إدارة الصف ومعالجة مشكلات المتعلمين والتعاون مع الادارة وأولياء المتعلمين وغير ذلك. وهذا كله يتم تقويمه من خلال زيارات المشرف المتكررة للوقوف على مدى تمكن الطالب المعلم من القيام بواجباته المهنية على أكمل وجه، ويتم من خلال ذلك تقديم التوجيهات الموضوعية التي تدفع بالطالب المعلم قدما نحو إتقانه لمهنة التعليم التي رغب فيها، ونذر نفسه للقيام بمهماتها وفق أنجح الطرائق التعليمية وأحدث التقانات التربوية (كنعان، 2001م: 37–39).

مشكلات التربية العملية:

تعد التربية العملية عنصرًا من عناصر العملية التربوية التي تواجه العديد من المشكلات والمعوقات التي تحول دون ممارستها بالصورة المطلوبة. وفيما يرى الباحث يمكن تصنيف هذه المشكلات على النحو التالي:

المشكلات المرتبطة بمؤسسة التدريب (الكلية أو المعهد)

- ضعف قنوات الاتصال بين كليات التربية ومدارس التدريب والمشرفين.
- توزيع الطلاب على مدارس التدريب دون مراعاة لميولهم نحو المدرسة.
- خلو كلية التربية من مدارس تجريبية خاصة بها. (طارق عبد الرؤوف عامر: 2000م: 108).
- قصر فترة التدريب مقارنة بأهميتها.
- التوسع في قبول الطلاب بكليات التربية لا يقابله توسع في الامكانيات البشرية والمادية في كليات التربية. (فتحية درار: 2008م: 15).
- مشكلة اختيار الطلاب للتخصص الرئيسي في بعض الكليات، فالطالب يختار التخصص بناء على رغبته وليس على مستواه الاكاديمي، وينعكس سوء الاختيار هذا على ضعف أدائه للتربية العملية. (نعمات الحسن: 2006م: 210).

المشكلات المرتبطة بالمشرف على التربية العملية:

- ضعف التزام بعض المشرفين بتوقيت الدوام والتأخر عن الحصص الدرسية، بل حتى التغيب عنها أو عن اليوم التطبيقي بأكمله.
- تناقض الآراء والتوجيهات التربوية والتطبيقية بين المشرف على التربية وبين أستاذ الطرائق وأساتذة بقية المقررات، وبخاصة في مجال صوغ الأهداف وتوظيف التقنيات.
- تساهل المشرف في تقويم الطلبة المعلمين أو تشدده أي منحه تقويما متطرفًا. لا يعبر عن حقيقة الأمر ولا عن المستوى الفعلي للطالب المعلم.
- غياب العلاقات الانسانية بين الطلبة المعلمين وبين المشرف في بعض المجموعات مما ينعكس على أداء الطالب المعلم. (الكثيري: 1406هـ: 3).
- بعد المسافات وصعوبة المواصلات.
- وجود بعض العاملين في حقل الاشراف والتوجيه ممن حصلوا على الوظيفة بحكم الأقدمية دون النظر إلى الكفاية. (أحمد إبراهيم أحمد: 1999م: 100).

المشكلات المرتبطة بالمدرسة التدريب:

- قلة التقنيات والوسائل التعليمية التي يحتاجها الطلبة المعلمين في تحضيرهم وتنفيذهم للحصص الدرسية.
- تبرم المدرسة من الطلبة المعلمين وعدم ترحيبها بهم، مما يؤدي إلى توتر في العلاقات التربوية والانسانية.
- عدم توافر الشروط الملائمة في مكان المدرسة وظروفها البيئية والصحية.
- ممارسة بعض مديري المدارس الأسلوب التسلطي والديكتاتوري على المدرسة بشكل عام، وعلى الطلبة المعلمين بشكل خاص.
- عدم توافر المستويات الجيدة من المعلمين المتعاونين وبالتالي قلة انعكاس الفائدة منهم وأحيانًا يترك بعضهم أثرًا سلبيًّا لدى الطالب المعلم (الشهراني: 1994م: 3).
- ضعف إدارات بعض المدارس وتسيبها بحيث لا تستطيع ضبط المتعلمين سلوكيا مما يشجع هؤلاء على إثارة مشاغبات مع الطلبة المعلمين.
- انشغال بعض الإدارات بالأعباء الادارية وانصراف المدير عن الاشراف على الطلبة المعلمين وإهمال متابعتهم اليومية. (علي راشد: 1996م: 182).
- رفض بعض المدارس للمتدربين بحجة أنهم يؤثرون سلبًا على مستوى التلاميذ.
- النقص في معلمي بعض المواد في بعض المدارس يجعل إدارة المدرسة تركز على الطالب المعلم ليس بغرض تدريبه وإنما بغرض حل مشكلة النقص. (قنديل: 1999م: 173).

المشكلات المرتبطة بالمعلم المتعاون:

- المعاملة الجافة للطلاب المعلمين من قبل مدرسي مدارس التربية العملية.
- الضغط على الطالب المعلم لشغل الحصص الإضافية.
- بعض المعلمين المتعاونين يتحينون فرصة تواجد الطلاب المعلمين في المدرسة لقضاء أمورهم الخاصة. (قنديل: 1999م: 173).
- تكليف الطلبة المعلمين من قبل بعض المعلمين المتعاونين بتدريس موضوعات تم تدريسها من قبل مما يجعل المتعلمين لا يشعرون بأهمية الطالب المعلم ولا يتابعونه. (علي راشد: 1996م: 185).

المشكلات المرتبطة بالطالب المعلم:

- ضعف كثير من الطلبة المعلمين في صوغ الأهداف السلوكية.
- عدم تمكن بعض الطلبة المعلمين من تحقيق الإثارة والتهيئة الحافزة للدرس.
- فشل بعض الطلبة المعلمين في مهارة طرح الأسئلة الصفية، وذلك عندما لا يكون السؤال واضحًا ودقيقًا أو عندما تترك الإجابة لجميع المتعلمين حيث تعم الفوضى.
- عدم التقيد بتوقيت الدوام المدرسي والتأخر عن بعض الحصص الدراسية أو حتى التغيب عنها دون إعلام مسبق. (ناصر يونس: 1995م: 59).

الدراسات السابقة"

قامت الباحثة **بتول السر علي محجوب: (2016م).** بإجراء دراسة هدفت إلى التعرف على أهم المشكلات العملية من وجهة نظر طلاب المستوى الرابع بكلية التربية بجامعة الخرطوم، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. كما استخدمت الاستبانة كأداة لجمع المعلومات. وتوصلت هذه الدراسة التي تقدمت بها الباجثة لعدد من النتائج من أهمها: الزمن الذي يستغرقه المشرف مع الطالب المعلم غير كافي؛ عدم توفير الدوريات الحديثة والمتخصصة في برنامج التربية العملية؛ وعدم توفر الامكانات المادية اللازمة لبرنامج التربية العملية.

وأجرى الباحث **محمد أحمد شاهين: (2010م).** دراسة هدفت إلى التعرف على مشكلات التطبيق الميداني التي يواجهها الدارسون في جامعة القدس المفتوحة أثناء فترة التدريب الميداني، وعلاقتها ببعض المتغيرات النوعية(الجنس، التخصص)، والتفاعل بينهما. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. كما استخدمت الاستبانة كأداة لجمع المعلومات. وتوصلت هذه الدراسة التي تقدمت بها الباحث لعدد من النتائج من أهمها أن ترتيب المشكلات التي يواجهها الدارسون أثناء التطبيق الميداني في المجالات الأربعة التي اشتملت عليها أداة الدراسة مرتبة حسب أهميتها من وجهة نظر الدارسين

كالآتي: مجال دور المشرف الاكاديمي، فمجال لمدرسة المتعاونة، ثم مجال خطة التدريس، وأخيرًا مجال الطلبة – المتعاونة.

وأما الباحثة **فاطمة محمد هلال المالكي: (2001م)**. تقدمت بدراسة هدفت إلى الكشف عن أهم الصعوبات التي تواجه الطالب المعلم أثناء التربية العملية. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. كما استخدمت الدراسة الاستبانة واستمارة تقويم أداء الطالب المعلم كأداة لجمع المعلومات. وتوصلت الباحثة لعدد من النتائج من أهمها: دلت نتائج الدراسة على أن أكثر الصعوبات التي تواجه الطالب المعلم ذات الصلة بالمشرف التربوي مثل عدم تنسيق المشرف مع الطالب المعلم موعدًا مسبقًا للزيارة الصفية. ومجموعة من الصعوبات ذات الصلة بإدارة المدرسة المتعاونة مثل: قلة مشاركة الطلبة المعلمين في النشاطات المدرسية. ومجموعة من الصعوبات ذات الصلة بالمعلم المتعاون كان أبرزها: عدم تعاون مع الطالب المعلم.

بينما الباحثة **تقوى يسن الطيب محمد: (2012م)**. أجرت دراسة هدفت إلى الكشف عن فاعلية التربية العملية في إعداد الطالب المعلم. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. كما استخدمت الاستبانة والمقابلة كأداة لجمع المعلومات. وتوصلت الباحثة لعدد من النتائج من أهمها: للتربية العملية فاعلية على أداء الطالب المعلم؛ المشاهدة الصفية الممتدة إلى قبيل نهاية الحصة بزمن وجيز في المدارس التابعة لكليات التربية التي تمارس فيها التربية العملية تتم بدرجة عالية.

كما قام الباحث **حيدر خليفة أحمد الفضل: (2000م)**. بإجراء دراسة هدفت إلى كشف واقع إعداد وتدريب معلمي مرحلة الاساس في كليات التربية في ولاية الخرطوم. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. كما استخدمت هذه الدراسة الاستبانة والمقابلة كأداة لجمع المعلومات. وتوصلت هذه الدراسة التي تقدمت بها الباحث لعدد من النتائج من أهمها: هناك عدم تنسيق بين مؤسسات التدريب وتباين في نظرة المحليات للتدريب وتمويله، وهناك علاقة مباشرة بين محتوى الدراسة بكليات التربية ومنهج مرحلة الاساس.

مناقشة الدراسات السابقة:

أ- أوجه الاتفاق بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية

- **من حيث العنوان:** اتفقت الدراسة الحالية تمامًا مع الدراسات السابقة من حيث العنوان، حيث تناولت كل الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية الكلام عن برنامج التربية العملية للطلبة المعلمين في كليات أو معاهد التربوية. إلا الدراسة الخامسة (دراسة حيدر خليفة أحمد الفضل) فهي أوسع مجالًا من الدراسة الحالية، حيث تناولت واقع إعداد وتدريب المعلمين داخل الكلية وليس برنامج التربية العملية فقط، وبرنامج التربية العملية جزء من عملية إعداد وتدريب المعلمين.

- **من حيث الأهداف:** اتفقت الدراسة الحالية نسبيًا مع جميع الدراسات السابقة من حيث الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، حيث كل الدراسات السابقة والدراسة الحالية تهدف إلى دراسة المشكلات والصعوبات التي تواجه الطلبة المعلمين أثناء فترة التربية العملية في المدارس التطبيق، ومحاولة معالجتها من أجل الارتقاء ببرنامج التربية العملية وزيادة دوره وفاعليته في تكوين معلمي المستقبل.

- **من حيث المنهج:** اتفقت الدراسة الحالية تمامًا مع جميع الدراسات السابقة من حيث المنهج المتبع لإجراء الدراسة، حيث كل الدراسات السابقة والدراسة الحالية اتبعت المنهج الوصفي التحليلي لملائمته.

- **من حيث الأداة:** اتفقت الدراسة الحالية مع جميع الدراسات السابقة من حيث الأداة المستخدمة لجمع المعلومات من عينة الدراسة، حيث كل الدراسات السابقة والدراسة الحالية استخدمت الاستبانة كأداة للدراسة لجمع المعلومات من أفراد عينة الدراسة. ما عدا (دراسة حيدر خليفة أحمد الفضل) و (دراسة تقوى يسن الطيب محمد)؛ فقد اتفقت الدراسة الحالية مع هاتين الدراستين نسبيًا في الأداة المستخدمة لجمع المعلومات، لأن كلا الباحثين في دراستهما استخدما الأداتين: الاستبانة والمقابلة.

- **من حيث العينة:** اتفقت الدراسة الحالية مع جميع الدراسات السابقة من حيث عينة الدراسة، حيث تمثل عينة كل الدراسات السابقة والدراسة الحالية الطلبة المعلمين في كليات أو معاهد التربوية. ما عدا (دراسة حيدر خليفة أحمد الفضل) و (دراسة تقوى يسن الطيب محمد)؛ فقد قاما بمقابلات شخصية مع بعض المشرفين وأساتذة الكليات والمعاهد.

ب- أوجه الاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية

- **من حيث الأهداف:** اختلفت الدراسة الحالية مع بعض الدراسات السابقة في بعض الأهداف الفرعية (كدراسة محمد أحمد شاهين) في أهدافها الفرعية، حيث هدفت دراسته على مفرفة علاقة هذه المشكلات التي تواجه الطلبة المعلمين في برنامج التربية العملية باختلاف الجنس والتخصص. أما الدراسة الحالية فلم تهدف إلى معرفة ذلك. كما اختلفت مع (دراسة تقوى يسن الطيب محمد) في بعض الأهداف الفرعية، حيث تهدف دراستها إلى معرفة دور وفاعلية هذا البرنامج في اكساب الطلبة المعلمين بعض المهارات والكفايات التدريسية اللازمة لمهنة التدريس؛ أما الدراسة الحالية فلم تهدف إلى معرفة ذلك.

- **من حيث المجتمع:** اختلفت الدراسة الحالية تمامًا مع كل الدراسات السابقة من حيث المجتمع، فإن مجتمع الأصلي لهذه الدراسة يتكون من جميع الطلبة المعلمين بكلية التربية الفيدرالية كانو،

ولاية كانو نيجيريا. بينما الدراسة الأولى، والرابعة، والخامسة، تم إجرائها في جمهورية السودان؛ وأما الدراسة الثانية، تم إجرئها في القدس – فلسطين؛ وأما الدراسة الثالثة فقد تم إجرائها في البحرين.

ج- جوانب الاستفادة من الدراسات السابقة للدراسة الحالية:

استفاد الباحث من هذه الدراسات العديد من الأشياء يمكن حصرها في النقاط التالية:

- معرفة العديد من المراجع الحديثة والقديمة ذات الصلة بموضوع الدراسة.
- اختيار منهج الدراسة المناسب.
- اختيار أداة الدراسة المناسبة.
- الاستعانة بها في تصميم الاستبانة.
- معرفة طريقة تحليل النتائج ومناقشتها.

الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يُعنى بدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة للمشكلة، ويتم استخدام ذلك في تحديد نتائج البحث.

مجتمع الدراسة: تكوّن مجتمع الأصلي لهذه الدراسة من جميع الطلبة المعلمين (الفرقة الثالثة) في كليات التربية الفيدرالة بنيجيريا.

وصف عينة الدراسة: تكونت عينة هذه الدراسة من جميع الطلبة المعلمين (الفرقة الثالثة) بقسم اللغة العربية بكلية التربية الفيدرالية كانو – نيجيريا، البالغ عددهم 202 طالبًا وطالبةً، وتم اختيارهم بطريقة منظمة.وقد وقع اختيار الباحث على كلية التربية الفيدرالية كانولاجراء الدراسة الميدانية فيها دون غيرها من الكليات الأخرى في نيجيريا:

- لأنها تعتبر مركزًا تجاريًّا وثقافيًّا مهمًّا يربط كل الولايات الشمالية خاصةً وولايات الجنوبية عامةً بنيجيريا. وهذا يعني أنها تمثل نموذجًا مصغرًا لجميع ولايات نيجيريا.
- معرفة الباحث وإلمامه التام بجميع مناطق المحليات، بحكم ميلاده ونشأته الدائمة بها مما ساعد في إنجاز الدراسة بسهولة ويسر.

تحليل بيانات عينة الدراسة:

بعد جمع كل الإجابات على الاستبانة تحصل الباحث على الآتي:

جدول رقم (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب النوع

م	النوع	التكرار	النسبة المئوية
1	ذكر	70	%34.7
2	أنثى	132	%65.3
المجموع		202	%100

يتضح من الجدول أعلاه أن نسبة الإناث أعلى من نسبة الذكور حيث بلغت نسبتهم 65.3% بينما بلغت نسبة الذكور 34.7% ويرجع سبب أكثرية الإناث على الذكور إلى أن الكثافة العددية للإناث في ولاية كانو ونيجيريا، بل وفي العالم جمعاء تفوق نسبة الكثافة العددية للذكور بكثير. وكذلك معظم الشباب الذكور في ولاية كانو يهتمون بالتجارة أكثر مما يهتمون بالدراسة النظامية.

جدول رقم (2) يوضح توزيع أفراد العينة حسب العمر الزمني

م	العمر	التكرار	النسبة المئوية
1	18 إلى 20	67	%33.2
2	21 إلى 25	96	%47.5
3	26 إلى 30	20	%9.9
4	31 فأكثر	19	%9.4
المجموع		202	%100

يتضح من الجدول أعلاه أن أصحاب الفئة العمرية (21 إلى 25) أعلى من الباقي حيث بلغت نسبة هذه الفئة 47.5%، تلتها الفئة (18 إلى 20) بنسبة 33.2%، والفئة (26 على 30) بنسبة 9.9%، بينما بلغت نسبة الفئة (31 فأكثر) 9.4%. ويرى الباحث أن ارتفاع نسبة الفئة (21 إلى 25) يرجع إلى أن معظم الطلبة المعلمين في هذه الكلية يلتحقون بها وهم في السن 18 من عمرهم، مما يجعل أكثرهم يتخرّجون منها وهم في السن 21 بعد قضاء ثلاث سنوات فيها، وهذه الدراسة أجريت عليهم (الفرقة الثالثة) الذين كانوا على وشك التخرّج من الكلية.

جدول رقم (3) يوضح توزيع أفراد العينة حسب التخصص

م	التخصص	التكرار	النسبة المئوية
1	اللغة العربية / الدراسات الإسلامية	143	%70.8
2	اللغة العربية / الانجليزية	39	%19.3
3	اللغة العربية / الهوسا	20	%9.9
	المجموع	202	%100

يتبين من الجدول أعلاه أن أصحاب تخصص (اللغة العربية/ الدراسات الإسلامية) أعلى نسبة من التخصصات الأخرى حيث وصلت نسبتها إلى 70.8%، بينما بلغت نسبة (اللغة العربية/الإنجليزية) 19.3%، وتخصص (اللغة العربية / الهوسا) 9.9%. ويرجع الباحث سبب كِبَر نسبة تخصص اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى أن الارتباط الوثيق الذي لم يزل موجودًا بين اللغة العربية والدين الاسلامي هو السبب الذي يدفع الطلبة المعلمين في هذا القسم إلى مزاوجة اللغة العربية مع الدراسات الاسلامية في تخصصهم أكثر مما يزاوجون بغيره.

وصف أداة الدراسة: استخدم الباحث الاستبانة نظرًا لسهولة إعدادها ومناسبتها للدراسة، والحصول على المعلومات بسرعة فائقة.

الصدق الظاهري للاستبانة: لمعرفة مدى صدق الاستبانة، قام الباحث بعرض الاستبانة في صورتها الأولية للمشرف على الدراسة فقام ببعض التعديلات، وبعد ذلك تم عرض الاستبانة في صورتها الثانية على مجموعة من المحكمين البالغ عددهم 7 محكمين، وذلك للادلاء بآرائهم حول عبارات الاستبانة.

وتمثلت أغلب آرائهم في تعديل بعض العبارات لتكون أكثر وضوحًا للعينة المفحوصة وحذف بعضها التي لا تفيد الدراسة، وتصحيح التركيب اللغوي لبعض العبارات، واعتمادًا على آراء المحكمين قام الباحث بإجراء التعديلات المناسبة.

كما يمكن إيجاد معامل صدق الاستبانة بعد إيجاد معامل الثبات بسبب وجود ارتباط وثيق بين العاملين (الصدق والثبات في تصميم المقاييس).

ثبات الاستبانة: بعد حساب قيم معامل الثبات لجميع محاور الاستبانة باستخدام معادلة كرونباخ ألفا باستخدام برنامج (SPSS)، بلغت القيمة الكلية للاستبانة ككل (0.726) وهي قيمة مقبولة لأغراض البحث العلمي.

معادلة إيجاد صدق الاستبانة:

الصدق $\forall$ الثبات

لذا؛ بالرجوع إلى قيم معامل الثبات الكلي للاستبانة = 0.726

الصدق = $\sqrt{0.726}$ = 0.852 ، وهذا يشير إلى ارتفاع درجة صدق الاستبانة.

تطبيق الاستبانة: بعد التحقق من ثبات الاستبانة وصدقها الظاهري، تم عرضها على المشرف في صورتها النهائية، وقد وافق عليها، وبعدها قام الباحث بتطبيق الاستبانة على أفراد العينة البالغ عددهم 202.

المعالجة الاحصائية: تم استخدام عدد من الأساليب الإحصائية المناسبة في تحليل البيانات من خلال برنامج الحزمة الاحصائية لمعالجة العلوم الاجتماعية (SPSS) للحصول على نتائج الدراسة. وسبب اختيار الباحث لهذا البرنامج لما يتمتع به البرنامج من امكانات هائلة في معالجة البيانات البحثية وإعطاء نتائج تتسم بالدقة.

تمت المعالجة الاحصائية من خلال الخطوات التالية:

- قام الباحث بفحص البيانات (Data Screening) وتفريغها قبل عملية المعالجة.
- استخدم الباحث اختبار (ت) لعينة واحدة لمعرفة مدى تحقق الفروض العشرة.
- استخدم الباحث معادلة كرونباخ ألفا لمعرفة مدى ثبات الاستبانة.
- تم حساب التكرارات لكل عبارة، حيث وضع وزن لكل إجابة على النحو التالي وفقًا لمقياس ليكارت الثلاثي:

أوافق (3) أوافق إلى حد ما (2) لا أوافق (1)

وقد تم اعتماد التقسيم التالي لتحديد اتجاه العبارة.

(الحد الأعلى للخيارات – الحد الأدنى للخيارات) ÷ على عدد الخيارات.

الحد الأعلى للخيارات= 3

الحد الأدنى للخيارات= 1

لذا (3-1) ÷ 3= 0.66

وبناءً عليه يتم تحديد اتجاه العبارة وفقا للآتي:

1 إلى 1.66= لا أوافق.

1.67 إلى 2.33= أوافق إلى حد ما.

2.34 إلى 3= أوافق.

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها

عرض نتائج الاستبيان في ضوء فروض البحث:

عرض نتيجة الفرض الأول:

جدول رقم (4) يوضح نتائج المحور الأول (مشكلات البرنامج في الجانب الاداري)

م	العبارات	التكرارات			المجموع	المتوسط الحسابي	الاستنتاج
		أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق			
1	لا تخطط إدارة الكلية للبرنامج تخطيطًا مسبقًا	107	27	68	202	2.19	أوافق إلى حد ما
2	لا توفّر إدارة الكلية الاحتياجات اللازمة للبرنامج	79	54	69	202	2.05	أوافق إلى حد ما
3	لا توزّع إدارة الكليةالطلبة المعلمين على المدارس التدريب توزيعًا مناسبًا بالنظر إلى مواقع إقامتهم	24	8	170	202	1.28	لا أوافق
4	تكليف إشراف عددٍ كبيرٍ للطلبة المعلمين على مشرفٍ واحدٍ	169	14	19	202	2.74	أوافق
5	تكليف المشرف للاشراف على التخصصات المختلفة	194	3	5	202	2.94	أوافق

6	عدم متابعة سير البرنامج بصورةٍ منظمةٍ	141	26	35	202	2.52	أوافق

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لعبارات المحور الأول تراوحت ما بين (2.94–1.28). ونجد أن العبارة رقم (3) ومتوسطها الحسابي (1.28) تشير إلى عدم موافقة أفراد العينة حول هذه العبارة، ونلاحظ أن العبارتين رقم (1 و2) ومتوسطهما الحسابي على التوالي (2.19 و2.05) تشير إلى أفراد العينة محايدين لهذين العبارتين وهم يميلون للموافقة حيث أن المتوسطين أعلى من المتوسط الفرضي الذي هو (2). ونجد أن العبارات رقم (4، 5، 6) بلغت متوسطاتهاالحسابية على التوالي (2.74، 2.94، 2.52)، ويشير هذا إلى أن أفراد العينة يوافقون على هذه العبارات وهي الأكثرية في هذا المحور.

مناقشة تبين الفرض الأول:

جدول رقم (5) يوضح مدى تحقق الفرضية الأولى (توجد مشكلات للبرنامجفي الجانب الاداري)

المتغير	عدد العبارات	المتوسط المحكي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
مشكلات في الجانب الاداري	6	2	2.29	0.594	-2.940	5	0.032	الايجابية

يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي المحسوب لجميع العبارات بلغ (2.29)، وهو أعلى من المتوسط المحكي (2)، كما بلغ الانحراف المعياري (0.594)، وقيمة (ت) عند درجة حرية (5) =2.940- وهي دالة عند مستوى (0.032)، مما يعني تحقق فرضية أنه توجد مشكلات للبرنامج في الجانب الاداري.

عرض نتيجة الفرض الثاني:

جدول رقم (6) يوضح نتائج المحور الثاني (مشكلات البرنامج المتعلقة بالمشرفين على التربية العملية من قبل الكليات)

م	العبارات	التكرارات			المجموع	المتوسط الحسابي	الاستنتاج
		أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق			
1	لايعامل المشرف الطلبة المعلمين معاملةً حسنةً	39	34	129	202	1.55	لا أوافق
2	يقوّم المشرف الطلبة المعلمين تقويمًا عشوائيًّا	33	37	132	202	1.51	لا أوافق
3	لا يراعي المشرف الفروق الفردية بين الطلبة المعلمين عند التقويم	79	61	62	202	2.08	أوافق إلى حد ما
4	لايطّلع المشرف الطلبة المعلمين على بنود التقويم قبل تقويمهم	129	11	62	202	2.33	أوافق إلى حد ما
5	لا يعقد المشرف جلسةً مع الطلبة المعلمين بعد التقويم لاطلاعهم على مواطن قوّتهم وضعفهم في التدريس	83	24	95	202	1.94	أوافق إلى حد ما
6	لا يعيد المشرف التقويم لأكثر من مرة للطلبة المعلمين الذين كان أداؤهم ضعيفًا	153	10	39	202	2.56	أوافق

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لعبارات المحور الثاني تراوحت ما بين (2.56–1.51). ونجد أن العبارة رقم (6) ومتوسطها الحسابي (2.56) تشير إلى موافقة أفراد العينة حول هذه العبارة، ونلاحظ أن العبارتين رقم (1 و2) ومتوسطهما الحسابي على التوالي (1.55 و1.51) تشير إلى أفراد العينة لا يوافقون على هذين العبارتين. ونجد أن العبارات رقم (3، 4، 5) بلغت متوسطاتها الحسابية على التوالي (2.08، 2.33، 1.94)، ويشير هذا إلى أن أفراد العينة محايدين حول هذه العبارات وهي الأكثرية في هذا المحور.

مناقشة تبين الفرض الثاني:

جدول رقم (7) يوضح مدى تحقق الفرضية الثانية (هناك مشكلات للبرنامج التي ترتبط مع المشرفين على البرنامج من قبل الكلية)

المتغير	عدد العبارات	المتوسط المحكي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
مشكلات المتعلقة بالمشرفين على التربية العملية من قبل الكلية	6	2	2	0.418	-5.885	5	0.002	الايجابية

يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي المحسوب لجميع العبارات بلغ (2)، وهو مساوٍ للمتوسط المحكي (2)، كما بلغ الانحراف المعياري (0.418)، وقيمة (ت) عند درجة حرية (5) =5.885- وهي دالة عند مستوى (0.002)، مما يعني تحقق فرضية أنه هناك مشكلات للبرنامج التي ترتبط مع المشرفين على البرنامج من قبل الكلية.

عرض نتيجة الفرض الثالث:

جدول رقم (8) يوضح نتائج المحور الثالث (مشكلات البرنامج ذات صلة بإدارة مدرسة التدريب)

م	العبارات	التكرارات			المجموع	المتوسط الحسابي	الاستنتاج
		أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق			
1	لا تثق إدارة مدرسة التدريب بمستوى الطلبة المعلمين العلميّة	18	8	176	202	1.22	لا أوافق
2	لا تتيح إدارة مدرسة التدريب الفرص الكافية للطلبة المعلمين لتدريس التلاميذ	36	11	155	202	1.41	لا أوافق
3	التوزيع العشوائي للمادة العِلميّة التي تختلف مع تخصص الطلبة المعلمين من قبل إدارة مدرسة التدريب	28	14	160	202	1.35	لا أوافق
4	لا توفّر إدارة مدرسة التدريب الوسائل التعليمية اللازمة للطلبة المعلمين	39	19	144	202	1.48	لا أوافق

5	لاتوفّر إدارة مدرسة التدريب المكتب للطلبة المعلمين في المدرسة أثناء ساعات العمل	56	14	132	202	1.62	لا أوافق

يتبين من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لعبارات المحور الثالث تراوحت ما بين (1.62–1.22). ونجد أن متوسطات العبارات كلها تشير إلى عدم موافقة أفراد العينة حول هذه العبارات.

مناقشة تبين الفرض الثالث:

جدول رقم (9) يوضح مدى تحقق الفرضية الثالثة (توجد مشكلات للبرنامج ذات صلة بإدارة مدرسة التدريب)

المتغير	عدد العبارات	المتوسط المحكي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
مشكلات التي لها صلة بإدارة مدرسة التدريب	5	2	1.42	0.149	−23.809	4	0.000	السلبية

يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي المحسوب لجميع العبارات بلغ (1.42)، وهوأقل من المتوسط المحكي (2)، كما بلغ الانحراف المعياري (0.149)، وقيمة (ت) عند درجة حرية (4) =23.809− وهي دالة عند مستوى (0.000)، مما يعني عدم تحقق فرضية أنه توجد مشكلات للبرنامج ذات صلة بإدارة مدرسة التدريب. لأن أغلبية استجابات أفراد العينة المفحوصة في كل عبارات هذه الفرضية تدور على عدم الموافقة على كل المشكلات المقترحة في الجدول السابق.

عرض نتيجة الفرض الرابع:

جدول رقم (10) يوضح نتائج المحور الرابع (مشكلات البرنامج التي تتعلق بالمعلم المتعاون)

م	العبارات	التكرارات			المجموع	المتوسط الحسابي	الاستنتاج
		أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق			
1	النظرة الدونيّة للطلبة المعلمين من قِبل المعلم المتعاون	23	9	170	202	1.27	لا أوافق

2	لا يساعد المعلم المتعاون الطلبة المعلمين في تحضير الدرس بصورةٍ جيدةٍ	61	19	122	202	1.70	أوافق إلى حد ما
3	إعادة تدريس الدرس الذي قام به الطالب المعلم للتلاميذ من قِبل المعلم المتعاون	9	9	184	202	1.13	لا أوافق
4	لا يعقد المعلم المتعاون اللقاء البَعدي مع الطلبة المعلمين لتقويم أدائهم وإبداء أرآئهمواستفساراتهم بعد أداء درس معين	95	23	84	202	2.05	أوافق إلى حد ما

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لعبارات المحور الرابع تراوحت ما بين (2.05–1.13). ونجد أن العبارتين رقم (1 و3) ومتوسطهما الحسابي على التوالي (1.27، 1.13) تشير إلى عدم موافقة أفراد العينة حول هذين العبارتين، ونجد أن العبارتين رقم (2 و4) ومتوسطهما الحسابي على التوالي (1.70، 2.05) تشير إلى أن أفراد العينة محايدين حول هذين العبارتين.

مناقشة تبين الفرض الرابع:

جدول رقم (11) يوضح مدى تحقق الفرضية الرابعة (هناك مشكلات على البرنامج التي تتعلق بالمعلم المتعاون)

المتغير	عدد العبارات	المتوسط المحكي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
مشكلات المتعلقة بالمعلم المتعاون	4	2	1.54	0.419	−6.981	3	0.006	السلبية

يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي المحسوب لجميع العبارات بلغ (1.54)، وهو أقل من المتوسط المحكي (2)، كما بلغ الانحراف المعياري (0.419)، وقيمة (ت) عند درجة حرية (3) =6.981− وهي دالة عند مستوى (0.006)، مما يعني عدم تحقق فرضية أنه ليس هناك مشكلات التي تتعلق بالمعلم المتعاون.

عرض نتيجة الفرض الخامس:

جدول رقم (12) يوضح نتائج المحور الخامس (مشكلات البرنامج من قبل الطلبة المعلمين)

م	العبارات	التكرارات			المجموع	المتوسط الحسابي	الاستنتاج
		أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق			
1	بعض الطلبة المعلمين ليسوا متمكّنين من المادة العِلميّة التَعليميّة التَعلُميّة	112	44	46	202	2.33	أوافق إلى حد ما
2	بعض الطلبة المعلمين ليسواملمّين بطرائق التدريس المناسبة التي توصل المادة العِلميّة إلى التلاميذ	149	33	20	202	2.64	أوافق
3	بعض الطلبة المعلمين يشعرون بالخوف والتوتر أمام التلاميذ وذلك لتجربتهم الحديثة	128	40	34	202	2.47	أوافق
4	التأخير والغياب بدون عذر لطالب التربية العملية	140	29	33	202	2.53	أوافق
5	بعض الطلبة المعلمين لا يعرفون كيفية استخدام الوسائل التعليمية في التدريس	110	48	44	202	2.33	أوافق إلى حد ما
6	بعض الطلبة المعلمين لا يعرفون تصميم وكيفية تحضير الدرس المسبق قبل الدخول إلى غرفة الدراسة	117	39	46	202	2.35	أوافق
7	بعض الطلبة المعلمين لا يشاركون في أنشطة مدرسة التدريب المختلفة	92	28	82	202	2.05	أوافق إلى حد ما
8	ضعف إدارة الطالبِ المعلمِ داخل الفصل	109	42	51	202	2.29	أوافق إلى حد ما
9	بعض الطلبة المعلمين لا يلتزمون بالمظهر الذي يليق بمكانتهم كَمُعلّمين	117	35	50	202	2.33	أوافق إلى حد ما

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لعبارات المحور الخامس تراوحت ما بين (2.64 –2.05). ونلاحظ أن العبارات رقم (1، 5، 7، 8، 9) ومتوسطها الحسابي على التوالي (2.33، 2.33، 2.05، 2.29، 2.33) تشير إلى أفراد العينة محايدين حول هذه العبارات وهم يميلون للموافقة حيث أن المتوسطات أعلى من المتوسط الفرضي الذي هو (2)، وهي الأكثرية في

هذا المحور. ونجد أن العبارات رقم (2، 3، 4، 6) بلغت متوسطاتها الحسابية على التوالي (2.64، 2.47، 2.53، 2.35)، ويشير هذا إلى أن أفراد العينة يوافقون على هذه العبارات.

مناقشة تبين الفرض الخامس:

جدول رقم (13) يوضح مدى تحقق الفرضية الخامسة (توجد مشكلات في البرنامج من قبل الطلبة المعلمين)

المتغير	عدد العبارات	المتوسط المحكي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
مشكلات التي تواجهالطلبة المعلمين	9	2	2.37	0.167	-11.353	8	0.000	الايجابية

يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي المحسوب لجميع العبارات بلغ (2.37)، وهو أعلى من المتوسط المحكي (2)، كما بلغ الانحراف المعياري (0.167)، وقيمة (ت) عند درجة حرية (8) =11.353- وهي دالة عند مستوى (0.000)، مما يعني تحقق فرضية أنه توجد مشكلات في البرنامج من قبل الطلبة المعلمين.

نتائج الدراسة:

1- ضعف التخطيط للبرنامج، وعدم توفر الاحتياجات اللازمة له.
2- تكليف إشراف عدد كبير للطلبة المعلمين على مشرف واحد.
3- ضعف الاهتمام بالتخصص الدقيق لاشراف المشرفين في المواد الاكاديمية.
4- عدم مراعاة الفروق الفردية عند تقويم أداء الطلبة المعلمين.
5- بعض المشرفين لا يطلع الطلبة المعلمين على بنود التقويم قبل التقويم.
6- عدم إعادة التقويم لأكثر من مرة للطلبة المعلمين الضعفاء.
7- ليس هناك مشكلات للبرنامج ذات دلالة احصائية التي تتعلق بإدارة مدرسة التدريب.
8- ضعف التعاون مع الطلبة المعلمين بصورة جيدة، مع قلة عقد الجلسات البعدية معهم.
9- عدم التمكن من المادة العلمية، وقلة معرفة طرائق التدريس المناسبة لإيصال الدرس.
10- الشعور بالخوف والتوتر أثناء مقابلة التلاميذ في الفصل.
11- التأخير والغياب بدون عذر مسبق.
12- عدم المشاركة الفعالة في أنشطة مدرسة التدريب.
13- عدم الالتزام بالمظهر المناسب

التوصيات:

1- يجب القيام بالتخطيط المسبق للبرنامج مع توفير كل الاحتياجات اللازمة له؛ وتحديد العدد المعقول للمشرف عند الاشراف على الطلبة المعلمين وعلى حد تخصصه أو ما يتصل به؛ إضافةً إلى وجوب متابعة سير البرنامج من بدايته إلى نهايته بصورة فعالة من قبل إدارة الكلية.

2- أهمية مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة المعلمين عند التقويم ووجوب اطلاعهم على بنود التقويم ليكونوا على بصيرة؛ مع إلزام عقد المعاينات معهم لإبداء استفساراتهم وآرائهم عن كل ما أشكل عليهم في عملية التعليمية سواء كان داخل الفصل أو خارجه.

3- ضرورة أخذ القرارات الحاسمة على الذين لا يلتزمون بالمظهر الجيد أو يغيبون بدون عذر.

4- تشجيع الطلبة المعلمين بتحفيزهم مع توفير الامكانيات المطلوبة لتنفيذ البرنامج التربية العملية.

المقترحات:

1- إجراء مثل هذه الدراسة من وجهة نظر هيئة التدريس بالكلية.

2- إجراء مثل هذه الدراسة أيضًا من وجهة نظر إدارات مدارس التدريب والمعلمين المتعاونين.

3- إجراء مثل هذه الدراسة في بقية جامعات ولاية كانو ومعاهدها، لمقارنة نتائجها مع نتائج هذه الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأحمد، خالد طه. (2005م). تكوين المعلمين من الاعداد إلى التدريب (الطبعة الثانية). العين, الإمارات: دار الكتاب الجامعي.

2- البوهي، رأفت عبد العزيز والمصري، إبراهيم جابر وماجد، أحمد محمد وعبد الرحيم, منى أحمد. (2018م). أصول التربية المعاصرة. مصر: دار العلم والايمان للنشر والتوزيع.

3- الخطايبة، ماجد محمد و بني حمد علي. (2002م). التربية العملية – الأسس النظرية وتطبيقاتها، عمان, الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

4- الشهراني، عامر عبد الله. (1994م). مرشد الطالب المعلم في التربية العملية. جدة, السعودية: مطابع دار البلاد.

5- اللقاني، أحمد حسن والجمل, علي. (1999م). معجم مصطلحات التربوية المعرفية في المناهج وطرق التدريس (الطبعة الثانية). القاهرة: عالم الكتاب.

6- أبو الضبعات، زكريا إسماعيل. (2009م). إعداد وتأهيل المعلمين، الأسس التربوية والنفسية (الطبعة الأولى). عمان: دار الفكر ناشرون وموزعون.

7- أحمد، إبراهيم أحمد. (1999م). الاشراف المدرسي والعيادي. القاهرة: دار الفكر العربي.

8- حسن، أحمد ماهر أنور وعبد المجيد, علي وأنور, إيمان أحمد ماهر. (2008م). التدريس في التربية الرياضية (الطبعة الأولى). القاهرة, مصر: دار الفكر العربي.

9- خفاجة، ميرفت علي و محمد، مصطفى السايح. (2008م). المدخل إلى طرائق تدريس التربية الرياضية. مصر: دار الوفاء.

10- راشد، علي. (1996م). اختيار المعلم وإعداده مع دليل التربية العملية. القاهرة: دار الفكر العربي.

11- سعد، محمد حسان. (2000م). التربية العملية بين النظرية والتطبيق (الطبعة الأولى). عمان: دار الفكر.

12- عامر، طارق عبد الرؤوف. (2000م). التربية العملية. القاهرة: دار الحساب للنشر والتوزيع.

13- عبد الكريم، محمود عبد الحليم. (2013م). منظومة الرياضية المدرسية (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الفكر العربي.

14- عثمان، عفاف عثمان مصطفى. (2014م). استراتيجيات التدريس الفعال. الإسكندرية: دار الوفاء.

15- قنديل، ياسين عبد الرحمن. (1999م). التدريس وإعداد المعلم. الرياض: دار النشر الدولي.

16- محمد، مسعود وائل. (2006م). التدريب الميداني: لطلاب التربية الخاصة في مسار التخلف العقلي (الطبعة الأولى). الرياض: دار الزهراء للنشر والتوزيع.

17- نصر الله، عمر عبد الرحيم. (2001م). أساسيات في التربية العملية (الطبعة الأولى). عمان: دار وائل للطباعة والنشر.

18- يونس، ناصر. (1995م). تدريب المعلم. دمشق: منشورات جامعة دمشق.

المجلات والأطروحات الجامعية

1- العجمي، مها بنت محمد. (2003م). اتجاهات طالبات كلية التربية للبنات بالإحساء نحو مهنة التدريس. مجلة كلية التربية. جامعة عين الشمس. العدد (27)، الجزء (2).

2- العطاب، نادية. (2004م). فاعلية برنامج تعليمي للتربية العملية في أداء الطالب المدرس للمهارات التدريسية واتجاهاته نحو مهنة التدريس. المؤتمر العالمي السادس عشر"تكوين المعلم". جامعة عين الشمس: دار الضيافة. 21 – 22 يوليو – 2004.

3- الفضل، حيدر خليفة أحمد. (2000م). واقع إعداد وتدريب معلمي مرحلة الاساس في كليات التربية في ولاية الخرطوم. رسالة ماجستير. الخرطوم: جامعة الدول العربية.

4- الفقعاوي، أحلام محمد إبراهيم. (2011م). تقويم برامج التربية العملية لإعداد المعلم التعليم الاساسي بكليات التربية في جامعات قطاع غزة، رسالة ماجستير. غزة, فلسطين.

5- الكثيري، راشد أحمد. (1406هـ). دور مشرف الكلية في التربية الميدانية من وجهة نظر الطالب المتدرب، كلية التربية. جامعة الملك السعود. الرياض.

6- المالكي، فاطمة محمد هلال. (2001م). الصعوبات التي تواجه الطالب المعلم في التربية العملية بدولة البحرين، ودور تعدد زيارات المشرف التربويفي تذليلها. رسالة دكتوراه. جامعة البحرين.

7- درار، فتحية عبد الحليم. (2008م). التربية العملية بكلية التربية جامعة أم درمان الإسلامية. ورقة عمل 2007 – 2008.

8- شاهين، محمد أحمد. (2010م). مشكلات التطبيق الميداني لمقرر التربية العملية في جامعة القدس المفتوحة من وجهة نظر الدارسين، رسالة دكتوراه. جامعة القدس المفتوحة, فلسطين.

9- عثمان، نعمات الحسن محمد. (2006م). تقويم برنامج التربية العملية بكليات التربية في الجامعات السودانية. جامعة الخرطوم، كلية التربية.

10- كنعان, أحمد. (2011م). التربية العملية (دليل المشرف والطالب). دمشق: منشورات جامعة دمشق.

11- محجوب، بتول السر علي. (2016م). مشكلات التربية العملية من وجهة طلاب المستوى الرابع، بكلية التربية بجامعة الخرطوم. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية, جامعة أفريقيا العالمية. الخرطوم.

12- محمد، تقوى يسن الطيب. (2012م). فاعلية التربية العملية في إعداد الطالب المعلم، (دراسة تحليلية تقويمية في كليات التربية بولاية الخرطوم)، رسالة ماجستير. جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم.

13- مطر، ماجد محمود. (2010م). مستوى أداء الطلبة المعلمين في مهارات تدريس النحو بكلية التربية بجامعة الأقصى بغزة وعلاقته ببعض المتغيرات. مجلة القراءة والمعرفة. مصر: العدد 104.

14- نجم، منال إبراهيم. (2010م). فاعلية برنامج محوسب في تنمية مهارات التربية العملية لدى طلبة قسم الدراسات الاسلامية في جامعة الأزهر بغزة. جامعة الأزهر, رسالة ماجستير غير منشورة.

أثر استخدام تصميم التعليم في فاعلية التدريس وزيادة التحصيل الدراسي بالمرحلة الثانوية

The effect of using instructional design on teaching effectiveness and increasing academic achievement at the secondary stage

إعداد: **د. يس بابكر أحمد فضل الله:** أستاذ تقنيات التعليم المشارك، جامعة السودان المفتوحة، السودان

Prepared by: **Dr. Yassin Babiker Ahmed Fadlallah**: Associate Professor of Educational Techniques, Sudan Open University, Sudan

المستخلص:

هدفت الدراسة للكشف عن أثر استخدام تصميم التعليم في فاعلية التدريس وزيادة التحصيل الدراسي بالمرحلة الثانوية، من خلال تطبيقه على مادة التربية الرياضية لطلبة الصف الثاني الثانوي. أُستخدم المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التجريبي باعتبارهما الأنسب للدراسة، مثل مجتمع الدراسة معلمي ومعلمات مادة التربية الرياضية بمحلية كرري والبالغ عددهم 61 معلم ومعلمة تم اختيار عينة عشوائية قوامها 32 معلم ومعلمة تم تقديم الاستبانة أداة أولى حيث تكونت من محور واحد احتوى على 15 عبارة، أما مجتمع الدراسة من الطلبة فمثلهم طلبة الصف الثاني بالمحلية، تم اختيار عينة تجريبية وضابطة قوام كل منهما 25 طالب، وأداة الدراسة لعينة الطلبة الاختبارات التحصيلية، البيانات التي تم جمعها، أُستخدم برنامج التحليل الإحصائي spss لتحليلها، و كانت أهم النتائج أن لتصميم التعليم دور فاعل في التدريس لمعلمي المادة، كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بعد الامتحان البعدي لصالح العينة التجريبية وأوصت الدراسة بتأهيل وتدريب المعلمين على تصميم المواد الدراسية.

الكلمات المفتاحية: تصميم التعليم، فاعلية التدريس، التحصيل الدراسي، المرحلة الثانوية.

Abstract

The study aimed to reveal the impact of the use of instructional design on the effectiveness of teaching and the increase in academic achievement at the secondary stage, by applying it to the physical education subject for second year secondary students. The descriptive analytical approach and the experimental method were used as the most appropriate for the study, such as the study population of physical education teachers in Karary locality, which numbered 61 teachers. A random sample of 32 teachers was selected. The study consisted of students, like them are second-grade students in the locality. An experimental and a control sample of 25 students was selected, and the study tool for the sample students was achievement tests. The data collected from the two study samples was analyzed using the Statistical Package for Social Sciences SPSS analysis program, and the most important results were that the instructional design has an active role in the teaching of the subject teachers, and there are statistically significant differences at the level of 0.05 after the post-exam in favor of the experimental sample.

Keywords: instructional design, teaching effectiveness, academic achievement, secondary stage.

أولاً: الإطار المنهجي للدراسة

المقدمة:

يعد التعليم عملية هادفة شأنها شأن سلوك البشر، ويسعى الإنسان إلى تطور ذاته وبيئته لاكتساب نتائج مرغوب فيها يود الوصول إليها، ونتيجة للتطور المتسارع في العملية التعليمية تم استخدام وسائل وطرق تدريس لتواكب العصر وتطوراته التقنية والعلمية. ويرجع ذلك لتسابق المجتمعات عليها. ويقاس تطور الشعوب بمستوى تعليم أفراده وتعاملهم مع الأساليب التعليمية المتطورة.

وتعد تقنية التصميم التعليمى من الأساليب الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين في مجال التربية وهو يعتبر جزء من تكنولوجيا التعليم حيث تطور نتيجة لتأثره بنتائج البحوث والدراسات في المجالات التربوية، والحاجة إليها في مجال تطوير التدريس وزيادة التحصيل للمتعلمين وظهور البرامج التعليمية المختلفة خاصة في مجال تصميم المادة باستخدام البرامج والتقنيات الحديثة والتي بدورها تعمل على إيصال المادة التعليمية للمتعلم، وتحسين الأنشطة التعليمية، وجعلها أكثر فاعلية وصولاً لأفضل الطرق التدريسية حيث يتم وضعها في أشكال وخرائط تدريسية تعتبر دليلاً للمعلم أثناء عملية التدريس لتحقيق الأهداف التعليمية المتوقعة من خلال استخدام مهارات تحليل، وتنظيم، وتطبيق، وإدارة، وتقويم التعليم لتزود المادة التعليمية للمنهج المعد للمتعلمين من خلال تصميمها في شكل نماذج مصغرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوسائل التعليمية، والأشكال الهندسية، التي يدخلها المصمم على المادة الأكاديمية للوصول إلى اكتساب المتعلم للخبرات، وإحداث تغيير في سلوكه وأدائه، ومن ثم تحقق الأهداف التعليمية وإحداث زيادة في التحصيل الدراسي للمتعلم.

ومن خلال هذه الدراسة التي تبحث عن الأثر الذي يحدثه تصميم التعليم في تطوير طرائق التدريس لإكساب الخبرات، والمهارات التعليمية، وزيادة التحصيل الدراسي بتطبيقها على مقرر التربية الرياضية بالصف الثاني الثانوي بجمهورية السودان، حيث تعد المادة من المواد التي تعمل على تنمية الفرد وتكيفه جسمياً، وعقلياً، واجتماعياً، ووجدانياً من خلال منهجها الذي له كبير الأثر باعتباره مادة تعالج الجوانب التربوية، ولها تأثير مباشر على جميع المواد الأكاديمية.

مشكلة الدراسة:

تصميم التعليم اسلوب وتقنية يبحث في وصف أفضل الطرق التدريسية والتي تحقق نتائج تحصيلية وفق شروط معينة تعمل على معالجة المادة الأكاديمية من خلال مناهج المرحلة الثانوية بصفة عامة ومادة التربية الرياضية بصفة خاصة وتتمثل مشكلة الدراسة في إيجاد إجابة علميه

للتساؤل الرئيس ما أثر استخدام تصميم التعليم في فاعلية التدريس وزيادة التحصيل الدراسي بالمرحلة الثانوية؟

أهمية الدراسة:

تتمثل في الآتي:

- قد يستفيد من الإطار المفاهيمي الوارد في الإطار النظري طلبة الدراسات العليا في هذا المجال.
- قد يساعد في إنجاح العملية التدريسية لمادة التربية الرياضية.
- قد تفيد الإدارات التعليمية في تطبيق تقنية تصميم التعليم على جميع المناهج الدراسية.
- قد تساعد في رفع مستوى التحصيل الدراسي للطلاب في المستويات المختلفة.
- قد تفيد الدراسة في رفع القدرات المهنية والتدريسية للمعلمين.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة للكشف عن أثر استخدام تصميم التعليم في فاعلية التدريس وزيادة التحصيل الدراسي بالمرحلة الثانوية. وتتفرع منه:

- الوقوف على أثر تصميم التعليم في فاعلية التدريس بالمرحلة الثانوية.
- الوقوف على الفروق التحصيلية بين المجموعتين الضابطة والتجريبية بعد الاختبار القبلي.
- الكشف عن الفرق التحصيلية بين المجموعتين الضابطة والتجريبية بعد الامتحان البعدي.
- التعرف على الفروق التحصيلية للمجموعة التجريبية قبل وبعد الامتحان البعدي.

تساؤلات الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس ما أثر استخدام تصميم التعليم في فاعلية التدريس وزيادة التحصيل الدراسي بالمرحلة الثانوية؟ وتتفرع منه الأسئلة الآتية:

- ما أثر تصميم التعليم في فاعلية التدريس بالمرحلة الثانوية؟
- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين المجموعتين الضابطة والتجريبية بعد الامتحان القبلي؟

- هل هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين المجموعتين الضابطة والتجريبية بعد الامتحان البعدي؟
- هل هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 على مستوى المجموعة التجريبية قبل وبعد الامتحان البعدي؟

حدود الدراسة:

- حدود موضوعية: (أثر تصميم التعليم في فاعلية التدريس وزيادة التحصيل الدراسي بالمرحلة الثانوية).
- حدود مكانية: ولاية الخرطوم – محلية كرري.
- حدود زمنية: العام الدراسي 2021–2022م.
- حدود بشرية: معلمي مادة التربية الرياضية، طلبة الصف الثانى الثانوى.

مصطلحات الدراسة:

- **تصميم التعليم** يعرف اصطلاحاً بأنه (العلم الذي يبحث في إيجاد أفضل الطرق المرغوب فيها ثم تصوير هذه الطرق في أشكال وخرائط معينة، وتعد دليلاً لواضع المناهج السير عليه في أثناء عملية تصميم المناهج وأثناء عملية التعليم (الحيلة، 1995، ص50) ويعرفه الباحث إجرائياً بأنه الطريقة العلمية المخطط لها بإستخدام عناصر بيئة المتعلم وباختيار الوسائط والأساليب التعليمية الملائمة لإحداث تغيرات سلوكية واكتساب خبرات، ومهارات تعليمية لتحقيق أهداف وشروط محددة.
- **التدريس** اصطلاحاً هو تلك الإجراءات التي يقوم بها المعلم مع طلبته لإنجاز مهام معينة أو لتحقيق أهداف سبق تحديها (محمد، 2004م، ص11) ويعرفه الباحث إجرائياً كل إجراءات التدريس التي يقوم بها معلم المواد الدراسية بإستخدام اسلوب التصميم التعليمى.
- **التحصيل الدراسي** اصطلاحاً هو درجة الاكتساب التي يحققها المتعلم أو مستوى النجاح الذي يحرزه أو يصل إليه في مادة دراسية أو مجال تعليمي (غنيم، 2003، ص39) ويعرفه الباحث إجرائياً بأنه مستوى محدد اللانجاز المدرسي يقاس من قبل المعلم بعد امتحان تربوي في مادة أكاديمية من خلال موقف تعليمي داخل حجرة الدراسة.

- **المرحلة الثانوية** اصطلاحاً هي المرحلة التي تبدأ بانتهاء التعليم الأساسي وهى ثلاثة أعوام تنتهي بمرحلة التعليم العالي (جعفر، 1424هـ، ص16) وتعرف إجرائياً بأنها مرحلة تعليمية يتم القبول لها بعد اجتياز الطالب امتحان مرحلة تعليم الأساس بنجاح في جمهورية السودان.

- **الأثر** اصطلاحاً يقصد به النتيجة الحتمية الواضحة من خلال تطبيق المادة التعليمية (باترس، 1980، ص12) ويعرفه الباحث إجرائياً بأنه النتيجة الواضحة التي يتحصل عليها طالب المرحلة الثانوية بعد تطبيق المادة المصممة تعليمياً.

- **الاستخدام** يعرفه الباحث إجرائياً هو الاستعمال الأمثل لتقنية تصميم التعليم أو لطريقة تربوية لتحقيق أهداف تم التخطيط لها مسبقاً.

- **الفاعلية** يعرفها الباحث إجرائياً هي القدرة على تحقيق النتيجة المقصودة وفق معايير تصميم التعليم لتحقيق أهداف تدريس المادة لبلوغ النتائج الأكاديمية المحددة.

ثانياً: الإطار النظري والدراسات السابقة:

1) تصميم التعليم:

(أ) مفهوم تصميم التعليم:

لقد أثيرت العديد من التساؤلات حول مفهوم تصميم التعليم هل هو حركة ذات أبعاد مركبة لها مهام محددة أم أنه " طريقة للتدريس " أم أنه مجموعة وسائل وأساليب لتطوير العملية التعليمية ويطلق تصميم التعليم على عمليات الوصف والتحليل التي تتم لمطلوبات التعلم وهي عملية منطقية تتناول الإجراءات اللازمة لتنظيم التعلم وتطوره، وتنفيذه، وتقويمه بما يتفق والخصائص الإدراكية للمتعلم (من الله، 2008م).

ويعرف (قطامى وآخرون، 2003، ص11) تصميم التعليم بأنه نظرية تدريس منهجية نظامية تتكيف مع المحتوى التعليمي المراد تعلمه، وتسعى إلى تحقيق تعلم أكثر كفاءة وأكثر فاعلية للمتعلمين من خلال عرض معلومات كافية لهم، ليتمكنوا من حل مشكلاتهم المكتشفة بطريقتهم الخاصة. ومما تقدم فإن للتصميم التعليمي أهمية في العملية التعليمية من خلال تصميم المادة والتي يعمل المعلم على تنفيذها على المتعلمين، من خلال العناصر المكونة له، وخطوات، ونظريات تعليمية يتم من خلالها تنفيذه.

(ب) أهمية تصميم التعليم:

يعد التصميم من الوسائط التعليمية الحديثة وتتمثل أهميتها كما أشار إليها (سالم وسرايا، 2003) في الآتي:

- يوجه النظر إلى أهمية وضع الأهداف التعليمية حيث تعد من الخطوات الأولي في تصميم التعليم، وهذه الخطوات تعمل على تحديد الأهداف الرئيسية والثانوية، والأهداف التطبيقية وهذه بدورها توضح المطلوب من المادة المصممة.

- يزيد من رفع كفاءة المعلم في تعليم المادة التعليمية حيث أن التصميم المسبق للمادة يكشف عن المشكلات والصعوبات التي تواجه المعلم وبهذا يمكن تلافيها لتوفير الجهد والوقت عند تطبيق برنامج دون التعرف على صعوباته، ومن هنا يظهر دورها في رفع الكفاءة التدريسية.

- استخدام الوسائل والمواد والأجهزة التعليمية بطريقة مثلى وهذا يجعل المعلم يختار الوسائل والأجهزة لكل درس من بيئة المتعلم وطريقة تحضيرها وتشغيلها وطريقة تلافي الأعطال التي تحدث لها.

- مشاركة المتعلم في عملية التعلم بطريقة تحقق أقصى درجة ممكنة من التفاعل مع المادة. وهذا ما يساعد في تحسين عملية التحصيل من خلال اطلاعه على المادة، والتي يستطيع المتعلم أن يتعلم منها في زمنه الخاص.

- يعتبر من الأساليب التي تهتم بوصف المبادئ الإجرائية، حيث يأخذ من المبادئ الإجرائية ويقوم بوصف الطرق المناسبة في أشكال وخرائط. وهذا ما تظهره المادة المصممة في منهج التربية الرياضية للمرحلة الثانوية للوحدة التاسعة بمقرر الصف الثاني الثانوي.

(ت) مبادئ تصميم التعليم:

من أهم المبادئ التي شكلت الخطوات الإجرائية لتقنية تصميم التعليم هي أن تصميمه في خطوات محددة ومتسلسلة وقابلة للملاحظة، ويجب أن يعزز كله إجابة صحيحة تصدر عن المتعلم تعزيزاً فورياً، وأن يكون التعليم على شكل استجابة تتم ملاحظتها من قبل المتعلم مع الأخذ في الاعتبار الحصول على تغذية راجعة بعد الاستجابة مباشرة بحيث يتحقق من مدى صحة الإجابة (قنديل، 2008).

(ث) مراحل ومهارات تصميم التعليم:

من أهم مراحل ومهارات تصميم التعليم أن المهارات مرتبطة بالبيئة التعليمية والمصادر والإمكانات والمواد اللازمة وتعمل هذه المراحل كما بينها (سالم وزسرايا، 2003) في الآتي:

- مرحلة تصميم وتنظيم التعليم وهنا تتم أفضل المعالجات، وتنظيم أهداف، ومحتوى، وأساليب المادة التعليمية.
- مرحلة التطوير والإنتاج في هذه المرحلة يتم ترجمة تصميم التعليم إلى مواد تعليمية حقيقية ووسائل تعليمية.
- مرحلة تنفيذ التعليم وهنا يتم التنفيذ الفعلي للبرنامج وبدء التدريس باستخدام المواد المعدة للتعلم.
- مرحلة إدارة التعليم وفي هذه المرحلة يتم التأكد من سير الإجراءات وفق قوانين المؤسسة التعليمية حتى يتم تحقيق أهدافها.
- مرحلة تقويم التعليم وهنا يتم الحكم على مدي استيعاب المتعلم للأهداف المعرفية، والمهارية، والوجدانية وعناصرها المختلفة.

2) التدريس:

من خلال الملاحظة على العملية التعليمية نجد كثير من التطور فيها يرجع للتطور الحاصل في طرائق التدريس واكتشاف كثيراً من الأنماط الحديثة لإيصال المعلومة إلى المتعلم وإيجاد الحلول للمشكلات التي يواجهها، والتدريس له أهمية كبرى في بناء المجتمعات لذا وجب اختيار الأفكار والوسائل المناسبة لكل فئة عمرية وتمثل هذه الدراسة التي يقدمها الباحث بإتباع تقنية تصميم التعليم وأثره على فاعلية التدريس وزيادة التحصيل بالمرحلة الثانوية.

(أ) مفهوم التدريس:

(هو علم تطبيق التربية حيث يوجد تلازم بين لفظ التربية ولفظ التدريس ويعرفه (الربيعي، 2008، ص88). بأنه عبارة عن سلسلة منظمة من الفعاليات يديرها المعلم ويسهم فيها المتعلم عملياً ونظرياً بقصد تحقيق أهداف معينة) وينقسم التدريس وفق المفهوم إلي:-

- التدريس وفق الإطار التقليدي وفيه يعتمد على نشاط المعلم في نقل المعارف إلى عقول المتعلمين ويظهر فيه دور المعلم بالإيجابية ودور المتعلم بالسلبية في معظم الأحيان.

- المفهوم المعاصر للتدريس وهي عملية هادفة وشاملة حيث تأخذ من كافة العوامل المكونة للتعلم والتعليم ويتعاون خلالها المعلم، والمتعلم، والإدارة، والغرف الصفية، والأسرة لتحقيق الأهداف التربوية (الربيعي، 2008، ص51) ومن هذه التقنية تصميم التعليم كتقنية تعليمية.

(ب) أهمية التدريس:

تعتبر من أشرف المهن التي يؤديها الإنسان وهي تبدأ بمرحلة التعليم قبل المدرسي إلى آخر السلم التعليمي وفي هذه الدراسة نركز على دوره في مرحلة التعليم الثانوي وما يقوم به المعلمون من إيصال المعرفة لدى الطلبة ويمكن أن نلخص أهميته كما جاء بها (محمد، 2004م) في الآتي:

- نقل التراث الثقافي لدى المتعلمين وربطهم بالمجتمعات السابقة والحاضرة.
- تكوين الاتجاهات السلوكية لدى المتعلمين بتغير سلوكهم إلى الأفضل.
- الإرشاد والتوجيه من قبل المعلم للمتعلمين حتى يصبحوا فاعلين ومشاركين في المجتمعات.
- غرس روح الجماعة بين المتعلمين ليصبحوا صالحين في أوطانهم.

(ت) مبادئ التدريس:

عملية التدريس تحتاج إلى فهم وإتقان ومعرفة تفصيلية بأحدث التقنيات والوسائل والطرق وعلى المعلم الإلمام بالأساسيات والمبادئ العامة لتخصصه لتحقيق أفضل النتائج من خلال إتباع الأساليب المناسبة للمتعلم، ومن هذه المبادئ كما أشار إليها (عبد الحكم وعمر، 2008، ص21) هي:-

- تحديد أهداف الدرس من مبادئ تربوية ومجتمعية لتحقيق النمو المتكامل للمتعلم مع تحديد أفضل الوسائل التعليمية.
- إعداد الدرس وذلك بالإعداد المسبق لمحتوى الدرس وتحضيره والموقع الذي يؤدى فيه خاصة عندما يستخدم تقنية تصميم التعليم لتحقق الأهداف المراد تحقيقها.
- مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة إن وجدت وطريقة التعامل مع كل طالب حسب ظرفه الاجتماعي والتربوي.
- التدرج في أوجه النشاط المختلفة للدرس وفق خطوات متدرجة باعتمادها على سن المتعلم ومرحلة المتعلم التعليمية.

- تنويع طرائق التدريس وذلك باستخدام الطريقة حسب ظروف أطراف العملية التعليمية حيث يركز أغلب التدريس على الوسائط التي تساعد في إيصال المعرفة وتنمى المهارات المعرفية، المهارية، والوجدانية.

- إثارة ميول المتعلمين وذلك بتوجيه أذهان الطلبة إلى اكتساب الخبرات المعرفية والوجدانية باستخدام الطرق والوسائل التعليمية التي تعمل على إثارة ميولهم تجاه التعلم.

(ث) طرائق التدريس:

يرتبط نجاح طرائق التدريس خاصة في مرحلة التعليم الثانوي بنجاح معلم المادة وابتكار التقنيات وطرائق تعمل على إيصال المعرفة، ومن ثم تحقق أهدافها.

وهنالك طرائق تدريس عديدة ولكنها تعتمد على الجهد المبذول من قبل المعلم، وهنا نقصد جهد معلم المرحلة الثانوية، ورغبة الطالب في التعلم من خلال استراتيجية تضعها الإدارة، وينفذها المعلمون، ومن ذلك ما يظهره أثر فاعلية تصميم التعليم على التدريس (محمد، 2004م).

3) تصميم التدريس:

عبارة عن وضع خطة لاستخدام عناصر بيئة المتعلم والعلاقات المترابطة فيها والتي تدفعه للاستجابة في مواقف معينة تحت ظرف من أجل إكسابه خبرات محددة وإحداث تغير في سلوكه لتحقيق الأهداف المحددة وهي عبارة عن عملية منسقة تقدم في شكل خطة منتظمة لتحقيق الأهداف المنشودة، وهذه العملية يجب أن تعتمد على أسلوب التنظيم، وعندما يتم تصميم التدريس بطريقة منظومة أو أسلوب النظم يطلق عليه التصميم المنظومي سواء كان لدرس أو جزء منه أو لوحدة دراسية أو لمقرر دراسي بالكامل.

والتدريس منظومة تسعى لتحقيق أهداف محددة ويتكون من مجموعة من المكونات الفرعية المترابطة التي تقوم على مدخل النظم بمدخلات وعمليات، ومخرجات، وتغذية راجعة، وتعتبر أحد المنظومات الفرعية للمنظومة التعليمية والتي يسعى تصميم التعليم لمعالجتها عند استخدامه كتقنية في عملية التدريس (قنديل، 2008م).

4) التحصيل الدراسي:

(أ) تعريف التحصيل الدراسي:

يعرف التحصيل الدراسي بأنه مستوى من الإنجاز أو براعة في العمل المدرسي يقاس من قبل المعلمين أو الاختبارات المقررة ومقدار ما حصل من تغير في سلوكهم نحو الأفضل وذلك نتيجة

أداء المعلم التربوي من خلال الموقف التعليمي داخل غرفة الصف أو خارجها مستخدماً الأنشطة الصفية واللاصفية (رابي، وعبد الناصر، 2007م، ص4) ويعرفه (الجلابي، 2011م، ص42) بأنه نوع من التحصيل الذي يتعلق بدراسة أو تعلم العلوم والمواد الدراسية المختلفة والعلامة التي يتحصل عليها الطالب في امتحان مقنن، ويعرف الباحث التحصيل بأنه الدرجة من التحصيل الدراسي التي يتحصل عليها طالب التعليم الثانوي لتعرضه لنوع من أنواع الأساليب التقويمية المستخدمة بالمرحلة الثانوية.

(ب) أهمية التحصيل الدراسي:

تظهر أهميته كما أشارت إليها (طاهر، 2005م، ص20) في الآتي:

- التحصيل الدراسي يجعل الطالب يتعرف على قدراته وإمكاناته، وما وصل إليه.
- يستخدم التحصيل الدراسي لتقدير مدى فاعلية الإجراءات المتبعة أو معرفة نتيجة التدريس.
- يستفاد منه في تحديد مدى صعوبة أو سهولة فكرة معينة أو مقارنة مجموعة طلبة مع أخرى.
- يعتبر أحد جوانب النشاط العقلي الذي يقوم به الطالب ويظهر فيه أثر التحصيل الدراسي.
- يُمكن الطالب من النمو والتفاعل مع مجتمعه وأن يتعرف على نقاط القوة والضعف.

(ت) أنواع التحصيل الدراسي:

يمكن تقسيم التحصيل إلى ثلاثة أنواع كما حددها (قطامي وآخرون، 2003) وهي:

- التحصيل الجيد ويكون معدل الطالب مرتفع من معدل زملائه وفيه استخدام جميع القدرات والإمكانات التي تكفل للطالب الحصول على مستوى أداء تحصيلي جيد.
- التحصيل المتوسط وفيه تكون الدرجة التي يتحصل عليها الطالب تمثل نصف إمكاناته التي يمتلكها ويكون أداؤه متوسط ودرجة احتفاظه بالمعلومات متوسط.
- التحصيل المنخفض يعرف بالتحصيل الضعيف وفيه يكون مستوى الطالب أقل من العادي مقارنة بزملائه وفي استغلال القدرات العقلية ضعيف.

ومن خلال أهمية التحصيل الدراسي التي تم ذكرها، فإن لاستخدام الوسائط التعليمية دور في إكساب المتعلم للخبرات التعليمية وهنا يبرز دور تصميم التعليم في العملية في اظهار النتائج التحصيلية للمتعلمين.

(ث) خصائص التحصيل الدراسي: –

يتصف التحصيل الدراسي بالخصائص الأتية:

- عبارة عن محتوى منهاج لمادة معينة أو مواد لكل واحدة معارف خاصة بها.
- يتطور التحصيل الدراسي عادة عبر الامتحانات الكتابية، والشفهية والأدائية، والإلكترونية.
- يعتني التحصيل بالتحصيل السائد لدى الطلبة داخل موقع الدراسة ولا يهتم بالمبررات الخاصة.
- هو أسلوب جماعي يقوم على توظيف امتحانات وأساليب ومعايير جماعية موحدة من إصدار الأحكام التقويمية (مصطفى، 2005م، ص37).

(ج)العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي:

العوامل تؤثر في التحصيل الدراسي كما أوردها (مصطفي، 2005م) هي :–

عوامل تخص الطالب ومنها الدوافع حيث أظهرت الدراسات أن هناك ارتباط وثيق بين الدافعية والتحصيل والتفوق الدراسي، ثم يأتي مستوى الطموح لدى الطالب والذي يعمل على دفع المتعلم نحو تحقيق المزيد من التحصيل والتفوق والامتياز.

- عوامل تخص الأسرة ومنها العلاقة بين المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة وتأثير الرفاق على الطالب كلها تدخل في العوامل المؤثرة في التحصيل من الجانب الأسري.
- عوامل تخص البيئة المدرسية ومنها البيئة الصفية والبيئة المدرسية وهي تفاعل عناصر البيئة المدرسية المختلفة.
- عوامل تخص المعلم ومنها الكفايات التدريسية للمعلم ومدى الإلمام بها ومدى امتلاكه لناحية المادة التي يقوم بتدريسها.

وأيضا من العوامل المؤثرة على التحصيل هي فاعلية الوسائط التعليمية التي يستخدمها المعلم داخل حجرة الدراسة واستخدامه للتقنيات التعليمية وهنا نشير إلى عملية تصميم التعليم للمادة الدراسية وجعلها تتوافق مع مستوى المتعلم.

5) مقرر التربية الرياضية:

اهتم الإنسان من قديم الزمان بصحته ولياقته والفوائد التي تعود عليه من ممارسة الرياضة من خلال الرياضة الجماعية والفردية وتتمثل أهمية التربية الرياضية في الجوانب النفسية،

والاجتماعية، والانفعالية لذلك تم وضع مقرر يدرس في المراحل التعليمية المختلفة، وهي مادة تخدم الجانب التربوي في العملية التعليمية.

(أ) أهداف التربية الرياضية:

التربية الرياضية على مر العصور هي الوسيلة التربوية لإعداد المواطن الصالح المرغوب فيه، هذا وقد حددت أهدافها التي تخدم مجموعة من المجالات كما حددها (خليل وآخرون، 2000م) في:

- تنمية مهارات الفرد البدنية النافعة لحياته وتنمية الكفايات البدنية.
- مساعدة الفرد على اكتساب صفة التفكير العقلي والمنطقي المنظم.
- المساهمة في إكساب الفرد الصفات الاجتماعية وترقية النمو الانفعالي له.
- شغل وقت الفراغ من خلال ممارسة النشاط البدني لحياة صحية سليمة.
- التدريب على اكتساب صفات القيادة والتنمية السليمة.
- تشجيع وتنمية القدرات واكتساب المواهب الرياضية العالمية.

(ب) مقرر التربية الرياضية للمرحلة الثانوية:

يعتبر مقرر التربية الرياضية للمرحلة الثانوية من المقررات التي تمت إضافتها للمناهج بالمرحلة الثانوية ويهدف المقرر لتمليك الطلبة قدراً من الثقافة العامة في العلوم الرياضية لتساعدهم على معرفة المهارات الأساسية لكل منشط، والقوانين التي تحكمه حتى يستطيعوا ممارسة الأنشطة الرياضية وفق الاسس المنظمة لكل نشاط ويشتمل مقرر التربية الرياضية على الآتي:

- وحدات للتعرف على أهمية الرياضة في حياة الإنسان.
- وحدات للنشاط الفردي والقوانين المنظمة للألعاب.
- وحدات للنشاط الجماعي والقوانين المصاحبة لها.
- الوحدات الثقافية والتي تشمل الجوانب الصحية والتي تركز على إصابات الملاعب، والاسعافات الأولية والصحة المدرسية.
- ويحتوي المقرر على الطرق التي تنظم النشاط الرياضي والألعاب الأولمبية الحديثة.

أما مقرر الصف الثاني للمرحلة الثانوية يتكون من عشر وحدات، تم اختيار الوحدة التاسعة التي يتم تصميمها وفق شروط تصميم التعليم وتحمل مسمى تنظيم وإدارة الدورات الرياضية والرحلات والمعسكرات ومن أهم محتوياتها ما يلي:

- التعريف بالدورات الرياضية وطرق تنظيمها.
- البرنامج الرياضي المدرسي والنشاط الداخلي والخارجي.
- المعسكرات المدرسية والبرامج التي تنفذ فيها.
- الرحلات المدرسية والبرامج التي تنفذ فيها.
- الحفلات والبرامج المدرسية.

وقد تم اختيار هذه الوحدة باعتبارها وحدة يتم تنفيذ محتواها داخل حجرة الدراسة من خلال التدريس المباشر بإشراف معلم المادة.

الدراسات السابقة:

يتناول الباحث في هذا الجزء الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة من سودانية وعربية وهي:

أ. دراسة قاسم (1995م) هدفت إلى اختيار أثر طريقة تصميم المادة التعليمية وفق أسلوب معالجة النظم على التحصيل الدراسي لطلبة الصف السادس في مادة الرياضيات تم استخدام المنهج التجريبي، وتكونت عينة الدراسة من مجموعتين من طلبة الصف السادس تجريبية وضابطة قوام كل منها 60 طالباً تم تدريس العينة التجريبية بواسطة المادة المصممة تعليمياً، أداة الدراسة اختبار قبلي وبعدي، وكانت أهم النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين متوسطات أداء الطلبة لصالح المجموعة التي درست بالمادة المصممة تعليمياً.

ب. دراسة مدني (2000م) هدفت للتعرف على نتائج تصميم حقيبة تربوية حول بعض المفاهيم في الجغرافيا الطبيعية للصف الأول الثانوي تم استخدام المنهج الإجرائي التطويري وتمثل مجتمع الدراسة في طلبة الصف الأول الثانوي، تم اختيار عينة تجريبية وضابطة قوام كل منها 30طالب تم تقديم البرنامج المصمم للعينة التجريبية، أداة الدراسة اختبار تحصيلى تم تقديمه للمجموعتين وكانت أهم النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح المجموعة التي استخدمت برنامج الحقيبة التعليمية المصممة.

ت. دراسة الزهراني (2008م) هدفت للتعرف على أثر تطبيق برمجة إلكترونية تفاعلية لمقرر تقنيات التعليم في التحصيل لطلبة كلية المعلمين بالباحة استخدم المنهج التجريبي، تكونت عينة الدراسة

من 60 طالباً تم تقسيمهم إلى مجموعتين تجريبية وضابطة أداة الدراسة الاختبار التحصيلي وكانت أهم النتائج تفوق المجموعة التجريبية مقارنة بأداء المجموعة الضابطة.

ث. دراسة شريف (2010) هدفت للتعرف على استخدام وحدة دراسية مصممة بالحاسوب وأثرها على التحصيل الدراسي لطلبة الصف الأول الثانوي بولاية الخرطوم. استخدم المنهج الوصفي لمجموعة معلمي المادة والمنهج التجريبي لعينة الدراسة التجريبية، والضابطة حيث كان قوام كل منها 50 طالباً، تم تقديم المادة المصممة للمجموعة التجريبية أداة الدراسة الاختبار التحصيلي وكانت أهم النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين متوسطات معدل الدرجات لصالح المجموعة التجريبية.

التعليق على الدراسات السابقة:

استفاد الباحث من الدراسات السابقة من ناحية إعداد الدراسة المنهجية المتبعة والتي زادت من حصيلته المعرفية ومن خلال التعليق هذا نستعرض وجهه الشبه والاختلاف بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة حيث ناقشت كل الدراسات موضوع تربوي وهو تصميم التعليم ودوره في العملية التعليمية، كل الدراسات استخدمت المنهج التجريبي عدا دراسة شريف(2010م) أضافت المنهج الوصفي للتجريبي والذي اعتمده الباحث في دراسته، عينة الدراسة تمثلت في طلبة المراحل التعليمية المختلفة والتي تم تقسيمها لعينتين تجريبية وضابطة أداة الدراسة في كل الدراسات الاختبار التحصيلي عدا دراسة (شريف 2010م) والتي أضافت الاستبانة للاختبار وهذا يشابه ألادوات التي ذهب إليها الباحث، كل النتائج التي خرجت بها الدراسات أن لتصميم التعليم دور كبير في زيادة التحصيل الدراسي من خلال تفوق العينة التجريبية على العينة الضابطة في التحصيل الدراسي، تباينت مجتمعات الدراسات بين مراحل التعليم العام إلى كلية المعلين في دراسة (الزهراني2008م).

ثالثاً: إجراءات الدراسة الميدانية:

في هذا الجزء من الدراسة يتم الوقوف على منهج، ومجتمع، عينة الدراسة، ووصفاً تفصيلياً للخطوات التي اتبعت لتصميم الأدوات، إضافة للمعالجات الإحصائية لتحليل النتائج التي تم جمعها.

1/ منهج الدراسة:

تمّ اعتماد المنهج الوصفي باعتباره الأنسب للدراسة وذلك لوصف البرنامج المصمم وطريقة التدريس المتبعة في ذلك، كما يتم استخدام المنهج التجريبي وذلك بتجريب وتطبيق المادة المصممة على طلبة الصف الثاني الثانوي من خلال تصميم الوحدة الدراسية ليصبح المنهج الوصفي والتجريبي.

2/ مجتمع الدراسة:

مثل مجتمع الدراسة معلمو مادة التربية الرياضية محلية كرري ولاية الخرطوم والبالغ عددهم 61 معلم ومعلمة، وطلبة الصف الثاني الثانوي بالمحلية للعام الدراسي2021 –2022م.

3/ عينة الدراسة:

عينة المعلمين عينة عشوائية قوامها 32 معلم ومعلمة وعينة الطلبة قوامها 50 طالب تم تقسيمهم إلى مجموعتين ضابطة وتجريبية بواقع 25 لكل عينة.

(أ) متغير الجنس:

جدول رقم (1) يوضح نسبة العينة من المجتمع لفئة المعلمين والمعلمات

بيان العينة	المجتمع	العينة	النسبة
معلم	26	15	%57.7
معلمة	35	17	%48.6
مجموع	61	32	

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية

من الجدول رقم (1) يتضح أن نسبة المعلمين أكبر من نسبة المعلمات من مجتمع كل فئة.

(ب) متغير سنوات الخبرة

جدول رقم (2) يوضح سنوات الخبرة لعينة الدراسة

مدى الفئة بالسنة	تكرارات الفئة	النسبة
أقل من 5	8	%25
10-5	13	%40.6
أكثر من 10	11	%34.4
المجموع	32	%100

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية

من الجدول رقم (2) يتضح أن نسبة 75% من المبحوثين لديهم خبرة أكثر من 5سنوات وهذا له كبير الأثر في تطبيق البرنامج المحدد للتدريس من قبل الباحث.

4/ أدوات الدراسة:

يتم اختيار الأداء وفقاً لطبيعة الدراسة لذلك تم اختيار الاستبانة لعينة المعلمين لإثبات فعالية التدريس بتقنية تصميم التعليم، والامتحان التحصيلي لعينتي الدراسة من طلبة الصف الثاني الثانوي.

(أ) الاستبانة:

تم بناء الاستبانة والتي تتكون من قسمين هما:

- القسم الأول اشتمل على البيانات الشخصية لأفراد العينة من المعلمين، وتضمنت الاسم بياناً اختباراً، وفي البيان الثاني الجنس أما البيان الثالث سنوات الخبرة وتم تقسيمه إلى ثلاثة محاور.
- القسم الثاني من الاستبانة أحتوى على محور واحد للتعرف على فاعلية آثر التدريس من خلال استخدام المادة المصممة تعليمياً وتكون من (15) عبارة.

(ب) صدق الاستبانة:

الصدق من الشروط الضرورية لبناء الاختبار لذلك تم عرض فقرات الاستبانة على مجموعة من الخبراء للحكم على صلاحيتها وقد تحقق الصدق ظاهرياً حيث تم إلغاء بعض الفقرات وتعديل بعضها وترتيبها وقد تم الأخذ بآراء المحكمين لتصبح الاستبانة صالحة لتقديمها لعينة الدراسة.

(ت) ثبات أدوات الدراسة: –

مثلت الاستبانة والاختبارات التحصيلية أدوات الدراسة، ولثبات الاستبانة تم اعتماد الاتساق الداخلي على مدي ارتباط البنود مع بعضها البعض باستخدام معامل ارتباط ألفاكروبناخ وكانت قيمة الثبات 882% وبالتالي يمكن القول إن القيمة ممتازة ويمكن الاعتماد عليها في تعميم النتائج.

أما الامتحانات التحصيلية فقد تم اختيار عينة عشوائية مكونة من عشرة طلبة خارج العينة الاصلية من أكملوا دراسة الوحدة التاسعة التي تم تصميمها من مقرر التربية الرياضية تم تقديم الامتحانات التحصيلية التي أُعدت لعينتي الدراسة، ثم أعيد الامتحان مرة أخرى بعد سبع أيام وكانت نسبة الثبات عالية بلغت 91% وهذه تعتبر درجة عالية جداً.

(ث) الأداة التجريبية:

وفقاً لطبيعة الدراسة وأهدافها تم تصميم وحدة دراسية من المقرر المحدد أداةً تجريبية لتحقيق منهج الدراسة معتمداً على ما جاء في الإطار النظري والأسس الآتية:–

- تم تحديد الوحدة الدراسية من كتاب التربية الرياضية المقرر من قبل وزارة التربية والتعليم للعام الدراسي (2021–2022م).
- تم تحليل محتواها لمكوناتها الرئيسة (حقائق، معلومات، مفاهيم، مبادئ، وقواعد تصميمها، الاتجاهات، والقيم).
- حُددت الأهداف والأنشطة التعليمية وطرق التقويم من امتحانات تحصيلية وأسئلة تعلم ذاتي وتدريبات.
- تم تصميم الوحدة التاسعة من المقرر بشكل سلوكي يقوم على المعارف والمهارات لتحقيق أهدافها.
- أعدت الوحدة بشكل يسمح بتعزيز وتفريد التعليم، والتعلم الذاتي وإثراء خلفيات وقدرات المتعلم.
- نظام التقويم في الوحدة يسمح بإجراء المتابعة من قبل القائمين عليه وعلى قياس العلاقات بين مكوناتها.

وفي ضوء ما سبق تم تصميم الوحدة الدراسية التي حملت اسم (تنظيم وإدارة الدورات الرياضية والرحلات والمعسكرات) واشتملت على الأهداف، المحتوى، الأنشطة التعليمية، الأدوات، والوسائل التعليمية، والتدريبات وأسئلة التقويم الذاتي، والزمن المتاح وقد تم اعتماد تعزيز التعليم والتعلم الذاتي.

اهداف الوحدة المصممة:

حددت أهداف الوحدة المصممة وفقاً للمعايير الآتية:

- متناسقة مع أهداف تدريس مادة التربية الرياضية بالمرحلة الثانوية بالسودان والتي تم تحديدها في الإطار النظري للدراسة.
- واقعية وشاملة لجميع جوانب التعلم وصياغتها إجرائياً متفقة مع المحتوى.
- واقعية، واضحة، ومحددة، ومتوازنة، ويمكن تحقيقها.
- مهمة ومقبولة في نظر المعلمين والمتعلمين.
- متدرجة ومنظمة ويسهل ترجمتها إلى خبرات تعليمية يسهل قياسها وتقويمها.

محتوى المادة المصممة:

اشتملت المادة الدراسية التي تم تصميمها من مقرر التربية الرياضية على مجموعة من الدروس وبدأت بتعريف الدورات الرياضية، ثم أهم طرق تنظيم الدورات الرياضية والذي احتوى على

خمسة أقسام كل يمثل درساً منفصلاً ومنها طريقة خروج المغلوب من مرة، ومرتين، والدوري، طريقة المزج، والتحدي وأخيراً طريقة التمايز. وفي درس آخر شملته الوحدة كان الرحلات وطريقة تنظيمها، وأخيراً ناقشت الوحدة المعسكرات وطريقة تنفيذها، كل هذه المحتويات تمت معالجتها باستخدام خطوات تصميم التعليم وتم تقديمها لمعلمي المادة لاستخدامها وتقديمها في شكل مذكرات لطلبة العينة التجريبية والبالغ عددهم 25 طالباً.

وللتعرف على نتائجها تم تصميم امتحان تحصيلي قبلي للمجموعتين آخر بعدي للمجموعتين بعد تدريس المجموعة التجريبية بالمادة المصممة، حيث اشتملت الوحدة المصممة على مجموعة من الخطوات الآتية:

- تضمنت الوحدة المصممة مجموعة من الأنشطة التعليمية القبلية والبعدية والمصاحبة وأسئلة التقويم الذاتي والتدريبات في شكل مذكرة توافرت فيها المعايير السابقة.
- تم تزويد المادة العلمية برسومات توضيحية وأشكال وتمارين وتدريبات لتكون جاذبة.
- التقويم عملية مستمرة من خلال تنوع أنواع التقويم الذاتي والامتحان والموحد وبعد تصميم المادة تم عرضها على مجموعة من المحكمين للتأكد من صياغتها وسلامتها العلمية من قبل متخصصين في التقنيات التعليمية وموجهي مادة التربية الرياضية وقد أشاروا لبعض الآراء في المادة المصممة تمت معالجتها لتصبح صالحة كوسيط تعليمي.

إجراءات تطبيق التجربة:

بمشاركة موجهي ومشرفي المادة نفذت زيادة للمجموعتين التجريبية والضابطة للتأكد من استيفاء المتطلب القبلي وتسليم المادة المصممة للمجموعة التجريبية.

- **الامتحان القبلي:** تم وضعه من الكتاب المقرر والوحدة المحددة حيث أشتمل الامتحان على الآتي:

- سمي بالامتحان القبلي وتكون من أسئلة موضوعية.
- احتوى الامتحان على ثلاثة أسئلة السؤال الأول درجاته 20 درجة، والثاني 15 درجة، والثالث 15 درجة والدرجة الكلية للامتحان50 درجة.
- تم تصحيح الامتحان من قبل معلمي المادة وتم رصد الدرجات لتظهر من خلال عرض النتائج ليتم تحليلها إحصائياً.
- درجات الامتحان كانت ضعيفة لعدم تدريس الطلبة المادة الأكاديمية.

- تم تقديم المادة المصممة على العينة التجريبية ليتم تدريسها في خمس حصص بواقع 40 دقيقة لكل حصة.

- **الامتحان البعدي:** عقد بعد إكمال المجموعتين من تدريس الوحدة المحددة كل حسب طريقتها.

- تم تطبيق كل الخطوات والمواصفات السابقة التي تمت في الامتحان القبلي.

- تم تغير أسئلة الامتحان وإجراء الامتحان للمجموعتين في زمن واحد وقد تأكد من عدم التعرف على المادة المصممة لطلبة المجموعة الضابطة.

- تم تصحيح الامتحان من قبل معلمي المادة في المدرستين لتظهر النتيجة النهائية للمجموعتين تم رصدها لتظهر من خلال عرض النتائج وتحليلها إحصائياً لمعرفة مدى نجاح التجربة.

خطوات تطبيق الامتحانات التحصيلية:

- تم وضع أسئلة الامتحان القبلي والبعدي من مادة الكتاب المقرر على طلبة الصف الثاني.

- سمي الامتحان الأول بالامتحان القبلي والثاني الامتحان البعدي.

- الدرجات الكلية للامتحان بين 50 درجة موزعة على ثلاثة أسئلة، وتم طبع أسئلة الامتحانين على أربع ورقات، حيث شملت الورقة الأولى الإرشادات وجدول المصحح.

- تم إعلام الطلبة بزمن الامتحان وتاريخه قبل إقامته بأسبوع كامل.

- تم تحكيم الامتحانين من المجموعة من المختصين في القياس والتقويم وموجهي مادة التربية الرياضية.

- عقد الامتحان القبلي قبل بداية التدريس للمجموعتين وكان عبارة عن أسئلة موضوعية.

- تم عقد الامتحان البعدي بعد تدريس طلبة المجموعتين للوحدة الدراسية، وقد درست المجموعة التجريبية من خلال المادة المصممة والضابطة بالطريقة التقليدية.

- تم توزيع أوراق الامتحانين في الزمن المعلن وتم استلام الأوراق بعد نهاية الزمن المحدد بساعة واحدة وهي نفس الزمن الذي حدد للامتحان القبلي.

- تم تصحيح الأوراق ورصد درجات كل طالب في الامتحان كما سيأتي لاحقاً لتحليلها واستخراج النتائج.

5/ الأساليب الإحصائية:

تم استخدام أسلوب التحليل الوصفي لوصف عينة الدراسة اعتماداً على التكرارات والنسب المئوية واختبار كأي تربيع لمعرفة الفروق الإحصائية ذات الدلال المعنوية، كما استخدم الوسط الحسابي لمعرفة متوسط كل مجموعة من المجموعتين في الامتحانات التحصيلية، والانحراف المعياري، وأيضاً أُستخدام الاختبار التائيT.TEST لمعرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية لدرجات الطلبة في الامتحانات التحصيلية.

رابعاً عرض البيانات وتحليلها ومناقشة النتائج وتفسيرها:

يستعرض الباحث في هذا الجزء من الدراسة تحليلاً، مناقشة، وتفسيراً للنتائج التي تم جمعها من عينتي الدراسة وهي:

القسم الثاني: محاور الاستبانة:

المحور الأول: أثر تصميم التعليم على فاعلية التدريس لمعلمي المرحلة الثانوية

جدول (3): يوضح التحليل الوصفي لعبارات المحور الأول

م	العبارة	موافق بشدة	موافق	غير متأكد	غير موافق	غير موافق بشدة	النتيجة
1	الأهداف التعليمية تمت صياغتها بصورة إجرائية واضحة.	18 %56.3	13 %40.6	1 %3.1	0 %0	0 %0	**موافق بشدة**
2	المادة التعليمية ثم عرضها بصورة واضحة على الطلبة	18 %56.3	13 %40.6	1 %3.1	0 %0	0 %0	**موافق بشدة**
3	اهتمت المادة المصممة بالجوانب الإدارية لضبط الموقف التعليمي	13 %40.6	14 %43.8	3 %9.4	2 %6.3	0 %0	**موافق**
4	الوسائل التعليمية المستخدمة ثم تحديدها من بيئة المتعلم	16 %50	9 %28.1	3 %9.4	4 %12.5	0 %0	**موافق بشدة**
5	المحتوى التعليمي تم تنظيمه لتسهيل عملية التفاعل بين المتعلمين	17 %53.1	8 %25	5 %15.6	2 %6.3	0 %0	**موافق بشدة**
6	المادة التعليمية تم التدرج فيها من السهل إلى الصعب	17 %53.1	11 %34.4	1 %3.1	3 %9.4	0 %0	**موافق بشدة**

7	المادة المصممة تم تحليل محتواها لمكوناتها الرئيسية	17 %53.1	12 %37.5	2 %6.3	1 %3.1	0 %0	**موافق بشدة**
8	المادة أعدت بشكل يسمح بتعزيز تفريد التعلم	11 %34.4	7 %21.8	8 %25	6 %18.8	0 %0	**موافق بشدة**
9	تم تصميم مادة الوحدة بشكل سلوكي يقوم على المعارف والمهارات	19 %61.3	6 %19.4	5 %16.1	1 %3.2	0 %0	**موافق بشدة**
10	المادة المصممة ساعدت على استثارة حاجات الطلبة للتعليم	12 %37.5	12 %37.5	4 %12.5	4 %12.5	0 %0	**موافق بشدة**
11	عملت المادة المصممة على تعديل سلوك المتعلمين بصورة سريعة	13 %40.6	8 %25	5 %15.6	6 %18.8	0 %0	**موافق بشدة**
12	استخدام التدريس بتقنية التصميم تجعل المعلم يثق في تحقيق أهدافه	27 %84.4	4 %12.5	0 %0	1 %3.1	0 %0	**موافق بشدة**
13	تصميم المادة يجعل المعلم يعمل على تلافي المشكلات في الدرس	29 %90.6	3 %9.4	0 %0	0 %0	0 %0	**موافق بشدة**
14	يمتاز التقويم في المادة المصممة بالمتابعة والاستمرارية	19 %59.4	8 %25	5 %15.6	0 %0	0 %0	**موافق بشدة**
15	المادة المصممة ساعدت في إيصال المادة التعليمية بصورة واضحة	19 %59.4	8 %25	3 %9.4	2 %6.3	0 %0	**موافق بشدة**
	المجموع	**264**	**136**	**46**	**32**	**0**	**478**
	النسبة	**%55**	**%28**	**%10**	**%7**	**%0**	**100%**

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (عبد الله، 2022م)

من خلال الجدول رقم (3) نجد أن نسبة مواقف بشدة بلغت 55% وهي تمثل أعلى نسبة، ونسبة موافق كانت 28% ومن خلال الاستجابتين نجد أن مجموع الموافقة على عبارات المحور بلغت 83% وهى نسبة عالية وهذا يشير إلى الدور الكبير لتصميم التعليم على فاعلية التدريس تجاه المعلمين، إما نسبة محايد فكانت ضعيفة بلغت 10% وعدم الموافقة كانت 7% وهى نسبة ضئيلة جداً وهذا ما ذهبت إليه دراسة قاسم (1995م) ودراسة مدني (2000م) ودراسة شريف (2010م).

جدول (4): نتيجة تحليل كأي تربيع لعبارات المحور الأول

م	العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة الاختبار	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	النتيجة
1	الأهداف التعليمية تمت صياغتها بصورة إجرائية واضحة.	4.5313	.56707	14.313	2	0.001	دالة
2	المادة التعليمية ثم عرضها بصورة واضحة على الطلبة	4.5000	.67202	14.313	2	0.001	دالة
3	اهتمت المادة المصممة بالجوانب الإدارية لضبط الموقف التعليمي	4.1875	.85901	15.25	3	0.002	دالة
4	الوسائل التعليمية المستخدمة ثم تحديدها من بيئة المتعلم	4.1563	1.05063	13.25	3	0.004	دالة
5	المحتوى التعليمي تم تنظيمه لتسهيل عملية التفاعل بين المتعلمين	4.2500	.95038	15.75	3	0.001	دالة
6	المادة التعليمية تم التدرج فيها من السهل إلى الصعب	4.3125	.93109	20.5	3	0.000	دالة
7	المادة المصممة تم تحليل محتواها لمكوناتها الرئيسية	4.4063	.75602	22.75	3	0.000	دالة
8	المادة أعدت بشكل يسمح بتعزيز تفريد التعلم	3.6774	1.13687	1.129	3	0.770	غير دالة
9	تم تصميم مادة الوحدة بشكل سلوكي يقوم على المعارف والمهارات	4.3871	.88232	23.581	3	0.000	دالة
10	المادة المصممة ساعدت على استثارة حاجات الطلبة للتعليم	4.0000	1.01600	8	3	0.046	دالة
11	عملت المادة المصممة على تعديل سلوك المتعلمين بصورة سريعة	3.8750	1.15703	4.75	3	0.191	غير دالة
12	استخدام التدريس بتقنية التصميم تجعل المعلم يثق في تحقيق أهدافه	4.7813	.60824	37.938	2	0.000	دالة

13	تصميم المادة يجعل المعلم يعمل على تلافي المشكلات في الدرس	4.9063	.29614	21.125	1	0.000	دالة
14	يمتاز التقويم في المادة المصممة بالمتابعة والاستمرارية	4.4375	.75935	10.188	2	0.006	دالة
15	المادة المصممة ساعدت في إيصال المادة التعليمية بصورة واضحة	4.3750	.90696	22.75	3	0.000	دالة

المصدر: إعداد الباحث من بيان الدراسة الميدانية 2022م

من الجدول رقم (4) نجد أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية لصالح موافق بشدة لجميع العبارات عدا العبارتين (8، 11) حيث نجد القيم الاحتمالية للعبارات (13) أقل من المئوى5% وكذلك توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية لصالح موافق بشدة وموافق في العبارتين (8، 11) نسبة لتقارب آراء المبحوثين بينهم حيث نجد القيم الاحتمالية للعبارتين أكبر من المستوى المعنوي 05% وهذا يدل على فاعلية استخدام تصميم التعليم باعتباره وسيط تعليمي من خلال إجابات المبحوثين من عينة الدراسة.

نتيجة المحور الثاني: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة المعنوية 0.05 بين المجموعتين الضابطة والتجريبية بعد الامتحان القبلي؟ وللإجابة على هذا السؤال تم استخدام اختبار T للعينتين وكانت النتائج كما في الجدول التالي:

جدول رقم (5) يوضح نتيجة المحور الثاني

T قيمة المحسوبة	درجات الحرية D.F	Mean متوسط العينة		القيمة الاحتمالية p.value
		العينة الضابطة	العينة التجريبية	
-0.251	**24**	**8.7200**	**8.9600**	**0.804**

المصدر: إعداد الباحث من بيان الدراسة الميدانية 2022م

من نتيجة اختبار T للعينتين في الجدول رقم (5) تبين للباحث أن القيمة الاحتمالية P-value تساوي 80.4% وهي أكبر من مستوى المعنوية 05%، عليه لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية05% بين المجموعتين الضابطة والتجريبية بعد الاختبار القبلي.

مقارنة المتوسطين: من خلال المتوسطتين نجد متوسط العينة الضابطة يساوي 8.7200 وهو أقل من متوسط العينة التجريبية والذي يساوي8.9600 إذاً الفرق بينهما يساوي 0.24 وهذا يعتبر فرق بسيط.

نتيجة المحور الثالث: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة المعنوية 0.05 على مستوى المجموعتين الضابطة والتجريبية بعد الامتحان البعدي؟ للإجابة على السؤال تم استخدام اختبار T للعينتين وكانت النتائج في الجدول التالي:

جدول رقم (6) يوضح نتيجة المحور الثالث

T قيمة المحسوبة	درجات الحرية D.F	Mean متوسط العينة		القيمة الاحتمالية
		العينة الضابطة	العينة التجريبية	
9.090	24	29.5600	42.2400	0.000

المصدر: إعداد الباحث من بيان الدراسة الميدانية 2022م

من نتيجة اختبار T للعينتين في الجدول رقم (6) تبين للباحث أن القيمة الاحتمالية P-value تساوي 0% وهي أقل من مستوى المعنوية 05%، عليه توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية 05% بين المجموعتين الضابطة والتجريبية بعد الامتحان البعدي.

مقارنة المتوسطين: من خلال المتوسطتين نجد متوسط العينة الضابطة يساوي 29.5600وهو أقل من متوسط العينة التجريبية والذي يساوي42.2400 إذاً الفرق بينهما يساوي 12.68 وهذا يعتبر فرق كبير.

نتيجة المحور الرابع: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة المعنوية 0.05 على مستوى المجموعة التجريبية بعد الامتحان القبلي والبعدي؟ للإجابة على السؤال تم استخدام اختبار T للعينة في الاختبارين وكانت النتائج في الجدول التالي:

جدول رقم (7) يوضح نتيجة المحور الرابع

T قيمة المحسوبة	درجات الحرية D.F	Mean متوسط العينة		القيمة الاحتمالية
		العينة التجريبية بعدى	العينة التجريبية قبلي	
33,28	**24**	**42.2400**	**8.9600**	**0.000**

المصدر: إعداد الباحث من بيان الدراسة الميدانية 2022م

من نتيجة امتحان العينة التجريبية في الجدول رقم (7) تبين للباحث أن القيمة الاحتمالية P– value تساوي 0% وهي أقل من مستوى المعنوية 5%، عليه توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية 5% بين بعد الامتحان البعدي للعينة التجريبية.

مقارنة المتوسطين: من خلال الجدول السابق نجد متوسط الامتحان القبلي للعينة التجريبية يساوي8.9600 وبعد الامتحان البعدي للمجموعة واستخدام المادة المصممة في التدريس كان المتوسط 42,24 إذاً الفرق بينها يساوي 33.28 وهذا يعتبر فرق كبير جداً لصالح المادة المصمة تعليمياً.

مناقشة النتائج:

من خلال الجداول السابقة تشير النتائج لصالح تقنية تصميم التعليم ولصالح فاعلية التدريس وزيادة التحصيل الدراسي بالمرحلة الثانوية إذا ما قورنت بالطريقة المتبعة في التدريس بالمرحلة الثانوية وفقاً لأسئلة الدراسة الآتية:

1- من خلال استجابات عينة الدراسة من المعلمين على السؤال الأول أثر تصميم التعليم على فاعلية التدريس لمعلمي المرحلة الثانوية نجد أن الموافقة كانت عالية وبنسبة بلغت 83% وهذا يدل على الدور الكبير لتصميم التعليم على عملية التدريس بالمرحلة الثانوية وهذا ما أشارت إليه الدراسات السابقة في نتائجها.

2- جاءت نتائج الامتحان التحصيلي القبلي لعينتي الدراسة حول السؤال الثاني هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 05, بين المجموعتين الضابطة والتجريبية بعد الامتحان القبلي حيث كان متوسط درجات العينتين متقارب ولا توجد فروق تذكر حيث بلغ للعينة التجريبية 8.96 درجة بينما كان للعينة الضابطة 8,72 درجة وكان الفرق 24, رغم أن الباحث يرى أن الدرجات التي تحصل عليها الطلبة في الامتحان القبلي تمثل ثقافتهم الرياضية في هذه الوحدة.

3- جاءت نتائج الطلبة بعد الامتحان التحصيلي البعدي والتي مثلها السؤال الثالث للدراسة.هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 05, بعد الامتحان البعدي حيث كان متوسطات درجات العينة التجريبية 42,24 درجة والعينة الضابطة 29,26 درجة والفرق بين المتوسطات 12,68 وهذا يعتبر فرق كبير يحسب لاستخدام تصميم التعليم في العملية التعليمية وهذا ما أثبتته الدراسات السابقة الأربع التي تم ذكرها.

4- وحول نتائج طلبة المجموعة التجريبية في وبعد الامتحان البعدي والتي مثلها السؤال الرابع هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 05. للمجموعة التجريبية بعد الامتحانين التحصيلين ومن متوسطات الطلبة في الامتحان البعدي بلغ المتوسط 42,24 درجة وبعد الاختبار القبلي

بلغ المتوسط 8,96 درجة حيث كان الفارق كبير بلغ في المتوسط 33,28 درجة وهذا الفرق يحسب لاستخدام تقنية تصميم التعليم في العملية التدريسية.

الخلاصة:

أفرزت هذه الدراسة وسيلة جديدة في العملية التعليمية بالمرحلة الثانوية من خلال تطبيقها على مادة التربية الرياضية بالصف الثاني الثانوي ومن خلال الأدوار البحثية خلصت الدراسة إلى الآتي:

1- إن عملية تصميم التعليم أسلوب تربوي وعنصر مهم يجب تطبيقه في المراحل الدراسية لارتباطه بالتحصيل الأكاديمي.

2- إن تصميم المواد الدراسية يشجع الطلبة على التعلم الذاتي ومن ثم يعمل على زيادة التحصيل الدراسي.

3- أظهرت الدراسة أن المادة المصممة سهلة الاستيعاب، هذا ما أكدته نتائج الدراسة بتفوق طلبة المجموعة التجريبية وبنسبة عالية من التحصيل مقارنة بطلبة المجموعة الضابطة.

4- أظهرت الدراسة تفاعل المعلمين مع تقنية تصميم التعليم في عملية التدريس وتحقيق أهدافه.

5- أفرزت الدراسة وبجلاء أن تقنية تصميم التعليم تساعد في تحقيق أهداف الدرس وتبسيط الحقائق وتثبيت المحتوى التعليمي ومعالجة الفروق الفردية.

6- مما تقدم يوصى الباحث بتطبيق تقنية التصميم التعليمي في جمع مناهج التعليم العام بالسودان.

النتائج:

هدفت الدراسة للكشف عن أثر تصميم التعليم على فاعلية التدريس وزيادة التحصيل الدراسي بالمرحلة الثانوية وقد أظهرت الدراسة النتائج الآتية:

1- أثبتت الدراسة أثر فاعلية تقنية تصميم التعليم على التدريس بإعتبارها وسيط بالمرحلة الثانوية كما أن لها علاقة إيجابية بزيادة التحصيل.

2- بينت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 وفقاً للامتحانات القبلي لطلبة المجموعتين الضابطة والتجريبية.

3- أكدت النتائج وجود فرق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 وفقاً لنتائج الطلبة في الامتحان البعدي لصالح المجموعة التجريبية التي استخدمت تقنية تصميم التعليم.

4- أثبتت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 لنتائج طلبة المجموعة التجريبية بعد الامتحان البعدي لصالح استخدام تقنية تصميم التعليم.

التوصيات:

من خلال النتائج السابقة نوصي بالآتي:

1- تأهيل وتدريب معلمي التعليم العام على استخدام تصميم التعليم في العملية التعليمية.

2- إنشاء قسم بوزارة التربية والتعليم يختص بتصميم المناهج الدراسية.

3- نشر ثقافة استخدام التقنيات وسط العاملين بالحقل التربوي.

4- تشجيع الإدارات التعليمية المعلمين على استخدام تصميم التعليم في عملية التدريس.

المقترحات:

1- إجراء دراسات لتصميم مقررات اكاديمية لمواد دراسية أخرى.

2- فاعلية تصميم التعليم والتعليم الإلكتروني المبرمج في العملية التعليمية.

3- دور الحقيبة التعليمية كتقنية في مرحلة التعليم الأساسي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الجلابي، لمعان مصطفى. (2011م).التحصيل الدراسي، عمان: دار المسيرة للطباعة والنشر.

2. الحيلة، محمد محمود .(1999م). تصميم التعليم نظرية وممارسة، عمان : دار المسيرة للطباعة والنشر.

3. الربيعي، محمود داؤود.(2008م). استراتيجيات التعليم التعاوني، العراق: دار الضياء للطباعة والنشر.

4. الزهراني، عماد بن جمعان. (2008م). تصميم وتطبيق برمجة إلكترونية تفاعلية لمقرر تقنيات التعليم، رسالة دكتوراه كلية التربية جامعة أم القرى.

5. باتريس، كوليورد. (1980م). ديمقراطية التصميم وسيكولوجية التربية، بيروت: دار ابن خلدون للنشر.

6. جعفر، حسن.(1424هـ). المنهج المدرسي المعاصر،الرياض: مطبعة الرشاد.

7. خليل، كمال وآخرون. (2000م). التربية الرياضية،الخرطوم: مؤسسة التربية للطباعة والنشر.

8. سالم ،عادل وسرايا، السيد. (2003م). تصميم التعليم، القاهرة: مكتبة الرشيد.

9. شريف، عبد الباسط محمد. (2010م). تصميم وتقويم وحدة تعليمية باستخدام الحاسوب لمادة الرياضيات لطلبة الصف الأول الثانوي،رسالة دكتوراه كلية التربية جامعة الزعيم الأزهري.

10. طاهر، أميمة محمد. (2005م). التحصيل الدراسي وعلاقته بمفهوم الذات، سوريا.

11. عمر، لبيب وعبد الحكم، غادة جلال. (2008م). طرق تدريس التربية الرياضية، القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر.

12. غنيم، محمد. (2003م). الاتجاهات الحديثة في بحوث مشكلات تقويم التحصيل الدراسي، عمان : دار البارودي للطباعة والنشر.

13. قاسم، فيصل احمد. (1995م). أثر تصميم التعليم في مادة الرياضيات وفق المنحنى النظامي على تحصيل طلبة الصف السادس، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية التربية جامعة الأردن.

14. فتامي، يوسف وآخرون.(2003م). أساسيات تصميم التدريس، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر.

15. قنديل، يس عبد الرحمن.(2006م). تكنولوجيا التعليم، منشورات جامعة السودان المفتوحة الخرطوم : دار جامعة السودان المفتوحة للطباعة والنشر.

16. مدني، محمد عطا. (2000م). تصميم حقيبة تعليمية ونتائجها حول بعض المناهج في الجغرافيا الطبيعية، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية التربية جامعة الخرطوم.

17. محمد، عبد الغني إبراهيم.(2004م). أساليب التدريس، منشورات جامعة السودان المفتوحة الخرطوم : دار جامعة السودان المفتوحة للطباعة والنشر.

18. مصطفى، محمد الأمين.(2005م). القياس والتقويم التربوي، منشورات جامعة السودان المفتوحة الخرطوم: دار جامعة السودان للطباعة والنشر.

19. من الله، جلال جبريل.(2008م). تصميم التعليم وفق الأهداف التربوية الخرطوم : دار جامعة السودان المفتوحة للطباعة والنشر.

إسهام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تجويد تدريس مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي

The contribution of information and communication technology to improving the teaching of Islamic education at the secondary level

د. مصطفى خاضري: باحث تربوي، دولة المغرب

KHADIRI MUSTAPHA: Educational researcher, State of Morocco

الملخص:

تشكل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة عنصرا حيويا في قطاع وزارة التربية الوطنية بالمغرب بمختلف مؤسساته بشكل عام، وفي السلك الثانوي التأهيلي بشكل خاص من خلال ما قدمته من نتائج جيدة ملموسة للإداري للأستاذ وللمتعلم وغيرهم، وأصبحت ضرورة إدماجها وتوظيفها قيمة مضافة حقيقية للمنظومة التربوية لتحقيق الجودة المنشودة. وتهدف هذه الدراسة إلى تحديد مدى إسهام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة في الرفع من التحصيل الدراسي ومن جودة التربية والتكوين بشكل عام، وفي تجويد تدريس مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي، مع الإشارة إلى المعيقات التي تعترض تعميم هذه التكنولوجيا، والحلول الكفيلة لتجاوزها، وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي الاستنباطي، حيث توصل إلى أن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات دورا أساسيا في التحصيل الدراسي، وفي الرفع من جودة تدريس مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا المعلومات، تكنولوجيا الاتصالات، التربية، التكوين، التربية الإسلامية، جودة السلك الثانوي، قطاع التربية الوطنية.

Abstract

The new information and communication technology constitutes a vital element in the sector of the Ministry of National Education in Morocco in its various institutions in general, and in the secondary qualification corps in particular, through the good and tangible results it provided for the administrator, the teacher, the learner and others, and the necessity of its integration and employment has become a real added value to the educational system to achieve the desired quality. This study aims to determine the extent to which the new information and communication technology contributes to raising academic achievement and the quality of education and training in general, and to improving teaching Islamic education in the secondary qualifying corps, with reference to the obstacles that hinder the dissemination of this technology, and solutions to overcome them, and we have adopted the curriculum deductive descriptive. We have concluded that information and communication technology has a key role in academic achievement, and in raising the quality of teaching Islamic education in the secondary qualifying cycle.

Keywords: information Technology, telecommunications, education, training, Islamic Education, Quality, secondary wire, Ministry of National Education, Morocco

المقدمة:

أصبح العالم اليوم قرية صغيرة بفضل المعلومات والاتصالات السريعة، والمدرسة جزءا من هذا العالم تتأثر وتتفاعل بشكل مباشر مع هذه التكنولوجيا، ومن الواجب عليها أن تساير هذا التطور، وإلا تأخرت عن الركب المعرفي، لقد أصبح استخدامها أمرا ضروريا في حياتنا اليومية وما نشاهده اليوم من تطور لهذه التكنولوجيا لخير دليل على أهمية استعمالها فما من حقل من حقول المعرفة إلا والتكنولوجيا حاضرة فيه، وما المجال التربوي إلا مجالا من هذه المجالات، لهذا ينبغي إعطاؤها الأهمية القصوى وتبويئها المكانة الأساس خصوصا أن الكتاب المدرسي أصبح غير كاف للمعلومات في ظل هذه الثورة المعلوماتية الضخمة، لهذا وجب البحث عن وسائل أخرى للوصول إلى المعلومة من أجل تطوير العملية التعليمية التعلمية وتجويدها وكسب رهان التقدم، وهذا لن يتأتى إلا بحسن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مؤسساتنا التعليمية.

تعدُّ تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة، بإجماع الباحثين في الميدان التربوي، إحدى الدعامات الرئيسة لتجويد المنظومة التربوية ببلادنا بصفة عامة، وفي مادة التربية الإسلامية بصفة خاصة، إنها الدعامة العاشرة التي أقرها الميثاق الوطني للتربية والتكوين بالمغرب سنة 1999، وعمل بها المخطط الاستعجالي (2009-2012)، ودعت الرؤيا الاستراتيجية للتربية والتكوين (2030-2015) إلى مواصلة تعميمها، وأقرها أخيرا القانون الإطار رقم 17-51 (2019)، تطويرا لموارد ووسائط التدريس والتعلم والبحث في منظومة التربية والتكوين، ولهذا الغرض لا بد من العمل على تعميمها على مدارسنا التربوية، وتوفير العدة اللازمة للعمل بها في أجواء جد إيجابية، لتجويد نظامنا التربوي والرقي به إلى مصاف الدول المتقدمة، وهذا من الغايات الكبرى، والتوجهات الاستراتيجية لكل دولة، فجودة الغايات من جودة الوسائل والوسائط، وهي هنا، جودة المؤسسات والبرامج والمقررات والأطر الإدارية والتربوية والمقاربات البيداغوجية و الديداكتيكية والوسائط المتعددة الإلكترونية وما إلى ذلك، وحسبنا في هذا المقال أن نتحدث عن جودة تدريس مادة التربية الإسلامية من خلال دعامة استعمال هذه الوسائط الإلكترونية الحديثة، في السلك الثانوي، بعد التطرق لمشكلة المقال، والهدف منه، وأهميته، والمنهج المعتمد فيه.

مشكلة الدراسة:

لا يختلف اثنان في أن الطريقة التقليدية في عملية التدريس لم تعد كافية من أجل تعلم أفضل، خصوصا أمام التطور السريع للتكنولوجيات الحديثة، مما يحتم علينا اليوم استعمال هذه الوسائل الحديثة لتعلم ناشئتنا بطرق حديثة لهذا تساؤلنا المحوري هو: ما أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تجويد تدريس مادة التربية الإسلامية بمؤسسات الثانوي التأهيلي بالمغرب؟

في ضوء هذه المعطيات يمكن طرح الأسئلة الفرعية التالية:

1-ما المقصود بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الوسط التعليمي؟

2-ماصيرورة إدماجها في نظامنا التربوي؟

3-ما أهميتها في تجويد تدريس مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي؟

4-بعض معيقات تطبيقها، والحلول الكفيلة لتجاوزها؟

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تجويد تدريس مادة التربية الإسلامية بمؤسسات الثانوي التأهيلي بالمغرب، وتقديم معوقات تعميم هذه الوسائل، وكذا الحلول الكفيلة بتجاوزها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز الدور الأساس لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المنظومة التربوية بصفة عامة وفي مادة التربية الإسلامية بصفة خاصة، وكذا تفاعل المنظومة التعليمية مع هذه المعطيات الرقمية الجديدة، ومدى استيعابها لها وتطبيقها، وإيجاد الحلول المناسبة التي تحول دون تعميمها.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على منهجين اثنين:

1- **المنهج الوصفي**: الذي يُعَرَّفُ بأنه "أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة او موضوع محدد من خلال فترة أو فترات زمنية معلومة، من أجل الحصول على نتائج عملية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية"[1].فهو بذلك يساعد في وصف وتجميع وعرض المعلومات المتعلقة بالظاهرة المدروسة، حيث قمنا بوصف الظاهرة المدروسة والتعريف بالمصطلحات المفاتيح: التكنولوجيا-الاتصالات...

2- **المنهج الاستنباطي**: يُعَرَّفُ نه دراسة لمشكلة بشكل كلي انطلاقا من المسلمات أو المعارف العامة، وبعد ذلك الانتقال إلى الجزئيات، أي أننا ننتقل مما هو عام إلى ماهو خاص، وفي دراستنا هذا اعتمدناه لتوضيح مجالات استخدام تكنولوجيا المعلومات في مادة التربية الإسلامية.

1 - عناية، غازي (2004): البحث العلمي: منهجية إعداد البحوث والرسائل الجامعية، ط1، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ص59.

التعريف بالمفاهيم الأساس:

1- مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

وردت تسميات هذه التكنولوجيا بعدة تسميات، رغم دلالتها على نفس المعنى، حيث وردت في الميثاق الوطني للتربية والتكوين باسم التكنولوجيات الجديدة للإعلام والتواصل[1]، ومن الباحثين من سماها بتكنولوجيات التعلم [2]، ووردت في القانون الإطار باسم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات[3]، وهناك من سماها بالتقنيات الحديثة، ثم وردت باسم بالتكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال، ثم تكنولوجيا التعليم، وسميت أيضا بالتعليم الإلكتروني...إلى غير ذلك، وتبعا لذلك سنحاول تحديد المقصود من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لكونه المفهوم الجديد الذي استعملته اللجنة التي صاغت القانون الإطار 17-51.

يتكون مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (TIC) من ثلاثة مصطلحات: تكنولوجيا-المعلومات-الاتصالات، لهذا سنحاول التعريف بكل مصطلح على حدة، على أن نقدم تعريفا شاملا للمفهوم برمته.

أ- **مفهوم التكنولوجيا:** يتكون مصطلح تكنولوجيا Technologie من مقطعين هما: المقطع الأول: (Techno) وتعني في اللغة اليونانية "الفن" أو" صناعة يدوية" أو تقنية، والمقطع الثاني (Logie) وتعني علم أو نظرية، وبهذا يتولد عن تركيب المقطعين معنى علم صناعة المعرفة النظامية في فنون الصناعة أو العلم التطبيقي، وليس لديها مقابل أصيل في اللغة العربية، بل عربت بنسخ لفظها حرفيا "تكنولوجيا"، لأنها من الألفاظ الدخيلة من باب الاقتراض اللغوي[4].

ب-**مفهوم المعلومات:** مصطلح مأخوذ من الكلمة اللاتينية "Informai"وتعني إبلاغ أو إعطاء صورة للعقل يستطيع فهمها وتعني المعلومات، فهي مشتقة من الفعل علم بمعنى أدرك معنى الشيء، واصطلاحا: "فتعرف بأنها مجموعة بيانات منظمة ومرتبطة بموضوع معين وتشكل حقائق ومفاهيم وآراء واستنتاجات ومعتقدات تشكل خبرة ومعرفة محسوسة ذات قيمة مدركة في الاستخدام الحالي

1 -المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية (2004): الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص 38.

2 - ناجي، عبد الناصر (2013) : الجودة في التربية والتكوين الآليات والضوابط، في مجلة عالم التربية في عددين 22-23، ص240.

3 - المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية (2022): القانون الإطار 17-51، ص 19.

4 -الاقتراض اللغوي استعارة لفظة من لغة أجنبية للتعبير عن معان جديدة، وهو نوعان: الدخيل: وهو ما يحتفظ ببنيته الصوتية في لغته الأصلية والمعرّب: وهو الذي يجري تطويعه وإخضاعه للأوزان الصرفية العربية.

أو المتوقع"[1].وعليه تكون تكنولوجيا المعلومات هي كل التقنيات المستخدمة في جمع وتخزين ومعالجة ونقل عمليات التحليل والتصنيف والاستخلاص للمعلومات وتوجيه الإفادة منها من قبل المستفيدين بأيسر الطرق مع ضمان الإنجاز بالدقة والسرعة والوقت المناسب.

ت-**مفهوم الاتصالات:** الاتصالات:ج مفردها الاتصال، وهو لغة مشتق من مصدر وصل الذي يعني أساسا الصلة وبلوغ الغاية[2] عرفه قاموس المورد بأنه معلومات مبلغة، لتبادل الأفكار والآراء أو المعلومات عن طريق الكلام أو الكتابة أو الإشارات، لقد اشتقت كلمة اتصال Communication من الكلمة اللاتينية Commune وتعني المشاركة، وقد أشار الباحث مصطفى حجازي إلى أن مصطلح الاتصال هو عملية انتقال وتبادل المعلومات التي تتم بين الأفراد من خلال تعاملاتهم وتفاعلاتهم المشتركة، بما يؤثر على إدراكاتهم واستجاباتهم السلوكية[3]، وقد أشار البكري إلى أن مصطلح الاتصال يمثل النشاط الأساسي الذي تندرج تحته كافة أوجه النشاط الإعلامي والدعائي والإعلاني، فهو العملية الرئيسية التي يمكن أن تنطوي بداخلها عمليات فرعية أو أوجه نشاطات متنوعة [4].

ث-**مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات :** وردت لها عدة تعاريف، نذكر منها تعريف شوقي سالم الذي وصفها بأنها: "كافة الأدوات والأجهزة والبرامج المستخدمة في تخزين واسترجاع المعلومات مثل وسائل الاتصال، أجهزة الحاسوب الآلي، المكتبات"[5]، فهي بذلك تعني خزن وعرض المعلومات بوسائل تقنية حديثة، وفي المجال التعليمي يقصد بها كل التقنيات التعليمية التربوية التي تستعمل في تحليل المشكلات وحلها وتنفيذها وتقويمها بأسرع الطرق.

2- مفهوم الجودة:

من الناحية اللغوية، يعود مصطلح الجودة إلى الجذر اللغوي (ج. ي.د)، والجيد نقيض الرديء، فهي مشتقة من الفعل جاد يجود جودة، أي صار جيدا.

ومن الناحية الاصطلاحية، فمفهوم الجودة من بين المفاهيم التي ظهرت مع المقاولة خصوصا في مجالها الصناعي ثم امتد ليشمل جانبها الفلاحي، ثم أصبح متداولا بعد ذلك على نطاق واسع في

1 -م. حيدر شاكر، نوري، و م. محمود، حسن جمعة(2015): دراسات في أثر المعرفة وتكنولوجيا المعلومات في المنظمات، ص 95.

2 -ابن منظور (2003): لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، ج11، ص 868.

3 -حجازي، مصطفى (1982): الاتصال في العلاقات الإنسانية والإدارة، ط1، بيروت: دار الطليعة، ص 52.

4-البكري، فؤادة عبد المنعم (2002): الاتصال الشخصي في عصر تكنولوجيا الاتصال، ط1، القاهرة: دار عالم الكتب، ص 16.

5 -شوقي، سالم (1990): صناعة المعلومات: دراسة لمظاهر تكنولوجيا المعلومات المتطورة وآثارها على المنطقة العربية، الكويت: شركة المكتبات الكويتية، ص 8.

مختلف القطاعات الإدارية والمؤسسات الإنتاجية بشكل عام وفي مجال التعليم بشكل خاص، ومادامت المدرسة مجالا للتكوين والتأهيل، فقد استلهمت المقاولة في التسيير والتدبير، فتحول المنطق الذي يحكم المقاولة إليها، و يتجلى ذلك من خلال استحضار مبادئ وأسس المقاولة في تأسيس مدرسة جديدة، حيث "ينظر إلى المدرسة في سياق تحليل الجودة كمقاولة، حينما يكون الهم هو النجاعة الاقتصادية دون الأخذ بعين الاعتبار الجانب الثقافي والاقتصادي والبيداغوجي وقيم حقوق الإنسان والمواطنة"[1]، وبشكل عام لقد كان الهدف من الجودة هو وضع مجموعة من المعايير والإجراءات الملموسة لتحقيق مستوى تميزها وتفوقها بأقل تكلفة.

لقد وردت عدة تعريفات للجودة، نذكر منها ما ود على لسان مجموعة من الباحثين:

- "الالتزام الشامل نحو أداء الأعمال بشكل صحيح"[2].
- "أسلوب تطوير شامل ومستمر في الأداء، يشكل كافة مجالات العمل التعليمي، فهي إدارية تحقق أهداف كل من سوق العمل والمتعلمين، أي أنها تشمل جميع وظائف ونشاطات المؤسسة التعليمية والتكوينية"[3].
- "حكم قيمة نصدره بصدد منتوج أو بضاعة أو عمل، يعتبر في تقديرنا أنه يستجيب لمجموعة من الشروط المحددة سلفا، ويتميز بمجموعة من الخصائص التي نرى أنها توفرها في العمل أو المنتوج موضوع التقدير الذي يعتبر ضروريا "[4].
- "قدرة مجموع الخصائص الذاتية على إرضاء المتطلبات التي تمثل الحاجات أو التوقعات المعبر عنها أو الضمنية"[5].

هذه تعاريف تتعلق بالجودة بشكل عام، لكنها في المجال التربوي يقصد بها المعايير التي ينبغي توفرها في أداء المتعلمين وإنجازاتهم لتكون مستجيبة لما تم التخطيط له، حيث يمكن ترجمة

1- اللحية، الحسن (2006): الكفايات في علوم التربية- بناء كفاية، ط1، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ص 18.

2 -توفيق، عبد الرحمان (2002): الجودة الشاملة: الدليل المتكامل للمفاهيم والأدوات، ط1، القاهرة : مركز الخبرات المهنية للإدارة، ص29.

3-درباس، أحمد (1994): إدارة الجودة الشاملة -إمكانية الاستفادة من القطاع التعليمي السعودي، الرياض، رسالة الخليج العربي، العدد 50، ص14.

4-مفتاح، عبد الهادي(2013): دلالات ورهانات الجودة في مجلة عالم التربية، عدد خاص في جزأين 22-23، ص64.

5 -وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، مديرية المناهج والحياة المدرسية (2006): مشروع إرساء المرجعية الوطنية للجودة الوطنية (وثيقة تعريفية)، ص6.

هذه المعايير إلى أرقام مضبوطة لإصدار أحكام بخصوص مستوى أداء المتعلم ودرجة إتقانه ونجاعة التعليم وفعالية وسائله[1].

3- مفهوم التربية الإسلامية:

يتكون مصطلح التربية الإسلامية من كلمتين: هما: التربية، والإسلامية نسبة إلى الإسلام، فالتربية مشتقة من الفعل الرباعي ربَّا يربو ربوا، فقد ورد في معجم جمهرة اللغة لابن دريد:"ربَّا الشيء يربو ربوا إذا ارتفع...والربو والربوة والرباوة واحد وهو العلو من الأرض"[2]، أي زاد ونشأ، وورد في مختار الصحاح، "قال الْأَصْمَعِيُّ: رَبَوْتُ فِي بَنِي فُلَانٍ أَرْبُو نَشَأْتُ فِيهِمْ، وَرَبَّيْتُ فُلَانًا أُرَبِّيهِ تَرْبِيَةً، وَتَرَبَّيْتُهُ وَرَبَبْتُهُ و رَبَّبْتُهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. الْجَوْهَرِيُّ: رَبَّيْتُهُ تَرْبِيَةً وَ تَرَبَّيْتُهُ , أَيْ: غَذَوْتُهُ "، وقال في لسان العرب: "رَبَّ ولَدَه والصَّبِيَّ يَرُبُّهُ رَبّاً، ورَبَّبَه تَرْبِيباً وتَرِبَّةً، عن اللحياني: بمعنى رَبَّاه. وفي الحديث: لكَ نِعْمةٌ تَرُبُّها، أَي تَحْفَظُها وتُراعِيها وتُرَبّيها، كما يُرَبِّي الرَّجُلُ ولدَه"[3].

واصطلاحا وردت لها عدة تعاريف نذكر منها أولا: "التربية هي بناء الإنسان بناء متكاملا متوازنا متطورا من جميع الوجوه: جسميا وعاطفيا واجتماعيا وخلقيا وجماليا وإنسانيا، كما يكون هذا الإنسان بشخصيته لبنة حية فعالة في بناء مجتمعه"[4]، وثانيا: "هي إعداد المسلم إعدادا كاملا من جميع النواحي وفي جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام "[5]، وعموما هي مادة دراسية تروم تلبية حاجات المتعلم الدينية التي يطلبها منه الشارع، حسب سيروراته النمائية والمعرفية والوجدانية، والأخلاقية، وسياقه الاجتماعي والثقافي. فهي تعمل على تنشئة الفرد وبناء شخصيته بأبعادها المختلفة، وإعداده إعدادا شاملا ومتكاملا.

VI-صيرورة إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في نظامنا التربوي.

لقد كان المغرب من بين الدول التي كانت سباقة إلى إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في نظامها التربوي، لتتفاعل مع التحولات العميقة التي تعرفها الساحة التربوية الوطنية و الدولية، خصوصا أن العالم يطل علينا كل يوم باختراعات واكتشافات جديدة في كافة المجالات المعرفية، ولكي نحافظ على ديمومة نقل هذه المعارف إلى ناشئتنا، وتحقيق أهداف التربية والتكوين، وتجويد نظامنا التربوي، لابد من استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة لأنها أصبحت أمرا لا محيد عنه،

1 – بهاوي، محمد (2013): رهانات المنظومة التربوية وجودة الموارد البشرية، مجلة عالم التربية، عدد خاص في جزأين 22-23، ص 249.

2 –ابن دريد (1987): جمهرة اللغة، بيروت: دار العلم للملايين، ج 1، ص 330.

3 –ابن منظور(1414هـ/1993): لسان العرب، بيروت: دار صادر، ج3، ص 401.

4 – السيد، محمود أحمد(1978): معجزة الإسلام التربوية، الكويت: دار الكتب العلمية، ص 78.

5 –يالجن، مقداد(1989): أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، الرياض:دار الهدى، ص 20.

وضرورة ملحة لا غنى عنها، فهي وسيلة في حد ذاتها وليست غاية، ولا يمكنها أن تحل محل المدرس، لكنها تشكل وسيطا مهما بين المدرس والمتعلم ومن معينات الدرس التي لابد منها، ولهذا فهي تسمح بتوسيع آفاق الحوار التعليمي التربوي.

إن إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في نظامنا التربوي هو استجابة "لهذه التغيرات، ما من شأنه أن يؤدي إلى صياغة أدوار كل من الأستاذ والمتعلم، والكتاب المدرسي، والفصل الدراسي لمواكبة التطورات السريعة التي تشهدها المنظومات التربوية العالمية "[1]، وقد تم إدماجها في نظامنا التربوي في مرجعياته الوطنية الموجهة على مراحل محددة، نوردها كما وردت في سياقها وصيرورتها التاريخية:

أ-في الميثاق الوطني للتربية والتكوين:

نص الميثاق الوطني للتربية والتكوين (1999)، في دعامته العاشرة المتعلقة باستعمال التكنولوجيا الجديدة للإعلام والتواصل، حيث نصت المواد (121-120-119) على ضرورة الاعتماد على التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال، من خلال تيسير اقتناء كل مؤسسات التربية والتكوين للأجهزة المعلوماتية ومختلف المعدات والأدوات التربوية والعلمية لفائدة الأساتذة والمتعلمين والإداريين، حيث تم إطلاق برنامج نافذة في نسخته الأولى يوم 14 ماي 2008 لفائدة منخرطيها بهدف تشجيعهم للحصول على حواسيب محمولة، ثم تضمن العرض الثاني في نسخته الثانية الذي تضمن منحة مالية فردية تصل إلى 2000 درهما تقدم للمنخرط عند شرائه لحاسوب مكتبي أو محمول في حدود 150.000 مستفيدا بالاعتماد على قاعدة" أول قادم أول مستفيد" مع تخفيض بنسبة 25٪ على أثمنة الاشتراك. وكذا من خلال إعمال سلطات التربية والتكوين على إدماج هذه التقنيات في الواقع المدرسي، على اعتبار أن المدرسة العمومية تقع في صلب المشروع المجتمعي لبلادنا، لتكوين مواطنات ومواطني الغد، وتحقيق أهداف التنمية البشرية المستدامة [2]، ومما يشار إليه أنه رغم الإجماع الذي كان حول هذا الميثاق إلا أنه عرف اختلالات وقف عليها المجلس الأعلى للتعليم لهذا صدر المخطط الاستعجالي كآلية استدراكية تدعيمية للميثاق.

ب- في المخطط الاستعجالي: (2009-2012):

شكل المخطط الاستعجالي آلية استدراكية وتدعيمية في الآن ذاته للميثاق الوطني للتربية والتكوين، حيث ارتكز هو الآخر على الأرضية نفسها، لكن بمقاربة جديدة تنبني على المشروع وتعتبر

[1] - وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني بالمغرب (2014): الدليل البيداغوجي العام لإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم: المختبر الوطني للموارد الرقمية، ص 10.

[2] -المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي (2015): الرؤية الاستراتيجية 2015-2030، ص.5.

هي الأخرى الجودة الغاية المراد تحقيقها، حيث كان الهدف منه تدارك التأخر الحاصل في تطبيق مواد الميثاق الوطني، وزرع نفس جديد في مسلسل إصلاح المنظومة التربوية ومن بين النقط الأساس التي أتى بها هذا المخطط، مسألة إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال وحفز روح الإبداع ضمن مجال التعلمات، وتطوير العدد البيداغوجية ودمج التكنولوجيا ووسائل الاتصال على مستوى التعلم [1].

ج-في الرؤية الاستراتيجية للتربية والتكوين (2015-2030):

بناء على التقرير الذي أعدته الهيئة الوطنية لتقييم الميثاق الوطني للتربية والتكوين سنة 2014، فإن المدرسة المغربية لاتزال تعاني من اختلالات مزمنة، كضعف التمكن من اللغات والمعارف والكفايات والقيم، والولوج المحدود للتعلم عبر التكنولوجيات الحديثة...إلى غير ذلك، لهذه الأسباب أصدر المجلس الأعلى للتربية والتكوين الرؤية الاستراتيجية للتربية والتكوين(2015-2030) تحت شعار:"من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء"، حيث دعت إلى إرساء مجموعة من الدعامات الأساس لتحقيق الجودة المنشودة، منها الرافعة السادسة، المادة 28 التي تنص على" ضرورة تمكين كل فصول المؤسسات التعليمية من استعمال الوسائل السمعية البصرية، وتقنيات الإعلام والتواصل"[2].لما سيكون لهذا الاستعمال من نتائج ملموسة ستسهم لا محالة في رفع وتيرة التحصيل الدراسي لدى المتعلمات والمتعلمين، وتيسير عمل المدرسات والمدرسين، وإعطاء نفس جديد للمنظومة التربوية ككل

د- في القانون الإطار 17-51:

بعد إعداد المجلس الأعلى للتعليم الرؤية الاستراتيجية 2015-2030لإصلاح منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، تم تقديمها للملك محمد السادس نصره الله بتاريخ 20 ماي 2015، وبعد الاطلاع عليها وجه حفظه الله رئيس الحكومة إلى "صياغة قانون إطار يجسد تعاقدا وطنيا يلزم الجميع، ويلتزم الجميع بتفعيل مقتضياته"[3]، وفي 4 يناير 2018 صادق المجلس الحكومي على المشروع، ثم تم عرضه على أنظار المجلس الوزاري الذي صادق عليه بتاريخ 20 غشت 2018 بعد ذلك صادق عليه مجلس النواب بتاريخ 22 يوليوز 2019، ونشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 19 غشت 2019.

[1]-المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي (2009): المخطط الاستعجالي 2009-2012.

[2] - المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي (2015): الرؤية الاستراتيجية 2015-2030، ص20.

[3] -المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية (2019): القانون الإطار رقم 17-51 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، ص2.

لقد ورد في الباب الخامس من هذا الإطار المتعلق بالمناهج والبرامج والتكوينات:" على أنه يتعين على الحكومة أن تتخذ جميع التدابير اللازمة والمناسبة لتمكين مؤسسات التربية والتعليم والتكوين والبحث العلمي في القطاعين العام والخاص من تطوير موارد ووسائط التدريس والتعلم والبحث في منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، ولا سيما من خلال الآليات التالية: تعزيز إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في النهوض بجودة التعلمات وتحسين مردوديتها، وإحداث مختبرات للابتكار وإنتاج الموارد الرقمية وتكوين متخصصين في هذا المجال، وتنمية وتطوير التعلم عن بعد، باعتباره مكملا للتعليم الحضوري وتنويع أساليب التكوين والدعم الموازية للتربية المدرسية والمساعدة لها، وإدماج التعليم الإلكتروني تدريجيا في أفق تعميمه" [1].

وبهذا يكون هذا القانون ملزما للحكومة على توفير كل الوسائل اللازمة لإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المنظومة التربوية في أفق تعميمها، وتكوين متخصصين في هذا المجال، مما سيسهم لا محالة في تطوير تعليمنا في جميع المواد بصفة عامة، وتجويد تدريس مادة التربية الإسلامية بصفة خاصة.

VII-أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تجويد تدريس مادة التربية الإسلامية.

إن عصرنا الحالي هو عصر الثورة الإلكترونية بامتياز، حيث غزت التكنولوجيا كل مناحي الحياة، ولم تعد المدرسة قادرة على تخطي هذا المعطى الذي فرض نفسه اليوم، فما أهمية هذه التكنولوجيا في حياتنا التربوية بشكل عام، وفي تحسين جودة التعلمات في مادة التربية الإسلامية بشكل خاص؟

وجوابا عن هذه الأسئلة، يمكننا القول بأنه حان الوقت لتجاوز التفكير في توفير وسائل التكنولوجيا وأدواتها، وتوفير الموارد الرقمية المناسبة للمنهاج الدراسي المقرر ولمستوى المتعلمين، والتفكير في تكوين المدرس "الرقمي" القادر على امتلاك ناصية التكنولوجيات الرقمية وتوظيفها التوظيف البيداغوجي الملائم لروح العصر ولخصوصيات المجتمع الرقمي"[2]، وهذا ما تم بالفعل لكن بوثيرة بطيئة، حيث لاحظنا التوظيف الديداكتيكي من لدن الأساتذة في دروسهم غير أنه يبقى ضعيفا وغير ممنهج، كما أنها تبقى دون المستوى المأمول، فالعديد من السادة الأساتذة يجهلون أبجديات تكنولوجيا الاتصال، رغم أنه في السنوات الأخيرة تم تفعيل الوزارة للتكوينات المتعلقة بالتكنولوجيا

1- القانون الإطار رقم 17-51، م. س، المادة 33 منه، ص19-20.

2 -ناجي، عبد الناصر(2013): الجودة في التربية والتكوين: الآليات والضوابط، في مجلة عالم التربية، عدد خاص 22-23، ص 240.

الحديثة من خلال برنامج MOS [1] ابتداء من 2013، لأن تربيتنا اليوم تقتضي أن يتوفر المدرس على الأقل على ثلاث كفايات أساس:التحكم في مادة التدريس، حسن توظيف المعرفة البيداغوجية، التحكم في تكنولوجيا المعلومات والتواصل كما أن مجموعة من الثانويات التأهيلية تعرف خصاصا في هذه الوسائل التكنولوجية على سبيل المثال لا الحصر، هناك ثانويات بها ما يناهز 1800 تلميذا وتلميذة، بما يعادل 46 فصلا دراسيا من مختلف الشعب ولا تجد بها غير مسلاط واحد، أو على الأكثر مسلاطين اثنين، وهذا ما لاحظته بصفتي أستاذا لمادة التربية الإسلامية.

مما لا يختلف فيه اثنان، أن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أهمية بالغة في تدريس مادة التربية الإسلامية، ولها تأثير مباشر على المتعلمين والمتعلمات والأساتذة والأستاذات:

أ- **بالنسبة للمتعلمين والمتعلمات**

تساعد المتعلمين والمتعلمات على:

- تتبع الدرس بشكل جيد، حيث تكون نسبة التركيز لديهم مرتفعة لكونها تتصل بحواسهم مباشرة، خصوصا لما يكون عنصرا التشويق والإثارة حاضرين، وهذا ما نلاحظه من خلال عرض الوضعية المشكلة على السبورة ودراستها باستعمال المسلاط العاكس.
- توسيع مداركهم في مادة التربية الإسلامية وإثرائها، وتأطير مكتسباتهم السابقة من خلال تقويمها وتصحيح اعوجاجها.
- ترفع لديهم روح الدافعية والحماس، فتتيح لهم بذلك مزيدا من الحرية، وتوفير بيئة نفسية ملائمة للتعلم الفعال مما يجعل التلميذ يشعر بالاطمئنان وسهولة التعامل معها.
- طريقة فعالة لحل بعض المشكلات التربوية على مستوى عملية التدريس كعدم الانتباه، وعدم التركيز، والضجيج...إلى غير ذلك.
- تساعد على تنمية مهاراتهم في القراءة والكتابة والتجويد والتفسير من خلال استماعهم لأشرطة صوتية لسور القرآن الكريم المقررة برواية ورش عن نافع، سورة الكهف في الجذع المشترك، وسورة يوسف في السنة الأولى، وسورة يس في السنة الثانية، فيكتسبون بذلك أذنا نحوية تجويدية، تعلمهم مهارات النطق الصحيح للآيات وقواعد تجويدها، كما يطلعون على مختلف التفاسير المتعلقة بها وإدراك معانيها الحقة من خلال استعمال الشبكة العنكبوتية، مما يحبب المادة لديهم، ويجعل هذه الوسائل تقدم خدمة جليلة قد لا يؤديها الكتاب كوسيلة تقليدية للتعلم، لكن هذا لا

1- MOS (Microsoft Office Specialist) تكوين أطلقته وزارة التربية الوطنية في وجه الأطر التربوية والإدارية منذ 2013، على إثر توقيع اتفاقية للشراكة بين الوزارة وشركة ميكروسوفت لهذا الغرض.

يعني أن نترك قراءة الكتب، بل لابد من الاطلاع عليها والمداومة على قراءتها فهي معين لا ينضب.

- التعلم الذاتي للمتعلمين خارج أسوار المؤسسة، مما يساعدهم على إنجاز إعداداتهم القبلية في أحسن حال، "والدفع بهم إلى الانفتاح على معارف متنوعة بما يضمن لهم تطوير قدراتهم وتعميقها، وتنمية ملكاتهم الإبداعية"[1].

- وسيلة فعالة لعرض التقويمات على السبورة باستعمال المسلاط العاكس من خلال برامج مكتبية ك: Power Point و Word وغيرها، وعرض أجوبتها، وكذلك لعرض الامتحانات الإشهادية للسنة الأولى لمختلق الجهات، ومناقشتها وتقديم أجوبتها، مما يسهل على المتعلمين والمتعلمات الاطلاع على طريقة صياغة هذه الامتحانات الإشهادية وفق الإطار المرجعي للمادة، مما يسهم في ربح الوقت وتنظيم العمل، ودعم التلاميذ في مختلف التعثرات.

ب-بالنسبة للأستاذ.

- وسيلة ناجعة لتقديم الدرس بحلة جديدة، ربحا للوقت وتقليصا للجهد، مع إمكانية الحصول على مستوى تعليمي أفضل.

- ترفع من أداء أستاذ(ة) مادة التربية الإسلامية، وتُحسِّن طرق تدريسه لهذه المادة، وفق مقاربات تربوية فعالة. كما تساعده على تقديمها داخل الفصل بأسلوب مشوق في جو من التفاعل الإيجابي والعمل الجماعي التشاركي، وخارج الفصل من خلال أنشطة الإعداد القبلي.

- توسيع الخبرات المهنية المكتسبة لدى أستاذ مادة التربية الإسلامية باطلاعه على مختلف التفاسير والقراءات وقواعد التجويد والمستجدات المتعلقة بتدريس المادة.. وغيرها.

- تحقيق أهداف تعليمية تربوية قابلة للقياس، وغير مكلفة من حيث الجهد والوقت.

- تسهم في تجويد تدريس مادة التربية الإسلامية من خلال الحصول على نقط متميزة، خصوصا في المستويات الإشهادية.

- تساعده في نقل المعلومات بسرعة فائقة بالصوت والصورة مثل استعمالها في: دروس السيرة النبوية وغيرها.

[1] – الدراوي، محمد علي (2020):التوظيف الديداكتيكي للموارد الرقمية في تدريس مادة التربية الإسلامية بالمستويات الابتدائية، في مؤلف جماعي: ديداكتيك المواد الدراسية (الرؤى والمقترحات)، ط1، الناظور، المغرب:المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، ص82.

- وسيلة للأستاذ لدعم تلامذته على تجاوز تعثراتهم واسترجاع بعض المعلومات التي قد تفوتهم داخل فصولهم الدراسية لسبب من الأسباب.

- سبيل لمصادر متعددة للتعلم، مما يعني عدم الاقتصار على الكتاب المدرسي كمصدر وحيد لنقل المعرفة، وبهذا يتم الانتقال من الدور التقليدي للأستاذ من كونه ناقلا للمعرفة إلى دور آخر يصبح فيه مرشدا وموجها للمتعلمين والمتعلمات.

- تساهم في تغير دور الأستاذ والتلميذ، حيث أصبح التلميذ محور العملية التعليمية التعلمية، ولم يعد دور الأستاذ مقتصرا على نقل المعلومات واتباع أسلوب التلقين، وإنما أصبحت العملية التعليمية التعلمية تشاركية بين الطرفين، فإدخال هذه التكنولوجيا لا يلغي عناصر وأساسيات التعليم التقليدي، إلا أنه قيمة مضافة تسهم في تسهيل الاتصال العلمي والتربوي، مما يجعلها تعزز دور المعلم ولا تحل مكانه بأي شكل من الأشكال فهو بذلك يصبح رجل التربية التكنولوجية بامتياز.

- وسيلة فعالة للحد من الفوارق الفردية بين المتعلمين، من خلال خلق الأستاذ على توفير بيئة تعليمية تفاعلية متعددة الموارد الرقمية، يتم انتقاؤها بحسب تنوع الفئات واختلاف مستوياتها.

V-بعض معيقات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في السلك الثانوي التأهيلي

رغم المجهودات التي باشرتها الوزارة في إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المؤسسات التعليمية من خلال مجموعة من خلال سن مجموعة من المرجعيات الوطنية كالميثاق الوطني للتربية والتكوين، الرؤية الاستراتيجية 2015-2030-القانون الإطار 17-51، فإنها تعترضها مجموعة من المعيقات، نذكر منها:

- عدم التوصل إلى تعميم وسائل التكنولوجيا الحديثة على كل المؤسسات التعليمية، رغم المجهودات المبذولة من لدن ووزارة التربية الوطنية، إلا أنها تبقى غير كافية.

- تخصيص ساعات قليلة وغير كافية في مادة الإعلاميات، وعدم تعميم القاعات المتعددة الوسائط في مؤسساتنا التعليمية.

- قلة التكوينات المتعلقة بهذه التكنولوجيا، رغم المجهودات المبذولة.

- عدم تغطية جميع المؤسسات بشبكة الأنترنت، مما يعوق استخدام هذه التكنولوجيات بشكل معمق.

VIII- الحلول الكفيلة لتجاوز هذه المعيقات

يشكل التوظيف الأمثل لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات قطب الرحى في تدريس مادة التربية الإسلامية، لهذا لا بد من استحضار بعض الحلول الكفيلة لتجاوز المعيقات التي تحول دون تحقيق الجودة المنشودة، نذكر منها:

- إنتاج مواد رقمية تناسب المستوى التعليمي للمتعلمين، وتساير المقرر الدراسي، بما يراعي الفروق الفردية بينهم.
- إنتاج مواد رقمية تعالج وضعيات مشكلة لسير المداخل الخمسة: التزكية: قرآن كريم، التزكية: عقيدة، الاقتداء، الاستجابة، القسط، الحكمة، ووضعيات تقويمية تركيبية دالة لاستعمالها في التقويم والدعم.
- تجاوز النقص الحاصل على مستوى الوسائل التكنولوجية، وتعميمها على جميع المؤسسات التعليمية.
- تكثيف التكوينات للسادة الأساتذة في مجال طريقة استعمال لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في سير الدروس، والتوظيف الأمثل لها.
- منح تسهيلات إضافية للسادة الأساتذة لاقتناء الحواسيب، بغرض استعمالها في التدريس.
- تزويد المؤسسات التعليمية على الأقل بالعدة الكافية من الوسائل التكنولوجية المعاصرة: كالحاسوب والمسلاط العاكس(Rétroprojecteur)(data-show)، والسبورة الورقية، والأجهزة السمعية.

الخاتمة:

مما لا شك فيه أن التعليم هو طريق التعلم، وقاطرة التنمية، وهو أساس نهضة كل مجتمع ورقيه، وهذا التقدم لا يصنع من فراغ، بل لابد من جودة التعليم التي لن تتأتى إلا بتوفير مدرسين ومدرسات أكفاء متمكنين من استخدام التقنيات التربوية في دروسهم الصفية، وفي حقيقة الأمر هذا ما تم أخذه بعين الاعتبار في انتقاء أجود الأساتذة والأستاذات في الاختبارات الشفهية، للتحقق من اتقانها قبل انخراطهم في المهنة، لأن هذا الأمر أصبح ضروريا لتحقق مدارسنا الجودة المنشودة، علاوة على العلم الواسع والسلوك القويم، وهذا لن يتحقق إلا باختيار أحسن العناصر خلقا وذكاء وعلما ومهارة، كما ينبغي للساهرين على نظامنا التربوي أن يأخذوا بعين الاعتبار كل الإكراهات المطروحة لتنزيل الإدماج الحقيقي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والبحث عن الحلول الكفيلة لتجاوزها وما تنبغي الإشارة إليه في هذه الخلاصة الختامية أن مادة التربية الإسلامية لم تنل حظها

من تكنولوجيا الإعلام والتواصل بالشكل الكافي، كما ينبغي التوظيف الديداكتيكي للموارد الرقمية من خلال إعداد السيناريو البيداغوجي لمادة التربية الإسلامية، وعلى هذا الأساس فإن الحين قد أزف لإعادة الاعتبار لهذه المادة لتعلقها بكتاب الله عزوجل وسنة نبيه الكريم، ورجاؤنا وأملنا كبير في الوزارة الوصية لتحقيق المبتغى.

لقد كانت لهذه الدراسة مجموعة من النتائج، تكمن في أن:

1- لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أدوارا محورية في العملية التعليمية التعلمية، خدمة للأستاذ والتلميذ على حد سواء.
2- بها يتم تجاوز الطريقة التقليدية المعتمدة على التلقين إلى طرق حديثة تجمع بين الصوت والصورة، فتلفت انتباه التلميذ وتجذب نظره، مما يجعلها مثيرة ومشوقة.
3- تنقل التلميذ من الحالة التي يكون فيها سلبيا ومتلقيا فقط إلى الحالة التي يصبح فيها فعالا ونشيطا وفعالا في كل محاور الدرس.
4- لاحظنا وجود مجموعة من العوائق التي تحول دون تعميم استخدام هذه الوسائل في الوسط التربوي بشكل عام وفي مادة التربية الإسلامية بشكل خاص.
5- لم تنل مادة التربية الإسلامية حظها من هذه الوسائل لعدة إكراهات، عكس بعض التخصصات العلمية كالعلوم الفيزيائية والطبيعية وغيرها.

في ضوء هذه النتائج فإن الحين قد أزف لإعادة الاعتبار لهذه المادة الأساس لتعلقها بكتاب الله وسنة رسوله الكريم، وأملنا كبير في الوزارة الوصية لإعادة الاعتبار للمدرسة العمومية بشكل عام، ولمادة التربية الإسلامية بشكل خاص، بتعميم استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على نطاق واسع بما يخدم مصلحة التلميذ(ة) الفضلى.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع اللغة العربية

1- البكري، فؤادة عبد المنعم (2002): *الاتصال الشخصي في عصر تكنولوجيا الاتصال*، ط1، القاهرة، دار عالم الكتب.
2- توفيق، عبد الرحمان (2002): *الجودة الشاملة: الدليل المتكامل*، القاهرة، مركز الخبرات المهنية للإدارة،
3- حجازي، مصطفى (1982): *الاتصال في العلاقات الإنسانية والإدارة*، ط1، بيروت، دار الطليعة.
4- اللحية، الحسن (2006): *الكفايات في علوم التربية: بناء كفاية*، ط1، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق،

5- فضيل، دليو (2010): *التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال: المفهوم الاستعمالات والآفاق (NTIC-NICT)*، عمان، دار الثقافة.

6- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني بالمغرب (2014): *الدليل البيداغوجي العام لإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم*، المختبر الوطني للموارد الرقمية.

7- السيد، محمود أحمد(2014): معجزة الإسلام التربوية، الكويت، دار الكتب العلمية.

8- شوقي، سالم(1990): *صناعة المعلومات: دراسة لمظاهر تكنولوجيا المعلومات المتطورة وآثارها على المنطقة العربية*، الكويت، شركة المكتبات الكويتية، .

9- عناية، غازي(2014) : *البحث العلمي: منهجية إعداد البحوث والرسائل الجامعية*، ط 1، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع.

10- نوري، حيدر شاكر، و جمعة، محمود حسن (2013): *دراسات في أثر المعرفة وتكنولوجيا المعلومات في المنظمات*، العدد 97، كلية الآداب والاقتصاد، جامعة ديالي، بغداد، منشورات مجلة الإدارة والاقتصاد.

10-المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي (2015): *الرؤية الاستراتيجية 2015-2030*.

11- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية (2019): *القانون الإطار 17-51*.

12- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية (1999): *الميثاق الوطني للتربية والتكوين*.

13- يالجن، مقداد(1989): *أهداف التربية الإسلامية وغاياتها*، الرياض، دار الهدى.

المقالات

- الدراوي، محمد علي (2013): *التوظيف الديداكتيكي للموارد الرقمية في تدريس مادة التربية الإسلامية بالمستويات الابتدائية، في مؤلف جماعي: ديداكتيك المواد الدراسية (الرؤى والمقترحات)*، ط1، الناظور: المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث.

- درباس، أحمد (1999): *إدارة الجودة الشاملة -إمكانية الاستفادة من القطاع التعليمي السعودي*، رسالة الخليج العربي، العدد 50، الرياض.

- ناجي، عبد الناصر (2013): *الجودة في التربية والتكوين الآليات والضوابط*، في مجلة عالم التربية في عددين 22-23، ص246-235.

- بهاوي، محمد (2013): *رهانات المنظومة التربوية وجودة الموارد البشرية*، مجلة عالم التربية، عدد خاص في جزأين 22-23، ص ص247-268.

- مفتاح، عبد الهادي (2013): *دلالات ورهانات الجودة*، مجلة عالم التربية، عدد خاص في جزأين 22-23، ص ص63-76.

- ناجي، عبد الناصر (2013): *الجودة في التربية والتكوين: الآليات والضوابط*، في مجلة عالم التربية، عدد خاص 22-23، ص235-246.

المعاجم والقواميس العربية والأجنبية

- ابن دريد (2013): *جمهرة اللغة*، ج 1، لبنان، دار العلم للملايين.

- ابن منظور (1993): *لسان العرب*، ج3، بيروت، دار صادر.

الأمية والتسرب المدرسي في محافظة ذي قار 2009-2020

Illiteracy and school dropout in Dhi Qar Governorate 2009-2020

الباحثة: سماح حليم ثامر

أ.د. حسين عليوي ناصر الزيادي: كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق.

Researcher: Samah Halim Thamer

Prof.Dr. Hussein ulaiwi Nasser Hussein Al-Zeyyadi: University of Thi Qar، faculty of Arts Iraq.

الملخص:

يُعَدُّ التعليم ركنًا أساسيًّا من أركان التنمية البشرية، لأنه يشكِّل قاعدةً أساسيةً في تكوين شخصية الفرد وبناء الذات وتكوين المهارات، كما أن للتعليم تأثيرًا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتُعَدُّ الأمية أحد أسباب التخلف التي ينتج عنها عوامل تؤدي إلى زيادة العبء على كاهل الدولة وطول فترة الإعالة وتفشي التخلف، وإن ارتفاع مستوى الأمية في أي مجتمع يشير إلى تخلف ذلك المجتمع، لذا تناول البحث دراسة التباين المكاني لظاهرة الأمية في المحافظة في خلال مدد مختلفة لبيان مقدار التغير الحاصل في المجتمع، إذ أظهرت الدراسة وجود ارتفاع في مستوى الأمية في المحافظة لا سيما في أعداد الإناث، وذلك بسبب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي مرت بها المحافظة، فضلًا عن سيطرة العادات والتقاليد التي لا تشجع تعليم الإناث خصوصًا في الأقضية والنواحي، لذلك تهدف الدراسة إلى تشخيص الواقع التعليمي في المحافظة وقياس التباين المكاني للتركيب التعليمي، وقد اعتُمِد على المنهج الوصفي التحليلي بالاستعانة بالأساليب الإحصائية والكمية وطرق التمثيل الخرائطي، وخرجت الدراسة بجملة من النتائج أبرزها ارتفاع مستويات الأمية لا سيما أمية الإناث وهو مؤشر خطير يستدعي المعالجة، وأوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بمراكز محو الأمية والتشديد على إلزامية التعليم.

الكلمات المفتاحية: التعليم في العراق، الأمية في العراق، التعليم في محافظة ذي قار.

Abstract:

Education is a cornerstone of human development, as it creates essential base in the formation of the individual's personality, self-building and skills development. Education also has an impact on social and economic life, and illiteracy is one of the causes of underdevelopment that result in factors increase: the burden on the state, the length of the dependency period and the spread of underdevelopment. The high level of illiteracy in any society indicates the underdevelopment of that society, so the research dealt with the study of the spatial variability of the illiteracy phenomenon in the governorate during a different period to show the extent of change occurring in the society. The study showed a high level of illiteracy in the governorate, especially among females, due to the economic, social and political conditions in the governorate, as well as the dominance of customs and traditions that do not encourage education for females, especially in districts and sub-districts. Therefore, the research aims to analyze the educational reality in the governorate and to measure the spatial variability of the educational structure. The descriptive analytical approach has been used, using statistical and quantitative methods, in addition to cartographic representation methods. The research reached a set of conclusions, the most significant is the high levels of illiteracy, especially female illiteracy, which is considered as a dangerous indicator that requires treatment. The research recommended the necessity of paying attention to literacy centers and concentrating on the necessity of education.

Keywords: Education in Iraq, Illiteracy in Iraq, Education in Thi-Qar governorate.

المقدمة:

تُعَدُّ دراسة التركيب التعليمي للسكان من المؤشرات المهمة، لأنها تأخذ حيزًا كبيرًا في الدراسات السكانية، وتمثِّل مقياسًا للتنمية الاجتماعية وحجم التطور الثقافي للمجتمع، لما لها من تأثير واضح في الخصائص الديموغرافية المتمثلة بالمواليد والوفيات، إذ يُعَدُّ التعليم أداةً لقياس مقدار التطور في المجتمعات البشرية، لأنه يمثِّل العامل المهم في نجاح المجتمع وقطف ثماره، كما يمثِّل الوسيلة المهمة التي يستطيع من خلالها المجتمع الإسهام في الحضارة العالمية، لذا يُعَدُّ التعليم ضرورةً اجتماعيةً وحيويةً لا غنى عنها، فضلًا عن كونها حقًّا من حقوق الإنسان، لبناء شخصيته وتطوير مهاراته الفكرية والمساهمة في القوى الإنتاجية الفعالة.

مشكلة الدراسة:

تدور مشكلة الدراسة حول معرفة واقع التسرب المدرسي ومستويات الأمية في محافظة ذي قار، ومعرفة أبرز المتغيرات الجغرافية التي أسهمت في هذا التركيب، والوقوف على أسباب ارتفاع مستويات الأمية في المحافظة.

منهج الدراسة:

اتُّبِع المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الواقع التركيب التعليمي للمحافظة، فضلًا عن الاعتماد على الأساليب والطرق الإحصائية، لما لها من أثر وأهمية في إظهار النتائج وتشخيص الأسباب.

فرضية الدراسة:

توجد متغيرات جغرافية أسهمت في تباين مستويات التركيب التعليمي في المحافظة، ويوجد ارتفاع ملحوظ في مستويات الأمية والتسرب المدرسي، ناجم عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها المحافظة في خلال المدد الزمنية المختلفة.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال النقاط الآتية:

1. يُعَدُّ المستوى التعليمي لأي منطقة مرآةً مهمةً لواقع التنمية البشرية فيها.
2. إن دراسة التركيب التعليمي للمحافظة يعطي انطباعًا حقيقيًّا عن الخدمات التعليمية المقدمة لمجتمع المحافظة.
3. تسهم دراسة التركيب التعليمي في تشخيص الصعوبات والعقبات التي تواجه الواقع التعليمي في المحافظة.

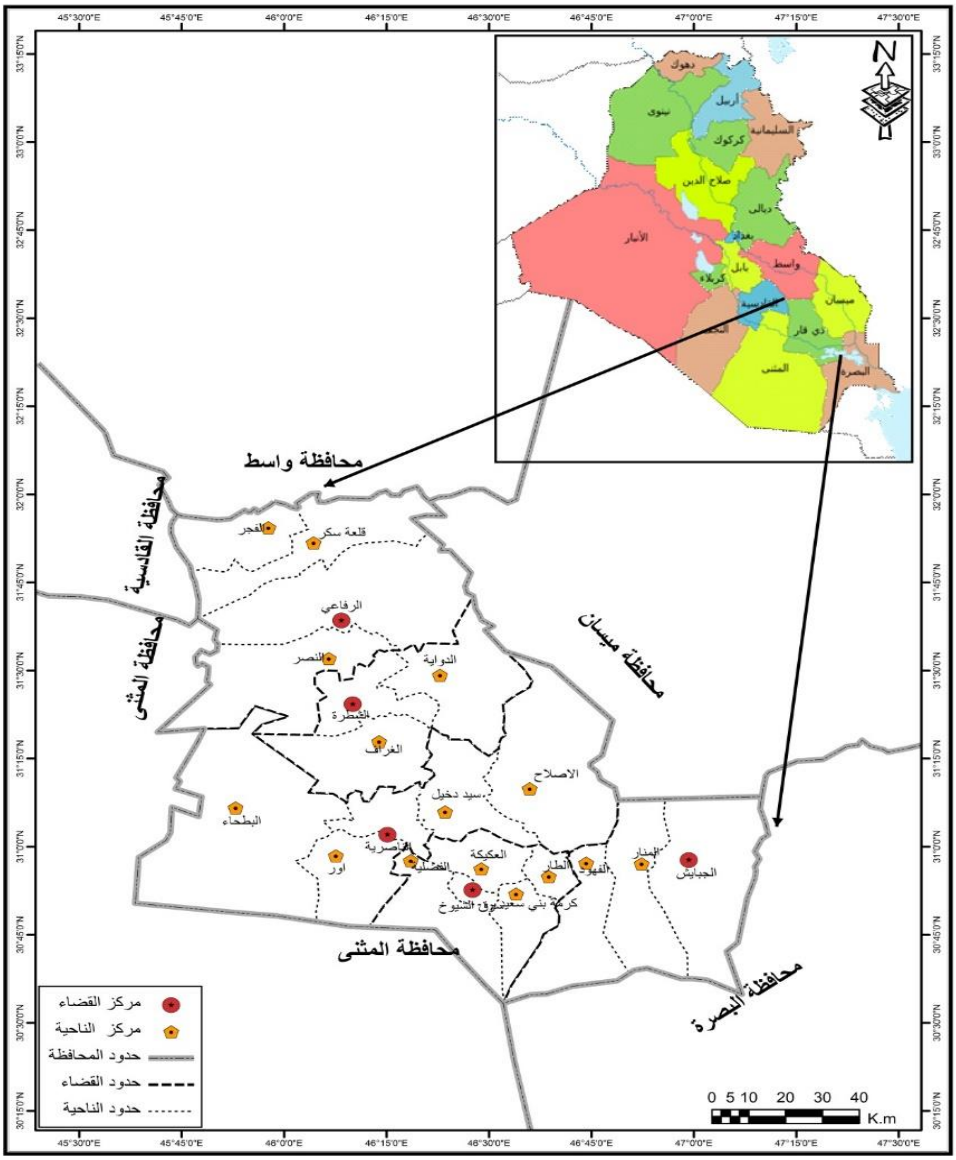
4. إن دراسة التركيب التعليمي يسهم في معرفة مستويات الأمية في المحافظة، بالتالي اتخاذ القرارات اللازمة للحد منها ومعالجتها.

5. يعاني الجانب التربوي في المحافظة من ارتفاع مستويات التسرب المدرسي نتيجة لعوامل ومتغيرات متعددة، لا سيما بالنسبة لتسرب الإناث، وهو أمر ناجم عن العادات والتقاليد التي تحكم الواقع الاجتماعي بالمحافظة.

الحدود المكانية والزمانية:

تمثلت منطقة الدراسة مكانيًّا في محافظة ذي قار الجزء الجنوبي من العراق، التي تقع بين دائرتي عرض 30.33°–32° شمالًا، وخطي طول 45.30°–47.12° شرقًا، يحدها من جهة الشمال محافظة واسط، وتتمثل حدودها الشرقية في محافظة ميسان، أما حدودها الغربية فتتمثل في محافظتي القادسية والمثنى، أما عن حدودها الجنوبية فتحدها محافظة البصرة وجزء من محافظة المثنى ينظر، وتتكون محافظة ذي قار من خمسة أقضية: قضاء الناصرية، وقضاء الرفاعي، وقضاء سوق الشيوخ، وقضاء الشطرة، وقضاء الجبايش، وست عشرة ناحية) كما في الخريطة (1) في بعض المرات اقتضت الدراسة الاعتماد على القضاء أساسًا للدراسة لعدم توفر التقديرات السكانية للنواحي، فقد بلغت مساحة المحافظة 900,12 كم^2 واحتلت المرتبة السابعة بين المحافظات العراقية من حيث المساحة، أما بالنسبة للحدود الزمانية للدراسة فتمثلت بالأعوام 2009–2020.

الخريطة (1): موقع محافظة ذي قار من العراق.



المصدر: جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط الرقمية، خريطة محافظة ذي قار الإدارية من العراق، مقياس 2500000/1، بغداد 2019.

أولًا: التباين المكاني لظاهرة الأمية في محافظة ذي قار 2009-2020

المقصود بـ"الأمِّيّ"، كما تعرِّفه منظمة الأمم المتحدة، كل شخص لا يستطيع القراءة والكتابة ولو شيئًا قصيرًا عن حياته اليومية، فضلًا عن تعريف "الأمية" بأنها انعدام القدرة على استخدام مهارات مثل القراءة والكتابة والحساب ليتمكن الفرد من أن يؤدي وظيفته ويتطور مع المجتمع تطوُّرًا فعَّالًا، إذ جاء تعريف "الأمية" في العراق وفق المادة الأولى والثانية في قانون محو الأمية، إذ نصَّ على أن كل شخص تجاوَز سن 15 عامًا ولم يتعدَّ 45 عامًا ولا يعرف القراءة والكتابة ولم يصل إلى المستوى الحضاري يُعَدُّ أمِّيًّا، ويُقصد بالمستوى الحضاري تمكُّن الفرد من القراءة والكتابة والحساب، والتي تُعَدُّ وسيلةً لتطوير الفرد ورفع مستوى الحياة ثقافيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا[1] تشكل الأمية ظاهرةً اجتماعيةً خطيرةً جدًّا، وتكمن خطورتها في أنها تعيق سير عملية التنمية في المجتمع، إذ تشكِّل عبئًا على ميزانية الدولة في حال لم تسعَ الجهات المسؤولة للتخلص منها أو تقليل نسبتها، و"الأمِّيّ" الفرد الذي لم يحصل على أية شهادة في التعليم النظامي[2]، والمقصود بـ"تعليم الكبار" توفير الفرص التربوية المنظَّمة لمن هُم في سنٍّ أكبر من السن المدرسي، لأجل القضاء على الأمية ومكافحتها، وتزويدهم بالثقافة العامة بالوصول للمستوى الذي يحسِّن حياتهم ويؤهلهم للمشاركة في تنمية المجتمع وتطويره[3].

يلحظ من الجدول (1) والأشكال (1، 2، 3) كيف تتوزع مراكز محو الأمية في محافظة ذي قار في خلال السنوات المدروسة، إذ احتل قضاء الرفاعي المرتبة الأولى من حيث عدد مراكز الأمية، إذ بلغ عددها 210 مراكز لعام 2009 تضم من الذكور 3618 ومن الإناث 15,729 ليبلغ العدد الاجمالي للأميين 19,347 أمِّيًّا.

(1) علي عبد الأمير ساجت، التغير المكاني لظاهرة الأمية بين سكان العراق لسنتي 1997–2007 وعلاقته المكانية بالتغيرات ذات العلاقة بالخصائص الديموغرافية والعمالة، بحث في التركيب التعليمي للسكان، جامعة بغداد، مجلة كلية الآداب، العدد 96، 2011، ص163.

(2) هيلين محمد عبد الحسين البديري وحسين جعاز ناصر الفتلاوي، التركيب التعليمي للسكان في النجف الأشرف، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد 48، 2017، ص20.

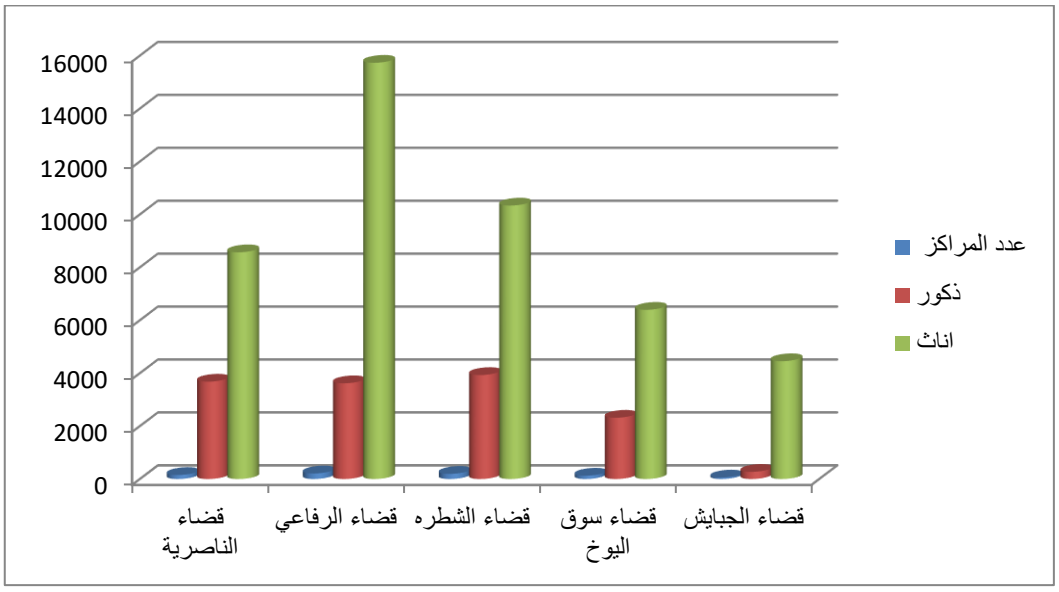
(3) جمعة حجازي، الأمية (تفاقم المشكلة وتعثر الحلول) ، المكتب المركزي للإحصاء، دمشق، 2007، ص7.

جدول (1): يوضح التوزيع العددي لمراكز الأمية والدارسين في محافظة ذي قار بحسب الوحدات الإدارية للمدة 2009-2015-2020

الوحدات الإدارية	2009				2015				2020			
	عدد المراكز	ذكور	إناث	المجموع الكلي للطلاب	عدد المراكز	ذكور	إناث	المجموع الكلي للطلاب	عدد المراكز	ذكور	إناث	المجموع الكلي للطلاب
قضاء الناصرية	152	3679	8567	12246	35	250	680	930	18	200	490	690
قضاء الرفاعي	210	3618	15729	19347	8	107	290	397	4	70	95	165
قضاء الشطرة	195	3929	10334	14263	7	95	260	355	1	25	40	65
قضاء سوق الشيوخ	126	2315	6393	8708	14	64	470	534	7	140	180	320
قضاء الجبايش	56	271	4452	4723	-	-	-	-	6	87	97	184

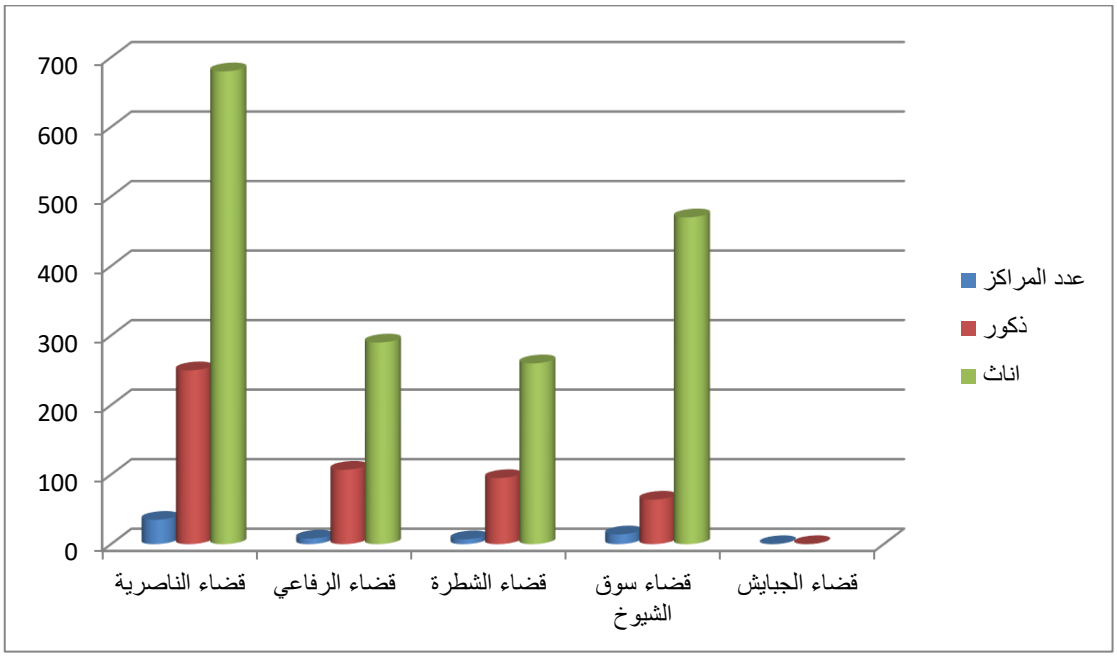
المصـــــدر: الباحثة بالاعتماد على: المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار، مركز محو الأمية، شـــعبة الإحصاء، الكراس الإحصائي للأعوام 2009-2015-2020، بيانات غير منشورة.

شكل (1): يوضح التوزيع العددي لمراكز محو الأمية حسب الوحدات الإدارية والجنس في محافظة ذي قار لعام 2009



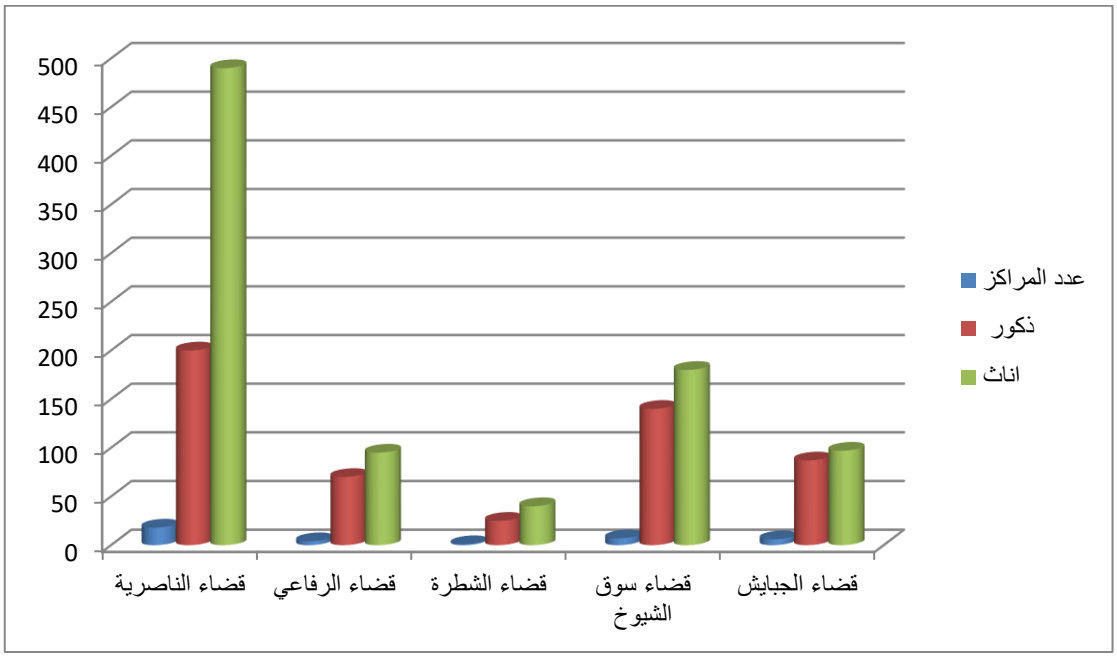
المصدر: الباحثة بالاعتماد على جدول (1).

شكل (2): يوضح التوزيع العددي لمراكز محو الأمية حسب الوحدات الإدارية والجنس في محافظة ذي قار لعام 2015م



المصدر: الباحثة بالاعتماد على جدول (1).

شكل (3): يوضح التوزيع العددي لمراكز محو الأمية حسب الوحدات الإدارية والجنس في محافظة ذي قار لعام 2020



المصدر: الباحثة بالاعتماد على جدول (1).

وجاء بعده في المرتبة الثانية قضاء الشطرة بعدد مراكز بلغ 195 مركزًا تضم من الذكور 3,929 ومن الإناث 10,334، ويبلغ العدد الكلي 14,263، أما المرتبة الثالثة فقد كانت من نصيب قضاء الناصرية بعدد مراكز بلغ 152 مركزًا تضم من الذكور 3,679 ومن الإناث 8,567 ليبلغ

العدد الكلي للأميين 12,246 أمِّيًا، أما المرتبة الرابعة فكانت من نصيب قضاء سوق الشيوخ بعدد مراكز بلغ 126 مركزًا تضم من الذكور 2,315 ومن الإناث 6,393 ليبلغ العدد الكلي للأميين 8,708 أمِّيّين، وجاء في المرتبة الأخيرة قضاء الجبايش بعدد مراكز بلغ 56 مركزًا تضم من الذكور 271 ومن الإناث 4,452 ليبلغ العدد الكلي الأميين 4,723 أمِّيًا لعام 2009، إذ يتضح وجود تباين من وحدة إدارية لأخرى من حيث أعداد المراكز وأعداد الدارسين، ويعود توزيع المراكز بهذه الصورة إلى النمو السكاني وكثرة الأميين الذين لم يتمكنوا من الانضمام إلى التعليم لأسباب كثيرة منها اقتصادية واجتماعية ونفسية وغيرها، إلا أن الجدول أعلاه يبين لنا مقدار التباين الواضح في خلال السنوات المدروسة وانخفاض أعداد مراكز الأمية وكذلك أعداد الدارسين، إذ يلحظ في عام 2015 أن قضاء الناصرية جاء في المرتبة الأولى من حيث أعداد المراكز، إذ بلغ عددها 35 مركزًا تضم من الذكور 250 ومن الإناث 680 ليبلغ العدد الكلي للأميين 930 أمِّيًا، في حين احتل قضاء سوق الشيوخ المرتبة الثانية بعدد مراكز بلغ 14 مركزًا تضم من الذكور 64 ومن الإناث 470 ليبلغ العدد الكلي 534 أمِّيًا، أما المرتبة الثالثة فكانت من نصيب قضاء الرفاعي بعدد مراكز بلغ 8 مراكز تضم من الذكور 107 ومن الإناث 290 ليبلغ العدد الكلي 397 أمِّيًا، أما المرتبة الأخيرة فكانت من نصيب قضاء الشطرة بعدد مراكز بلغ 7 مراكز يضم من الذكور 95 ومن الإناث 260 ليبلغ العدد الكلي 355 أمِّيًا، وتجدر الإشارة إلى أن قضاء الجبايش في عام 2015 لم تتوفر فيه مراكز أمية، إذ لا يوجد دارسين، بالتالي المراكز التابعة لقضاء الجبايش كانت مغلقة، أما في عام 2020 فقد جاء قضاء الناصرية في المرتبة الأولى بعدد المراكز إذ بلغ 18 مركزًا يضم من الذكور 200 ومن الإناث 490 أمِّيًا ليبلغ العدد الكلي 690 أمِّيًا، وتلاه قضاء سوق الشيوخ في المرتبة الثانية إذ بلغ عدد المراكز 7 مراكز تضم من الذكور 140 ومن الإناث 180 ليبلغ العدد الكلي 320 أمِّيًا، أما المرتبة الثالثة فكانت من نصيب قضاء الجبايش بعدد مراكز بلغ 6 تضم من الذكور 87 ومن الإناث 97 ليبلغ العدد الكلي 184 أمِّيًا، إذ يلحظ أن قضاء الجبايش أعاد افتتاح مراكزه مع توفر أعداد دارسين من كلا الجنسين، وتلاه في المرتبة الرابعة قضاء الرفاعي بعدد مراكز بلغ 4 مراكز تضم من الذكور 70 ومن الإناث 95 ليبلغ العدد الكلي 165 أمِّيًا، أما المرتبة الأخيرة فكانت من نصيب قضاء الشطرة بعدد مراكز بلغ مركزًا واحدًا ضم من الذكور 25 ومن الإناث 40 ليبلغ العدد الكلي 65 أمِّيًا، ويرجع ذلك إلى ارتفاع نسبة الأمية في عام 2009 إلى أن أعدادًا كبيرةً قد تسربت من الدراسة أو لم تلتحق من الأساس في التعليم نتيجةً للظروف الاقتصادية التي يمر بها البلد في تلك الفترة من سوء أوضاع وتدهور الأوضاع الأمنية وما يعانيه البلد من اغتيالات واعتقالات وخطف، مما دفع العديد من الأهالي للامتناع عن زج أبنائهم في التعليم، وللعادات والتقاليد دور في كثرة أعداد الأميين وخصوصًا من الإناث في القرى والأرياف، إذ يفضلون أن تبقى البنات في البيت لممارسة أعمال المنزل او الزواج في سن مبكر، مما يؤدي إلى حرمان الإناث من التعليم، كما ينال الذكورَ نصيبٌ من ذلك فكثير منهم يُزج في ميدان العمل وخصوصًا الأعمال الزراعية وتربية الحيوانات أو

يُزوَّج في سنٍ مبكرة لأجل زيادة النسل وتحملهم المسؤولية، بالتالي يتبع تلك الممارسات زيادة أعداد الأميين وزيادة العبء على الدولة، إلا أنه في السنوات الأخرى التي أشار إليها الجدول أعلاه يلاحَظ انخفاض أعداد الدارسين في الأمية من سنة إلى أخرى، ويُعزى ذلك إلى زيادة نسبة التحضر واندماج المجتمع واطِّلاعه على المجتمعات الأخرى لمواكبة التطور الحاصل، كما أن توفر فرص التعليم من حيث توفير المدارس والمعاهد والجامعات وتحسن الدخول أدى إلى تشجيع الأهالي لزج أبنائهم في التعليم من أجل بناء المهارات الفكرية والثقافية وتنمية المجتمعات وتحسين الوضع المعاشي للفرد، وكما هو معروف فإنه كلما ارتفع المستوى التعليمي كلما زادت فرصة الحصول على عمل بدخل أعلى، وأدت تلك العوامل إلى توعية المجتمع بأهمية التعليم في بناء مستقبل الفرد، بالتالي كلما زادت أعداد المتعلمين قلَّت الأمية وقلَّت المراكز المخصصة للأميين لقلة أعداد الدارسين وقلَّت التكاليف الملقاة لتقليل أو القضاء على الأمية.

ثانياً: الطلبة المتسربون في محافظة ذي قار

عرَّفت منظمة اليونسكو "التسرب" بأنه ترك الطالب للمدرسة في أي صف من صفوفها قبل إكمال المراحل الدراسية، كما يُعرَّف كلُّ من يترك المدرسة قبل نهاية العام الأخير من المرحلة الدراسية التي ينتمي إليها بأنه "متسرب" بغض النظر عن عمره، أما تعريف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في عام 1973 فيعرِّف "التسرب" بأنه صورة من صور الفقر التربوي في المجال التعليمي وترك الطالب للدراسة في إحدى مراحلها المختلفة[1]، وللتسرب آثار كبيرة وكارثية على المجتمع، إذ إنه يؤدي إلى ارتفاع معدلات الأمية والجهل والبطالة ويُضعف البنية الاقتصادية للفرد والمجتمع، فضلًا عن أن التسرب ظاهرةٌ تؤدي إلى زيادة الاتكالية وطول أمد الإعالة الأسرية والاعتماد على الغير، بالتالي تؤدي ظاهرة التسرب إلى إفراز مجموعة من الظواهر الخطيرة، مثل عمالة الأطفال واستغلالهم، فضلًا عن ظاهرة الزواج المبكر وزيادة حجم المشاكل الاجتماعية، مثل الانحراف وانتشار السرقات والاعتداء على ممتلكات الآخرين، ما يؤدي إلى ضعف المجتمع[2]، ويلحظ من الجدول (2) وجود تباين في أعداد المتسربين في محافظة ذي قار في خلال السنوات المدروسة، إذ يتضح لنا ارتفاع نسبة المتسربين في خلال عام 2009 ليبلغ العدد الكلي 7,999 من كلا الجنسين، لينخفض العدد إلى 7,057 في عام 2015 ثم إلى 4,735 في عام 2020.

([1]) آسيا كاظم فرحان وعبد الناصر قادر رضا، دراسة واقع التسرب في التعليم الثانوي ومدى أثره في التنمية البشرية في العراق للمدة (2001–2011) مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، مجلد 19، العدد 71، 2012، ص273.

([2]) أحمد باقر جمعة، التركيب التعليمي لسكان محافظة ذي قار للفترة من (1997–2014)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 2017، ص83.

جدول (2) التباين الزماني للمتسربين حسب المرحلة الدراسية والجنس في محافظة ذي قار للمدة (2009-2015-2020)

السنوات	الصف الأول		الصف الثاني		الصف الثالث		الصف الرابع		الصف الخامس		الصف السادس		المجموع الكلي
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
2009	946	837	581	516	511	468	505	505	963	1098	592	477	7999
2015	600	580	348	397	315	344	396	464	759	1022	806	1026	7057
2020	577	340	484	293	387	246	423	293	556	464	329	343	4735

المصدر: الباحثة بالاعتماد على: جمهورية العراق، وزارة التربية، مديرية تربية ذي قار، قسم الإحصاء، 2020.

أما عن التباين الزماني من حيث الجنس والصف، فيلحظ أن عدد التلاميذ المتسربين ارتفع عن عدد التلميذات المتسربات في عام 2009 للصفوف الأول والثاني والثالث، في حين أن عدد التلميذات المتسربات ارتفع على عدد التلاميذ المتسربين للصف الخامس، أما في الصف السادس فقد ارتفع عدد التلاميذ المتسربين على التلميذات المتسربات، وفي عام 2015 يلحظ ارتفاع عدد التلاميذ المتسربين على عدد التلميذات المتسربات في الصف الأول، أما في الصفوف الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس فقد ارتفعت أعداد التلميذات المتسربات عن أعداد التلاميذ المتسربين، أما في عام 2020 فيلحظ ارتفاع عدد التلاميذ المتسربين عن التلميذات المتسربات في الصفوف الأول والثاني والثالث والرابع والخامس، أما في الصف السادس فقد ارتفع عدد التلميذات المتسربات على التلاميذ المتسربين، وينتج من ذلك ارتفاع أعداد المتسربين في المحافظة من كلا الجنسين وفي مختلف المراحل الدراسية، ويرجع ذلك إلى انخفاض المستوى المعاشي للأسر بسبب قلة فرص العمل ما يدفع الأسر إلى الضغط على أبنائهم لترك الدراسة والتوجه للعمل، إذ تشهد المحافظة عمالة أطفال عالية، إلى جانب ذلك تشهد تدهورًا في الأوضاع الاقتصادية السياسية وتعرضها إلى عدم الاستقرار، إضافةً إلى أن أغلب الأهالي يفضلون للإناث ترك التعليم قبل إنهاء المرحلة الابتدائية والتوجه الاهتمام بالأعمال المنزلية، لذلك نلحظ ارتفاع نسبة الإناث المتسربات، كما أن أحدَ الأسباب المهمة لتسرب التلاميذ من الدراسة انفصالُ الوالدين وتشتتُ الأسرة والأطفال، فضلًا عن أن لجائحة كورونا دورًا في ارتفاع نسبة المتسربين من المدارس، بسبب تعطيل الدوام الرسمي والاعتماد على التعليم الإلكتروني في فترة من الفترات، ما دفع الأسر الفقيرة ذات الدخل المحدود إلى جعل أبنائها يتركون التعليم بسبب عدم امتلاك الأجهزة الإلكترونية، خصوصًا في الأقضية والنواحي، بالتالي ارتفاع نسبة الأميين في المحافظة ما يخلِّف الكثير من الآثار التي تعيق تطور المجتمع وتنميته.

الاستنتاجات:

1. أظهرت الدراسة وجود تباين في أعداد الأميين من وحدة إدارية إلى أخرى، ويعود ذلك إلى كثرة الأميين الذين لم يتمكنوا من الانضمام إلى التعليم للأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها المحافظة في السنوات السابقة.

2. توصلت الدراسة إلى ارتفاع أعداد الأميين في عام 2009 عنها في عامي 2015 و2020، ويرجع ذلك إلى أن أعدادًا كبيرةً لم تلتحق بالتعليم نتيجةً للظروف التي مرَّ بها البلد في تلك الفترة من سوء، وتدهور الأوضاع الأمنية وما يعانيه البلد من الاغتيالات والاعتقالات والخطف.

3. وجود ارتفاع في أعداد الإناث الأميات عن أعداد الذكور الأميين، خصوصًا في القرى والأرياف، إذ يفضلون عادةً أن تبقى البنات في البيت لممارسة الأعمال المنزلية أو الزواج في سن مبكرة.

4. أظهرت الدراسة وجود تباين في أعداد المتسربين من الدراسة في خلال السنوات المدروسة في المحافظة، ليبلغ العدد الكلي للمتسربين 7,999 في عام 2009 وانخفض ليبلغ 7,057 في عام 2015 واستمرَّ بالانخفاض وصولًا إلى 4,735 في عام 2020.

5. أظهرت الدراسة وجود تباين في أعداد المتسربين من الذكور والإناث، إذ ارتفعت أعداد التلميذات المتسربات عن التلاميذ المتسربين في مختلف المراحل الدراسية في المحافظة، ويرجع ذلك إلى انخفاض المستوى المعاشي وقلة فرص العمل في المحافظة.

6. أظهرت الدراسة وجود ارتفاع ملحوظ في أعداد الإناث المتسربات في الصفين الخامس والسادس في عام 2015.

المقترحات:

1. ضرورة العمل بقانون العمل العراقي، الذي يمنع تشغيل الأفراد في الفئة العمرية أقل من 15 سنة، من أجل إكمال المراحل التعليمية الإلزامية اللازمة من أجل النهوض بالمجتمع.

2. السعي للقضاء على الأمية، من خلال جعل التعليم في المراحل الابتدائية إلزاميًّا، من أجل الحد أم تقليل ظاهرة الأمية، التي تؤدي إلى عواقب كثيرة من أهمها ارتفاع نسبة البطالة، ويكون ذلك من خلال فرض العقوبات على المخالفين لأنه يسهم في عودة الطلاب إلى مقاعد الدراسة.

3. الحد من ظاهرة التسرب المدرسي التي باتت تشكل خطرًا ديموغرافيًّا واجتماعيًّا في ظل تفشي الفقر والبطالة في المحافظة.

4. وضع معالجات لظاهرة تسرب الطلاب المبكر، وتشخيص الأسباب والنتائج الناجمة عنه.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب

1. حجازي، جمعة. (2007). الأمية (تفاقم المشكلة وتعثر الحلول). المكتب المركزي للإحصاء. دمشق. 2007.

2. الزيادي. حسين عليوي ناصر. (2019). أسس وأخلاقيات البحث العلمي. دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. 2019.

ثانيًا: الرسائل والأطاريح

1. جمعة، أحمد باقر. (2017). "التركيب التعليمي لسكان محافظة ذي قار للفترة من (1997-2014)"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الإنسانية – ابن رشد، جامعة بغداد.

ثالثًا: المجلات

1. ساجت، علي عبد الأمير. (2011). "التغير المكاني لظاهرة الأمية بين سكان العراق لسنتي 1997-2007 وعلاقته المكانية بالتغيرات ذات العلاقة بالخصائص الديموغرافية والعمالة، بحث في التركيب التعليمي للسكان". مجلة كلية الآداب. العدد 96.

2. فرحان، آسيا كاظم فرحان، عبد الناصر قادر رضا. (2012). "دراسة واقع التسرب في التعليم الثانوي ومدى أثره في التنمية البشرية في العراق للمدة (2001-2011)". مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية. مجلد 19. العدد 71.

3. البديري، هيلين محمد عبد الحسين البديري وحسين جعاز ناصر الفتلاوي (2017). "التركيب التعليمي للسكان في النجف الأشرف". مجلة الكلية الإسلامية الجامعة. العدد 48.

رابعًا: المصادر الحكومية

1. المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار، مركز محو الأمية، شعبة الإحصاء، الكراس الإحصائي للأعوام 2009-2015-2020، بيانات غير منشورة.

2. جمهورية العراق، وزارة التربية، مديرية تربية ذي قار، قسم الإحصاء، 2020.

التوزيع المكاني لرياض الأطفال في المراكز الحضرية لمحافظة ذي قار

Spatial distribution of kindergarten in the urban centers of Dhi Qar Governorate

الباحث: باقر عبد الله حمدان

أ.د. **سميع جلاب منسي:** كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق.

Mr. Baqer Abdullah Hamdan

Prof. Dr. Sami Jallab Mansi Al-Sahlani: Faculty of Art, Dhi Qar University, Iraq

Email: samee.chelab@gmail.com

المستخلص:

يهدف البحث إلى تحليل التوزيع المكاني لرياض الأطفال في محافظة ذي قار، إحدى محافظات جنوب العراق، وأنماط توزيعها وكثافتها، باعتماد تقنيات المحللات المكانية والأساليب الإحصائية الحديثة. اعتمد البحث الوسائل والأدوات والأساليب، وتم رصد وجمع البيانات المتوفرة في مديرية تربية محافظة ذي قار، فضلًا عن إعداد استمارة استبانة خُصِّصَت لسد الفجوات، واعتمد البحث تقنيات نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في التمثيل الكارتوغرافي، وتحديد أنماط وكثافة الظاهرة وفقًا لمجموعة تفاعلات لمقاييس التحليل المكاني. توصَّل البحث إلى نتائج أهمها أن أعداد رياض الأطفال الإجمالي توزعت بين 32روضة ضمن القطاع الحكومي لسنة 2021، مع وجود تباين في معدل توزيعها، واستحوذ مركز محافظة ذي قار (مدينة الناصرية) على الرتبة الأولى، إذ بلغ عدد الأطفال الملتحقين في رياض الأطفال 5,416 طفلًا، بينما بلغ حجم الفئة العمرية المقابلة لهذه المرحلة 100,244 طفلًا وطفلة، كما أشارت نتائج المحلل المكاني في تقنية (GIS) إلى أن الامتداد الفعلي العام لاتجاه توزيع المراكز الحضرية لرياض الأطفال ضمن القطاعين جاء محاكيًا لنمط الانتشار الفعلي لتركز المراكز في المحافظة وبنمط توزيعي (متقارب عشوائي). انتهت الدراسة بأهم الاستنتاجات ومجموعة من التوصيات التي من شأنها أن تحد من مدى قلة كفاءة وكفاية رياض الأطفال ومدى انتشارها في منطقة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: توزيع مكاني، رياض الأطفال، مراكز حضرية، محافظة ذي قار.

Abstract:

The research aims to analyze the spatial distribution of kindergarten in Dhi Qar Governorate, one of the governorates of southern Iraq, and the patterns and intensity of their distribution, by adopting the techniques of spatial analyzes and modern statistical methods. The research was approved by means, tools and methods, and the data available and collected in the Directorate of Education in Dhi Qar Governorate, as well as preparing a questionnaire applied for the bridges of the gaps, and the research approved geographic information systems techniques (GIS) in the cartographic representation and determining the patterns and intensity of the phenomenon in accordance with a set of interactions for the standards of spatial analysis. The research reached the most important results, which is that the total number of kindergarten was distributed between (32) kindergarten within the government sector for the year 2021, with a variation in its distribution rate, the center of Dhi Qar Governorate (Nasiriyah City) acquired the first rank, the number of children enrolled in kindergarten reached (5416), while the size of the age group corresponding to this stage reached (100244) children, and the results of the spatial analyst in the technology (GIS) indicated that the actual actual extension of the direction of the distribution of urban centers for kindergarten within the two sectors came as an emulator for the actual spread pattern of the centers concentration in the province and the pattern Distribute (randomly close). The study ended with the most important conclusions and a set of recommendations that would limit the extent of the efficiency and adequacy of kindergarten and its spread in the study area

Keywords: spatial distribution, kindergarten, urban centers, Dhi Qar governorate.

المقدمة:

تُعَدُّ مرحلة رياض الأطفال **(Kindergarten)** مرحلةً تربويةً لها أهميتها في وضع حجر الأساس للسلَّم التعليمي، والمتعلقة في مرحلة الطفولة المبكرة الأولى من عمر الطفل، وهذه المرحلة لا يطبَّق فيها التعليم الإلزامي في العراق، وهذا لا يعني قلة أهميتها وكفاءتها، فهي مرحلة تمهيد للمرحلة الابتدائية ومرحلة نمو وتكوين عند الطفل. وتُعَدُّ مرحلة رياض الأطفال من المراحل المهمة التي لها دور مهم في بناء شخصية الطفل، وتهيئته إلى مرحلة التعلم الابتدائي. وهي مرحلة غير إلزامية في تسجيل الأطفال، لكنها من أهم الوسائل التي تساعد على رفع الثقل عن كاهل المرأة التي تدخل ميدان العمل. كما أنها تساهم في تنمية شخصيته بجوانبه الجسمية والعقلية واللغوية والانفعالية الاجتماعية والوطنية، وإنها الركيزة الأساسية للجيل القادم، وتسهِّل عملية انتقاله التدريجي من البيت إلى المدرسة.

إن دراسة وتحليل نمط توزيع خدمات الرياض، وبيان مواطن الكفاءة والعجز فيها وسبل معالجتها في ضوء المتغيرات الجغرافية، وتلك الخدمات، تنال اهتمامًا كبيرًا في خطط التنمية البشرية لمعظم بلدان العالم. ولا بد من أن توجَد خصوصيةٌ للمكان وخصوصيةٌ للسكان، وهذا يتحقق من خلال الالتزام بمعايير الخدمة[1].

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث بالسؤالين التاليين:

- ما واقع التوزيع المكاني لخدمة رياض الأطفال في محافظة ذي قار؟
- هل يتناسب توزيع رياض الأطفال مع حجم السكان ونموهم في الوحدات الإدارية في محافظة ذي قار؟

فرضية البحث:

تحقق الإجابة عن تساؤلات مشكلة البحث، وهي:

1- تعاني مراكز النظام الحضري في محافظة ذي قار من تباين التوزيع المكاني لخدمة رياض الأطفال الحكومية في المحافظة بشكل غير متوازن مع حجم السكان وكثافتهم.

[1] The State of Queensland (Department of Communities، Standards For Community Services، Community Link Australia Ply Ltd. 2007. P2.

2- لا تتفق كثافة الأطفال مع عدد رياض الأطفال الحكومية ومرافقها وكوادرها في محافظة ذي قار، وتوزيعها الحالي مع التوزيع المقترح مستقبلًا، مما يتطلب إعادة النظر في إسقاطاتها على الأمد القريب والبعيد.

هدف البحث:

التعرف على واقع التوزيع المكاني لخدمة رياض الأطفال في محافظة ذي قار، من خلال تحليل التباينات المكانية لخدمة رياض الأطفال ومؤشراتها الموضوعية والسكانية.

حدود البحث:

تمثلت الحدود المكانية بمحافظة ذي قار التي تقع جنوبي العراق، والواقعة فلكيًّا بين دائرتي عرض 31.24°–31.28° شمالًا، وخطي طول 46.8°–46.12° شرقًا، يحدها من الشمال محافظة واسط، ومن الجنوب والجنوب الشرقي محافظة البصرة، ومن الغرب والجنوب الغربي محافظة المثنى، ومن الشرق والشمال الشرقي محافظة ميسان، ومن الشمال الغربي محافظة القادسية. وتمتد محافظة ذي قار على مساحة 13,412 كم^2 لتشكِّل ما نسبته 3.16% من مساحة العراق الكلية البالغة 437,385 كم^2. خريطة (1) و(2).

أما الحدود الزمانية، فقد تناول البحث خدمة رياض الأطفال في محافظة ذي قار للعام الدراسي (2020–2021).

منهجية البحث:

لتحقيق هدف البحث استُعمِلت عدة مناهج وأساليب، منها: .

المنهج الاستقرائي: إذ اعتمد البحث رصد الواقع كما هو، وهذا المنهج يبدأ بالجزئيات قبل الكليات. والمنهج الكمي التحليلي: اعتمد في إظهار التوزيع المكاني لمراكز الخدمات بإظهار شكل نمط التوزيع في المراكز الحضرية لمحافظة ذي قار.

التوزيع المكاني لرياض الأطفال في المراكز الحضرية لمحافظة ذي قار

يمثِّل التوزيع المكاني لأي ظاهرة من الظواهر على سطح الأرض المحطة الأولى للانطلاق في البحث الجغرافي. فالجغرافية عِلم التوزيع للظواهر، إذ يَعُدُّ بعضُ الجغرافيين التوزيعَ بأنه قلب الجغرافية، فهو نقطة البداية الضرورية واللازمة لدراسة أي ظاهرة من الظواهر الجغرافية على سطح الأرض. والتوزيع هو الترتيب أو التنظيم الناتج عن توزيع ظاهرة ما في مكان محدد ووفق نظام

خاص لهذا التوزيع[1]. لذا فإن جوهر الجغرافية يرتبط ارتباطًا مباشرًا وأساسيًّا بالتوزيع غير المتكافئ للظواهر الجغرافية على سطح الأرض[2]. فالجغرافية عِلم التوزيعات للأشياء المترابطة مع بعضها البعض في كل زمان ومكان، ويعكس تقديم الخدمات التعليمية في أي بلد تطوره، لذا يجب إظهار التوزيع المكاني للمؤسسات، وتشمل المؤسسات التعليمية والتربوية دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية والإعدادية ومدارس الكبار ومحو الأمية[3].

يُعَدُّ الطفل عمادَ المستقبل والثروة البشرية الصاعدة لأي مجتمع من المجتمعات، ويُحَفَّز الأطفال منذ مرحلة الرياض على اكتساب المعرفة وتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية من البذرة الأولى وتهيئة الجيل تربويًّا، إذ تُعَدُّ مرحلة رياض الأطفال في المجتمعات الحديثة المكان المناسب والمهيَّأ لتربية وتنشئة الأطفال اجتماعيًّا وثقافيًّا، فهي مكمِّلة لدور الأسرة في مجال تنشئة الطفل (نفسيًّا وعقليًّا وروحيًّا وعلميًّا) حتى يكون مستعدًّا لتلقِّي العلوم والمعارف في المرحلة الابتدائية القادمة، ويصبح تلميذًا مجتهدًا في الحصول على أعلى مستوى من التعليم[4].

بلغ عدد رياض الأطفال الحكومية في عموم مناطق محافظة ذي قار 32 روضة موزعة على المراكز الحضرية. كما هو مبين في الجدول (1) والخريطة (3)، إذ جاءت مدينة الناصرية في المرتبة الأولى من حيث عدد الرياض الموجودة فيها قياسًا بعدد الرياض في المناطق الأخرى، فقد ضمت مدينة الناصرية 14 روضة بلغت نسبتها من العدد الكلي لرياض الأطفال في المحافظة 43.7%. منها 12 روضة في مركز مدينة الناصرية. وتوجد عوامل ومؤثرات عديدة متداخلة لها دور واضح في تباين التوزيع المكاني لهذه الخدمة، من هذه العوامل كثافة السكان في مركز الناصرية، إذ بلغ عدد السكان فيها 670,479 نسمة بنسبة 46.1% من سكان المحافظة الكلي، إذ كانت الفئة العمرية المقابلة 46,260[*] طفلًا وطفلة، والأطفال المسجلون 2,250 طفلًا وطفلة بنسبة 41,5% من مجموع الملتحقين في عموم المحافظة، وبلغ عدد الأطفال غير المسجلين 44,010 طفلًا وطفلة. وكذلك العامل الإداري الذي يلعب دورًا كبيرًا في تمركزها، إذ يُعَدُّ المركز الإداري الرئيسي لمحافظة

[1] صفوح خير، الجغرافية (موضوعها ومناهجها وأهدافها)، دار الفكر، دمشق، 2000، ص340.

[2] حيدر حسين عليوي الشمري، النمو السكاني في محافظة المثنى للمدة (1997–2030) وأثره في التنمية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، 2018، ص61.

[3] رافد موسى عبد حسون العامري، الملاءمة المكانية للخدمات المجتمعية في مدينة الديوانية وتوقعاتها المستقبلية، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة 2014، ص66.

[4] محمد محمود العطار، دور الأسرة ورياض الأطفال في تنمية قيم المواطنة لدى الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة في المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الباحة، كلية التربية، المجلد الثاني، العدد (11)، 2017، ص49.

[*] تم احتساب عدد سكان الفئة العمرية المقابلة لمرحلة رياض الأطفال من خلال نسبة السكان في سن الروضة إلى إجمالي سكان المدينة، ووفقًا لمعيار وزارة التخطيط، فقد وضع (نسبة السكان في الروضة إلى مجموع السكان الكلي للروضة (6.9%)، وبهذا يتم استعمال الصيغة التالية (مجموع السكان x6.9x100%).

ذي قار، وكذلك العامل الاقتصادي المؤثر في زيادة أعدادها، وكذلك الجانب الثقافي والتعليمي الذي يدفع الأسر لتسجيل أبنائها في رياض الأطفال. وضمَّت كل من البطحاء وسيد دخيل روضةً واحدة، أما الإصلاح وأور (السديناوية) فقد خلت من خدمة رياض الأطفال.

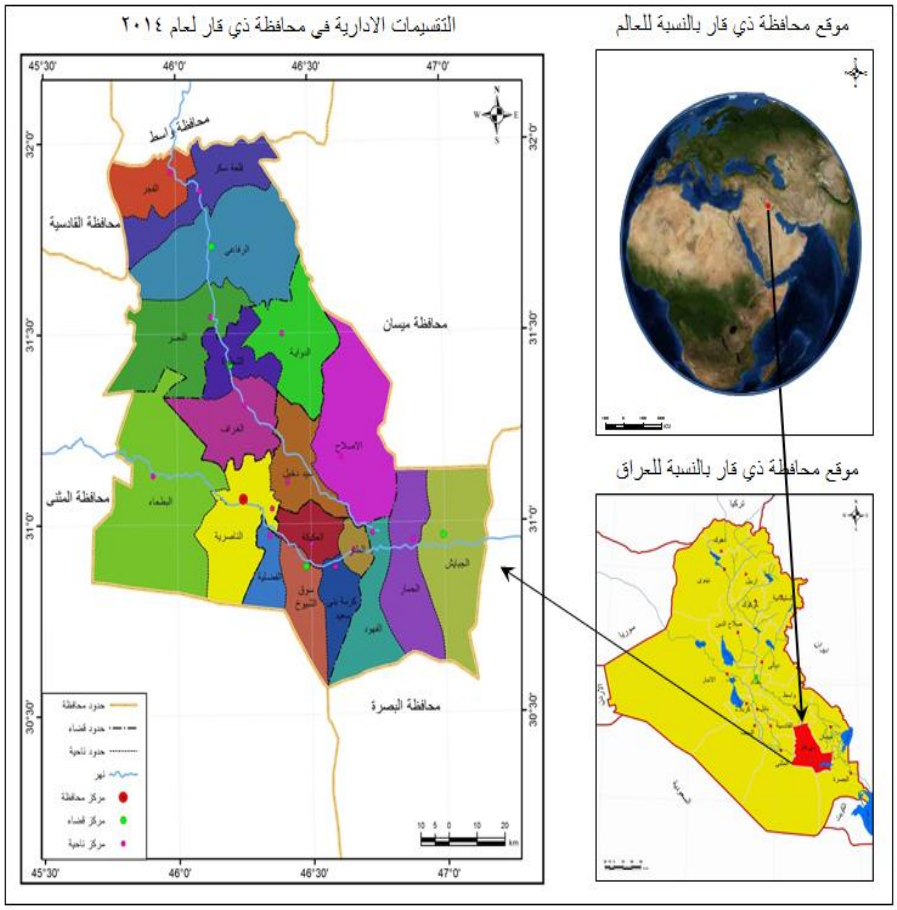
جدول (1) التوزيع المكاني لرياض الأطفال الحكومية حسب عدد السكان والأطفال المسجلين في المراكز الحضرية لمحافظة ذي قار للعام الدراسي (2020–2021).

القضاء	السكان	%	الرياض	%	الفئة العمرية المقابلة	%	الأطفال المسجلون	نسبة الالتحاق %
الناصرية	670479	46.1	14	43.7	46260	46.1	2250	41.5
الرفاعي	224515	15.5	6	18.8	15490	15.5	829	15.3
الشطرة	290206	20	5	15.6	20023	20	1075	19.8
الجبايش	79714	5.5	2	6.3	5498	5.5	452	8.3
سوق الشيوخ	188060	12.9	5	15.6	12973	12.9	810	15.1
المجموع	1.452.974	100	32	100	100244	100	5416	100

المصدر: المديرية العامة للتربية في ذي قار، قسم التخطيط، شعبة الإحصاء، استمارة رياض الأطفال للعام (2020–2021) (بيانات غير منشورة).

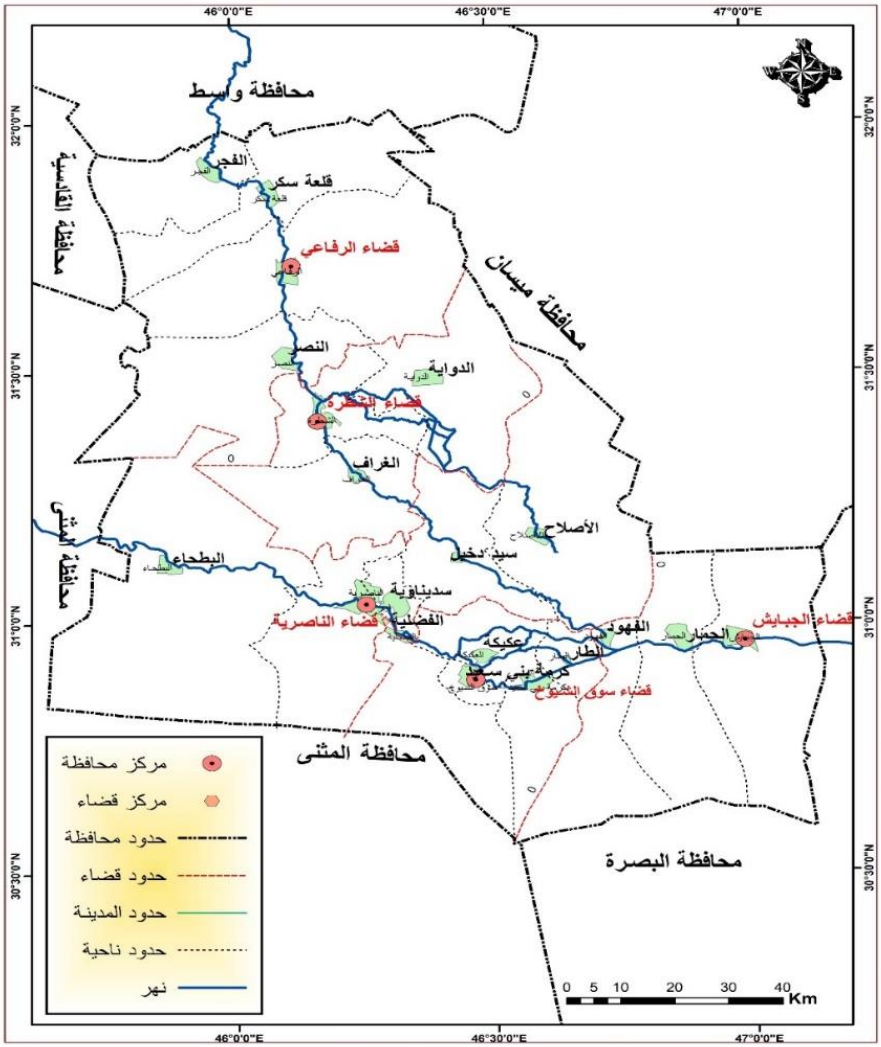
وجاء الرفاعي في المرتبة الثانية، إذ ضم 6 رياض بنسبة 18.8% من مجموع رياض الأطفال في المحافظة، إذ بلغ عدد سكان الرفاعي 224,515 نسمة بنسبة 15.5% من مجموع سكان المحافظة. وسجلت الفئة العمرية المقابلة 15,490 طفلًا وطفلة، بنسبة 15,5% من مجموع الفئة العمرية المقابلة في المحافظة. إذ بلغ عدد الأطفال المسجلين 829 طفلًا وطفلة، بنسبة 15.3% من نسبة الالتحاق في عموم المحافظة، وبلغ عدد الأطفال غير المسجلين في الرفاعي 14,661 طفلًا وطفلة. وتوزعت رياض الأطفال في الرفاعي بواقع روضتين في مركز الرفاعي وروضتين في قلعة سكر، فيما ضمت كل من النصر والفجر روضةً واحدة. وجاءت الشطرة في المرتبة الثالثة، إذ ضمت 5 رياض بنسبة 15,6% من مجموع رياض الأطفال في المحافظة، وبلغ عدد سكان الشطرة 290,206 نسمة بنسبة 20% من سكان المحافظة. وسجلت الفئة العمرية المقابلة 20,023 طفلًا وطفلة بنسبة 20% من مجموع الفئة العمرية المقابلة في المحافظة. إذ بلغ عدد الأطفال المسجلين 1,075 طفلًا وطفلة، بنسبة 19.8% من نسبة الالتحاق في عموم المحافظة وبلغ عدد الأطفال غير المسجلين في الشطرة 18.948 طفلًا وطفلة. وقد ضم كل من مركز الشطرة والدواية روضتين، وروضة واحدة في الغراف.

خريطة (1) موقع محافظة ذي قار من العالم ومن العراق



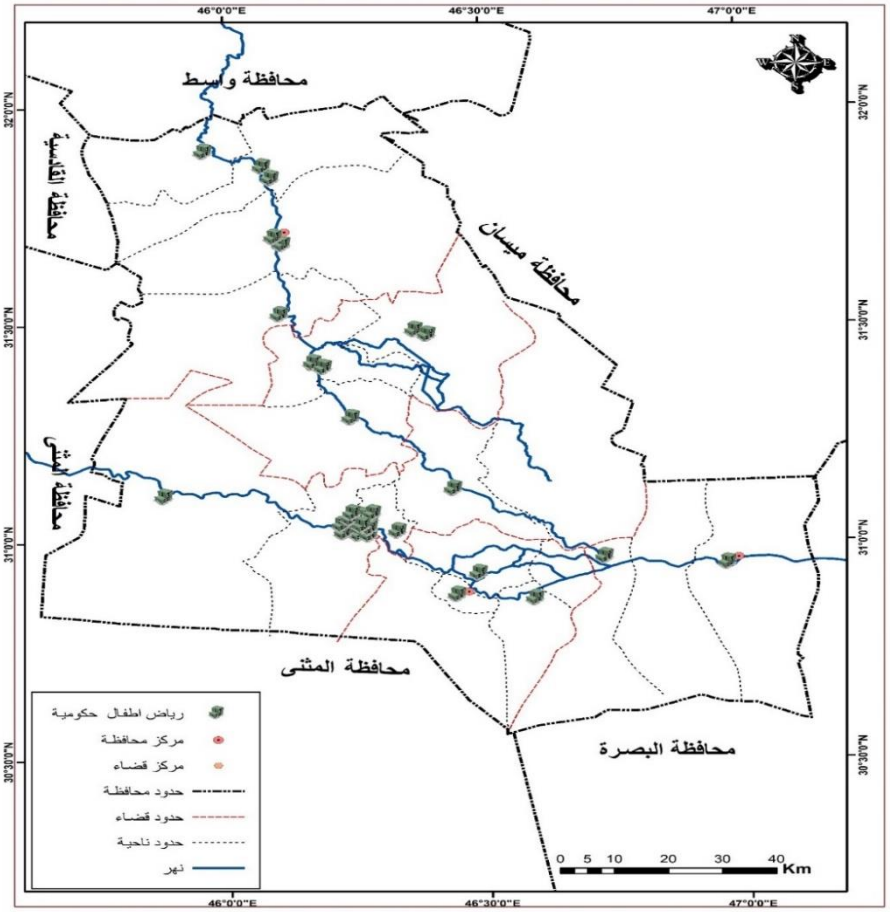
المصدر : جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، المديرية العامة للمساحة، خرائط (العراق، محافظة ذي قار) بمقاييس رسم مختلفة لسنة 2021 بالاستعانة بتقنية نظم المعلومات الجغرافية.

خريطة (2) الحدود الإدارية لمحافظة ذي قار لسنة 2021



المصدر: جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، المديرية العامة للمساحة، خرائط (العراق، محافظة ذي قار) بمقاييس رسم مختلفة لسنة 2018 بالاستعانة بتقنية نظم المعلومات الجغرافية والمرئية الفضائية (Ikenows) لمحافظة ذي قار لسنة 2021 وبدقة تمييز (6) م.

خريطة (3) التوزيع المكاني لرياض الأطفال الحكومية حسب عدد السكان والأطفال المسجلين في المراكز الحضرية لمحافظة ذي قار للعام الدراسي (2020–2021).



المصدر: تقنية نظم المعلومات الجغرافية (ARC MAP–14). وجدول (1)

وفي المرتبة الرابعة جاء سوق الشيوخ، إذ ضم 5 رياض بنسبة 15.6% من مجموع رياض الأطفال في المحافظة، إذ بلغ عدد سكان سوق الشيوخ 188,060 نسمة بنسبة 12.9% من مجموع سكان المحافظة. وسجلت الفئة العمرية المقابلة 12,973 طفلًا وطفلة، بنسبة 12.9% من مجموع الفئة العمرية المقابلة في المحافظة. إذ بلغ عدد الأطفال المسجلين 810 طفلًا وطفلة، وبنسبة 15.1% من نسبة الالتحاق في عموم المحافظة، وبلغ عدد الأطفال غير المسجلين في سوق الشيوخ 12,163 طفلًا وطفلة. وقد توزعت الرياض بواقع روضتين في مركز سوق الشيوخ، وروضة واحدة في كل من كرمة بني سعيد والفضلية والعكيكة، أما الطار فقد خلت من خدمة رياض الأطفال. وفي المرتبة الأخيرة جاء الجبايش، إذ ضم روضتين بنسبة 6.3% من مجموع رياض الأطفال في المحافظة، إذ بلغ عدد سكان الجبايش 79,714 نسمة بنسبة 5.5% من مجموع سكان المحافظة. وسجلت الفئة العمرية المقابلة 5498 طفلًا وطفلة، بنسبة 5.5% من مجموع الفئة العمرية المقابلة في المحافظة. إذ بلغ عدد الأطفال المسجلين 452 طفلًا وطفلة، بنسبة 8.3% من نسبة الالتحاق

في عموم المحافظة، وبلغ عدد الأطفال غير المسجلين في الجبايش 5,046 طفلًا وطفلة. وجاءت الروضتان في الجبايش بواقع روضة واحدة في مركز الجبايش والأخرى في الفهود، في حين خلت الحمار (المنار) من خدمة رياض الأطفال.

التحليل باستخدام التوزيع الطبيعي:

يهدف التوزيع الطبيعي لمعرفة نسبة انحراف توزيع خدمة رياض الاطفال على مستوى التوزيع الطبيعي، إذ كلما اقتربت النسبة من (الصفر) كان الانحراف اقل، وكلما ابتعدت عن ذلك كان الانحراف أكبر بالنسبة لخدمة رياض الاطفال. ويشير الجدول(2) بأن هناك تشتت كبير في نسب انحراف رياض الاطفال في جميع مناطق المحافظة عن التوزيع الطبيعي، إذ وجد البحث بأنها اعطت النسب نفسها في استخدام عدد السكان والمساحة) إذ سجل البحث أعلى قيمة انحراف في الجبايش وبلغت (-98), وجاء بالمرتبة الثانية (الشطرة , وسوق الشيوخ) إذ تساوت قيمة الانحراف فيهما وبلغت (-95) وجاء بالمرتبة الثالثة الرفاعي إذ سجلت قيمة الانحراف (-94), وجاءت الناصرية بالمرتبة الاخيرة إذ سجلت قيمة الانحراف (-86) وهذا يشير إلى وجود نقص كبير جدا في عدد رياض الاطفال في جميع المراكز الحضرية للمحافظة[1].

جدول (2) التوزيع الطبيعي والافتراضي حسب السكان والمساحة لرياض الاطفال في محافظة ذي قار للعام الدراسي (2020 - 2021)

الوحدة الادارية	المساحة هكتار	عدد السكان	عدد الرياض	التوزيع الافتراضي لرياض الاطفال (f) بحسب		الانحراف عن التوزيع الطبيعي (s) بحسب	
				السكان	المساحة	السكان	المساحة
الناصرية	2760	670.479	14	14.8	16.1	86-	86-
الرفاعي	1160	224.515	6	4.9	6.7	94-	94-

[1] يستند هذا الاسلوب على افتراض تساوي نسبة السكان بين عدد السكان في القضاء مقسوما على عدد السكان الكلي ونسبة وحدة الخدمة في القضاء مقسوما على عدد وحدات الخدمة الكلي في منطقة الدراسة وان هذا التشتت يبين نسبة الانحراف عن التوزيع الطبيعي ولإظهار معيار الانحراف تم استخدام المعادلة الرياضية الاتية:

100 S=(n-f)/f*

اذ يمثل (s) الانحراف عن التوزيع الطبيعي بينما (n) العدد الحقيقي لرياض الاطفال في كل قضاء أما (f) العدد الافتراضي للرياض في القضاء ...لذا يحتاج قانون الانحراف عن التوزيع الطبيعي استخراج العدد الافتراضي (f) للرياض في كل قضاء وفقآ للصيغة التالية: F=(n*p)/p .... إذ تمثل (f) العدد الافتراضي، بينما (n) إجمالي رياض الأطفال في المدينة ككل x عدد السكان في القضاء التي تتمثل بـ (p), بينما (P) تمثل عدد السكان الكلي في منطقة الدراسة وهذا قانون يوظف في قياس مدى التشتت أو التوازن في توزيع خدمة رياض الأطفال.

الشطرة	390	290.206	5	6.4	2.3	95-	95-
الجبايش	240	79.714	2	1.8	1.4	98-	98-
سوق الشيوخ	940	188.060	5	4.1	5.5	95-	95-
مجموع	5490	1.452.974	32	32	32	468-	468-

المصدر: جدول من عمل الباحث بالاعتماد على استخدام قانون التوزيع الطبيعي.

توزيع رياض الاطفال بحسب عدد وجنس الاطفال المسجلين:

بلغ عدد الاطفال المسجلين من الذكور والإناث في رياض الاطفال الحكومية في مختلف مناطق محافظة ذي قار (5256) طفلا وطفلة. وكان للإناث الحصة الاوفر إذ بلغ عدد المسجلات في عموم محافظة ذي قار (2674) طفلة، أما عدد الذكور فقد بلغ (2582) طفلا. وقد اشار البحث وبحسب الجدول (3) والخريطة (4) أن مركز الناصرية سجل العدد الاكبر من حيث عدد التلاميذ في عموم المحافظة، إذ بلغ عدد الاطفال المسجلين (2250) وبنسبة بلغت (42,8%) وبلغ عدد الاناث (1164) طفلة وبنسبة (43,5%) وبلغ الذكور (1086) وبنسبة (42,1%). وجاءت الشطرة في المركز الثاني إذ بلغ عدد الاطفال المسجلين (1075) وبنسبة بلغت (20,5%) وبلغ عدد الاناث المسجلات (563) طفلة وبنسبة (21.1%) من مجموع الاناث المسجلات في عموم المحافظة. وبلغ عدد الذكور (512) طفلا وبنسبة (19,3%) من مجموع الذكور المسجلين في المحافظة. وجاء الرفاعي بالمرتبة الثالثة، إذ بلغ عدد الاطفال المسجلين في الرياض الحكومية (829) طفلا وطفلة وبنسبة بلغت (15.8%) من مجموع نسبة الاطفال المسجلين في عموم المحافظة، وبلغ عدد الذكور المسجلين (421) طفلا وبنسبة (16.3%) من مجموع الذكور المسجلين في عموم المحافظة. وبلغ عدد الاناث (408) طفلة وبنسبة (15,3%) من مجموع الاناث المسجلات في المحافظة.

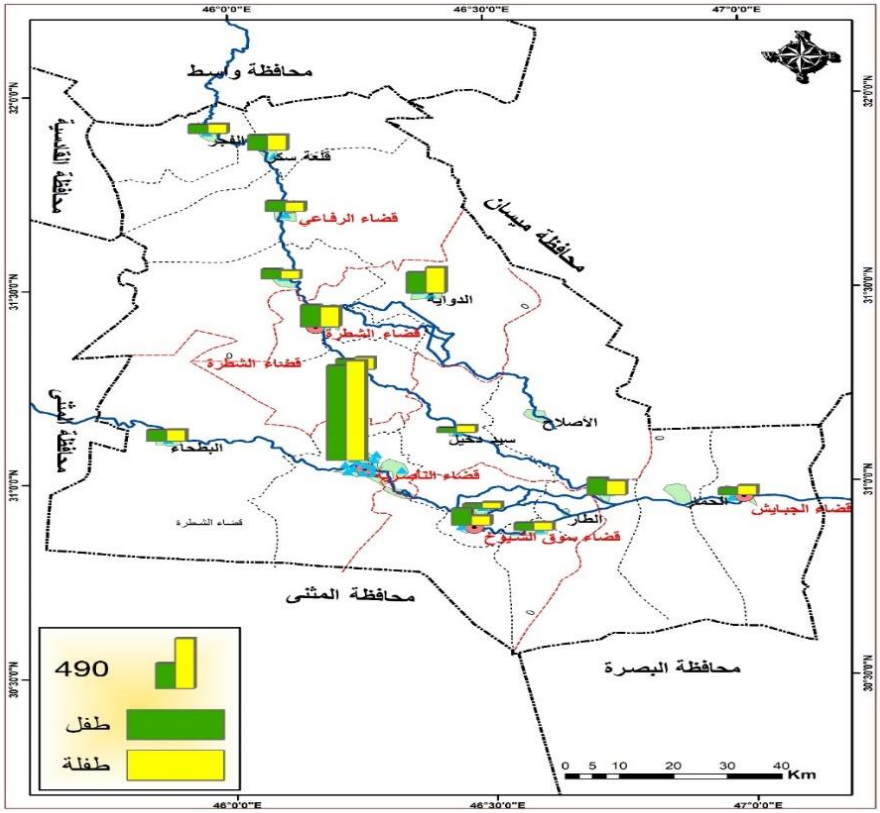
جدول (3) التوزيع المكاني لرياض الاطفال الحكومية حسب الجنس وعدد الاطفال المسجلين للعام الدراسي (2020-2021)

الوحدة الادارية	عدد الرياض	%	مجموع طفل	%	مجموعة طفلة	%	مجموع الاجمالي للأطفال	%
قضاء الناصرية	14	43.7	1086	42.1	1164	43.5	2250	42.8
قضاء الرفاعي	6	18,8	421	16.3	408	15.3	829	15.8
قضاء الشطرة	5	15.6	512	19,3	563	21.1	1075	20.4
قضاء الجبايش	2	6.3	225	8.7	227	8.5	452	8.6

قضاء سوق الشيوخ	5	15.6	338	13.1	312	11.6	650	12.4
المجموع	32	100	2582	100	2674	100	5256	100

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على المديرية العامة للتربية في ذي قار، قسم التخطيط، شعبة الاحصاء، استمارة رياض الاطفال للعام الدراسي (2020_2021)

خريطة (4): التوزيع المكاني لرياض الاطفال الحكومية حسب الجنس وعدد الاطفال المسجلين للعام الدراسي (2020-2021)



المصدر: تقنية نظم المعلومات الجغرافية (ARC MAP-14). وجدول (3).

وحلَّ سوق الشيوخ بالمرتبة الرابعة إذ بلغ عدد الاطفال المسجلين في الرياض الحكومية (650) طفلا وطفلة وبنسبة بلغت (12.4%) من مجموع نسبة الاطفال المسجلين في عموم المحافظة، وبلغ عدد الذكور المسجلين (338) طفلا وبنسبة (13.1%) من مجموع الذكور المسجلين في عموم المحافظة. وبلغ عدد الاناث (312) طفلة وبنسبة (11,6%) من مجموع الاناث المسجلات في المحافظة. وجاء بالمرتبة الأخيرة الجبايش إذ بلغ عدد الاطفال المسجلين في الرياض الحكومية (452) طفلا وطفلة وبنسبة بلغت (8.6%) من مجموع نسبة الاطفال المسجلين في عموم المحافظة، وبلغ عدد الاناث المسجلات (227) طفلة وبنسبة (8.5%) من مجموع الاناث المسجلات في عموم المحافظة. وبلغ عدد الذكور (225) طفلا وبنسبة (8,7%) من مجموع الذكور المسجلين في المحافظة.

استعمالات الارض المجاورة لرياض الاطفال:

للبيئة المجاورة دور مؤثر على ما يجاورها من خدمات بصورة عامة. وفي الخدمات التعليمية بصورة خاصة. إذ نجد أن للبيئة المجاورة أثراً في سير العملية التربوية في مختلف مستوياتها وبالخصوص فيما يتعلق برياض الاطفال. سواء كان هذا التأثير سلبياً أو إيجابياً.

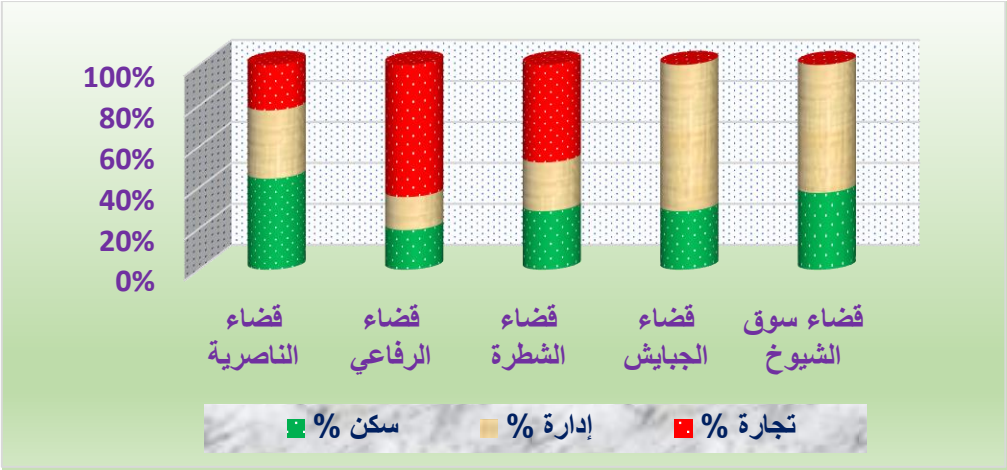
وقد رصد البحث بحسب الجدول (4) والشكل (1) بأن الاستعمال السكني هو الاكثر من الاستعمالات الاخرى إذ يعد من الضوابط الاساسية لفتح رياض الاطفال ان تكون في منطقة سكنية، لذا يتضح أن أكثر الرياض في محافظة ذي قار تقع في مناطق سكنية. ولكن للتطور الحاصل في المناطق المجاورة للرياض وتغير بعض معالمها السكنية وانتقالها إلى معالم تجارية أو إدارية جعل بعض رياض الاطفال في محافظة ذي قار في مناطق تجارية (اسواق)، وبعضها في مناطق إدارية لمجاورتها لبعض (الدوائر الحكومية).

جدول رقم (4) استعمالات الارض المجاورة لرياض الاطفال في المراكز الحضرية لمحافظة ذي قار للعام الدراسي (2021-2020)

ت	الوحدة الادارية	سكن	%	ادارة	%	تجارة	%	صناعي	%
1	قضاء الناصرية	10	50	3	37.5	1	25	0	0
2	قضاء الرفاعي	3	15	1	12.5	2	50	0	0
3	قضاء الشطرة	3	15	1	12.5	1	25	0	0
4	قضاء الجبايش	1	5	1	12.5	0	0	0	0
5	قضاء سوق الشيوخ	3	15	2	25	0	0	0	0
	المجموع	20	100	8	100	4	100	00	00

المصدر: الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على المسح الميداني.

شكل رقم (1) استعمالات الارض المجاورة لرياض الاطفال في المراكز الحضرية لمحافظة ذي قار للعام الدراسي (2020-2021)



المصدر: نتائج الجدول رقم (4)

وقد جاء الاستعمال السكني للأرض المجاورة لرياض الاطفال هو الأعلى نسبة إذ بلغت (62,5 %) من مجموع الاراضي المجاورة لرياض الاطفال في المحافظة. من خلال وجود (20) روضة في المناطق السكنية. وقد ضم مركز الناصرية (10) رياض منها وبنسبة (50%) من مجموع الرياض الكلي المجاور للمناطق السكنية. وقد ضمت كل من (الرفاعي والشطرة وسوق الشيوخ) (3) رياض وبنسبة (15%) من مجموع الرياض الكلي المجاور للمناطق السكنية. وجاء بالمرتبة الاخيرة الجبايش بروضة واحدة وبنسبة (5%) من مجموع الرياض الكلي المجاور للمناطق السكنية، بينما جاء الجوار الاداري بنسبة (25 %) من مجموع الاراضي المجاورة لرياض الاطفال في المحافظة. بوجود (8) رياض مجاورة للمؤسسات الادارية المختلفة، وضم مركز الناصرية (3) رياض منها وبنسبة (37,5%) من مجموع الرياض الكلي المجاور للمؤسسات الادارية. وضم سوق الشيوخ روضتان وبنسبة (25%) من مجموع الرياض الكلي المجاور للمؤسسات الادارية. أما (الرفاعي والشطرة والجبايش) فقد ضمت كل منها روضة واحدة وبنسبة (12,5%) من مجموع الرياض الكلي المجاور للمؤسسات الادارية. وجاء الجوار التجاري الاقل نسبة قياسا بالجوار السكني والجوار الاداري، إذ بلغت نسبته (12,5%) من مجموع الاراضي المجاورة لرياض الاطفال في المحافظة. وجاء الرفاعي أولاً بوجود روضتين مجاورة للمناطق التجارية وبنسبة (50%) من مجموع الرياض الكلي المجاور للمناطق التجارية، أما (الناصرية والشطرة) فقد ضمت كل منهما روضة واحدة مجاورة للمناطق التجارية وبنسبة (25%) من مجموع الرياض الكلي المجاور للمناطق التجارية.

دليل صلة الجوار للمراكز الحضرية:

يعدُ معامل صلة الجوار لتحديد نمط التوزيع الجغرافي للمعالم الجغرافية المتناظرة أو المتشابهة من اهم معاملات المقاييس المعتمدة لبيان نمط توزيع شكل انتشار الظاهرة في حيز جغرافي معلوم[6]. وعندما تم استعمال هذا المقياس لبيان نمط توزيع شكل او نمط توزيع المراكز الحضرية في محافظة ذي قار، تبين من الجدول (5) الذي يفسر التحليل الاحصائي المكاني من خلال القراءة البصرية وبالاستعانة بتحليل خريطة توزيع المراكز الحضرية لمحافظة ذي قار لسنة 2021، تبين ان قيمة(R) تساوي (1.210)، فيما كانت القيمة الحرجة (Z)تبلغ (1.095) بقيمة مستوى الدلالة (P) كانت تساوي (0.288)، وهذا يشير بان نمط التوزيع الجغرافي للظاهرة هو متباعد غير منتظم؛ ويعود ذلك لصغر مساحة وارتفاع احجام اغلب المراكز الحضرية.

جدول (5) مخرجات أسلوب معامل التحليل الاحصائي لصلة الجوار للمراكز الحضرية في محافظة ذي لسنة 2021

قيمة (R)	قيمة (Z)	p- value	نمط التوزيع حسب قيمة (R)
1.210	1.095	0.288	متباعد غير منتظم

المصدر: نتائج التحليل المكاني بالاستعانة بتقنية نظم المعلومات الجغرافية.

الوسط المكاني الفعلي (Mean center): يعد تحليل الوسط المكاني الذي يتساوى حوله توزيع المراكز الحضرية في كل الاتجاهات وقد يخلو كليا من أي تمثيل للظاهرة؛ لأنه نقطة ارتكاز فقط تتحرك مع تغير ثقل توزيع الظاهرة قيد البحث مع مرور الوقت [7]، لذا تقع نقطة المركز الجغرافي لسنة 2021 في المركز الحضري لناحية سيد دخيل والتي ابتعدت عن الوسط المفترض (المتوقع) للسنة نفسها لمسافة (315414) م عن نقطة الوسط المكاني الفعلي لسنة2021، بينما نقطة الوسط (الفرضي) ظهرت في مركز قضاء الناصرية في الجزء الشمالي منه، لاسيما وانه ابتعد عن المدينة الرئيسة.(الناصرية بمسافة(10.882) كم، مما يعني ان الوسط المكاني يقترب من المركز الجغرافي للمراكز الحضرية بانحراف بسيط، وهو بالتالي يحاكي التوزيع الفعلي للمراكز الحضرية القريبة من مركز محافظة ذي قار مقترباً بذلك من ناحية الغراف، ويتركز بالقرب من ناحية سيد دخيل.

6- جمعة محمد داود، اسس التحليل المكاني في إطار نظم المعلومات الجغرافية، مكة المكرمة، المملكة الغربية السعودية، 2012. ص51.

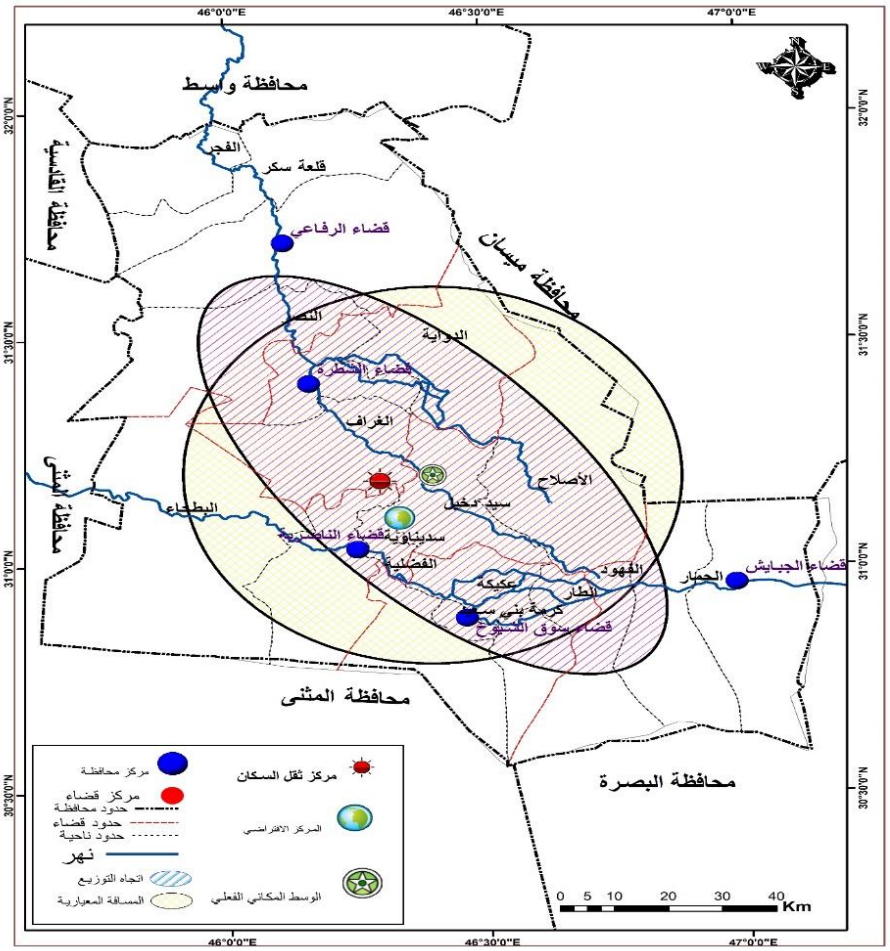
7- يمان سنكري، التحليل الاحصائي للبيانات المكانية في نظم المعلومات الجغرافية، شعاع للنشر والعلوم، حلب، سوريا، 2008، ص43.

المسافة المعيارية (standard Distance): يتضح من الخريطة (5) أن المركز الجغرافي للمراكز الحضرية والآنف الذكر هو مركز الدائرة المعيارية، وان طول نصف القطر للدائرة البيانية يبلغ (46.091)كم، وبلغ عدد المراكز الحضرية التي تقع ضمن دائرة المسافة المعيارية (16) مركزاً حضرياً من اصل (20) مركزا حضريا وبنسبة (80%) من اجمالي المراكز الحضرية وهذا مؤشر واضح لمدى تركز الظاهرة حول مركزها المتوسط، بينما بلغت قيمة مساحة دائرة المسافة المعيارية (6673.7496)كم2، في حين كانت مساحة المحافظة تبلغ(13.412) كم2 أي انها تشكل نسبة (50%) من اجمالي مساحة المحافظة، مما يعني ان ظاهرة توزيع المراكز الحضرية تكاد تكون متركزة في مكان واحد محدد.

اتجاه التوزيع (Directional Distribution):

اما تحليل اتجاه التوزيع الذي يعرف بالتوزيع الاتجاهي او الانتشار (القطع الناقص المعياري)، ان المغزى من اظهار هذا التحليل هو تمثيل اتجاه توزيع اغلبية مفردات الظاهرة من خلال رسم شكل بيضاوي، فيعد المركز المتوسط المكاني للمراكز الحضرية في محافظة ذي قار هو مركز الشكل البيضاوي لكل مفردات نقاط المراكز الحضرية الموزعة كارتوكرافياً في المحافظة، إذ بلغت مساحة هذا المحور لسنة 2021 (4951.618) كم2، وبلغت قيمة الدوران في اتجاه ذلك التوزيع(139.9) كم، ضم هذا الشكل عدد المراكز الحضرية نفسها التي ضمتها الدائرة المعيارية والبالغ عددها (16) مركزا حضرياً، مما يعني ان الامتداد الفعلي العام لاتجاه توزيع المراكز الحضرية في محافظة ذي قار جاء محاكياً لنمط الانتشار الفعلي لتركز المراكز في المحافظة، مما يعني أن اعتماد التحليل المكاني في بيئة نظم المعلومات الجغرافية (GIS) تعتمد في تفسيرها للنتائج الخاصة بالظاهرة قيد البحث ومعرفة العلاقات والارتباطات المكانية في بعدها المكاني. ان التحليل المكاني مرتكز على أسلوب القياس للعلاقات المكانية بين الظواهر ومعرفة أسباب وجودها وتوزيعها وبيان انعكاساتها والتنبؤات والعلاقات المكانية الخاصة بالظاهرة، مما يعني ان البحث قام بإنشاء قاعدة بيانات متكاملة (Data Base) لتوزيع رياض الاطفال مرتبطة بالمكان التي تمثلت بالمراكز الحضرية انطلاقا من الجزئيات وصولا الى التصنيف الكلي للترتيب (الهيراريكي)الهرمي لمحافظة ذي قار ؛ نظرا لسهولة التعامل معها معتمدا على البيانات من الجهات الرسمية ذات العلاقة، فضلا عن المعلومات التي تم جمعها من خلال استمارة الاستبانة. الخريطة (5) تمثل التوزيع العددي لرياض الاطفال بحسب التصنيف الاداري لسنة 2021.

خريطة (5) المسافة المعيارية ونمط الانتشار الفعلي لتوزيع المراكز الحضرية في محافظة ذي قار لسنة (2021)



المصدر: تقنية نظم المعلومات الجغرافية (ARC MAP-14). وجدول (3)

قيم دليل الجار الأقرب (صلة الجوار)

يشير الشكل (2) إلى شكل النمط وأركانه وإلى توزيع متجمع أو متشتت هو مستوى الدلالة لقيمة (Z) المحسوبة، والمتعارف عليه في الدراسات الاجتماعية بأن مستوى الدلالة (درجة الثقة) تحدد بـ (0.05) الموجودة أسفل تدرج الأنماط بصورتين، الجانب الأيمن يشير إلى مستوى الدلالة وقيمة (z) المتوقعة إذا كانت مخرجات التحليل لقيمة (z) المحسوبة موجبة، وبالعكس إذا كانت سالبة فإنها تقارن مع مخرجات التحليل في الجانب الأيسر. بينما نجد قيمة دليل الجار الأقرب (R) في موضع الأول من نموذج مخرجات التحليل المكاني والبالغة هنا (0.95) على سبيل المثال حسب الجدول (6)، وهذا الدليل يعطي وصفاً دقيقاً لأشكال أنماط التوزيع للتوزيعات الثانوية، وتجدر الإشارة الى ضرورة الأخذ بنظر الاعتبار عدد نقاط التوزيع لأي دراسة تتعلق بحساب (R) لأن بدونها قد

يخلص البحث الى نتائج خاطئة إذا لم يؤخذ ذلك بنظر الاعتبار. لذا لابد من إخضاع قيمة المعامل على الاختبار الإحصائي (Z)، ويجب مراعاة أن قيمة (R) هذه تكون لها دلالة قوية كلما كان عدد نقاط التوزيع كبيراً، إذ أن الحد الأدنى المطلوب لعدد النقاط يجب أن يساوي(30) أو أكثر لكي نحصل على دلالة نعتمد عليها[8] ويمكن الإشارة إلى قيم الدليل وما يقابلها من إشكال أنماط التوزيع بحسب جدول (6).

جدول (6) قيم دليل الجار الأقرب

شكل النموذج	قيم الدليل
متجمع (متكتل)	صفر . 0.09
متقارب عنقودي	0.49 . 0.1
متقارب عشوائي	0.99 . 0.50
عشوائي	1
متباعد غير منتظم	1.99 – 1 .1
متباعد منتظم	2
متشتت	أكثر من 2

المصدر: – ناصر عبد الله بن عثمان الصالح، ومحمد محمود السرياني، الجغرافية الكمية والإحصائية – أسس وتطبيقات بالأساليب الحاسوبية الحديثة، مكتبة العبيكان، ط2، الرياض، 2000، ص288.

يمكن تحديد ثلاثة أنماط رئيسة، وأربعة أنماط ثانوية من التوزيعات المكانية الرئيسة وكالاتي:

- **متجمعاً:** إذا كانت قيمة (R) (صفراً أو قريباً من الصفر).
- **عشوائياً:** إذا كانت القيمة واحداً صحيحاً.
- **متباعداً:** كلما زادت قيمة الدليل فوق الواحد حتى تصل إلى درجة التباعد.

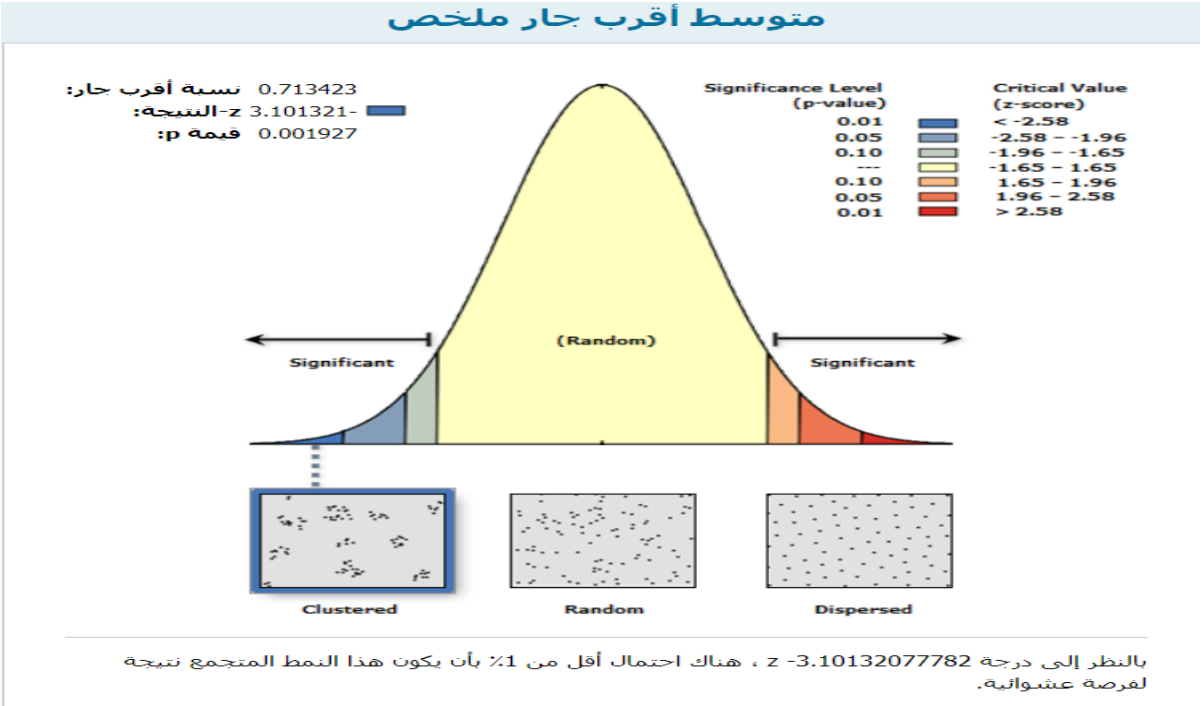
ومن الشكل (2) يتضح ان حساب نمط توزيع رياض الأطفال الحكومية في محافظة ذي قار لسنة 2021 بلغ (0.713)، فيما كانت النتيجة للقيمة الحرجة (Z) (3.102)، في الوقت الذي

8- سميع جلاب منسي السيلاني، كفاءة التوزيع المكاني للخدمات المجتمعية (التعليمية والصحية والترفيهية) في مدينة الشطرة، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة البصرة، 2013.. ص97.

9– قاسم الدويكات، نظم المعلومات الجغرافية النظرية والتطبيق، مطبعة البهجة، اربد الأردن، 2010. ص89.

سجلت فيه قيمة معنوية مستوى الدلالة (P) (0.00)، وهذا ايحاءٌ بان مؤشر النمط الجغرافي للتوزيع رياض الاطفال يتخذ النمط المتجمع للظاهرة قيد البحث هو توزيع (متقارب عشوائي).

شكل (2) نموذج توضيحي من مخرجات التحليل الإحصائي . المكاني باستعمال دليل الجار الأقرب لتوزيع رياض الأطفال الحكومية في محافظة ذي قار في بيئة Toolbox Arc لسنة 2021م

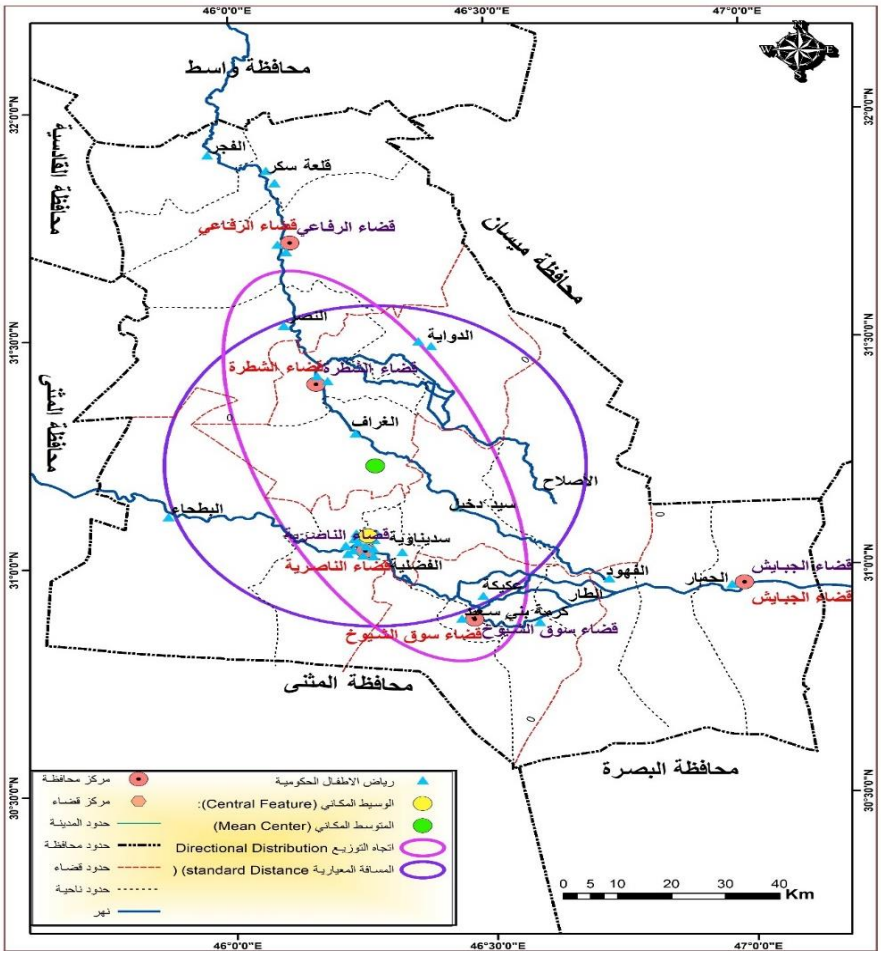


المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات جدول (1) ومخرجات الصندوق الاحصائي Arc Toolbox.

مقاييس التشتت والانتشار المكاني:

يستخدم التحليل المكاني في بيئة نظم المعلومات الجغرافية من اجل الوصول الى نتائج يعتمد عليها في تفسير الظاهرات الجغرافية ومعرفة علاقاتها والارتباطات المكانية للظاهرة قيد البحث، مما يعني بان هناك حاجة لأنشاء قاعدة بيانات جغرافية (Data Base) متكاملة لرياض الأطفال للقطاع العام والخاص مرتبطة بالمكان والمتمثلة بالمراكز الحضرية لمحافظة ذي قار، والقيام بعد ذلك بعمليات المعالجة والتحليل المكاني الكمي للخروج بنتائج دقيقة تعجز الطرائق التقليدية عن انجازها بسهولة ودقة وسرعة. يتضح من نتائج التحليل الاحصائي والمكاني وكما يظهر بالخريطة (6) انطلاقا من توزيع الظاهرة واين تتركز، واسباب تركزها في هذا المكان او ذاك، والتي تتلخص بالمحاور الآتية:

خريطة (6) المتوسط المكاني والمركز الجغرافي لرياض الأطفال الحكومية في محافظة ذي قار



المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات جدول (1) و مخرجات الصندوق الاحصائي Arc Toolbox.

تحليل المتوسط المكاني (Mean Center):

يطلق عليه (المركز الجغرافي) او ما يعرف بـ (المركز المتوسط الفعلي) وهو حساب المعدل العام للبيانات غير المكانية والتي تتجسد في تحديد اين يوجد الموقع الجغرافي والارتكازية للموقع الجغرافي الذي يمثل نقطة المتوسط الجغرافي لرياض الأطفال في مراكز الحضر لمحافظة ذي قار، لاسيما وانه يمثل النقطة التي تتوسط مجموعة من النقاط التي تتوزع مفردات الظاهرة من حولها بشكل متساوٍ في جميع الاتجاهات. وان هذه النقطة قد تتحرك مع تغير مركز الثقل لتوزيع الظاهرة بمرور الزمن بتغير توزيع مواقع رياض الأطفال على مدار الزمن من خلال مدد زمنية، وبالرغم من هذا او ذاك فقد اعتمد المحلل المكاني لسنة واحدة وهي سنة 2021، إذ تشير خريطة (6) الى تحليل مخرجات المحلل المكاني لتوزيع رياض الأطفال في المراكز الحضرية في محافظة ذي قار, يتضح ان المركز الجغرافي لتوزيع لرياض الاطفال لمحافظة ذي قار لسنة (2021) يقع في ناحية الغراف في الجزء (الجنوب الشرقي منها) وهذا يحاكي مركز الثقل المكاني والسكاني الآنف الذكر لمحافظة ذي قار بلغ (4341)م.

تحليل الوسيط المكاني (Central Feature):

ان تحليل الوسيط المكاني يقوم بتحديد موقع الظاهرة او المعلم الذي يقع في نقطة تكون أقرب ما يمكن ان تقع في موضع يجاور مركز توزيع متغيرات الظاهرة قيد البحث، اذ انها تعد مركزا افتراضيا مثاليا في حال عدم وجود تفاعل او تمازج بين المعالم او انتقال ما بين المراكز. ويتضح ان الوسيط المكاني لتوزيع رياض الاطفال الحكومية لسنة (2021) يقترب بشكل كبير من المركز الجغرافي لرياض الاطفال للسنة نفسها بانحراف كبير بلغ (17885) م، وهو بالتالي يحاكي التوزيع الفعلي لرياض الأطفال لمحافظة ذي قار الواقع ضمن مركز ناحية (سديناوية) التي تمتاز بحجم المساحة الكبيرة. خريطة (6).

المسافة المعيارية standard Distance:

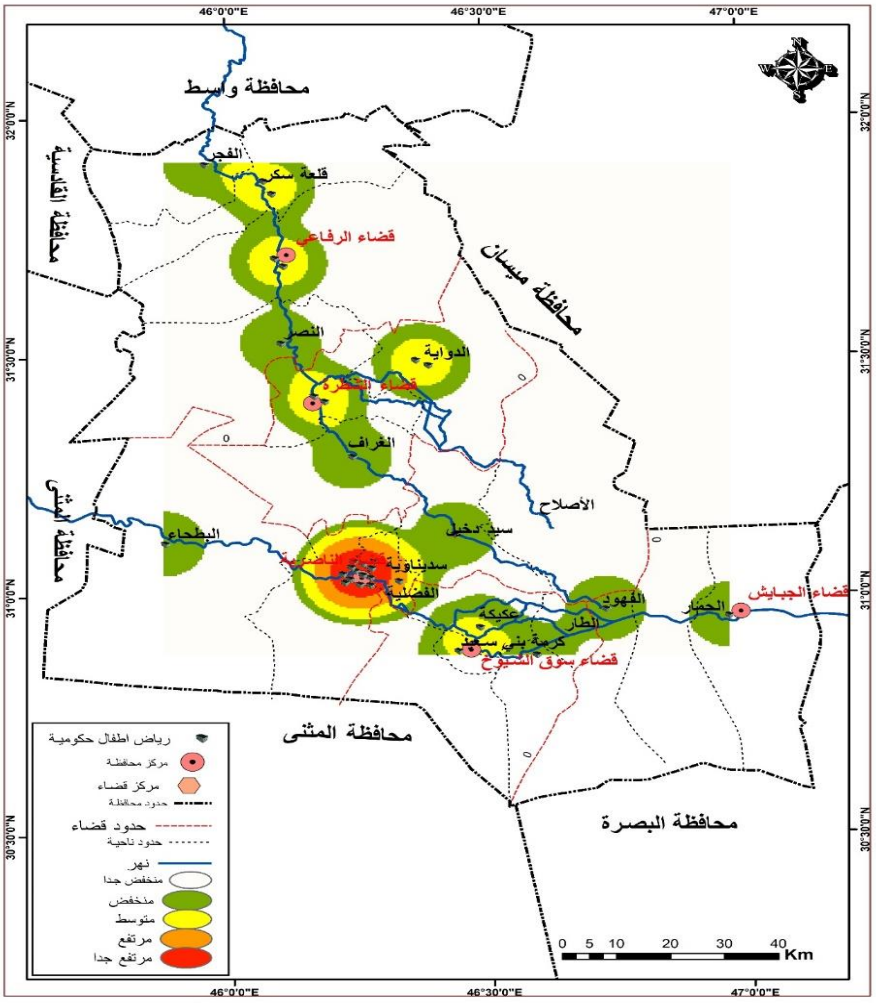
عندما يستعلم عن المركز الجغرافي والمركز النظري والمسافة المعيارية واتجاه التوزيع لرياض الأطفال الحكومية مجتمعة لسنة (2021) بالنسبة لرياض الأطفال الحكومية، بلغ طول نصف القطر للدائرة البيانية يبلغ(245010.2) م، بلغ عدد النقاط التي تمثل رياض الأطفال في منطقة البحث والتي تقع داخل الدائرة البيانية (26) روضة من اصل(32) وبنسبة (81.3%) من اجمالي عدد رياض الاطفال وهو مؤشر واضح لمدى تركز الظاهرة حول مركزها المتوسط، كذلك فأن مساحة الدائرة بلغت (4776.92)كم2، أي انها تشكل نسبة (37.0%) من مساحة محافظة ذي قار، مما يعني ان ظاهرة توزيع رياض الأطفال تكاد يكون تركزها في مكان واحد محدد ينتشر على اكثر من نصف مساحة المحافظة تقريباً. خريطة (6).

تحليل كثافة النواة Kernel Density

يهدف تحليل كيرنال الى تقدير كثافة التوزيع الجغرافي لتوزيع ظاهرة من الظواهر المحددة على حيز مكاني مؤطر جغرافيا، اذ تحدد المناطق التي تتركز بها الظاهرة، وتم تطويره للحصول على تقدير التحليل الأحادي او المتعدد لاحتمالات توزيعها. وفي هذا المجال اتضح من خلال الاستعانة بالصندوق الاحصائي والخريطة (7) ان هناك بؤرا لتركز رياض الاطفال في محافظة ذي قار (مناطق جناح Delinquency Area) والتي تعد نطاقات لتركز رياض الاطفال، إذ إن نمط الكثافة لكيرنال المرتفع غطى الأجزاء المحيطة بالنطاق المرتفع جدا في مركز محافظة ذي قار، وتجدر الإشارة بان هذه النواة تعدُ مرتكزاً لتداخل حلقات أنماط الكثافات الأخرى المرتفعة والمتوسطة والمنخفضة جدا وعلى التوالي. اما نمط الكثافة المرتفع فهو محيط بمواضع المراكز الحضرية أخرى علاوة على ما تم ذكره من مركز محافظة ذي قار. اما الكثافة المتوسطة فقد شكلت حلقات او اغلفة تضم في داخلها النمطين السابقين الانفين الذكر (المرتفع والمرتفع جدا) على التوالي، اما الكثافة

المنخفضة فهي متداخلة مع الحلقات المتوسطة وهكذا بالنسبة للأنماط المتبقية التي غطت معظم المراكز الحضرية للمحافظة لاسيما مركز قضاء الناصرية (مدينة الناصرية) التي استحوذت على حصة الأسد. ويلخص مما تقدم بعض الجوانب التي كشف عنها البحث والتي تمثلت بـ: ان هناك تباينا مكانيا لتوزيع لرياض الأطفال في محافظة ذي قار، توجد عدة تحليلات إحصائية لرصد نمط توزيع الظاهرة وكثافتها، اذ تظهر مخرجات التحليل لأشكال أنماط التوزيع بانها نمطٌ عشوائي. واشارت مقاييس التشتت والانتشار للمتوسط المكاني بان المركز الجغرافي لتوزيع رياض الاطفال يحاكي الثقل المكاني لمراكز حضر محافظة ذي قار.

خريطة (7) كثافة رياض الأطفال الحكومية حسب تحليل كيرنال في محافظة ذي قار



المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات جدول (3)، مخرجات الصندوق الاحصائي Arc Toolbox.

الاستنتاجات:

اهتمت الدراسة بتحليل واقع خدمة رياض الاطفال في محافظة ذي قار من حيث التوزيع الجغرافي، والعلاقة المكانية لرياض الاطفال. وقد توصلت الدراسة إلى الاستنتاجات الآتية:

1- بلغ عدد رياض الاطفال في محافظة ذي قار (32) روضة حكومية.

2- بلغ عدد الاطفال المسجلين في الرياض (5416) طفلا وطفلة.

3- هناك خلل واضح في التوزيع الجغرافي لرياض الاطفال في المراكز الحضرية في محافظة ذي قار.

4- وجود زيادة واضحة في عدد الاطفال الملتحقين عن الحد المقرر في الرياض الحكومية؛ إذ سجلت بعض الرياض أعداداً أعلى من الطاقة الاستيعابية لها كما في (روضة أطفال الفهود).

5- جميع الوحدات الادارية قد سجلت أقل من المعيار المحلي وهذا يدل تزاحم الاطفال في الشعب الدراسية بسبب زيادة اعداد الاطفال وقلة اعداد الشعب الدراسية في عموم المحافظة.

6- يفسر التحليل الاحصائي المكاني بان نمط التوزيع الجغرافي للظاهرة هو متباعد غير منتظم؛ ويعود ذلك لصغر مساحة وارتفاع احجام اغلب المراكز الحضرية.

7- ان الامتداد الفعلي العام لاتجاه توزيع المراكز الحضرية ورياض الأطفال (الحكومية والمحلية) في محافظة ذي قار جاء محاكياً لنمط الانتشار الفعلي لتركز المراكز في المحافظة.

8- ان مؤشر النمط الجغرافي للتوزيع رياض الاطفال يتخذ النمط المتجمع للظاهرة قيد الدراسة هو توزيع (متقارب عشوائي) كما هو الحال في نمط توزيع رياض الأطفال الحكومية في منطقة الدراسة.

9- ان الامتداد الفعلي العام لاتجاه توزيع رياض الاطفال جاء محاكياً لنمط الانتشار الفعلي المتمركز في مراكز وسط محافظة ذي قار.

المقترحات:

1- جعل مرحلة رياض الأطفال الزامية التسجيل للأطفال بسن الرابعة، لما لها من أهمية كبيرة في بناء شخصية الطفل وتهيئته للدخول إلى المرحلة الابتدائية.

2- أن يكون الهدف الاساس الذي تُؤسس لأجله الرياض هو خدمة الاطفال في سن (4 – 5) سنوات تعليميا وتربوياً، وليس على أساس فرص عمل المرأة.

3- بناء رياض الاطفال بما يتناسب مع الفئة العمرية المحددة في كل الوحدات الادارية في المحافظة.

4- توفير خدمة رياض الاطفال في المناطق الريفية على غرار المناطق الحضرية. وبشكل كاف لكل الفئة العمرية المحددة.

5- تقدير الاحتياجات الحالية والمستقبلية من رياض الاطفال وذلك عن طريق التخطيط التربوي السليم، وان يكون هناك تنسيق بين مديرية التربية في ذي قار ومديرية إحصاء ذي قار وتبادل المعلومات السكانية والاجتماعية من اجل إنشاء قاعدة معلومات جغرافية ومعطيات احصائية شاملة في جميع الوحدات الادارية في المحافظة.

6- إعادة النظر في توزيع مواقع رياض الاطفال لتحول بعض المواقع إلى اسواق، أو مناطق إدارية.

7- سد النقص الموجود في عدد معلمات الرياض بالاعتماد على معيار (طفل / معلمة) والذي ينص على أن تكون معلمة لكل (16 – 20) طفلا.

8- معالجة نقص الشعب الدراسية في الرياض وفقا لمعيار (طفل / شعبة) والذي ينص على ألا يزيد عدد الاطفال في الشعبة الدراسية عن (24 –32) طفلا.

9- الالتزام بالمؤشرات التربوية (طفل / روضة), (طفل / شعبة), (طفل / معلمة) وحسب المعايير التخطيطية، ومتابعتها على مستوى الروضة الواحدة؛ لتحقيق التوازن بين هذه المؤشرات. ومقارنتها سنوياً بالمعايير العراقية المحلية وذلك لتقييم كفاءة وكفاية خدمة رياض الاطفال.

10- إقامة المسابقات والمهرجانات الثقافية والدينية والرياضية لتعزيز روح التنافس بين الاطفال وتشجيعهم على العطاء في شتى مجالات الحياة.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب

1. خير، صفوح, الجغرافية(موضوعها–ومناهجها–واهدافها), دار الفكر، دمشق, 2000.
2. داود, جمعة محمد، اسس التحليل المكاني في إطار نظم المعلومات الجغرافية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2012.
3. الدويكات، قاسم، نظم المعلومات الجغرافية النظرية والتطبيق، مطبعة البهجة، اربد الأردن، 2010.
4. سنكري، يمان، التحليل الاحصائي للبيانات المكانية في نظم المعلومات الجغرافية، شعاع للنشر والعلوم، حلب، سوريا، 2008.

الرسائل والأطاريح

1. السهلاني، سميع جلاب منسي، كفاءة التوزيع المكاني للخدمات المجتمعية (التعليمية والصحية والترفيهية) في مدينة الشطرة، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة البصرة، 2013.
2. الشمري، حيدر حسين عليوي، النمو السكاني في محافظة المثنى للمدة (1997_2030) واثرة في التنمية،،اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة 2018.
3. العامري، رافد موسى عبد حسون، الملائمة المكانية للخدمات المجتمعية في مدينة الديوانية وتوقعاتها المستقبلية، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة 2014.

البحوث والمجلات

1. العطار, محمد محمود، دور الاسرة ورياض الاطفال في تنمية قيم المواطنة لدى الاطفال في مرحلة ما قبل المدرسة في المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الباحة، كلية التربية، المجلد الثاني، العدد (11) , 2017.

المصادر الاجنبية

1. The State of Queensland (Department of Communities) Standards for Community Services، Community Link Australia Ply Ltd. 2007.

رصد تغيرات الغطاء الأرضي في محافظة ذي قار للمدة 1990 - 2021

Monitoring earth cover changes in Thi-Qar Governorate for the period 1990 – 2021

الباحث: خالد خيري مزيعل

أ.د. عبد الرزاق خيون خضير المحيميد: كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق

Researcher: Khaled Khairy Meziel

Prof. Dr. Abdul Razzaq Khyoun Khudair Al Muhaimid: faculty of Arts, University of Thi-Qar, Republic of Iraq.

الملخص:

هدفت الدراسة لرصد مظاهر التصحر في محافظة ذي قار للمدة (1990–2021) وكذلك الكشف عن مدى خطورة هذه المشكلة، وتكمن أهمية ظاهرة التصحر في أهوار منطقة الدراسة بكونها من المشكلات البيئية الخطيرة وتشترك في ظهور مشكلة التصحر في الأهوار العديد من العوامل الطبيعية والعوامل البشرية، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي من خلال وصف الظواهر الطبيعية والمنهج التحليلي لتحليل البيانات والنتائج الاحصائية والمناخية، وكشفت الدراسة من خلال تصنيف وتحليل تغير الغطاء الأرضي ونتائج تطبيق معادلة التغير النسبي في منطقة الدراسة للمدة (1990–2021) أن نسب التغير في مساحات الغطاءات الأرضية شهدت تغيرات واضحة كالتغير في مساحة الأهوار والمستنقعات التي كانت سالبة إذ بلغت (25.1–%) خلال مدة الدراسة، كما أوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بمناطق الأهوار كونها من المناطق السياحية والترفيهية التي تمتلك الكثير من المناظر الخلابة والإمكانيات الطبيعية والمميزات التي تجعلها مصدراً اقتصادياً وسياحياً وكذلك فهي تعتبر تراث عالمي كونها ادرجت في لائحة التراث العالمي.

الكلمات المفتاحية: مظاهر التصحر، الغطاء الأرضي، الأهوار.

Abstract:

The study aimed at monitoring the aspects of desertification in Thi-Qar Governorate for the period $(2021-1990)$, as well as revealing the severity of this problem. The importance of the phenomenon of desertification in the marshes of the study area is that it is a serious environmental problem, and many natural and human factors are involved in the emergence of the problem of desertification in the marshes. The study depended on both the descriptive approach by describing the natural phenomena, and the analytical approach by analyzing data and statistical and climatic results. The study revealed that the rates of change in the areas of earth cover had clear changes, such as the change in the area of marshes and swamps, which was negative, reaching (-25.1%) during the study period, and that discovery came through the classification and analysis of earth cover change and the results of applying the equation of comparative change in the study area for the period $(1990-2021)$. The study also recommended to pay attention to the marshlands, as they are considered one of the tourist and recreational areas that have many charm views, natural capabilities and advantages that make them an economic and tourist source, as well as they are considered a world heritage as they were included in the World Heritage List.

Keywords: Aspects of desertification, Earth cover, Marshes.

المقدمة:

يعد التصحر من أبرز وأخطر المشكلات البيئية التي تواجه الانسان في الوقت الحاضر وفي مختلف البيئات الجافه وشبه الجافه والرطبة وشبه الرطبة، كونها مرتبطة في العديد من الامور التي تخص الانسان وبيئته والحاجات المتزايدة للغذاء، وان لتتابع المؤتمرات الدولية المتعلقة بذلك الا دليل على تفاقم تلك المشكلة التي برزت بشكل واسع بوصفها مشكله بيئية على مستوى العالم، والتي تساهم بدورها في تراجع القدرة الانتاجية والحيوية للأراضي التي تصيبها هذه المشكلة وتدهور الغطاء النباتي بشكل عام وواسع، وبذلك يواجه العراق مشكلة بيئية ذات خطر كبير والتي تتمثل بظاهرة التصحر بشكل عام والتصحر في الأهوار بشكل خاص، اذ تعد مشكله التصحر من المشكلات الخطيرة التي تواجه الأراضي ومساحات الأهوار في العراق، والتي شكلت خطراً كبيراً وحقيقياً وعائقاً يقف أمام تقدم وانحسار مساحات الأهوار في العراق وأصبحت أثاره لا تقتصر على منطقه محدودة وانما تشغل مساحات كبيره وفي مختلف البيئات.

مشكلة الدراسة:

تمثلت الدراسة في تحليل التغير الحاصل في الغطاء الأرضي لمحافظة ذي قار، وأكدت الدراسة على التباين بمساحة التصحر والغطاء النباتي والمائي لمنطقة الدراسة خلال سنوات الدراسة والوقوف على اهم أسباب ذلك التباين، ويمكن إيضاح المشكلة بسؤال رئيسي مفاده (ما هي المتغيرات التي يعاني منها الغطاء الأرضي في منطقة الدراسة وهل هناك تباين واضح في مظاهر التصحر يمكن رصدها على مساحات مختلفة خلال سنوات الدراسة؟)، وتتفرع من المشكلة الرئيسة عدة تساؤلات فرعية، وهي:

أ. ما هي اهم المتغيرات التي يعاني منها الغطاء الأرضي لمنطقة الدراسة؟
ب. ما هو حجم التباين في مظاهر التصحر خلال سنوات الدراسة؟
ت. ما هي الآثار المترتبة على اتساع مساحة التصحر في المحافظة؟

منهج الدراسة:

لتحقيق اهداف الدراسة تم الاعتماد على المناهج العلمية والتي من خلالها يتم التوصل إلى معرفة الحقائق التي تخص الظاهرة، لذا تم الاعتماد على مناهج عدة ومن أهمها: المنهج الوصفي من خلال وصف الظواهر الطبيعية التي تم رصدها واتجاهات خصائص المناخ والعوامل المؤثرة فيه والأخذ كذلك بالمنهج التحليلي لتحليل البيانات والنتائج الإحصائية.

فرضية الدراسة:

هناك عدد من المتغيرات والمظاهر التي تعاني منها منطقة الدراسة كان اهمها التصحر وخاصةً في منطقة الأهوار فضلاً عن التغيرات في الغطاء النباتي والمساحات المائية، كما هناك تباين واضح في حجم المساحات المتصحرة، يترك التصحر آثاراً كثيرة تنعكس سلباً على سكان منطقة الدراسة.

أهداف الدراسة:

أ. تحديد المساحات التي تعرضت الى التصحر وتوضيح التباين بين سنوات الدراسة وماهي اهم الاسباب التي ادت لذلك.
ب. تحديد مخاطر ودرجات التصحر في منطقه الدراسة خلال سنوات الدراسة وما ينجم عنها من تأثيرات بيئية كون الظاهرة ذات تأثير بيئي واسع.
ت. الوقوف على طبيعة الاثار الناجمة عن ظاهرة التصحر في منطقة الدراسة وخاصةً في منطقة أهوار محافظة ذي قار.

أهمية الدراسة:

تأتي اهميه الدراسة لكونها تعالج وتبين أحد المشكلات البيئية الخطيرة التي لها ابعاد اجتماعيه واقتصاديه وبيئية متعددة، الا وهي ظاهرة التصحر والتي تعمل على تدمير مساحات حيوية واسعه من الأراضي في مناطق الأهوار والمناطق الزراعية وتدهور الثروة الحيوانية والثروة السمكية.

حدود الدراسة:

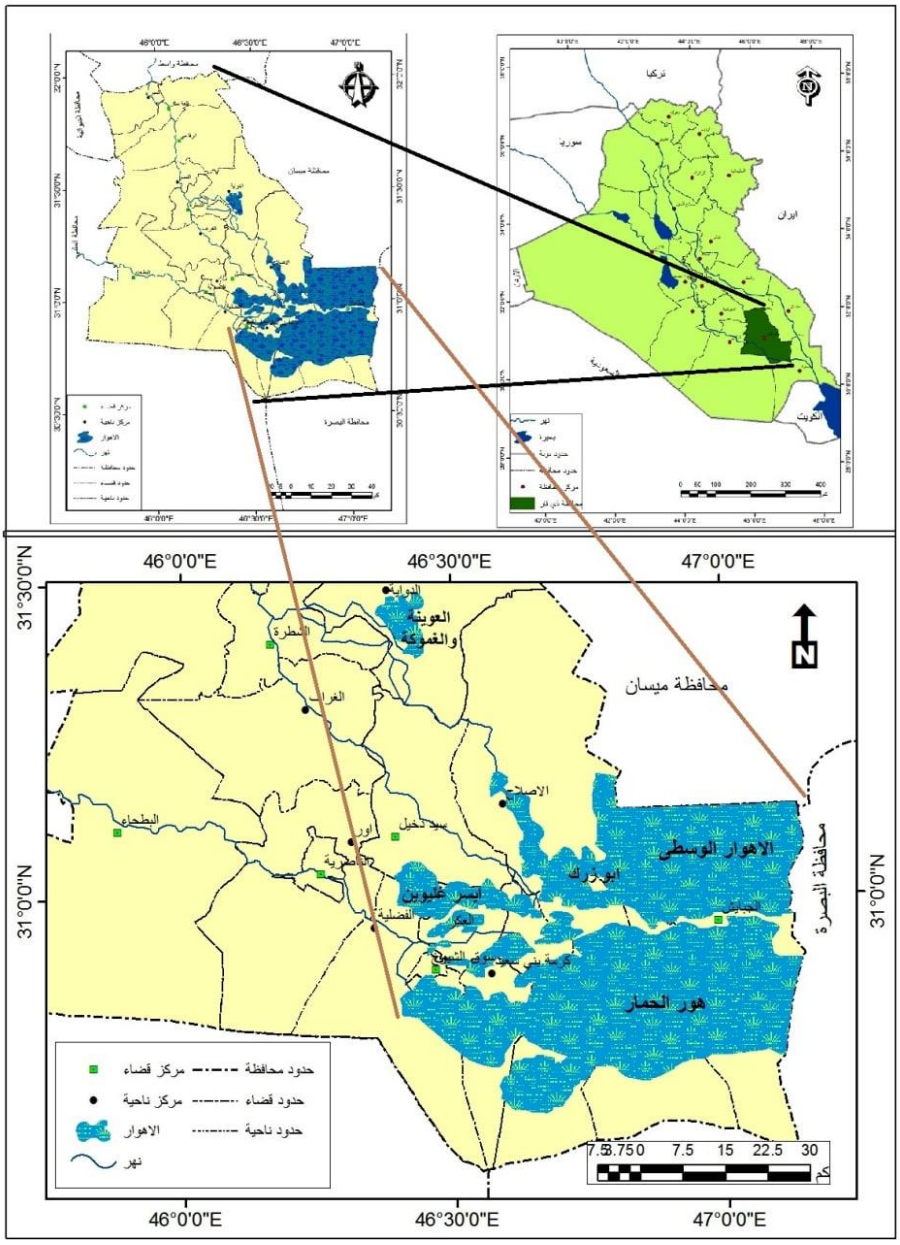
- **الحدود المكانية:** تتمثل الحدود المكانية لمنطقة الدراسة بالحدود الادارية لمحافظة ذي قار التي تقع في الجزء الجنوبي من العراق والتي تمتد بين دائرتي عرض (– 30،33° – 32°) شمالا وخطي طول (– 45،37° – 47°) درجة شرقا، تحدها من الشمال محافظة واسط ومن الشرق محافظة ميسان ومن جهة الغرب فتحدها محافظتي القادسية والمثنى في حين تمثل محافظة البصرة وجزء من محافظة المثنى حدودها الجنوبية ينظر خريطة (1) موقع منطقة الدراسة، وتتكون منطقه الدراسة من خمسة اقضية وخمس عشرة ناحية ادارية تابعه لها الخريطة (2) اذ تبلغ مساحة المحافظة (13830.18) كم^2 لتشكل نسبة قدرها (1،3%) من مجموع مساحة العراق البالغة (052،435) كم^2.

- **الحدود الزمانية:** تتمثل الحدود الزمانية للدراسة والتي تم تحديدها بفترة زمنية بلغت واحد وثلاثون سنة تمتد من (1990–2021) والتي تمثل دراسة البيانات الخاصة بالعناصر والظواهر المناخية خلال تلك المدة لمنطقة الدراسة.

هيكلية الدراسة:

تطلبت الدراسة تقسيمها الى مطلبين رئيسين تضمن الأول دراسة تصنيف الغطاء الأرضي لمحافظة ذي قار التباين في المساحات المائية في منطقة الدراسة المتمثلة في الأهوار والمستنقعات خلال مدة الدراسة، في حين تناولت في المطلب الثاني تحليل تغير الغطاء الأرضي للمدة (2021–1990) في منطقة الدراسة.

خريطة (1) موقع منطقة الدراسة من العراق



المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج (Arc Map 10.8) بالاعتماد على: جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، وحدة انتاج الخرائط، خريطة العراق الادارية، بمقياس رسم 1: 1000000، بغداد، 2011.

المطلب الأول: تصنيف الغطاء الأرضي:

التصنيف وهي العملية التي يتم من خلالها تقسيم المرئية الفضائية الى عدد من المجموعات أو الفئات وتمثل كل فئة أو مجموعة ظاهرة جغرافية معينة للدراسة على سطح الارض [1]. وتعتمد عملية التصنيف على طبيعة المنطقة المصنفة كمناطق (أهوار أو مناطق متصحرة أو مناطق غطاء نباتي كثيف متوسط قليل وغيرها) لذا فأن عملية تصنيف المرئيات الفضائية تتم من خلال عمليتين أو طريقتين وهما التصنيف المراقب (الموجه) وهو عملية تصنيف تبني على معلومات الخصائص الطيفية لغطاء الأرض في المنطقة التي تم تصويرها وتم الحصول عليها من خلال الخرائط أو الصور الجوية أو الزيارات الميدانية [2]. والتصنيف الثاني غير المراقب أو التصنيف الالي (التصنيف غير الموجه) وهوه عملية التصنيف التي تعتمد على برامج متخصصة بعمليات التفسير دون تدخل من المستخدم.

ولغرض دراسة الغطاء الأرضي في منطقة الدراسة وإظهار حجم التغيرات التي طرأت عليها خلال مدة الدراسة (1990–2021) تم اجراء دراسة عملية التصنيف الموجة لمرئيات بعض السنوات لمنطقة الدراسة من خلال الاستعانة بتقنيات برامج الاستشعار عن بعد (RS) ونظم المعلومات الجغرافية (GIS) وباستخدام برنامج (Arc Gis) وذلك لغرض دراسة واعداد الخرائط الخاصة بتلك الغطاءات الأرضية واظهار حجم التغيرات واتجاهاتها ومساحة التغيرات التي جرت في منطقة الدراسة وعلاقتها بظاهرة التصحر، ويتم معرفة هذه التغيرات عن طريق تحليل وتفسير المرئيات الفضائية للأعوام (1990) و(2000) للقمر الصناعي الامريكي (Landsat 5 TM) بدقة (30) متر وتفسير مرئية عام (2010) و(2021) للقمر الصناعي الامريكي (Landsat 8 OLI)، وتعد عملية تفسير المرئيات الفضائية من الوسائل المهمة المستخدمة في تحليل الغطاءات الأرضية لمعرفة حجم التغيرات التي طرأت على منطقة الدراسة، ويتضح من خلال الجدول (1) والخرائط (2) و(3) و(4) و(5) ما يأتي:

1. تبين أن الأهوار والمستنقعات سجلت مساحة بلغت (271.55 كم^2) في سنة (1990) من جملة المساحة الكلية للمنطقة البالغة (13830.18كم^2) وبنسبة قدرها (1.96%) من المساحة الكلية، بعد ذلك اخذت مساحة الأهوار بالانخفاض والتناقص التدريجي إذ سجلت في عام (2000) مساحة بلغت (61.41 كم^2) وبنسبة بلغت (0.44%) من مساحة المحافظة الكلية، في حين

[1] العسكري، حيدر عبد المحسن كاظم (2016): مظاهر التصحر وتأثيرها على الواقع الزراعي في محافظة ذي قار، بغداد: جامعة ذي قار، رسالة ماجستير غير منشورة، ص106.

[2] الحسن، عصمت محمد (2007): معالجة الصور الرقمية في الاستشعار عن بعد، تقرير مركز ابحاث جامعة الملك سعود، كلية الهندسة، ص121.

كانت مساحة الأهوار والمستنقعات في سنة (2010) مساحة بلغت (313.18 كم^2) وبنسبة بلغت (2.26%)، أما خلال سنة (2021) فقد سجلت الأهوار مساحة بلغت (203.13 كم^2) وبنسبة (1.47%) من المساحة الكلية، ويرجع سبب هذه التغيرات في مساحة الأهوار الى العديد من الأسباب ومنها سيادة ظروف المناخ الجاف والتغير في كميات سقوط الامطار وانخفاضها خلال هذه السنوات، فضلاً عن قلة الموارد المائية والمنافذ المغذية للأهوار وارتفاع درجات الحرارة والتبخر كل هذه العوامل ساعدت على سيادة التصحر في منطقة الدراسة واتساع مساحات الجفاف في الأهوار.

2. يلاحظ أن المناطق المتصحرة بلغت مساحتها في سنة (1990) مساحة بلغت (6967.8 كم^2) وبنسبة بلغت (50.38%) من المساحة الكلية، في حين اخذت بالارتفاع التدريجي لتسجل في عام (2000) مساحة بلغت (7277.09 كم^2) وبنسبة بلغت (52.62%)، اما في سنة (2010) فقد سجلت المناطق المتصحرة مساحة بلغت (8991.51 كم^2) وبنسبة بلغت (65.01%)، أما في سنة (2021) فقد سجلت المناطق المتصحرة مساحة بلغت (8012.16 كم^2) وبنسبة بلغت (57.93%)، يرجع السبب في زيادة مساحات المناطق المتصحرة الى شحة المياه وتدهور التربة والعجز المائي ونشاط عمليات التعرية نتيجة ظروف التصحر في منطقة الدراسة.

3. سجل الغطاء النباتي القليل في منطقة الدراسة في سنة (1990) مساحة بلغت (4043.73 كم^2) وبنسبة بلغت (29.24%)، ثم ازدادت هذه المساحات في سنة (2000) لتسجل مساحة بلغت (4580.16 كم^2) وبنسبة بلغت (33.12%)، أما في سنة (2010) فقد اخذت هذه المساحات بالتناقص لتسجل مساحة بلغت (304.47 كم^2) وبنسبة بلغت (2.20%)، كذلك تناقصت هذه المساحات في سنة (2021) لتسجل مساحة بلغت (216.19 كم^2) وبنسبة بلغت (1.92%)، ويرجع السبب في ذلك الى الكثير من العوامل الطبيعية والبشرية ومنها سيادة الجفاف والتغير في عناصر المناخ والرعي الجائر وقطع الاشجار من قبل الانسان، مما ادى الى تناقص هذه المساحات وتحولها الى مناطق متصحرة.

4. تبين من خلال الدراسة أن مساحة الغطاء النباتي المتوسط بلغ في سنة (1990) مساحة بلغت (1740.46 كم^2) وبنسبة بلغت (12.58%) من المساحة الكلية، أما في سنة (2000) فقد اخذت الغطاء النباتي المتوسط بالتناقص ليسجل مساحة بلغت (1526.02 كم^2) وبنسبة بلغت (11.03%)، وفي سنة (2010) سجلت مساحة بلغت (3177 كم^2) وبنسبة بلغت (22.97%)، في حين بلغت مساحة الغطاء النباتي في سنة (2021) مساحة بلغت (4197.15 كم^2) وبنسبة بلغت (30.35%)، وسبب هذه التغيرات في الغطاء النباتي يرجع الى العديد من الظروف

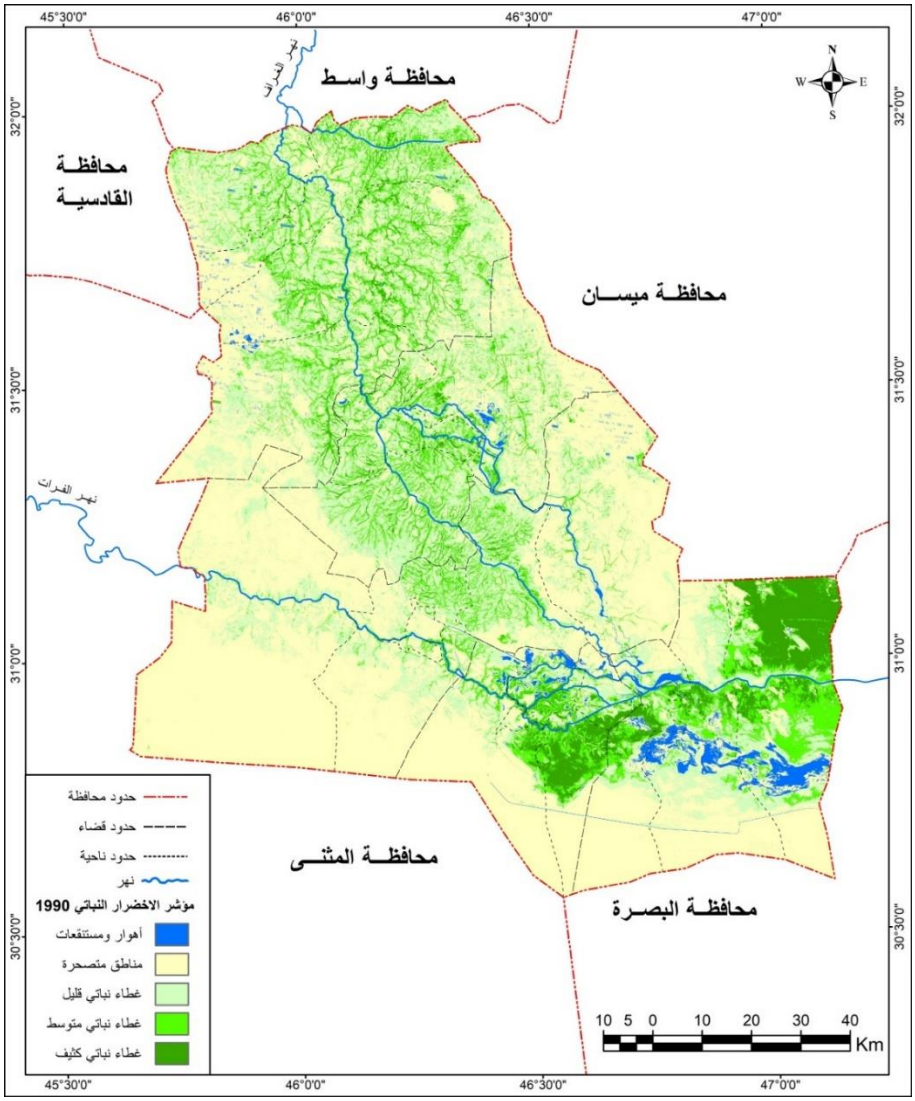
الطبيعية التي عملت على اتساع المساحات المتصحرة وتعرضها الى التعرية وتدهور الغطاء النباتي في منطقة الدراسة.

جدول (1) توزيع أصناف ومساحات الغطاء الأرضي ونسبها المئوية في منطقة الدراسة للمدة (1990-2021)

ت	نوع الصنف	مرئية (1990)		مرئية (2000)		مرئية (2010)		مرئية (2021)	
		المساحة كم^2	النسبة%	المساحة كم^2	النسبة%	المساحة كم^2	النسبة%	المساحة كم^2	النسبة%
1	أهوار ومستنقعات	271.55	1.96	61.41	0.44	313.18	2.26	203.13	1.47
2	مناطق متصحرة	6967.8	50.38	7277.09	52.62	8991.51	65.01	8012.16	57.93
3	غطاء نباتي قليل	4043.73	29.24	4580.16	33.12	304.47	2.2	266.19	1.92
4	غطاء نباتي متوسط	1740.46	12.58	1526.02	11.03	3177	22.97	4197.15	30.35
5	غطاء نباتي كثيف	806.64	5.83	385.5	2.79	1044.02	7.55	1151.55	8.33
	المجموع	13830.2	100	13830.18	100	13830.18	100	13830.18	100

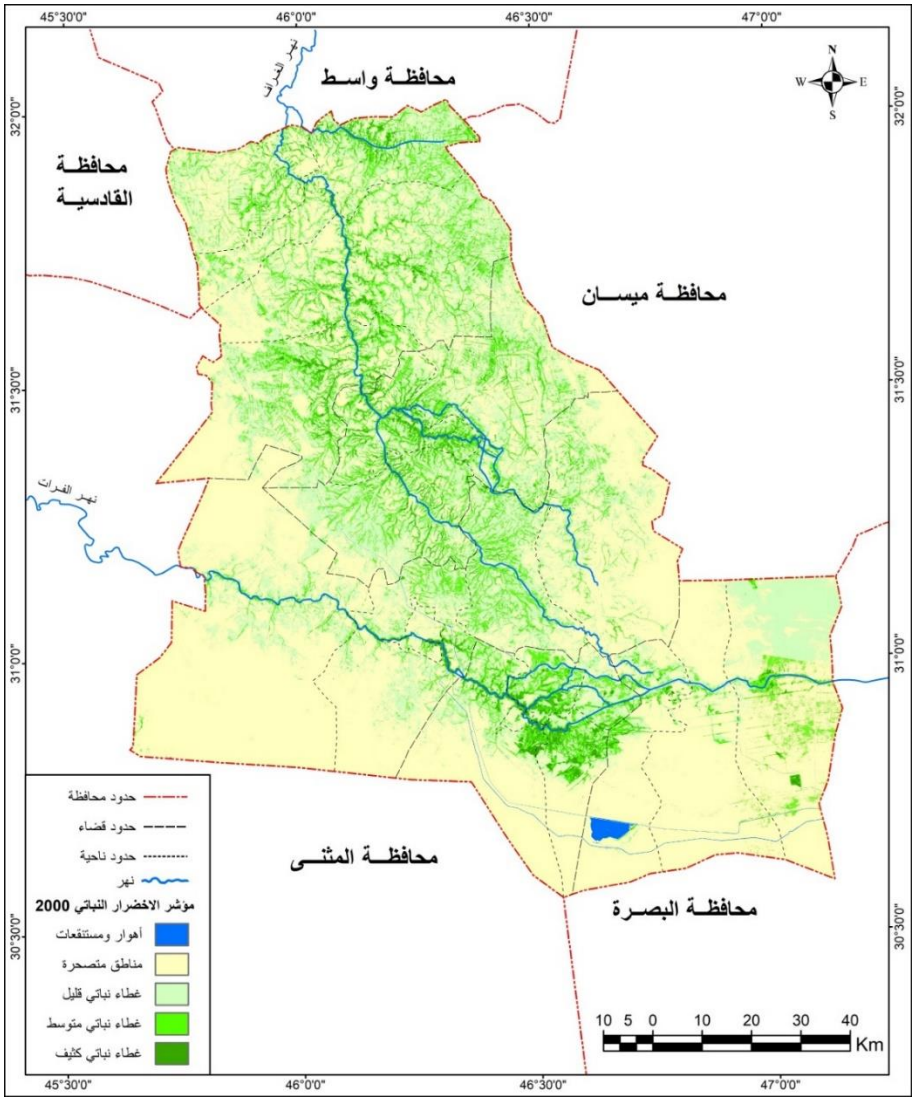
المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على تحليل المرئيات الفضائية للسنوات (1990-2000-2010-2021).

خريطة (2) التصنيف الموجة للمرئيات الفضائية لمنطقة الدراسة لسنة (1990)



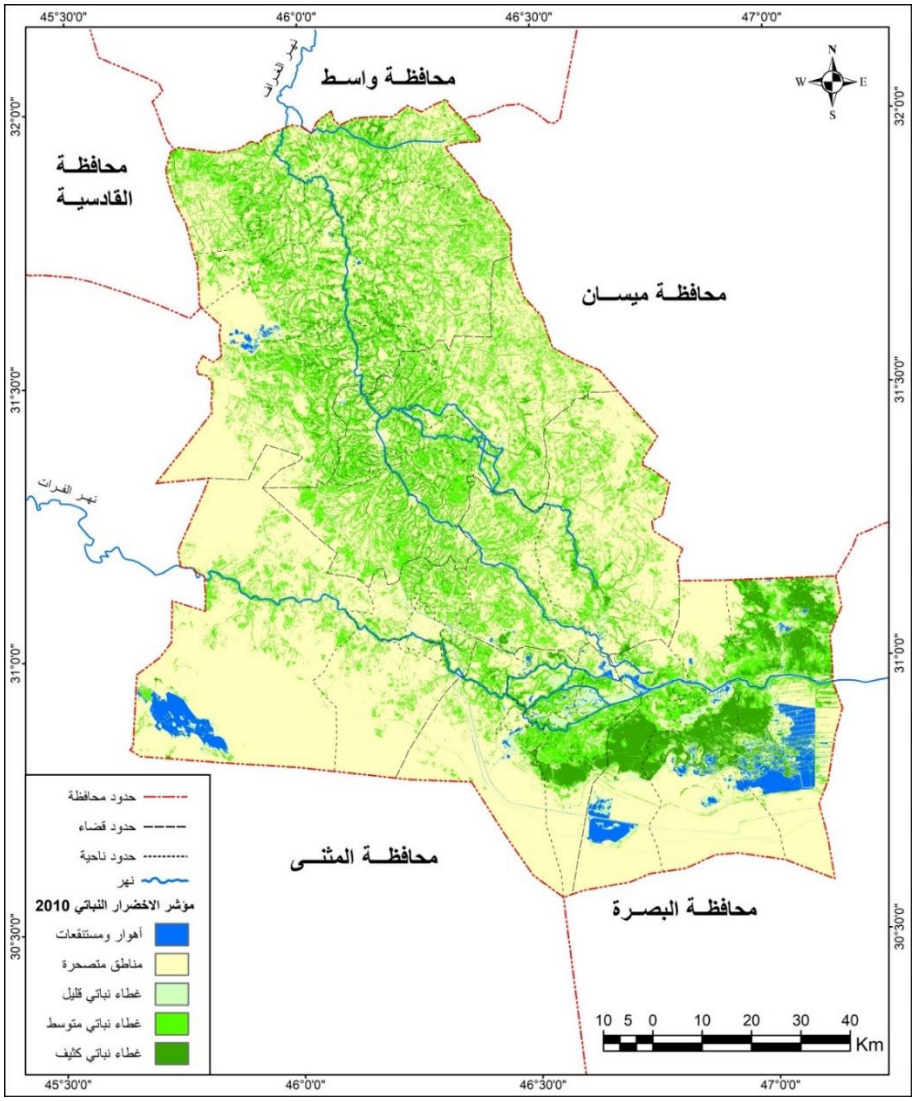
المصدر: بالاعتماد على القمر الامريكي (Landsat 5) الحزم (3،4) بدقة 30 متر لسنة 1990.

خريطة (3) التصنيف الموجة للمرئيات الفضائية لمنطقة الدراسة لسنة (2000)



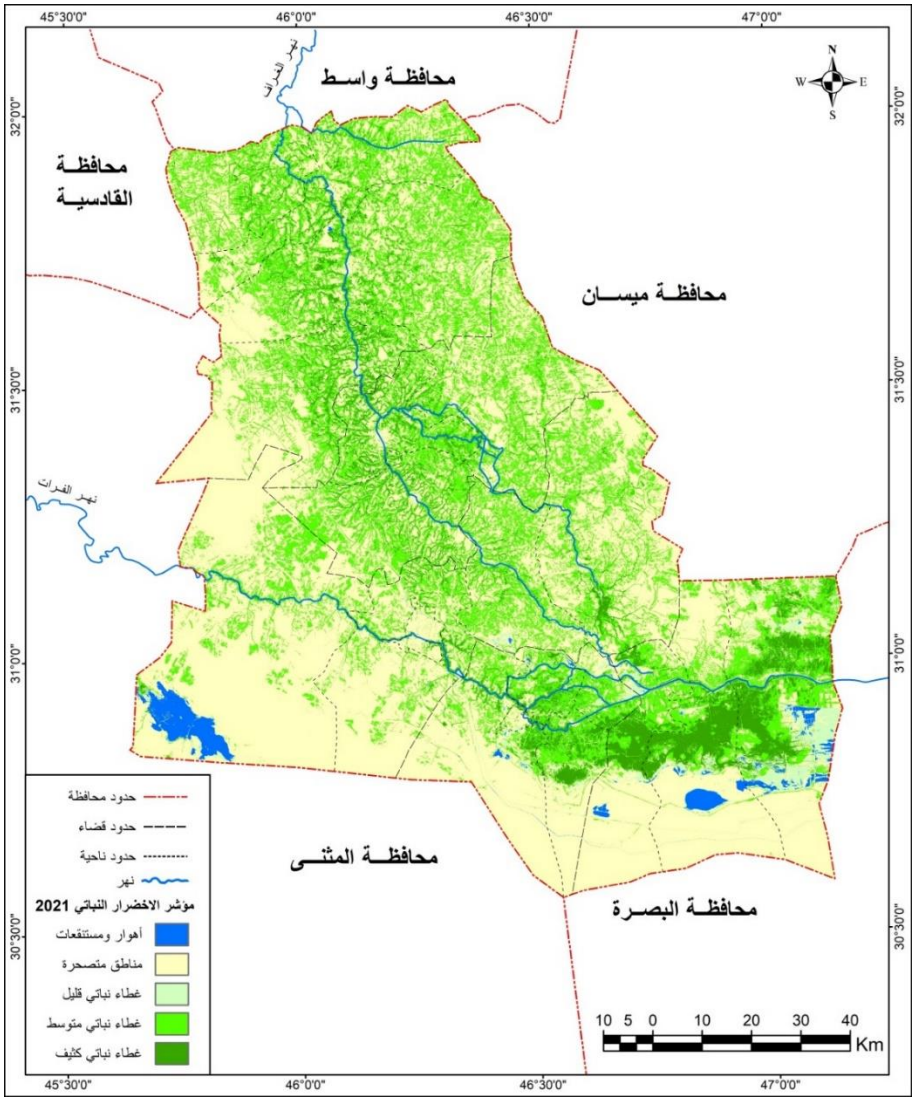
المصدر: بالاعتماد على القمر الامريكي (Landsat 5) الحزم (3،4) بدقة 30متر لسنة 2000.

خريطة (4) التصنيف الموجة للمرئيات الفضائية لمنطقة الدراسة لسنة (2010)



المصدر: بالاعتماد على القمر الامريكي (Landsat 8) الحزم (4،5) بدقة 30 متر لسنة 2010.

خريطة (5) التصنيف الموجة للمرئيات الفضائية لمنطقة الدراسة لسنة (2021)



المصدر: بالاعتماد على القمر الامريكي (Landsat 8) الحزم (4،5) بدقة 30 متر لسنة2021.

5. سجل الغطاء النباتي الكثيف في سنة (1990) مساحة بلغت (806.64 كم^2) وبنسبة بلغت (5.83%)، في حين تناقصت هذه المساحات في سنة (2000) لتسجل مساحة بلغت (385.5 كم^2) وبنسبة بلغت (2.79%)، واخذت هذه المساحات بالزيادة لتسجل في سنة (2010) مساحة بلغت (1044.02 كم^2) وبنسبة بلغت (7.55%)، في حين سجلت في سنة (2021) مساحة بلغت (1151.55 كم^2) وبنسبة بلغت (8.33%)، ويرجع السبب في زيادة وتناقص الغطاء النباتي الى العديد من العوامل التي تساهم في ذلك ومن هذه العوامل طبيعية وبشرية التي تعمل على زيادة هذه الغطاءات النباتية.

المطلب الثاني: تحليل تغير الغطاء الأرضي للمدة (1990-2021) في منطقة الدراسة:

شهدت منطقة الدراسة الكثير من التغيرات الكبيرة في مساحات الأهوار والمستنقعات خلال مدة الدراسة إذ يلاحظ تغير كبير في مساحة الأهوار لسنوات الدراسة، حيث أنها تعاني من الكثير من المشاكل التي أدت الى تغير في مساحاتها ومن هذه العوامل التي عملت على تقليص مساحات الأهوار منها ما هوه طبيعي كعناصر المناخ ومنها درجات الحرارة والاشعاع الشمسي وكمية التبخر وغيرها من خصائص المناخ التي ساهمت في تصحر بعض مساحات الأهوار، كذلك يرجع السبب في تغير هذه المساحات الى شحة المياه وقلة المصادر التي تتغذى عليها هذه المساحات من الأهوار وتذبذب الامطار والادارة الغير صحيحة للمياه والسياسة المائية لدول الجوار.

وساهمت هذه العوامل على تغير مساحة الأهوار وتقلصها مما ادى الى هجرة اعداد كبيرة من السكان. فضلاً عن نفوق الكثير من الثروات الحيوانية ومنها الأسماك وحيوانات الجاموس مما ادى الى هجرة اعداد كبيرة من سكان الأهوار الى مناطق اخرى، أما في ما يخص المناطق المتصحرة يلاحظ كذلك تغير في مساحاتها من سنة الى سنة اخرى وهي في زيادة مستمرة من سنة 1990 الى سنة 2021 وذلك بسبب الجفاف الذي تتعرض له منطقة الدراسة نتيجة لأسباب طبيعية بفعل ظروف الجفاف والتصحر، والبشرية بسبب الادارة السيئة للأرض في اغلب المناطق وقطع الاشجار وتغير استعمال الارض، كذلك يلاحظ وجود تفاوت في مساحة الغطاء النباتي في منطقة الدراسة ويرجع التغير في مساحة الغطاء النباتي الى ظروف المناخ والجفاف في هذه المناطق، ويشير الجدول (2) الى نسب التغير في مساحات الغطاء الأرضي لمنطقة الدراسة وللمدة (1990-2021) إذ يلاحظ أن نسبة التغير في مساحة الأهوار والمستنقعات كانت سالبة إذ بلغت (- 25.1%)، بينما كانت مساحة المناطق المتصحرة موجبة وبلغت (14.9%) في حين سجل الغطاء النباتي القليل نسبة سالبة وبلغت (- 93.4%)، في المقابل فان نسبة التغير في مساحة الغطاء النباتي المتوسط والكثيف كانت موجبة وبلغت (137.7، 42.7%) على التوالي، نستنتج مما تقدم أن نسب التغير في الغطاء الأرضي لمنطقة الدراسة شهد تغيرات كبيرة في نسب المساحات خلال مدة الدراسة، نتيجة لما تشهده منطقة الدراسة من تغيرات كبيره في العديد من خصائصها وصفاتها بسبب موجات الجفاف وتغيرات خصائص المناخ وقلة المياه مما نجم عن ذلك زيادة المساحات المتصحرة وتفاقم ظاهرة التصحر وتغير في طبيعة وخصائص الغطاء الأرضي في منطقة الدراسة.

جدول (2) نسبة التغير* في مساحة اصناف الغطاء الأرضي لمنطقة الدراسة للمدة 1990-2021

نوع التصنيف	المساحة في سنة (1990) كم^2	المساحة في سنة (2021)كم^2	نسبة التغير%
أهوار ومستنقعات	271.55	203.13	25.1 -
مناطق متصحرة	6967.8	8012.16	14.9
غطاء نباتي قليل	4043.73	266.19	93.4 -
غطاء نباتي متوسط	1740.46	4197.15	137.7
غطاء نباتي كثيف	806.64	1151.55	42.7

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (2) ومعادلة نسبة التغير.

الاستنتاجات:

1. تبين من خلال الدراسة أن للعناصر المناخية دور كبير وفعال في نشوء ظاهرة التصحر في أهوار محافظة ذي قار، من خلال ارتفاع معدلات الاشعاع الشمسي وارتفاع درجات الحرارة وزيادة سرعة الرياح وقلة الامطار وتذبذبها وانخفاض الرطوبة النسبية وارتفاع معدلات التبخر، كل هذه العوامل ساهمت في تفاقم وتطور ظاهرة التصحر وجفاف التربة

2. كشفت الدراسة من خلال تصنيف وتحليل تغير الغطاء الأرضي ونتائج تطبيق معادلة التغير النسبي في منطقة الدراسة للمدة (1990-2021) أن نسب التغير في مساحات الغطاءات الأرضية شهدت تغيرات واضحة كالتغير في مساحة الأهوار والمستنقعات التي كانت سالبة إذ بلغت (-25.1%) خلال مدة الدراسة.

* اعتمدت طريقة التغير النسبي لمعرفة نسبة ومقدار التغير وتحديد اتجاهاته للغطاء الأرضي في منطقة الدراسة وفقاً للصيغة الأتية:

$$\text{التغير النسبي} = \frac{\text{سَ} - \text{س}}{\text{س}} \times 100$$

حيث إن: س = القيمة السابقة

سَ = القيمة ألاحقة

يراجع: البياتي، إسماعيل فاضل خميس (2018): التعرية وأثرها على الأراضي الزراعية في محافظة صلاح الدين، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الإنسانية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، ص123 .

3. كما ان نسبة التغير في المناطق المتصحرة كانت موجبة وبلغت (14.9%)، بينما كانت نسبة الغطاء النباتي القليل سالبة وبلغت (- 93.4%)، كذلك سجلت نسبة الغطاء النباتي المتوسط والكثيف نسبة موجبة وبلغت (137.7، 42.7 %).

4. بينت الدراسة التغير في الجانب الزراعي ومدى تأثير ظاهرة التصحر على العديد من الزراعات في مناطق الأهوار، كذلك بينت حجم المساحات الصالحة للزراعة والغير صالحة للزراعة والمساحة العمومية في منطقة الدراسة.

التوصيات:

1. الاهتمام بمناطق الأهوار كونها من المناطق السياحية والترفيهية التي تمتلك الكثير من المناظر الخلابة والامكانيات الطبيعية والمميزات التي تجعلها مصدراً اقتصادياً وسياحياً وكذلك فهي تعتبر تراث عالمي كونها ادرجت في لائحة التراث العالمي.

2. ضرورة حل مشكلة تراجع المياه وانحسارها في أهوار محافظة ذي قار من خلال العمل على اتفاقيات من قبل الجهات المختصة لتأمين مورد مائي دائم للأهوار.

3. ينبغي التفكير جدياً لتأمين حصص مائية لأغمار المساحات المتصحرة في أهوار منطقة الدراسة لغرض زيادة الغطاء النباتي والنباتات المائية التي لها اهمية اقتصادية كبيرة وتقليل تعرية التربة وجفافها.

4. الاستعانة بالتقنيات الحديثة كالأقمار الصناعية وغيرها من التقنيات لمراقبة التصحر والكشف المبكر للمناطق التي تعاني من هذه المشكلة والأماكن التي من المحتمل أن تتعرض لظاهرة التصحر لأجل السيطرة عليها.

5. ضرورة اصلاح الأراضي التي تعاني من مشكلة تملح التربة والنهوض بالواقع الزراعي من خلال دعم الزراعة الوطنية ودعم الفلاح والقيام بحملات توعية للفلاحين وذلك لتعرفهم بأهمية الزراعة ودور الزراعة الكبير في الاقتصاد الوطني ومعرفة اسباب التراجع في الانتاج من اجل النهوض بواقع الزراعة في منطقة الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إسماعيل فاضل خميس البياتي، التعرية وأثرها على الأراضي الزراعية في محافظة صلاح الدين، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، 2018.
2. حيدر عبد المحسن كاظم العسكري، مظاهر التصحر وتأثيرها على الواقع الزراعي في محافظة ذي قار، رسالة ماجستير غير منشورة،، جامعة ذي قار، 2016.
3. عصمت محمد الحسن، معالجة الصور الرقمية في الاستشعار عن بعد، تقرير مركز ابحاث جامعة الملك سعود، كلية الهندسة، 2007.
4. جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، وحدة انتاج الخرائط، خريطة العراق الادارية، بغداد، 2011.

الملائمة المكانية لمياه قناة الصليبات لزراعة الحنطة في ضوء خصائصها الفزيائية والكيمائية

Spatial suitability for the water channel to grow wheat in light of its physical and chemical properties

الباحث: علي عبد الله صالح

أ.د. **رحيم حميد عبد ثامر العبدان:** كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق

Mr. Ali Abdullah Saleh

Prof. Assist. Dr. Rahim Hamid Abd Thamer Al Abdan: Faculty of Art, Dhi Qar University, Iraq

المستخلص:

تعد منطقة الدراسة من المناطق الزراعية القديمة التي ترجع في اصلها الى السهول الفيضيه في منطقة اور واريدو وقد استثمرت من السكان قديما في الزراعة وان خصائص هذا المنطقة ادت الى نشوء الزراعة فيها من اقدم العصور وتعت هذا المنطقة حاليا غير مستثمره بالإنتاج الزراعي، ولا يتناسب ذلك الإنتاج مع حجم الموارد المتوفرة وطبيعة ونوعيه المياه المتواجدة في المنطقة لغرض احياء هذه المنطقة وتقييم كفاءتها، وتمثل هدف الدراسة في تحليل الخصائص الفيزيائية والكيميائية ونوع المياه ومدى ملائمتها المكانية وتم الاعتماد على تطبيق احدث التقنيات في تقييم الأراضي للإنتاج الزراعي واستخدام معادلة (Ahp)، وتعد طريقة (mcba) و(Ahp) من الطرق المعتبرة والهامة والتي تحدد بشكل عالي التقنية اي العوامل التي تؤثر في طبيعة ملامسة الأراضي لأي محصول كما استخدمت الاوزان الترجيحية التي تعطي قيمه حتمية لطبيعة مشاركة عامل معين وتأثير بقية العوامل المتحكمة في خصائص المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الملائمة المكانية، مياه قناة الصليبات، زراعة الحنطة، الزراعة في العراق

Abstract:

The study area is one of the old agricultural areas that dates back to the flood plains in Ur Warido, and it has invested from the population in the past in agriculture, and that the characteristics of this region led to the emergence of agriculture in it from the oldest ages. That production with the size of the resources available and the nature and quality of the water in the region for the purpose of reviving this region and evaluating its efficiency was this goal of studying the physical and chemical characteristics and the type of water and the extent of its spatial suitability and the application of the latest technologies was relied on in the land evaluation of agricultural production and the use of its equivalent (AHP) and it is a method (MCBA) and (AHP) is one of the important and important methods that determine high technology, that is, the factors that affect the nature of the territories of the land of any crop, as well as the weighting weights that give its inevitable value to the nature of the participation of a specific worker and the effect of the rest of the factors controlling the region's characteristics.

Keywords: Spatial suitability, Salibat Canal water, wheat cultivation, agriculture in Iraq

المقدمة:

تعد منطقه الدراسة الذي تقع غرب نهر الفرات ما بين مدينه السماوة والناصرية من المناطق المهمة والتي يمكن ان تستثمر في الإنتاج الزراعي إذ يمر في هذا المنطقة قناة (صليبات) والذي يتفرع من نهر الفرات فرع العطشان. وان للمياه أهمية كبيرة بوصفهما من العناصر الأساسية في بناء الحضارات الإنسانية، إذ تعتمد حياة الناس وسبل عيشهم على المياه، وللمياه اهمية كبيرة لاسيما ان دراسة الموارد المائية وخصائصها ونوعيتها في العراق والمنطقة، إذ أعطيت الأولوية في البحوث والدراسات الهيدرولوجية لاسيما في حقل الجغرافية لارتباطها المباشر بحياة الكائنات الحية والتنمية والبيئة وخاصه التنمية الزراعية فإن قلة المياه وتغير خصائصها له تأثير سلبي وخطير على مختلف نواحي الحياة البشرية والنباتية والحيوانية.

مشكلة الدراسة:

يمكن تحديد مشكلة رئيسة لموضوع الدراسة والتي تتمثل ب (ما مدى تأثير الخصائص الفيزيائية والكيميائية على نوعية المياه قناة اصليبات في محافظتي ذي قار والمثنى على واقع الإنتاج الزراعي؟).

ومن المشكلة الرئيسية نستنتج مشاكل ثانوية وهي كالأتي:

1- هل هناك تباين مكاني في الخصائص النوعية لمياه قناة صليبات؟

2- هل يؤثر هذا التباين في النشاط الزراعي في المنطقة؟

3- هل هناك علاقة بين تصاريف مياه قناة صليبات والمساحات المزروعة للمحاصيل الزراعية في منطقة الدراسة؟

فرضية الدراسة:

1. تتصف الخصائص النوعية بتباينها مكانها من خلال جمع عينات من مواقع موزعه عشوائيا في منطقة الدراسة.
2. يؤثر التباين النوعي في خصائص الموارد المائية في النشاط الزراعي وبشكل واضح من خلال تباين المساحات المزروعة في المنطقة.
3. توجد علاقة بين المتغيرين المتمثلين بتصاريف القناة والمساحات المزروعة.

هدف الدراسة:

1- التعرف على الخصائص النوعية للمياه في منطقة الدراسة.
2- دراسة ومعرفة مدى ملائمة مياه الري للاستخدامات المختلفة.
3- تقييم الخصائص الهيدرولوجية لمياه قناة صليبات مكانيا، ومعرفة مدى كفايتها للاستثمار الزراعي.

مبررات الدراسة:

تم اختيار موضوع الدراسة ومنطقتها نتيجة عدم توفر دراسة مفصلة لتقييم مياه قناة صليبات في منطقة الدراسة ومعرفة القدرة الإنتاجية وأهمية ذلك في تحديد الملائمة المكانية الحالية والمستقبلية لما يعود بالنفع على السكان والسعي لتحقيق الامن الغذائي في المستقبل خصوصاً مع النقص الحاصل في المياه والأراضي الزراعية وتحقيق الاستثمار الامثل لتلك المنطقة.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي في وصف وتحليل وتفسير الظواهر الجغرافية اضافه الى الزيارات الميدانية لمنطقة الدراسة للوقوف على واقع المنطقة المدروسة لمعرفة المنطقة ووصفها وتحليلها، كذلك المنهج الكمي الاحصائي الذي يعتمد لغة الارقام لكي تكون النتائج أقرب إلى الدقة من خلال ترتيب وتبويب، البيانات، وعرضها، وتحليلها، حيث ثم تحليل (6) عينات ماء ومن اماكن مختلفة من نهر الفرات والسبل والقناة مدار البحث والقنوات الاروائية الفرعية التابعة لها، وتحليل هذه العينات في جامعة ذي قار كلية العلوم والمعهد التقتني شطرة، وتم اسقاط تلك العينات وحسب احداثياتها على خريطة منطقة الدراسة لغرض إنتاج الخرائط وتم ذلك في برنامج GIS 10- 8.1 Arc

المبحث الأول: الخصائص النوعية لقناة ري الصليبات

1.1. الأس الهيدروجيني: (PH)

هو اللوغاريتم السالب لتركز أيون الهيدروجين، ويستعمل كمقياس لتحديد مدى حامضية أو قاعدية المياه وتحدد قيمته من (0- 14) اذ يكون المحلول حامضيا عندما يكون الأس الهيدروجيني بين(0-7) وقاعديا بين(7-14) في حين يعد متعادلا اذا كان (7) ويعتمد هذا التركيز في الطبيعة

على كمية ثاني أوكسيد الكربون والكربونات وأملاح البيكربون وغيرها من الجذور القاعدية أو الحامضية[1].

ويظهر من بيانات الجدول (2) أن هنالك تباين مكاني في قيم الأس الهيدروجيني (PH) في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (8.37، 8.4، 8.22، 8.27، 8.35، 7.9) وبلغ المعدل العام (8.2) وان جميع العينات تغلب عليها صفة القاعدية وهذا راجع الى طبيعة التكوينات الصخرية الموجودة في مسار النهر، أن انخفاض درجات الحرارة يقلل من الهائمات المائية التي تستهلك ثاني وكسيد الكاربون مما ينتج عنه ارتفاع معدلات التمثيل الضوئي في مياه النهر وبالتالي نقص في غاز ثنائي أوكسيد الكاربون المستهلك من قبل النباتات المائية وبالتالي زيادة في تركز قيم ال (ph).

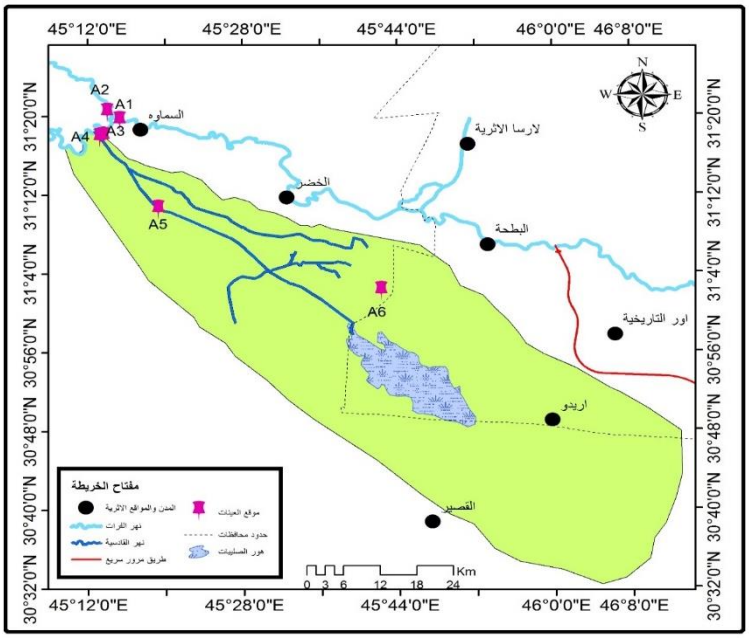
الجدول (1) احداثيات موقع عينات منطقة الدراسة.

الموقع	العينات	X	Y
نهر الفرات	A1	524258	3465792
نهر السبل	A2	522208	3467305
منتصف جسر القادسية	A3	520989	3462634
طرف القناة	A4	521006	3462636
منتصف القناة	A5	530615	3449110
مصب االقناة	A6	567145	3433897

المصدر: الباحث باستخدام (GPS coordinates)

[1] ضياء صائب احمد وعادل حسيب قاسم، تباين الخصائص الفيزيائية والكيميائية لمياه جدولي ابي غريب والصقلاوية، مجلة كلية التربية الاساسية، 113، المجلد 27، 2021، ص202.

الخريطة (1) موقع عينات المياه منطقة الدراسة.



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (30) ومخرجات برنامج (Arc gis 10.8.1)

جدول (2) الخصائص النوعية للمياه في منطقة الدراسة.

العينة	المعدل	A1	A2	A3	A4	A5	A6
الاس الهيدروجيني (PH)	8.2	8.37	8.4	8.22	8.27	8.35	7.9
المواد الصلبة العالقة (T.S.S)	1160	1217	1204	1121	1011	1139	1270
الأملاح الذائبة الكلية (T.D.S)	4522	3584	3648	3456	3520	3648	9280
التوصيلة الكهربائية (EC)	6.1	5.6	5.7	5.4	5.5	5.7	14.5
الصوديوم (Na^{+})	313.5	270	268	275	259	249	560
الكالسيوم (Ca^{++})	231	268	245	231	228	217	201
المغنيسيوم (Mg^{+})	156	134	138	177	112	107	270
البوتاسيوم (k^{+})	16.7	9.91	9.86	9.55	9.41	8.75	53
الكلوريد (Cl^{-})	575	560	595	513	522	524	737
الكبريتات (SO_4^{-})	1198	877	839	820	817	838	2998
النترات ($No3^{-}$)	50	43	52	48	57	49	51

الحديد (Fe)	2.595	2.69	2.91	2.803	2.803	3.025	1.339
النحاس (Cu)	0.2	0.177	0.22	0.193	0.21	0.211	0.311
الرصاص (pb)	0.046	0.05	0.016	0.064	0.074	0.074	0.016
الزنك (Zn)	0.049	0.032	0.029	0.026	0.024	0.027	0.159

المصدر: الباحث بالاعتماد على نتائج التحليل المختبري، مختبر الجيوكيمياء، كلية العلوم جامعة ذي قار، ومختبرات الكلية التقنية الجنوبية، المعهد التقني شطرة، 2022.

1.2. الأملاح الكلية الذائبة: (T.D.S)

أهم وأبسط المقاييس التي تستخدم في تحديد صلاحية المياه للري، وان معرفة كمية الأملاح ودرجة تركيزها من الأمور الهامة في الري وذلك لمعرفة تأثيراتها على المحاصيل إذ إن زيادة في نسبة تركيز الأملاح له آثار سلبية تتلخص تأثيراتها في تراكم الأملاح في التربة مما ينتج عنه انكماش الخلايا النباتية وقلة دخول الماء الى النباتات عن طريق الجذر، وبالنتيجة يؤدي إلى صعوبة امتصاص الماء من قبل النبات [1].

ويظهر من بيانات الجدول (2) هنالك تتباين مكاني في قيم (T.D.S) في عينات منطقة الدراسة، إذ إن قيم (T.D.S) لعينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) بلغت (3584. 3648. 3456. 3520. 3648. 9280) وبلغ المعدل العام لهذه القيم (4522) ملغرام / لتر، حيث إن أعلى قيمة للأملاح الذائبة الكلية سجلت في مصب النهر اذ بلغت (9280) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت بداية نهر القادسية اذا بلغت (3456) ملغرام / لتروهي قيمة مرتفعة، و يعود سبب في هذا الارتفاع الى مياه الصرف الصحي غير المعالجة وزيادة طرح مياه المبازل الزراعية كذلك عمل الجرف والتساقط المطري وعملية غسل التربة كل هذه العوامل ساعدت على رفع تراكيز الأملاح في مياه النهر ضمن منطقة الدراسة.

1.3. التوصيل الكهربائي: (E.C):

يعرف التوصيل الكهربائي بأنه قابلية (1سم^3) من الماء على توصيل التيار كهربائي في درجة حرارة 25 م، ويعد العمل الأساس في توصيل التيار الكهربائي في الماء الايونات المذابة فيه، لذا

[1] مرتجى هاشم باقر وحسن إسماعيل يحي، أثر الخصائص النوعية لنهر الفرات على جودة مياه الري الزراعي في محافظة ذي قار، المؤتمر العلمي الدولي الأول للمياه لكلية التربية، جامعة بابل، 2019، ص343.

يعتبر الماء الطبيعي موصول جيد للتيار الكهربائي، ويرتبط التوصيل الكهربائي بما موجود من المواد الصلبة الذائبة T.D.S في الماء[1].

ويظهر من بيانات الجدول (2) أن هنالك تباين مكاني في قيم تراكيز التوصيلة الكهربائية، إذ إن قيم (EC) خلال مواقع عينات الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) بلغت (5.6- 5.7 -5.4-5.5- 14.5) وبلغ المعدل العام (6.1) ديسمنز / م. ان اعلى قيمة للتوصيلة الكهربائية سجلت في مصب النهر أذ بلغت (14.5) ديسمنز/ م بينما اقل قيمة سجلت في بداية نهر القادسية إذا بلغت (5.4) ديسمنز / م ويلاحظ من الجدول انخفاض نسبة الملوحة في نهر العطشان في المنطقة ويعزى بسبب في ذلك انه خلال مدة الدراسة قد تم إغلاق جميع المبازل على النهر في محافظة النجف والقادسية، والتي تحتوي على بقايا الأسمدة والمبيدات الزراعية التي ترمى في النهر ومياه الصرف الصحي وفضلات المدن.

1.4. الأيونات الموجبة والسالبة:

1.4.1. الصوديوم: (Na^+)

ويعد الصوديوم من أكثر الأيونات المتوفرة بكثرة في المياه والسبب راجع الى سرعة تحلله في الماء أثناء عملية تجوية الصخور الجيرية والدلومايتية والجبسية وترسبات المظاهر التبخيرية [2].

ويظهر من بيانات الجدول (2) ان قيم الصوديوم (Na^+) تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (270، 268، 275، 259، 249، 560) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (313.5) وان سبب ارتفاع قيم الصوديوم يعود الى طبيعة تساقط المطر والتي تعمل على زيادة نسبة الصوديوم عن طريق جرف الطبقة السطحية من التربة الزراعية من الأراضي المحيطة فضلاً عن استخدام الأسمدة الكيمياوية في زراعة الأراضي على جانبي المجرى كما أن عمليات غسل التربة وإذابة الأملاح وانخفاض مستوى التصريف وطرح الفضلات ومياه الصرف الصحي هذا ادى الى ارتفاع تراكيز الصوديوم في مياه النهر. وان اعلى قيمة للصوديوم سجلت في مصب النهر اذ بلغت (560) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في منتصف النهر حيث بلغة (249) ملغرام / لتر.

[1] شيماء عيسى جاسم السلامي، تقويم كفاية وجودة مياه الشرب في مدينة النجف الأشرف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة، 2012، ص97-98.

[2] عمار ياسين عواد صالح الفهداوي، تحليل جغرافي للمياه الجوفية في قضاء الرطبة وإمكانية استثمارها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأنبار، 2020، ص132.

1.4-2. الكالسيوم: (Ca^{++})

يعد الكالسيوم أحد العناصر القلوية الأرضية المتواجدة بكثرة في القشرة الأرضية وهو عنصر أساسي وضروري للنباتات والحيوانات، وينشأ ايون الكالسيوم من عمليات اذابة الصخور الرسوبية الكاربوناتية والصخور الجبسية، وأن طبيعة تواجد الكالسيوم يرتبط بتواجد ايونات الصوديوم والمغنيسيوم وهذا راجع الى عمليات التبادل الأيوني التي تحصل[1].

ويظهر من بيانات الجدول (2) ان قيم الكالسيوم (Ca^{++}) تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (268، 245، 231، 228، 217، 201) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (231) وان اعلى قيمة للكالسيوم سجلت في نهر الفرات اذ بلغت (268) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في مصب النهر حيث بلغة (201) ملغرام / لتر. اذ ان انخفاض مستوى التصريف المائي وطرح مياه الصرف الصحي الى المجرى فضلاً عن مياه المبازل الزراعية وكذلك زيادة استخدام الأسمدة الزراعية كل هذه العوامل ادت الى رفع التراكيز في مياه النهر.

1.4-3. المغنيسيوم: (Mg^{+})

وتعد الصخور الرسوبية المصدر الرئيسي لأيون المغنيسيوم وتحتوي هذه الصخور على نسبة (4.7%) وان زيادة نسبته عن (125) ملغ/لتر تكون المياه الحاوية عليه غير صالحة للشرب وتؤثر زيادة نسبته على صحة الإنسان، وهو يعد ضرورياً لمادة الكلوروفيل التي يحتاجها النبات في عملية نموه [2].

ويظهر من بيانات الجدول (2) ان قيم المغنيسيوم (Mg^{+}) تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (134، 138، 177، 112، 107، 270) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (156) وان اعلى قيمة للمغنيسيوم سجلت في مصب النهر اذ بلغت (270) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في مصب النهر حيث بلغت (107) ملغرام / لتر، وان السبب في زيادة تركيزه يرجع الى ما يطرح من الفعاليات البشرية كذلك النشاط الزراعي واستخدام الاسمدة بالإضافة ما يتم تصريفه الى المجرى من مياه الصرف الصحي هذه العوامل ادت رفع تراكيز المغنسيوم في مياه النهر.

---

[1] محمود عبد الحسن جويهل الجنابي، هيدروكيميائية الخزان الجوفي المفتوح وعلاقة مياهه برسوبيات النطاق غير المشبع في حوض سامراء – تكريت (شرق دجله)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 2008، ص59.

[2] همسه جمال سويدان السامرائي، التباين المحلي لخصائص المياه الجوفية بين سامراء –الدجيل وطرق الاستثمار، رسالة ماجستير غير منشورة، ، جامعة بغداد، 2014، ص114.

1-4-4. البوتاسيوم: (k^+)

يعد البوتاسيوم من العناصر الضرورية للحياة على سطح الأرض، وتحتاجه الكائنات من النباتات والحيوانات بكميات كبيرة وتعد التربة مصدرا لها، ويتواجد البوتاسيوم بشكل كبير في معظم الترب ويقدر ما تحويه القشرة الأرضية منه ما بين (2.3% – 2.6%) وزنا، وفي بعض دراسات الأخرى تقدر نسبته بحوالي (3%)[1].

ويظهر من بيانات الجدول (2) قيم البوتاسيوم (k^+) تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (9.91، 9.86، 9.55، 9.41، 8.75، 53) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (16.7) وان ارتفاع هذه النسبة يرجع الى مياه الصرف الصحي وانخفاض مناسيب المياه في النهر وكذلك الاستخدامات المنزلية فضلاً عن أن أكثر العوامل المؤثرة هي مياه المنازل الزراعية والاسمدة المستخدمة في الزراعة وان اعلى قيمة للبوتاسيوم سجلت في مصب النهر اذ بلغت (53) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في طرف النهر حيث بلغة (9.41) ملغرام / لتر

1-4-5. الكلوريد: (Cl^-)

ويعد أيون الكلوريد من الأيونات السالبة المهمة الموجودة في المياه وهو يكسب الماء الطعم المالح خصوصاً إذا ارتبط وجوده مع الأيونات الأخرى مثل المغنيسيوم والكالسيوم، وإذا ارتفعت نسبة أيون الكلوريد في الماء يكون لها تأثيرات ضاره وسلبية على النباتات الزراعية[2].

ويظهر من بيانات الجدول (2) ان قيم الكلوريد (Cl^-) تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (560، 595، 513، 522، 524، 737) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (575) وان اعلى قيمة للكلوريد سجلت في مصب النهر اذ بلغت (737) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في بداية نهر القادسية حيث بلغت (513) ملغرام / لتر.)، اذ تعزى اسباب الارتفاع الى طرح مياه الصرف الصحي وكذلك الاستخدامات المنزلية فضلاً عن أن أكثر العوامل المؤثرة هي مياه المبازل الزراعية والاسمدة المستخدمة في الزراعة.

---

[1] اسماء سفاح لافي الجبوري، التحليل المكاني لتلوث ترب ضفاف نهر الفرات في قضاء السماوة، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد: جامعة المثنى، 2020، ص82.

[2] صباح حسن سلطان العبيدي، المياه الجوفية في قضاء الحويجة واستثماراتها، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة تكريت، 2010، ص94.

1-4-6. الكبريتات: (SO_4^-)

يتواجد أيون الكبريتات بسبب ذوبان معادن الكبريتات المتواجد في الصخور الرسوبية كما في الجبس والانهيدرات والصخور الطينية وصخور الطفل، ومما يزيد من تركز أيون الكبريتات في مياه الأنهار بسبب طرح المخلفات الصناعية السائلة كصناعة الأسمدة والورق وتكرير النفط كما تسهم المخلفات الزراعية السائلة ومخلفات الصرف الصحي التي تطرح مخلفاتها إلى المجاري النهرية في زيادة نسبته[1].

ويظهر من بيانات الجدول (2) ان قيم الكبريتات (SO_4^-)تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (877، 839، 820، 817، 838، 2998) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (1198) وهي نسبة مرتفعة ويعود السبب في هذا الارتفاع الى طبيعة المياه المنصرفة الى النهر فضلا عن اثر الصخور بالخصوص الجبسية والرسوبية التي تعتبر مصدر رئيسي لارتفاع تركز الكبريتات كذلك تسهم المخلفات التي تصل من الأراضي الزراعية منها المبيدات الحشرية والاعشاب الضارة التي تعد مصدر لزيادة الكبريتات في النهر. وان اعلى قيمة للكبريتات سجلت في مصب النهر اذ بلغت (2998) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في طرف النهر حيث بلغت (817) ملغرام / لتر. اما الارتفاع فيعزى إلى استخدام الاسمدة الكيمياوية مما يؤدي الى ارتفاع نسبها في الأراضي وبالتالي زيادته في مياه النهار.

1-4-7. الحديد: (Fe)

يعتبر الحديد من الفلزات الانتقالية، ويتواجد في القشرة الأرضية بكثرة فهو الفلز الثاني في التواجد من حيث كميته ومع ذلك فإن تراكيزه في المياه الطبيعية قليل في المجمل. وعلى الرغم من عدم سميته فهو مكون غير مرغوب فيه في مياه الشرب [2].

ويظهر من بيانات الجدول (2) ان قيم الحديد (Fe) تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (2.69، 2.91، 2.803، 3.025، 1.339) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (2.595) وان اعلى قيمة للحديد سجلت في منتصف النهر اذ بلغت (3.025) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في مصب النهر حيث بلغة (1.339) ملغرام / لتر.

---

[1] احمد ميس سدخان، تلوث مياه نهر الفرات في ذي قار، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة البصرة، 2007، ص162.

[2] محمود فاضل الجميلي وسلوى هادي أحمد، تلوث التربة والمياه، مندون ناشر، 2018، ص131-132.

1-4-8. النحاس: (Cu)

النحاس من العناصر الطبيعية الشائعة في الانتشار، ويتواجد بشكل كبريتي او اكاسيد ويزداد تركيزه مع ارتفاع درجة الحرارة وزيادة درجة الحامضية للمياه (ph) واذا زاد تركيز النحاس عن (ppm2) في هذه الحالة تعتبر المياه سامة وتسبب الامراض والإسهال وامراض القلب المميتة الإنسان[1].

ويظهر من بيانات الجدول (2) ان قيم النحاس (Cu) تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (0.177، 0.22، 0.193، 0.21، 0.211، 0.311) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (0.2) وان اعلى قيمة للنحاس سجلت في مصب النهر اذ بلغت (0.311) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في طرف النهر حيث بلغة (0.21) ملغرام / لتر.

1-4-9. الرصاص: (Pb)

ويتواجد الرصاص في الكثير من الصخور حيث يتواجد في معادن الصخور النارية فوق القاعدية مثل الالوفين الأكرمين، ويعتبر الرصاص عنصر ذات سمية عالية للأحياء وان الزيادة في تركيزه تسبب العديد من الامراض مثل السرطان والتلف الدماغي والتهاب الكلي، أن عنصر الرصاص من العناصر شديدة السمية وتأثيره في المياه اليسرة اكثر من تأثيره في المياه العسرة [2].

ويظهر من بيانات الجدول (2) ان قيم الرصاص (Pb) تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغة (0.050، 0.016، 0.064، 0.074، 0.074، 0.016) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (0.046) وان اعلى قيمة للنحاس سجلت في منتصف النهر اذ بلغت (0.074) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في مصب النهر حيث بلغة (0.016) ملغرام / لتر.

[1] كفاية حسن ميثم الياسري، تلوث المياه الجوفية لبعض المناطق الواقعة بين جدول الكفل وشط الهندية، مجلة العلوم الانسانية، المجلد ٢٣، العدد الأول، 2016، ص388-387.

[2] كفاية حسن ميثم الياسري، مصدر سابق، ص387.

1-4-10. الزنك: (Zn)

إن تراكيز أيونات الزنك الحرة تكون في العادة واطئة وهذا راجع الى سيطرة المعادن قليلة الذوبان ضمن نطاق الدرجة التفاعلية للمياه الطبيعية. ويترسب الزنك عندما تكون قيمة pH ما بين (7-9) على شكل كبريتات الزنك[1].

ويظهر من بيانات الجدول (2) ان قيم الزنك (Zn) تتباين مكانيا في موقع عينات منطقة الدراسة (نهر الفرات، نهر السبل، بداية نهر القادسية، طرف النهر، منتصف النهر، مصب النهر) حيث بلغت (0.032، 0.026، 0.029، 0.024، 0.027، 0.159) ملغرام/لتر وبلغ المعدل العام (0.049) وان اعلى قيمة للنيكل سجلت في مصب النهر اذ بلغت (0.159) ملغرام / لتر بينما اقل قيمة سجلت في طرف النهر حيث بلغة (0.024) ملغرام / لتر.

المبحث الثاني: تقييم صلاحية مياه النهر للإرواء الزراعي:

إن كمية مياه الري التي تمتص فعلياً بواسطة النبات أو تفقد بواسطة التبخر تكون خالية من الأملاح الذائبة تقريباً، وعلى هذا الأساس فإن كمية الأملاح التي كانت أصلاً في هذا الجزء من مياه الري تتراكم في التربة أو تأخذ في تركيز محلول التربة، وعليه فإن المحافظة على إنتاجية التربة تقتضي إزالة الملوحة منها إذ يعتمد مدى تركيز الأملاح القابلة للذوبان في التربة على عدة عوامل أهمها التركيب الكيميائي للأملاح الذائبة في مياه الري، اذ وضعت عدة مستويات للتراكيز من أجل صلاحية المياه للري وكالآتي:

2-2. صلاحية المياه للاستعمالات الزراعية وفق معيار اللجنة الاستشارية الوطنية الأمريكية

يستعمل هذا المعيار القيمة الافتراضية للتوصيل الكهربائي Ec ديسمنز/ م وكذلك قيمة TDS مجموع الأملاح الكلية الذائبة وبالرجوع الى فحص العينات في منطقة الدراسة تبين انه قيمة Ec في جميع العينات تتمحور (5.4-5.7) عدى العينة الأخيرة في نهاية النهر والتي تكون (14.5) وبلغ معدل TDS (4522) اذ تكون هذه القيم صالحة لري المحاصيل التي تتحمل الملوحة بشرط الاعتناء بالتربة وصرفها والتي تكون صالحة لزراعة النخيل، الجت، البرسيم وغيرها.

[1] علي خليل عبد الكاظم بادي الخفاجي، الكشف عن حالة التلوث لترب ومياه منطقة بحيرة ساوة باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد، رسالة ماجستير، كلية الزراعة، جامعة المثنى، 2016، ص64.

جدول (3) تصنيف المياه وفق محتواها من الأملاح ومدى صلاحيتها للاستعمالات الزراعية المختلفة بحسب معيار اللجنة الاستشارية الوطنية الامريكية

التوصيل الكهربائي Ec Dsm\m	مجموع الأملاح الذائبة Mg\L	مدى الصلاحية
اقل من 0.75 (قليل الملوحة)	0-500	المياه صالحة لزراعة جميع المحاصيل وفي جميع أنواع الترب
0.75 1.5 (متوسطة)	500-1000	المياه صالحة لري بعض المحاصيل التي تتحمل الملوحة نسبيا وفي الترب ذات الصرف الجيد
1.5-3.0 (عالي الملوحة)	2000-1000	المياه صالحة لري المحاصيل التي تتحمل الملوحة بشرط الاعتناء بالتربة والصرف الجيد
3.0-7.5 (عالي الملوحة جدا)	5000-2000	المياه صالحة لري بعض المحاصيل مع الاعتناء بظروف التربة وصرفها الجيد
أكثر من 7.50	5000	غير صالحة للري

المصدر: يحيى هادي محمد، تقييم مياه نهر دجلة وتصنيفها لأغراض الري الزراعي في العراق، مجلة أبحاث البصرة، المجلد 41، العدد3، 2016، ص231.

2-3. نسبة ادمصاص الصوديوم: (SAR)

وتعتبر نسبة ادمصاص الصوديوم (SAR) من أهم الخواص الهيدروكميائية لمياه الري لتقييم مشكلة الترشح للتربة التي تنتج عندما تكون نسبة الصوديوم في مياه الري اكبر من تركيز الكالسيوم إضافة الى المغنسيوم بنسبة (3:1) التي تكون السبب في تشتت التربة ويصير من الصعب توفير الماء اللازم لتلبية الطلب من المياه للمحاصيل الزراعية ويؤدي ازدياده أيضاً إلى تقشر التربة[1].
يمكن استخراج نسبة الصوديوم من المعادلة الآتية: (Rohlich,1972)

$$SAR = \frac{Na}{\sqrt{\frac{ca+mg}{2}}}$$

عند مقارنة قيم (SAR) لمياه منطقة الدراسة بالجدول رقم (4) تبين ان قيمة نسبة ادمصاص الصوديوم تنحصر ما بين (18-26) وهي نسبة مرتفعة من الأملاح.

[1] استبرق كاظم شبوط المسعودي، مصدر سابق، ص153.

الجدول (4) الحدود المسموح بها لنسبة امتزاز الصوديوم (SAR) لمياه الري حسب تصنيف (Ussl (Richards, 1954 and Todd, 1980

التصنيف	المعدل المسموح به
منخفض	اقل من 10
متوسط	18-10
عالي	26-18
عالي جدا	اكثر من 26

المصدر: أسعد كاظم سنيد المحنه، التحليل المكاني للخصائص النوعية لمياه المصب العام في محافظة القادسية، جامعة ذي قار، 2020، ص182.

2-4. النسبة المئوية الصوديوم: Na%

ان تركيز الصوديوم يعد من الأمور الهامة في تصنيف المياه السطحية المستخدمة في الري لتفاعله مع التربة، اذ يعمل على انسداد جزيئات التربة مما يؤثر على نفاذيتها واذ اعتبرت (80%) نسبة كحد أعلى مسموح به ووفق المعادلة الآتية [1].

$$Na\% = \left(\frac{Na}{Ca + Mg + Na + k}\right) \times 100$$

إن النسبة المئوية لعنصر الصوديوم (Na) تنحصر قيمها بين (43.7)، (60-40) وهي نسبة مسموح بها وفقن لقيم الجدول (5).

الجدول (5) تصنيف مياه الري للنسبة المئوية لعنصر الصوديوم Na% (Wilcox, 1955).

جودة المياه	Na %
ممتاز	20
جيد	40-20
مسموح	60-40
مشكوك فيه	80-60

[1] حسين كريم حمد الساعدي وكريم علاوي خالد الكعبي، تقييم مياه نهر الغراف في محافظة واسط، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد السابع والعشرون، 2017، ص188.

غير ملائم	80

Resource: Salih Muhammad AwadhandJoudah Ayfan Hamzah Al-Kilabi, Assessment of Groundwater in Al-Hawija (Kirkuk Governorate) for Irrigation Purposes, Iraq Journal of Science, Vol S5, No.28, 2014, p 764.

2-5. مواصفات مياه الري بحسب نسبة العناصر الثقيلة بحسب تصنيف (FAO)1985:

يتضح من الجدول (6) ان تراكيز العناصر الثقيلة في مياه منطقة الدراسة كانت ضمن الحدود المسموح بها بالنسبة لمياه الري بحسب منظمة الزراعة والغذاء عدى عنصر النيكل الذي كان خارج الحدود المسموح بها بالنسبة لمياه الري.

جدول (6): التراكيز القصوى المسموح بها في مياه الري للعناصر الثقيلة بحسب تصنيف (FAO) 1985

العنصر	التركيز (ملغرام/ لتر)
الحديد	5.0
الرصاص	5.0
الزنك	2.0
النحاس	0.25
النيكل	0.20

Resourse: R.S. Ayers and D.W. Westcot, Water quality for agricultureFOOD AND AGRICULTURE ORGANIZATION OF THE, UNITED NATIONS, Rome,1985, p 96.

3-1. الملائمة المكانية لمياه منطقة الدراسية:

يتضح من الخريطة (4) تصنيف الملائمة المكانية لمياه ان المنطقة الشمالية من منطقة الدراسة تكون اكثر المناطق ملائمة بالنسبة لنوعية مياه الري ويظهر من الجدول (8) أن (446.81) كم^{2}من إجمالي المساحة تقع تحت فئات أرض جيد جدا للملائمة وتشكل (13.52)% من اجمالي مساحة منطقة الدراسة وتكون نوعية المياه في هذه المنطقة قلية الملوحة وتصلح لمعظم المحاصيل الزراعية، اما المنطقة جيد الملائمة فتقع جنوب منطقة الملائمة الجيدة جدا كما تظهر في الجزء الجنوبي الغربي وبعض الأجزاء الجنوبية الشرقية وتشكل مساحتها (678.10) كم^2 وبنسبة (20.51)% من مساحة منطقة الدراسة وتعتبر الأجزاء الجنوبية الغربية من اهم المناطق الزراعية وبالخصوص في المراوح الفيضية المتمثلة بمروحة القصير ومروحة أبو غار. اما المنطقة متوسط

الملائمة تظهر جنوب منطقة المنطقة جيدة الملائمة كما تضه في اقصى الجنوب الشرقي في منطقة السهول الصحراوية وبعض مناطق الهور الموسمي وتشكل (809.10) كم^2 من جمالي مساحة منطقة الدراسة وبنسبة (24.48)%. اما المنطقة قلية الملائمة فتظهر وسط منطقة الدراسة حيث ترتفع نسبة الأملاح في المنطقة وتكون التربة غدقة ذات نسبة أملاح مرتفعة وتشكل (848.87) كم^2 من مساحة منطقة الدراسة وبنسبة (25.68)%. أما المنطقة المنخفضة الملائمة تظهر ضمن نطاق هور اصليبات حيث ترتفع نسبة الأملاح الى اعلى مستوى لها في المنطقة وتشكل (522.86) كم^2 من مساحة منطقة الدراسة وبنسبة (15.82)%. وكانت العناصر (zn, na, mg, ca, k,) ضمن الحدود المسموح بها لمياه الري اما العناصر ($no3^-$, TDS, ph, Ec, Fe, cu, pd, $cl,so4^-$) خارج الحدود المسموح بها لمياه الري.

الجدول (8) مساحات الملائمة المكانية لمياه الري ونسبتها المئوية في منطقة الدراسة

الصنف	النسبة المئوية	المساحة كم^2
منخفض الملائمة	15.82	522.86
قليل الملائمة	25.68	848.87
متوسط الملائمة	24.48	809.10
جيد الملائمة	20.51	678.10
جيد جدا للملائمة	13.52	446.81
المجموع	**%100**	**3305.75**

المصدر: بالاعتماد على الخريطة (4) وبرنامج (Arc GIS 10.8.1)

جدول (9) الوزن النسبي للمعاير

الوزن%	فئة ونطاقات القابلية بالأرقام	تصنيف درجات القابلية المياه	المعيار الفرعي	الحدود المسموح بها	المعيار
3.244	5	عالية جدا	0.017321068 – 0.014907211	ضمن الحدود	ZN
	4	عالية	0.019734924 – 0.017321068		
	3	متوسطة	0.022148781 – 0.019734924		
	2	قليلة	0.024562638 – 0.022148781		
	1	قليلة جدا	0.026976494 – 0.024562638		

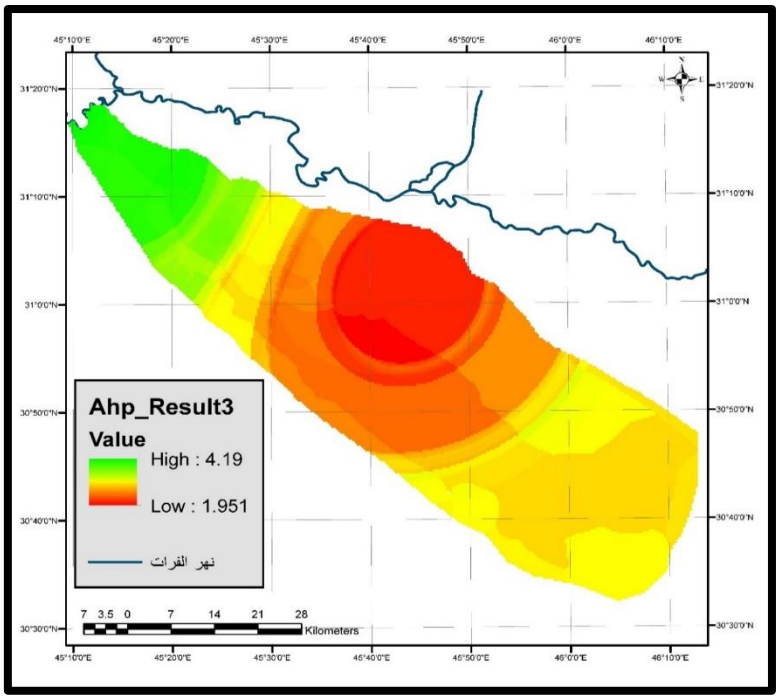
Na	**ضمن الحدود**	311.1772217 – 249.018692	عالية جدا(جافة جدا)	5	8.703
		373.3357513 – 311.1772218	عالية (جافة)	4	
		435.494281 – 373.3357514	متوسطة (شبه رطبة)	3	
		497.6528107 – 435.4942811	قليلة(تربة متغدقة)	2	
		559.8113403 – 497.6528108	قليلة جدا (مياه)	1	
Mg	ضمن الحدود	139.7921448 – 107.2625198	عالية جدا	5	3.678
		172.3217697 – 139.7921449	عالية	4	
		204.8513947 – 172.3217698	متوسطة	3	
		237.3810196 – 204.8513948	قليلة	2	
		269.9106445 – 237.3810197	قليلة جدا	1	
Ca	ضمن الحدود	206.9705872 – 201.01828	عالية جدا	5	3.678
		212.9228943 – 206.9705873	عالية	4	
		218.8752014 – 212.9228944	متوسطة	3	
		224.8275085 – 218.8752015	قليلة	2	
		230.7798157 – 224.8275086	قليلة جدا	1	
K	ضمن الحدود	17.68171844 – 8.859173775	عالية جدا	5	3.678
		26.50426311 – 17.68171845	عالية	4	
		35.32680779 – 26.50426312	متوسطة	3	
		44.14935246 – 35.3268078	قليلة	2	
		52.97189713 – 44.14935247	قليلة جدا	1	
Cl	خارج الحدود	558.5881348 – 514.0286865	عالية جدا	5	5.191
		603.147583 – 558.5881349	عالية	4	
		647.7070313 – 603.1475831	متوسطة	3	
		692.2664795 – 647.7070314	قليلة	2	
		736.8259277 – 692.2664796	قليلة جدا	1	
So4		1241.136328 – 802.333252	عالية جدا	5	8.955

	خارج الحدود	1679.939404 – 1241.136329	عالية	4	
		2118.74248 – 1679.939405	متوسطة	3	
		2557.545557 – 2118.742481	قليلة	2	
		2996.348633 – 2557.545558	قليلة جدا	1	
TDS	ضمن الحدود	4631.404297 – 3470.124268	عالية جدا	5	27.209
		5792.684326 – 4631.404298	عالية	4	
		6953.964355 – 5792.684327	متوسطة	3	
		8115.244385 – 6953.964356	قليلة	2	
		9276.524414 – 8115.244386	قليلة جدا	1	
NO3	خارج. الحدود	45.17290726 – 42.23077011	عالية جدا	5	3.457
		48.1150444 – 45.17290727	عالية	4	
		51.05718155 – 48.11504441	متوسطة	3	
		53.9993187 – 51.05718156	قليلة	2	
		56.94145584 – 53.99931871	قليلة جدا	1	
PH	ضمن الحدود	7.990004921 – 7.900247574	عالية جدا	5	3.831
		8.079762268 – 7.990004922	عالية	4	
		8.169519615 – 8.079762269	متوسطة	3	
		8.259276962 – 8.169519616	قليلة	2	
		8.349034309 – 8.259276963	قليلة جدا	1	
EC	ضمن الحدود	7.236256409 – 5.422068596	عالية جدا	5	14.048
		9.050444221 – 7.23625641	عالية	4	
		10.86463203 – 9.050444222	متوسطة	3	
		12.67881985 – 10.86463204	قليلة	2	
		14.49300766 – 12.67881986	قليلة جدا	1	
Fe		1.676674128 – 1.340026259	عالية جدا	5	4.003

		2.013321996 – 1.676674129	عالية	4	
	ضمن الحدود	2.349969864 – 2.013321997	متوسطة	3	
		2.686617732 – 2.349969865	قليلة	2	
		3.0232656 – 2.686617733	قليلة جدا	1	
Cu		0.221158123 – 0.193725765	عالية جدا	5	3.446
		0.248590481 – 0.221158123	عالية	4	
	ضمن الحدود	0.27602284 – 0.248590481	متوسطة	3	
		0.303455198 – 0.27602284	قليلة	2	
		0.330887556 – 0.303455198	قليلة جدا	1	
Pb		0.02762215 – 0.016031656	عالية جدا	5	3.446
		0.039212643 – 0.02762215	عالية	4	
	ضمن الحدود	0.050803137 – 0.039212643	متوسطة	3	
		0.06239363 – 0.050803137	قليلة	2	
		0.073984124 – 0.06239363	قليلة جدا	1	

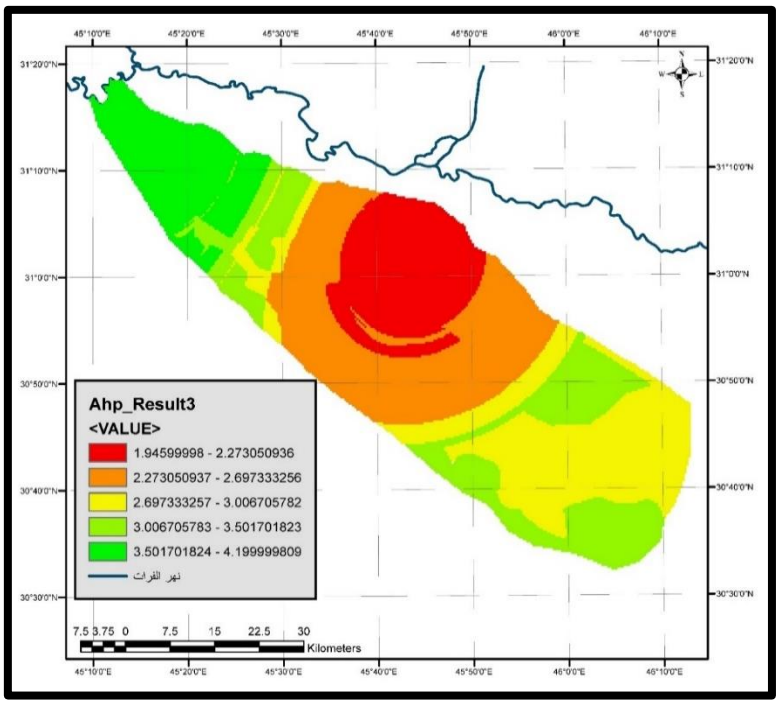
المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (2)

الخريطة (2) القيم الناتجة بعد اجراء طريقة (MCDA)



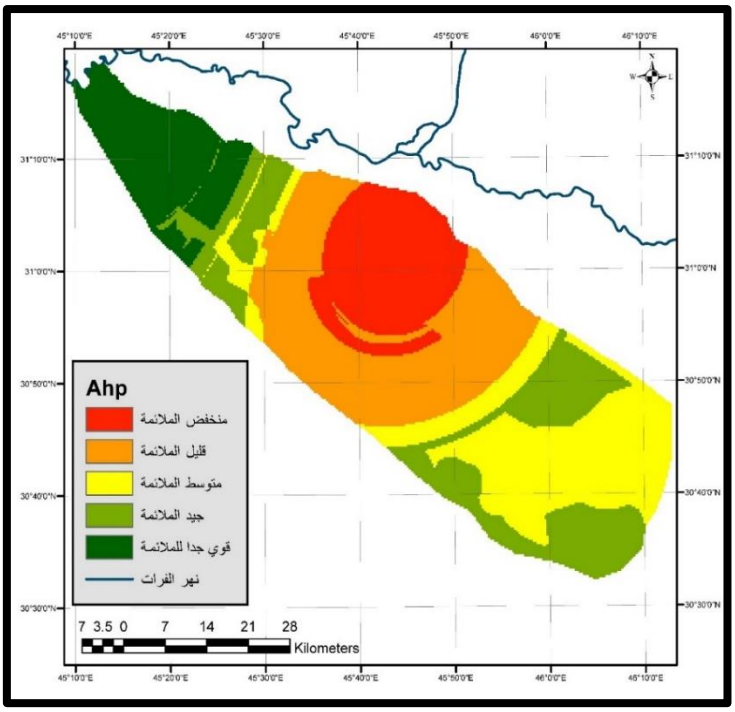
المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (9) ونتائج التحليل المختبري لعناصر المياه جدول (2) وطريقة (AHP) وبرنامج (Arc GIS 10.8.1)

الخريطة (3) تصنيف الملامة المكانية للمياه



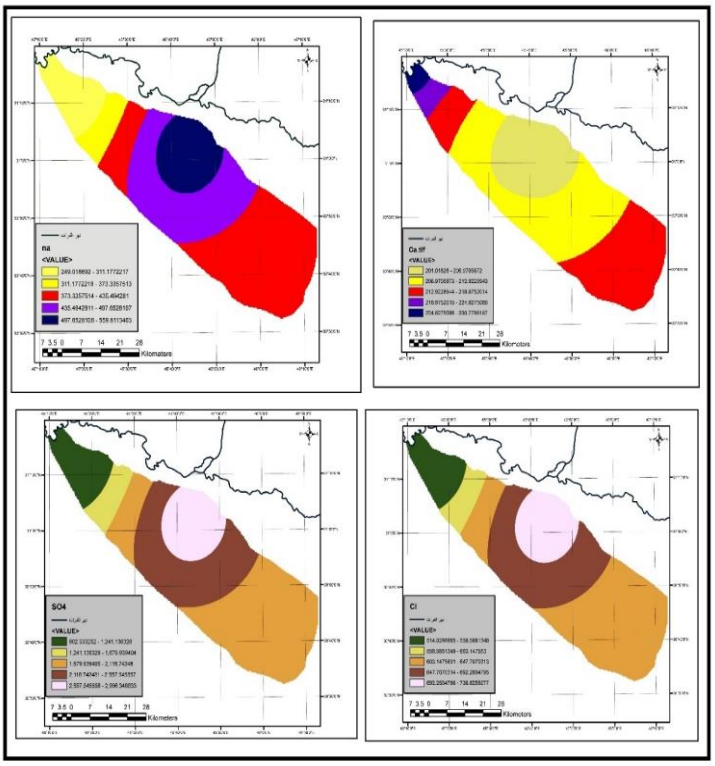
المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (9) ونتائج التحليل المختبري لعناصر المياه جدول (2) وطريقة (AHP) وبرنامج (Arc GIS 10.8.1)

الخريطة (4) إعادة تصنيف الملائمة المكانية لمياه منطقة الدراسة



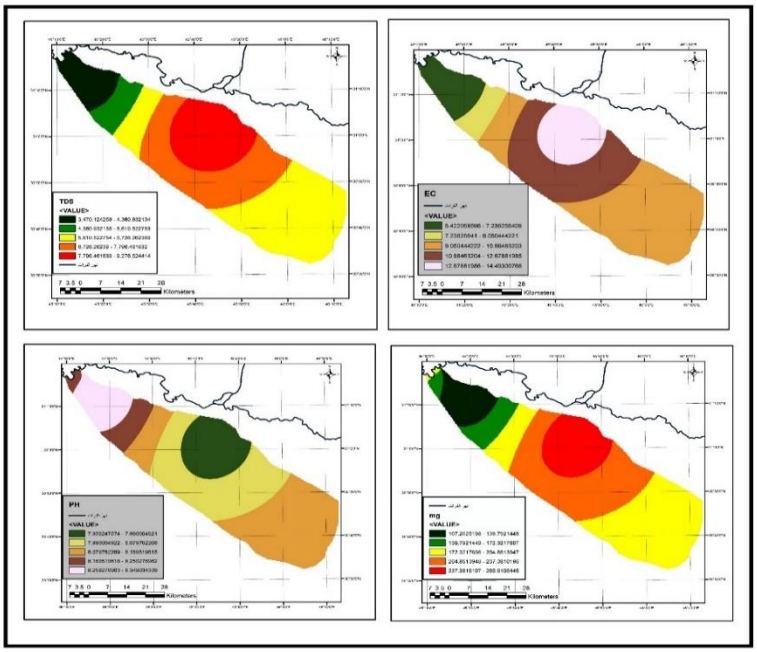
المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (9) ونتائج التحليل المختبري لعناصر المياه جدول (2) وطريقة (AHP) وبرنامج (Arc GIS 10.8.1)

الخريطة (5) تصنيف الملائمة المكانية لعناصر(ca–na–cl–so4)

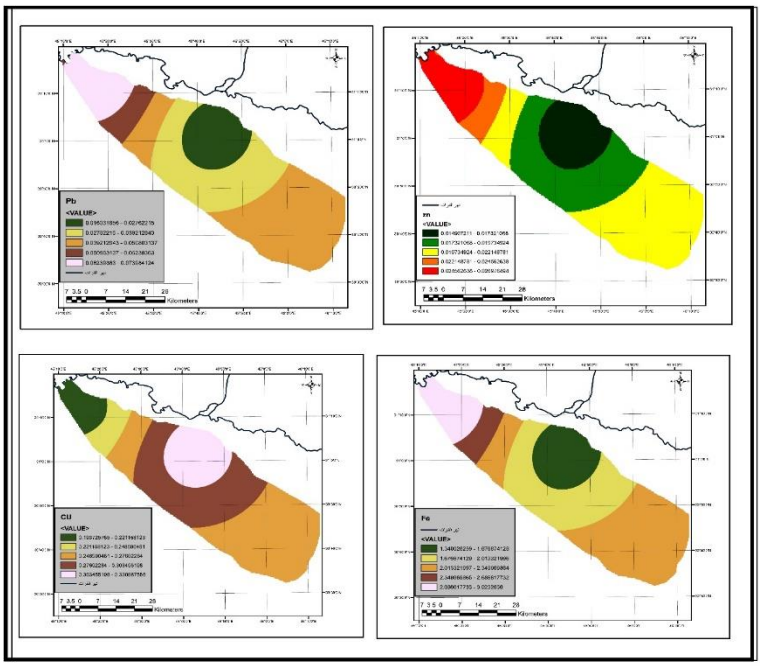


المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (9) ونتائج التحليل المختبري لعناصر المياه جدول (2) وطريقة (AHP) وبرنامج (Arc GIS 10.8.1)

الخريطة (6) تصنيف الملائمة المكانية لعناصر (Ec–TDS–PH–mg).

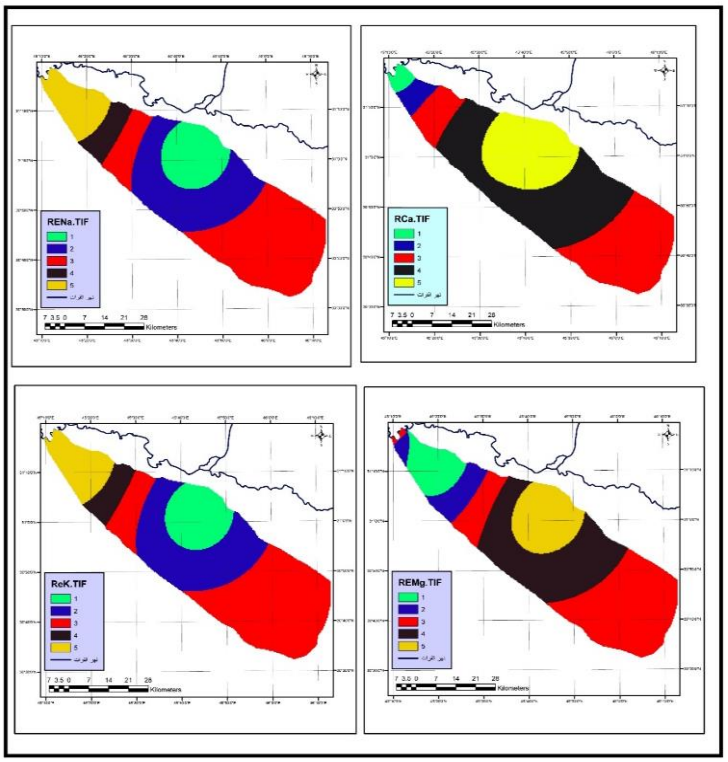


الخريطة (7) إعادة تصنيف الملائمة المكانية لعناصر (zn–pb–fe–cu)



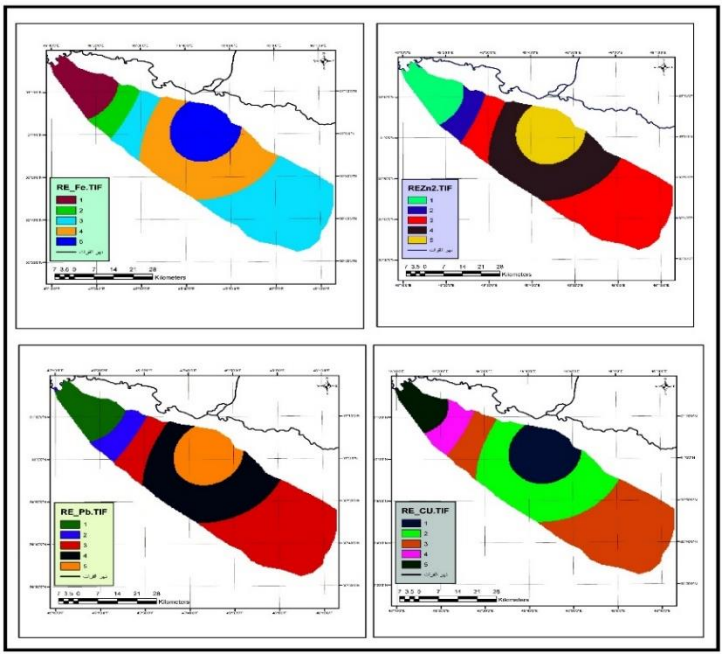
المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (9) ونتائج التحليل المختبري لعناصر المياه جدول (2) وطريقة (AHP) وبرنامج (Arc GIS 10.8.1)

الخريطة (8) إعادة تصنيف الملائمة المكانية لعناصر (Na^{+}) (Ca^{++}) (Mg^{+}) (k^{+})



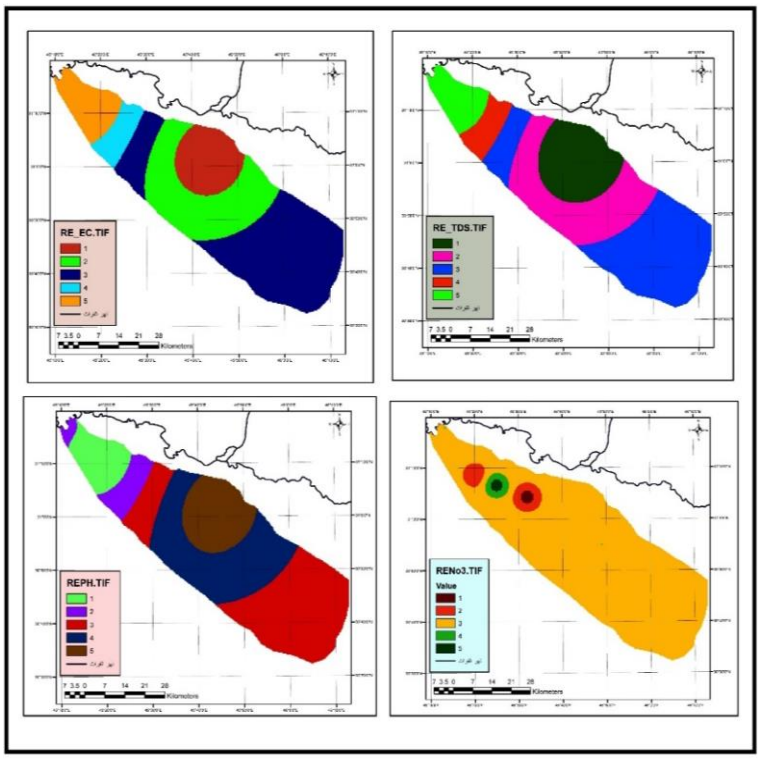
المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (9) ونتائج التحليل المختبري لعناصر المياه جدول (2) وطريقة (AHP) وبرنامج (Arc GIS 10.8.1)

الخريطة (9) إعادة تصنيف الملائمة المكانية لعناصر (Fe) (Cu) (pb) (Zn).



المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (9) ونتائج التحليل المختبري لعناصر المياه جدول (2) وطريقة (AHP) وبرنامج (Arc GIS 10.8.1)

الخريطة (10) إعادة تصنيف الملائمة المكانية لعناصر (EC) (T.D.S) (PH) ($No3^-$).



المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (48) ونتائج التحليل المختبري لعناصر المياه جدول (32) وطريقة (AHP) وبرنامج (Arc GIS 10.8.1)

1.4. التوزيع الجغرافي لمحصول القمح ا حسب المقاطعات الزراعية:

4-.1.1. القمح:

يعد القمح من المحاصيل الاستراتيجية التي تدخل في غذاء الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر وذلك لاحتوائه على (70)% سكريات و(11.5)% بروتين و(2)% زيت و(2)% ألياف كما ويشتمل على المعادن والفيتامينات فضلاً عن استخدام بقاياه (التبن) كأعلاف للماشية[1].

يظهر من بينات الجدول ان القمح (14) ان القمح يزرع في (28 مقاطعة) من منطقة الدراسة، وبلغت المساحة المزروعة ما يقارب (60327) دونم في الدراسة وبلغة اعلى نسبة من المساحة المزروعة في مقاطعة رقم (23) وبلغت نسبت المساحة المزروعة فيها (19409) دونم وتشكل المقاطعة نسبة (42.20)% من مساحة منطقة الدراسة حيث تسود في هذه المنطقة تربة المراوح الغرينة متمثلة بمروحة القصير ومروحة أبو غار كما تنتشر كذلك التربة الرملية في بعض اجزائها، كما يلاحظ ان المقطعة (5) تكون اقل المقطعات المنتجة للقمح في المنطقة حيث يزرع (11) دونم

[1] محمد فليح عواد الجنابي، أثر الموارد المائية في إنتاجية بعض الأراضي الزراعية في قضاء السلمان (محافظة المثنى . العراق)، رسالة ماجستير، غير منشورة، بغداد: جامعة البصرة، 2015، ص74.

فقط في هذه المقاطعة وبلغة مساحة هذه المقاطعة (0.56)% من مساحة منطقة الدراسة وتنتشر فيها التربة الرسوبية.

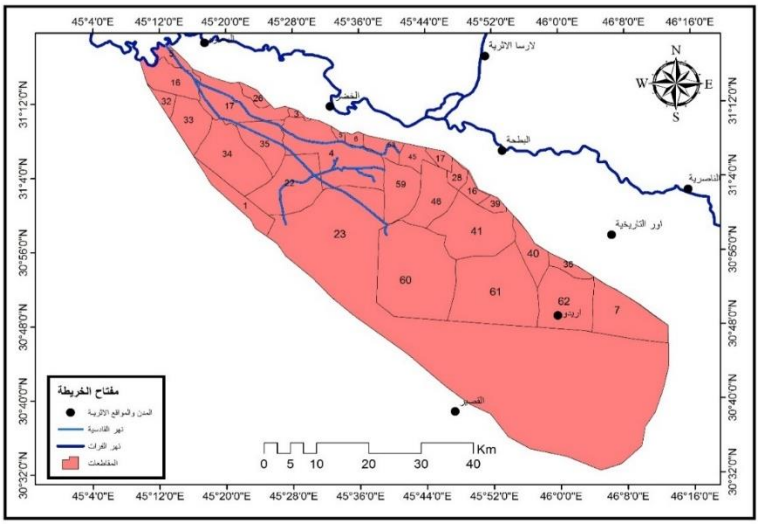
الجدول (10) المساحات المزروعة بالمحاصيل الزراعية في منطقة الدراسة حسب المقاطعات للموسم الزراعي (2020-2021)

ت	رقم المقاطعة	اسم المقاطعة	الحنطة	المساحة الكلية /دونم
1	6	شويلة وام الحنطة	64	2075.668
2	5	ام الحنطة	11	16313.28
3	53	الحجامة الغربية ام السنية	30	3535.794
4	17	أراضي الهويشلي	87	4955.678
5	45	أراضي الحجامة من السنية	219	2236.999
6	5	قصبة السماوة	106	4206.824
7	32	الجرع والعميد وابو الجيج	212	11046
8	16	الشراكية الغربية	355	7525.164
9	33	الجرع والعميد والزراكة	660	12196.19
10	34	الجرع والنويص والزراكة	368	12196.19
11	26	الخافورة	349	5283.892
12	22	عين صيدة الغربية	77	11560.7
13	35	الطلي والحويش والنويص	115	6259.078
14	17	الشراكية الشرقية	267	11040.7
15	3	أراضي الصبية والنشعة	38	2215.044
16	4	أراضي عين الصيد الشمالي	640	16313.28
17	1	السلمان 1	------	2943003
18	59	البرع الشمالي من السنية	720	7858.82
19	23	السلمان 2	19409	3621.17

20	60	اليراع الجنوبي	6000	72258
21	46	جزيرة البطحاء	5000	36576
22	41	الرفيعي الاميرة	2800	62848
23	61	الوحشية من أبو صريم	10000	77927
24	62	ابو صريم الاميرية الجنوبية	-------	31989 غير مستثمره
25	28	هور الساعة الغربي	2700	7678
26	16	هور الساعة الجنوبي	1500	7286
27	40	القيصر الاميرة	1500	20583
28	39	خبير	3000	7180
29	36	ابو صريم الجنوبية الغربية	1700	7729
30	42	جزيرة ام صريم الاميرية	2400	10341
31	7	صليبة	----	62748غي مستثمره

المصدر: الباحث اعتمادا على شعب الزراعية التابعة إلى مديريتي زراعة ذي قار والمثنى، بيانات غير منشورة، 2021، وبرنامج ARC GIS 10.8.1.

الخريطة (11) المقاطعات الزراعية في منطقة الدراسة



المصدر: الباحث اعتماد على: وزارة الموارد المائية، الهيأة العامة للمساحة، فهرس المقاطعات الزراعية، مقياس 1:250، 000، لسنة 1990.

الاستنتاجات:

1- نستنتج من خلال الدراسة ان المنطقة تصلح للاستثمار الزراعي لمحصول الحنطة.
2- تعد قناة صليبات من القنوات التي تصلح في للري للكثير من المحاصيل خصوصاً في الجزء الشمالي من القناة.
3- تعد طريقة (mcbaو Ahp) من الطرق المعتبرة والمهمة والتي تحدد بشكل عالي تقنية أي من العوامل تؤثر في طبيعة ملائمة الأراضي لأي محصول وكذلك من خلال الاوزان الترجيحية التي تعطي قيمة احتمالية لطبيعة مشاركة عامل معين وتأثير بقية العوامل المتحكمة.
4- بلغت كميه تصريف مياه قناة (صليبات) (9.5 م^3/ثا) وهو يصلح لري مساحات زراعية واسعة.

التوصيات:

1- مد قناة من شمال المنطقة الى جنوبها بطول 40 كم باتجاه الجنوب نحو مدينة اريدو لغرض زيادة الرقعة المزروعة.
2- تحسين نوعية مياه الري من خلال زيادة الاطلاقات المائية لاسيما في الجزء الجنوبي من المنطقة.
3- التاكيد على التوعية حول ترشيد استهلاك المياه وذلك من خلال أتباع وسائل الري الحديثة كالري بالتنقيط والري تحت السطحي لتفادي حجم الضائعات المائية.
4- العمل على حماية المصادر المائية من التلوث بجميع اشكاله (الصناعي والزراعي ومياه المجاري والأملاح).
5- التقليل من زراعة المحاصيل التي تحتاج الى كميات مياه كبيرة الذي يزيد من كثرة الأملاح في التربة بسبب ارتفاع درجات الحرارة والتبخر والذي ينعكس سلباً على خصوبة التربة.
6- الاهتمام بالجانب العلمي في دراسة المتغيرات المناخية ودراسة وتحليل التربة لمعرفة خصوبتها ومن ثم تشجيع الفلاحين على الزراعة.
7- استثمار المقاطعات الغير مزروعة في منطقة الدراسة بالخصوص مقاطعة صليبيه ومقطعة ابو صريم الاميرية الجنوبية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. احمد، ضياء صائب وعادل حسيب قاسم، تباين الخصائص الفيزيائية والكيميائية لمياه جدولي ابي غريب والصقلاوية، مجلة كلية التربية الاساسية، 113، المجلد 27، 2021.
2. باقر، مرتجى هاشم باقر وحسن اسماعيل يحي، أثر الخصائص النوعية لنهر الفرات على جودة مياه الري الزراعي في محافظة ذي قار، المؤتمر العلمي الدولي الاول للمياه لكلية التربية، جامعة بابل، 2019.
3. السلامي، شيماء عيسى جاسم، تقويم كفاية وجودة مياه الشرب في مدينة النجف الاشرف، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، 2012.
4. الفهداوي، عمار ياسين عواد صالح، تحليل جغرافي للمياه الجوفية في قضاء الرطبة وإمكانية استثمارها، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الأنبار، 2020.
5. الجنابي، محمود عبد الحسن جويهل، هيدروكيميائية الخزان الجوفي المفتوح وعلاقة مياهه برسوبيات النطاق غير المشبع في حوض سامراء – تكريت (شرق دجله)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم، جامعة بغداد، 2008.
6. السامرائي، همسه جمال سويدان، التباين المحلي لخصائص المياه الجوفية بين سامراء –الدجيل وطرق الاستثمار، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2014.
7. الربيعي الجبوري، داود جاسم وآخرون، التباين المكاني والزماني لتلوث مياه نهر الفرات ومياه الإسالة بالعناصر المعدنية في مدينة السماوة وتأثيراتها الصحية، مجلة البحوث الجرافية، العدد (19)، 2014.
8. الجبوري، اسماء سفاح لافي، التحليل المكاني لتلوث ترب ضفاف نهر الفرات في قضاء السماوة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة المثنى، 2020.
9. العبيدي، صباح حسن سلطان، المياه الجوفية في قضاء الحويجة واستثماراتها، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة تكريت، 2010.
10. سدخان، احمد ميس، تلوث مياه نهر الفرات في ذي قار، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة البصرة، 2007.
11. الفهداوي، عبد حماد عبد حمادي، مياه نهر الفرات واستراتيجيات ادارتها في محافظة الانبار، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الانبار، 2021.
12. الجميلي، محمود فاضل الجميلي وسلوى هادي أحمد، تلوث التربة والمياه، مندون ناشر، 2018.
13. الياسري، كفاية حسن ميثم تلوث المياه الجوفية لبعض المناطق الواقعة بين جدول الكفل وشط الهندية، مجلة العلوم الانسانية، المجلد ٢٣، العدد الأول، 2016.

14. الياسري، كفاية حسن ميثم، تلوث وتردي التربة في قضاء الحلة (دراسة تحليلية في جغرافية البيئة)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، 2013.
15. الخفاجي، علي خليل عبد الكاظم بادي، الكشف عن حالة التلوث لترب ومياه منطقة بحيرة ساوة باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الزراعة، جامعة المثنى، 2016.
16. المسعودي، استبرق كاظم شبوط، التباين الكمي والنوعي لخصائص المياه الجوفية في ناحية الدجيلي، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد (42)، الجزء الأول، 2021.
17. الساعدي، حسين كريم حمد وكريم علاوي خالد الكعبي، تقييم مياه نهر الغراف في محافظة واسط، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد السابع والعشرون، 2011.

هيدرولوجية الغطاء الأرضي وتأثيره على السعة البيئية لشبكة تصريف مياه الأمطار باستخدام منحنى الجريان SCS-CN في مدينة الناصرية

The hydrology of the earth cover and its effect on the environmental capacity of the rainwater drainage network using the flow curve SCS-CN in Nasiriyah city

الباحث: محمد خضر سعد

أ.م.د. **علي مجيد ياسين:** كلية الآداب، جامعة ذي قار، جمهورية العراق.

Mr. Mohammed Khader Saad

Prof. Dr. Ali Majeed Yassin: Faculty of Arts, University of Thi-Qar, Iraq

الملخص:

هدفت الدراسة للتعرف على تأثير العاصفة المطرية على كفاءة شبكة تصريف مياه الأمطار في مدينة الناصرية، وذلك باستخدام طريقة SCS-CN لتقدير حجم الجريان السطحي، واعتُمِدَت هذه الطريقة لتقدير حجم الجريان السطحي وكمية الأمطار المسجلة لمحطة (الناصرية) الواقعة في محافظة ذي قار، إذ تم التعامل مع بيانات الأمطار للمحطة أعلاه ضمن دراسة حجم الجريان السطحي الناتج عن عاصفة مطرية دراسة الجريان السطحي الناتج عن أعلى عاصفة مطرية للمدة 2018-2019 والتي سُجِّلَت بتاريخ 2019/5/19 وبلغت 138ملم/يوم. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أبرزها أنَّ المساحات المعرضة لاحتمالية مخاطر الفيضان ضمن أحياء المدينة، إذ إنه يوجد تباين في مستوى الخطر في مدينة الناصرية ضمن مساحة منطقة الدراسة. وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات، أبرزها ضرورة العمل على فصل شبكة مياه الأمطار عن شبكة مياه الصرف الصحي سواءً كانت الفرعية أو الرئيسية وتوفير مضخات لها ومحطات الشبكة المدينة.

الكلمات المفتاحية: غطاء أرضي – تقدير الجريان السطحي – عاصفة مطرية – سعة بيئية – شبكات تصريف مياه الأمطار.

Abstract:

The study aimed at identifying the impact of the rain storm on the efficiency of the rainwater drainage network in Nasiriyah city, using the SCS-CN method to estimate the volume of the surface flow. This method was adopted to estimate the volume of surface flow and the amount of rain recorded for the station (Al-Nasiriya) located in the governorate of Thi-Qar. This method was adopted to estimate the volume of surface flow and the amount of rain recorded for the (Al-Nasiriya) station located in the Thi-Qar Governorate, where the rain data for the above mentioned station was dealt with. The study of the volume of surface flow resulting from a rainstorm included a study of the flow resulting from the highest rainstorm for the period (2018-2019), which was recorded on May 19, 2019 and amounted to (138 mm/day). The study found a group of results and the most significant is that the areas exposed to the possibility of flood risks are within the neighborhoods of the city, as there is a discrepancy in the level of risk in Nasiriyah city within the zone of the study area. The study recommended a group of recommendations and the most significant is the need to work on separating the rainwater network from the sewage network, whether it is secondary or main, and providing pumps and stations to the city network.

Keywords: Earth cover, surface flow estimation, rain storm, environmental capacity, rain water drainage networks.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تقع مدينة الناصرية ضمن المنطقة الجافة التي من سماتها أنها حارة جافة صيفًا باردة ممطرة شتاءً، وتتسم بقلة أمطارها عن مستوى نشوء جريان سطحي مستمر فضلًا عن محدودية حجم الجريان، غير أن العواصف المطرية الفجائية الموسمية هي الأقدر على توليد كميات أعلى من الجريان السطحي في منطقة الدراسة، كما لا يمكن عند جميع ما تستقبله مدينة الناصرية من أمطار ستتصرف بشكل جريان سطحي بسبب مكوناتها، إذ إنها تتأثر تأثرًا بيئيًّا واقتصاديًّا كبيرًا على مدينة الناصرية، وما تتضمنه من سكان ومبانٍ وبنية تحتية وبيئة حياتية، لهذا تضمن البحث دراسة العاصفة المطرية في مدينة الناصرية لمعرفة مخاطر الجريان السطحي والفيضانات الناتجة عنها وتأثيراتها البينية، وحجم التساقط المطري الذي يتأثر بطوبوغرافية سطح المدينة وانحداراتها وطبيعة الخدمات وشبكة مياه الأمطار والمجاري فيها، الطبيعية والبشرية، فضلًا عن الغطاء الأرضي (LandCover) وسمات التربة الهيدرولوجية من حيث قدرتها على الاحتفاظ بالماء وتفاعلها مع ما يسقط عليها من أمطار.

مشكلة الدراسة:

يُعَدُّ موضوع البحث من المواضيع المهمة بسبب سوء تصريف شبكات مياه الأمطار لمدينة الناصرية من جهة، وانتهاء عمرها التصميمي من جهة أخرى. وبسبب أهمية الموضوع ووجود عدد من المشاكل في التصريف أثار لنا مشاكل صيغة على شكل مشاكل رئيسية: ما أثر العواصف المطرية في طفح شبكات المجاري في مدينة الناصرية؟

وتتفرع المشكلة الرئيسة إلى مشاكل ثانوية كالآتي:

1- هل تُعَدُّ فترة سقوط الأمطار وكميتها وغزارتها ونفاذية التربة وطبيعة السطح من الأسباب المباشرة في نشوء موجات الجريان السطحي وحدوث الفيضان في المدينة؟
2- هل بإمكان تقنية نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد تحديد دقيق لكمية الجريان المائي السطحي في مدينة الناصرية؟

فرضية الدراسة:

1- يوجد تأثير واضح للعاصفة المطرية على زيادة كمية تصريف مياه الأمطار، ومن ثم حدوث الفيضانات ومخاطرها على أحياء المدينة وتدهور بيني يحدث في المنطقة نتيجة لحدوث مخاطر الفيضان المحتمل.

2- بإمكان تقنية نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد تحديد دقيق لكمية الجريان المائي السطحي في مدينة الناصرية باستخدام طريق (SCS).

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على:

1- المنهج الموضوعي، الذي يقوم على تصنيف الغطاء الأرضي واستعمالات الأرض من خلال استعمال تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية GIS.

2- المنهج الوصفي، للتعرف على الخصائص الطبيعية للمنطقة من خلال التركيز على أشكال التنوع الطوبوغرافي وصف الحالة الجوية في مستويات الجو وأشكال المنحدرات السائدة في المنطقة.

3- المنهج التحليلي، وذلك من خلال استخدام الأسلوب الكمي (الإحصائي والرياضي) الذي يعتمد على جمع البيانات الرقمية والوصفية وجدولتها وتحليلها وتفسيرها وتنظيمها، باستخدام الطرائق والتقنيات العلمية الحديثة، من خلال المرئيات الفضائية واعتمادها في شبكات تصريف مياه الأمطار وتحليل الخصائص الهيدرولوجية، باستخدام نماذج رياضية تعطي نتائج كافية ودقيقة عن تقدير الجريان السطحي في المنطقة، مثل أنموذج (SCS-CN).

أهداف الدراسة:

1- دراسة أصناف الغطاء الأرضي في مدينة الناصرية.

2- تحديد السمات الهيدرولوجية للتربة وتحديد مدى رطوبتها بعد سقوط الأمطار.

3- تقدير حجم الجريان السطحي ضمن المنطقة باستخدام أنموذج (SCS-CN) على أساس أعلى عاصفة مطرية ساقطة ضمن المنطقة وتصميم أنموذج لمخاطر الفيضان والآثار الناجمة عنه.

أهمية الدراسة:

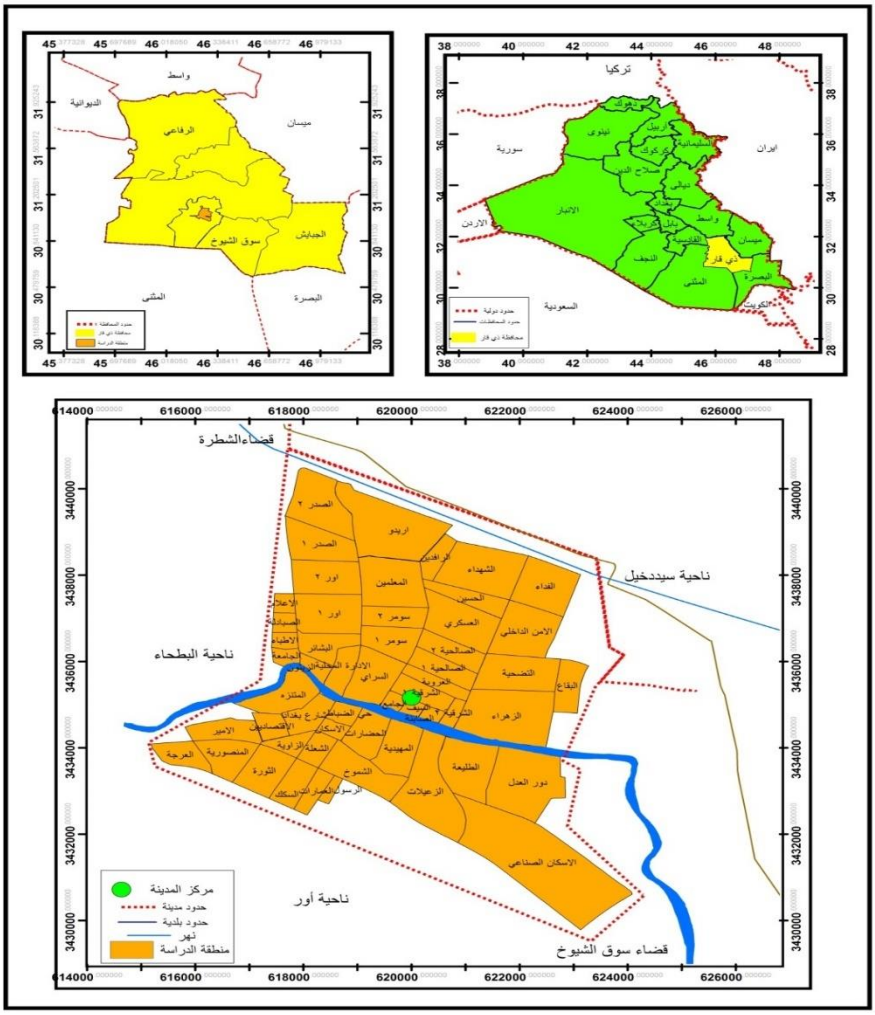
تظهر أهمية الدراسة من خلال معرفة وقت وشدة العاصفة المطرية لمدينة الناصرية والتعرف على كفاءة شبكة التصريف من أجل تجنب مشكلة الفيضان ووضع الحلول المناسبة لها.

الحدود المكانية للدراسة

تقع مدينة الناصرية جنوبي شرقي العراق على نهر الفرات، بين دائرتي عرض (30 ° 30 '- 32 ° 00') شمالًا وقوسي طول (45 ° 00'- 47 ° 00) شرقًا في الأقسام الدنيا من العروض الوسطى في القسم الشمالي من الكرة الأرضية، أما حدودها الإدارية مع المحافظة لتحدها ناحية البطحاء من جهة الغرب وتبعد عنها نحو 36 كم وتحدها ناحية أور من جهة الجنوب وتبعد عن مركز المدينة بنحو 7 كم، اما من جهة الشمال الشرقي فتحدها ناحية سيد دخيل وتبعد عنها نحو

25 كم، وناحية الإصلاح والتي تبعد 42 كم وبمساحة تبلغ 1766 كم^2 تنتظم في 43 حيًّا سكنيًّا كما في الخريطة (1).

خريط (1) موقع مدينة الناصرية من العراق ومحافظة ذي قار.



المصدر: 1- من عمل الباحث بالاعتماد على: جمهورية العراق، وزارة البلديات، الهيئة العامة للمساحة، مديرية التخطيط العمراني ذي قار، 2019 وبرنامج 10.8(ARC Map).

2- المديرية العامة للتخطيط العمراني في محافظة ذي قار، قسم إنتاج التصاميم، خريطة محافظة ذي قار الإدارية لعام 2014، مقياس 1000000001.

المبحث الأول: التحليل المكاني لشبكة مياه الأمطار

أولًا: تصنيف الغطاء الأرضي (USGS) لمدينة الناصرية

اشتُقَّت أصناف الغطاء الأرضي في المنطقة من المرئية الفضائية (Sentinel-2) بتاريخ 2022/4/25، من خلال التصنيف (SupervisedClassification) بالاعتماد على تقنيات برنامج (ArcmapGIS10.8) صُنِّفَت المنطقة إلى 6 أصناف كما موضح في الجدول (1) والخريطة (2) واستخراج مساحاتها ونسبها المئوية بالاعتماد على معايير تصنيف استعمال الأرض كما ورد في معايير إدارة الزراعة بالولايات المتحدة الأمريكية، أما مصطلح الغطاء الأرضي (landcover) فهو يشير إلى الطبيعة الفعلية للسطح في موقع ما، أي أنه مرتبط بالخصائص الموجودة على سطح الأرض، كما يقدم وصفًا للسطح السائد، مثل أسطح الغطاء النباتي والأنهار والبحيرات والأشجار وما إلى ذلك.

الصنف الأول: نبات طبيعي بحالة جيدة

تأثير الغطاء النباتي في الجريان السطحي أثر مباشر، فكلما زادت كثافة النبات واتسعت مساحته انخفضت كمية المياه الجارية على السطح، ويحدث عكس ذلك إذا ما قل الغطاء النباتي تزداد فرص الجريان السطحي، شغلت هذه الفئة مساحة 8.56/كم^2 وبنسبة 20.12% من مساحة المنطقة، تتكون هذه الفئة من النباتات الواقعة على ضفاف النهر والتي تنمو عند أقدام الأنهار هذا النوع من النباتات المعمرة والنباتات المائية نباتات الضفاف الأنهار، النباتات على ضفاف نهر الفرات بصورة مجموعات كثيفة مثل الشجيرات والأعشاب والحشائش، انتشرت هذه الفئة في المدينة وجوانب الطرق الرئيسة والثانوية، وتتصف تربة هذه الفئة بتجانس ذرات الرواسب، وهذه خاصية تميز الترسيب المائي الذي نقلته الوديان، ومعظم هذه الرواسب من الغرين والرمل والطين.

الصنف الثاني: مستقرات بشرية وطرق

يُقصَد بها الأراضي المستقلة للأغراض السكنية التي تدخل كمناطق عمرانية، وأنواع الغطاء المختلفة الناتجة عن النشاط البشري واستخدامات الأراضي الأخرى، كمناطق تجارية وصناعية والخدمات المختلفة داخل هذه المنشآت، وكذلك الأراضي المخصصة لها ووسائل النقل. وجود أراضٍ سكنية لأنها تتكون من مواد إسمنتية وطرق معبدة بالإسفلت ومنشآت حضرية صناعية. وتتميز هذه الأراضي بنسبة منخفضة من النفاذية، مما يؤدي إلى سرعة تدفق المياه فور هطول الأمطار في وقت قصير، وتحتل مساحة 26.51/كم 2، ونسبة 62.31% من المساحة الإجمالية للمنطقة، وستكون هذه من المناطق التي تتعرض لمخاطر كبيرة على تدفق المياه بسبب وفرتها، لذلك من الضروري

تحديد جودة مواد البناء، الخاصة بها وفقًا لشروط البيئة الطبيعية، ولا يمكن إهمال إعادة النظر في توزيعها المكاني لضمان تحقيق أعلى مستوى من السلامة البيئية للمدينة.

الصنف الثالث: نبات طبيعي بحالة معتدلة

تتكون هذه الفئة من النباتات الحولية والنباتات الموسمية، وتكون هذه المجموعة من النباتات السائدة في منطقة الدراسة والتي تنمو بعد سقوط الأمطار، مثل الطرفة والدغل وغيرها من النباتات، وتحتل مساحة 6 كم^2 ونسبة بلغت 14.0% من إجمالي منطقة الدراسة.

جدول (1) الغطاء الأرضي في مدينة الناصرية

التسلسل	نوع الغطاء الأرضي	المساحة/كم^2	النسبة المئوية
1	نبات طبيعي بحالة جيدة	8.56	20.12
2	مستقرات بشرية وطرق	26.51	62.31
3	نبات طبيعي بحالة معتدلة	6	14.0
4	مستنقعات	1.19	2.8
5	غطاء مائي	0.17	0.5
6	أراضي زراعية	0.12	0.27
	المجموع	42.54	100

المصـــــدر: من عمل الباحث بالاعتماد على المرئية الفضـــــائية للقمر الصـــــناعي الأمريكي بتاريخ 2022/4/25، وتقنيات برنامج Arc Map10.8.

الصنف الرابع: المستنقعات

إذ تكون هذه الأراضي صالحةً للاستخدام البشري، وهي مغطاة بالمياه في الشتاء خاصةً بعد هطول الأمطار، إذ تكون درجة النفاذية والمسامية منخفضة، بالتالي مغطاة بالمياه لأكبر فترة ممكنة مقارنةً بالأراضي المحيطة إذ تكون موسميةً في فصلي الشتاء والربيع، وتحتل مساحة تبلغ مساحتها 1.19 كم^2 وبنسبة 2.8% من مساحة المنطقة، إذ إن هذه الأراضي منخفضة، بالتالي تتجمع المياه القادمة من الأراضي المحيطة، وتُعَدُّ مدينة الناصرية من المناطق المهددة بالأمطار.

الصنف الخامس: غطاء مائي

يتمثل بمجاري الأمطار التي تجري في المدينة خلال موسم الأمطار والأنهار دائمة الجريان في المدينة، مثل نهر الفرات الذي ينقسم إلى قسمين: الأول صوب الجزيرة، والثاني صوب الشامية والمصب العام وشغلت هذه الفئة مساحة بلغت 0.17 كم^2 ونسبة 0.5%من مساحة المدينة.

الصنف السادس: الأراضي الزراعية

يشغل هذا الصنف الأراضي المزروعة دون معالجة التربة، لأن تربتها ذات نسجة مزيجية طينية وغنية بالمواد العضوية، البساتين الشخصية لسكان المدينة المنتشرة في بعض الأحياء وعلى نهر الفرات والمصب العام وكذلك الحدائق العامة، إذ شغلت مساحة قدرها 0.12 كم^2 وبنسبة 0.27% من مجموع مساحة المدينة.

شكل (1) الغطاء الأرضي في مدينة الناصرية



المصدر: الباحثة بالاعتماد على جدول (1).

الخريطة (2) الغطاء الأرضي في مدينة الناصرية.



المصـــدر: من عمل الباحث اعتمادًا على المرئية الفضـــائية للقمر الصـــناعي لهيئة الفضـــاء الأوربية (Sentinel-2) بتاريخ 2022/4/25، وتقنيات برنامج Arc Map10.8.

ثانيًا: نسجة التربة

يُعرَّف نسيج التربة بأنه التوزيع النسبي لحبيبات التربة التي لا يتجاوز حجمها 2 ملم بتعبير أدق، إنها العلاقة النسبية بين الرمل (sand) والغيرين (silt) والطين (clay)، يُصنف نسيج التربة إلى عدة أنواع منها الأنسجة الناعمة، ويكون حجم الذرات المكونة لها ما بين 05، 0-، 0، 10 ملم وقوام التربة متوسطة النعومة، ويتراوح حجم الذرات المكونة لها بين 0، 0.25، 10 ملم والأنسجة

المتوسطة وحجم الذرات المكونة لها 0، 25، . 0، 50، والأنسجة الخشنة حجم الذرات المكونة لها ما بين الخشنة حجم ذراتها 0 ، 50. 1 ملم.

جدول (2): معدلات مفصولات التربة (رمل، غرين، طين) وصنف نسجة التربة للعمقين 1 سم – 80 سم و18 سم – 2م، في مدينة الناصرية 2018.

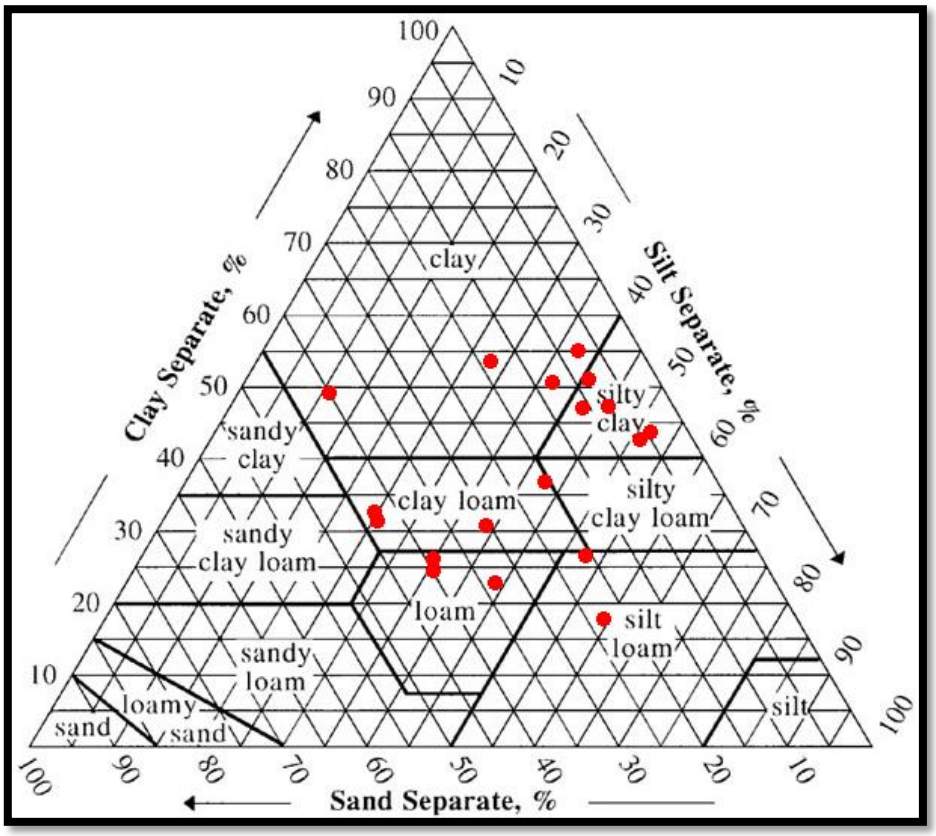
التسلسل	الأعماق سم، م	مفصولات التربة			صنف نسجه التربة
		رمل %	غرين %	طين %	
1	1 سم – 80 سم	7 ،21	1 ،42	2 ،36	مزيجية طينية
2	81 سم – 2 م	8 ،19	2 ،27	0 ،53	طينية
3	1 سم – 80 سم	8 ،21	1 ،52	1 ،26	طينية غرينية
4	81 سم – 2 م	1 ،44	9 ،23	0 ،32	مزيجية طينية
5	1 سم – 80 سم	9 ،8	4 ،44	7 ،46	طينية
6	81 سم – 2 م	3 ،7	6 ،50	1 ،42	طينية غرينية
7	1 سم – 80 سم	1 ،41	2 ،10	7 ،48	طينية
8	81 سم – 2 م	5 ،8	9 ،36	6 ،54	طينية
9	1 سم – 80 سم	3 ،40	2 ،34	5 ،25	طينية
10	81 سم – 2 م	6 ،5	2 ،51	2 ،43	طينية غرينية
11	1 سم – 80 سم	5 ،34	2 ،43	3 ،22	مزيجية طينية
12	81 سم – 2 م	3 ،44	9 ،24	8 ،30	مزيجية طينية
13	1 سم – 80 سم	0 ،41	0 ،35	0 ،24	طينية
14	81 سم – 2 م	13.8	0 ،36	2 ،50	طينية
15	1 سم – 80 سم	2 ،9	2 ،40	6 ،50	طينية غرينية
16	81 سم – 2 م	2 ،24	7 ،58	1 ،17	مزيجية غرينية
17	1 سم – 80 سم	6 ،31	1 ،38	3 ،30	غرينية مزيجية
18	81 سم – 2 م	0 ،12	41.4	6 ،46	طينية غرينية
المعدل	1 سم – 80 سم	8 ،27	8 ،37	4 ،34	
	81 سم – 2 م	0 ،20	0 ،39	0 ،41	
المعدل العام		9 ،23	4 ،38	7 ،37	

المصدر: هبة صاحب دخيل عودة الحسناوي، الخريطة الهيدرولوجية لمدينة الناصرية وتأثيراتها البيئية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، جامعة ذي قار، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، 201، ص47.

تتباين نسجة التربة إذ تكون مزيجية غرينية، في ضفاف الأنهار إلى مزيجية طينية altyclayloam في تربة الأراضي المنخفضة القريبة، يرجع ذلك التباين إلى طبيعة الترسيب النهري

وعمليات الري والفيضانات، إذ تكون نسب الرمل عاليةً في المناطق القريبة من الأنهار، لأنها أثقل الجزيئات والأكبر حجمًا الذي يمكن أن يترسب أولًا بالقرب من مجرى النهر مقابل فيضانه على جوانبه أو ضيق الري، وتبقى كميات قليلة فقط من هذه الدقائق، والتي تُنقَل عن طريق المياه وتُلقى في الأراضي.

الشكل (2) مثلث النسجة لعينات التربة في مدينة الناصرية



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على جدول (2).

جدول (3) المجموعات الهيدرولوجية للترب.

صنف التربة	عمق الجريان	نوع التربة
A	**قليل**	طبقة رملية عميقة مع كمية قليلة جدًّا من الطين والغرين
B	**متوسط**	طبقة رملية أقل عمقًا من الصنف A مع معدل ارتشاح متوسط
C	**فوق المتوسط**	طبقة طينية محدودة العمق مع معدل ارتشاح دون المتوسط أو طبقة صخرية مغطاة بطبقة من التربة

D	عالي	طبقة طينية سميكة مغطاة بطبقة ضحلة من الغرين الناعم أو طبقة صخرية عارية

USDA– SCS، Urban hydrology for small watershed ،department of ariculure، USA 1986، P3.

ثالثًا: أصناف الترب الهيدرولوجية في مدينة الناصرية

بناءً على تصنيف صيانة التربة الأمريكية صنفت أربع مجموعات هيدرولوجية للتربة، إذ قسمت منطقة الدراسة إلى ثلاثة أنواع يمكن من خلالها اكتشاف مدى تأثير نسيج التربة في نشوء الجريان السطحي وتسمى "المجموعات الهيدرولوجية للتربة".

المجموعة الهيدرولوجية للفئة (B): تتمتع التربة في هذه المجموعة بقدرة منخفضة نسبيًّا على جريان السطح ومعدل معتدل لاختراق الماء إلى التربة ذات المحتوى الرطوبة الكامل. تحتوي هذه المجموعة من التربة على كربونات الكالسيوم بشكل دائم. إذ ترتفع نسب الرمال في المناطق القريبة من مجاري الأنهار يتضح من الجدول (4) والخريطة (3) أن مساحة هذا النوع في هذه المجموعة تقدَّر بنحو 13.60 كم 2 أي 31.99% من مساحة المنطقة.

المجموعة الهيدرولوجية للفئة (C): تتمتع التربة في هذه المجموعة بإمكانية جريان متوسط ومعدل تسريب منخفض للمياه عندما تكون رطبة تمامًا، ويكون نقل المياه عبر التربة مقيدًا إلى حد ما. تمتد هذه الترب مع طول نهر الفرات والمصب العام تشكلت هذه التربة من خلال الفيضانات الموسمية للأنهار، والتي تتكون في الغالب من (الطمي – الرمل – الطين). تكونت نتيجة للترسيب النهري إذ تتراكم الرواسب ذات الحجم الكبير بالقرب من مجرى النهر. الأنهار يتضح من الجدول (4) والخريطة (3) أن مساحة هذه الترب تبلغ 17.56 كم^2 بنسبة 41.28% من مساحة المدينة.

المجموعة الهيدرولوجية للفئة (D): تُعَدُّ التربة في هذه المجموعة مسؤولةً عن ظهور معظم الجريان السطحي في المدينة، وتتميز بارتفاع معدل تسرب المياه من خلالها، إذ تكون حركة المياه فيها قليلةً، ويرتفع منسوب المياه ويظهر على شكل مستنقعات. يتضح من الجدول (4) والخريطة (3) أن مساحة هذا النوع في مدينة الناصرية تبلغ نحو11.38 كم^2 وبنسبة 26.73٪ من إجمالي مساحة منطقة الدراسة.

الجدول (4) أصناف الترب الهيدرولوجية لمدينة الناصرية

ت	المجموعة الهيدرولوجية للتربة	المساحة كم2	النسبة %
1	مجموعة الترب (B)	13.60	31.99
2	مجموعة الترب (C)	17.56	41.28
3	مجموعة الترب (D)	11.38	26.73
المجموع		42.54	100

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على خارطة أصناف الترب (38).

تحديد الحالة المسبقة لرطوبة التربة (AMC)

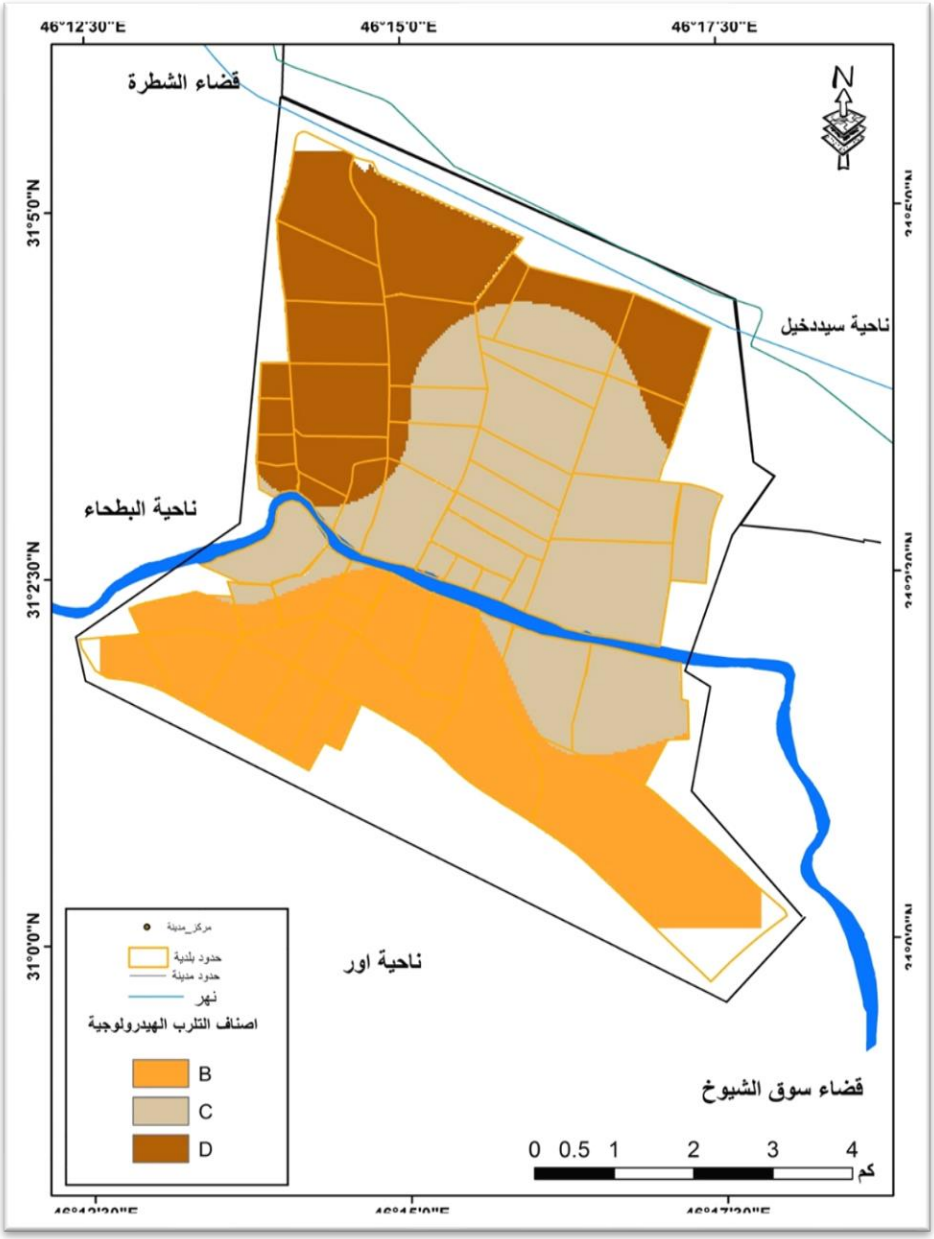
من أهم متطلبات الحصول على القيم (CN) تحديد أو معرفة حالة الرطوبة المسبقة للتربة (AMC)، والتي تُعَدُّ مؤشرًا لمحتوى الرطوبة في التربة قبل بدء العاصفة المطرية. ولتقدير قيم (CN) من قبل المختصين بتطوير طريقة (SCS)، إذ تم الحصول على ثلاث حالات للتربة المسبقة الحالة الأولى (AMCI) والتي تختص بالتربة الجافة، أما الحالة الثانية (AMCII) تمثِّل المناطق الجافة وشبه الجافة، بينما تمثل الحالة الثالثة (AMCIII) المناطق الرطبة، ذات الأمطار الغزيرة ودرجة الحرارة المنخفضة للأيام الخمسة السابقة لحساب الجريان السطحي.

جدول (5) تصنيف الحالة المسبقة لرطوبة التربة (AMC)

فئة AMC	AMC mm	الحالة
AMC I	<35	الجافة
AMC II	35 . 52.5	المعتدلة
AMC III	> 52.5	غزيرة الأمطار

Chandana Gangodagamage and S. P. Aggarwal، Integrating Satellite based Remote Sensing Observations with SCS Curve Number Method for Simplified Hydrologic Modeling in Ungauged Basin، Asian Journal of Geoinformatics،2012 ، Vol.12. No.،3 India، p35

خريطة (3) أصناف الترب الهيدرولوجية لمدينة الناصرية.



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على تصنيف الترب مصلحة صيانة التربة الأمريكية، وعلى تحليل نسجة التربة ومخرجات برنامج ArcGis108.

جدول (6) قيم منحنى الجريان وفق طريقة (SCS) لاشتقاق قيم منحنى (CN).

وصف استخدامات الأرض (land use description)	مجموع الترب الهيدرولوجية Hydrologic soil group			
	A	B	C	D
الأراضي المستقلة				
الترب وحمايتها من غير معالجة	73	82	87	**92**

الترب وحمايتها مع المعالجة	63	72	76	**80**
الأراضي الصناعية والطبيعية للمراعي	66			
الظروف الفقيرة	37	77	85	**87**
الظروف الجيدة والغنية		62	72	**82**
أراضي الأعشاب	29			
الظروف الجيدة		56	69	**77**
أراضي تربة الغابات	43			
غطاء قليل – غابات غير مريضة	27	64	76	**81**
الغطاء الغني والسمين		53	72	**74**
الأراضي العشبية – والأراضي المفتوحة – المقابر	37			
الظروف الجيدة: غطاء عشبي 70% أو أكثر	48	62	72	**79**
الظروف المتوسطة: غطاء عشبي بين 45%–70%	87	67	77	**82**
منطقة مهنية وتجارية 80 %		90	92	**93**
الأراضي الصناعية 70%	80	86	90	**91**
أراضٍ للسكن مساحات القطع				
8/1 ايكر أو أقل منها مشيدة بالمنازل	77	85	90	**92**
4/1 ايكر أو أقل مشيدة بالمنازل	61	75	83	**87**
3/1 ايكر أو أقل منها مشيدة بالمنازل	57	72	81	**86**
2/1 ايكر أو أقل منها مشيدة بالمنازل	54	70	80	**85**
1 ايكر أو أقل منها مشيدة بالمنازل	51	68	79	**84**
2 ايكر أو أقل منها مشيدة بالمنازل	46	65	77	**82**
كراج السيارات (السطوح، المعبدة، الممرات)	96	95	94	**77**
طرق وشوارع				
الطرق المعبدة مع مجاري لتصريف المطر	98	98	98	**98**

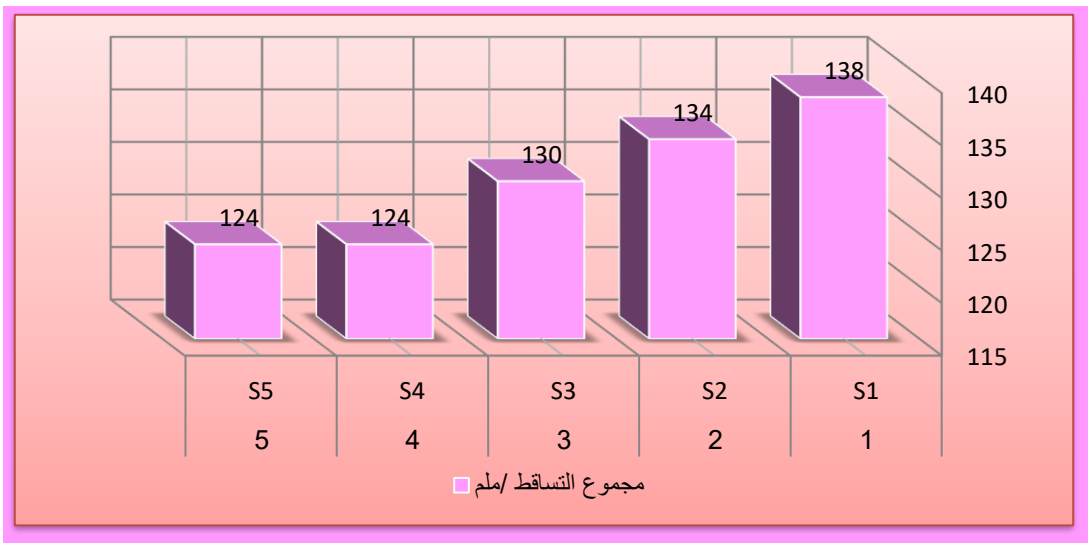
طرق حصوية أي غير معبدة	76	89	89	**91**
طرق متروكة	72	87	87	**89**

Vijay P. Singh، Donald K. Frevert، Watershed Models، CRC Press is an imprint of Taylor Francis Group،2006 ، P .364

رابعًا: نمذجة التساقط للعاصفة المطرية (ملم) بتاريخ 2019/5/19 في محطات مدينة الناصرية:

تتراوح كمية الأمطار اليومية الساقطة على مدينة الناصرية في يوم الأحد الموافق 2019/5/19، وهي غالبًا ما تسقط في خلال مدة زمنية معينة تتراوح ما بين ساعة أو ساعتين لفترة العاصفة المطرية التي تتصف بها العواصف في مثل هذه الوقت، الذي يشهد أكبر تكرار زمني لعدد ساعات تساقط مطري متصل في عموم محطات منطقة الدراسة، إذ تراوحت قيوم العاصفة المطرية ما بين 124/ملم كحد أدنى لمجموع محطتي (S4-S5) اللتين تقعان في قطاع الجزيرة الغربي وقطاع الشامية الجنوبي الشرقي، ووصلت عدد ساعات تلك العاصفة المطرية إلى 4 ساعات في خلال التاريخ المذكور آنفًا، كما بلغ أعلى مجموع للعاصفة المطرية 138/ملم في المحطة (S1) والتي تقع في قطاع الشمالي الشرقي من المدينة، وبلغت عدد ساعات العاصفة المطرية فيها 4 ساعات وللتاريخ ذاته.

شكل (25): التباين المكاني للعاصفة المطرية/ملم للعاصفة المطرية بتاريخ 2019/5/19 في محطات منطقة الدراسة.



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على: http://www.chrsdata.eng.uci.edu.com

عملية حساب حجم الجريان السطحي، تم عمل نمذجة مكانية لإجمالي كثافة المطر، وتبين من الخريطة (4) والجدول (7) أن أعلى كثافة مطر إجمالية كانت في قطاع الجزيرة قطاع الشمالي

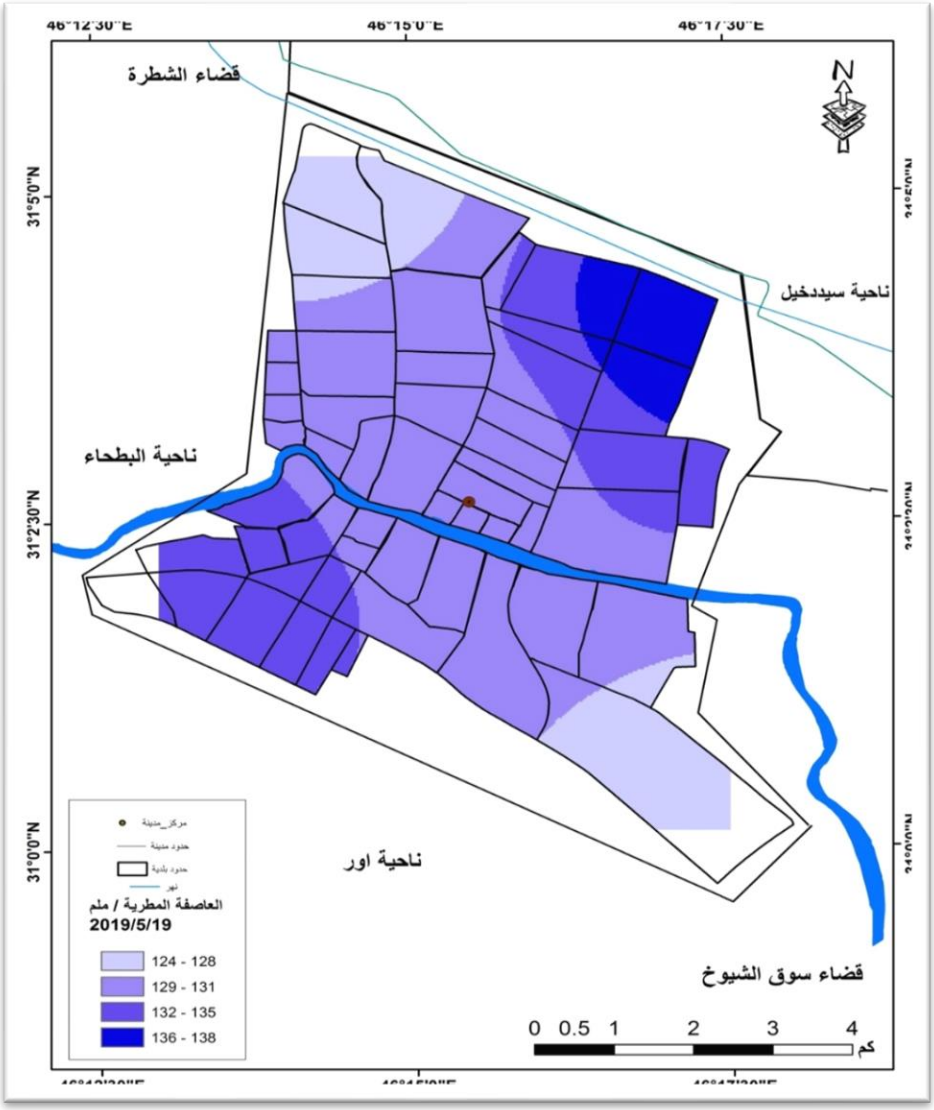
الشرقي وتشمل حي الكرامة وحي الفداء والتي تقع ضمن فئة 136–138 ملم وبلغت المساحة التي تغطيها هذه الفئة 1.1/كم 2. ونسبتها 2.8% وهي أقل نسبة من إجمالي مساحة منطقة الدراسة. إذ إن أكبر مساحة ضمن الفئة الثانية 124–128/ملم والتي بلغت 8.7/كم^2 ونسبتها 20.7% من مساحة منطقة الدراسة والتي تحتل الأجزاء الشمال الغربي والجنوب الشرقي من المدينة.

جدول (7): فئات العاصفة المطرية ملم بتاريخ 2019/5/19 في محطات منطقة الدراسة.

ت	فئات العاصفة المطرية/ملم	المساحة/كم^2	النسبة %
1	124 -128	8.7	20.7
2	129 -131	26.6	62.7
3	132 -135	5.8	13.8
4	136 -138	1.1	2.8
المجموع		42.54	100

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على: http://www.chrsdata.eng.uci.edu.com.

خريطة (4) فئات العاصفة المطرية ملم بتاريخ 2019/5/19 في محطات منطقة الدراسة.



المصـــــدر: من عمل الباحث بالاعتماد على http://www.chrsdata.eng.uci.edu ومخرجات برنامج (ArcGis10.4).

المبحث الثاني: السعة البيئية لشبكة تصريف مياه الأمطار

تقدير منحنى الجريان السطحي (SCS-CN)

لحساب الجريان السطحي، استُخدِمَت فرضية صيانة التربة في الولايات المتحدة (Soil conservationservice) المعروفة بِاسم (SCS-CN)، لتقدير عمق الجريان السطحي ومعامل الجريان السطحي الناتج عن عاصفة مطيرة فعالة العلاقة الرياضية لنموذج منحنى الجريان السطحي بالمعادلة التالية. يُعبَّر عن جريان المياه السطحية على أنه ذلك الجزء من سقوط المطر الذي يتجاوز قدرة امتصاص التربة نتيجةً لزيادة معدلات هطول الأمطار. تأخذ مساحة السطح فترةً زمنيةً تبدأ بسقوط المطر على سطح الأرض وتنتهي عندما يصب في المجرى المائي.

$$Q = \text{.....} \left[\left[\frac{(p-Ia)^2}{p-Ia+s}\right]\right] \text{.....(1)}$$

إذ إن:

Q= عمق الجريان السطحي (بالبوصة)

P= كمية الأمطار الساقطة (بالبوصة)

Ia= الاعتراض الأولي قبل بدء الجريان السطحي متمثل بالتبخر والتسرب والنبات

S= التجمع السطحي بعد بداية الجريان السطحي (بالبوصة)

وبما ان Ia تعادل خمس قيمة S فأن Ia تصبح كالآتي

Ia=0.2S 2

وفق ذلك تكون المعادلة.

$$Q = \text{.....(3)} \left[\left[\frac{(P-0.2S)^2}{P+0.8\,S}\right]\right]$$

أما حساب قيمة (S) فيكون على أساس العلاقة الرياضية الآتية:

$$S = \left[\left[\frac{25400}{CN}\right]\right] - 254 \text{ .....(4)}$$

حساب حجم الجريان السطحي الكلي

يُحتَسَب حجم الجريان السطحي الكلي من خلال عمق الجريان المستحصل من معادلة رقم 3 و5 فتصبح العلاقة الرياضية كالتالي:

$$Qv = (Q * A/1000 \text{ ..... (5)}$$

إذ إن.....

Qv= حجم الجريان السطحي

Q= عمق الجريان السطحي/ملم

A= مساحة المنطقة/كم2

1000=معامل التحويل

استخلاص قيم CN لمدينة الناصرية

يستخدم لتمييز خصائص المطر لنوع معين من التربة والغطاء الأرضي واستخدام الأرض، وتتراوح قيمته بين 1–100 مما يعكس الاستجابة المائية لمكونات المدينة بين النفاذية العالية والمنخفضة. صفر، أسطح المدينة شديدة النفاذية للماء. من أجل الحصول على قيم (CN)، فهي عملية دمج طبقتين من المجموعات الهيدرولوجية للتربة وطبقة أغطية الأرض (استخدامات الأراضي)، بعد ترميز (Gode) لكل طبقة بقيم مختلفة من القيم الموجودة في الطبقة الأخرى بحيث لا يدمج البرنامج الفئات التي سيكون لها القيمة ذاتها. دُمِجَت طبقتان (طبقة استخدامات الأرض وطبقة التربة) من خلال وظيفة (Combine) في برنامج (10.8ARGGIS) التي تظهر من خلالها قيمة (CN) وفق الجدول المُعَدِّ من (SCS) لاشتقاق تلك القيم وعلى النحو الآتي:

Spatial Analyst –– Tools Local – Combine

اشتقَّت قيم منحنى التدفق حسب الغطاء الأرضي من بيانات الجدول المشتق من جدول (6) حسب طبيعة الغطاء الأرضي ووصف استعمالات الأرض حسب (SCS) لاشتقاق قيم منحنى (CN) لمنطقة الدراسة، ثم إنتاج طبقة شبكية (Raster)، والتي تعطي كل قيمة لـ(CN) لونًا معينًا لتمييزها عن بقية القيم الأخرى في شكل أربع فئات. أظهرت نتائج الخريطة (5) أن قيم (CN) للمنطقة تراوحت بين 61–100، والتي قسمت إلى أربع فئات:

الجدول (8) فئات قيم منحنى (CN) لمدينة الناصرية

ت	فئات منحنى قيم (CN)	المساحة/كم^2	النسبة %
1	69–61	**4.64**	**10.92**
2	79 –70	**11.3**	**26.56**
3	88 –80	**9.07**	**21.32**
4	100 –89	**17.53**	**41.2**
	المجموع	42.54	100

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج (10.8) Arc GIS.

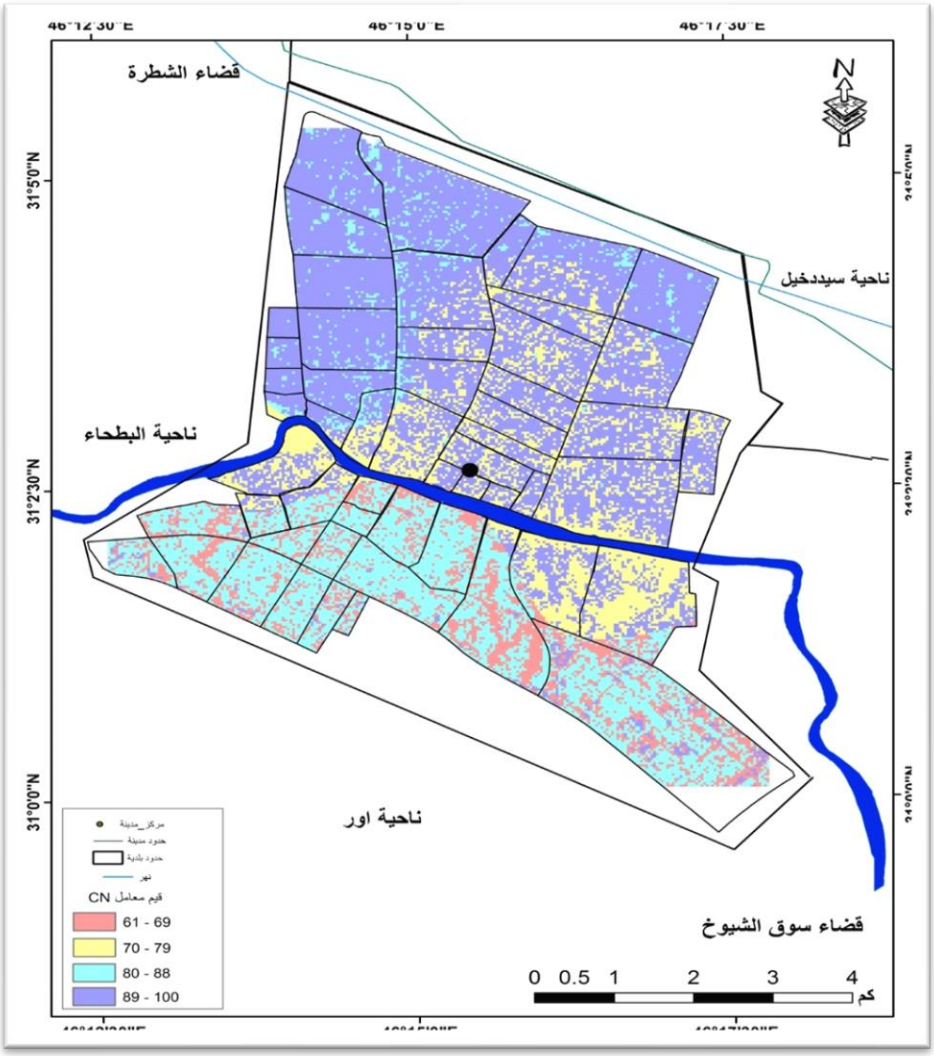
الفئة الأولى: (61–69) تضم هذه الفئة الغطاء الأرضي العشبي المتوسطة والفقيرة، وفيه تزداد استجابة الجريان السطحي لزيادة مسامية التربة، مما يزيد من تشبع التربة بالرطوبة ثم يزيد من معدلات الجريان السطحي الذي يشغل مساحة **4.64** كم^2 ونسبتها**10.92**% من المساحة الكلية.

الفئة الثانية: (70 –79) تشمل هذه الفئة القيم وتسمح بجريان سطحي كلي وتمثل المستنقعات والمدن الرئيسية في منطقة الدراسة، وتشغل مساحة **11.3** كم^2 ونسبة **26.56%** من مساحة منطقة الدراسة.

الفئة الثالثة: (80–88) تحتل مساحة **9.07** كم^2 وبنسبة **21.32%** من المساحة الكلية لمنطقة الدراسة، وهي تؤدي إلى إعاقة الجريان السطحي، إذ يؤدي إلى زيادة سعة تسرب الماء إلى باطن الأرض، وذلك بسبب كثرة الغطاء النباتي، وتمثل هذه الفئة الواقعة على ضفاف الأنهار والتربة الخشنة.

الفئة الرابعة: (89–100) هي الفئة التي تكون الأكثر استجابة للجريان السطحي نتيجة قلة نفاذية التربة وارتفاع درجة انحدارها، والتي تعمل على توليد جريان سطحي، تشكل مواد صلبة لا يمكن امتصاص مياه الأمطار ثم يزداد الجريان السطحي، ثم تشغل أجزاء المناطق السكنية وطرق النقل التي تنخفض فيها نفاذية التربة بسبب الأسطح الإسمنتية والإسفلتية التي تعمل على الجريان السطحي، إذ تأخذ حركة الجريان مستويات عالية وعالية جدًّا في المدينة بلغت مساحتها **17.53**/كم^2، ونسبتها **41.2%**.

الخريطة (5) توزيع فئات قيم المنحنى (CN) لمدينة الناصرية.



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على دمج طبقتي خرائط استعمالات الأرض والترب الهايدرولوجية ومخرجات برنامج (Arc Gis10.8).

الجدول (9) قيم منحنى الجريان وفق طريقة (SCS) لاشتقاق قيم منحنى (CN) لمدينة الناصرية

الغطاء الأرضي واستعمالات الأرض			
قيمة المنحنى CN			
أصناف الترب الهيدرولوجية	C	B	A
نبات طبيعي بحالة جيدة	61	74	80
مستقرات عمرانية وطرق	85	90	92
نبات طبيعي بحالة معتدلة	69	79	84

مستنقعات	100	100	100
غطاء مائي	100	100	100
أراضي زراعية	78	85	89

المصدر: بالاعتماد على المرئية الفضائية باستخدام برنامج Arc GIS 10.8.

حساب الإمكانية القصوى للاحتفاظ بالماء بعد بدء الجريان السطحي (S)

يعبّر المعامل (S) (Potential Maximum Retention After Runoff) عن أقصى قدرة على الاحتفاظ بالمياه في التربة أو الإحساس بالمياه في التربة بعد بدء الجريان السطحي. يصف هذا المعامل حالة التربة المشبعة تمامًا بالماء بعد بدء الجريان السطحي، أي بعد إيقاف عملية النضح. إنه أكبر من الماء في أثناء موجة المطر، بالتالي فإن المعامل s يرتبط بنوع التربة والغطاء الأرضي، وإذا كانت قيم (S) أقرب إلى (0)، فهذا يشير إلى انخفاض قدرة التربة على الاحتفاظ بالمياه بعد الجريان السطحي على السطح تحتفظ التربة بالمياه، لكن هذا يساعد في الحفاظ على الجريان السطحي.

الجدول (10) فئات قيم معامل (S)/ملم لمدينة الناصرية

ت	فئات قيم معامل (S)	المساحة/كم^2	النسبة %
1	31 – 0	**17.53**	**41.2**
2	72 -32	**11.3**	**26.56**
3	114 -73	**9.07**	**21.32**
4	162 -115	**4.64**	**10.92**
المجموع		42.54	100

المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على معادلة المعامل (S) وبالاعتماد على مخرجات برنامج Arc GIS (10.8).

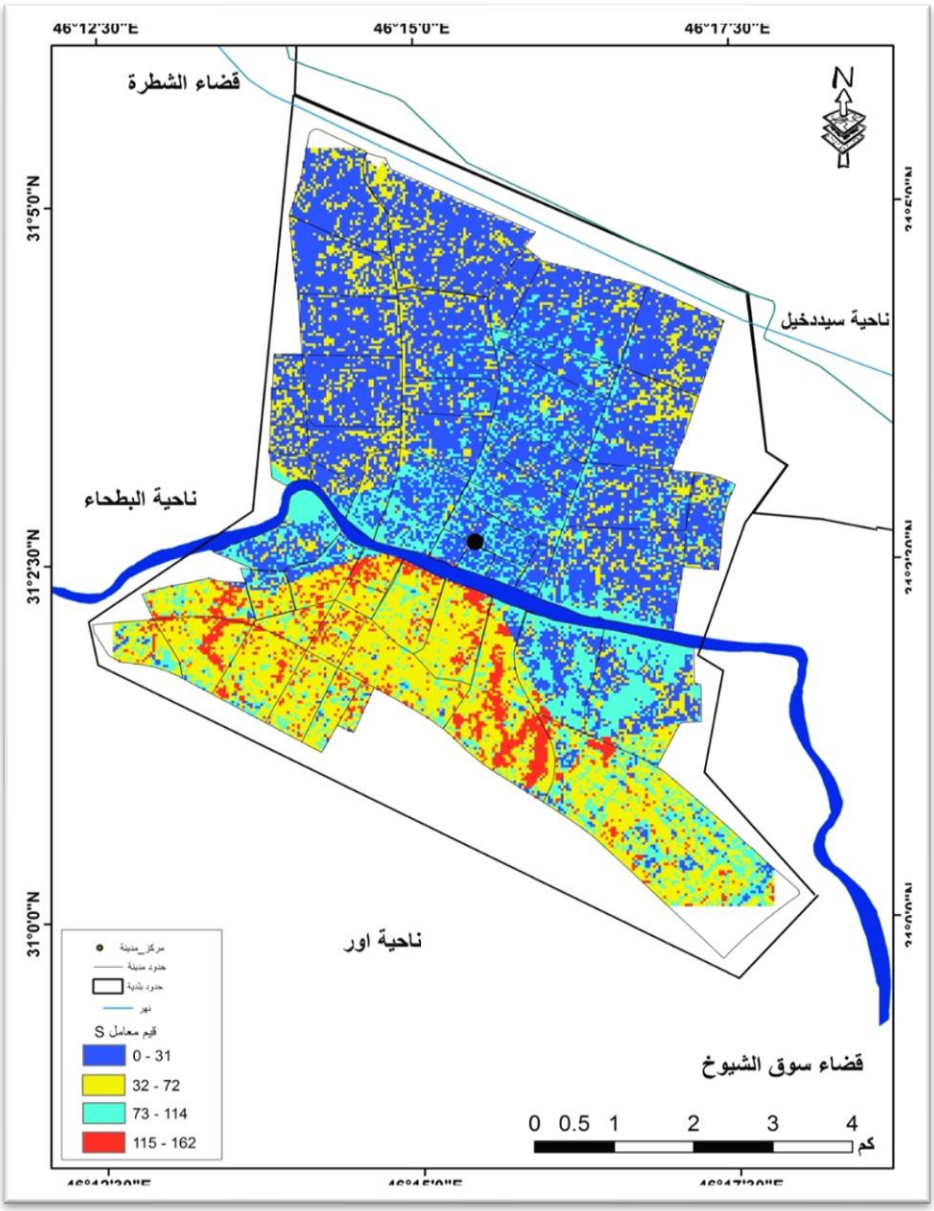
تم حساب قيم (S) بتطبيق المعادلة (4) ويتم حساب قيمة (S) يكون على أساس المعادلة الرياضية الآتية:

$$S = \left[\left[\frac{25400}{CN}\right]\right] - 254 \quad \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots 4$$

باستخدام (rastercalculator) ضمن البرنامج (10.8ArcGIS) وتظهر من الخريطة (6) والجدول (10)، تراوحت قيم المعامل (S) بين (0 – 162)، ثم نجد أن القيم التي تعبر عن المعامل (S) متضمنة أقصى احتمال لاحتباس الماء في التربة بعد بدء الجريان السطحي في المنطقة

المدروسة وصلت إلى إجمالي 18 قيمة، تراوحت بين 0–31 المناطق الأقل قدرة على الاحتفاظ بالمياه على السطح وقيمة 115–162 ملم. المناطق الأكثر قدرة على الاحتفاظ بالمياه هي على السطح، وقسمت إلى 4 فئات، احتلت الفئة 0–31 ملم المساحة الأكبر التي تبلغ **17.53** كم^2 وبنسبة بلغت **41.2**% تشكل أكثر من ثلث المساحة، ولها القدرة على معرفة احتباس الماء، والتي تولد الجريان السطحي إذ تمتد في أحياء المدينة والطرق. أما الفئة 115–162 ملم فهي تمثل أدنى الفئات مساحة تبلغ مساحتها **4.64** كم^2 وبنسبة **10.92**% ولها القدرة على الاحتفاظ بالماء.

الخريطة (6) توزيع قيم معامل (s) لمدينة النصرية.



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على معامل (S) ومخرجات برنامج (ArcGis10.8).

حساب معامل الاستخلاص الأولي (La):

يعبّر معامل الاستخراج الأولي (La) عن كمية مياه الأمطار المفقودة قبل بدء التدفق السطحي، من التبخر أو النباتات التي تم اعتراضها من مياه الأمطار أو المياه المتجمعة، ثم يخزن في المناطق المنخفضة من خلال التسرب هذا المعامل له علاقة وثيقة بالتربة والغطاء الأرضي من خلال علاقته بالمعامل (S) الذي يمثل خمس القيمة (S)، كلما اقتربت القيم من (صفر)، قلّت كمية مياه الأمطار المفقودة قبل بدء التدفق السطحي.

إذ إن Ia تعادل خمس قيمة S فإن Ia تصبح كالآتي:

$$Ia = 0.2S$$

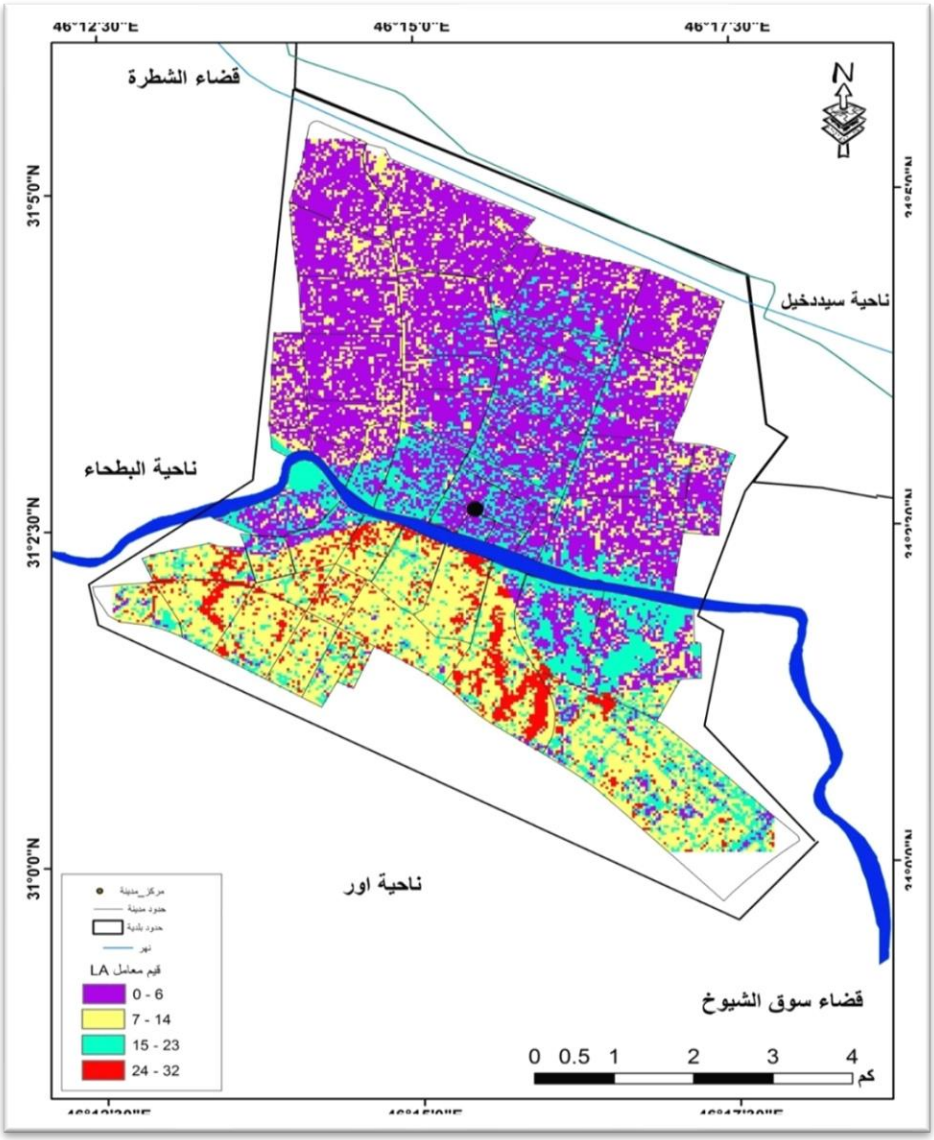
ومن حساب قيمة (Ia) واستخراج نتائج المعادلة في برنامج (Arcgis10.8) ومن خلال أداة (Raster Calculator)). من قائمة المحلل المكاني (Spatial Analyst) تم الحصول على (Raster) ويظهر من الخريطة (6) والجدول (11)، ومن هنا نجد أن قيم (Ia) هي المعامل الذي يتراوح بين (صفر) ملم، أدنى فاقد مبدئي للمياه الجارية، إذ شكلت الفئة (0 –6) ملم أعلى فئة من حيث المساحة ثم بلغت مساحتها (**17.53** كم^2 وبنسبة **41.2**% وهي تشكل نسبةً عاليةً جدًّا من الجريان بالنسبة لحجم المساحة التي تشغلها وقلة فقدان المياه، وهذا يدل على إمكانية الجريان المائي السطحي في أثناء سقوط الأمطار، إذ ظهرت القيم الأقل في المناطق ذات المستقرات البشرية والشوارع، أما الفئة 24– 32 ملم أدنى فئة من حيث المساحة ثم بلغت مساحتها **4.64** كم^2 وبنسبة **10.92**% كأعلى فاقد للمياه، وهذا له انعكاس، إذ نجد أن منطقة الدراسة بأكملها يمكن أن تولد جريانًا سطحيًا بكميات كبيرة، على أساس أن جميع القيم التي ظهرت أقل من المتوسط المذكور أعلاه (50، 8).

الجدول (11) فئات قيم (La) ملم لمدينة الناصرية

ت	فئات قيم معامل (La)	المساحة/كم^2	النسبة %
1	6 –0	**17.53**	**41.2**
2	14 –7	**11.3**	**26.56**
3	23 –15	**9.07**	**21.32**
4	32 –24	**4.64**	**10.92**
المجموع		42.54	100

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على معادلة (La) وبالاعتماد على مخرجات برنامج Arc GIS (10.8).

الخريطة (6): توزيع فئات قيم معامل الاستخلاص الأولي (La) لمدينة الناصرية.



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على معادلة المعامل (La) ومخرجات برنامج (ArcGis10.8).

حساب عمق الجريان السطحي (Q)

يعبِّر عن عمق الجريان السطحي مقدار المياه التي تجري على سطح الأرض من البيانات الطبيعية للمدينة التي تعكس قيم (Ia، S، CN) ومن أجل الحصول على كمية الأمطار (p) التي تُعَدُّ من مدخلات المعادلة لتقدير العمق. من الجريان السطحي (Q)

$$Q=\left[\left[\frac{(p-Ia)^2}{p-Ia+s}\right]\right]$$

إذ إن:

Q= عمق الجريان السطحي (بالبوصة)

P= كمية الأمطار الساقطة (بالبوصة)

Ia= الاعتراض الأولي قبل بدء الجريان السطحي متمثل بالتبخر والتسرب والنبات

S= التجمع السطحي بعد بداية الجريان السطحي (بالبوصة)

وبما أن Ia تعادل خمس قيمة S فإن Ia تصبح كالآتي:

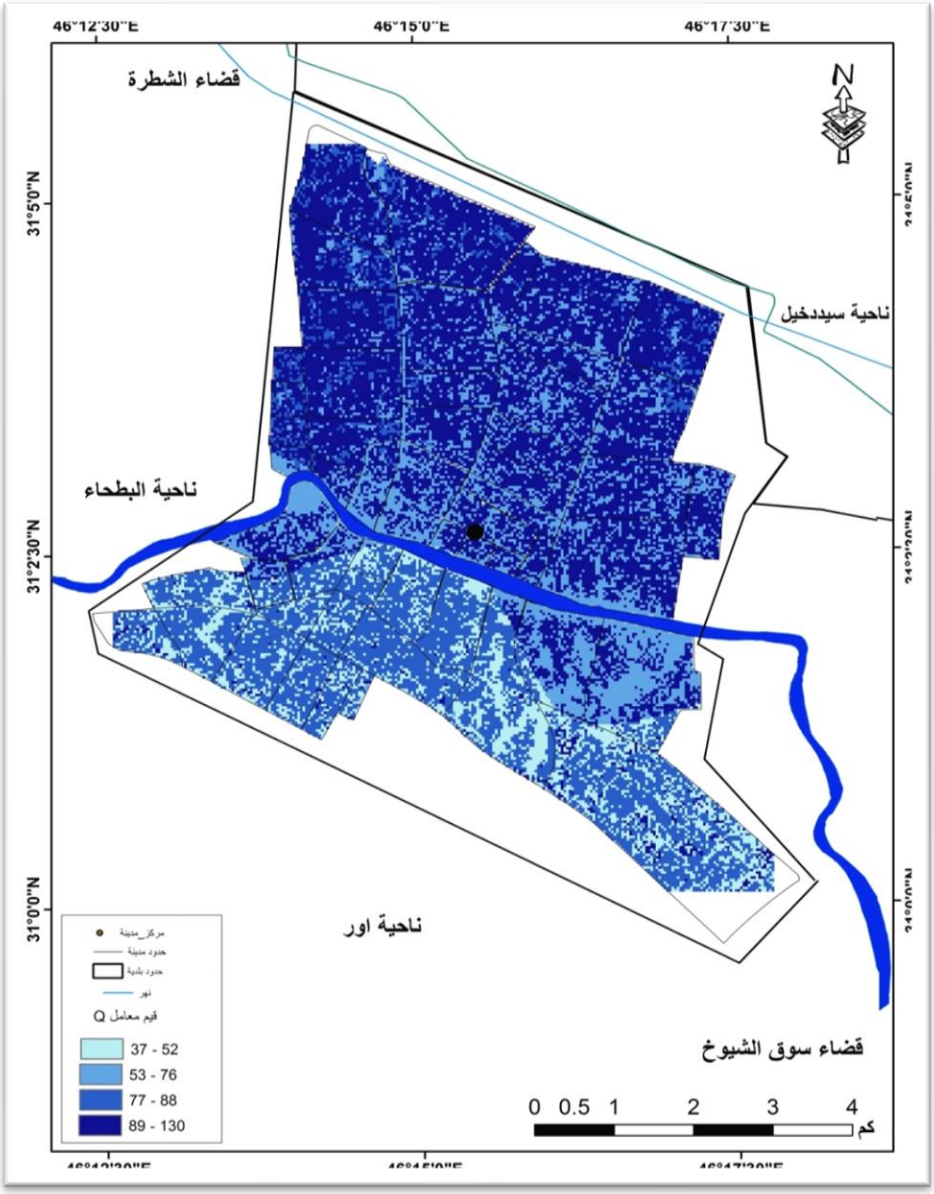
الجدول (12) فئات قيم المعامل (Q)/ملم لمدينة الناصرية.

ت	فئات قيم معامل (Q)	المساحة/كم^2	النسبة %
1	52- 37	**4.64**	**10.92**
2	76 -53	**9.07**	**21.32**
3	88 -77	**11.3**	**26.56**
4	130 -89	**17.53**	**41.2**
المجموع		**42.54**	**100**

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على معادلة (Q) وبالاعتماد على مخرجات برنامج Arc GIS (10.8).

استُخدِمَت عملية (Map Algebra) باستخدام حاسبة الخلوية (Raster Calculater) ضمن وضائف المحلل المكاني(Spatial Analyst) ضمن برنامج (ArcGIS-10.8)، ثم أُدخِلَت صيغة المعادلة الرياضية (1) من أجل الحصول على طبقة لعمق الجريان السطحي (ملم)، ويظهر من الخريطة (7) والجدول (12) بتطبيق المعادلة أعلاه والاعتماد على العواصف المطرية التي هطلت في المنطقة بتاريخ 19/5/2018 في خلال موسم الأمطار 2019/2018، والتي بلغت 138 ملم في المحطة (s1) و134 ملم داخل المحطة (s2) و130 ملم في المحطة (s3) و124 ملم في المحطة (s4) و124 ملم في المحطة (s4). أظهرت النتائج وجود تباين في قيم عمق الجريان السنوي في منطقة الدراسة والتي قسمت إلى أربع فئات. تراوحت قيم عمق الجريان السطحي بين 37-130 وقسمت هذه القيم إلى أربع فئات، إذ شكلت الفئة الرابعة 89-130 وتشكل أكبر مساحة من منطقة الدراسة إذ بلغت **17.53** كم^2 ونسبتها **41.2**% من إجمالي مساحة منطقة الدراسة، تتمثل هذه الفئة، المناطق السكنية وطرق النقل التي تنخفض فيها نفاذية التربة بسبب الأسطح الإسمنتية والإسفلتية التي تعمل على الجريان السطحي، إذ وجد أن أدنى مساحة الفئة الأولى إذ بلغت 37-52/ملم وبلغت **4.64** كم^2 ونسبتها 10.92% من المساحة الكلية لمنطقة الدراسة، إذ غطت قيم عمق الجريان السطحي أغلب مساحة المدينة لقيم معامل (Q).

خريطة (7) توزيع فئات قيم المعامل (Q) لمدينة الناصرية.



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على معادلة (Q) ومخرجات برنامج (ArcGis10.8).

حساب حجم الجريان السطحي (Qv)

لتقدير حجم الجريان السطحي أهمية كبيرة في الدراسات الهيدرولوجية، إذ تُحَدَّد المناطق الأكثر عرضة لغمر المياه، بالتالي يمكنك تحديد أنسب المواقع لاقتراح مواقع السدود وخزانات المياه، ويمكن تحديد المناطق المحتملة لخطر الفيضان، التدفق وقد تم تقدير حجم الجريان المائي السطحي في منطقة الدراسة من عاصفة مطرية مؤثرة ووفقًا لنتائج عمق الجريان، باستخدام المعادلة التالية:

$$Qv = (Q * A/1000$$

إذ إن:

Qv= حجم الجريان السطحي

Q= عمق الجريان السطحي/ملم

A= مساحة المنطقة/كم2

1000=معامل التحويل.

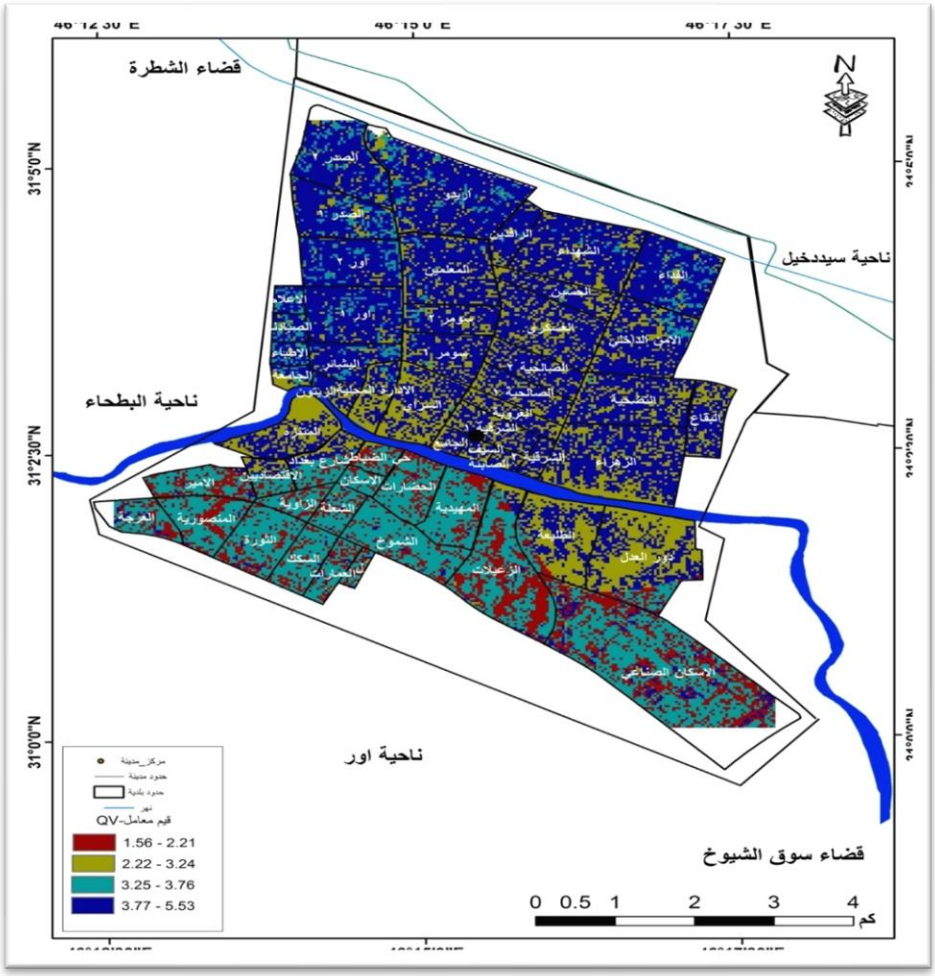
تم حساب حجم الجريان السطحي (Qv) وفقًا للمعادلة المذكورة سابقًا (5)، باستخدام برنامج (10.4.2ArcGis) بناءً على حسابات عمق الجريان السطحي (Q) لكل بكسل بأبعاد (30 × 30) مترًا، والتي تعطي مساحةً ثابتةً لجميع البكسلات تبلغ 900 م^2.ومن الخريطة (8) والجدول (13) كانت قيمة المعامل (Qv)/م 3 للمدينة شكلت 73.23539/م 3، وقيم المعامل(Qv) إذ اتضح أن أعلى قيمة حجم جريان سطحي قيم الفئة وقد بلغت 3.77− 5.53/م 3 أكبر مساحة فيها والتي بلغت 17.53/كم^2 ونسبتها 41.2%، إذ تمثل المستقرات البشرية وطرق النقل والأسطح الإسمنتية والإسفلتية، وأسقف، ومواقف سيارات، وأرصفة، التي تعمل على الجريان السطحي وهي المناطق التي الأكثر قدرة على توليد الجريان السطحي في منطقة الدارسة، مما يؤدي إلى زيادة فرص الفيضان والسيول، إذ شكلت قيم الفئة 1.56−2.21/م 3 أصغر مساحة والتي تبلغ 4.64/كم^2 بنسبة بلغت 10.92%، تم تمثيلها من خلال التربة ذات الغطاء النباتي في حالة متوسطة وفقيرة، وكذلك أجزاء من التربة الفيضية، تُعَدُّ تربة هذه المجموعة من أكثر أنواع التربة نفاذًا في مناطق الدراسة، إذ تتكون من تربة ذات طبقة رملية ونسبة عالية من الرمل، وبنسبة عالية من خاصيتين وذات حجم جريان قليل، بناءً على ما سبق، نجد أن قيم حجم الجريان السطحي المذكورة أعلاه (QV) تعكس إلى حد ما قدرة المدينة على توليد كميات كبيرة من المياه السطحية الجارية الناتجة عن هطول الأمطار، وكذلك مساحة منطقة الدراسة إجمالي المياه السطحية، يحدث هذا النوع من الفيضانات من عدة ثوانٍ إلى عدة ساعات.

الجدول (13) فئات قيم المعامل (QV)/ملم لمدينة الناصرية.

ت	فئات قيم معامل (QV)	المساحة/كم^2	النسبة %
1	2.21−1.56	**4.64**	**10.92**
2	3.24 −2.22	**9.07**	**21.32**
3	3.76 −3.25	**11.3**	**26.56**
4	5.53 −3.77	**17.53**	**41.2**
المجموع		**42.54**	**100**

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على معادلة (Q) وبالاعتماد على مخرجات برنامج Arc GIS (10.8).

خريطة (8) توزيع فئات قيم المعامل (QV) لمدينة الناصرية.



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على معادلة (QV) ومخرجات برنامج (ArcGis10.8) ومخرجات برنامج (ArcGis10.8).

السعة البيئية لمخاطر الفيضان على الأحياء السكنية في مدينة الناصرية

تُعَدُّ نمذجة الخرائط في نظم المعلومات الجغرافية ذات أهمية كبيرة في البحث العلمي، كونها إحدى الوسائل التي تعالج وتراقب الظاهرة الجغرافية. واقع وتطوير قاعدة إعلامية جغرافية للخريطة الهيدرولوجية أهمية النمذجة الخرائطية عندما يكون من الممكن التغلب على مشاكل إنشاء نموذج مكاني يكمل التوحيد القياسي في الخرائط وبناء قاعدة بيانات جغرافية، ولكي تأخذ الدراسة منهجها العلمي القائم على المحاكاة والواقع، اعتُمِد بشكل أساسي على برنامج نظم المعلومات الجغرافية GIS والبرامج السائدة الأخرى، التي تفيد الدراسة لبناء قاعدة بيانات جغرافية على أساس الخرائط لغرض التحليل المكاني، لتحديد درجة مخاطر الفيضانات في منطقة الدراسة. بدورها العوامل التي تؤثر سلبًا وإيجابًا في حدوث الفيضانات في منطقة الدراسة، وتتمثل هذه العوامل في تضاريس المنطقة ومنسوب المياه وشبكة مياه الأمطار وعوامل أخرى.

تُعَدُّ الفيضانات ظاهرةً هيدرولوجيةً طبيعيةً تؤثر على الفعاليات الحيوية للإنسان وتزداد أخطارها في المناطق الحضرية. ناهيك عن دورها البارز في اختلال التوازن البيئي، فقد شهدت بعض مناطق الناصرية فيضانات، آخذة طبيعة الفيضانات المفاجئة التي تنتقل من الصفر إلى الذروة في خلال أجزاء من ساعة أو في غضون ساعات قليلة، وبعضها كان الآثار الكارثية والخسائر البشرية والمادية. تكررت هذه الفيضانات سنويًّا تقريبًا في خلال السنوات الخمس الماضية دون إدارة المخاطر بشكل فعال. إن مدينة الناصرية من المناطق التي تتأثر بفيضانات موجة العاصفة المطرية، وذلك لسببين رئيسيين: أولهما انحسارها الطوبوغرافي، والثاني قرب المنضدة أو الفرشة المائية من السطح، والتي تصل في خلال فترة قصيرة من فترة التساقط إلى التشبع مما يمنع الماء من التسرب إلى الأرض ثم يتجمع الماء في المنخفضات الواسعة.

العاصفة المطرية تعرف بأنها كمية المياه الساقطة في منطقة في خلال فترة زمنية محددة، تقدر إما بالساعة أو بعدة ساعات، وتفيد دراسة العاصفة المطرية في تقدير حجم الجريان السطحي الناتج من خلال حدوث العاصفة المطرية المعينة. وقد اعتُمِدَت بيانات محطات الدراسة في تحليل الأمطار للفترة 2018–2019 واعتُمِد على استخدام فرضية صيانة التربة في الولايات المتحدة، conservation service (Soil) والمعروفة بِاسم (SCS–CN)، لتقدير عمق الجريان السطحي التقدير حجم الجريان والتصريف، وترتبط بالعوامل المناخية وقدرة المناخ على تكوين الأمطار والعواصف، التي يمكن أن تسقط كميات كبيرة من الأمطار التي تتجاوز قدرة على الاحتفاظ بها وتصريفها، كما حدث في 2019/5/19، قد هطلت الأمطار 56 ملم في الساعة 1 ظهرًا 59 ملم في الساعة 2 ظهرًا، 16ملم في الساعة عصرًا و7 ملم في الساعة 4 عصرًا، فقد كان هطول الأمطار

نحو 138 ملم في خلال 4 ساعات، أدت هذه الأمطار الغزيرة إلى التكوين السريع للفيضانات وغمر أجزاء كبيرة من المدينة.

بعد إدخال الخرائط في نظام المعلومات الجغرافية، تظهر عملية رسم الطبقات، وتُرسَم كل طبقة على حدة لأنها تمثل ميزةً مكانيةً لا يمكن تكرارها، وبتحديد المعالم والظواهر المكانية النقطية والخطية والمساحية في منطقة الدراسة رُسِمَت الطبقات الرئيسية لمنطقة الدراسة، وطبقات من نوع منهجية بهيئة ملف وحفظة بهيئة Raster، بعدها تُصنَّف الطبقات في برنامج الـ Arc Map.

- طبقة نمذجة الأمطار – Geostatistical Analyst مواقع المحطات rain ومن ثم التحويل إلى صيغة الـ Raster.
- طبقة سعة التصريف – حدود البلدية – وعمل طبقات من نوع منهجية Vector بهيئة ملف Shapefile وحفظة بهيئة polygon وبعدها تم عمل –Arctoolbox–Conversiontools to raster – Polygon to Raster– ومن ثم التحويل من صيغة الـ Raster.
- طبقة حجم الجريان السطحي QV – والتي استُخلِصَت Arc tool box –، باستخدام عملية (MapAlgebra) باستخدام حاسبة الخلوية (RasterCalculater) ضمن وضائف المحلل المكاني (SpatialAnalyst) ضمن برنامج الـArc Map ومن ثم التحويل من صيغة الـRaster.

بعدها تُدمَج الطبقات Layers بخارطة نهائية تمثل الإخراج النهائي لمجموعها وذلك باتباع الآتي:

Arc tool box – Overlay – Weighted Sum، إذ تُدمَج الطبقات المدخلة في برنامج نظم المعلومات الجغرافية الـGIS لتحديد درجات خطورة الفيضانات، والتي تُقسم إلى ثلاث فئات ينظر إلى الخريطة (9) والجدول (14).

1- مناطق شديدة الخطورة: ضمن الفئة 5، 127 – 23، 613م3 التي شكلت مساحة قدرها20.37/ كم وبنسبة 47.87% من مساحة المدينة، ويتضح لنا بأن صوب الجزيرة أكثر تضررًا من شدة الفيضانات من تجاه صوب الشامية، إذا كانت مستويات الخطر تغطي درجة الخطر معظم أجزاء منطقة الدراسة، والمتمثلة في أكثر من 27 حيًّا سكنيًّا أهمها مركز مدينة الناصرية، ويتسبب في حدوث فيضانات في الشوارع والمباني والمحلات التجارية، بسبب عدم وجود شبكات أو سوء عمل الشبكة، نتيجة استخدام أقطار صغيرة 200، وهذا يؤدي إلى الطفح المتكرر والانسدادات الحاصلة.

جدول (14): السعة التصريفية لمخاطر الفيضان.

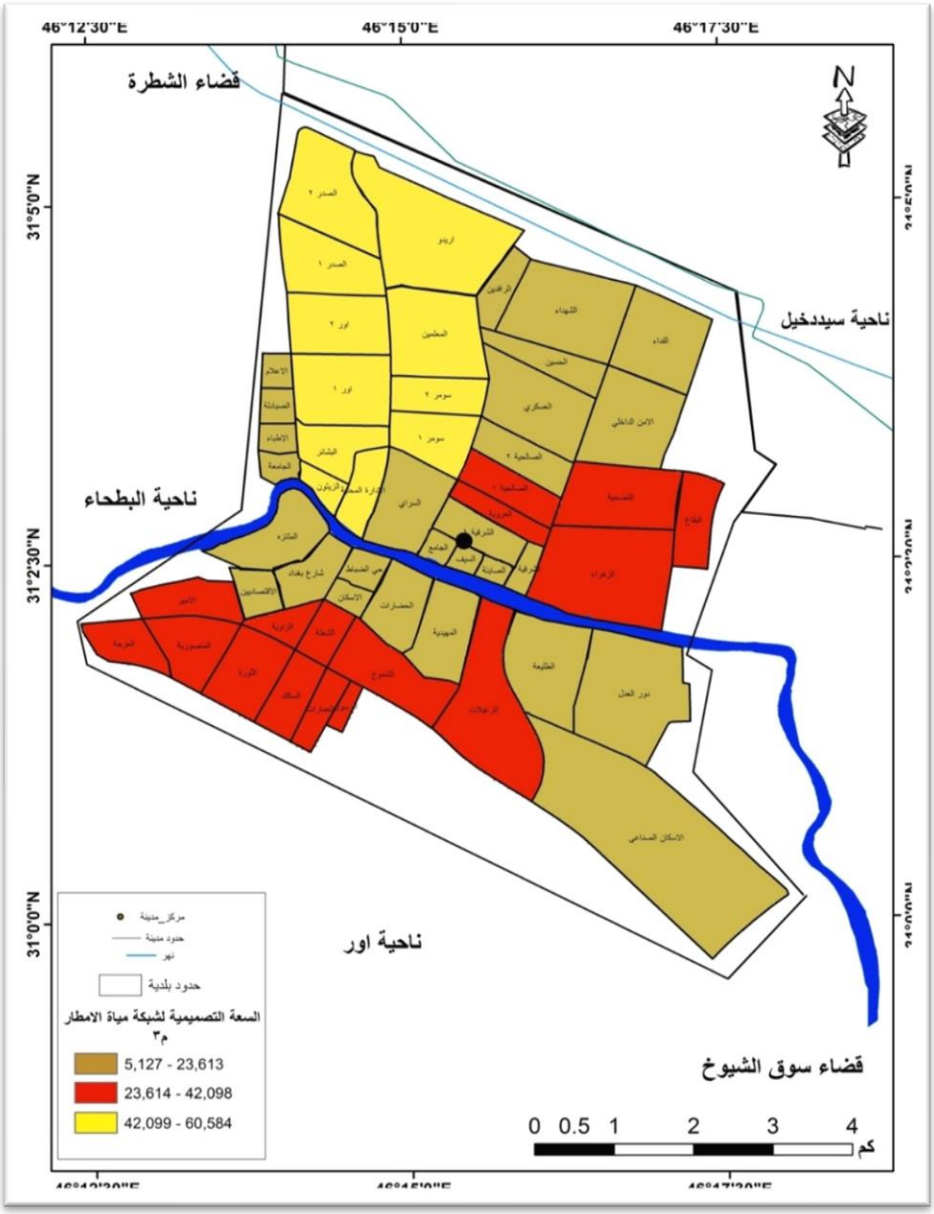
ت	السعة التصريفية/م3	المساحة/كم^2	النسبة %
1	5، 127 – 23، 613	20.37	47.87
2	23، 614 – 42، 098	11.82	27.79
3	42، 099 – 60، 584	10.35	24.34
	المجموع	42.54	100

المصدر: من عمل الباحث، بالاعتماد على، مديرية مجاري ذي قار، قسم التخطيط والمتابعة، ومخرجات برنامج (ArcGis10.8).

2- مناطق متوسطة الخطورة: وتقع ضمن الفئة 23، 614 – 42، 098م3/ التي شكلت مساحة قدرها11.82/كم^2 وبنسبة 27.79% من مساحة المدينة، ومستويات الخطر فيها تغطي درجة الخطر من معظم أجزاء منطقة الدراسة والمتمثلة في أكثر من 16 حيًا سكنيًا.

3- مناطق قليلة الخطورة: وتقع ضمن الفئة 42، 099 – 60، 584م3/ التي شكلت مساحة قدرها10.35/كم^2 وبنسبة 24.34% من مساحة المدينة، ومستويات الخطر فيها تغطي الأحياء السكنية، كما تغطي درجة الخطر معظم أجزاء منطقة الدراسة والمتمثلة في أكثر من 11 حيًا سكنيًا.

خريطة (9) السعة البيئية لمخاطر الفيضان على الأحياء السكنية في مدينة الناصرية.



المصدر: من اعداد الباحث، بالاعتماد على، مديرية مجاري ذي قار، قسم التخطيط والمتابعة، ومخرجات برنامج (ArcGis10.8).

من خلال التحليل أعلاه نستنتج أن العواصف المطرية، بسبب كميتها وفجائية سقوطها، بسبب العوامل المسببة ومدى قوة العواصف ونوعيتها التي تؤدي إلى وجودها. إذ كانت مستويات الخطر، تغطي درجة الخطر معظم أجزاء منطقة الدراسة، ويتسبب في حدوث فيضانات في الشوارع والمباني والمحلات التجارية أن الخطوط الرئيسية والفرعية في مدينة الناصرية تتكون من شبكة تصريف مياه الأمطار، أي تضم المياه المشتركة ومياه الأمطار والتي تخدم أغلب أحياء المدينة، وهي قطاع الجزيرة الغربي والشمالي والقطاع المركزي وبعض من أحياء قطاع الشامية الغربي والجنوبي الشرقي، إذ إن القدرة على امتصاص شبكات تصريف مياه الأمطار تكون ضعيفة، مما يؤدي إلى حدوث طفح في

شوارع مدينة الناصرية، لا سيما أن شبكة مجاري الناصرية بدءًا من الخطوط الرئيسية وانتهاءً بالخطوط الفرعية، تواجه عجزًا واضحًا في عملها بسبب الشبكة القديمة من ناحية، وعدم توافق سعة الأنابيب والكثافة السكانية من ناحية أخرى، ودور التيار الكهربائي كأساس عامل في حسن سير الشبكة.

النتائج:

1. اشتُقَّت أصناف الغطاء الأرضي في المدينة من المرئية الفضائية (Sentinel-2) المرصودة بتاريخ 2022/4/25، وصُنِّفَت وفق تقنيات برنامج (Arcmap GIS10.8). لا بد من تكامل ظهور الغطاءات الأرضية في مدينة الناصرية.

2. تراوحت قيم (CN) في مدينة الناصرية بين (61-100)، إذ إن معظم القيم العالية لـ (CN)، مما يدل على عدم نفاذية تربتها وارتفاع معدلات الجريان السطحي في المدينة، مما يعني أن نسبة كبيرة من منطقة ما معرضة لفيضان، وأظهرت نتيجة تطبيق معادلة حجم الجريان السطحي وفق طريقة (SCS) وجود تباين في قيم هذا المعامل داخل منطقة الدراسة حسب الظروف المناخية بالإضافة إلى طبيعة الغطاء الأرضي وكثافة الغطاء النباتي ومستوى المدينة، إذ سُجِّلَت أعلى فئة من حجم الجريان السطحي ضمن الفئة الرابعة (89-100) وهي الفئة الأكثر استجابة للجريان السطحي، نتيجة قلة نفاذية التربة وارتفاع درجة انحدارها، مما يعمل على توليد الجريان السطحي وتشكيل مواد لا تستطيع امتصاص مياه الأمطار، ثم يزداد الجريان السطحي، ثم يحتل أجزاء من المناطق السكنية وطرق النقل التي تتناقص فيها. نفاذية التربة بسبب الأسطح الإسمنتية والسقوف التي تعمل على الجريان السطحي، إذ تأخذ حركة التدفق مستويات عالية في المدينة، بمساحة 17.53/كم^2، ونسبتها 41.2%.

3. توصلت الدراسة إلى المساحات المعرضة لاحتمالية مخاطر الفيضان في ضمن أحياء المدينة، إذ لوحِظ وجود تباين في مستوى الخطر في مدينة الناصرية، ضمن مساحة منطقة الدراسة، لذا فقد صنفت إلى ثلاثة أصناف، وذلك حسب مستوى خطورتها، إذ بلغت نسبة 47.87% من مساحة الخطورة، تغطي درجة الخطر في معظم أجزاء منطقة الدراسة. أما بالنسبة مساحة الأحياء المتوسطة الخطورة، فقد شكلت نسبة بلغت 27.79% من مساحة المدينة، بينما شكلت مساحة الأحياء مناطق قليلة الخطورة نسبة بلغت 24.34% من مساحة المدينة.

التوصيات:

1. نظرًا للأهمية الهيدرولوجية لمدينة الناصرية، يجب تحديث الأجهزة المخصصة لتسجيل العناصر المناخية في محطات الطقس، خاصةً مقاييس المطر وإدخال أحدث التقنيات في قياس العناصر

المناخية، وضرورة تدريب العاملين على كيفية استخدام هذه الأجهزة وصيانتها بطريقة تضاهي الدول المتقدمة، في هذا المجال ومن خلالها ربط المحطات بالإنترنت من أجل بناء قاعدة بيانات للأمطار يمكن الاعتماد عليها في الدراسات المناخية والهيدرولوجية لمنطقة الدراسة.

2. استعداد وتنظيف شبكة المجاري، وفتح السدود قبل بداية كل موسم مطير، تفاديًا لحدوث الفيضان في أحياء وشوارع مدينة الناصرية على أقل تقدير، والعمل على زيادة عدد المركبات التابعة لمديرية مجاري ذي قار مع المحافظة عليها بشكل مستمر، نظرًا لاستعدادها المستمر خاصةً في أوقات هطول الأمطار.

3. يجب العمل وفق التطور العالمي، ومحاولة جعل شبكة مياه الأمطار في مدينة الناصرية مماثلة لشبكات الدول المتقدمة، سواءٌ على أساس المهلة الزمنية المحددة لتخطيط هذه الشبكة وصيانتها المستمرة.

4. يجب العمل على فصل شبكة مياه الأمطار عن شبكة مياه الصرف الصحي، سواءٌ كانت الفرعية أو الرئيسية، وتوفير مضخات لها ومحطات الشبكة المدينة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: الكتب:

1. صفاء عبد الأمير رشم الاسدي، جغرافية الموارد الطبيعية، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، 1964.

ثانيًا: رسائل وأطاريح:

1. حسن سوادي نجيبان الغزي، تغيرات الغطاء الأرضي لمنطقة هور الحمار للمدة 1973–2008، باستخدام الاستشعار عن بعد، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة البصرة، 2010، ص 114.

2. سرى حسين محسن، جيومورفولوجية حوض وادي نيدوش، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2018.

3. شيماء باسم عبد القادر الحيالي، هيدرولوجية الوديان المائية التي تصب في نهر دجلة/محافظة نينوى، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل، 2015.

4. صهيب حسن خض، بناء أنموذج جغرافي للجريان السطحي في الجزء الشمالي من منطقة الجزيرة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، 2005.

5. عصام طالب عبد المعبود السالم، خصائص ترب محافظة ميسان دراسة في جغرافية التربة، رسالة ماجستير، كلية الداب، جامعة البصرة، 1989.

6. علي طالب حمزة الطائي، المخاطر الهيدروجيومورفولجية شرقي العراق بين نهري ديالى والكرخة باستخدام التقانات الجغرافية الحديثة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2022.

7. عيون عبد المحسن جاسم الموسوي، هيدرولوجية احواض الأنهار المغذية لهور الحويزة وعلاقتها بحجم التساقط المطري شرق محافظة ميسان، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، 2021.

8. نادية قاسم محمد الزرفي، التقييم الهيدرولوجي لإمكانية حصاد مياه الأمطار في بادية المثنى (وادي الغضاري)، بغداد: جامعة المثنى، رسالة ماجستير غير منشورة، 2021.

9. هبة صاحب دخيل عودة الحسناوي، الخريطة الهيدرولوجية لمدينة الناصرية وتأثيراتها البيئية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، بغداد: جامعة ذي قار، رسالة ماجستير غير منشورة، 201.

10. هيفاء محمد النفيعي، تقدير الجريان السطحي ومخاطرة السيلية في الحوض الأعلى لوادي عرفة شرق مكة المكرمة بوسائل الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية، الرياض: جامعة أم القرى، رسالة ماجستير غير منشورة، 2010.

ثالثًا: البحوث والدوريات والتقارير

1. إسحاق صالح العكام، أحمد هاشم السلطاني، الجريان السطحي في حوض وادي الجباب باستخدام تقنيات الجغرافية، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 21، العدد 4، 2018.

2. دلي خلف حمبد وسبعاوي خميس كعود، تحليل الخصائص الهايدرولوجية لحوض وادي الحمدانية باستخدام طريقة (SCS)، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم الجغرافية، مجلة جامعة تكريت، المجلد، (25)، العدد (11)، 2018.

3. علي محسن كامل الشريفي وزهراء مهدي عبد الرضا العبادي، بناء نموذج الجريان السطحي لحوض وادي مزعل بطريقة (SCS-CN)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة القادسية، المجلد 21، العدد 4، 2018.

4. مكي غازي عبد الطيف المحمدي واسامة خزعل الشريفي، نمذجة الخرائط الرقمية الهيدرولوجية الاستنتاجية لمحافظة الأنبار باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية GIS، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد 1، 2015.

5. هالة حاكم محمد وسعدي عبد عودة، تقدير حجم الجريان السطحي لحوض وادي الولج باستخدام نموذج (SCS – CN)، جامعة الأنبار، كلية التربية للبنات، مجلة جامعة الأنبار، العدد 4، المجلد 2، 2021.

6. زيد زكارنة، فيضانات مدينة عمان الاسباب والحلول، صحيفة نيسان، 2019/3/2.

رابعًا: المصادر الرسمية

1. جمهورية العراق– وزارة البلديات، لهيئة العامة للمساحة، مديرية التخطيط العمراني ذي قار، 2021.

2. جمهورية العراق، وزارة الإسكان والإعمار والبلديات العامة، مديرية مجاري ذي قار، قسم التخطيط والمتابعة، بيانات غير منشورة، 2021.

3. جمهورية العراق، وزارة الإسكان والإعمار والبلديات العامة، مديرية مجاري ذي قار – وحدة نظم المعلومات GIS، بيانات غير منشورة، 2021.

4. جمهورية العراق، وزارة الإسكان والإعمار والبلديات العامة، مديرية مجاري ذي قار، شعبة التشغيل، بيانات غير منشورة، 2021.

خامسًا: باللغة الإنكليزية

5. Richard H. Mc Cuen، Hydrologic Design، Second Edation، Prentice Hall, Saddke River, New Jersey1998 ،07458.

6. Johns، St، Technical publication agulde to SCS runoff procedures, department of water resources، river watet management district No, 1985.

جولات التصعيد الإسرائيلية ضد حركة الجهاد الاسلامي وأثرها على الأداء العسكري لسرايا القدس 2012-2022

The Israeli Rounds of Escalation against the Islamic Jihad Movement and their Effects on the Military Performance of Al-Quds Brigades 2012-2022

محمود حلمي حسن الفقعاوي: باحث سياسي، وطالب دكتوراه جامعة القران الكرم وتأصيل العلوم – السودان

Mahmoud Helmy Hassan Al-Faqawy: political researcher and doctoral student at the University of the Holy Qur'an and the Rooting of Science – Sudan

Email: mhaorrm@hotmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مراحل تطور حركة الجهاد الإسلامي، وعلى جولات التصعيد التي شنتها قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد حركة الجهاد الإسلامي، ومدى أثر هذه الجولات على الأداء العسكري لسرايا القدس، وستعنى الدراسة بجولات التصعيد وليس الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد قطاع غزة، حيث ستركز الدراسة على أسباب كل جولة ونتائجها. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج أهمها: تطور الأداء العسكري لسرايا القدس بشكل ملحوظ، وعدم تأثر الأداء العسكري لسرايا القدس رغم العدد الكبير من جولات التصعيد التي خاضتها منفردة ضد الاحتلال وتثبيت الحركة قاعدة الرد على جرائم الاحتلال، وعدم السماح بالتغول على الدم الفلسطيني، وفشل محاولات الاحتلال دفع الحاضنة الشعبية للمقاومة إلى الانفضاض عنها بل زادت هذه الحاضنة تمسكاً بخيار المقاومة.

الكلمات المفتاحية: المقاومة الفلسطينية، حركة الجهاد الإسلامي، جولات التصعيد، سرايا القدس

Abstract:

This study aims to shed the light on the development stages of the Islamic Jihad Movement. Also, the study targets the effects of the rounds on the military performance of Al-Quds Brigades. This study focuses on the rounds of escalation in particular, not the wars which Israel has conducted against the Gaza Strip, so the study concentrates on the reasons and results of each round. In order to achieve the purposes of the study, the researcher used the hostorical approach and the descriptive_ analytical one, as well. The study revealed some conclusions, as: the notable development of the military performance of Al_Quds Brigades dispite the large number of the escalation rounds that have been experienced by its own against the occupation.

Keywords: Palestinian resistance, The Islamic Jihad Movement, rounds of escalation, Quds Brigades.

الإطار المنهجي للدراسة:

مقدمة:

انسحبت قوات الاحتلال الإسرائيلي من قطاع غزة عام 2005 وأخلت المستوطنات التي كانت فيه، ومنذ ذلك الانسحاب وهي تنفذ عمليات عسكرية في القطاع من حين لآخر، بعضها تحول إلى حروب استمرت أسابيع وخلفت آلاف الشهداء.

وشنت إسرائيل منذ عام 2008 الى عام 2022، أربعة حروب ضد قطاع غزة خلفت الاف الشهداء والجرحى والبيوت المهدمة، بدأت بعملية (الرصاص المصبوب) في ديسمبر 2008، مروراً بعملية (عامود السحاب) في نوفمبر 2012، وعملية (الجرف الصامد) في يوليو 2014 والتي استمرت واحد وخمسون يوما، ثم آخرها (عملية حارس الاسوار) "سيف القدس" في مايو 2021.

"جميع المسميات السابقة للحروب حسب التسمية الإسرائيلية، أما الفلسطينيين فقد أعطى كل فصيل اسماً خاصاً به للحرب ما عدا " سيف القدس" كان اسما موحداً للجميع".

ولم تكتف إسرائيل بتلك الحروب المدمرة، بل قامت بين تلك الحروب بجولات تصعيد متعددة ضد المقاومة الفلسطينية، أغلبها كانت ضد حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، والتي دخلت تلك الجولات للرد على الاعتداءات الإسرائيلية والاغتيالات بحق أبناء الشعب الفلسطيني. ونفذ الاحتلال الاسرائيلي العديد من عمليات الاغتيال للكوادر الفاعلة في حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري سرايا القدس في الضفة وغزة، حيث تم اغتيال أكثر من قائد عسكري، كان آخرهم القائدان العسكريان في سرايا القدس "تيسير الجعبري" و"خالد منصور"، ويأتي ذلك ضمن سياسة الردع الإسرائيلية التي تنتهجها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، ظناً منها ان المقاومة ستنتهي أو ستتراجع.

لكن المقاومة دائماً تتخذ المبادرة، وتظهر كل أشكال الصمود ليتحقّق توازن الردع، لذلك باتت "إسرائيل" تحسب حساباً لأي عمل عسكري ستقوم به. وطورت المقاومة من قدراتها العسكرية، خاصة في تحديد أهداف الصواريخ ومداها، واستطاعت إيقاع عدد كبير من القتلى الإسرائيليين في الجولات التصعيدية، وخلق معادلات من التوازن في الرعب والردع.

إشكالية الدراسة:

تنبع إشكالية الدراسة في تحليل أثر جولات التصعيد الإسرائيلية ضد حركة الجهاد الإسلامي، وأثرها على الأداء العسكري لسرايا القدس، ويتمثل السؤال الرئيس للدراسة.

ما أثر الجولات التصعيدية الإسرائيلية ضد حركة الجهاد الإسلامي على الأداء العسكري لسرايا القدس؟

ويتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما مراحل نشأة وتطور حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين؟

2- ما موقف الاحتلال الإسرائيلي من حركة الجهاد الإسلامي؟

3- ما أهم الجولات التصعيدية التي شنتها اسرائيل ضد حركة الجهاد الإسلامي؟

4- ما أثر الجولات التصعيدية ضد حركة الجهاد الإسلامي على الأداء العسكري لسرايا القدس؟

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المناهج التالية :

- **المنهج التاريخي:** وهو "المنهج الذي يوظف التاريخ إما من أجل معرفة علمية لأحداث الماضي أو لمصلحة البحث العلمي لواقع الظواهر المعاصرة، ذلك أن حاضر الظاهرة لا ينفصل عن ماضيها، بل هو امتداد لها، ولكل نظام اجتماعي تاريخه الخاص، لأن الإقرار بمبدأ التطور معناه أن المجتمعات تنمو وتتغير عبر الزمان" (أبراش، 1999: 137). وتم استخدام هذا المنهج في البحث للتعرف على مراحل تطور حركة الجهاد الإسلامي وتاريخ الجولات التصعيدية للمقاومة مع الاحتلال الإسرائيلي.

- **المنهج الوصفي التحليلي:** "يرتكز هذا المنهج على وصف دقيق وتفصيلي لموضوع محدد وعلى صورة نوعية أو كمية رقمية، وقد يقتصر هذا المنهج على وصف وضع قائم في فترة زمنية محددة أو تطوير يشمل فترات زمنية عدة، ويهدف هذا المنهج إلى رصد موضوع بهدف فهم المحتوى والمضمون" (عبيدات وآخرون، 1999: 46). وتم استخدام ذلك المنهج لوصف وتحديد وتحليل أثر الجولات التصعيدية التي شنتها إسرائيل ضد حركة الجهاد الإسلامي على الأداء العسكري لسرايا القدس من خلال وصف وتحليل البيانات التي تم جمعها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

1- افادة صُناع القرار والباحثين في هذا الشأن.

2- بيان ما أثر الجولات التصعيدية التي شنتها إسرائيل ضد حركة الجهاد الإسلامي على الأداء العسكري لسرايا القدس؟

3- تزويد المكتبة العربية والإسلامية بالمصادر التي تساهم في المعرفة حول الموضوع؟

الأهداف:

تكمن اهداف الدراسة في:

- التعرف على نشأة وتطور حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.
- التعرف أهم الجولات التصعيدية التي شنتها إسرائيل ضد حركة الجهاد الإسلامي.
- التعرف على أثر الجولات التصعيدية التي شنتها إسرائيل ضد حركة الجهاد الإسلامي على الأداء العسكري لسرايا القدس.

حدود الدراسة:

- الحد الزمانية: 2012 -2022
- الحد المكاني: قطاع غزة

تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة الى اربعة مباحث، على النحو التالي:

- المبحث الأول: الإطار المنهجي للدراسة
- المبحث الثاني: مراحل نشأة وتطور حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين
- المبحث الثالث: جولات التصعيد التي شنتها إسرائيل ضد الجهاد الإسلامي.
- المبحث الرابع: أثر الجولات التصعيدية التي شنتها إسرائيل ضد حركة الجهاد الإسلامي على الأداء العسكري لسرايا القدس.
- الخاتمة والنتائج والتوصيات

المبحث الثاني: مراحل نشأة وتطور حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

تأسست حركة الجهاد الاسلامي نتاج تفاعل بين مجموعة من الشباب والطلاب الفلسطينيين وذلك في أواخر السبعينيات من القرن العشرين على يد الدكتور "فتحي الشقاقي" وثلة من طلاب الجامعات المصرية (أحمد، 1997: 58).

وتعرف حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين نفسها كما جاء في الوثيقة السياسية للحركة: "هي حركة مقاومة فلسطينية، الإسلام مرجعها، وتحرير فلسطين من الكيان الصهيوني هدفها، والجهاد

سبيلها، وهي حركة مستقلة، نشأت بإرادة فلسطينية واعية استجابة لمتطلبات المواجهة الشاملة مع المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، أولويتها الأولى ومهمتها الرئيسة، هي القيام بواجب الجهاد والمقاومة من أجل تحرير فلسطين، وترى الحركة نفسها ودون أي ارتباط عضوي أو تبعية لأي جماعة جزءاً من التيار الإسلامي العام في العالم، وتؤكد الحركة على الترابط بين التزامها الإسلامي، واعتزازها بالهوية العربية والإسلامية، وبين انتمائها الراسخ للوطن واعتزازها بالهوية الوطنية" (الوثيقة السياسية، 2018: 9-10).

وتعد حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين من الحركات الفاعلة في الساحة الفلسطينية، والتي كان لها دور كبير منذ نشأتها في أواسط الثمانينات في الفعل المقاوم ضد الاحتلال الاسرائيلي، وما واكب ذلك من تفاعلات داخل الجبهة الفلسطينية الداخلية من خلال علاقاتها الوطنية المتبادلة، مع كل مكونات الأطياف السياسية والاجتماعية الفلسطينية.

وتمثل الحركة أهم المكونات الفلسطينية المعارضة لعملية التسوية منذ البدايات، وخاصة اتفاق أوسلو الأمر، الذي انعكس من خلال موقفها السياسي بعدم المشاركة في مؤسسات السلطة الفلسطينية التشريعية والتنفيذية (البيوك، 2019: 1).

وتطورت حركة الجهاد الإسلامي خلال العقود الاربعة الماضية، واتخذت مجالات تنظيمية وشعبية واسعة، أفقية ورأسية، حيث استطاعت الوصول إلى قطاعات جماهيرية واسعة في الشارع الفلسطيني، مما منحها حيزاً واسعاً في الأوساط السياسية الفلسطينية.

وبشكل متوازي ومتزامن تطور العمل السياسي والعسكري معاً، وفيما يلي سنتعرض لكل واحدة منها بالتفصيل.

أولا: مرحلة تطور الفكر السياسي للحركة:

جاء تأسيس حركة الجهاد الإسلامي في الوقت التي كانت القضية الفلسطينية تمر بمرحلة مهمة، بعد انسحاب المنظمة من بيروت، والحالة التي كانت تعيشها الحركة الإسلامية في ذلك الوقت من إهمال للقضية الفلسطينية كقضية مركزية للعالم الإسلامي، وقدمت حركة الجهاد الإسلامي نفسها كفكرة وكمشروع حلاً لهذا الإشكال.

وشاركت حركة الجهاد الإسلامي بالفعل المقاوم ضد الاحتلال الإسرائيلي من خلال مجموعاتها وخلاياها قبل الانتفاضة الفلسطينية الأولى في العام 1987، حيث نفذت عدداً من العمليات قبل الانتفاضة الاولى، أشهرها عملية الهروب الكبير من سجن غزة المركزي، وتنفيذ الأسرى المحررين حينها عدداً من العمليات (عرابي، 6 أكتوبر 2021).

وقام الاحتلال الاسرائيلي بإبعاد مؤسس الحركة الدكتور "فتحي الشقاقي" في 1 اغسطس1988 من قطاع غزة الى لبنان، لدوره في الانتفاضة الاولى، حيث نفذت الحركة عدة عمليات عسكرية ضد الاحتلال أثناء تلك الانتفاضة.

وتنقّل "الشقاقي" بين العديد من العواصم العربية والإسلامية، وفيها نضجت حركته السياسية ورؤيته الحضارية أكثر، واشتدّ فيها ساعد حركة الجهاد الإسلامي، وتفجّرت طاقاتها، وسقط عشرات القتلى من الإسرائيليين إثر العمليات النوعية المُتميّزة لحركة الجهاد، وعبرت الحركة مسالك جديدة للفعل المُسلّح، وفي تلك المرحلة فتح "الشُقاقي" قلبه وعقله للقوى العربية والإسلامية المجاهدة، وجعل القدس بوصلته الثابتة التي يقيس بها كل علاقاته وتحالفاته وصداقاته وعداواته (أحمد، 26 أكتوبر 2016).

وقام الموساد الإسرائيلي باغتيال الدكتور "فتحي الشقاقي" في يوم الخميس الموافق 26-10-1995م أثناء خروجه من أحد الفنادق في جزيرة مالطا التي وصل لها حاملاً جواز سفر ليبياً باسم "إبراهيم الشاويش"، لمناقشة أوضاع اللاجئين الفلسطينيين على الحدود الليبية المصرية مع الرئيس الراحل "معمر القذافي" (ناظم، 2008: 58).

وسعى الاحتلال الاسرائيلي عبر اغتيال "فتحي الشقاقي" توجيه ضربة قاضية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وخصوصاً بعد سلسلة عمليات ناجحة نفذتها الحركة في الأعوام 1993، و1994، و1995، وظنّ قادة الاحتلال باغتيالهم للشقاقي أنهم سينهون الحركة باعتبار أنها حركة شديدة المركزية، حسب المسؤول الكبير الأسبق في جهاز الاستخبارات "شين بيت" "جدعون عيزرا"، وأن اغتيال القائد المركزي في الحركة سيجعلها تترنح ومن ثم تفقد حضورها ووجودها أيضاً (أبو الغزلان، 2013: 55).

وقاد الحركة بعد الشقاقي الدكتور "رمضان عبد الله شلح"، والذي أصبح الأمين العام الثاني للحركة، ولم تتوقف الحركة عن القيام بالعمليات حتى بعد اغتيال الشقاقي، وقامت بعدة عمليات أشهرها عملية "ديزنغوف" في مارس 1996 والتي جاءت رداً على اغتيال الشقاقي كما قالت الحركة (فلسطين اليوم، 4 مارس 2015).

وانطلقت حركة الجهاد الاسلامي بشكل أكبر واوسع مع انطلاق انتفاضة الأقصى عام 2000 ونفذت العديد من العمليات العسكرية والجولات التصعيدية وهي مستمرة على هذا النهج الى الان.

وشكلت الحركة حضوراً هاماً ورئيسياً بين كافة فصائل العمل الوطني والإسلامي في الساحة الفلسطينية، ما أهّلها لتكون صاحبة مبادرات تصحيحية للمسار الفلسطيني السياسي والمقاوم، وكذلك للشأن الداخلي الفلسطيني على صعيد الانقسام وتداعياته"، حيث تعتبر حركة الجهاد صمام أمان

للساحة الداخلية الفلسطينية بما تقوم به من دور وطني يُغلّب العام على الخاص (الحساينة، 6 أكتوبر 2019).

وتم انتخاب الاستاذ "زياد النخالة" أمين عام للحركة في 27 سبتمبر 2018 بعد عدم مقدرة الأمين العام الدكتور "رمضان شلح" القيام بمهامه التنظيمية بسبب المرض الذي أصابه، والذي أدى الى وفاته في السادس من يونيو عام 2020 (الغد، 27 سبتمبر 2019).

ونجحت حركة الجهاد الإسلامي في استثمار العديد من عوامل القوة التي تمتلكها في غزة تحديداً، وعلى الرغم من عقد العديد من اتفاقيات وقف إطلاق النار إلا أن الحركة بقيت تواصل نهجها من خلال الحديث عن تصعيد دائم ومستمر ضد الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما تم وصفه تحت عنوان " مشاغلة العدو" وفق تصريح الأمين العام للحركة "زياد النخالة" في 26 أكتوبر 2019م، حيث تحدث بان الحركة لا تعترف بالاتفاقيات لاسيما الأمنية الموقعة مع الاحتلال الاسرائيلي، وتراهن الحركة على استمرارية الصراع عبر مشاغلة دائمة مع الاحتلال في كل نقاط التماس في الضفة وغزة (شهاب، 26 أكتوبر 2019).

ويمكن القول إن انطلاقة حركة الجهاد الإسلامي شكلت نهجاً جديداً غير مألوفاً في العمل النضالي طوال سنوات الصراع مع الاحتلال الاسرائيلي، وعلى الرغم من اغتيال أمينها العام المؤسس الدكتور "فتحي الشقاقي" إلا أن ذلك لم يمنعها من التمسك بالثوابت والمبادئ التي قامت من أجلها، والتي وضحتها بشكل كامل في وثيقتها السياسية التي أعلنت عنها في مارس 2018، والتي اعتبرت فلسطين وفق فكر وعقيدة الحركة بأنها تمتد من نهر الأردن شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً، ومن رأس الناقورة شمالاً إلى خليج العقبة جنوباً، وحدة إقليمية واحدة لا تتجزأ، وهي أرض الشعب الفلسطيني ووطنه، ولا يجوز لأحد التنازل عن أي جزء منها، بأي حال من الأحوال.(الوثيقة السياسية، 2018: 11)

ثانياً: مرحلة تطور الأداء العسكري للحركة

تشكل الجناح العسكري والأمني لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين تحت اسم "كتائب سيف الإسلام". في النصف الثاني من عقد الثمانينيات ومع بداية التسعينيات غيّرت الحركة اسم الجناح العسكري إلى "القوى الإسلامية المجاهدة"، الذي عرف اختصارًا باسم "قسم"، وقاده الشهيد "محمود الخواجا"، وتم تغير اسم الجناح العسكري من "قسم" إلى "سرايا القدس" عام 2000 مع اندلاع "انتفاضة الأقصى" (الجزيرة نت، 8 سبتمبر 2021).

وخلال صراعها المفتوح مع الاحتلال الاسرائيلي منذ نشأتها استخدم الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الكثير من الأسلحة التي بقيت في إطار التطوير المستمر للمقاومة،

فمن السكين إلى القنبلة والرشاش إلى الحازم الناسف، حتى وصلت منذ انطلاق انتفاضة الأقصى عام 2000 الى تطور كبير ومهم في استخدام القذائف والصواريخ (رام الله الاخباري، 3 أغسطس 2019).

1) مرحلة السكين والبندقية والحزام الناسف:

وهي مرحلة الانتفاضة الأولى وما قبلها حتى بداية الانتفاضة الثانية، وتم خلالها تنفيذ العديد من العمليات ضد الاحتلال الإسرائيلي، مثل عمليات الطعن كان من أشهرها تلك العمليات التي نفذها الأسير المحرر "خالد الجعيدي" عام 1986 أي قبل الانتفاضة الأولى، وعملية معسكر جلعاد في فبراير 1992، وعملية الطعن بالسيف التي نفذها الشهيد "رائد الريفي" في مارس 1992 وغيرها من العمليات المشابهة في تلك الفترة، ثم انطلقت عمليات إطلاق النار كعملية الشهيد "خالد شحادة" 1993 والشهيد "على العيماوي" 1994 وغيرها من عمليات اطلاق النار خاصة داخل الأراضي المحتلة عام 48، ثم انطلقت عمليات التفجير من خلال الحزام الناسف عام 1993 والتي ابتدئها الشهيد "أنور عزيز" كأول عملية تفجير في قطاع غزة، وكان من أبرز تلك العمليات "بيت ليد" "وكفار داروم" و"نتساريم" و"ديزنغوف"(شلوف، 2019: 96).

2) مرحلة القذائف والصواريخ:

استمرت الحركة بتطوير قدراتها العسكرية، وبدأت سرايا القدس بتطوير وصناعة الأسلحة والقذائف الصاروخية، وتطوير قدراتها ومداها، واستخدمتها ضد الاحتلال خلال انتفاضة الأقصى، على المستوطنات داخل قطاع غزة قبل الانسحاب منه (2005)، وعلى المستوطنات المحاذية للقطاع (غلاف غزة) الى ان وصلت الى معظم المدن المحتلة (الحدث، 17 ابريل 2014).

وفي 21 يناير 2007 أعلنت سرايا القدس عن إدخالها لأول مرة سلاح الراجمات الصاروخية للخدمة ضمن عملية صاروخية تضمنت إطلاق 100 صاروخ صوب الاراضي المحتلة. وفي 10 مارس 2012 وخلال جولة "بشائر الانتصار" استخدمت سرايا القدس راجمة صواريخ محمولة على مركبة رباعية الدفع، تميزت بأنها ذات كفاءة وفعالية أكبر من التي سبقتها وتحمل صواريخ "جراد" متطورة، وأعلنت لأول مرة في تاريخ المقاومة الفلسطينية عن راجمة صواريخ جديدة ومحمولة من نوع C8K (العهد الاخباري، 3 أغسطس 2019).

وفي 15 نوفمبر 2012، أعلنت سرايا القدس عن قصف مدينة "تل أبيب" المحتلة بصاروخ من طراز فجر 5 لأول مرة في تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي (فلسطين اليوم، 15 نوفمبر 2012).

وفي معركة " البنيان المرصوص" عام 2014(حسب تسمية سرايا القدس) استخدمت السرايا راجمات صواريخ جديدة ومتنوعة مجرية عليها تعديلات وتحديثات بحيث أصبحت تستطيع إطلاق أكثر من 16صاروخاً بشكل متتالٍ عبر مركبات رباعية الدفع.

وفي ذات المعركة أظهرت السرايا لأول مرة راجمة صواريخ "فردية" تطلق من تحت الأرض قصفت فيها مدينة "نتانيا" بصاروخ براق (100) الذي يصل مداه أكثر من 120 كم.

وفي 14 مايو 2021 وخلال معركة سيف القدس أدخلت سرايا القدس صاروخ مطور أسمته "القاسم المطور"، ويحمل هذا الصاروخ رأس متفجر بوزن 400 كيلو جرام TNT ومدى قاتل 200 متر (سرايا القدس، الاعلام الحربي، 29 أكتوبر 2021).

وفي 28 ابريل 2022، كشفت سرايا القدس عبر الناطق الرسمي باسمها عن إطلاق مسيرة " جنين" وقالت إنّ إحدى طائراتها نفذت عملية في سبتمبر 2019، على الحدود الشرقية للقطاع استهدفت من خلالها جيباً عسكرياً إسرائيلياً كان يتمركز قرب الحدود (العربي الجديد، 28 ابريل 2022).

وخلال جولة "وحدة الساحات" أعلنت السرايا استهداف إحدى الطائرات الإسرائيلية في أجواء جنوبي قطاع غزة باستخدام وسائط الدفاع الجوي التابعة لها"(وكالة معا، 7 أغسطس 2022).

وهكذا نجد أن القدرات العسكرية لسرايا القدس قد تطورت بشكل ملحوظ خلال الثلاثين عاما الماضية، فمن السكين الى البارود الى الحزام الناسف الى صناعة وإنتاج الصواريخ وتطوير مداها وقدراتها التدميرية، وأصبح لدى الحركة القدرة على التصدي لاي عدوان من قبل الاحتلال الإسرائيلي على أبناء الشعب الفلسطيني عامة.

المبحث الثالث: جولات التصعيد الإسرائيلية ضد حركة الجهاد الإسلامي

منذ احتلال إسرائيل لفلسطين وهي تنفذ عمليات اغتيال ضد قيادة المقاومة، وازدادت عمليات الاغتيال منذ انتفاضة الأقصى عام 2000، وكانت المقاومة الفلسطينية ترد على عمليات الاغتيال بتنفيذ العمليات الفدائية، وبعد دخول الصواريخ وتطورها أصبحت السلاح التي ترد فيه الفصائل على عمليات الاحتلال، وفي السنوات العشر الاخيرة أصبح الصراع مع الاحتلال في غزة عبارة عن جولات تصعيد، أو حرب تستمر لعدد أطول من الأيام، وكانت كلها تنتهي بتثبيت التهدئة او اتفاق على هدنة جديدة وبشروط جديدة.

وكان لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين النصيب الأكبر من هذه الجولات بل ممكن ان نقول ان معظم تلك الجولات التصعيدية خاضتها الحركة منفردة مع الاحتلال (ما عدا الحروب وبعض الجولات).

وقامت الحركة بإطلاق اسم لكل جولة من تلك الجولات، وقد جاءت معظم هذه الجولات بعد تصعيد من الاحتلال الإسرائيلي ضد أبناء الشعب الفلسطيني إما باغتيال أحد قادة المقاومة ولا يهم هنا أن يكون هذا القائد من أبناء الجهاد الإسلامي، أو تغول من الاحتلال ضد أبناء الشعب الفلسطيني أينما كان تواجده، كما حدث في مسيرات العودة.

وفيما يلي سنوضح اهم الجولات التي خاضتها الحركة بقيادة سرايا القدس الجناح العسكري للحركة.

أولا: بشائر الانتصار (9 مارس 2012):

جاءت هذه الجولة رداً على قيام إسرائيل باغتيال الأمين العام للجان المقاومة الشعبية "زهير القيسي"

يوم الجمعة 9 مارس 2012، حيث قامت سرايا القدس بعد عملية الاغتيال مباشرة بقصف المستوطنات المحاذية لقطاع غزة.

وأدخلت سرايا القدس سلاحاً جديداً للخدمة خلال تلك الجولة وهي "راجمات السرايا" المحمولة والتي تحمل صواريخ "جراد" متطورة، وتستطيع إطلاق دفعات ورشقات من الصواريخ عبر آليات إلكترونية وتكنولوجية، كما وتمكنت سرايا القدس ولأول مرة من قصف مهابط الطيران الإسرائيلية ومواقع عسكرية أمنية (فلسطين اليوم، 9 مارس 2021).

وحول هذه الجولة تحدث الباحث والمحلل السياسي الأستاذ "أكرم عطا الله" أن أداء سرايا القدس في معركة "بشائر الانتصار" كان مفاجئا للجميع كونها قادرة على أن تقود معركة ضد "إسرائيل" وتستهدف مناطق بعيدة نسبياً عن حدود قطاع غزة".

وأكمل "لقد كنا نعتقد انه ليس بإمكان أي فصيل أن يصمد لوحده أمام الاستهداف المتواصل والاغتيال لمقاوميه، ولكن في هذه المعركة فاجئنا الجهاد الإسلامي بأنه قادر على الصمود والمواجهة وفرض شروطه لتحقيق التهدئة" (عطا الله، 10 مارس 2014).

واستمرت الجولة أربعة أيام، حيث تم الاتفاق على وقف سياسة الاغتيالات بحق أبناء الشعب الفلسطيني، وهذه تعتبر المرة الأولى التي يتم فيها الاتفاق علناً عن وقف هذه السياسة من قبل

الاحتلال، وقد أسست هذه الجولة لنهج جديد من قبل المقاومة بأن أي عملية اغتيال سيقابلها جولة تصعيد أو حرب جديدة مع الاحتلال.

وعن هذا النهج أكد الباحث والمحلل السياسي الأستاذ "حسن عبدو" أن سرايا القدس في معركة بشائر الانتصار أسقطت سياسة الاغتيالات الاسرائيلية، وما عاد قطاع غزة منطقة مستباحة أمام طائرات الاحتلال، وأوضح "عبدو" "أن هذه المعركة عطلت قدرة الاحتلال على الاعتداء اليومي على غزة، فيما أعطت المقاومة امتيازات منها الحرية الكاملة في تطوير إمكاناتها المادية والبشرية" (عبدو، 9 مارس 2016).

يمكن القول أن هذه الجولة أسست لما بعدها من قدرة المقاومة للرد على أي اعتداء إسرائيلي عليها، مما جعل إسرائيل تعمل الحساب لاي عمل ستقوم به في غزة، وفي المقابل أعطت الفرصة للمقاومة في التحرك بحرية والعمل على تطوير القدرات القتالية دون أن تتعرض للقصف في كل لحظة كما كان سابقا.

ثانياً: كسر الصمت (12 مارس 2014):

جاءت تلك الجولة بعد قيام إسرائيل باستهداف ثلة من مقاتلي سرايا القدس الذين كانوا يتصدون للتوغل الاسرائيلي شرق رفح، مما أدى الى استشهاد ثلاثة منهم يوم 11 مارس2014.

وفي اليوم التالي 12 مارس 2014، وبعد أن اطمأن الاحتلال لعدم الرد، فاجأت سرايا القدس الجميع، وأطلقت وخلال 20 دقيقة 130 صاروخا على طول المستوطنات المحاذية لقطاع غزة، ردًا على العدوان الإسرائيلي (راية الاخباري، 12 مارس 2014).

وحول الجولة رأى الكاتب الاسرائيلي "أليكس فيشمان"، في صحيفة "يديعوت أحرونوت"، أن "حركة الجهاد الإسلامي"، في ردها على اغتيال ثلاثة من عناصرها، تسعى لتحدد من الآن فصاعداً ثمناً لعمليات التصفيات الإسرائيلية، وأشار إلى أن "الجهاد" بعملية "كسر الصمت" توجه رسالة واضحة مفادها أنها سترد على كل ضربة لعناصرها (العربي الجديد، 14 مارس 2014).

يتضح لنا أن أهم ما يميز تلك الجولة عدم توقع الاحتلال الاسرائيلي الرد بهذه القوة والحجم والتنظيم والتوقيت، حيث تمكنت السرايا من مفاجئة الاحتلال، وقصف المواقع والمستوطنات الاسرائيلية الواقعة على بعد 8 كيلو من قطاع غزة ب 130 صاروخ وقذيفة بصورة منسقة في توقيت واحد لا يتجاوز 20 دقيقة.

ثالثاً: الوفاء للشهداء (29 مايو 2018):

بعد حرب عام 2014، أطلقت إسرائيل يدها لتعمل ما تشاء في أبناء الشعب الفلسطيني، خاصة المتظاهرين على الحدود، فيما عرف "بمسيرات العودة وكسر الحصار" والتي راح ضحيتها الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني في غزة ما بين شهيد ومعاق... دون ان يتم الرد على هذه الاعتداءات.

واستهدف الاحتلال الاسرائيلي مواقع لسرايا القدس وكتائب القسام في شمال وجنوب القطاع في 27 مايو 2018 مما أدى لارتقاء 4 شهداء من سرايا القدس وكتائب القسام، فقصفت سرايا القدس المواقع العسكرية والمدن المحتلة في محيط قطاع غزة في 29 مايو 2018، بعشرات القذائف الصاروخية على مدار يوم كامل، وذلك رداً على العدوان الاسرائيلي، وأطلقت سرايا القدس تلك الجولة في إطار الغرفة المشتركة لفصائل المقاومة (فلسطين اليوم، 29 مايو 2019).

من الواضح أن هذه الجولة رغم قصر مدتها إلا أنها اعادت توازن الردع مع الاحتلال خاصة بعد حرب 2014، وتغول الاحتلال على المتظاهرين في مسيرات العودة، وأسست لما بعدها من عمليات الرد على الجرائم الإسرائيلية تجاه أبناء الشعب الفلسطيني.

رابعاً: ثأر تشرين (26 أكتوبر 2018):

جاءت جولة "ثأر تشرين" في يوم 26 أكتوبر 2018، بعد قيام الاحتلال الإسرائيلي بإطلاق النار على المتظاهرين في مسيرات العودة مما أدى الى استشهاد 6 منهم واصابة العديد.

وقامت سرايا القدس بإطلاق أكثر من 51 صاروخًا وقذيفة هاون على مختلف مناطق غلاف غزة، وأكدت في بيان لها أنها لن تسمح للاحتلال بالاستمرار في بطشه وعدوانه بحق أبناء الشعب الفلسطيني والتغول في دمائه أينما كان تواجده (بوابة الهدف الاخبارية، 27 أكتوبر 2018).

ورسخت هذه الجولة معادلة توازن الردع أمام الاحتلال الاسرائيلي وخلقت مفاعيل جديدة في الاشتباك الذي تخوضه الجماهير الفلسطينية في مسيرات العودة وكسر الحصار، ونقلت رسالة واضحة للاحتلال بأن حكمة المقاومة وصبرها في المرات السابقة ليست صمتا على جرائمه، فلا يمكن ان تستمر حالة الإيغال في الدم الفلسطيني دون موقف واضح من المقاومة.

وجاء الموقف الشعبي لتلك الجولة مؤيداً ومناصراً بقوة لتلك الجولة حيث شعر المتظاهرين ولأول مرة أن هناك من يقف في ظهرهم لحمايتهم ويثار لدمائهم (خليل، 29 أكتوبر 2018).

ويرى الباحث أن هذه الجولة تعتبر من أهم الجولات في تلك الفترة، حيث ومن بعدها أصبح الاحتلال يحسب ألف حساب لمسيرات العودة ومخرجات كل جمعة فيها خوفاً من رد المقاومة، خاصة

سرايا القدس التي أصبح توقيت الرد عندها مرتبط بالساعة التاسعة، مما جعله توقيتاً مهماً عند الجماهير الفلسطينية تنتظره في كل جمعة حال قام الاحتلال بالتغول على المتظاهرين.

رابعاً: صيحة الفجر (12 نوفمبر 2019):

كما اوضحنا أصبحت الجماهير الفلسطينية تنتظر الساعة التاسعة من كل يوم جمعة وحال أقدم الاحتلال الإسرائيلي على الاعتداء على المتظاهرين في مسيرات العودة، لترى صواريخ سرايا القدس وهى ترد على هذا الاعتداء، وارتبط إسم القائد في سرايا القدس الشهيد "بهاء أبو العطا" (أبو سليم) بذلك التوقيت، حيث اتهمت إسرائيل "أبو العطا" بالوقوف وراء تلك الردود، كما اتهمته مباشرة بالوقوف على عمليات اطلاق صواريخ على المدن المحتلة اكثر من مرة أثناء وجود رئيس الوزراء الإسرائيلي " بنيامين نتنياهو" فيها وهو ما عرف وقتها " النزول عن المنصة" والهروب (المركز الفلسطيني للإعلام، 12 نوفمبر 2021).

وأصبح اسم أبو العطا يتردد بقوة في كل الصحف الإسرائيلية وهو ما أُعتبر مقدمة لعملية اغتيال لهذا القائد، وهو ما حدث بالفعل، حيث نفذت طائرات الاحتلال الاسرائيلي هجوماً فجر يوم الثلاثاء 12 نوفمبر 2019 استهدفت خلاله منزل الشهيد "بهاء أبو العطا" في شرق مدينة غزة، حيث أسفر القصف عن استشهاد القائد "بهاء أبو العطا" برفقة زوجته، وأعلن الجيش الإسرائيلي مسؤوليته عن مقتل "بهاء أبو العطا" القيادي البارز في سرايا القدس، الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في غزة (بي بي سي عربي، 12 نوفمبر 2019).

وتزامن قصف غزة مع قصف مماثل طال قيادة الجهاد الإسلامي في سوريا وبالأخص القائد "أكرم العجوري" الذي تصنفه إسرائيل بمسئول الدائرة العسكرية في سرايا القدس، مما أدى الى استشهاد نجله واحد المرافقين (سماالاخبارية،14 نوفمبر 2019).

واستهدفت سرايا القدس خلال تلك الجولة المدن المحتلة بمئات الصواريخ بما فيها تل ابيب، وأدخلت السرايا لأول مرة في هذه الجولة صاروخ براق 120 الذي وصل الى مدينة الخضيرة المحتلة والتي تبعد عن قطاع غزة حوالي 120 كم (الاعلام الحربي، 12 نوفمبر 2019).

وحول هذه الجولة قال المحلل والكاتب السياسي "حسن عبدو" "إن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وجناحها العسكري سرايا القدس أدارت معركة "صيحة الفجر" على المستوى السياسي والعسكري بحكمة سياسية عالية محسوبة النتائج، مكَّنَ الجهاد الإسلامي من افشال مساعي نتنياهو، وتمكنت من تثبيت قواعد اشتباك لصالح المقاومة، التي حاولت "إسرائيل" تغييرها من خلال العودة لسياسية الاغتيالات (عبدو، 20 ديسمبر 2019).

من الواضح ان إسرائيل اتخذت قرار الاغتيال وهي تعلم مدى تبعات تلك العملية، وكانت جاهزة لتحمل تلك التبعات، واعتبرت ان اغتيال "أبو العطا" وإخراجه من الصورة في تلك الفترة يعتبر انجاز بحد ذاته.

ومن نتائج تلك الجولة عدم دخول حماس مع الجهاد للرد على عملية الاغتيال، وهو ما اعتبرته اسرائيل انجاز آخر تلك الفترة.

وبعد ذلك أصبح اسم "أبو العطا" يتردد على ألسنة المواطنين عند كل عملية تصعيد واعتداء إسرائيلي بحق أبناء الشعب الفلسطيني، وأصبحت ساعة وتوقيت "البهاء" أيقونة يتغنى بها المواطنين عند كل عملية إطلاق صواريخ رداً على أي جريمة اسرائيلية.

خامسا: بأس الصادقين (23 فبراير 2020):

بعد ثلاثة أشهر على جولة "صيحة الفجر" وبالتحديد يوم 23 فبراير 2020 أقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي على جريمة بشعة بحق أحد مقاتلي سرايا القدس حيث وثقت كاميرات الاعلاميين قيام قوات الاحتلال بالتنكيل بجثمان الشهيد "محمد الناعم"، وسحله بواسطة جرافة اثناء تصدية للتوغل الإسرائيلي في المنطقة الشرقية لخانيونس.

وقادت سرايا القدس جولة ضد الاحتلال أسمتها "بأس الصادقين" حيث تم قصف المدن المحتلة على طول الحدود مع غزة بعشرات الصواريخ، وفي هذه الجولة دخل توقيت جديد وهو توقيت الرشقات "مع كل اذان للصلاة"، تنفيذاً لمقولة الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي الأستاذ "زياد النخالة" " سنذهب للقتال كما نذهب للصلاة" وانتهت الجولة مساء اليوم التالي بإعلان سرايا القدس انتهاء الجولة من طرفها بعد تحقيق أهدافها بالرد على جريمة الاحتلال باغتيال والتنكيل بجثمان الشهيد " محمد الناعم"، وهي من المرات القليلة التي توقف المقاومة الفلسطينية النار من جانب واحد (المنار، 25 فبراير 2020).

وقامت إسرائيل بالرد من خلال استهداف حركة الجهاد الإسلامي في سوريا، مما أدى الى استشهاد إثنين من عناصر سرايا القدس هما الشهيد " سليم سليم" والشهيد " زياد منصور".

وعن تلك الجولة تحدث المختص في الشأن الإسرائيلي" باسم أبو عطايا" أنه عندما علم العدو بأن الشهيد محمد الناعم ينتمي لسرايا القدس، ازداد الخوف بشكل أكبر، والسبب أنهم كانوا يعلمون جيدًا أن المعادلة التي فرضتها سرايا القدس في المواجهة معه كانت واضحة وهي "الدم بالدم والصاروخ بالصاروخ" (أبو عطايا، 25 فبراير 2020)

وتحدث المختص الإعلامي " صالح المصري" عن تلك الجولة قائلاً " أن قرار سرايا القدس بالرد على جريمة اغتيال الشهيد "محمد الناعم" والتنكيل بجثمانه كان مطلب جماهيري وشعبي لأنه مس بمشاعر ووجدان أبناء شعبنا الفلسطيني" (المصري، 25 فبراير 2020).

من الملاحظ ان سرايا القدس في هذه الجولة أرادت تثبيت معادلة الرد على كل جريمة اغتيال بحق أبناء الشعب الفلسطيني، وحتى في حال لم يكن الشهيد الناعم من مقاتلي سرايا القدس كانت السرايا سترد على هذه الجريمة لبشاعتها ولتثبيت المعادلة، رغم الضربة الموجعة التي لحقت بسرايا القدس بعد اغتيال "أبو العطا"، وكانت السرايا في تلك الجولة أكثر دقة في التعامل مع الاحتلال من خلال اختيار توقيت بدء وانتهاء الجولة، والحرص الشديد أثناء التنفيذ، وهو ما نتج عنه عدم وجود خسائر عندها.

سادساً: وحدة الساحات (5 اغسطس2022):

كانت مسيرة الاعلام التي نفذها المستوطنين يوم 29 مايو 2022، وبمباركة وموافقه المستوى السياسي الإسرائيلي من أصعب الأوقات التي مرت على المقاومة في غزة، فقد انتظر الجميع الرد منها كما حدث في "سيف القدس"، لكن المقاومة كان لها حساباتها في ذلك الوقت، وآثرت عدم الرد لتفويت الفرصة على الاحتلال الذي كان مستعداً لجولة من القتال من خلال التلويح بالحرب والمناورات المتعددة والسيناريوهات المعدة سلفاً (الشريف، 30 مايو 2021).

واستغل الاحتلال تهديدات حركة الجهاد الإسلامي المستمرة بالرد على الاقتحامات المتكررة في المسجد الاقصى والقدس والتنكيل الشرس بحق الاسرى في سجون الاحتلال والاسرى المضربين عن الطعام والانتهاكات اليومية بحق ابناء شعبنا ورموزه في مدن الضفة المحتلة والتي كان آخرها الاعتداء على الشيخ "بسام السعدي" أحد قيادات حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية، وباغتت إسرائيل قيادة سرايا القدس وعناصرها بهجوم صاروخي أدى إلى استشهاد القائد " تيسير الجعبري" قائد المنطقة الشمالية وعدد آخر من مجاهدي السرايا في نفس التوقيت (وكالة معا، 5 أغسطس 2022).

وبدأت سرايا القدس بالرد على عملية الاغتيال في تمام الساعة التاسعة، ما سمي " توقيت البهاء" بإطلاق عشرات الصواريخ على المدن المحتلة، وصلت الى تل ابيب. واغتالت إسرائيل في اليوم الثاني للجولة قائد المنطقة الجنوبية لسرايا القدس "خالد منصور" واثنين من مساعديه، حيث قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف المنزل والمنطقة المتواجدين فيها. وانتهت الجولة بعد 56 ساعة بعد تدخل الوساطة المصرية والقطرية والاممية.

ورغم قصر الجولة الا أنها كانت الأشرس والاعنف ضد حركة الجهاد الإسلامي، حيث كان لهذه الجولة عدة اعتبارات منها:

- أعلنت "إسرائيل" الحرب على حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، في واقعة غير مسبوقة في حروب "إسرائيل" ضد غزة، وكرّر المسؤولون الإسرائيليون طوال فترة الجولة أن هدف الجولة الوحيد تدمير قوة حركة الجهاد الإسلامي بالكامل.
- ربطت حركة الجهاد الإسلامي التهدئة بالإفراج عن معتقلين من الضفة الغربية، مما يؤكد على "وحدة الساحات".
- محاولة إسرائيل ضرب الحاضنة الشعبية للمقاومة بتحميل الجهاد الإسلامي المسئولية عما يحدث من اغلاق معابر ووقف محطة الكهرباء ووقف دخول البضائع.
- الهدف الكبير الذي تحقق في هذه الجولة من وجه نظر اسرائيل، هو تحييد حركة حماس، وهذا أمر خطير، كان له تبعات بعد الجولة على صعيد التقبل الشعبي لذلك الامر.

من الواضح ان أهداف إسرائيل في تلك الجولة اختلفت عن المعارك السابقة فإسرائيل هي من اختارت التوقيت، وهي من بادرت بالهجوم، وأعلنت منذ اللحظة الأولى ان المقصود هو القضاء على حركة الجهاد وسرايا القدس، وهذا الهدف لم يتحقق، فحركة الجهاد وسرايا القدس لها جذورها وبنيتها التنظيمية التي لا يمكن ان يتم القضاء عليها بسهولة.

المبحث الرابع: مدى انعكاس جولات التصعيد على الأداء العسكري لسرايا القدس

سعت إسرائيل من خلال جولات التصعيد المتكررة مع الفصائل الفلسطينية الى تدمير ما أمكن من القدرات العسكرية لفصائل المقاومة، وفي المقدمة منها سرايا القدس وكتائب القسام، وتقوم اسرائيل بذلك من خلال ما يسمى إسرائيليًا باستراتيجية (جزِّ العشب)، والتي تقوم على أساس افتعال حرب مع غزة كل فترة من الزمن لغرض تدمير ما تمكنت المقاومة من بنائه من قدرات وبنى تحتية دفاعية، منذ الجولة السابقة، وكذلك اغتيال أكبر عدد من القادة الميدانيين والسياسيين خلال القصف.

كما أن إسرائيل تهدف من خلال ذلك الى استنزاف القدرات الصاروخية للفصائل في غزة، ويقوم الاعتقاد الإسرائيلي على أن عدد هذه الصواريخ يبقى محدودًا وغير قابل للتعويض الفوري، وبذلك، فإن إطالة أمد الصراع ستعني الخفض التدريجي لقدرة الفصائل على استخدام القدرات الصاروخية، لاسيما من الصواريخ بعيدة المدى (مكي، 13 مايو 2021).

ومن خلال الدراسة تبين لنا مدى التطور العسكري لسرايا القدس في كل جولة من جولات التصعيد، وكيف تحسن هذا الأداء من جولة الى جولة، وكانت سرايا القدس في كل جولة تكشف

عن استخدام سلاح جديد. كما أن الأداء التكتيكي ومستوى الدقة والمدى في الرماية والخبرة في إدارة الجولات قد تطور بشكل ملحوظ في كل جولة عن سابقتها.

ورداً على السؤال المطروح في الدراسة ومن خلال مقابلة خاصة أجراها الباحث مع أحد القيادات العسكرية لسرايا القدس عن مدى انعكاس جولات التصعيد التي خاضتها سرايا القدس على الأداء العسكري للسرايا؟ **أجاب هذا القائد بما يلي:**

"عمل العدو جاهداً لاستهداف حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري مراراً وتكراراً كونها تقف سداً منيعاً أمام المخططات الصهيونية ومشاريع التصفية وذلك من خلال استهداف القادة عبر سياسة الاغتيال التي أثبتت فشلها الذريع أمام العزم والإرادة التي تتمتع بها حركة الجهاد وجناحها العسكري الذي يقوى أكثر ويشتد عوده بالاغتيالات، وهنا نؤكد أن الضربات المتتالية وجولات التصعيد ما زادت الحركة إلا قوة وتصميم بالمضي قدما نحو الإعداد والقتال والمشاغلة، وأن ما أخذ بالقوة حتماً لا يسترد إلا بالقوة لذلك كل الجولات التي خاضتها سرايا القدس من معارك سواء الضفة أو حتى في غزة ما زادتها الا خبرة وقوة ويقيناً بوعد الله النافذ إن شاء الله.

وهذا لا يمنع من ان الخسائر المادية والبشرية تؤثر بشكل او باخر فنحن في النهاية بشر، نحزن لفقدان الأحبة ورفقاء الدرب، ونفتقدهم في كثير من المواقف، لكن تراكم الخبرات وإيجاد البدائل تجعل من هذه الخسائر لا تكاد تذكر، فالهرم التنظيمي متسلسل ويتم خلافة القائد مباشرة بعد استشهاده وهناك أماكن للعمل العسكري تعمل في ظل التصعيد وكثيراً ما عرضت لقطات للتصنيع اثناء الجولة" (قيادي في سرايا القدس: 27 أغسطس 2022).

ووصف الكاتب والمحلل السياسي "حسن عبدو" في تقرير لموقع الجزيرة نت اغتيال "قادة وازنين" من سرايا القدس بأنه يشكل خسارة مؤلمة لكن لن يكون له أثر سلبي كبير على قدرة سرايا القدس قائلاً "إن سرايا القدس تعمل بقيادة "لا مركزية"، وهي ليست تنظيما هرمياً كي تتأثر على نحو سلبي خطير بخسارة قائد أو أكثر، فيما يباشر "المجلس العسكري" للسرايا أولا بأول تغطية شواغر مواقعها القيادية في مختلف المناطق (عبدو، 7 أغسطس 2022).

ويرى الخبير العسكري رامي أبو زبيدة، أن "المقاومة الفلسطينية راكمت الإنجازات، واستفادت من الحروب السابقة لتطوير أساليبها وذخيرتها".

واشار إلى أنه "بعد كل جولة بين المقاومة والاحتلال نشهد تطوراً في الوسائل القتالية من حيث الكم والنوع، والمدى والقوة التأثيرية" (أبو سمرة، 22 مايو 2021).

ومن خلال الدراسة تبين لنا ان المقاومة استمرت بالرد على الاعتداءات الإسرائيلية، وفي الجولة الأخيرة "وحدة الساحات" كان الهدف الإسرائيلي المعلن هو القضاء على الجهاد الإسلامي،

فرغم الاستهداف الواضح والتحريض الممنهج، وتحييد بعض قوى المقاومة الأخرى، فإن الحركة تمكنت من الصمود والمواصلة، بقوة شهد لهما العدو قبل الصديق.

وفي مقابلة أجراها الباحث مع الأستاذ "عامر خليل" الباحث في الشأن الاسرائيلي قال "خوض سرايا القدس جولات لوحدها لعدة مرات يشير الى قدرة الجهاد الاسلامي العسكرية المتنامية وتميزه بهذا الموقف عن الفصائل الأخرى، كما تقول الاوساط العسكرية الاسرائيلية التي أرادات من خلال الجولة الأخيرة" وحدة الساحات" تحديداً توجيه ضربة قاصمة تشله عن العمل والتفكير في معارك اخرى لوحده، ورغم تباهي تلك الاوساط بما اسمته بالإنجازات العسكرية فإنها تعترف أن المعادلة أمام غزة لم تتغير على صعيد قواعد الاشتباك، وبقاء توازن الردع قائماً بضرب الجبهة الداخلية الاسرائيلية واصابتها بالشلل"(خليل، 5 سبتمبر 2022).

وليس بالضرورة ان يكون التأثير على الأداء العسكري لسرايا القدس من خلال خوضها عدة جولات تصعيدية منفردة ضد الاحتلال سلبياً، بل بالعكس ممكن أن يكون التأثير بالإيجاب وهذا ما أكده الأستاذ "حسن لافي" المختص في الشأن الإسرائيلي حيث قال في مقابلة أجراها الباحث معه " اعتبرت اسرائيل أن الجولات القتالية المتتالية أثرت ايجابياً على أداء سرايا القدس في عدة نقاط، أهمها:

1- بات لدى سرايا القدس القدرة والجرأة على اتخاذ زمام المبادرة والمباغتة في بدء الجولة العسكرية، وهذا حدث في أكثر من جولة آخرها ضربة الكورنيت التي افتتحت بها السرايا معركة سيف القدس في مايو 2021.

2- الجولات ولدت تكتيكات رماية أكثر قدرة على تأمين منصات الصواريخ ومرابض المدفعية، بأقل قدرة اسرائيلية على استهداف تلك الوحدات الصاروخية والمدفعية.

3- حجم التحدي الذي تفرضه تكرار تلك الجولات، زاد من سرعة ونوعية خط الانتاج للتصنيع الصاروخي لدى سرايا القدس، الامر الذي انعكس ايجابياً من خلال ادخال انواع جديدة من الصواريخ للخدمة في سرايا القدس، بمديات أكبر، وقدرة تفجيرية أوسع.

4- منظومة القيادة والسيطرة تطورت من خلال استخلاص العبر والدروس من الجولات القتالية لدرجة أن ضرب قيادات كبرى داخل سرايا القدس لم يؤثر على منظومة ادارة النيران والمعركة الامر الذي أثبته اداء سرايا القدس في "وحدة الساحات" بعد اغتيال القادة الكبار تيسير الجعبري وخالد منصور (حسن لافي: 6 سبتمبر 2022).

وفي مقابلة أخرى أجراها الباحث مع المختص بالشأن الاسرائيلي الأستاذ "مؤمن مقداد" حول تأثير جولات التصعيد الإسرائيلية ضد حركة الجهاد الإسلامي على الأداء العسكري لسرايا القدس؟

أجاب قائلاً " السياسة التي تستخدمها إسرائيل في جولات التصعيد المستمرة ما بين الحروب هدفها إضعاف المقاومة وتوقف تنامي وتعاظم قوتها، من خلال قصف ورش التصنيع ومرابض الصواريخ والمخازن حسب زعم إسرائيل، ضمن سياسة جز العشب".

ومن خلال المقارنة بين معركة " البنيان المرصوص" 2014 ومعركة "سيف القدس" 2021 "، كانت إسرائيل تتوقع ان يكون هناك تراجع في الأداء العسكري للمقاومة بصفة عامة، خاصة أنها خاضت عدة جولات تصعيدية بين تلك المعارك، إلا أن ذلك لم يحدث، بل كان هناك ارتفاع لوتيرة إطلاق الصواريخ واستمرارها طوال أيام أي معركة، مما يعنى عدم تضرر المقاومة، وخطأ النظرية الإسرائيلية".

وأضاف "مقداد" "وفي بعض التقديرات الأخرى ولمحاولة الترويج للنصر تعتقد إسرائيل أنها ضمن تلك السياسية تمنع من تعاظم وتنامي قوة المقاومة ولولا تلك السياسة حسب اعتقاد اسرائيل لتمكنت المقاومة من زيادة قوتها أضعاف ماهي عليه اليوم، وما استطاعت إسرائيل الوقوف بوجهها.

وعن أداء سرايا القدس قال مقداد " السرايا استمرت في التصدي للاعتداءات الإسرائيلية وفي الجولة الأخيرة " وحدة الساحات" استمرت لأخر لحظة وقبل دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ بثواني كانت الصواريخ تطلق على البلدات المحتلة مما يعنى عدم تأثر الأداء العسكري لسرايا القدس بصفة خاصة، والمقاومة بصفة عامة"(مقداد: 7 سبتمبر 2022).

من خلال ما سبق يتضح لنا ان المقاومة الفلسطينية بصفة عامة وسرايا القدس بصفة خاصة تطورت بشكل ملحوظ على مستوى الأداء العسكري، مما يدل على عدم التأثر المباشر نتيجة الجولات التصعيدية، بل العكس هو ما يحدث، ففي كل مرة نجد انواع جديدة من العمل العسكري سواء على مستوى التكتيك، أو على مستوى القدرات القتالية، أو على مستوى إدارة الجولة بحنكة واقتدار عن سابقتها، وبنظرة سريعة عن خسائر جولة بشائر الانتصار عام 2012 نجد أن سرايا القدس فقدت 14 من مقاتليها أثناء عمليات إطلاق الصواريخ، بينما لم تخسر أي من المقاتلين في اخر جولة "وحدة الساحات" مايو 2022 أثناء عمليات الاطلاق(فقدت السرايا مقاتليها في تلك الجولة خلال عمليات الاغتيال) رغم الفارق الكبير في عدد الصواريخ المطلقة في كل جولة، مما يؤكد أن هذه الجولات تزيد المقاومة خبرة ونجاح في الأداء العسكري وليس العكس.

الخاتمة:

خلال الأعوام الأخيرة يمكن رؤية عوامل تُقدر بأن هناك قوة حقيقية تتدحرج وباتت تشكل صداع حقيقي في أروقة أجهزة الأمن الاسرائيلية وأصبحت محل إجماع لدى الشعب الفلسطيني على

اختلاف أطيافهم وألوانهم الحزبية، حيث أصبحت حركة الجهاد الإسلامي وعبر ذراعها العسكري سرايا القدس نموذجاً للعمل المقاوم الغير قابل للكسر أو الابتزاز.

ويحسب لحركة الجهاد الكثير من المواقف التي اتخذتها لحماية أبناء الشعب الفلسطيني، حتى لو اضطرت الى خوض جولات متعددة من التصعيد لوحدها، وبرز موقفها الشجاع من التغول الإسرائيلي على مسيرات العودة، حينما اتخذت العديد من قوى المقاومة موقفاً بتفويت الرد على الاحتلال حتى تبقى المسيرات آخذة شكل المقاومة الشعبية، وهذا الذي لم تطيقه حركة الجهاد الإسلامي والتي اعتبرتها جريمة لا يمكن تمريرها، خاصة في ظل تجرؤ الاحتلال وتعمده قتل الأطفال وقنص الشباب في أماكن تؤدي إلى بتر أطرافهم في مشهد هزلي أقرب للكوميديا لدى قناصو الاحتلال الذين كانوا يسخروا من الشباب ويتراهنوا فيما بينهم في عمليات القنص ضد الشباب الفلسطيني.

وفي كل جولة تخوضها حركة الجهاد الإسلامي كانت تثبتت قواعد الاشتباك مع الاحتلال الاسرائيلي عبر التأكيد بأن ارتكابه لاي جريمة تسفر عن شهداء أو جرحى في غزة سيقابلها رد مباشر من سرايا القدس.

وحركة الجهاد الإسلامي اليوم تذهب لتثبيت قاعدة جديدة تتعلق بالأسرى بشكل عام بالإضافة إلى وقف أو تقليص الاعتقالات بالضفة المحتلة مع منع عمليات الإهانة والتعذيب للذين يتم اعتقالهم.

ورغم قيام إسرائيل باغتيال عدد كبير من قادة سرايا القدس خلال الأعوام السابقة، ورغم خوض سرايا القدس العديد من الجولات التصعيدية ضد الاحتلال منفردة، إلا ان هذه الاغتيالات والجولات لم تضعف من سرايا القدس، ولم يتأثر الأداء العسكري لها، واتضح ذلك من خلال التطور النوعي والكمي للأداء العسكري لسرايا القدس خلال الجولات السابقة.

النتائج:

توصلت الدراسة الى العديد من النتائج التي جاءت كما يلي:

- قدمت حركة الجهاد الإسلامي نموذجاً فريداً على المستوى السياسي والعسكري من خلال سياسة النأي عن التدخل في الصراعات الداخلية والشؤون الداخلية للبلدان العربية، بالإضافة الي تقديم العديد من القادة الشهداء وعلى رأسهم الأمين العام المؤسس الدكتور "فتحي الشقاقي".
- تحوّل دور الردع في العقيدة العسكرية الإسرائيلية، إلى العمل لتقليل عمليات المقاومة العسكرية ضد "إسرائيل"، إضافة إلى إيجاد وضع يكون فيه الصراع المستمر الذي تقوده تنظيمات المقاومة على مستوى مقبول "إسرائيلياً".

- لم يتأثر الأداء العسكري لسرايا القدس رغم العدد الكبير من جولات التصعيد التي خاضتها منفردة ضد الاحتلال، وكان ذلك واضحا من خلال تطور القدرات العسكرية في كل جولة عن سابقتها.
- رغم كل الصعاب التي واجهت حركة الجهاد الإسلامي داخلياً وخارجياً الا أنها التزمت التأكيد على الوحدة الجغرافية ووحدة المقاومة ووحدة الحاضنة الشعبية، وكان ذلك واضحاً خلال إقامة مهرجان في 5 ساحات فلسطينية وعربية في وقت متزامن.
- تتمتع حركة الجهاد اليوم بتعاطف وتأييد كبيرين، حتى ضمن أطياف وطنية فلسطينية مستقلة وقومية عربية ويسارية قد لا تتفق مع حركة الجهاد ذاتها أيديولوجياً.
- ثبّتت جولة "وحدة الساحات" الترابط بين غزّة والضفة والقدس والأراضي المحتلة عام 48 وهي أهم المعادلات التي خرجت بها المقاومة الفلسطينية منذ معركة "سيف القدس".
- باءت محاولات الاحتلال دفع الحاضنة الشعبية للمقاومة إلى الانفضاض عنها بالفشل، بل زادت هذه الحاضنة تمسكاً بخيار المقاومة، وقدمت كل الدعم من دماء أبنائها وممتلكاتها في سبيل إفشال مخططات المحتل.

التوصيات:

- العمل على ان تكون "وحدة الساحات" وحدة حقيقية فهي مصلحة فلسطينية استراتيجية، وهي مصدر قلق استراتيجي لإسرائيل.
- السعي الحثيث إلى توفير الدعم العربي والاسلامي والدولي في أي معركة مع الاحتلال من خلال فضح ممارساته ضد أبناء الشعب الفلسطيني.
- المزيد من الاهتمام بموضوع السايبر والحرب الإلكترونية.
- التنبؤ بكافة الاحتمالات والسيناريوهات المحتملة في ضوء العقلية الإسرائيلية القائمة على الغدر والتملص من الاتفاقيات.
- رفع مستوى التنسيق والتعاون والتدريب المشترك وإجراء المناورات، وتوحيد المصطلحات العسكرية والإعلامية في الميدان بين كافة الفصائل الفلسطينية.
- الاستفادة من الوسائل الإعلامية المتعددة المجودة لدى المقاومة، وفضح جرائم الاحتلال ضد أبناء الشعب الفلسطيني.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: الكتب والدراسات:

- ابراش، إبراهيم (1999): المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، الرباط، شركة باب للطباعة والنشر.
- أبو الغزلان، هيثم (2013): كيف ولماذا اغتال الموساد الشهيد د. فتحي الشقاقي؟!!، مجلة الوحدة الإسلامية، السنة الثالثة عشر . العدد 144.
- أحمد، رفعت السيد (1997): رحلة الدم الذي هزم السيف، الأعمال الكاملة للدكتور فتحي الشقاقي، القاهرة، ط 1 مركز يافا للدراسات والأبحاث.
- البيوك، محمد (2019): دور حركة الجهاد الإسلامي في تحقيق المصالحة الفلسطينية (2006-2019)، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة القدس أبو ديس.
- شلوف، طارق (2019): دور حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين خلال الانتفاضة الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، الجامعة الإسلامية.
- عبيدات، محمد، أبو نصار، محمد، ومبيض، عقلة (1999): منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، الأردن، عمان، ط2، دار وائل للطباعة والنشر.
- عمر، ناظم (2008): الفكر السياسي لحركة الجهاد الإسلامي وانعكاسه على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية.
- الوثيقة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين (2018).

ثانيا: المواقع الالكترونية:

- أبو سمرة، قيس (22 مايو 2021): خبراء: تطور عسكري "للمقاومة" الفلسطينية يقابله فشل إسرائيلي، موقع الاناضول، انظر الرابط: https://cutt.us/MiTn1.
- أبو عطايا، باسم (25 فبراير 2020): رد سرايا القدس في معركة "بأس الصادقين" شكّل رعبًا للعدو، وكالة كنعان، انظر الرابط: https://cutt.us/AxZx0.
- أحمد، رفعت السيد (26 أكتوبر 2016): فتحي الشقاقي ورحلة الدم الذي هزم السيف، موقع قناة الميادين، انظر الرابط: https://cutt.us/WyMBQ.

- الاعلام الحربي (12 نوفمبر 2019): بالفيديو.. "براق 120" صناعة جهادية ضرب مدينة "الخضيرة" لأول مرة، انظر الرابط: https://cutt.us/dHhJO.
- الاعلام الحربي (29 أكتوبر 2021): بالفيديو.. «راجمات السرايا» كابوسٌ يُطارد العدو ومغتصبيه، انظر الرابط: https://cutt.us/BDVc7.
- بوابة الهدف (27 أكتوبر 2018): سرايا القدس تعلن عن تفاصيل عملية "ثأر تشرين"، انظر الرابط: https://cutt.us/8Sp8q.
- بي بي سي عربي (12 نوفمبر 2019): إسرائيل تغتال بهاء أبو العطا القائد العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في غزة، انظر الرابط: https://cutt.us/V850E.
- الجزيرة (8 سبتمبر 2021): حدث الساعة معلومات تهمك معرفتها عن "الجهاد الإسلامي" التي أنجبت أسرى "عملية جلبوع"، انظر الرابط: https://cutt.us/ENRIE
- الحدث (17 ابريل 2014): ماذا تعرف عن "سرايا القدس"، انظر الرابط: https://cutt.us/KUE2T.
- الحساينة يوسف (6 أكتوبر 2019): الجهاد الإسلامي حاضرة في كل الميادين، مقابلة عبر موقع الاعلام الحربي التابع لسرايا القدس، انظر الرابط: https://cutt.us/H73mY.
- خليل، عامر (29 أكتوبر 2018): في دلالات وانعكاسات عملية "ثأر تشرين"...، موقع صحيفة الاستقلال، انظر الرابط: https://cutt.us/roP3v.
- الخنادق (8 أغسطس 2022): وحدة الساحات: إنجازات سرايا القدس في وقت قياسي!، انظر الرابط: https://cutt.us/zZfev.
- رام الله الإخباري (3 أغسطس 2019): شاهد بالتفاصيل.. سرايا القدس تنشر فيديو يرصد مراحل تطور راجمات الصواريخ لديها، انظر الرابط: https://cutt.us/0faqJ
- راية الاخباري (12 مارس 2014): سرايا القدس تطلق عملية "كسر الصمت" بقصف 90 صاروخا على المستوطنات المحيطة بغزة، انظر الرابط: https://cutt.us/g88v7.
- سما الإخبارية (14 نوفمبر 2019): سرايا القدس تصدر بيان عسكري هام حول معركة "صيحة الفجر" البطولية، انظر الرابط: https://cutt.us/RIHQK.

- شبكة فلسطين للحوار (10 مارس 2014): معركة بشائر الانتصار الجهادية، انظر الرابط: https://cutt.us/Saqrv.
- الشريف، أدهم (30 مايو 2021): تقرير لماذا تَرَوَّت المقاومة أمام "مسيرة الأعلام" وانتهاكات المستوطنين في القدس؟ موقع فلسطين اون لاين، انظر الرابط: https://cutt.us/jpxUD.
- العبد الله، محمد (20 نوفمبر 2019): "صيحة الفجر" تُبدد ظلام ليلة الاغتيالات في غزة والمزة، وكالة القدس للأنباء، انظر الرابط: : https://cutt.us/QmlU5.
- عبدو، حسن (20 ديسمبر 2019): صيحة الفجر النقلة النوعية في المواجهة مع "إسرائيل" والقادم "أدهى وأمر"، وكالة فلسطين اليوم، انظر الرابط: https://cutt.us/ZtJ5N.
- عبدو، حسن (7 أغسطس 2022): بعد اغتيال خالد منصور.. ما أثر تصفية قادة المناطق على الأداء العسكري لسرايا القدس؟ موقع الجزيرة نت، انظر الرابط: https://cutt.us/0CRwv.
- عبدو، حسن (9 مارس 2016): معركة "بشائر الانتصار": ملحمة جهادية خالدة، موقع سرايا القدس، الاعلام الحربي، انظر الرابط: https://cutt.us/yr9hD.
- العربي الجديد (14 مارس 2014): إسرائيل وغزّة: في انتظار دورة التصعيد المقبلة، انظر الرابط: https://cutt.us/tCGRw.
- العربي الجديد (28 ابريل 2022): سرايا القدس" تكشف عن مسيّرة "جنين"، انظر الرابط: https://cutt.us/gv38D.
- العهد الاخباري (3 أغسطس2019): بالفيديو – هكذا طوّرت سرايا القدس الراجمات الصاروخية، للمزيد انظر الرابط: https://cutt.us/z8MbS
- الغد (27 سبتمبر 2019): انتخاب النخالة أمينا عاما لـ "الجهاد الإسلامي"، انظر الرابط: https://cutt.us/aRKtQ.
- فلسطين اليوم (15 نوفمبر 2012): ما هي صواريخ فجر «5» التي قصفت بها «تل الربيع» ؟، انظر الرابط: https://cutt.us/4Cwb6.
- فلسطين اليوم (29 مايو 2019): تقرير "الوفاء للشهداء".. معركة جسدت الوحدة والتلاحم بالدم، انظر الرابط: https://cutt.us/EQU5h.

- فلسطين اليوم (4 مارس 2015): خبر الشهيد رامز عبيد: ثأر للشقاقي بعملية بطولية هزت «تل أبيب»، انظر الرابط: https://cutt.us/fsWtw.
- فلسطين اليوم (9 مارس 2021): معركة "بشائر الانتصار" ... سرايا القدس تفرض شروطها على الاحتلال، انظر الرابط: https://cutt.us/8jTfH.
- قناة المنار (25 فبراير 2020) بالفيديو.. سرايا القدس تنشر مشاهد لرشقات صاروخية ضمن معركة "بأس الصادقين"، انظر الرابط: https://cutt.us/6J1Eu.
- المركز الفلسطيني للإعلام (12 نوفمبر 2021): عامان على استشهاد أبو العطا.. نهج الجهاد والمقاومة، نظر الرابط: https://cutt.us/HURZ2.
- المصري، صالح (25 فبراير 2020): مختص إعلامي: قرار السرايا بالرد على جريمة الناعم كان مطلباً شعبياً، موقع سرايا القدس الاعلام الحربي، انظر الرابط: https://cutt.us/APdF3.
- مكي، لقاء (13 مايو 2021): المتغيرات العسكرية في حرب غزة الرابعة، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، انظر الرابط: https://cutt.us/S2Xoh.
- وكالة شهاب (26 أكتوبر 2016): النخالة: لن نتخلى عن مشاغلة العدو، انظر الرابط: https://cutt.us/gOeRo.
- وكالة معا الاخبارية (5 أغسطس 2022): من هو القيادي تيسير الجعبري الذي اغتالته اسرائيل؟ انظر الرابط: https://cutt.us/QghCF.
- وكالة معا الإخبارية (7 أغسطس 2022): سرايا القدس تعلن استهداف طائرة إسرائيلية في اجواء جنوب قطاع غزة، انظر الرابط: https://cutt.us/5lJd0.

ثالثا: المقابلات الشخصية:

- حسن لافي (07 أغسطس 2022) أجرى المقابلة محمود الفقعاوي.
- عامر خليل (5 سبتمبر 2022) أجرى المقابلة محمود الفقعاوي.
- قيادي في سرايا القدس (27 أغسطس 2022): أجرى المقابلة محمود الفقعاوي.
- مؤمن مقداد (07 أغسطس 2022) أجرى المقابلة محمود الفقعاوي.

العوامل المؤثرة على استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا (COVID-19) من وجهة نظر المستخدمين: دراسة ميدانية على مستخدمي التطبيقات في منطقة مكة المكرمة للعام الهجري ١٤٤٣هـ

Factors affecting the use of tracking applications of the Corona pandemic (COVID-19) from the point of view of users: a field study on application users in the Makkah Al-Mukarramah region for the Hijri year 1443 AH

الباحثة: سارة مطير الخالدي
ماجستير إدارة عامة تنفيذية، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية

اشراف: د. صباح عبد الله الصومالي
أستاذ مشارك قسم نظم المعلومات الإدارية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية

Sarah Mutair Al-Khalidi
Master's in Executive Public Administration, King Abdulaziz University, Saudi Arabia

Supervising: Dr. Sabah Abdullah Al-Somali
Associate Professor, Department of Management Information Systems, King Abdulaziz University, Saudi Arabia
smughabbiishalkhaldi@stu.kau.edu.sa

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على العوامل المؤثرة على استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا (COVID-19) من وجهة نظر مستخدمي التطبيقات في منطقة مكة المكرمة، وتمثلت العوامل في (الفائدة المدركة، سهولة الاستخدام المدركة، الملاءمة، درجة التعقيد، النية السلوكية)، واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لجمع البيانات حيث أُعتمدت الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات، تم توزيعها على عينة عشوائية من مستخدمي التطبيقات عبر موقع التواصل الاجتماعي Whats App، وتِمثل مجتمع الدراسة في مستخدمي التطبيقات في منطقة مكة المكرمة وتم الحصول على (٢٠٢) مستجيب، وقد تم تحليل البيانات باستخدام حزم التحليل الاحصائي للعوامل الاجتماعية (SPSS22)، وكان من أبرز النتائج التي توصلت اليها الدراسة اقتناع المستخدمين بإن هنالك فائدة مدركة لتطبيقات تتبع جائحة كورنا حيث بلغ المتوسط المرجح ٤،٢٥ من ٥بدرجة موافقة موافق بشدة، يعتبر استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا سهل بشكل عام من وجهة نظر موظفي المستخدمين حيث بلغ المتوسط المرجح ٤،٢٨ من ٥، ويرى المستخدمين ملاءمة تطبيقات تتبع جائحة كورونا للوضع الراهن حيث بلغ المتوسط المرجح ٤،١٧ وبدرجة موافق، ومن أبرز التوصيات التي توصلت اليها الدراسة ضرورة إجراء أبحاث علمية حول المشاكل المتعلقة بتبني التكنولوجيا والابتكارات الجديدة ووسائل المعالجة العلمية التي يمكن تنفيذها على ارض الواقع.

الكلمات المفتاحية: التكنولوجيا، نظرية انتشار الابتكار، جائحة كورونا، كوفيد-١٩، تطبيقات التتبع

Abstract:

The study aimed to identify the factors influencing the use of tracking applications of the Corona pandemic (COVID-19) from the point of view of application users in the Makkah region, and the factors were (perceived benefit, perceived ease of use, convenience, degree of complexity, behavioral intention), and the research adopted On the descriptive analytical approach to data collection, where the questionnaire was adopted as the main tool for data collection, it was distributed to a random sample of application users via the Whats App social networking site, and the study population was represented by application users in the Makkah Al Mukarramah region, and (202) respondents were obtained. The data was

used using the Statistical Analysis Packages for Social Factors (SPSS22), and one of the most prominent results of the study was the users' conviction that there is a perceived benefit to the Corona pandemic tracking applications, as the weighted average was 4.25 out of 5 with a degree of approval strongly agree. General from the point of view of users' employees, where the weighted average was 4.28 out of 5, and users see the suitability of the Corona pandemic tracking applications to the current situation, as the reference average reached 4.17 To an agreeable degree, and among the most prominent recommendations of the study is the need to conduct scientific research on problems related to the adoption of technology, new innovations and scientific treatment methods that can be implemented on the ground.

Keywords: Technology Acceptance Model, Innovation Diffusion Theory, Corona pandemic, covid 19, tracking app.

المقدمة:

شكلت جائحة فيروس كورونا أزمة تجاوزت في سرعة انتشارها ونطاق تغطيتها الكثير من الازمات التي عاشتها الدول خلال القرون الماضية حيث تعد هذه الجائحة اسرع واقوى أزمة ضربت الصحة العامة على الصعيد العالمي وكما كان لها التأثير على الاقتصاد، والتعليم، والسياحة، والرياضة بل هددت العلاقات الإنسانية والأنشطة البشرية وغيرت العديد من المفاهيم والمعايير الثقافية والاهداف والروى المستقبلية للأفراد والمجتمعات والدول ومن خلال هذا أصبحت أزمة كورونا اهتمام الدراسين والباحثين في جميع المجالات والعلوم كما باتت تحتل الصدارة في المناقشات والتحليلات ذات الطابع الطبي، والاقتصادي، والاجتماعي، والإنساني في حين أن صانعي السياسات قد نفذوا العديد من التدابير لحد من هذا الانتشار فقد اقترحوا دمج التقنيات الحديثة في استراتيجيات إزالة القيود والتقليل من مخاطر الانتشار فتم تصميم تطبيقات للتعقب المخالطين تعرف بتطبيقات تتبع جائحة كورونا فان فعالية هذه التطبيقات تعتمد على استيعاب المستخدمين لذلك فتبحث هذه الدراسة في معرفة العوامل المؤثرة على استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا متمثلة هذه العوامل في نموذج قبول التكنولوجيا الذي ابتكر من قبل العالم Davis في عام ١٩٨٦ لتفسير قبول المستخدم لنظام المعلومات (الطويل، ٢٠١١). ونظرية انتشار الابتكار وهي نظرية اجتماعية ونفسية تهدف الى المساعدة في التنبؤ بكيفية اتخاذ الافراد قرارهم تبني ابتكار جديد او فكرة جديدة (عجوز وآخرون، ٢٠٢٠). حيث جاءت هذه الدراسة لتوفير فهم أعمق في معرفة العوامل المؤثرة على الاستخدام.

مشكلة البحث:

ساعدت التطورات في التكنولوجيا المعلومات والاتصالات على ظهور العديد من التقنيات الجديدة خلال جائحة كورونا حيث شكله تطبيقات التتبع منعطفاً جديداً في جميع القطاعات ورغم الانتشار الواسع لتطبيقات COVID-19وتحول الافراد التدريجي نحوها ومن هذا المنطلق يمكن تلخيص مشكلة الدراسة في تساؤل عام وهو "ماهي العوامل المؤثرة على استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا (COVID-19) من وجهة نظر المستخدمين؟"

وينبثق من هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية كما يلي:

1- ماهي درجة أهمية كلاً من: الفائدة المدركة، سهولة الاستخدام المدركة، درجة الملاءمة، درجة التعقيد على النية السلوكية لاستخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا (COVID-19) من قبل المستخدمين؟

2- ماهي درجة وجود النية السلوكية لاستخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا(COVID-19) (من وجهة نظر المستخدمين؟

3- هل هناك فروق في مدى تقبل المستخدمين لاستخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا تعزى الى خصائصهم الشخصية (الجنس، العمر، المؤهل)؟

أهمية الدراسة:

1) الأهمية العلمية

تبرز أهمية الدراسة حسب علم الباحثة في قلة الدراسات التي تناولت تطبيقات تتبع جائحة كورونا (COVID-19) ورغبة الباحثة في دراسة موضوع يواكب الأوضاع السائدة ويتماشى مع تطورات التقنية وتقيس هذه الدراسة العوامل المؤثرة في استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا وذلك من خلال الدمج بين نموذج قبول التكنولوجيا (TCM) ونظرية انتشار الابتكار (IDT).

2) الأهمية التطبيقية

تعد هذه الدراسة الأولى من نوعها في منطقة مكة المكرمة وتقدم العديد من النتائج والتوصيات لصانع القرار في فهم العوامل المؤثرة على استخدام التطبيقات والتي بدورها تساعد في التقليل من مقاومة المستخدمين للتطبيقات في المستقبل.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى التعرف على العوامل المؤثرة على استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورنا (COVID-19) من وجهة نظر المستخدمين.

وينشق من هذا الهدف الرئيسي مجموعة من الأهداف الفرعية والتي تتمثل في التالي:

- معرفة درجة أهمية كلاً من الفائدة المدركة، سهولة الاستخدام المدركة، درجة الملاءمة، درجة التعقيد على النية السلوكية لاستخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا (COVID-19).
- معرفة درجة وجود النية السلوكية لاستخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا (COVID-19) من وجهة نظر المستخدم.
- معرفة الفروق في مدي تقبل المستخدمين لاستخدام تطبيقات تتبع جائحة كورنا (COVID-19) تعزى لخصائصهم الشخصية (الجنس، العمر، المؤهل).

المصطلحات:

جدول (1) التعريفي المفاهيمي والاجرائي لمصطلحات الدراسة

المصطلح	التعريف المفاهيمي	التعريف الاجرائي
تطبيقات تتبع الجائحة	هي تطبيقات تستخدم تقنية الهواتف الذكية لتسجيل تفاصيل ملفات الهواتف الذكية الأخرى أو لتسجيل مواقع الهواتف الذكية أو كليهما لتحديد جهات الاتصال التي ثبتت اصابتهم بالفيروس (O'Callaghan et al.,2020).	هي تلك التطبيقات التي تتوافق مع الهواتف الذكية لغرض تعقب المصابين بفيروس كورونا عن طريق تقنيات متعددة كالمواقع والبلوتوث وما الى ذلك
كوفيد –١٩	هو المرض النجم عن فيروس كورونا المستجد المسمى فيروس كورونا–سارس ٢وقدتم اكتشاف هذا الفيروس لأول مره في ٣١كانون الأول /ديسمبر ٢٠١٩بعد الإبلاغ عن حلات الالتهاب الرئوي الفيروسي في وهان بجمهورية الصين الشعبية (منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢١).	هو مرض ناتج عن فيروس كورونا المسبب للالتهاب الرئوي تم ظهور هذا المرض لأول مرة في مدينة وهان بجمهورية الصين وهو مرض سريع الانتشار.
نموذج قبول التكنولوجيا	ابتكر نموذج TAM من قبل العالم Davis في عام ١٩٨٦ ويعد من أكثر النماذج انتشاراً وتطبيقاً في مجال نظم المعلومات من قبل الأفراد او المستخدمين يتحدد بمتغيرين رئيسيين: المنفعة المدركة وسهولة الاستخدام المدركة وان هذان المتغيران يتأثران بعوامل خارجية أخرى (Davis ,1989).	هو أحد النماذج التي تساعد في فهم سلوك الافراد نحو التكنولوجيا وذلك من خلال الفائدة المدركة وسهولة الاستخدام المدركة ويعود هذا النموذج للعالم Davis الذي ابتكره في عام 1986.
نظرية انتشار الابتكار	تركز نظرية انتشار الابتكار على فهم كيف، وماذا وبأي معدل تنتشر الأفكار والتقنيات المبتكرة في النظام الاجتماعي (Rogers,2003).	وضعت هذه النظرية لتفسير السلوك الإنساني تجاه تبني فكرة أو منتج في نظام اجتماعي معين أطلقت هذه النظرية من قبل العالم الأمريكي Rogers.

حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: تمثلت في العوامل المؤثرة على استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا
- الحدود البشرية: مُتمثلة في مستخدمي تطبيقات تتبع جائحة كورونا
- الحدود المكانية: منطقة مكة المكرمة
- الحدود الزمنية:٢٠٢١–٢٠٢٢.

الدارسات السابقة

الدراسات العربية:

1) دراسة جرس (٢٠٢١)

جاءت هذه الدراسة لتحقق من هدفان رئيسيانا الهدف الأول:هو فحص تأثير السهولة المتصورة للاستخدام والفائدة المدركة ومشاركة المنتج علي نية استخدام التطبيقات الطبية علي أجهزة الهاتف المحمول، الهدف الثاني الكشف عن العوامل التي قد تجعل بعض مستفيدي الرعاية الصحية لا يستخدمون تطبيقات الهاتف المحمول الطبية حيث شابة هذه الدراسة الحالية في اختبارها لنموذج قبول التكنولوجيا للكشف عن نية الاستخدام لتطبيقات الطبية من عدمه وأشاره نتائج الدراسة الى أن الفائدة المدركة وسهولة الاستخدام لها تأثيرات ايجابيه كبيرة علي نية استخدام تطبيقات الهاتف المحمول الطبية في حين أن المخاطر المتصورة ليس لها تأثير كبير النية للاستخدام.

2) دراسة حسين وعبد الحميد (٢٠٢١)

ركزت الدراسة بشكل أساسي على تطبيقات الحوسبة المنتشرة في إعدادات العمل والتحقق من صحة النموذج المقترح تجريبياً حيث تم اختبار تطبيق mobile Business Intelligentباعتباره تقنية المرحلة الأولية للحوسبة المنتشرة طورت الدراسة نموذجاً مقترحاً تضمن النظرية الموحدة والموسعة لقبول التكنولوجيا (UTAUT) مع متغيرات الثقة الراحة المتصورة لتحقيق النية السلوكية لاستخدام تطبيقات الحوسبة المنتشرة وأظهرت النتائج أن الجهد المتوقع أوضح عن ١٧.٩٪ من الاختلافات في الملاءمة المتصورة ٢٩.٩٪من الاختلافات في توقع الأداء تم تبريرها بالراحة المتصورة وأشارت النتائج ايضاً إلى أن توقع الأداء والجهد المتوقع والتأثير الاجتماعي والظروف الميسرة والراحة والثقة المتصورة من الاختلافات في النية السلوكية لاستخدام تطبيقات الحوسبة المنتشرة.

3) دراسة بدوى (٢٠٢٠)

وجاءت هذه الدراسة لتبين العلاقة بين العوامل المؤثرة في قبول المستخدمين والقبول التكنولوجي واستهدفت أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية وهدفت الى توصيف وتحليل العوامل المؤثرة في قبول المستخدم للتكنولوجيا ولتحقيق الهدف اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي واظهرت نتائج الدراسة ان جودة المعلومات، جودة النظام، جودة الخدمات الالكترونية، المنفعة المدركة، سهولة الاستخدام المدركة، الكفاءة الذاتية، والالمام باللغة عوامل مؤثرة بشكل معنوي في قبول التكنولوجيا وأوصت الدراسة بضرورة استعانة الجامعات المصرية بنموذج قبول التكنولوجيا لتقيم العوامل المؤثرة في الباحثين عند استخدام المكتبة الرقمية وهو ما يعزز من المنفعة الحقيقة لاستخدام المكتبة الرقمية.

4) دراسة عجوز وآخرون (٢٠٢٠)

والتي تبحث في عوامل قبول استخدام تطبيق رُكاب في ظل نظرية انتشار الابتكار وقبول التكنولوجيا وهدفت الى معرفة العوامل المؤثرة في قبول المستخدمين المحتملين لتطبق رُكاب وهو تطبيق خاص بالنقل والمواصلات في فلسطين معتمدة على المنهج الوصفي الكمي حيث اثبتت ان هناك علاقة ارتباط بين المزايا النسبية، الصعوبة، والملاءمة وبين فوائد الاستخدام واوصت الدراسة بالمزيد من الأبحاث لتأكد من نتائج الدراسة.

5) دراسة الزعبي (٢٠١٦):

سعت هذه لتحقق من العوامل المؤثرة في النية لاستخدام نظام التعليم الالكتروني من خلال اختبار نموذج قبول التكنولوجيا وأكدت الدراسة أن نموذج (TAM)نموذج نظري مفيد في المساعدة على فهم وتفسير النية السلوكية لاستخدام نظام التعليم الالكتروني واوصت الدراسة باختبار نموذج قبول التكنولوجيا على قطاعات أخرى وتطوير النموذج ليشمل متغيرات أخرى.

6) دراسة العضايلة وآخرون (٢٠١٦):

سعت هذه الدراسة لمعرفة العوامل المؤثرة على الاستخدام للخدمات المصرفية عبر الانترنت من وجهة نظر العملاء وبينت نتائج الدراسة أن العوامل المؤثرة (مستوى المهارات التقنية، الفائدة المدركة، توفر المعلومات) كان لها أثر كبير في استخدام الخدمات المصرفية الالكترونية عبر الانترنت واوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بتوفير المعلومات الكافية التي يحتاجها العميل عند استخدام الخدمات المصرفية.

الدراسات الإنجليزية

7) دراسة (2021 O'Callaghan) et al,

أجريت هذه الدراسة في ايرلندا خلال الأسبوع الأول من فرض القيود المجتمعية لجائحة كورونا وقبل اصدار تطبيق تتبع فيروس كورونا (COVID-19)وهدفت هذه الدراسة الى معرفة العوائق والحواجز لاستخدام تطبيقات تتبع فيروس كورونا من خلال اجراء مسح وطني عبر الانترنت على عينة كبيره من سكان ايرلندا توصلت الدراسة الي ان هناك مستوي عالي من الاستعداد لتنزيل وتحميل التطبيق وأن يكون مدعوماً بالصحة العامة لتتبع جهات الاتصال وستكون المخاوف المتعلق بالخصوصية وأمن المعلومات حاسمة إذا كان التطبيق يستحق الاعتماد على نطاق واسع والاستخدام المطلوب لتشغيله بشكل فعال.

8) دراسة Sharma, et al (2020)

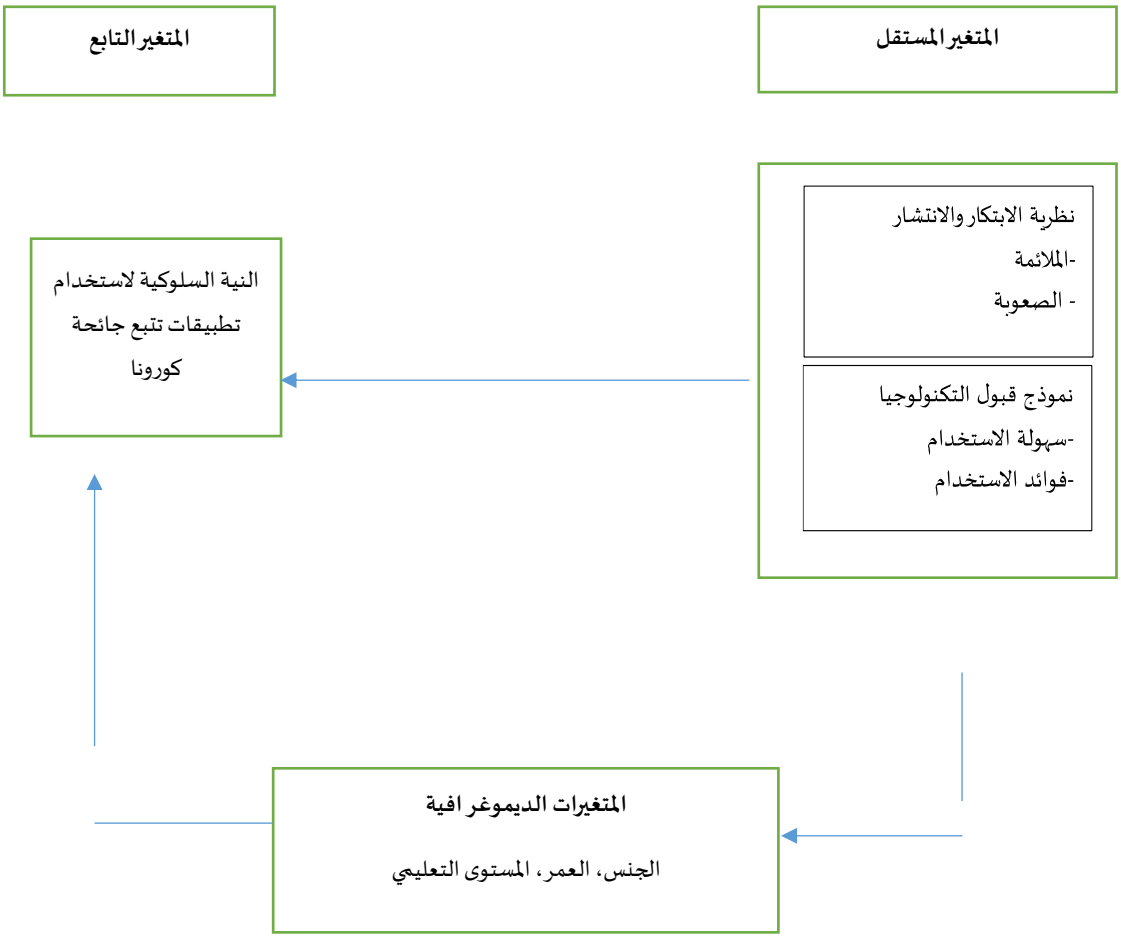
التي جاءت بعنون "الابتكار في مجال الصحة الرقمية اعتماد تطبيقات تتبع جهات الاتصال الرقمية " وجمعت هذه الدراسة بين نظرية الانصاف الإجرائي والحساب المزدوج والسلوك المخطط والبعد الثقافي لهوفسيد لاختبار النية حول اعتماد تطبيق (DCT) وهدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن نية الفرد في اعتماد تطبيق تتبع فيروس كورونا واجري استطلاع عبر الفيس بوك في فيجي وكشفت الدراسة أن الموقف مؤشر هام على النية لاعتماد تطبيق تتبع فيروس كورونا

9) دراسة Walrave, et al (2020)

هدفت الدراسة إلى التحقق من العوامل التي تؤثر على نية استخدام تطبيق COVID-19استناداً إلى نموذج الاعتقاد الصحي وتم اجراء مسح في فلاندز بلجيكا على ١٥٠٠ مستجيب تراوحت أعمارهم ما بين ١٨-٦٤ سنة وتم الاعتماد على عينة طبقية غير متجانسة تم توزيع استبانة عبر الانترنت كأداة لجمع البيانات اعتماده الدراسة على البرنامج الاحصائي G power لتحليل البيانات وتوصلت هذه الدراسة الى عدد من النتائج ومن أهمها تشكل الفائدة المدركة العنصر الأهم في نية استيعاب التطبيق والوظائف التي يجب ان تحقق الفعالية في السيطرة على انتشر المرض واصت الدراسة بضرورة شرح الفائدة المتصورة عند اطلاق التطبيق.

(8) نموذج الدراسة

بناء على مراجعة الدراسات السابقة وتساؤلات الدراسة، يظهر الشكل رقم (1) الإطار المقترح للدراسة



الشكل رقم (1) نموذج الدراسة

وفقاً لنظرية انتشار الابتكار فالمتغيرات المستقلة:

1- نظرية الانتشار والابتكار:

وهي نظرية اجتماعية ونفسية تهدف الى المساعدة في التنبؤ بكيفية اتخاذ الافراد قرارهم تبني ابتكار جديد او فكرة جديدة حيث تسعى هذه النظرية الى شرح كيفية انتشار الأفكار والتقنيات الجديدة وتعتمد هذه النظرية على خمس سمات للابتكار وللتنبؤ بتجاه المستخدمين نحو سلوك معين وهي: المزايا النسبية، الملاءمة، درجة التعقيد، الملاحظة، إمكانية التجربة (عجوز وآخرون، ٢٠٢٠).

وترى الباحث أهمية سمة الملائمة، درجة التعقيد للدراسة الحالية وتستثني باقي السمات وذلك لملائمتها للدراسة الحالية.

درجة الملاءمة: تشير الملاءمة إلى الكيفية التي ينظر فيها إلى الفكرة الجديدة أو الاختراع على أنه متسق وملائم للمستخدمين (Rogers,2003).

درجة التعقيد: ويقصد بدرجة التعقيد المدى الذي يمكن اعتبار الابتكار الجديد صعب الفهم والاستخدام إلى حد ما (Rogers, 2003).

2- نموذج قبول التكنولوجيا:

يعتبر نموذج قبول التكنولوجيا من النماذج الأكثر والأوسع انتشاراً في فهم سلوك الافراد نحو قبول تكنولوجيا المعلومات ومنتجاتها المختلفة، وبعبارة أخرى يساعد نموذج قبول التكنولوجيا في فهم سلوك الافراد نحو المنتجات التكنولوجية وذلك من خلال سهولة الاستخدام، وفوائد الاستخدام (عجوز وآخرون، ٢٠٢٠).

يحتوي نموذج قبول التكنولوجيا على متغيرات خارجية (متغيرات مستقلة)

- **سهولة الاستخدام:** وتعرف بانها الدرجة التي يعتقد فيها مستخدمي التطبيقات أن استخدام التكنولوجيا سهلاً ولا يتطلب أي جهداً او معناه.
- **الفائدة المدركة:** تشير الدرجة التي يعتقد فيها مستخدمي التطبيقات بأن استخدام التكنولوجيا يمكن ان يعزز ويحسن من أدائهم لأعمالهم.
- **النية السلوكية (كمتغير تابع):** هي السلوك المخطط من قبل مستخدمي التطبيقات ويتم توقعه من خلال سهولة الاستخدام وفوائد الاستخدام، الملاءمة، ودرجة التعقيد.

الإطار المفاهيمي للبحث

مفاهيم حول متغيرات الدراسة

(9-1)- نموذج قبول التكنولوجيا (Technology Accept Model):

هو نموذج لتفسير قبول المستخدمين لنظم المعلومات ويفترض هذا النموذج أن المستخدمين لنظم المعلومات يتحدد بمتغيرين رئيسين وهما: المنفعة المدركة وسهولة الاستخدام المدركة وهذان المتغيران يتأثران بعوامل خارجية (الزعبي، ٢٠١٦).

(9-1-1) مراحل تطور نموذج قبول التكنولوجيا (TAM):

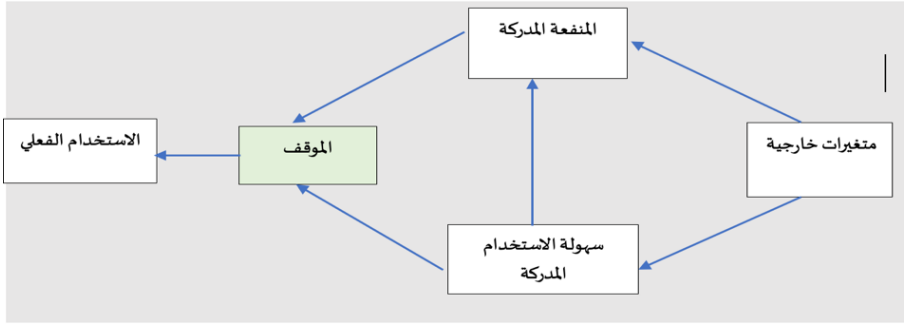
1- جاء نموج قبول التكنولوجيا معتمداً على نظرية الفعل المبرر للسلوك الإنساني التي وضعها (Fashbein & Ajzan) في سنة ١٩٨٠ وتنص النظرية: أن سلوك الانسان يتحدد من إراداته

نحو الفعل وهذه الإرادة تحد من الاتجاه وايضاً من المعايير الشخصية وهي: ما يتصوره الفرد من أفكار الناس المهيمنين لدية حول ما يجب القيام به من أداء للفعل المحدد أو لا، والاتجاه يحدد من الاعتقادات ومن يقوم بالفعل وتمثل المعتقدات تلك المعلومات سواء كانت صحية أو خاطئة لدى الإنسان عما يحيط به وأن هذه المعلومات تحدد السلوك (الزعبي، ٢٠١٦).

2- ثم طور نموذج قبول التكنولوجيا بالاعتماد على نظرية السلوك المخطط (Theory Of Planned Behavior) التي وضعها Ajzenفي عام ١٩٨٥ومبدأ هذه النظرية هو: لابد من ان يكون هنالك تخطيط قبل البدء بتنفيذ الأعمال لأي قرار يتخذ بدلاً من اعتبار ردة الفعل، وفي هذه النظرية أقترح Ajzem إضافة متغير الادراك حيث أسهم بالتنبؤ بالنية وذلك لشروع بالعمل ويرى أنه من الصعب أن تتكون النية للقيام بالعمل في حال شعور الفرد بعدم الاستطاعة بالتحكم بسبب عوامل خارجيه عن السيطرة (الزعبي، ٢٠١٦).

أ- ثم فسر Davis النموذج الأصلي لقبول التكنولوجيا أن حافز المستخدم لنظام المعلومات يعتمد على ثلاث عوامل وهي: المنفعة المدركة، وسهولة الاستخدام، الموفق وافترض أن المحدد الرئيسي نحو للاستخدام هو الموفق ويوضح الشكل رقم (2): النموذج الأصلي لقبول التكنولوجيا.

شكل رقم (2) النموذج الأصلي لقبول التكنولوجيا (المصدر: الزعبي، ٢٠١٦)



ب-ثم قام بتعديل على النموذج الأصلي وافترض أن المنفعة المدركة لها تأثير مباشر على الاستخدام الفعلي لنظام وأن هناك تأثير مباشر لخصائص النظام على موقف المستخدم دون الحاجة إلى الاعتماد الفعلي للنظام(الزعبي، ٢٠١٦).

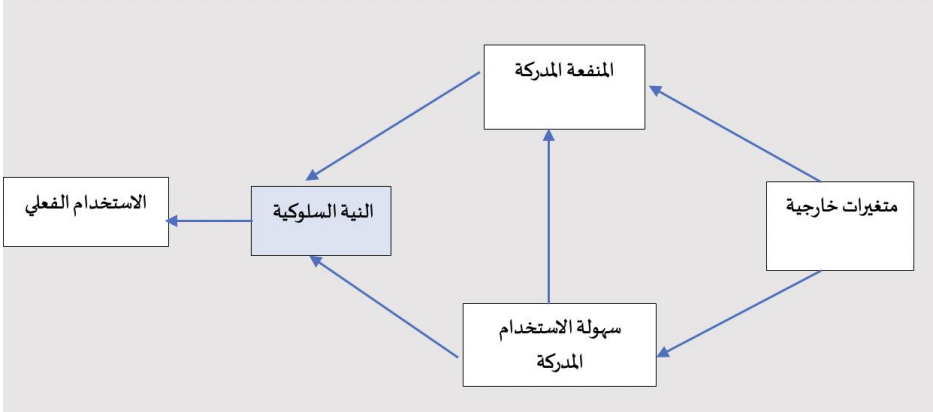
ت-ثم طور النموذج ليتضمن النية السلوكية للاستخدام كمتغير يتأثر مباشرة بالمنفعة المدركة ويتوسط الاستخدام الفعلي (الزعبي، ٢٠١٦).

3- قام (Davis,Bagozzi,Warshow) في عام ١٩٨٩ باختبار التعديل الثاني للنموذج من خلال تجربته على ١٠٧ من مستخدمي نظام المعلومات واظهرت النتائج التالي:

أ- وجود تأثير قوى على النية السلوكية للمستخدم والنية للاستخدام حيث اعتبر أن المنفعة المدركة أكبر تأثيراً من سهولة الاستخدام على النية السلوكية.

ب-أن كلاً من سهولة الاستخدام والمنفعة المدركة لها تأثير مباشر على النية السلوكية للمستخدم ومن هنا تم استبعاد متغير الموقف تجاه الاستخدام من النموذج ويوضح ذلك الشكل رقم (3) نموذج قبول التكنولوجيا بعد التعديل (الزعبي، ٢٠١٦).

شكل رقم (3) نموذج قبول التكنولوجيا بعد التعديل (المصدر إعداد الباحثة بالاستناد إلى دراسة الزعبي، 2016).



(9-1-2) أهمية نموذج قبول التكنولوجيا:

1- جاءت أهمية نموذج قبول التكنولوجيا من قوة انتشاره وتجاوزه الحدود الزمانية والمكانية
2- يعتبر نموذج مساعد في فهم وتفسير النية السلوكية للاستخدام
3- يعتبر أحد النماذج الصادقة تفسير سلوك المستخدمين
4- كما تم استخدام نموذج قبول التكنولوجيا بنية الاستخدام الفعلي لتطبيقات تتبع جائحة كورونا من خلال دراسة تأثير المنفعة المدركة وسهولة الاستخدام في التنبؤ بسلوك المستخدمين والاستخدام الفعلي وهذا م تراه الباحثة.

(9-1-3) عوامل نموذج قبول التكنولوجيا:

ويشير Davis إلى أن العديد من التغيرات التي تؤثر على استخدام النظام وهنالك عاملين مهمين:

- أولاً: يميل الناس الى الاستخدام أو عدم استخدام تطبيق لدرجة انهم يعتقدون انها تساعدهم في أداء أعمالهم بشكل أفضل ويسمى هذا المتغير بالمنفعة المدركة Davis,1989 (، كما ورد في الزعبي، ٢٠١٦).

- ثانياً: سهولة الاستخدام المدركة وهي تعني الدرجة التي يعتقد فيها المستخدم أن استخدام النظام خالياً من الجهد والصعوبةDavis,1989 (، كما ورد في الزعبي، ٢٠١٦).

(2-9)-نظرية انتشار الابتكار (Innovation Diffusion Theory):

قدمت نظرية انتشار الابتكار من قبل العالم Rogersفي عام ١٩٦٢ في محاولة جادة لشرح نشر الابتكار حيث عرف الابتكار على انه فكرة أو ممارسة أوشي ينظر إليه على أنه جديد حسب الفرد أو وحدة أخرى من التبني. ويعرف الانتشار بأنه العملية التي يتم من خلالها اعتماد الابتكار والحصول على قبول من أعضاء مجتمع معين (Surry, 1997) .

(1-2-9) العوامل الرئيسية المؤثرة على انتشار الابتكار:

يتفاعل عدد من العوامل لتأثير على نشر الابتكار وهي:

1- الابتكار نفسه.
2- كيفية توصيل الابتكار.
3- الوقت.
4- النظام الاجتماعي الذي يتم فيه الابتكار.

(2-2-9) تطورات نظرية الانتشار والابتكار:

عند مناقشة نظرية الانتشار فهي ليست نظرية واحده ومحددة جيداً وموحدة تشامل عدد كبير من النظريات من مجموعة متنوعة من التخصصات وكلاً منها يركز على عنصر مختلف من عملية الابتكار وناقش Rogers أربع نظريات وهي الأكثر استخداماً: نظرية عملية قرار الابتكار، نظرية الابتكار الفردي نظرية التبني، نظرية السمات المتصورة (Surry, 1997) .

١-نظرية عملية قرار الابتكار:

تنص نظرية عملية قرار الابتكار على أن الانتشار هو عملية يحدثها الوقت ويمكن أن ينظر إليه على أنه يحتوي على خمس مراحل وهي: المعرفة، الاقناع، القرار، التنفيذ والتأكيد وفقاً لهذه النظرية فأن المتبنين المحتملين يجب أن يقتنعوا بمزايا الابتكار ويقرر ذلك تبني الابتكار وتنفيذه (Surry, 1997).

٢-الابتكار الفردي:

تنص نظرية الابتكار الفردي على: أن الأفراد الذين يميلون إلى الابتكار سيتبنون الابتكار أبكر من أولئك الأقل استعداً (Surry, 1997) . ويصنف نموذج ا لانتشار أنماط الافراد المتبنين للابتكار

ويعرض الأنواع المختلفة في محور زمني التبني على شكل جسر مع تواتر المتبنين بمنحنى الانتشار على شكل S وهذا ما يوضحه الشكل رقم (٢-٣) أنماط المتبنين ويتم توزيع هؤلاء بموجب هذه النظرية الى خمس فئات (Wani & Ali, 2015).

أنماط المتبين للابتكار:

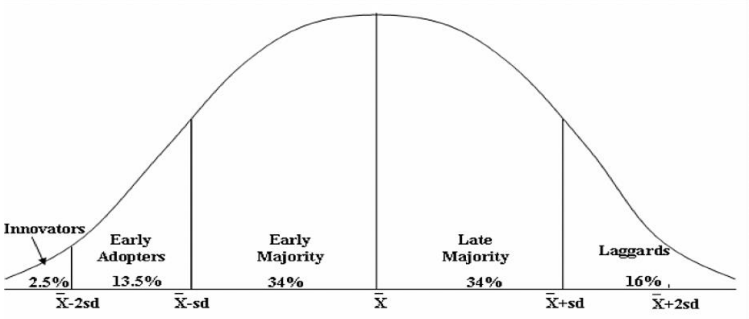
1- المبتكرون (غير المخترعون) الذين يشكلون ٢،٥٪ من سكان العالم أول من يجرب الابتكار.

2- المتبنون الأوائل: ويشكلون ١٣،٥٪ وهم قادة الرأي وينتمون الى أدوار قيادية.

3- الأغلبية المتأخرة: هي التي تشكل ٣٤ ٪ ويشكك هؤلاء في التغير ولن يعتمدوا ابتكاراً الا بعد تجربته من قبل الأغلبية.

4- المتخلفون: الذين يشكلون ١٦٪ وهؤلاء ملتزمون بالتقاليد ومحافظون للغالية وانهم مشككون للغاية في التغيير وهم أصعب مجموعة يمكن جذبها (Wani & Ali, 2015).

الشكل رقم (4) أنماط المتبين للابتكار (المصدر: Rogers,2003)



٣- نظرية معدل التبني:

وهي نظرية شائعة الاستخدام تنص على ان الابتكارات تنتشر بمرور الوقت في نمط منحنى الشكل ومعدل التبني يفترض أن الابتكار يمر بفترة بطيئة وتدريجية قبل أن يمر بفترة نمو (Surry, 1997).

٤-نظرية السمات المتصورة:

تنص النظرية على أن المتبنين المحتملين يحكمون على الابتكار بناء على تصوراتهم لخمس سمات للابتكار وهذه السمات كما اوضحها Surry (1997) هي:

1- الميزة النسبية.

2- قابلية المحاكمة.

3- قابلية الملاحظة.

4- التعقيد أو الصعوبة.

5- التوافق أو الملاءمة.

وتقود هذه النظرية الى أن الابتكار سيشهد معدل انتشار متزايد أذا إدراك المتبنين المحتمل أن الابتكار:

1- تمت محاكمته على أساس محدد قبل التبني

2- تقديم نتائج ملحوظة

3- لدية ميزة نسبة إلى ابتكار أخر أو الوضع الراهن

4- ليس معقد اً بشكل مفرط

5- متوافق مع الموجود.

(9-3)- جائحة كورونا

جائحة فيروس كورونا المستجد (COVID-19):

عاشت البشرية حالة هلع كبير من فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) كونه يعد جائحة يختلف نمط انتشارها عن سابقاتها من الفيروسات التاجية التي تصيب الجهاز التنفسي. فما هو فيروس كورونا المستجد؟ (ملكاوي، ٢٠٢٠).

(9-3-1) فيروس كورونا (Corona Virus):

تمثل فيروسات كورونا فصيلة كبيرة من الفيروسات التي تسبب أمراض متنوعة للإنسان كالزكام ونزلات البرد العادية، ومتلازمة كورونا الشرق الأوسط (MERS-COV) ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم سارس (SARS-COV) ويعد فيروس كورونا المستجد (SARS-COV-2) سلالة جديدة لم يسبق تحديدها وإصابتها للبشر من قبل وقد أعلنت اللجنة الدولية لتصنيف الفيروسات تسمية فيروس كورونا 2في فبراري ٢٠٢٠واختير هذا الاسم لارتباط الفيروس جينياً بفيروس كورونا الذي سبب فاشية متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد (سارس) في عام ٢٠٠٣وأعلنت اللجنة الدولية ومنظمة الصحة الدولية أن (كوفيد -١٩) هو الاسم الرسمي لهذا المرض الجديد الذي يسببه هذا الفيروس (ملكاوي، ٢٠٢٠).

(9-3-2)أثر جائحة فيروس كورونا (COVID-19)

أثر الازمة الصحية (جائحة فيروس كورونا) على القطاعات

جائحة كورونا المستجد أثرت على العالم بشكل عام والاسر بشكل خاص حيث أدى انتشار الجائحة إلى تداعيات على جميع القطاعات وعلى سبيل المثال لا الحصر القطاع الاقتصادي، والقطاع التعليمي، والقطاع السياحي وغيرها وهذه الأزمة خلقت نوعاً من التباين بين الدول في آليات مواجهة الفيروس ومنع انتشار الوباء (مركز المبدعون للدراسات والتدريب جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٢٠).

أثر الأزمة الصحية على الاقتصادي العالمي:

مع مطلع عام ٢٠٢٠، بدء الاقتصاد العالمي تُسيطر علية حالة من عدم اليقين حول عمر الازمة الاقتصادية الراهنة التي تسّبب فيها فيروس كورونا لأنه ضرب بشدة الدول الاقتصادية الكبرى فالدول الاكثر تضرراً تشمل مجموعة السبعة الكبرى (G7) بالإضافة الى الصين (التلباني، ٢٠٢٠). واشار صندوق النقد الدولي أن العالم يواجه أسوأ تداعيات اقتصادية منذ سنوات" الكساد الكبير "محلياً ودولياً وأن كل ذلك يعتمد بدرجة حاسمة على إجراءات الاستباقية التي يجب ان تتخذها الدول (علي ، ٢٠٢١).

أثر الازمة الصحية على التعليمي:

أجبرت الجائحة الهيئات الاكاديمية حول العالم على اكتشاف أنماط جديدة للتعلم والتعليم ومنها التعليم عن بعد وتعتبر هذه التجربة بمثابة تحدي للطلاب والمعلمين وكيفية تأقلمهم مع التغيرات التي طرأت والتزامهم بدورهم في الحد من انتشار الفيروس (كروج، ٢٠٢٠).

أثر الازمة الصحية على السياحي:

إن الانتشار السريع والواسع النطاق لعدد حالات COVID-19جعل قيود السفر تعمم ومن وهان التي شهدت الإغلاق المحلي إلى جميع دول العالم حيث أوقفت الفنادق، والمطاعم، ومنظمي الرحلات وشركات الطيران إلى اجل غير مسمى وفي قطاع الفنادق والمطاعم تواجه ٥١ مليون شركة مناخاً اقتصاديا شديد الصعوبة يلقي بثقله على فرص العمل وينعكس الانخفاض الحاد في النشاط الاقتصادي على العاملين في قطاع السياحة (براجي ، ٢٠٢١).

أثر الازمة الصحية الاجتماعية:

ونظراً للأهمية التي تعتليها الأسرة كونها جزءاً من هذا المجتمع طالتها تداعيات هذه الجائحة متمثلة في الحد من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية والتباعد الجسدي والمكاني أو تداعيات نفسية من أصابه أحد الافراد أو الأقارب بالمرض والخوف من المستقبل والاحساس بعدم الأمان بسبب إلغاء الرحلات الجوية وإغلاق بعض الحدود الدولية ايضاً احتمالية تفاقم المشكلات كانعدام الأمان المالي والوظيفي في الاسرة بسبب البقاء في المنزل (مركز المبدعون للدراسات والتدريب جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٢٠).

(9-3-3) المبادرات الرقمية لمكافحة أزمة فيروس كورونا COVID-19

١-تطبيقات الهاتف المحمول:

بينما يخترق فيروس كورونا الحدود الدولية يولي مسؤولو الصحة العامة اهتماماً للبلدان التي تعمل على إبطاء انتشار العدوى وينتشر فيروس كورونا من الأشخاص المصابين لعدة أيام قبل ظهور الاعراض عليهم ويستغرق الأمر وقتاً طويلاً للمسؤول الصحة العامة للتعرف على الحالات المشتبهة والمؤكدة من خلال البروتكولات الاختبارات الخاصة بهم و وفرت تطبيقات الهاتف المحمول الوقت الثمين الذي يقضيه مسؤول الصحة العامة من خلال اتباعه الأساليب التقليدية و مقابلته الأشخاص المصابين فعملت التطبيقات الهاتف المحمول على تعقب المصابين وحمل هؤلاء الأشخاص إلى عزل انفسهم واختبارهم (Gaur & Rashmi, 2020)

أمثلة لتجارب بعض من الدول:

- كانت استراليا أول من طور تطبيق COVID Safeباستخدام بروتوكول إشارات البلوتوث الذي يسمح للمسؤول الصحة بالوصول إلى معلوماتهم .(Gaur & Rashmi, 2020)
- وايضاً كانت التطبيقات عنصراً حاسماً في الصين لمنع مواجهة الموجهة الثانية (Gaur & Rashmi, 2020)
- وفي كوريا يدير مركز مكافحة الامراض الوقائية نظام إدارة COVID-19الذكي وهو تطبيق هاتفي ذكي لتتبع جهات الاتصال يساعد السلطات على تحليل تحركات المصابين والموجودين في الحجر الصحي (Gaur & Rashmi, 2020)
- ودخلت (Appel & Googel) شراكة لإنشاء تطبيقات تتعقب جهات الاتصال والتي تبنتها وكالات الصحة العامة في المانيا وولايتي ألاباما وكارولينا الجنوبية في الولايات المتحدة الامريكية .(Gaur & Rashmi, 2020)

٢-أدوات النمذجة والتحليلات ذات المصدر المفتوح:

تعد المشاركة السريعة للبيانات أمراً بالغ الأهمية أثناء الأوبئة وذلك لأنها تتيح فهماً أفضل لأصول العدوى ويمكن ان تكون هذه البيانات بمثابة الوقاية والعلاج والرعاية. فكانت البيانات المفتوحة هي الطريق للعلماء في جميع أنحاء العالم للعمل لتطوير لقاح فوجود قاعدة مفتوحة هو أول وأهم مبادرة لمشاركة البيانات التي ساعدت العلماء على تكوين صورة واضحة لكيفية انتشار الفيروس (Gaur & Rashmi, 2020)

٣-تقنيات الصحة عن بُعد:

تسمح تقنيات الرعاية الصحية عن بُعد برؤية المرضى وتشخيصهم عن بعُد من قبل الأطباء عبر نظام اتصال تفاعلي ثنائي الاتجاه سمعي بصري وذلك نظراً للارتفاع معدلات انتقال المرض لاسيما داخل المستشفيات ويمكن ان تكون تقنية الرعاية الصحية عن بعد فعالة من حيث تصنيف المصابين بأعراض معتدلة والحالات الشديدة وبالتي الحفاظ على قوة تحمل المستشفيات وعلاوة على ذلك فهي متاحة في أي وقت ويمكن التعامل مع عدد أكبر من المرضى مقارنة بالرعاية الشخصية وقدمت الكثير من الدول هذه المبادرة (Gaur & Rashmi, 2020).

٤- نظم المعلومات الجغرافية (GIS) ومركز التحكم والقيادة المتكاملة للمدن الذكية (ICCC):

يساعد نظام المعلومات الجغرافية علماء الأوبئة على رسم خريطة لحدوث المرض مقابل معايير متعددة بما في ذلك العوامل الديموغرافية، البيئة، المنطقة الجغرافية والأحداث السابقة لفهم أصل الفاشية ونمط انتشارها وسرعتها وشدتها وذلك لتنفيذ التدابير الوقائية.

أ- تحتاج وكالات الصحة العامة وصانعوا السياسات والمسؤولين إلى نظم المعلومات الجغرافية (GIS) لفهم أنماط تفشي المرض في الوقت الفعلي ولتحديد السكان المعرضون للخطر والتخطيط للتدخل المستهدف مثل تقييم المرافق المتاحة أو زيادة قدرات الرعاية الصحية (Gaur & Rashmi, 2020)

ب-ويتم استخدام مركز التحكم والقيادة (ICCC) لتنفيذ مراقبة الدوائر التلفزيونية المغلقة للاماكن العامة ورسم خرائط GISللحالات الإيجابية للمرض كوفيد -١٩وتتبع GPSللرعاية الصحية (Gaur & Rashmi, 2020)

٥-طائرة بدون طيار:

يتم نشر طائرات بدون طيار في الخطوط الامامية لاحتواء انتشار الفيروس ويتم استخدام هذه الطائرات بشكل فعال لتسهيل البث الجوي، ورش المطهرات واجراء الاستشعار الحراري الجوي،

وتوصيل الإمدادات الطبية في المناطق المصابة وقامت كوريا الجنوبية بنشرها للمساعد في تطهير المناطق والمدن شديدة الإصابة، ووجهة وزارة الطيران المدني بوابة (GARUP) لتسريع الاعفاء ات الممنوحة للوكالات الحكومية لنظام الطائرات بدون طيار (Gaur & Rashmi, 2020).

٦-الروبوتات:

استجاب مطورو الروبوتات لمخاوف الصحة العامة التي أثيرت أثناء تفشي جائحة فيروس كورونا وتستخدم الروبوتات لتقليل الاتصال البشري والتعرض للفيروس ولجعل المستشفيات أكثر أماناً للعاملين في الرعاية الصحية في الخطوط الامامية.(Gaur & Rashmi, 2020)

أ- فقامت شركة (Dimer UVC) ومقرها لوس انجلوس بتطوير ربوت (Germ Falcon) لقتل الجراثيم والذي يمكن استخدامه لتعقيم الطائرات (Gaur & Rashmi, 2020)

ب-واستخدمت بلجيكا روبوت (Zora Bots) في دور رعاية المسنين لمساعدتهم على البقاء على اتصال بأقاربهم (Gaur & Rashmi, 2020).

ت-وفي الهند روبرت (Zafi Medic) في مستشفى المهاتما غاندي الحكومي لتوصيل الطعام والأدوية لمرضى كوفيد -١٩ الخاضعين للعزل الصحي (Gaur & Rashmi, 2020)

٧-طابعات ثلاثية الابعاد:

تلعب الطابعات ثلاثية الابعاد دوراً مهماً كتقنية رقمية من خلال تعزيز الإنتاج وتحسين المعدات الطبية المتخصصة لعلاج مرضى فيروس كورونا نظراً لإمكانية الوصول والتصميم الملموس والمرن.

فالأزمة الإيطالية: المتمثلة في النقص الحاد لجهاز التنفس الصناعي تم تطوير مطبوعات ثلاثية الأبعاد كملحق من أجل مخرج الزفير لجهاز التنفس الصناعي لتقييم وتنظيم إمداد الاكسجين.

وفي نيويورك يقوم مستشفى ويل هيلت بطباعة ما يقرب 2000 إلى 3000 مسحة أنفية يومياً للاستخدام الفوري (Gaur & Rashmi, 2020)

(9-3-4) تطبيقات تتبع جائحة كورونا في المملكة العربية السعودية

أ-تطبيق توكلنا:

بموجب النظام الصحي ولوائحه التنفيذية بالمملكة العربية السعودية قامت وزارة الصحة السعودية باعتماد المعايير الصحية التي تم تطوير تطبيق توكلنا بناءً عليها، وستخضع خصائص ووظائف تطبيق توكلنا لأي تعليمات إضافية تصدر إنفاذ للأنظمة المحلية في المملكة العربية السعودية وذلك لتحقيق الغاية الصحية المتوخاة في الحد من انتشار فيروس كورونا (توكلنا ، ٢٠٢١).

الخدمات التي يقدمها تطبيق توكلنا:

أ- أبرز الخدمات التي قدمها تطبيق توكلنا خلال فترة المنع:

1- **طلب تصاريح الخروج:** يتم طلب تصريح الخروج للحصول على التموين خلال فترة المنع عن طريق التطبيق.

2- **استعراض تصاريح العمل:** يتم استعراض التصاريح بشكل إلكتروني لتسهيل عملية انتقال موظفي الجهات الحكومية وشركات القطاع الخاص المستثناة من المنع.

3- **استعراض المخالفات:** تمكن هذه الخدمة استعراض مخالفات المستخدم المتعلقة بمنع التجول.

4- **استعرض الكود الخاص بالمستخدم (QR) لرجال الأمن:** للإسهام في تسريع عملية التحقق والمرور للموطنين والمقيمين.

5- **استعراض أخر المستجدات الصحية والطبية:** ومن خلال هذه الخدمة يتمكن المستخدم من معرفة المستجدات المتعلقة بالوباء وسبل الوقاية منه

6- الابلاغ عن حالة اشتباه: تمكن المستخدم من تشخيص حالته الصحية أو الإبلاغ عن حالة اشتباه، وبعد تحديد المصاب يدخل المستخدم البيانات المطلوبة التي تتضمن رقم الجوال، والموقع، وبعد ذلك يجيب عن الأسئلة الخاصة بالأعراض وبعد الانتهاء يتم تقديم البلاغ (توكلنا ، ٢٠٢١).

ب-أبرز الخدمات التي يقدمها تطبيق توكلنا خلال فترة نعود بحذر:

1- **لقاح كورونا:** خدمة تمكين المستخدمين من حجز مواعيد جرعات لقاح كورونا بعد التأكد من أهليته.

2- **خدمة الجواز الصحي:** خدمة متاحة من خلال تطبيق توكلنا تؤكد أن الشخص قد أكمل جميع الجرعات الخاصة بلقاح فيروس كورونا وأصبح محصن ضد الفيروس.

3- **المحفظة الرقمية:** المحفظة الرقمية يتم من خلالها استعراض الوثائق الرسمية للمستخدم مثل الهوية الوطنية والإقامة رقمياً.

4- **خدمة فحص كورونا:** خدمة تتيح لمستخدمي توكلنا حجز موعد لإجراء فحص COVID-19 واستعراض نتائج الفحص من خلال التطبيق بكل يسر وسهولة.

5- **استعراض الحالة الصحية:** لتحديد حالة المستخدم الصحية من خلال الألوان فأصفر يرمز إلى أن المستخدم لم تثبت إصابته فيما اللون البني يخص المصابين، واللون البرتقالي للمخالطين

الذين يجب عليهم الالتزام بالعزل المنزلي والأصفر للمخالطين الذين يسمح لهم بالذهاب إلى العمل مع الحرص على الإجراءات الاحترازية.

6- **خدمة عرض تصاريح العمرة:** خاصية تتيح الارتباط مع تطبيق اعتمرنا لعرض تصاريح المعتمرين في تطبيق توكلنا وإلغاء التصريح تلقائياً في حال تغير حالة المعتمر الصحية لضمان أداء مناسك العمرة بكل طمأنينة وأمان (توكلنا ، ٢٠٢١).

سياسة الخصوصية لتطبيق توكلنا:

إيماناً بأهمية البيانات وسريتها فأن إدارة تطبيق توكلنا تلتزم بالمحافظة على سرية وخصوصية المعلومات ولن تقوم إدارة التطبيق بالإفصاح عن تلك المعلومات الا وفقاً لضوابط محددة ومنصوص علية

أ-معلومات المستخدم

ويقصد ببيانات ومعلومات المستخدم:

1- البيانات الشخصية المستخدمة لتسجيل.

2- بيانات الموقع الجغرافي للمستخدم وتحركاته.

3- معلومات بيانات الاتصال والتحديثات المتعلقة بالاستخدام.

4- المعلومات الأخرى المدخلة من المستخدم مثل طلبات تصريح الخروج والبلاغات وإجابة الاستبيانات (توكلنا ، ٢٠٢١).

ب- جمع المعلومات:

1- **معلومات الاتصال:** يقوم التطبيق بجمع بعض بيانات الجهاز التي تساعد على تحسين التجربة مثل لغة الجهاز ونوع النظام كما يقوم التطبيق بتتبع الموقع الجغرافي للمستخدم لإصدار تصاريح الخروج والإشعارات للخدمات الأخرى في التطبيق وذلك وفق ما تضعه وزارة الصحة من معايير لمكافحة فيروس كورونا وأي سلطة أخرى وفق الأنظمة المحلية (توكلنا ، ٢٠٢١).

2- **المعلومات المدخلة:** يتم حفظ المعلومات المدخلة من المستخدم مثل طلبات التصريح والبلاغات والإجابة على الاستبيانات التي يتم عرضها من خلال التطبيق (توكلنا ، ٢٠٢١).

3- **خصائص الجهاز:** ولتقديم الخدمات يحتاج التطبيق الى الوصول إلى بعض معلومات المستخدم والجهاز مثل المواقع GPS، والبلوتوث، وBLE، الكاميرا وملفات الجهاز (توكلنا ، ٢٠٢١).

4- **تخزين المعلومات:** يتم تخزين المعلومات الخاصة بالمستخدم في الخوادم التي تحددها إدارة التطبيق داخل المملكة العربية السعودية وتحرص إدارة التطبيق على أن تكون هذه الخوادم محمية من الاختراق والدخول غير المصرح وفق المعايير المتبعة وتتعهد إدارة التطبيق بحذفها من تلك الخوادم كل ٢١يوم (توكلنا ، ٢٠٢١).

ج -حق الإفصاح عن معلومات المستخدمين:

أ- ينحصر حق الاطلاع على معلومات المستخدمين للعاملين المخولين بذلك في إدارة التطبيق وللأغراض والاستخدامات التي تحددها السياسة المعتمدة من قبل إدارة التطبيق.

ب- يجوز استخدام البيانات المستخدم غير المحددة لهوية ضمن بيانات ومؤشرات إحصائية تراكمية ومشاركتها مع الجهات ذات العلاقة وذلك حسب ما تراه إدارة التطبيق (توكلنا ، ٢٠٢١).

- تطبيق تباعد:

هو وسيلة لإشعار المخالطين للمصابين بفيروس كورونا حيث يمكن للأفراد تحميل واستخدام تطبيق تباعد لتحقيق الغاية الصحية والسلامة المتوخاة والاستفادة من الحصول على الإشعارات المباشرة والاستباقية حال اكتشاف أي إصابة مسجلة لغرض طلب الدعم الصحي المباشر (تباعد ، ٢٠٢١).

شروط عمل تطبيق تباعد:

1- تحميل التطبيق: يتم تحميل التطبيق من متجر جوجل بلاي أو أبل ستور واستخدام التطبيق بشكل مجاني وطوعي.

2- لا بد من تشغيل البلوتوث ليعمل التطبيق.

3- لا يتطلب التطبيق معرفة هوية الافراد.

4- لا يجمع التطبيق أي بيانات ذات علاقة بالإحداثيات الجغرافية لمستخدم التطبيق.

5- لا يجمع التطبيق بيانات عن مالكي الهواتف الذكية المستخدمة لتطبيق ولا التعرف على الجوالات الذكية المتصلة به.

6- تتم معالجة أي بيانات تجمع في التطبيق لغرض السيطرة على تفشي جائحة فيروس كورونا، ولا تستخدم لأغراض أخرى (تباعد ، ٢٠٢١).

سياسة ارسال البيانات:

يرسل التطبيق بينات معرفات مموهة للهواتف الذكية المستخدمة لنفس التطبيق والتي تم تسجيلها خلال فترة الاختلاط بمصاب فيروس كورونا مصحوبة ببيانات أجهزة الأشخاص المصابين وذلك بالاعتماد على السياسة التي وضعها من قبل شركة أبل وشركة جوجل (تباعد ، ٢٠٢١).

الإطار التحليلي للدراسة:

(10) تصميم الدراسة

(10-1) منهجية الدراسة

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي كأحد مناهج البحث العلمي، وذلك من اجل الإجابة على أسئلة الدراسة وتوضيح أهدافها.

(10-2) مصادر جمع البيانات

استندت الدراسة على مصدرين لجمع البيانات وهي كالتالي:

أ- المصادر الثانوية:

وهي المصادر التي تم الاعتماد عليها في الإطار النظري لهذه الدراسة وتمثلت في الكتب والرسائل العلمية والدوريات العربية والانجليزية ومطالعة المواقع الالكترونية التي تناولت موضوع الدراسة أو متغيراتها.

ب- المصادر الأولية:

تمثلت في الاستبانة المحكمة التي استخدمت كمصدر أساسي لجمع البيانات الخاصة بأفراد العينة حيث اشتملت على خمس محاور رئيسية تغطي أسئلة ومتغيرات الدراسة الأساسية، وبالتالي تعطي نتائج للمشكلة البحث.

(10-3) أسلوب القياس

اعتمدت الدراسة على مقياس ليكرت (likert)خماسي الدرجات والذي يتراوح من موافق بشدة (ويمثل بالدرجة5)، حتى غير موافق (ويمثل بالدرجة1).

(11) مجتمع وعينة الدراسة

ويقصد بالمجتمع ببساطة الكل الذي يمثل الأصل تمثيلاً كاملاً بجميع طبقاته وشرائحه وخصائصه (الاشعري، ٢٠١٧). ويشمل مجتمع الدراسة مستخدمي تطبيقات تتبع جائحة كورونا ذكوراً واناثاً في منطقة مكة المكرمة وتحديداً طلاب جامعة الملك عبد العزيز بجده، موظفي مستشفى النور التخصصي بمكة المكرمة، موظفي الشؤون الصحية بمحافظة الطائف، وتم اختيار عينة عشوائية، حيث تم توزيع الاستبانة على العينة المستهدفة عبر موقع التواصل الاجتماعي Whats App باستخدام نماذج جوجل وتم الحصول على ٢٠٢ استبانة كاملة الإجابات وهي التي جرى اعتمادها في تحليل البيانات.

(12) الأساليب الإحصائية للبيانات

باستخدام حزم التحليل الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS 22) Statistic Package For Social Science لا تمام التحليل الاحصائي للإجابات التي وردت بقوائم الاستبيان ويشمل التحليل (أ)الاحصائي على الأساليب الاستدلالية وتختص هذه الأساليب بطرق تحليل وتفسير واستخلاص النتائج من عينة البحث للتوصل إلى قرارات تخص المجتمع ومنها الأساليب التي تم استخدامها اختبار المصادقة والاعتمادية (ألفا كرو نباخ) Reliability Analysis.

(ب)الأساليب الإحصائية الوصفية وتشمل على

- الوسط الحسابي (Mean)
- الانحراف المعياري (Standard Deviation)
- التكرار والنسبة (Frequency and percent)

(13) نتائج الأساليب الإحصائية الاستدلالية الوصفية

(13-1) -الإحصاءات الاستدلالية

- اختبار المصداقية الاعتمادية Reliability Analysis معامل ثبات الفا كر ونباخ لقياس المصداقية والاعتمادية تم قياس معامل ألفا كر ونباخ وهو معامل الارتباط بين درجات الاختبار ونفسه ويشير الصدق إلى مدي صلاحية استخدام القياس ومدى صحة التفسيرات المقترحة لهذه النتائج وقد تم قياس درجة الصدق والثبات للاستبيان ككل باستخدام معامل الفاكرونباخ والذي يوضحه جدول قياس الصدق والثبات

جدول (2) قياس درجة الصدق والثبات للاستبيان

المحور	عدد العبارات	معامل الثبات (ألفا كر ونباخ)	معامل الصدق
الفائدة المدركة	٦	٠،٨٧٥	٠،٩٣٦
سهولة الاستخدام المدركة	٥	٠،٨٩٥	٠،٩٤٦
الملاءمة	٤	٠،٩٠٢	٠،٩٤٩
درجة التعقيد	٥	٠،٩٧٤	٠،٩٨٦
النية السلوكية	٤	٠،٩٣٥	٠،٩٦٧
الإجمالي	٢٤	٠،٩٠٤	٠،٩٥١

من خلال البيانات السابقة يتضح أن معامل الثبات (ألفا كر ونباخ)، ومعامل الصدق الداخلي للاستبيان عالٍ جداً وعلية يمكن وصف الاستبيان بأنه يتمتع بثبات وصدق عالٍ، وهذا يعني أننا إذا طبقنا هذه الدراسة باستخدام هذا الاستبيان بصورته الحالية على مجتمع مماثل مائة مرة نحصل على نفس النتائج بنسبة (٩٠، ٤٪) وتكون النتائج صادقة، أي أن الاستبيان يفي بالغرض الذي صُمم من أجلة بنسبه تصل إلى (٩٥.١٪). مما يعني أن هنالك ثبات عال بالنسبة للأداة، أي أن الاستبانة تفي بالغرض الذي صُمم من أجله.

الإحصاءات الوصفية (13-2)

للوقوف على واقع استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا من خلال التكرار والنسب والوسط الحسابي والانحراف المعياري ودرجة الموافقة على أسئلة الاستبانة في كل محور على حدة كما هو موضح في الجداول التالية

جدول (3) النسب والتكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابة افراد العينة حول المحور الأول: الفائدة المدركة

م	رمز العبارة	التكرار	خيارات الإجابة					المتوسط المرجح	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
			موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة			
١	تتيح لي تطبيقات تتبع جائحة كورونا الفرصة في المساهمة في معرفة أفضل الحلول حول انتشار فيروس كورونا.	ت	٨٦	٨٩	٢٠	٥	٢	٤، ٢٥	٠، ٨١	موافق
		٪	٦، ٤٢	١، ٤٤	٩، ٩	٥، ٢	٠، ١			
٢	باستخدامي لتطبيقات تتبع جائحة كورونا أساعد الجهات والسلطات في مكافحة انتشار فيروس كورونا	ت	٩٥	٨٧	١٣	٥	٢	٤، ٣٣	٠، ٧٨	موافق بشدة
		٪	٠، ٤٧	١، ٤٣	٤، ٦	٥، ٢	٠، ١			
٣	باستخدامي لتطبيقات تتبع جائحة كورونا اتعاون مع الجهات والسلطات في الحد من انتشار فيروس كورونا.	ت	١٠٠	٨٥	٨	٧	٢	٤، ٣٦	٠، ٨٠	موافق بشدة
		٪	٧، ٣٧	١، ٤٢	٠، ٤	٦، ٣	٠، ١			
٤	الخدمات المقدمة عبر تطبيقات تتبع جائحة كورونا ذات تكلفة منخفضة.	ت	٦٨	٩٦	٢٨	٧	٣	٤، ٠٨	٠، ٨٦	موافق
		٪	٧، ٣٣	٥، ٤٧	١٣، ٩	٥، ٣	٥، ١			
٥	الخدمات التي تقدمها تطبيقات تتبع جائحة كورونا أكثر سرية وامان	ت	٧٥	١٠٠	٢١	٥	١	٤، ٢٠	٠، ٧٦	موافق بشدة
		٪	١، ٣٧	٥، ٤٩	١٠، ٤	٥، ٢	٥، ٠			
٦	يمكن أن أحصل على المعلومات من تطبيقات تتبع جائحة كورونا في الوقت الذي اريده	ت	٨٣	٩٧	٢٠	٢	٠	٤، ٢٥	٠، ٧٨	موافق بشدة
		٪	١، ٤١	٠، ٤٨	٩، ٩	١	٠			
	المتوسط الحسابي المرجح العام							٤، ٢٥	٠، ٧٨	موافق بشدة

ويشرح الجدول المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابة أفراد العينة على المحور الأول، فمن خلال المتوسط العام والذي بلغ (٤، ٢٥) والانحراف المعياري الذي يبلغ (٠، ٧٨) والذي يقابل الإجابة أوافق بشدة مما يعني أن أفراد العينة موافقون على عبارات المحور الأول أي ان هنالك فائدة مدركة من تطبيقات تتبع جائحة كورونا، وبناءً على المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية تم ترتيب العبارات تنازلياً ابتداء من المتوسط الأكبر وانتهاءً بالمتوسط الأصغر.

جدول (4) النسب والتكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابة افراد العينة حول المحور الثاني: سهولة الاستخدام المدركة

م	رمز العبارة	التكرار	خيارات الإجابة					المتوسط المرجح	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
			موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة			
١	إجراءات الحصول على خدمات تطبيقات تتبع جائحة كورونا تمتاز بالسهولة والسرعة.	ت	٨٦	٨٩	٢٠	٥	٢	٤، ٢٥	٠، ٨١	موافق بشدة
		٪	٤٢، ٦	٤٤، ١	٩، ٩	٢، ٥	١، ٠			
٢	سهولة الحصول على الخدمات المقدمة عبر تطبيقات تتبع جائحة كورونا تُؤثر تأثيراً مباشر على موقف المستخدم تجاه الاستخدام.	ت	٩٥	٨٧	١٣	٥	٢	٤، ٣٣	٠، ٧٨	موافق
		٪	٤٧، ٠	٤٣، ١	٦، ٤	٢، ٥	١، ٠			
٣	أستطيع التعامل مع تطبيقات تتبع جائحة كورونا بشكل واضح ومفهوم	ت	١٠٠	٨٥	٨	٧	٢	٤، ٣٦	٠، ٨٠	موافق بشدة
		٪	٣٧، ٧	٤٢، ١	٤، ٠	٣، ٦	١، ٠			
٤	أجد ان تعلم كيفية استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا سهل بالنسبة لي.	ت	٦٨	٩٦	٢٨	٧	٣	٤، ٠٨	٠، ٨٦	موافق بشدة
		٪	٣٣، ٧	٤٧، ٥	١٣، ٩	٣، ٥	١، ٥			
٥	بشكل عام أرى أن من السهل استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا.	ت	٧٥	١٠٠	٢١	٥	١	٤، ٢٠	٠، ٧٦	موافق بشدة
		٪	٣٧، ١	٤٩، ٥	١٠، ٤	٢، ٥	٠، ٥			
	المتوسط الحسابي المرجح العام							٤، ٢٨	٠، ٦٧	موافق بشدة

النسب والتكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة على المحور الثاني: سهولة الاستخدام المدركة لتطبيقات تتبع جائحة كورونا، فمن خلال المتوسط العام والذي بلغ (٤، ٢٨) والانحراف المعياري الذي يبلغ (٠، ٦٧) والذي يقابل الإجابة موافق بشدة مما يعني أن أفراد العينة موافقون بشدة على عبارات المحور الثاني، وبناءً على المتوسط الأكبر وانتهاء بالمتوسط الأصغر

جدول (5) النسب والتكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيار لإجابة أفراد العينة حول المحور الثالث: الملاءمة

م	العبارة	التكرار	خيارات الإجابة					المتوسط المرجح	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
			موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة			
١	تطبيقات تتبع جائحة كورونا متوافقة مع الظروف الحالية.	ت	٦٥	١١٥	٢٠	٠	٢	٤، ١٩	٠، ٦٨	موافق
		٪	٢، ٣٢	٩، ٥٦	٩، ٩	٠	٠، ١			
٢	الخدمات التي تقدمها تطبيقات تتبع جائحة كورونا تتناسب مع احتياجي.	ت	٦٠	١١٨	٢٢	٢	٠	٤، ١٧	٠، ٦٤	موافق
		٪	٧، ٢٩	٤، ٥٨	٩، ١٠	٠، ١	٠			
٣	الخدمات المقدمة عبر تطبيقات تتبع جائحة كورونا متاحة عند الطلب.	ت	٦٨	١١٢	١٨	٢	٢	٤، ٢٠	٠، ٧١	موافق
		٪	٧، ٣٣	٤، ٥٥	٩، ٨	٠، ١	٠، ١			
٤	تطبيقات تتبع جائحة كورونا تعمل بكفاءة عالية.	ت	٥٩	١١٩	١٨	٣	٣	٤، ١٣	٠، ٧٤	موافق
		٪	٢، ٢٩	٩، ٥٨	٩، ٨	٥، ١	٥، ١			
المتوسط الحسابي المرجح العام								٤، ١٧	٠، ٦٩	موافق

ويوضح الجدول رقم (٥) النسب والتكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة على المحور الثالث: الملاءمة، فمن خلال المتوسط العام والذي بلغ (٤، ١٧) والذي يقابل الإجابة موافق مما يعني أن أفراد العينة موافقون على عبارات المحور الثالث، وبناءً على المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية تم ترتيب العبارات تنازلياً ابتداءً من المتوسط الأكبر وانتهاءً بالمتوسط الأصغر.

جدول (6) النسب والتكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابة افراد العينة حول المحور الرابع: درجة التعقيد

م	العبارة	التكرار	خيارات الإجابة					غير موافق بشدة	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
			موافق	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق			
١	يتطلب استخدامي لتطبيقات تتبع جائحة كورونا مهارات تقنية.	ت	٢٨	٥٦	٢٩	٦٧	٢٢	٠، ٣	١، ٣	غير موافق
		٪	٩، ١٣	٧، ٢٧	٤، ١٤	٢، ٣٣	٩، ١٠			
٢	يتطلب استخدامي لتطبيقات تتبع جائحة كورونا مهارات فنية.	ت	٢٤	٥٥	٣٠	٦٩	٢٤	٢، ٩٣	١، ٢	غير موافق
		٪	٩، ١١	٢، ٢٧	٩، ١٤	٢، ٣٤	٩، ١١			

٣	يتطلب استخدامي لتطبيقات تتبع جائحة كورونا الكثير من الجهد.	ت	٢٢	٥٦	٢٨	٦٣	٣٣	٢، ٨٦	١، ٣	غير موافق
		٪	٩، ١٠	٧، ٢٧	٩، ١٣	٢، ٣١	١٦، ٣			
٤	يُعتبر استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا مُرهقاً.	ت	٢٢	٥٠	٢٥	٦٩	٣٦	٢، ٧٧	١، ٣	غير موافق
		٪	٩، ١٠	٨، ٢٤	٤، ١٢	٢، ٣٤	١٧، ٨			
٥	استخدام تطبيقات تتبع جائحة يشعرني بالقلق.	ت	٢٤	٥٣	٢٧	٥٩	٣٩	٢، ٨٢	١، ٣	غير موافق
		٪	٩، ١١	٢، ٢٦	٤، ١٣	٢، ٢٩	١٩، ٣			
المتوسط الحسابي المرجح العام								٢، ٨٧	١، ٣	غير موافق

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة على المحور الرابع: درجة التعقيد، فمن خلال المتوسط العام والذي بلغ (٤، ٢١)، والذي يقابل الإجابة غير موافق مما يعني أن أفراد العينة غير موافقون على عبارات المحور الرابع أي أن تطبيقات تتبع جائحة كورونا غير صعبة الفهم والاستخدام ولا تُعد ابتكار يتصف بالتعقيد وبناءً على المتوسطات الأكبر وانتهاءً بالمتوسط الأصغر

جدول (7) النسب والتكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابة افراد العينة حول المحور

المحور الخامس: النية السلوكية

	العبارة	**التكرار**	**خيارات الإجابة**					**المتوسط المرجح**	**الانحراف المعياري**	**درجة الموافقة**
			موافق بشدة	**موافق**	**محايد**	**غير موافق**	**غير موافق بشدة**			
١	استخدامي لتطبيقات تتبع جائحة كورونا يُشعرني بالمسؤولية تجاه المجتمع.	ت	٤٩	١٠٧	٢٤	١٩	٣	٣، ٨٩	٠، ٩٣	موافق
		٪	٢٤، ٣	٥٣، ٠	١١، ٩	٩، ٤	١، ٥			
٢	تعتبر تطبيقات تتبع جائحة كورونا فكرة جيده.	ت	٧٧	٩١	١٦	١٦	٢	٤، ١١	٠، ٩٣	موافق
		٪	٣٨، ١	٤٥، ٠	٧، ٩	٧، ٩	١، ٠			
٣		ت	٦٠	١٠٠	١٨	١٨	٦	٣، ٩٤	١، ٠	موافق

	لدي انطباع جيد حول استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا في الحد من انتشار فيروس كورونا	٪	٢٩،٧	٤٩،٥	٩،٨	٩،٨	٠،٣			
٤	لدي توجه إيجابي نحو استخدام تطبيقات تتبع الأوبئة	ت	٦٠	١٠٦	١٦	١٨	٢	٤،٩٩	٠،٩١	موافق
		٪	٢٩،٧	٥٢،٥	٩،٧	٩،٨	٠،١			
المتوسط الحسابي المرجح العام								٣،٩٩	٠،٩٤	موافق

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة على المحور الخامس: النية السلوكية، فمن خلال المتوسط الحسابي العام والذي بلغ (٣، ٩٩) والذي يقابل الإجابة أوافق مما يعني أن أفراد العينة موافقون على عبارات المحور الخامس أي ان الفائدة المدركة، وسهولة الاستخدام المدركة، و الملاءمة، ودرجة التعقيد هي مقياس نحو استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا. وبناءً على المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية تم ترتيب العبارات تنازلياً ابتداءً من المتوسط الأكبر وانتهاءً بالمتوسط الأصغر

المتغيرات الديموغرافية

يتم فيها توضيح المعلومات الأولية لأفراد العينة الذين استجابوا لأسئلة الاستبانة، ويتم حساب النسب والتكرار للمتغيرات الديموغرافية كالاتي:

جدول (8) التكرار والنسب لتوزيع افراد العينة حسب المتغيرات الديموغرافية

البيان		التكرار	النسبة٪
الجنس	انثى	٨٧	٤٣،١٪
	ذكر	١١٥	٥٦،٩٪
	المجموع	٢٠٢	١٠٠٪
العمر	من ١٨-٢٩سنه	٥٠	٢٤،٨٪
	من ٣٠-٣٩ سنه	١٠٩	٥٤،٠٪
	من ٤٠-٥٩ سنه	٤١	٢٠،٣٪
	٦٠سنه فأكثر	٢	١،٠٪
	المجموع	٢٠٢	١٠٠،٠٪

المؤهل			
	دبلوم فأقل	٤٣	٢١، ٣٪
	بكالوريوس	١٠٠	٤٩، ٥٪
	ماجستير	٥٠	٢٨، ٨٪
	دكتوراه	٩	٤، ٥٪
	المجموع	٢٠٢٠	١٠٠٪

وبناءً على ما سبق نلاحظ أن عدد الذكور في عينة الدراسة أكثر من عدد الإناث وهي الشريحة الأكبر بين أفراد عينة البحث البالغ عددهم (٢٠٢) وهي نتيجة طبيعية لأن الذكور هم الأكثر في مجال العمل من الإناث.

وبحسب متغير العمر، فنجد أن الفئة الأكبر أعمارهم تتوزع داخل الفئة العمرية (٣٠-٣٩سنة)، والذين بلغ عددهم (١٠٩) فرداً بنسبة (٥٤، ٠٪)، تليها الفئة العمرية (١٨-٢٩ سنة)، وبلغ عددهم (٥٠) فرداً بنسبة (٢٤، ٨٪)، وتليها الفئة العمرية (٤٠-٥٩سنة)، وبلغ عددهم (٤١) فرداً بنسبة (٢٠، ٣٪)، واخيراً الفئة العمرية (٦٠ سنة فأكثر)، وبلغ عددهم (٢) بنسبة (١، ٠٪).

حسب المستوى التعليمي، فالغالبية من أفراد العينة مستوى تعليمهم بكالوريوس، وعددهم (١٠٠) فرداً ونسبتهم (٤٩، ٥٪) ويليهم مستوى ماجستير وعددهم (٥٠) بنسبة (٢٨، ٨٪) ونجد أن عدد (٤٣) مستوى تعليمهم دبلوم فأقل بنسبة (١٣، ١٪)، واخيراً الحاصلين على دكتوراه عددهم (٩) بنسبة (٤، ٥٪)، وعليه يمكننا القول بأن عينة الدراسة من العينات التي تضم مجموعة من الأفراد المؤهلين، وبالتالي يؤدي هذا للحصول على نتائج أكثر دقة وموضوعية تساعد كثيراً في تحقيق أهداف الدراسة.

مناقشة نتائج الدراسة:

تناولت الدراسة العوامل المؤثرة على استخدام تطبيقات جائحة كورونا (COVID-19) من وجهة المستخدمين ومن خلال ما سبق بيانة توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- اقتناع المستخدمين الاستخدام لتطبيقات تتبع جائحة كورونا أن هنالك فائدة مدركة لاستخدام التطبيقات بدرجة كبيرة حيث بلغ متوسط الإجابات ٤، ٢٥من ٥ وبدرجة موافق بشدة.

2- يعتبر استخدام تطبيقات تتبع جائحة كورونا سهل بشكل عام من وجهة نظر المستخدمين حيث بلغ متوسط الإجابات ٤، ٢٨ من ٥ وبدرجة موافق بشدة.

3- يرى المستخدمون أن تطبيقات تتبع جائحة كورونا ملاءمة للوضع الراهن حيث بلغ متوسط الإجابات ٤، ١٧ من ٥، بدرجة موافق.

4- تعد تطبيقات تتبع جائحة كورونا ابتكار جيد يخلو من التعقيد ويتسم بالمرونة.

التوصيات:

لهذه الدراسة دلالات نظرية وميدانية تتعلق بإمكانية دمج نموذج قبول التكنولوجيا لدراسة قبول وتبني الابتكار نظراً لقوته التجريبية وصدقة وموثوقيته.

تساعد هذه الدراسة الشركات في تبني تكنولوجيا المعلومات من خلال فهم العوامل التي تؤثر في قبول المستخدمين لتطبيقات تتبع الأوبئة.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: المراجع باللغة العربية

- أحمد، محمد عبد السلام. (١٩٦٠). القياس النفسي والتربوي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- التلباني، أحمد. (٢٠٢٠). الأزمات الاقتصادية والآثار المتوقعة لأزمة فيروس كورونا المستجد ٢٠٢٠. مجلة جامعة الإسكندرية. مجلد (٥٧) العدد (٥)، الصفحات ١٦٣-٢١٢. https://acjalexu.journals.ekb.eg/article_123385_805d3e2e2dddd13f1b08e435370cf1b1.pdf
- الزعبي، ميسون. (٢٠١٦). *تطبيق نموذج تقبل التكنولوجيا في استخدام نظام التعليم* الالكتروني منوجهة نظر هيئة التدريس في جامعة آل البيت. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة آل البيت.
- السيد فؤاد البهمي. (١٩٩٨). الاسس النفسية للنمو (ط.٢). دار الفكر. القاهرة.
- الطويل، ليلى.٢٠١١. تطوير نموذج قبول التكنولوجيا واختباره على استخدام نظم المعلومات المحاسبية. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية مجلد (٣٣) العدد (١)، الصفحات٥٣-٧٢.
- العضايلة، رائد محمد، المبيض، هشام عثمان، والسميرات، محمد خليل. (٢٠١٦). العوامل المؤثرة على استخدام الخدمات المصرفية الالكترونية عبر الانترنت من وجهة نظر العملاء. *المجلة الأردنية في إدارة الاعمال، المجلد١٢* (٣)، الصفحات ٥٣١-٥٤٥.

- بدوى، رأفت محمد أحمد. (٢٠٢٠). العوامل المؤثرة على القبول التكنولوجي لمستخدمي المكتبة الرقمية بالجامعات الحكومية المصرية. مجلة الدراسات التجارية المعاصرة، (٩)، الصفحات ٨٨٤-٩٠٩.
- برجي، صباح. (٢٠٢١). تداعيات جائحة فيروس كرونا المستجد (كوفيد-١٩) على القطاع السياحي العالمي والعربي. مجلة الإصلاحات الاقتصادية والاندماج في الاقتصاد العالمي، مجلد ١(١٥). الصفحات ١٧٢-١٨٢.
- تباعد. (٢٠٢١). سياسة الخصوصية. https://tabaud.sdaia.gov.sa/
- توكلنا. (٢٠٢١). خدمات توكلنا. https://ta.sdaia.gov.sa/
- عجوز، موسى، سلهب، أسيل، وادعيس، أسيل. (٢٠٢٠). العوامل المؤثرة في قبول المستخدمين المحتملين لتطبيق رُكاب للنقل العام في فلسطين إضاءة من نظرية انتشار الابتكار ونموذج قبول التكنـولوجيا. مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد مجلد (٢) العدد (٥)، الصفحات ١- ٢٠.
- علي، محمد السيد أبو الفتوح. (٢٠٢١). العوامل المؤثرة في صناعة القرارات الاستراتيجية في مواجهة فيروس كورونا واثارها على الحد من تفشي الفيروس. مجلة الدراسات، المجلد٢٢(١)، الصفحات ٢٥٧-٣٠٧.
- مركز المبدعون للدراسات والاستشارات والتدريب بجامعة الملك عبد العزيز. (٢٠٢٠). تداعيات الحظر الكلي والجزئي على الاسرة السعودية في ظل جائحة كورونا. https://www.fac.gov.sa/web/upload_dir/content/1616479390.pdf
- ملكاوي، حنان عيسى. (٢٠٢٠). تداعيات جائحة فيروس كورونا المستجد على الامن الصحي العربي. نشريه الألكسو العلمية، العدد (٢)، ١-٥٧.
- كروج، مايكل. (٢٠٢٠). الأثر الأكاديمي. *الامم المتحدة*. https://www.un.org/ar/115986

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

- Davis, F.D. (1989). Perceived usefulness, perceived ease of use, and use acceptance of information technology. MIS Quarterly.13(3),319-340 https://doi.org/10.2307/249008.

- Gaur, S. & Rashmis.R.(2020, July). Digital defiance against COVID-19. Yojan.pp53-58.
- Garas,S.(2021).Use Intention Of Aggregator Medical Mobile Apps(M-app) And Revealing Reasons For Non-use. Journal of Alexandria University fo Administrative Sciences. 58(8)171-201. https://acjalexu.journals.ekb.eg/article_167940_097b555cefeb7ae2e58e8a
- Hussein,S. and Abdelhamid, A.,2021. Technology Acceptance Model for Pervasive Computing: Mobile Business Intelligence Applications in Egypt. Journal of Alexandria University for Administrative Sciences.58(2)291-326. https://acjalexu.journals.ekb.eg/article_167940_097b555cefeb7ae2e58e8a
- O'Callaghan M.E.,Buckley,J.,Fitzgerald, B., Johnson, K., Laffey, J., McNicholas, B., Nuseibeh, B., O'Keeffe, D., O'Keeffe, I., Razzaq, A., Rekaner, K., Richardson, I., Simpkin, A., Storni, C., Tsvyatkova, D., Walsh, J., Welsh, T., & Glynn, L. (2020). A national survey of attitudes to covid-19 contact tracing in the Republic of Ireland. Irish journal of Medical.190,863-887. https://doi.org/10.21203/rs.3.rs-40778/v1.
- Rogers, E.M. (2003). Diffusion Of Innovations (5th ed.). New York USA.
- Surry, D.W. (1997, February 12-15). Diffusion theory and instructional technology [Paper]. The annual conference of the association for educational communication and technology (AECT), University of southern Mississippi, Albuquerque, New Mexico. http://www.gsu.edu/%7Ewwwitr/docs/diffusion.
- Wani, T.A., & Ali, S.W. (2015). Innovation diffusion theory. Journal of general management research,3(2),101-118.
- Walrave, M., Waeterloos, C. and Ponnet, K., 2020. Adoption of a Contact Tracing App for Containing COVID-19: A Health Belief Model Approach. *JMIR Public Health and Surveillance*, 6(3), p.e20572.

مراقبة الاتصالات الهاتفية بين الحق في الخصوصية وحماية المصلحة العامة: دراسة مقارنة

Wiretapping between the right to privacy and the protection of the public interest- comparative study

هاشم عبد الكريم مشهداني: باحث بسلك الدكتوراه في القانون الخاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الأول، وجدة– المغرب.

Hachem Abdelkarim Machhadani: PhD researcher in private law, Faculty of Legal, Economic and Social Sciences, Mohammed I University, Oujda – Morocco.

Email: hmachhadani@gmail.com

الملخص:

يعتبر الحق في الخصوصية من الحقوق الأساسية للإنسان وهو عماد الحقوق الشخصية، حيث يجب على السلطات العامة في الدولة أن تكفل له الحماية القانونية ضد الانتهاك غير المشروع، ويشمل الحق في الخصوصية حرمة الاتصالات الهاتفية بحيث يمنع التنصت عليها أو التقاطها أو تسجيلها. وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز مدى مشروعية مراقبة الاتصالات الهاتفية على مستوى التشريع والفقه والقضاء، إلى جانب إبراز الضوابط القانونية التي تؤطر مراقبة الاتصالات الهاتفية والتنصت عليها. وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن حق الأفراد في الخصوصية ليس حقا مطلقا بل يتم تقييده أحيانا متى كانت حماية المجتمع أو الحفاظ على النظام العام تقتضي مراقبة الاتصالات الهاتفية والتنصت عليها. وحاول الباحث إعطاء بعض الاقتراحات تتمثل أهمها في ضرورة تحقيق التوازن بين مصلحة العامة للمجتمع وبين المصلحة الخاصة للأفراد دون تعسف من طرف السلطات العامة، ذلك أن حقوق الإنسان لا يمكن تجاوزها بذريعة تحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: مراقبة الاتصالات الهاتفية، الحق في الخصوصية، حقوق الإنسان، حماية المصلحة العامة.

Abstract

The right to privacy is one of the basic humans right and the mainstay of personal rights, this right requires the public authorities to guaranteed legal protection against illegal violations. The right to privacy includes the inviolability of phone calls, so that they are not tapped or picked up or recorded. This study aims to highlight the legality of wiretapping in legislation, jurisprudence and the judiciary, and addition to highlighting the legal controls that frame the wiretapping of telephone communications. The researcher used in this study the analytical method, the inductive method and the comparative method, and we got many results the most important one is the right to privacy of phone conversations is not absolute, it is restricted sometimes whenever protecting society or public interest it requires wiretapping. The study has some suggestions such as: the necessity to strike a balance between the public interest and of society and the private interest of individuals without abuse by the public authorities, because human rights cannot be get over it under the pretext of security and social stability.

Keywords: Wiretapping, right to privacy, human rights, protect the public interest.

المقدمة:

يعد حماية الحقوق والحريات الفردية معيارا مهما وأساسيا لقياس ديمقراطية الأنظمة السياسية في مجال احترام حقوق الإنسان، وقد عملت جل الدول على تضمينها في دساتيرها وقوانينها الخاصة، ومن أبرز هذه الحقوق الحق في الخصوصية، والذي يكفل حرمة المراسلات والمكالمات الهاتفية للأفراد بحيث يمنع مراقبتها أو التقاطها أو التنصت عليها بأي شكل من الأشكال.

إلا أنه مع تزايد معدلات الجريمة وتطور الفكر الإجرامي عمدت التشريعات الإجرائية إلى تمكين السلطات القضائية من الاستعانة بالوسائل التقنية الحديثة للكشف عن الجرائم والبحث عن الأدلة في سبيل حماية المصلحة العامة للمجتمع، حيث أصبحت مسألة دمج التقنيات الحديثة في مجال الإثبات الجنائي أمرا ضروريا لمواكبة هذا التطور، ومن بين هذه التقنيات مراقبة الاتصالات الهاتفية والتنصت عليها، إلا أن هذه المسألة أثارت اهتمام العديد من الحقوقيين نظرا لارتباطها الوثيق بحقوق الإنسان[1].

إشكالية الدراسة:

إذا كانت التشريعات قد نصت حق الأفراد في الخصوصية ومنع كل انتهاك له، فإن هذا الحق ليس مطلقا، بل مقيد باعتبارات المصلحة العامة، حيث أنه في بعض الأحيان قد يتعارض الحق في الخصوصية مع مصلحة المجتمع في كشف الحقيقة بخصوص الجريمة ومعاقبة الجناة، مما يستلزم إيجاد التوازن بين الحق في الخصوصية من جهة وحق المجتمع في حماية أمنه واستقراره من جهة أخرى[2].

وعليه، يطرح موضوع الدراسة إشكالية محورية تتمثل في التساؤل التالي: إلى أي حد استطاعت التشريعات الإجرائية تحقيق التوازن بين حق الأفراد في خصوصية مراسلاتهم ومحادثاتهم الهاتفية وبين حماية المصلحة العامة للمجتمع من مخاطر الجرائم؟

تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات كالآتي:

- ما موقف التشريعات الإجرائية من مراقبة الاتصالات الهاتفية؟
- ما موقف الفقه والقضاء من مراقبة الاتصالات الهاتفية؟
- ما هي الجهة المختصة بإصدار الأمر بمراقبة الاتصالات الهاتفية؟
- ما هي شروط إصدار الأمر بمراقبة الاتصالات الهاتفية؟

[1]– البوعزاوي، عادل (2017): التنصت على المكالمات الهاتفية بين التجريم والمشروعية، مجلة القانون الاقتصادي، العدد الثالث، ص42.

[2]– لؤي عبد الله نوح (2018): مدى مشروعية المراقبة الإلكترونية في الإثبات الجنائي– دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، القاهرة، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، ص13.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، حيث سيتم استقراء المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة من نصوص قانونية وآراء الفقهية واجتهادات قضائية، وتحليلها للوقوف على مكامن النجاح والقصور فيها واستخلاص النتائج المهمة منها. كما تعتمد على المنهج المقارن من خلال الاطلاع على التشريعات الإجرائية سواء الدولية أو الوطنية ومقارنتها للتعرف على التوجه التشريعي بخصوص مراقبة الاتصالات الهاتفية، بغية الحصول على أفضل النتائج الممكنة.

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مدى مشروعية مراقبة الاتصالات الهاتفية على مستوى التشريع والفقه والقضاء، بالإضافة إلى الضوابط القانونية التي تؤطر مراقبة الاتصالات الهاتفية والتنصت عليها.

أهمية الدراسة:

يكتسي موضوع الدراسة أهمية بالغة نظرا لخطورة إجراء التنصت على الاتصالات الهاتفية وارتباطه الوثيق بحقوق وحريات الأفراد في المجتمع التي دائما ما كانت حمايتها الهدف الأسمى الذي تصبو إليه مختلف التشريعات.

هيكل الدراسة:

سيتم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين، سنتحدث في المبحث الأول عن التنصت على الاتصالات الهاتفية بين النص القانوني والعمل القضائي، في حين سنخصص المبحث الثاني للحديث عن الضوابط المتعلقة بالتنصت على الاتصالات الهاتفية في التشريعات المقارنة.

المبحث الأول: مراقبة الاتصالات الهاتفية بين النص القانوني والعمل القضائي

يعد الحق في الخصوصية من أبرز حقوق الإنسان وهو جزء لا يتجزأ من كرامة الإنسان ككل، لأن المس بخصوصية الفرد تؤدي في أحيان كثيرة إلى المس بكرامته وسمعته[1]، لذلك نجد مختلف التشريعات الدولية والوطنية تنص على وجوب احترام هذا الحق[2]، والذي يدخل في إطاره حماية

[1]– مركز هردو لدعم التعبير الرقمي (2015): الحق في الخصوصية والأمن الشخصي، تقرير صادر عن برنامج حرية الرأي والتعبير، القاهرة، ص6.

[2]– نصت المادة 12 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948 على ما يلي: "لا يجوز تعريض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو في شؤون أسرته أو مسكنه أو مراسلاته..."

المراسلات والمحادثات المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد. إلا أن هذا الحق يرد عليه بعض الاستثناءات التي يجيز تعطيله أحيانا بغية حماية المجتمع من مخاطر الجرائم والحفاظ على الأمن والاستقرار.

نحاول في هذا المبحث إبراز موقف التشريعات الإجرائية من مراقبة الاتصالات الهاتفية (المطلب الأول)، إلى جانب موقف الفقه والقضاء بخصوص مشروعية هذا الإجراء (المطلب الثاني).

المطلب الأول: موقف التشريعات الإجرائية من مراقبة الاتصالات الهاتفية

بالاطلاع على التشريعات الإجرائية المقارنة، نجد أنها تجيز التقاط المكالمات الهاتفية والتنصت عليها في حالات معينة، فبالرجوع لقانون المسطرة الجنائية الفرنسي نجد الفصل 100 منه ينص ما يلي: "... إذا كانت العقوبة تعادل أو تزيد عن السجن ثلاث سنوات، يجوز لقاضي التحقيق عندما يتطلب الأمر، أن يأمر باعتراض وتسجيل ونسخ الاتصالات المرسلة بالوسائل الإلكترونية..."

ونص المشرع المغربي في المادة 108 من قانون المسطرة الجنائية[1] على أنه: " يمنع التقاط المكالمات الهاتفية أو الاتصالات المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد وتسجيلها أو أخذ نسخ منها أو حجزها. غير أنه يمكن لقاضي التحقيق إذا اقتضت ضرورة البحث ذلك، أن يأمر كتابة بالتقاط المكالمات الهاتفية وكافة الاتصالات المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد وتسجيلها وأخذ نسخ منها أو حجزها. كما يمكن للوكيل العام للملك إذا اقتضت لذلك ضرورة البحث، أن يلتمس كتابة من الرئيس الأول لمحكمة الاستئناف إصدار أمر بالتقاط المكالمات الهاتفية أو الاتصالات المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد وتسجيلها وأخذ نسخ منها أو حجزها وذلك إذا كانت الجريمة موضوع البحث تمس بأمن الدولة أو جريمة إرهابية أو تتعلق بالعصابات الإجرامية أو بالقتل أو التسميم أو بالاختطاف وأخذ الرهائن أو بتزييف أو تزوير النقود أو سندات القرض العام أو بالمخدرات والمؤثرات العقلية أو بالأسلحة والذخيرة والمتفجرات أو بحماية الصحة".

– تنص المادة 8 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان لسنة 1950 على ما يلي: "لكل إنسان حق احترام حياته الخاصة والعائلية ومسكنه ومراسلاته".

– ينص الفصل 24 من الدستور المغربي لسنة 2011 على أنه: "لكل شخص الحق في حماية حياته الخاصة... لا تنتهك سرية الاتصالات الشخصية كيفما كان شكلها.."

– تنص المادة 57 من الدستور المصري على أنه: "للحياة الخاصة حرمة، وهي مصونة لا تمس..."

[1]– ظهير شريف رقم 1.02.255 صادر في 25 رجب 1423 (3 أكتوبر 2002)، بتنفيذ القانون رقم 22.01 المتعلق بالمسطرة الجنائية، الجريدة الرسمية عدد 5078 بتاريخ 27 ذي القعدة 1424 (30 يناير 2003).

ونصت المادة 65 مكرر 5 من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري[1] على ما يلي: "إذا اقتضت ذلك ضرورات التحري في الجريمة المتلبس بها أو التحقيق الابتدائي في جرائم المخدرات أو الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية أو الجرائم الماسة بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات أو جرائم تبييض الأموال أو الإرهاب أو الجرائم المتعلقة بالتشريع الخاص بالصرف وكذا جرائم الفساد، يجوز لوكيل الجمهورية المختص أن يأذن بما يلي:

- اعتراض المراسلات التي تتم عن طريق وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية.
- وضع الترتيبات التقنية دون موافقة المعنيين، من أجل التقاط وتثبيت وبث وتسجيل الكلام المتفوه به بصفة خاصة أو سرية من طرف شخص أو عدة أشخاص في أماكن خاصة أو عمومية أو التقاط صور لشخص أو عدة أشخاص يتواجدون في مكان خاص..."

وجاء في المادة 95 من قانون الإجراءات الجنائية المصري[2] ما يلي: "لقاضي التحقيق أن يأمر بضبط جميع الخطابات والرسائل والجرائد والمطبوعات والطرود لدى مكاتب البريد وجميع البرقيات لدى مكاتب البرق وأن يأمر بمراقبة المحادثات السلكية واللاسلكية أو إجراء تسجيلات لأحاديث جرت في مكان خاص متى كان لذلك فائدة في ظهور الحقيقة..."

وتنص المادة 51 من قانون الإجراءات الجزائية الفلسطيني[3] على أنه: "للنائب العام أو أحد مساعديه أن يضبط لدى مكاتب البرق والبريد الخطابات والرسائل والجرائد والمطبوعات والطرود والبرقيات المتعلقة بالجريمة وشخص مرتكبها. كما يجوز له مراقبة الاتصالات السلكية واللاسلكية، وإجراء تسجيلات لأحاديث في مكان خاص بناء على إذن من قاضي الصلح متى كان لذلك فائدة في إظهار الحقيقة في جناية أو جنحة يعاقب عليها بالحبس لمدة لا تقل عن سنة".

وأكدت المادة 75 من قانون الإجراءات الجنائية[4] الإماراتي على ما يلي: "لعضو النيابة العامة أن يفتش المتهم ولا يجوز له تفتيش غير المتهم أو منزل غير منزله إلا إذا اتضح من أمارات قوية أنه حائز لأشياء تتعلق بارتكاب الجريمة ويجوز له بموافقة النائب العام أن يضبط لدى مكاتب البريد

[1]– الأمر رقم 66–155 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق 6 يونيو سنة 1966 الذي يتضمن قانون الإجراءات الجزائية المعدل والمتمم.

[2]– قانون الإجراءات الجنائية رقم 150 لسنة 1950، المعدل بالقانون رقم 189 لسنة 2020.

[3]– قانون الإجراءات الجزائية الفلسطيني رقم 3 لسنة 2001.

[4]– قانون رقم 35 لسنة 1992 بشأن إصدار قانون الإجراءات الجزائية، الجريدة الرسمية عدد 233 مكرر، السنة الثانية والعشرون بتاريخ 1992/1/26.

جميع المكاتبات والرسائل والجرائد والمطبوعات والطرود ولدى مكاتب البرق جميع البرقيات وأن يرقب المحادثات السلكية واللاسلكية متى استوجبت مقتضيات التحقيق ذلك".

يتبين لنا من خلال هذه النصوص أن مختلف التشريعات الإجرائية تجيز التقاط المكالمات الهاتفية، إلا أن الملاحظ هو اختلاف معيار اللجوء إلى هذا الإجراء، فالمشرع الفرنسي يعتمد على معيار مدة العقوبة المقررة بخصوص الجريمة المرتكبة، ونفس الأمر بالنسبة للمشرع الفلسطيني، أما المشرع المغربي والمشرع الجزائري فقد أجازا اللجوء إلى هذا التدبير اعتمادا على نوع الجريمة المرتكبة، في حين أن المشرعان المصري والإماراتي فتحا الباب أمام السلطات المختصة للقيام بهذا الإجراء كلما تطلبت ذلك ضرورة التحقيق دون قيد أو شرط.

المطلب الثاني: موقف الفقه والقضاء من مراقبة الاتصالات الهاتفية

قبل الحديث عن موقف القضاء من مراقبة الاتصالات المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد (ثانيا)، لا بد من إبراز موقف الفقه القانوني بخصوص هذه المسألة (أولا).

أولا: موقف الفقه من مراقبة الاتصالات الهاتفية

أثار موضوع مشروعية التقاط المكالمات الهاتفية جدلا فقهيا واسعا، حيث ذهب اتجاه أول إلى القول بعدم مشروعية مراقبة المحادثات الهاتفية على اعتبار أنه يشكل اعتداء على حرمة حياة الفرد وينتهك خصوصياته الشخصية، كما أن مراقبة المحادثات تجافي قواعد الأخلاق وتخالف المبادئ العامة للقانون، فضلا عن مخالفتها لنصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية، كما أنها تفتح الباب أمام تعسف السلطات الذي لا تمكن منعه[1].

فهذا التدبير ولو أنه قد يؤدي إلى الحصول على الدليل، إلا أنه مشوب بالوضاعة، وممهور باللاأخلاقية، لاعتماده في ذلك التجسس على خصوصيات الأفراد، والحال أنه لا يجوز ذلك ضميريا ولا دينيا، إلى جانب هتك هذا التدبير لما ينبغي أن تكون للأسرار العائدة للشخص من حرمة لا ينبغي لأي كان التطفل عليها[2].

[1]– محمد أبو العلا عقيدة (1994): مراقبة المحادثات التلفونية– دراسة مقارنة، دون ذكر الطبعة، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، ص22.

[2]– العلمي عبد الواحد (2018): شروح في القانون الجديد المتعلق بالمسطرة الجنائية– الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، دون ذكر دار النشر، ص74.

وبالتالي يؤيد أنصار هذا الاتجاه تغليب المصلحة الخاصة للأفراد على المصلحة العامة، ويعتبرون التقاط المكالمات الهاتفية أو التنصت عليها أو تسجيلها أو حجزها إجراء باطلا لأنه يمس بالحقوق الشخصية للفرد[1].

في المقابل، يذهب اتجاه[2] ثان إلى ترجيح المصلحة العامة للمجتمع على المصلحة الخاصة للأفراد، وأن حماية سرية المكالمات الهاتفية ليست مطلقة، بل يمكن تقييدها أحيانا تغليبا للمصلحة العامة المتمثلة في حسن سير التحقيقات القضائية بغرض الوصول إلى الحقيقة، خاصة في ضوء تطور الفكر الإجرامي واعتماد المجرمين على وسائل الاتصال الحديثة في ارتكاب الجرائم وإخفاء الأدلة، مما يستوجب على القائمين على مكافحة الجريمة اللحاق بركب التطور العلمي واستخدام الوسائل التي أوجدها التطور التقني الحديث، فمن غير المعقول أن يتم استغلال مزايا التطور التكنولوجي من طرف المجرمين فقط وحرمان سلطات الأمن من ذلك.

في حين حاول اتجاه ثالث التوفيق بين حق الأفراد في الخصوصية وحرمة حياتهم الخاصة وبين حماية المصلحة العامة للمجتمع، حيث يرى أنصار هذا الاتجاه إمكانية اللجوء إلى مراقبة الاتصالات متى توفرت مجموعة من الشروط، وهي أن يتعلق الأمر بجريمة خطيرة مع وجود حاجة ماسة تستدعي اللجوء إلى هذا الأسلوب، وألا تكون ثمة بدائل أخرى أقل خطورة من حيث المساس بالحياة الخاصة، وأن يتوخى الحذر الشديد في التعويل على هذا الأسلوب والثقة فيه[3].

ثانيا: موقف القضاء من مراقبة الاتصالات الهاتفية

تذهب مختلف التوجهات القضائية إلى إجازة التقاط المكالمات الهاتفية والأخذ بها كدليل في الإثبات الجنائي، وفي هذا الصدد أكدت المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان في إحدى القضايا المعروضة عليها على جواز التقاط المكالمات الهاتفية والتنصت عليها متى كان الهدف من ذلك حماية الأمن والاستقرار، حيث جاء في حكم المحكمة ما يلي: "... وقد خلصت محكمة الموضوع إلى أنه في ظروف القضية يمكن أن تشكل التسجيلات دليلا في الإثبات، وأن حق المعترض في احترام حياته الخاصة لا يتناسب مع الهدف المنشود وهو حماية الأمن القومي... وبالتالي فإن الشكوى التي تقدم بها المدعي بخصوص خرق مقتضيات المادة 8 من اتفاقية حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية ومطالبته بالتعويض جراء الضرر النفسي الذي لحقه جراء انتهاك حقه في الخصوصية

[1]– بنحدو عبد السلام (2005): الوجيز في شرح قانون المسطرة الجنائية، دون ذكر الطبعة، مراكش، المطبعة الوراقة الوطنية، ص192. أشار إليه: عادل البواعزاوي، مرجع سابق، ص51.

[2]– نقادي حفيظ (2010): مراقبة الهاتف، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 47، العدد4، ص319.

[3]– ممدوح خليل بحر (1983): حماية الحياة الخاصة في القانون الجنائي– دراسة مقارنة، دون ذكر الطبعة، القاهرة، دار النهضة العربية، ص556.

بسبب اعتراض مكالماته الهاتفية والتنصت عليها لا أساس له من الصحة، ويترتب عن ذلك أن هذه الشكوى غير متوافقة من حيث الاختصاص الشخصي مع أحكام الاتفاقية المقصودة في المادة 35/أ، وأنه يجب رفضها وفقا للمادة 35 الفقرة 3 والمادة 4 من الاتفاقية"[1].

وفي نفس السياق أجازت محكمة النقض المصرية التقاط المكالمات الهاتفية والتنصت عليها متى كان لذلك فائدة في إظهار الحقيقة، حيث جاء في أحد قراراتها ما يلي: "لما كانت المادة 95 من قانون الإجراءات الجنائية قد أناطت بقاضي التحقيق أن يأمر بمراقبة المحادثات السلكية واللاسلكية أو إجراء التسجيلات لأحاديث جرت في مكان خاص متى كان لذلك فائدة في ظهور الحقيقة... فإن الدفع ببطلانها على ما تقدم إيراده يكون غير قائم على سند من صحيح القانون"[2].

أما على مستوى القضاء المغربي، فقد اعتبرت محكمة النقض أن عملية التنصت على المكالمات الهاتفية تعد وسيلة إثبات قانونية ومشروعة، حيث جاء في أحد قرارات[3] المحكمة ما يلي: "... ولما كان الأمر يتعلق بوسيلة إثبات قانونية في الميدان الزجري سنها المشرع المغربي قصد التثبت من نسبة الأفعال الجرمية للمشتبه فيها خصوصا بعد ظهور أنواع جديدة من الجرائم المرتبطة بالتقدم العلمي والتكنولوجي وبالظروف الاجتماعية والاقتصادية، فإن المحكمة التي اعتمدت المحاضر المحررة عن كل عملية منجزة بشأنها قصد إدانة المتهم... تكون قد أعملت سلطتها في تقدير وسائل الإثبات المنصوص عليها قانونا والمعروضة عليها".

وجاء في قرار لمحكمة الاستئناف بطنجة ما يلي: "...وحيث أنه باستقراء المادة المذكورة يتبين أنها وإن استهلت بمنع التقاط المكالمات الهاتفية والاتصالات المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد وتسجيلها وأخذ نسخ منها، فإن الاستثناء ورد على هذه القاعدة في الفقرة الثانية من المادة المذكورة بتخويل السيد قاضي التحقيق حق الأمر كتابة كلما اقتضت ضرورة البحث ذلك بالتقاط المكالمات الهاتفية..."[4]

---

[1]- Cour Européenne Des Droits de L'homme, Requéte N° (66580/12) – Cour (Quatrième Section) – Arrét (au principal et satisfaction équitable)– Affaire Bivolaru Contre ROMANIE (N°2), 2 Octobre 2018.

[2]- الطعن رقم 5011 لسنة 63 قضائية، جلسة 1995/03/22، منشور على الموقع الإلكتروني لمحكمة النقض المصرية، متاح على الرابط التالي: https://www.cc.gov.eg/judgment_single تاريخ الاطلاع 2022/09/03.

[3]- القرار عدد 3/1825 في الملف الجنحي عدد 07/3/6/7293 بتاريخ 2007/07/11، منشور في مجلة قضاء محكمة النقض، العدد68، 2008، ص287.

[4]- قرار صادر عن محكمة الاستئناف بطنجة، في الملف عدد 16/06-441 بتاريخ 2004/01/14، أورده: البوعزاوي عادل، مرجع سابق، ص45.

يتبين لنا من خلال القرارات أعلاه أن مختلف التوجهات القضائية تعتبر مراقبة الاتصالات الهاتفية والتنصت عليها إجراء مشروعا متى كان لذلك فائدة في إظهار الحقيقة أو تطلبت ذلك ضرورة البحث، وبالتالي تغليب المصلحة العامة للمجتمع على حق الأفراد في الخصوصية.

المبحث الثاني: الضوابط القانونية لمراقبة الاتصالات الهاتفية

نظرا للخطورة البالغة التي ينطوي عليها إجراء مراقبة الاتصالات الهاتفية المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد ومساسه بحرمة الحياة الخاصة للأفراد، فقد أحاطته التشريعات الإجرائية بمجموعة من الضوابط التي يجب احترامها عند اللجوء إلى هذا التدبير، وهو ما سنحاول إبرازه في هذا المبحث الذي سنقسمه إلى مطلبين، سنخصص (المطلب الأول) للحديث عن الجهة المختصة باتخاذ هذا الإجراء، على أن نبين شروط إصدار الأمر بمراقبة الاتصالات الهاتفية في (المطلب الثاني).

المطلب الأول: الجهة الموكول إليها إصدار الأمر بمراقبة الاتصالات الهاتفية

عملت التشريعات الإجرائية على تحديد الجهة المختصة بإصدار الأمر بالتقاط المكالمات الهاتفية، فبالنسبة للمشرع المغربي فقد منح لقاضي التحقيق صلاحية إصدار الأمر بالتقاط المكالمات الهاتفية والتنصت عليها وتسجيلها وحجزها، كما منح المشرع هذه الصلاحية استثناء للوكيل العام للملك في بعض الجرائم المحددة.

حيث أعطت المادة 108 من قانون المسطرة الجنائية في فقرتها الثانية لقاضي التحقيق صلاحية الأمر بالتقاط الاتصالات المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد، كما أن المشرع لم يقيد سلطة قاضي التحقيق في ذلك ولم يحدد الحالات التي يمكن له فيها اتخاذ هذا الإجراء، وبالتالي يمكن له إصدار أمر بمراقبة الاتصالات الهاتفية كلما اقتضت ذلك ضرورة البحث، وكيفما كان نوع الجريمة التي يحقق فيه دون قيد أو شرط[1].

وهذا ما أكدت عليه محكمة النقض المغربية في مجموعة من قراراتها التي جاء في إحداها ما يلي:

[1]– علاء عمر عواد خلايلة (2017/2016): ضمانات المتهم في مرحلة التحقيق الإعدادي– دراسة على ضوء قانون المسطرة الجنائية المغربي والتشريع المقارن، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون الخاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الأول– وجدة، ص310.

"... ومن جهة ثانية فإن المادة 108 من ق م ج خولت لقاضي التحقيق إصدار أمر بالتقاط المكالمات دون حاجة إلى ملتمس الوكيل العام للملك بشأنها، ودون التقيد بأنواع الجرائم المنصوص عليها في المادة المذكورة..." [1]

وجاء في قرار آخر [2] لنفس المحكمة: "... وحيث من جهة ثانية فإنه عملا بمقتضيات المادة 108 من ق م ج فإن إجراء التقاط المكالمات الهاتفية المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد وتسجيلها وحجزها وإن كان إجراء استثنائيا فإن المشرع منح لقاضي التحقيق سلطة مطلقة في اللجوء إليه كلما اقتضت ضرورة البحث ذلك ودون التقيد بنوع الجريمة وخطورتها..."

إلى جانب قاضي التحقيق، منح المشرع المغربي للنيابة العامة إمكانية إصدار إمر بالتقاط المكالمات الهاتفية أو التنصت عليها أو تسجيلها أو حجزها كما جاء في الفقرة الثالثة من المادة 108 من قانون المسطرة الجنائية، إلا أن المشرع قيد سلطة النيابة العامة بخصوص هذا الإجراء بنوع الجريمة المراد التقاط المكالمات بشأنها، حيث يجب أن تكون الجريمة المراد إجراء التنصت بشأنها من الجرائم المحددة على سبيل الحصر في هذه المادة.

وبالنسبة للتشريعات المقارنة، نجد أن المشرع المصري كان يخول صلاحية الأمر بالتقاط المكالمات الهاتفية لقاضي التحقيق بموجب المادة 95 من قانون الإجراءات الجنائية، واستثناء للنيابة العامة بعد الحصول على إذن القاضي الجزائي بموجب المادة 206 من نفس القانون[3]، إلا أنه بعد التعديلات الجديدة المدخلة على قانون الإجراءات الجنائية، فإن أعضاء النيابة العامة من درجة رئيس نيابة على الأقل أصبحوا يملكون جل صلاحيات قاضي التحقيق بما فيها إصدار أمر بالتنصت على المكالمات الهاتفية، وبالتالي أصبح دور قاضي التحقيق شكليا في ظل هيمنة النيابة العامة على إجراءات التحقيق[4].

---

[1]– قرار عدد 3/1817 في الملف الجنحي عدد 07/3/6/6638 بتاريخ 2007/07/11، منشور في مجلة قضاء محكمة النقض، العدد 68، 2008، ص279.

[2]– قرار عدد 3/1826 في الملف الجنحي عدد 7/3/6/7294 بتاريخ 2007/07/11، منشور في مجلة قضاء محكمة النقض، العدد 68، 2008 ص298.

[3]– جاء في المادة 206 مكرر من قانون الإجراءات الجنائية المصري المضافة بالقانون رقم 95 لسنة 2003، واستبدلت الفقرة الأولى بالقانون 145 لسنة 2006 ما يلي: "يكون لأعضاء النيابة العامة من درجة رئيس نيابة على الأقل – بالإضافة إلى الاختصاصات المقررة للنيابة العامة– سلطات قاضي التحقيق في تحقيق الجنايات المنصوص عليها في الأبواب الأول والثاني والثاني مكرر والرابع من الكتاب الثاني من قانون العقوبات..."

[4]– علاء عمر عواد خلايله، مرجع سابق، ص313.

أما بالنسبة للمشرع الفرنسي، وبناء على مقتضيات المادة 100 من قانون المسطرة الجنائية، فقد قصر صلاحية إصدار الأمر بالتقاط المكالمات الهاتفية والتنصت عليها على قاضي التحقيق فقط دون النيابة العامة.

في حين أن المشرع الفلسطيني منح صلاحية إصدار الإذن بالتقاط المكالمات الهاتفية وتسجيلها وحجزها لممثل النيابة العامة ومساعديه فقط لا غير، إلا أنه اشترط لذلك الحصول على إذن من قاضي الصلح، وأن يتعلق الأمر بجناية أو جنحة يعاقب عليها بالحبس لمدة لا تقل عن سنة، وذلك تطبيقا لمقتضيات المادة 51 من قانون الإجراءات الجزائية.

المطلب الثاني: شروط إصدار الأمر بمراقبة المكالمات الهاتفية

أحاط المشرع الإجرائي تدبير التنصت على المكالمات الهاتفية بمجموعة من الضوابط والشروط الواجب احترامها، تتمثل أبرزها في أن يصدر الأمر بالتقاط المكالمات مكتوبا (أولا)، وأن تقتضي ضرورة البحث ذلك (ثانيا)، وأن يتم تحديد مدة التنصت على المكالمات الهاتفية (ثالثا).

أولا: أن يصدر الأمر بمراقبة المكالمات الهاتفية مكتوبا

يشترط في الأمر الصادر بإجراء التنصت أن يكون مكتوبا، وأن يتضمن كل العناصر التي تعرف بالمكالمة الهاتفية أو المراسلة المراد التقاطها أو تسجيلها أو أخذ نسخ منها أو حجزها، مع ذكر الجريمة التي تبرر اللجوء إلى ذلك، والمدة التي تتم خلالها عملية الالتقاط[1]، بالإضافة إلى الشخص المستهدف من هذا الإجراء.

ويتم التقاط المكالمات من طرف عون مختص تابع لمصلحة أو لمؤسسة موضوعة تحت سلطة أو وصاية الوزارة المكلفة بالاتصالات أو المراسلات، أو من أي عون مكلف باستغلال شبكة، أو مزود مسموح له بخدمات الاتصال. وعند إنجاز المهمة تتولى السلطة القضائية المكلفة بالبحث أو التحقيق تحرير محضر بالعمليات التي تم إنجازها في هذا الشأن، ويذكر في المحضر تاريخ بداية عملية التنصت وتاريخ نهايتها[2].

[1]– الدافي عبد الواحد (2020): التقاط المكالمات الهاتفية المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد ومدى احترامه لشرعية الإثبات، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، عدد خاص حول الثورة الرقمية وإشكالاتها، ص263.

[2]– بيهي الحبيب (2004): شرح قانون المسطرة الجنائية– الجزء الأول، الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ص216.

ثانيا: أن تقتضي ذلك ضرورة البحث

اشترطت مختلف التشريعات الإجرائية شرطا أساسيا لإجراء التنصت على المكالمات الهاتفية المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد، ويتمثل هذا الشرط في أن تقتضي ذلك ضرورة البحث.

إلا أن الملاحظ أن التشريعات لم تحدد المقصود بعبارة "ضرورة البحث" تاركة الأمر للسلطات القضائية المختصة التي يبقى لها تقدير مدى توفر تلك الضرورة، وفي هذا الصدد ذهب البعض[1] إلى القول بأنه ينبغي على التشريعات تحديد وتدقيق الحالات التي تبيح لقاضي التحقيق القيام بهذا الإجراء لما له من انعكاسات سلبية ومساسه بخصوصية الأفراد وحياتهم الشخصية، بل إن آثاره قد تطال أشخاصا لا علاقة لهم بالأفعال الجرمية موضوع البحث، لهذا يجب على السلطات القضائية أن لا تأمر بهذا الإجراء إلا بشكل استثنائي عندما لا تسعف باقي إجراءات البحث في الوصول إلى مرتكبي الفعل الجرمي.

وذهب أحد الباحثين[2] إلى القول أن عبارة ضرورة البحث تبقى عبارة واسعة وفضفاضة يجب حصرها وتحديدها حتى لا يتم المساس بحرمة الحياة الخاصة للأفراد ولكي لا يتم الإفراط والاستسهال في اللجوء إلى هذه الوسيلة، ذلك أن الإمكانيات التي تتبعها للوصول إلى أدلة الإثبات وسهولتها قد تجعل الإقدام عليها بشكل تلقائي كلما اعترضت الجهة المكلفة بالبحث صعوبة أو تعقيد في الاستنطاق، ليصبح التنصت على المكالمات هو الإجراء الوحيد في التحقيق.

ثالثا: تحديد المدة التي تتم فيها عملية المراقبة

من بين الشروط التي حددتها التشريعات بخصوص مراقبة الاتصالات المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد هي تحديد المدة الزمنية التي تجري فيها هذه العملية، حيث أوجب المشرع المغربي في المادة 109 من قانون المسطرة الجنائية على السلطة المكلفة بإصدار أمر التقاط المكالمات الهاتفية، تحديد المدة المقررة لإنجاز عملية المراقبة أو التنصت، شريطة أن لا تتجاوز هذه المدة أربعة أشهر قابلة للتجديد مرة واحدة[3]، وهي نفس المدة التي حددها المشرع الفرنسي في المادة 2-100 من قانون

---

[1]- علاء عمر عواد خلايلة، مرجع سابق، ص316.

[2]- الطويل خالد (2007): إثبات الجرائم والتقنيات الحديثة، نظام التقاط المكالمات الهاتفية نموذجا، مجلة الملف، العدد العاشر، ص143. أشار إليه: علاء عمر عواد خلايلة، نفس المرجع السابق، ص315.

[3]- جاء في الفقرة الثانية من المادة 109 من قانون المسطرة الجنائية المغربي: "لا يمكن أن تتجاوز المدة المذكورة في الفقرة الأولى من هذه المادة أربعة أشهر قابلة للتجديد مرة واحدة ضمن نفس الشروط المشار إليها في المادة السابقة".

المسطرة الجنائية[1]، أما المشرع المصري فقد حدد مدة المراقبة في 30 يوما قابلة للتجديد لمدة أو مدد أخرى مماثلة[2]. والمشرع الفلسطيني حددها في 15 يوما قابلة للتجديد مرة واحدة حسب الفقرة الأخيرة من المادة 51 من قانون الإجراءات الجزائية، في حين لم يحدد المشرع الأردني مدة التسجيل أو المراقبة.

الخاتمة:

ختاما يمكن القول إن مراقبة الاتصالات الهاتفية يعتبر من أخطر إجراءات البحث عن الأدلة لكونه يمس حرمة الحياة الخاصة بالأفراد، فعلى الرغم من كون مختلف التشريعات تؤكد على وجوب احترام حق الأفراد في خصوصية محادثاتهم ومراسلاتهم المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد، إلا أن هذا الحق ليس على إطلاقه بل يتم تقييده أحيانا متى كانت حماية المجتمع أو الحفاظ على النظام العام تقتضي مراقبة الاتصالات الهاتفية والتنصت عليها.

وعموما، فقد خلصنا من خلال مناقشة هذا الموضوع إلى مجموعة من النتائج تتمثل أبرزها فيما يلي:

- إن مختلف التشريعات الإجرائية تعطي لسلطات التحقيق صلاحية مراقبة المكالمات الهاتفية والتنصت عليها وتسجيلها وحجزها متى تطلبت ذلك ضرورة البحث، إلا أن التشريعات لم تحدد المقصود ب"ضرورة البحث" تاركة الأمر للسلطات القضائية لتقدير مدى توفر حالة الضرورة من عدمه، فهذه العبارة فضفاضة ولها مفهوم واسع، ولا بد من تحديد الحالات التي يمكن فيها التقاط الاتصالات الهاتفية والتنصت عليها لكي لا يتم الإفراط في الاعتماد على هذا الإجراء.
- تعطي بعض التشريعات صلاحية مراقبة الاتصالات الهاتفية وتسجيلها وأخذ نسخ منها أو حجزها إلى قاضي التحقيق فقط دون غيره، في المقابل تعطي تشريعات أخرى هذه الصلاحية للنيابة العامة فقط، في حين أن بعض التشريعات الأخرى تمنح هذه الصلاحية لقاضي التحقيق والنيابة العامة معا.

[1]– تنص المادة 2-100 من قانون المسطرة الجنائية الفرنسي على أنه: "يتم اتخاذ هذا القرار لمدة أقصاها أربعة، لا يمكن تجديده إلى وفق نفس الشروط من حيث الشكل والمدة، دون أن تتجاوز المدة الإجمالية للاعتراض سنة واحدة..."

[2]– حسب مقتضيات الفقرة الثانية من المادة 95 من قانون الإجراءات الجنائية المصري التي جاء فيها: "وفي جميع الأحوال يجب أن يكون الضبط أو الاطلاع أو المراقبة أو التسجيل بناء على أمر مسبب ولمدة لا تزيد على ثلاثين يوما قابلة للتجديد لمدة أو مدد أخرى مماثلة".

- تتفق مختلف التشريعات على أن مراقبة الاتصالات الهاتفية والتنصت عليها ينبغي أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط، وهي أن تتطلب ذلك ضرورة البحث، وأن يكون الأمر الصادر بالتقاط المكالمات الهاتفية مكتوبا، بالإضافة إلى تحديد المدة الزمنية لهذا الإجراء بدقة.

- تعتبر التوجهات القضائية التنصت على المكالمات الهاتفية وتسجيلها إجراء مشروعا متى كان فيه فائدة لإظهار الحقيقة، وذلك بغية الحفاظ على الأمن والاستقرار الاجتماعي، وبالتالي تغليب المصلحة العامة للمجتمع على المصلحة الخاصة للأفراد.

وانطلاقا من الملاحظات والإشكالات التي تعرضنا لها من خلال موضوع البحث، ارتأينا إدراج بعض التوصيات والاقتراحات تتمثل أبرزها في ما يلي:

- يجب على مختلف التشريعات تحديد الحالات التي يمكن اللجوء فيها إلى التقاط المكالمات الهاتفية المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد، بحيث يكون هذا التحديد على سبيل الحصر ولا يمكن الخروج عنه، نظرا لما لهذا الإجراء من انعكاسات سلبية على حريات الأفراد وخصوصياتهم.

- عدم منح النيابة العامة صلاحية إصدار الأمر بالتقاط المكالمات الهاتفية أو التنصت عليها أو تسجيلها أو حجزها، وقصر هذه الصلاحية على قاضي التحقيق فقط.

- ينبغي تحقيق التوازن الدقيق بين مصلحة العامة للمجتمع وبين المصلحة الخاصة للأفراد دون تغليب إحداها على الأخرى، بالإضافة إلى عدم التوسع في اللجوء إلى هذا التدبير أو تركه دون قيود حتى لا يتم التطاول على حقوق وحريات الأفراد بذريعة تحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

- ممدوح خليل بحر، (1983)، حماية الحياة الخاصة في القانون الجنائي– دراسة مقارنة، دون ذكر الطبعة، القاهرة، دار النهضة العربية.
- محمد أبو العلا عقيدة (1994): مراقبة المحادثات التلفونية، دراسة مقارنة، دون ذكر الطبعة، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي.
- لؤي عبد الله نوح (2018): مدى مشروعية المراقبة الإلكترونية في الإثبات الجنائي– دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، القاهرة، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع.

- بيهي الحبيب (2004): شرح قانون المسطرة الجنائية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة.
- العلمي عبد الواحد (2018): شروح في القانون الجديد المتعلق بالمسطرة الجنائية، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، دون ذكر المطبعة.
- بنحدو عبد السلام (2005): الوجيز في شرح قانون المسطرة الجنائية، مراكش، المطبعة الوراقة الوطنية، دون ذكر الطبعة.

ثانيا: المقالات العلمية

- البوعزاوي عادل (2017): التنصت على المكالمات الهاتفية بين التجريم والمشروعية، مجلة القانون الاقتصادي، العدد الثالث.
- نقادي حفيظ (2010): مراقبة الهاتف، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 47، العدد4.
- الدافي عبد الواحد (2020): التقاط المكالمات الهاتفية المنجزة بوسائل الاتصال عن بعد ومدى احترامه لشرعية الإثبات، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، عدد خاص حول الثورة الرقمية وإشكالاتها.
- الطويل خالد (2007): إثبات الجرائم والتقنيات الحديثة– نظام التقاط المكالمات الهاتفية نموذجا، مجلة الملف، العدد العاشر.

ثالثا: الأطروحات الجامعية

- علاء عمر عواد خلايلة (2017/2016): ضمانات المتهم في مرحلة التحقيق الإعدادي– دراسة على ضوء قانون المسطرة الجنائية المغربي والتشريع المقارن، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون الخاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الأول– وجدة.

رابعا: التقارير

- الحق في الخصوصية والأمن الشخصي (القاهرة 2015)، تقرير صادر عن برنامج حرية الرأي والتعبير، مركز هردو لدعم التعبير الرقمي.

خامسا: المواقع الإلكترونية

- الموقع الإلكتروني لمحكمة النقض المصرية، متاح على الرابط التالي: https://www.cc.gov.eg/judgment_single

إطلاق سراح المتهم بكفالة في القانون العراقي

The release of the accused on bail in Iraqi law

عثمان غازي صالح: باحث دكتوراه، ديوان الوقف السني، العراق

Othman Ghazi Saleh: PhD researcher, Sunni Endowment Diwan, Iraq

المستخلص:

هدفت الدراسة للتعرف على حيثيات قرار إطلاق سراح المتهم، وذلك باعتبار كونه يكتسب صفة القرار القضائي لصدوره من جهة قضائية كقاضي التحقيق أو المحكمة المختصة استناداً الى الأسباب الإجرائية والموضوعية، ولتحقيق اهداف الدراسة فقد اتبعت الباحثة المنهج التحليلي من خلال استعراض النصوص القانونية الواردة في قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها تعدد ضمانات تنفيذ الكفالة الشخصية والكفالة المالية والمتمثلة بمنع سفر المتهم والملاءة المالية وفي حالة عدم كفاية الكفالة المالية تلغى الكفالة وتقرر المحكمة اعادة توقيف المتهم. وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أبرزها ضرورة أن يقوم المشرع العراقي بتوحيد المصطلحات القانونية المستخدمة في النصوص التي تناولت احكام الكفالة الجزائية اذ المشرع تارة يذكر عبارة إطلاق السراح وتارة أخرى يذكر عبارة اخلاء سبيل المتهم.

الكلمات المفتاحية: القانون العراقي، إطلاق سراح المتهم، كفالة المتهم

Abstract:

The study aimed to identify the rationale for the decision to release the accused, given that it acquires the status of a judicial decision for its issuance by a judicial authority such as an investigative judge or a competent court based on procedural and objective reasons. Penalty No. 23 of 1971. The study reached a set of results, the most prominent of which is the multiplicity of implementation guarantees. Personal guarantee. The financial guarantee, represented by the travel ban of the accused and the financial solvency, and in the event that the financial guarantee is insufficient, the bail is canceled and the court decides to re-arrest the accused. The study recommended a set of recommendations, most notably the need to legislator. Iraqi. unite. Terminology. The legality used in the texts that dealt with the provisions of the penal bail, as the legislator sometimes mentions the phrase “release” and at other times mentions the phrase “releasing the accused”.

Keywords: Iraqi law, release of accused, bail of accused

المقدمة:

يعد الحبس اجراءً مؤقتاً يؤدي الى سلب حرية المتهم مدة من الزمن دون صدور حكم قضائي بات، وهو ضروري للتحقيق ويتم وفق الضوابط التي يرسمها القانون، وان الأصل هي براءة المتهم ولكن هذا مبدأ البراءة تقابله مصلحة تسمو على مصلحة الفرد، الا وهي مصلحة المجتمع والذي يجعل التوقيف اجراءً احتياطياً ومن اهم إجراءات قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي وذلك لتعلقه بحرية الفرد التي حفظها القانون.

اولاً: أهمية البحث

تعد حرية الفرد من أسمى الحقوق التي يوفر لها المشرع الحماية اللازمة بمختلف الوسائل، ومن بينها الطرق البديلة لنظام الحبس الاحتياطي او التوقيف والمتمثلة بالكفالة الجزائية والتي من خلالها يوفق المشرع بين مصلحتين هما مصلحة إطلاق سراح المتهم، ومصلحة سير الإجراءات القانونية بحق المتهم وعدم التأثير على ادلة الجريمة، وعلى الرغم من إقرار المشرع للكفالة الجزائية سواء كانت مالية او شخصية الا انه قيدها بضمانات عديدة لضمان تنفيذ المتهم للالتزامات المفروضة عليه، وهذه الضمانات اما ان تكون مالية كجزاء لعدم حضور المتهم امام قاضي التحقيق، او ضمانات غير مالية كالزام المتهم بسلوك معين او منع المتهم من السفر.

ثانياً: مشكلة البحث

تبرز مشكلة البحث بشكل جلي في ان قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة من القرارات الخاضعة للطعن فيها، فمن هي الجهة المختصة بإصداره؟ ومن يحق له الطعن بهذا القرار؟ ومن هي الجهة المختصة بنظر الطعن؟ وهل تعد النصوص الجزائية التي نظمت احكام إطلاق سراح المتهم بكفالة كافية ام هي بحاجة الى تعديل؟

ثالثاً: منهجية البحث

اتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي من خلال استعراض النصوص القانونية الواردة في قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971.

رابعاً: هيكلية البحث

قمنا بتقسم موضوع (إطلاق سراح المتهم بكفالة في القانون لعراقي) الى مبحثين نخصص المبحث الأول للتعرف على مفهوم إطلاق سراح المتهم، ونخصص الثاني للتعرف على طلب إطلاق سراح المتهم بكفالة وأنواع الكفالة الجزائية ثم نتبعه بخاتمة تتضمن اهم الاستنتاجات والمقترحات.

المبحث الأول: مفهوم إطلاق سراح المتهم بكفالة

الأصل في الانسان البراءة مما يمنحه التمتع بالحرية الكاملة للعيش بكرامة، الا انه قد يتعرض الى التوقيف لسبب من الأسباب او للتحقيق معه بأمرٍ ما، وسرعان ما يتم تقديم طلب الى قاضي التحقيق او المحكمة المختصة لإطلاق سراح المتهم، وإذا ما قرر قاضي التحقيق او المحكمة المختصة الافراج عن المتهم فأنها تقيد هذا الافراج لمنع المتهم من الهرب واحضاره امامها حين طلبه، ومن اجل الإحاطة بمفهوم إطلاق سراح المتهم بكفالة واساسه القانوني في القانون العراقي نبحثه في مطلبين كما يأتي:

المطلب الأول: تعريف إطلاق السراح بكفالة وشروطه

يعد إطلاق السراح بكفالة حقاً من حقوق المتهم التي كفلها القانون اتجاه المحكمة المختصة بالتوقيف عندما يكون هذا الإطلاق غير ماساً بسير التحقيق، الا ان هذا القرار له شروط حددها القانون يجب توفرها لإتمام هذا الاجراء وتنفيذه، ولبيان تعريف إطلاق السراح بكفالة وشروطه نبحثه بفرعين نتناول في الأول تعريف الافراج بكفالة وفي الثاني شروط الافراج بكفالة كما يأتي:

الفرع الأول: تعريف إطلاق السراح بكفالة

لم يضع المشرع العراقي تعريفاً لإطلاق السراح بكفالة في قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971 واكتفى بالنص على احكامه تاركاً مهمة تعريفه للفقه الجنائي:

اولاً: تعريف إطلاق السراح بكفالة لغةً:

بمعنى أطلق، سراح، طلاق، أطلق اعم الالفاظ، فك، سرح أطلق سراح، أفرج عن، خلى سبيل. كفل، ضمن، وفر، رعاية، كفالة، رعاية[1].

أكفلَ يُكفِل، إكفالاً، فهو مُكفِل، والمفعول مُكفَل • أكفـل فُلانًا المالَ: جعله يضمنه "أكفله دينًا استدانة أكفل فلانًا مالَهُ: أعْطاه إيّاه ليكفُله ويرعاه[2].

ثانياً: تعريف إطلاق السراح بكفالة اصطلاحاً:

[1]–نجيب إسكندر، معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وافعال وأدوات وتعابير، مطبعة الزمان، بغداد، 1971، ص45.

[2]–علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000، ص65.

يعرف بانه " اخلاء سبيل المتهم الموقوف على ذمة الدعوى الجزائية من السلطة التي أمرت بتوقيفه او سلطة اعلى لزوال مبرراته بكفالة او بدونها" [1]

كما عُرف بانه "اخلاء سبيل الشخص المحتجز رهن تحقيق جنائي او المتهم الذي وجه اليه الاتهام او المحبوس احتياطياً وذلك بصفة مؤقتة" [2]

كما يعرف بانه (اخلاء سبيل المتهم المحبوس احتياطياً لعدم توافر مبررات الحبس الاحتياطي او لزوالها) [3].

ويعرف بانه (الافراج عن المتهم الموقوف احتياطياً على ذمة التحقيق بكفالة مالية) [4].

وعُرف بانه (رخصة بإعادة الحرية الى المتهم الموقوف تصدر بقرار قضائي مؤقت في أي مرحلة من مراحل الدعوى وفق الشروط المحددة قانوناً) [5].

ومن خلال ما تقدم بحثه نجد ان اغلب التعريفات التي تناولناها جاءت متشابهة بمضمونها اذ ربطت بين اخلاء سبيل المتهم الموقوف على ذمة التحقيق وزوال مبررات هذا التوقيف ولم تأتي بتعريف مستقل وذلك لترابط هذه إجراءات مع بعضها.

ويمكننا ان نعرف إطلاق السراح بكفالة بانه (قرار صادر من قاضي التحقيق او المحكمة المختصة من تلقاء نفسها او بناءً على طلب يقدم من المتهم او وكيله يقضي بأخلاء سبيل المتهم الموقوف على ذمة التحقيق لزوال مبرراته او عدم الخشية من هروبه مقابل كفالة مالية او شخصية).

الفرع الثاني: شروط طلب إطلاق السراح بكفالة

1- *عبد القادر صابر جرادة، الجريمة تأصيلاً ومكافحة، ط 2، مكتبة افاق، غزة، 2010، ص771.*

2- حسام الدين محمد احمد، شرح قانون الإجراءات الجنائية، ج1، ط 2، دار النهضة العربية، 1996، ص616.

3- عدلي امير خالد، الارشادات العلمية في الدعاوى الجنائية، مطبعة القدس، الإسكندرية، 2001، ص144.

4- محمد صبحي نجم، قانون أصول المحاكمات الجزائية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2006 ص248.

5- وسام محمد نصر، الافراج بالكفالة في التشريع الفلسطيني دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق جامعة الازهر، 2010، ص63.

إطلاق السراح بكفالة يكون اما بقرار من قاضي التحقيق او المحكمة المختصة من تلقاء نفسها او استجابةً لطلب المتهم او وكيله وفي كلتا الحالتين يمكن ان تشترط لموافقتها على إطلاق السراح بكفالة تقديم كفالة مالية او شخصية شروط معينة يجب توافرها نبينها على النحو الاتي: –

اولاً: تقديم طلب إطلاق السراح بكفالة:

يستلزم إطلاق السراح بكفالة عن المتهم تقديم طلب من المتهم او وكيله الى قاضي التحقيق او المحكمة المختصة، والتي تبت فيه بالقبول او الرفض سواء كان ذلك في مرحلة التحقيق او المحاكمة، الا انه من الممكن للمحكمة المختصة إطلاق السراح بكفالة دون تقديمه طلب متى ما توافرت مبرراته. ([1])

ونص المشرع العراقي على هذا الشرط في الفقرة (أ) من المادة (110) من قانون أصول المحاكمات الجزائية والتي نصت على (أ–إذا كان المقبوض عليه متهماً بجريمة معاقب عليها بالحبس مدة ثلاث سنوات او اقل او بالغرامة فعلى القاضي ان يطلق سراحه بتعهد مقرون بكفالة او بدونها ما لم ير ان إطلاق سراحه يضر بسير التحقيق او يؤدي الى هروبه).

كما نصت على ذلك المادة (111) من ذات القانون (للقاضي الذي أصدر القرار بالتوقيف ان يقرر إطلاق سراح المتهم بتعهد مقرون بكفالة او بدونها قبل انتهاء مدة التوقيف مع مراعاة الفقرة (ب) من المادة 109 كما ان له إعادة توقيفه إذا اقتضت ضرورة التحقيق ذلك).

ثانياً: ان يكون للمتهم محل إقامة معروف

محل إقامة المتهم هو محل اقامته المعتاد الذي تتواجد فيه أمواله وعائلته والذي يتردد عليه بشكل دائم وبصفة مستمرة وانتقاله الى محل اخر لا ينفي صفة الديمومة على محل سكنه، وقد اوجب المشرع العراقي عدم إطلاق السراح بكفالة الا إذا كان محل إقامته الدائم معروف. ([2])

ويلاحظ من خلال هذا النص بانه لا يمكن إطلاق السراح بكفالة مالم يعين له محل سكن معروف ضمن نطاق الاختصاص المكاني للمحكمة المختصة إذا لم يكن مقيماً ضمن اختصاصها المكاني، اما إذا كان المتهم مقيماً ضمن نطاق اختصاص المحكمة فلا يتطلب منه تعيين محل إقامة. وان الغرض المرجو من تعيين محل إقامة المتهم هو لإعلان المتهم بالأوراق وبطلب الحضور وبالحكم الصادر بحقه وتنفيذه.

[1]– سليم إبراهيم حربة وعبد الأمير العكيلي، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، ط1، المكتبة القانونية للنشر والتوزيع، بغداد، 2009، ص151.

[2] – المصدر نفسه، ص151.

ثالثاً: حضور المتهم:

اشترط المشرع العراقي لإطلاق سراح المتهم بكفالة حضور المتهم او من يمثله قانوناً امام المحكمة المختصة عند تقديم طلب إطلاق السراح بكفالة او عند تقديمه تعهد بالحضور في الموعد الذي تعينه المحكمة لقاء وضعه مبلغاً من المال يقدره قاضي التحقيق في صندوق المحكمة وفي حالة اخلاله بالتعهد يذهب هذا المبلغ الى خزينة الدولة مالم يقدم المتهم عذراً مشروعاً لتخلفه بالحضور في الموعد المحدد. [1]

نلاحظ من خلال ما تقدم ان قانون أصول المحاكمات الجزائية اشترط حضور المتهم او وكيله امام المحكمة المختصة عند تقديم طلب الافراج بكفالة.

المطلب الثاني: قرار إطلاق السراح بكفالة وخصائصه

من اهم ما ينص عليه الدستور العراقي لسنة 2005 حرية الانسان ورعايتها، والأصل هو تمتع الفرد بقرينة البراءة والاستثناء الوارد عليه هو توقيف المتهم مؤقتاً لاعتبارات تقتضيها مصلحة التحقيق والمحافظة على سلامة الأدلة وتأمينها حرصاً على اظهار الحقيقة ومنع اخفائها، وإذا ما زالت مسوغات التوقيف كان الواجب انهائه فيجب العودة الى الأصل وهو براءة المتهم وحريته. لذلك يقتضي علينا ان نقسم هذا المطلب الى فرعين نتناول في الأول: الأساس القانوني إطلاق سراح المتهم بكفالة وفي الثاني: خصائص قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة وشروطه وكما يأتي:

الفرع الأول: الأساس القانوني لقرار إطلاق سراح المتهم بكفالة

يجد قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة أساسه بمبدأ قرينة البراءة والتي تفترض بان الأصل في الانسان البراءة وعلى من يدعي بان المتهم ارتكب جريمةٍ ما اثبات ادعائه ([2])، وتوضيح مبدأ قرينة البراءة يقتضي منا بحث هذا المبدأ ونتائجه، ومن ثم الأساس القانوني إطلاق سراح المتهم بكفالة على النحو الاتي:

اولاً: مدلول مبدأ قرينة البراءة:

تُعرف قرينة البراءة بانها (مبدأ ساسي لضمان الحرية الشخصية للمتهم، مقتضاه ان كل متهم بجريمة مهما بلغت جسامتها يجب معاملته بوصفه شخصاً بريئاً حتى تثبت ادانته بحكم قضائي بات) [3].

[1] – د. سليم إبراهيم حربة وعبد الأمير العكيلي، مصدر سابق، ص152.

[2] – محمد عبد الله محمد المر، ص20.

[3] – وسام محمد نصر، مصدر سابق، ص71.

الا انه ليس من غير المعقول ان يترك المتهم طليقاً لاعتباره بريئاً حتى تثبت ادانته مما يجعله قادراً على طمس واخفاء معالم جريمته وتغييب ادلتها والهرب من وجه العدالة، وهذا ما دفع بأغلب التشريعات العقابية الى اتخاذ الاجراءات الاحتياطية كتوقيف المتهم حماية للمصلحة العامة ومنعه من الهرب.

ثانياً: نتائج مبدأ الأصل في المتهم البراءة:

يترتب على مبدأ الأصل في المتهم البراءة عدة نتائج نتناولها على النحو الاتي:

1- يتعارض التوقيف مع مبدأ الأصل في المتهم البراءة لاعتباره من المبادئ الأساسية في النظم الجنائية، واساس ذلك ان كل فرد يتمتع بهذه القرينة بموجب المواثيق الدولية والدساتير والقوانين وهي حقاً مكتسباً له حتى يحكم عليه بالإدانة بموجب حكم قضائي بات، الا انه يمكن تبرير التوقيف لما تقتضيه مصلحة التحقيق، ولتخفيف وطأة التوقيف يمكن استخدام إجراءات بديلة تكون اقل مساساً بالحرية الشخصية في حالات معينة مثل المراقبة القضائية والافراج بكفالة، لا سيما إذا كانت هذه البدائل من شانها تجنيب صغار السن ومن يرتكبون الجريمة لأول مرة بالاختلاط مع كبار المجرمين لتحاشي ما يلحق بهم من اضرار وللحد من بعض الاثار السلبية للتوقيف. ([1])

2- يترتب على مبدأ الأصل في المتهم البراءة وقوع عبء اثبات ارتكاب المتهم للجريمة في مرحلة التحقيق على عاتق سلطة الاتهام، وان الشك يفسر لمصلحة المتهم حتى يثبت العكس.

3- يترتب على قرينة البراءة عندما تشكك المحكمة بأدلة الإدانة في مرحلة المحاكمة فانه يتعين عليها اهدارها والحكم ببراءة المتهم استناداً الى القاعدة التي تقضي بان الإدانة تبنى على اليقين لا على الشك، وتطبيقاً لقاعدة الشك يفسر لمصالح المتهم[(2)].

4- يترتب على مبدأ الأصل في المتهم البراءة بان لا يوصف المتهم اثناء سير الدعوى الجزائية بأوصاف الإدانة لان هذه الاوصاف لا تكون الا بصدور قرار الإدانة[(3)].

---

[1] – عبد الله بن سعيد آل ظفران، التوقيف الاحتياطي في نظام الإجراءات الجنائية والشريعة الإسلامية مقارناً بالقانون الوضعي، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، سنة 2005، ص201.

[2] – عبد العزيز احمد سيف، الحبس الاحتياطي في التشريع اليمني، دراسة مقارنة، http://www.yemen-nic.info/contents/studies/detail.php?ID=12905

[3] –ساهر إبراهيم الوليد، الوجيز في شرح قانون الإجراءات الجزائية الفلسطيني، ج1، دار النهضة العربية القاهرة، سنة 2005 ص367.

5- يترتب على قرينة البراءة عندما تقضي المحكمة ببراءة لمتهم من التهمة المسندة اليه وجوب الافراج عنه واخلاء سبيله في الحال مالم يكن موقوفاً لسبب اخر استناداً لنص المادة (130) من قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم23 لسنة 1971.

وقد حرص المشرع العراقي بالنص على مبدأ البراءة اذ نص دستور. العراق. لسنة. 2005 في المادة (19/خامساً) منه ان (المتهم بريء حتى تثبت ادانته في محاكمة قانونية عادلة ولا يحاكم المتهم عن التهمة ذاتها مرة أخرى بعد الافراج عنه الا إذا ظهرت ادلة جديدة).

ثالثاً: الأساس القانوني لإطلاق سراح المتهم بكفالة

نظم المشرع العراقي احكام الافراج بكفالة في قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971 في المواد (95-111) فحدد هذا القانون شروط إطلاق سراح المتهم بكفالة كتعيين الجهة التي تختص به وتعيين محل اقامته والجهة التي يقدم لها طلب إطلاق السراح بكفالة في مرحلة التحقيق او في مرحلة المحاكمة، والجهة التي يتم الطعن امامها بقرار رفض طلب إطلاق السراح بكفالة او الغائه.

اذ نصت المادة (111) من قانون أصول المحاكمات الجزائية التي جاء فيها (للقاضي الذي أصدر القرار بالتوقيف ان يقرر إطلاق سراح المتهم بتعهد مقرون بكفالة او بدونها قبل انتهاء مدة التوقيف).

كما اكدت المادة (157) من القانون ذاته (للمحكمة في أي وقت اثناء نظر الدعوى ان تقرر إطلاق سراح المتهم الموقوف بكفالة او بدونها مالم يكن متهماً بجريمة معاقب عليها بالإعدام، ولها ان تقرر القبض عليه وتوقيفه ولو كان قد سبق صدور قرار بإطلاق سراحه على ان تبين في القرار الذي تصدره الأسباب التي استندت اليها في توقيفه).

الفرع الثاني: خصائص قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة وشروطه

يعد قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة من القرارات القضائية ذات الحجية النسبية التي تمنع المحكمة من إعادة النظر في الدعوى الجزائية التي يتحد فيها اطرافها وموضوعها عندما لا يتوفر أي سبب من الأسباب المبررة للرجوع عنه، ومن اجل الإحاطة بهذه الخصائص والشروط نبحثها كما يأتي:

اولاً: خصائص قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة

1- قراراً قضائياً

يكتسب قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة صفة القرار القضائي لصدوره من جهة قضائية كقاضي التحقيق او المحكمة المختصة استناداً الى الأسباب الإجرائية والموضوعية، كما يجب ان يكون مسبباً ويمكن الطعن به تمييزاً امام محكمة التمييز الاتحادية او امام محكمة الجنايات بصفتها التمييزية. ([1]) وقد قضت محكمة جنايات ديالى الاتحادية بصفتها التمييزية في قرارها المرقم 462 في 2020/10/26 بتصديق القرار الصادر من قاضي التحقيق بإطلاق سراح المتهمين (ع. وجماعته) بكفالة وفق المادة 413 من قانون العقوبات كونه صحيحاً وموافقاً للقانون.

2- قراراً اعتراضياً

يوصف قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة بانه قرار اعتراضي وذلك لأنه ليس قراراً باتاً في الدعوى بل هو في مرحلة وسط بين الإدانة والبراءة، وانه في حال ظهور ادلة جديدة خلال مدة سنة من تاريخ صدور القرار من محكمة الموضوع وسنتين من تاريخ صدوره من قاضي التحقيق، فاذا ما مضت هذه المدد أصبح القرار نهائياً وانقضت الدعوى الجزائية. ([2])

3- قراراً مؤقتاً

يعد قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة قراراً مؤقتاً بطبيعته وذلك لإمكانية الغائه إذا ما ظهرت ادلة معتبرة قبل انتهاء مدة التقادم، اذ تقوم المحكمة بالاستمرار بإجراءاتها ضد المتهم. ([3])

4- قراراً ذو حجية نسبية

لقرار إطلاق سراح المتهم بكفالة حجية الشيء المقضي به مما يترتب عليه منع تحريك الدعوى الجزائية بعد صدوره، ويشمل هذا المنع كافة أطراف الدعوى سواء صدر القرار من قاضي التحقيق او من محكمة الموضوع مالم تظهر ادلة جديدة، ويمتاز القرار بالحجية النسبية لأنه لا يمكن اثارته الامن قبل المتهم الذي صدر القرار لصالحه. ([4])

ثانياً: شروط قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة

1- تدوين قرار إطلاق السراح

[1] -المادة (130/ب) من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

[2] - المادتين (300-301) من القانون نفسه.

[3] - المادة (181/ب) من القانون نفسه.

[4] -د. مجيد خضر احمد السبعاوي، الافراج عن المتهم في الدعوى الجزائية (دراسة مقارنة)، ط1، المركز العربي للدراسات العلمية للنشر والتوزيع، 2017، ص31.

يقصد بالتدوين كتابة كافة الإجراءات والقرارات الصادرة من المحكمة المختصة بواسطة المعاون القضائي في محضر رسمي، ويجب ان يكون هذا المحضر موقعاً ممن كتبه وأصدره سواء كان قاضي التحقيق او محكمة الموضوع، ويعد التدوين مبدأً ضرورياً اذ لا يمكن اثبات القرار او الحكم الجزائي من الناحية القانونية مالم يتم كتابته بشكل اصولي للاحتجاج به وتنفيذه. ([1])

وقد نصت المادة (222) من قانون أصول المحاكمات الجزائية على (يحرر بما يجري في المحاكمة محضر يوقع القاضي او رئيس المحكمة جميع صفحاته ويجب ان يشتمل على تاريخ كل جلسة وما اذا كانت. علنية ام سرية واسم القاضي والحكام الذين نظروا الدعوى والكاتب وممثل الادعاء العام.....).

2- اعلان قرار إطلاق السراح

يعد اعلان قرار إطلاق السراح اجراء أساسي يجب اتباعه من قاضي التحقيق او محكمة الموضوع لكون أطراف الدعوى على بينة بمصير الدعوى الجزائية وتحديد مواعيد الطعن ووقت انقضاء الدعوى الجزائية عند اكتساب القرار درجة البتات وتمسك المتهم به وهذا ما أكدته الفقرة (أ) من المادة (223) من قانون أصول المحاكمات الجزائية بالقول (تختلي المحكمة لوضع صيغة الحكم او القرار في الجلسة المعينة لإصداره وبعد الفراغ من وضعه تستأنف الجلسة علناً وتتلى صيغته على المتهم او يفهم بمضمونه).

ويترتب على النطق بقرار إطلاق سراح المتهم بكفالة الصادر من قاضي التحقيق او المحكمة المختصة فانه ينهي النزاع بصفة مؤقتة، كما يترتب عليه عدم جواز تراجع المحكمة عن القرار او الحكم او تعديله الا بعد الطعن به او تصحيح الخطأ المادي. ([2])

3- تسبيب قرار إطلاق السراح

اوجب قانون أصول المحاكمات الجزائية تسبيب القرارات والاحكام في الفقرة (أ) من المادة (224) والتي نصت على ان يشتمل قرار الحكم على (الأسباب التي استندت اليها المحكمة في اصدار حكمها او قرارها وأسباب تخفيف العقوبة او تشديدها).

ويعد تسبيب القرار والاحكام القضائية من اهم الضمانات التي اوجدها المشرع وفرضها على القضاة لمنع انحرافه او تحكمه عند ممارسته سلطته التقديرية عند تقدير الأدلة المتوفرة في الدعوى الجزائية، كما ان التسبيب يعتبر وسيلة لحماية القاضي نفسه من أي ضغوط تمارس ضده او ما

[1] – د. وعدي سليمان المزوري، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، ط1، مطبعة هاورا، دهوك، العراق، 2013، ص273.

[2] –د. وعدي سليمان المزوري، مصدر سابق، ص275.

يستقر من شكوك في اذهان مما يكرس الثقة لدى أطراف الدعوى والذي يؤدي الى اقناع الجمهور بعدالة القضاء واستقلاله[1].

المبحث الثاني: طلب إطلاق سراح المتهم بكفالة وأنواع الكفالة الجزائية

يقدم طلب إطلاق السراح بكفالة من المتهم او ممن يمثله قانوناً الى قاضي التحقيق او المحكمة المختصة، وقد اشترط المشرع العراقي اتخاذ اجراءات معينة من قبل الجهة المختصة بنظر طلب اطرق السراح بكفالة، كما نظم المشرع في قانون أصول المحاكمات الجزائية الطعن في القرار الصادر نتيجة طلب إطلاق السراح بكفالة ولبيان ذلك يقتضي منا ان نقسم هذا المبحث الى مطلبين نتناول في المطلب الأول جهة طلب إطلاق سراح المتهم بكفالة ومحتوياته ونبحث في المطلب الثاني أنواع الكفالة الجزائية وصور اخلاء سبيل المتهم بكفالة على النحو الاتي:

المطلب الأول: تقديم طلب إطلاق سراح المتهم بكفالة

يقتضي تقديم طلب إطلاق السراح بكفالة من المتهم او ممن يمثله قانوناً اتباع بعض الإجراءات لكي يقبل من الجهة المختصة بنظره وسنبحث ذلك في فرعين على النحو الاتي:

الفرع الأول: تقديم طلب إطلاق سراح المتهم بكفالة

لم يحدد المشرع العراقي من له حق تقديم طلب إطلاق السراح بكفالة الا انه يكمن معالجة ذلك بالرجوع الى القواعد العامة بتوفر شرطي الصفة والمصلحة لقبول الطلبات او الطعون، فيحق للمتهم البالغ او وكيله او لمن يمثل المتهم الحدث قانوناً حق تقديم الطلب الى الجهة المختصة والتي تتحمل قدر كبير من المسؤولية عند إصدارها قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة لا سيما عندما يكون المتهم المفرج عنه خارج المؤسسة الاصلاحية او مدرسة التأهيل، ويمكن تقديم الطلب في أي مرحلة من مراحل الدعوى سواء في مرحلة التحقيق او مرحلة المحاكمة. وقبل صدور الحكم النهائي فيها وهذا لا يشمل الجرائم المعاقب عليها بالإعدام او السجن مدى الحياة[2].

ويقدم الطلب الى قاضي التحقيق او الى المحكمة المختصة قبل انتهاء مدة التوقيف وهذا ما نصت عليه المادة (111) من قانون أصول المحاكمات الجزائية التي جاء فيها (للقاضي الذي أصدر القرار بالتوقيف ان يقرر إطلاق سراح المتهم بتعهد مقرون بكفالة او بدونها قبل انتهاء مدة التوقيف).

---

[1] – المصدر السابق، ص132.

[2] – وسام محمد نصر، الافراج بكفالة في التشريع الفلسطيني دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق جامعة الازهر، 2010، ص142.

الا انه من خلال الواقع العملي قد يقرر قاضي التحقيق إطلاق سراح المتهم بكفالة بدون طلب من المتهم ويكون ذلك على المطالعة المقدمة من القائم بالتحقيق عندما يطلب من القاضي تقرير مصير المتهم الموقوف مالم يكن مطلوباً على دعوى أخرى.

الفرع الثاني: وقت تقديم طلب إطلاق السراح بكفالة

تجيز اغلب التشريعات الجزائية لمحكمة التحقيق اخلاء سبيل المتهم بكفالة في مرحلة التحقيق متى ما انتهت دواعي التوقيف بعد اخذ تعهد مقرون بكفالة من عدمها من المتهم بالحضور كلما طلبت منه المحكمة ذلك وقد نصت المادة (111) من قانون أصول المحاكمات الجزائية بانه (للقاضي الذي أصدر القرار بالتوقيف ان يقرر إطلاق سراح المتهم بتعهد مقرون بكفالة او بدونها قبل انتهاء مدة التوقيف مع مراعاة الفقرة (ب) من المادة 109 كما له إعادة توقيفه إذا اقتضت ضرورة التحقيق ذلك).

يتضح من خلال النص المتقدم بانه يجوز لقاضي التحقيق اخلاء سبيل المتهم بناءً على الضمانات المتوفرة كمركز المتهم المالي والاجتماعي.

ان اخلاء سبيل المتهم بكفالة في مرحلة التحقيق لا يعني انتهاء الدعوى بل هو اجراء مؤقت يكون فيه المتهم طليقاً حتى موعد المحاكمة، ويكمن إعادة توقيفه متى ما اقتضت ضرورة التحقيق ذلك وهذا ما أكدته المادة (111) من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

كما يمكن تقديم طلب إطلاق السراح بكفالة بعد إحالة المتهم الى المحاكمة وللمحكمة المختصة امر إطلاق سراح المتهم عند نظر الدعوى من عدمه وهذا ما اكدت عليه المادة (157) من قانون أصول المحاكمات الجزائية والتي نصت (للمحكمة في أي وقت اثناء نظر الدعوى ان تقرر إطلاق سراح المتهم الموقوف بكفالة او بدونها مالم يكن متهماً بجريمة معاقب عليها بالإعدام، ولها ان تقرر القبض عليه وتوقيفه ولو كان قد سبق صدور قرار بإطلاق سراحه على ان تبين في القرار الذي تصدره الأسباب التي استندت اليها في توقيفه).

كما يمكن ان تقرر المحكمة المختصة إطلاق سراح المتهم متى ما بلغت مدة توقيف المتهم ربع الحد الأقصى للعقوبة المقررة للجريمة، الا إذا كان المتهم موقوفاً لارتكابه جريمة معاقب عليها بالإعدام فانه لا يجوز إطلاق سراحه مهما بلغت مدة التوقيف لان توقيفه في هذه الجرائم يكون وجوبياً. ([1])

[1]–المادة (109/ب) من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

المطلب الثاني: أنواع الكفالة الجزائية وصور اخلاء سبيل المتهم بكفالة

الكفالة الجزائية على نوعين الأولى كفالة عينية والثانية كفالة شخصية وكلاهما تصدر من المحاكم الجزائية المختصة، من اجل الإحاطة بأنواع الكفالة الجزائية والجهة المختصة بقبولها وبقرار الافراج المترتب عليها وصور اخلاء سبيل المتهم بكفالة نقسم هذا المطلب الى ثلاثة فروع نتكلم في الفرع الأول عن أنواع الكفالة الجزائية والجهة المختصة بإصدار قرار قبول الكفالة ونتكلم في الفرع الثاني عن صور اخلاء سبيل المتهم بكفالة ونبحث في الفرع الثالث عن الطعن في قرار رفض اخلاء سبيل المتهم بكفالة وكما يأتي:

الفرع الأول: أنواع الكفالة الجزائية والجهة المختصة بقبول الكفالة

ذكرنا في مطلع هذا المبحث بان الكفالة الجزائية على نوعين الأولى الكفالة العينية والثانية الكفالة الشخصية وكلاهما يصدر قرار قبولهما من المحاكم الجزائية المختصة، ومن اجل ذلك نقسم هذا الفرع الى فقرتين كالتالي:

اولاً: أنواع الكفالة الجزائية

قد تكون الكفالة مبلغاً نقدياً من المال يودع في صندوق المحكمة او قيام شخص بضمان تنفيذ المتهم لالتزاماته عند الافراج عنه وبذلك تقسم الكفالة الى نوعين وكما يأتي:

1- الكفالة المالية:

عُرفت الكفالة المالية بانها (تأمين نقدي يتضمن مبلغاً من المال تحدده جهة الافراج ويتم ايداعه خزينة المحكمة قبل تنفيذ قرار الافراج، ويدفع هذا التامين من أي شخص كان سواءً من المفرج عنه او غيره فاذا أخل بالالتزامات المترتبة على الافراج تُصدر تلك الجهة قرارها بمصادرة التأمين النقدي المودع لديها). ([1])

لم يعرف المشرع العراقي في قانون أصول المحاكمات الجزائية فانه الكفالة المالية بل نص عليها في المادة (114 الفقرة ج) منه على (يقبل من المتهم او الكفيل مبلغ التعهد او الكفالة نقداً ويودع في صندوق المحكمة او مركز الشرطة).

من خلال النص المتقدم يتضح بان المقصود بهذه الكفالة هي الكفالة المالية (العينية) اذ يقوم المتهم او كفيله بدفع مبلغ الكفالة والذي يحدد مقداره من قبل المحكمة المختصة لقاء التزام المتهم بما مفروض عليه من التزامات عند اخلاء سبيله إذا لم يكن موقوف على جريمة أخرى، وعلى

[1]- محمد عبدالله المر، ص311-312.

المحكمة عند تقديرها لمبلغ الكفالة الاخذ بنظر الاعتبار نوع الجريمة والحالة المالية والمركز الاجتماعي للمتهم.

2- الكفالة الشخصية :

تعرف الكفالة الشخصية بانها (تعهد فرد بضمان تنفيذ المتهم للالتزامات المفروضة عليه عند الافراج عنه مؤقتاً بحيث اذا اخل بها أُلزم الكفيل بدفع مبلغ الكفالة). ([1])

كذلك نصت المادة. (109 في الفقرة أ) من ذات القانون على الكفالة الشخصية بأنه (إذا كان الشخص المقبوض عليه متهما بجريمة معاقب عليها بالحبس مدة تزيد على ثلاث سنوات او بالسجن المؤقت او المؤبد فللقاضي ان يأمر بتوقيفه مدة لا تزيد على خمسة عشر يوما في كل مرة او يقرر إطلاق سراحه بتعهد مقرون بكفالة شخص ضامن او بدونها بان يحضر متى طلب منه ذلك إذا وجد القاضي ان إطلاق سراح المتهم لا يؤدي الى هروبه ولا يضر بسير التحقيق).

ويتضح من خلال هذا النص بان يتعهد شخص بإحضار المتهم المكفل امام الجهة التي أصدرت قرارها بالأفراج عندما يطلب منه ذلك، وإذا ما أخل بالتزامه يدفع قيمة الكفالة وهذا ما يعرف بالكفالة الشخصية.

ثانياً: الجهة المختصة بقبول طلب إطلاق سراح المتهم بكفالة

يمكن ان يصدر قرار إطلاق السراح بكفالة من قاضي التحقيق في مرحلة التحقيق كما يمكن ان يصدر من المحكمة المختصة في مرحلة المحاكمة وسنبين ذلك فيما يلي:

1- الجهة المختصة بقبول الكفالة في مرحلة التحقيق:

لقاضي التحقيق توقيف المتهم لمدة لا تزيد على ربع الحد الأقصى من العقوبة المقررة للجريمة، وعند انتهاء هذه المدة على القاضي إطلاق سراحه بكفالة او بدونها، اما اذا تجاوزت المدة أكثر من ستة اشهر فعلى قاضي التحقيق ان عرض الامر على محكمة الجنايات لاستحصال الموافقة على تمديد توقيف المتهم او تقرر محكمة الجنايات اطلاق سراحه بكفالة او بدونها [(2)].

[1] – د. حسن صادق المرصفاوي، المرصفاوي في. أصول الإجراءات الجنائية، ص439.

[2] –حسن صادق عبود، احكام الكفالة في المواد الجزائية (دراسة مقارنة)، ط1، 2019، ص32.

كما ان للمحقق في المناطق النائية إذا كانت الجريمة المرتكبة من قبل المتهم الموقوف من الجنح فعليه ان يطلق سراحه بكفالة، على ان يطلع قاضي التحقيق المختص على ما اتخذ بأسرع وسيلة ممكنة وينفذ ما يأمر به القاضي. ([1])

2- الجهة المختصة بقبول الكفالة في مرحلة المحاكمة:

خول المشرع العراقي في قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971 المحكمة المختصة صلاحية إطلاق سراح المتهم بتعهد مقرون بكفالة شخص ضامن او بدونها، وان يحضر عندما يطلب منه ذلك إذا كان إطلاق سراحه لا يؤثر او يضر بسير التحقيق او بدونها في الجرائم المعاقب عليها بالحبس مدة ثلاث سنوات او اقل او بالغرامة او الحبس أكثر من ثلاث سنوات او السجن المؤقت او المؤبد. ([2])

كما يجوز للمحكمة المختصة اطلاق سراحه بتعهد مقرون بكفالة عن المتهم الحدث في جرائم الجنح والجنايات غير المعاقب عليها بالإعدام، غير انه يجوز لها توقيف المتهم في حالة تعذر وجود كفيل له، او لغرض فحصه ودراسة شخصيته اذ يجب ارساله الى مكتب دراسة الشخصية، ولا يجوز توقيف المتهم الحدث في جرائم المخالفات. ([3])

غير ان هناك جرائم غير معاقب عليها بالإعدام الا انه لا يجوز للمحكمة إطلاق سراح المتهم فيها بكفالة كجريمة إخفاء او حيازة او استعمال مركبة متحصلة من جناية او التصرف فيها على أي وجه مع علمه بذلك. ([4])

الفرع الثاني: صور اخلاء سبيل المتهم بكفالة والطعن فيه

لما كان التوقيف يمس بالحرية الشخصية للفرد وطالما ان الأصل في الانسان البراءة لذا اهتم المشرع العراقي في تحديد صور اخلاء سبيل المتهم بكفالة والتي سنتولى شرحها في فقرتين كما يأتي:

اولاً: صور اخلاء سبيل المتهم بكفالة

1- اخلاء سبيل المتهم الوجوبي

[1] – المادة (12) من قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971.
[2] – المواد (109 فقرة أ و110 فقرة أ،ج) من قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971
[3] – المادة (52 اولاً) من قانون رعاية الاحداث رقم 76 لسنة 1983.
[4] – قرار مجلس قيادة الثورة المنحل. رقم 157 لسنة 1996.

تناول المشرع العراقي اخلاء سبيل المتهم الوجوبي في قانون أصول المحاكمات الجزائية اذ نصت المادة (110/أ) منه على (إذا كان المقبوض عليه متهماً بجريمة معاقب عليها بالحبس مدة ثلاث سنوات او اقل او بالغرامة فعلى القاضي ان يطلق سراحه بتعهد مقرون بكفالة او بدونها مالم يرى ان إطلاق سراح المتهم يضر بسير التحقيق او يؤدي الى هروبه).

نجد ان المشرع العراقي عندما نص على صورة اخلاء سبيل المتهم الوجوبي فانه لم يجعل ذلك متروكاً للسلطة التقديرية للقاضي او المحكمة المختصة بل قيده بقيد عدم الاضرار بسير التحقيق وان لا يؤدي الى هروبه.

كما ان المشرع العراقي اوجب على المحقق القضائي في المناطق النائية إخلاء سبيل المتهم في جرائم الجنح فقط. ([1])

ثانياً: اخلاء سبيل المتهم الجوازي

لم ينص المشرع العراقي على اخلاء سبيل المتهم الجوازي صراحةً الا انه يمكن استنتاج ذلك مما ذكرته المادة (109/أ) من قانون أصول المحاكمات الجزائية بان (إذا كان الشخص المقبوض عليه متهماً بجريمة معاقب عليها بالحبس مدة تزيد على ثلاث سنوات او بالسجن المؤقت او المؤبد فللقاضي ان يأمر بتوقيفه مدة لا تزيد على خمسة عشر يوماً في كل مرة او يقرر إطلاق سراحه بتعهد مقرون بكفالة شخص ضامن او بدونها بان يحضر متى طلب منه ذلك إذا وجد القاضي ان إطلاق سراح المتهم لا يؤدي الى هروبه ولا يضر بسير التحقيق).

كذلك يمكن استنتاج اخلاء سبيل المتهم الجوازي من نص المادة (111) من ذات القانون والتي تنص على (للقاضي الذي اصدر القرار بالتوقيف ان يقرر إطلاق سراح المتهم بتعهد مقرون بكفالة او بدونها قبل انتهاء مدة التوقيف مع مراعاة الفقرة ب من المادة 109 كما ان له اعادة توقيفه اذا اقتضت ضرورة التحقيق ذلك).

الفرع الثالث: الطعن في قرار رفض اخلاء سبيل المتهم بكفالة

ان قرار رفض اخلاء سبيل المتهم بكفالة كغيره من القرارات القضائية التي يتم الطعن بها استناداً الى قانون أصول المحاكمات الجزائية، وان هذا النوع من الطعون يتطلب توفر الشروط الشكلية والموضوعية التي ينص عليها القانون والتي سنبحثها تباعاً كما يأتي:

[1]–المادة (112) من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

اولاً: الشروط الشكلية للطعن

يتم الطعن تمييزاً في قرار رفض اخلاء سبيل المتهم بكفالة امام محكمة الجنايات بصفتها التمييزية من قبل كل من الادعاء العام والمتهم او وكيله والمشتكي والمدعي المدني والمسؤول مدنيا خلال مدة ثلاثين يوماً من اليوم التالي لصدور قرار رفض اخلاء سبيل المتهم بكفالة، وتقوم محكمة الجنايات بصفتها التمييزية بطلب اضبارة الدعوى لتدقيقها وإصدار قرارها اما بمصادقة القرار المميز او نقضه إذا كان مخالفاً للقانون وهذا القرار يكون باتاً لا يجوز الطعن فيه. ([1])

ثانياً: الشروط الموضوعية للطعن

من الشروط الموضوعية لقبول كفالة المتهم قدرة الكفيل المالية على تسديد مبلغ الكفالة، فاذا تبين للمحكمة بان الكفيل غير مقتدر على تسديد مبلغ الكفالة يكون للقاضي او المحكمة المختصة بحسب السلطة التقديرية الممنوحة لها رفض طلب الكفالة على ان يكون قرارها مسبباً، وان رفض طلب الكفالة لا يمنع من تجديد طلب الكفالة في حالة تحسن الملاءة المالية للكفيل، ويمكن لكل ذي مصلحة من أطراف الدعوى الطعن تمييزاً بقرار رفض الكفالة امام محكمة الجنايات متى ما صدر القرار من قاضي التحقيق او من محكمة الجنح في دعاوى المخالفات خلال مدة ثلاثين يوماً من اليوم التالي لصدوره. ([2])

اما إذا كان القرار برفض طلب الكفالة صادراً من محكمة الجنح في غير دعاوى المخالفات ومحاكم الاحداث في دعوى الجنح فيتم الطعن به تمييزاً امام محكمة الاستئناف الاتحادية بصفتها التمييزية خلال ثلاثين يوماً من اليوم التالي لصدوره. ([3])

وفيما يخص رفض طلب الكفالة الصدر من محكمة الجنايات فانه يتم تمييزه امام محكمة التمييز الاتحادية. ([4])

الخاتمة:

من خلال بحث موضوع (إطلاق سراح المتهم بكفالة في التشريع العراقي) توصلنا الى اهم الاستنتاجات والمقترحات التالية:

[1] – حسن صادق عبود، مصدر سابق، ص70.

[2] – المادة 265/أ من قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 73 لسنة 1971.

[3] – المادة (1) من قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم 104 لسنة 1988.

[4] – المادة (249/أ) من قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 73 لسنة 1971.

اولاً: الاستنتاجات

1- خلو قانون أصول المحاكمات الجزائية من تعريف الكفالة الجزائية وحسناً ما فعل المشرع عندما ترك ذلك لفقهاء القانون الجنائي.
2- لا يجوز إطلاق سراح المتهم اذا كانت الجريمة معاقب عليها بالإعدام او السجن مدى الحياة لان قرار إطلاق السراح قرار مؤقت وليس له ما يسوغه في هذه الجرائم وان إطلاق سراح المتهم فيها قد يؤدي الى هروبه.
3- تعدد أسباب اخلاء سبيل المتهم بكفالة وفي مقدمتها جنس المتهم وسنه وملاءته المالية ومركزه الاجتماعي والتي يجب ان يتضمنها الطلب المقدم الى القاضي او المحكمة المختصة.
4- تعدد ضمانات تنفيذ الكفالة الشخصية والكفالة المالية والمتمثلة بمنع سفر المتهم والملاءة المالية وفي حالة عدم كفاية الكفالة المالية تلغى الكفالة وتقرر المحكمة اعادة توقيف المتهم.
5- أجاز المشرع العراقي لقاضي التحقيق ان يقرر إطلاق سراح المتهم متى ما كان ذلك لا يؤثر على سير التحقيق ولا يؤدي الى هروب المتهم بالرغم من عدم تقديم طلب من المتهم.
6- يصدر قرار إطلاق سراح المتهم بكفالة من القاضي المختص او المحكمة المختصة مع الاستمرار بإجراءات الدعوى لان هذا القرار غير فاصل في الدعوى.

ثانياً: المقترحات

1- نقترح على المشرع العراقي ضرورة توحيد المصطلحات القانونية المستخدمة في النصوص التي تناولت احكام الكفالة الجزائية اذ المشرع تارة يذكر عبارة إطلاق السراح وتارة أخرى يذكر عبارة اخلاء سبيل المتهم.
2- نقترح على المشرع توفير الحماية الكافية للكفيل عند نكول المتهم عن تسديد مبلغ الكفالة من خلال حق الكفيل بالرجوع على المتهم امام المحاكم المدنية.
3- نقترح على المشرع في حالة عدم التزام المتهم الوفاء بمبلغ الكفالة النص على منعه من السفر خارج البلد في الجرائم ذات الأهمية.

المصادر:

اولاً: المعاجم اللغوية:

1- نجيب إسكندر، معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وافعال وأدوات وتعابير، مطبعة الزمان، بغداد، 1971.

ثانياً: الكتب القانونية:

1- حسام الدين محمد احمد، شرح قانون الإجراءات الجنائية، ج1، ط 2، دار النهضة العربية، 1996.
2- حسن صادق عبود، احكام الكفالة في المواد الجزائية (دراسة مقارنة)، ط1، 2019.
3- سليم إبراهيم حربة وعبد الأمير العكيلي، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، ط1، المكتبة القانونية للنشر والتوزيع، بغداد، 2009.
4- ساهر إبراهيم الوليد، الوجيز في شرح قانون الإجراءات الجزائية الفلسطيني، ج1، دار النهضة العربية القاهرة، سنة 2005.
5- *عبد القادر صابر جرادة، الجريمة تأصيلاً ومكافحة، ط 2، مكتبة افاق، غزة، 2010.*
6- عبد الله بن سعيد آل ظفران، التوقيف الاحتياطي في نظام الإجراءات الجنائية والشريعة الإسلامية مقارناً بالقانون الوضعي، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، سنة 2005.
7- عدلي امير خالد، الارشادات العلمية في الدعاوى الجنائية، مطبعة القدس، الإسكندرية، 2001.
8- علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000.
9- عمر فخري عبد الرزاق الحديثي، حق المتهم في محاكمة عادلة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، سنة 2005.
10- محمد صبحي نجم، قانون أصول المحاكمات الجزائية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
11- مجيد خضر احمد السبعاوي، الافراج عن المتهم في الدعوى الجزائية (دراسة مقارنة)، ط1، المركز العربي للدراسات العلمية للنشر والتوزيع، 2017.
12- وعدي سليمان المزوري، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، ط1، مطبعة هاورا، دهوك، العراق، 2013.
13- وسام محمد نصر، الافراج بالكفالة في التشريع الفلسطيني دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق جامعة الازهر، 2010.
14- وسام محمد نصر، الافراج بكفالة في التشريع الفلسطيني دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق جامعة الازهر، 2010.

ثالثاً: القوانين والقرارات:

1- قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971.
2- قانون رعاية الاحداث رقم 76 لسنة 1983.
3- قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم 157 لسنة 1996.
4- قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم 104 لسنة 1988.

رابعاً: المواقع الالكترونية:

1- عبد العزيز احمد سيف، الحبس الاحتياطي في التشريع اليمني، دراسة مقارنة، انظر الرابط:
http://www.yemen-nic.info/contents/studies/detail.php?ID=12905

بنية المتخيل وتمظهراته في الثقافة الغربية

The structure of the imagined and its manifestations in Western culture

د. جوهرة القدس عكية: أستاذة وباحثة من المملكة المغربية.

Dr. Jaouharat Al Qods Aggya: Doctor and researcher from Morocco.

الملخص:

يروم هذا البحث مقاربة مفهوم المتخيل في الثقافة الغربية، ومساءلة كبرى المحطات التاريخية الأساس التي تعاملت مع الجذر اللغوي "متخيل"، ومع اشتقاقاته وامتداداته المفهومية، ذلك أن للمفاهيم هوية دلالية مفترضة يجب التعرف عليها وملاحقتها في مكان انبثاقها وإشعاعها. ولما كانت المسافة بين هاته المحطات التاريخية والثقافية، ليست هوة تستدعي التجاوز، بل وسيطا يتطلب العبور، كان لا مندوحة من التوقف عند قطبي الفكر اليوناني "أفلاطون"، و"أرسطو"، فضلا عن فلاسفة الفكر الغربي الحديث؛ "كانط"، و"جيلبير ديران"، و"جان بول سارتر". ولتحقيق أهداف البحث استخدمت الباحثة مقاربة تحليلية تهدف إلى تفكيك الظواهر ودراستها دراسة تفصيلية. وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها أن المقاربة الغربية للمتخيل هي مقاربة متعددة الأصول تمتاح من معين الفكر متعدد الملامح والتجليات هو كذلك.

الكلمات المفتاحية: المتخيل، الخيال، الثقافة الغربية.

Abstract:

This research aims to approach the concept of the imaginary in Western culture, and to question the major historical base stations that dealt with the linguistic root "imaginary", and with its derivations and conceptual extensions, because the concepts have a supposed semantic identity that must be recognized and pursued in the place of their emergence and radiation. Since the distance between these historical and cultural stations is not a chasm that calls for transcendence, but rather a mediator that requires crossing, it was unavoidable to stop at the two poles of Greek thought" Plato "and" Aristotle", as well as the philosophers of modern Western thought;" Kant"," Gilbert Durand", and" Jean-Paul Sartre". To achieve the objectives of the research, the researcher used an analytical approach aimed at dismantling the phenomena and studying them in a detailed study. The research reached a set of results, the most important of which is that the Western approach to the imaginary is a multi-asset approach that is available from a source of thought with multiple features and manifestations as well.

Keywords: Imaginary, fiction, Western culture.

المقدمة:

يشكل مفهوم الثقافة أحد الأفكار الكبرى التي ساعدت البشرية على بلورة وترصيد إنجازات التقدم العلمي والفكري، ذلك أن الثقافة مفهوم يتسم بطبيعة تراكمية ومستديمة، فهي ليست وليدة مرحلة من مراحل التطور الإنساني، بل هي إرث اجتماعي لكافة منجزات البشرية، فضلا عن تداخل مفهوم الثقافة مع مفاهيم أخرى كالحضارة والمدنية. وتماشيا مع هذا الأفق، تعكس الثقافة التمظهر الروحي للمجتمع، بينما تعبر الحضارة عن مظاهر التقدم التكنولوجي، فيما تمثل المدنية مجموع الصفات والقيم وأنواع السلوك التي يستخدمها الإنسان في تصرفاته وعلاقاته بالآخرين.

إن محاولة تقديم تعريف للثقافة يظل أمرا صعبا، على الرغم من شيوع تداول مصطلح الثقافة، وذلك لتعدد التعاريف وتنوعها تبعا لاختلاف الحقول المعرفية التي تناولته. ومن ثم، فإن جذور كلمة ثقافة "Culture" تعود إلى اللفظة اللاتينية "Cultura" التي تعني حرث الأرض وزراعتها، " ولعل "شيشرون" أول من استخدمها بمعناها المجازي الذي شاع فيما بعد حين أطلق على الفلسفة اسم "Cultura Mentis"، أي زراعة العقل وتنميته. وقد استعار "فولتير" وأقرانه من المفكرين الفرنسيين استخدام "شيشرون" المجازي حتى باتت الكلمة تعني تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة، وغير ذلك مما تشتمل عليه كلمة ثقافة. ومن الفرنسية انتقلت الكلمة بمعناها الجديد إلى الألمانية "Kulture" والإنجليزية وسائر اللغات الأوروبية "(معن، عدد 115، 1987، ص 49 و 50). أما مصطلح حضارة "Civilisation" فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية "Civis" مدني، "Civitas" مدنية أو حاضرة، التي تعني الجانب المادي من الحضارة كالعمران ووسائل الاتصال والترفيه، ويقابلها الجانب الفكري والروحي والخلقي لهذه الحضارة.

وتبعا لذلك، تشمل الثقافة كل الأنشطة والاهتمامات التي تسم مجتمعا من المجتمعات، إضافة إلى مختلف جوانب الحياة المادية والمعنوية دون الاقتصار على أقلية مميزة، أو طبقة اجتماعية محددة، سيما أنها " تضم كلا من العظيم والوضيع، والصفوة والعامة، والمقدس والدنيوي "(كوبر، 2008، ص 51). ولعل من أهم التعاريف التي احتلت مكان الصدارة في تعريف الثقافة، تعريف الأنثروبولوجي الإنجليزي "إدوارد برنيت تايلور" "E.B.Tylor"، (1832م – 1917م)، وعلى الرغم من تعدد تعاريف الثقافة إلا أن أغلبها مستلهم، أو مقتبس من التعريف الذي تضمنه كتابه "الثقافة البدائية" "Primitive Culture"، الصادر سنة 1871م، بوصفها " ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاق، والقوانين، والأعراف، وكل القدرات، والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع" (Tylor, 1920, P: 16).

ومن ثم، نلاحظ أن تعريف "إدوارد تايلور" للثقافة هو تعريف وصفي وموضوعي، وليس تعريفا معياريا، ولعل هذا ما يركز عليه علماء الأنثروبولوجيا بوجه عام، كونه يعبر عن نظرة شمولية للحياة

الاجتماعية للإنسان، ما يجعل الثقافة، وفق هذا التحديد، تكتسب بعدا جماعيا وفرديا، على أساس أن الثقافة ترتبط أولا بالمجتمع الذي يعيش فيه الفرد، وثانيا بملكة الاكتساب والتعلم، أي أنها تتجاوز الضرورة والحتمية التي تمليهما الوراثة البيولوجية.

تأسيسا على ما سبق، تظل الثقافة أحد المكونات الأساس التي تحدد هوية الفرد والمجتمع، إلى جانب مكونات أخرى تتفاعل معها، لعل من أبرزها؛ المتخيل، وهو ما يجعل منه أحد الدعامات الأساس في تشكيل وبلورة معالم هذه الهوية. لذلك نجد المتخيل حاضرا في كل مناحي الحياة، وفي المعيش اليومي، " في كل لحظة من لحظات التواصل اليومي، سواء مع الذات أو مع الآخر، لأنه يكسر التكرار ويخرج عن أطر المألوف التي تميز اللغة المعادة، ويخلق إيقاعا زمنيا خصوصيا ممتدا لا علاقة له، بالضرورة بالزمن العام. إن المتخيل حين يخلق هذه الزمنية الخاصة فإنه في حقيقة الأمر، يبدع وجودا مختلفا يوفر إمكانية التوازن الذاتي أو الجماعي"(أفاية، 1993، ص 9-10).

مشكلة البحث:

إن المتخيل نظام من الرموز والصور والأساطير والتمثلات التي تتكاثر بفعل اللاوعي البيو-نفسي والمحيط الثقافي والاجتماعي، ويتشكل هذا المتخيل ويتكون من خلال مسار أنثروبولوجي يحدد الصور والتمظهرات التي يتجلى عبرها.

المنهج:

حاولت الباحثة تبني مقاربة تحليلية ترتكز على تفكيك الظواهر المختلفة إلى مكوناتها الأولية، ودراستها دراسة تفصيلية، وفهم أنماط التفاعلات الموجودة فيما بينها، مع استنباط القوانين العامة التي تحكمها.

1- **بنية التعريف المعجمي**:

يعود الجذر اللغوي "متخيل": " Imaginaire" إلى الكلمة اللاتينية "Imaginarius" التي تدل على المعطيات الذهنية، وما لا يتطابق مع معطيات الواقع المادي. (Dubois et Mével, 1979, p: 934) وعلى مجموع ما ينتجه الخيال، وهي بذلك تتقاطع مع الصفة "تخييلي": "Fictif " المقابلة لكلمة: "Fictus" في اللاتينية، التي تحيل على معنى الخداع والغش، وقد تطورت دلالاتها لتفيد " كل ما ينتجه الذهن عن طريق الخيال، أي كل ما ليس واقعيا، كالادعاءات الباطلة، والمظاهر الوهمية"(Guilbert, Lagane, et Niobey, 1989, p: 1893). أما كلمة "تخييل": "Fiction"، فقد أخذت من الكلمة اللاتينية "Fictio"، التي تفيد " مجموع الأفعال مثل الصنع، والتشكيل، والخلق، وابتكار أشياء متخيلة، وتطلق على مجال المتخيل واللاواقعي، وعلى الخداع، وعلى ما يخلقه الخيال

في الحقلين الأدبي والفني"(Rey, 1992, p: 977). فأما كلمة "تخيل": "Imaginer "، فقد اقترضت من الكلمة اللاتينية "Imaginari"، والتي تشير إلى تكوين صورة شيء أو طيف إنسان في الذهن، كما أنها تدل على فعل شيء أو اختراعه، إلا أنها أصبحت تستعمل في الأدب والفنون الجميلة، وفي الحديث عن تخيل شخصية، أو وضع، أو مشهد. في حين أن كلمة "خيال": "Imagination" المشتقة من الكلمة اللاتينية Imaginativo"، تحيل من جهة على ما يرى في الحلم والهلوسة، وعلى ملكة خلق الصور وتشكيلها، وتكوين تركيبات جديدة لتلك الصور، ومن جهة أخرى على ما يتصوره الذهن أي " قدرة الذهن على حفظ المعطيات الإدراكية واستحضارها"(Rey, 1992, p: 977).

وبناء على هذه التحديدات، يمكن القول إن المعاجم اللغوية في الثقافة الغربية، تجمع على أن المتخيل "Imaginaire" يعود إلى الجذر اللغوي صورة "Image"، وخيال "Imagination"، فضلا عن أن كلمة متخيل تحيل مرة على الصفة وأخرى على الاسم، وتدل على ما لا يوجد إلا في المخيلة أو الخيال. لقد حاد المتخيل عن نطاق الصورة إلى عالم مليء بالكائنات والأحداث والشخوص، لها صفات وأحوال من إنتاج التصور والمخيلة، ممكنة ومحتملة، وذات مرجعية واقعية.

إن مفهوم المتخيل في الثقافة الغربية لا يستعمل كمقابل ل " تخييل ": "Fiction"، أو "تخييلي": "Fictif"، أو "خيال": "Imagination"، بل إن كل مفهوم يؤدي دلالة خاصة حسب سياق وروده، ذلك أن تداول هذه المرادفات دفعة واحدة، قد يؤدي إلى الغموض ولبس في الفهم.

إن كلمة "Imaginaire" التي نترجمها بـ"متخيل" تنحدر من الكلمة اللاتينية " Imaginarius" التي تعني: خيالي، ومغلوط. وتستعمل كلمة متخيل، في اللغة بثلاث دلالات على الأقل؛

أ – كصفة، وتعني ما لا يوجد إلا في المخيلة، الذي ليس له حقيقة واقعية.

ب – كاسم مفعول، للدلالة على ما تم تخيله.

ج – كاسم، وتعني الشيء الذي تنتجه المخيلة، كما تعني ميدان الخيال.

– إن كلمة متخيل ليست سوى مرادف يعبر بشكل أفضل عن كلمة خيال، ويجعل هذه الأخيرة مفتوحة ومتمنعة. ولعله الشيء ذاته الذي قصد له فولفغانغ إيزر"إن الواقع لا يكون له وجود خاص به، لا يمكنه أن يبرز إلى الوجود إلا بواسطة التصور والخيال"(إيزر، 1995، ص35).

وما نلاحظه أن المتخيل والتخييل والمخيلة والتخيل والخيال هي مشتقة من المادة المعجمية "خ.ي.ل"، فكل مفردة تكمل الأخرى من حيث الدلالة وإن نسبيا، رغم اختلاف سياق ورودها. وما نستخلصه من هذه المقاربة هو أن المتخيل أعم من التخييل، حتى وإن وظفا في الكثير من الدراسات بدلالات متباينة:

- المتخيل تجاوز للواقع.
- وعي بالعالم.
- المتخيل هو الصورة النمطية.
- المتخيل هو نماذج من التمثلات.
- نتاج ثقافي.
- المتخيل تراكم من التمثلات الذهنية للذاكرة الفردية والجماعية.
- المتخيل تعبير عن الواقع المتحول إلى تمثل وليس اللاواقع.
- المتخيل مقولات ذهنية.

وأما التخيل فهو:

- القدرة على تصور الأشياء والأدوات تصورًا مرئيا في المخيلة.
- عملية عقلية لاسترجاع صور حسية مختلفة وأحداث من الحياة الماضية وتضمينها وتشكيلها لصور ورسوم وأحداث جديدة.
- قدرة الإنسان على رؤية وتشكيل الصور والرموز العقلية للموضوعات والأشياء والإحساس بها بعد اختفاء المثير الخارجي.

2- المتخيل في الفكر اليوناني:

– أفلاطون:

تناول "أفلاطون" بشكل واضح مسألة الفن والخيال، وذلك في سياق نظرية المحاكاة، حيث قال بوجود عالمين واحد مثالي أصلي وآخر تابع له أو محاك له. وقد مثل "أفلاطون" لذلك بقصة أهل الكهف، التي شرح من خلالها تصوره المبني على المحاكاة، كما قدم مثالا واضحا وملموسا، يتعلق الأمر بصنع الكرسي، إذ هناك أولا فكرة الكرسي المجردة الحقيقية والمتعالية، ثم الكرسي الذي يصنعه النجار، ثم أخيرا الكرسي الذي يرسمه الرسام أو الفنان (أفلاطون، د.ت، ص 361). فخيال الفنان ينتج صورا من الدرجة الثالثة، إذ هناك المستوى المثالي، ثم الواقعي أو المادي، وأخيرا المتخيل أي المحاكى من الدرجة الثالثة، فالخيال في فلسفة أفلاطون يشتغل بخلق وإبداع صور من الدرجة الثالثة، وكأنه يريد أن يسلب ما ليس له، أو ينجز ما ليس من اختصاصه.

وإذا كان "أفلاطون" يعتبر الخيال وما ينتج عنه محاكاة، أي أن المتخيل هو محاكاة لأصل أو لشيء سابق، فلأن دور التخيل عنده يقتصر على تصوير الواقع الخارجي وتقليده، فلا وجود لصورة بدون حقيقة واقعية، ولا محاكاة من غير نموذج مسبق. "إن المقلد أو صانع الصورة، لا يعلم عن الوجود الحق شيئا، وإنما يعرف المظاهر وحدها"(أفلاطون، د.ت، ص 368). ولعل هذا، في اعتقادنا،

ما حدا بـ"أفلاطون" إلى رفض الشعر وطرد الشعراء من مدينته الفاضلة؛ ذلك أنه لم ير أن الشعر يصدر عن التخيل الذي يقوم على الواقع، بل عن قوة ميتافيزيقية غامضة خارجة عن الشاعر وإرادته، وهي ما يعرف بالجنون الذي تحدثه ربات الشعر في نفس الشاعر، فلا يستطيع أحد قول الشعر إلا بواسطة هذا الجنون الصادر عن آلهات الشعر. ولهذا لم يطبق أفلاطون نظريته في التخيل على الشعر، وطرد الشعراء من مدينته الفاضلة.

هكذا، نتبين أن "أفلاطون" أقام مذهبه في المثل على العقل، فكانت المعرفة الحقيقية هي معرفة الكل الثابت لا العرض الزائل. ولما كان الجوهر يدرك بالعقل والعرض بالحس، كان العقل مصدر المعرفة الصحيحة، وكانت الحواس سببا للأحكام الخاطئة على الأشياء. لذلك اعتبر الأشياء المتغيرة في عالم الطبيعة مظاهر مختلفة للحقيقة التي لا تتغير ألا وهي الوجود. وبهذا الاعتبار انتهى إلى القول بوجود عالم من الحقائق الذاتية المجردة، يقابل الوجود المادي الحسي، وعد الوجود الحسي صورة زائفة عن الوجود الحقيقي.

ويبدو لنا، أن الخيال والتخييل لم تتحدد معالمهما بشكل واضح مع "أفلاطون". ولم يرق الخيال عنده، بسبب تصوره للمحاكاة إلى مستوى الطاقة الإنتاجية والملكة الخلاقة. فما كان غائبا عند "أفلاطون"، هو مفهوم الذات الفردية المبدعة، ويعزى الأمر إلى مسألة أساسية – طبعت التصور الأفلاطوني– تتجلى في غياب كل من مقولة الفاعل: "L'agent"، ومفهوم القدرة الإبداعية للإنسان.

– أرسطو:

اعتبر "أرسطو" الخيال قوة من قوى النفس الباطنية عند الإنسان، ودافع عن هذه الفكرة في كتابه " في النفس" الذي يعد تشريحا لطبيعة النفس عند الكائن الإنساني. وقد اهتم "أرسطو" في هذا الكتاب بتعريف التخييل وعالجه معالجة وافية، وعرض لطبيعة التخيل ومدى حظه من الصدق والكذب، ولم يتعرض له في كتابه "فن الشعر" إلا بإشارات خاطفة. ويرى أرسطو أن التخيل ضرب من الحركة في الذهن يقابل الحركة في عالم الحس، وحركة التخيل– في رأيه – يمكن إيجازها في ثلاث نقط:

- ألا تكون قادرة على الوجود بدون الإحساس، وأن تنتمي إلى الكائنات التي لا تحس.
- أن تجعل صاحبها قادراً على أن يفعل وينفعل بعدد كبير من الأفعال.
- أن تكون هي نفسها صادقة أو كاذبة.

وتبعا لهذا التحديد، أكد أرسطو على قدرة التخيل على التصوير المثالي عن طريق الانتقال من الخاص إلى العام، ومن الإدراك الحسي للواقع إلى الفكر التجريدي، إذ تحتل القوة المتخيلة لديه موضعا وسطا بين الحواس والعقل. لقد ثبت مع "أرسطو" أن الخيال ملكة تتوسط بين الحس والعقل،

حيث يتلبس الخيال كثيرا بلبوس الحس والعقل، بمعنى أن الخيال يتضمن آثار الحس والعقل معا، كما أن قيمة هذه الملكة عند "أرسطو" تكمن في صيرورة إنتاج المعرفة. إن الخيال "عنصر محوري في إنتاج الفكر، وتحقيق العلم وبناء تصور عن العالم والوجود" (أرسطو، 1973، ص 11). لم يعد الخيال مع "أرسطو" سجين مفهوم المحاكاة، بل أصبحت له مكانة خاصة ومتميزة، وتخلص من وضعية اللاوجود التي أسندها إليه "أفلاطون"، وصار موجودا باعتباره وسيطا يلعب دورا أساسيا بين الفكر/العقل والإحساس. وينتظم وفق هذه الوساطة سؤال جوهري: ما هي العلائق الموجودة بين الخيال والإحساس، وبين الخيال والفكر؟

لقد عالج "أرسطو" مقولة الخيال في إطار نظرية عامة وشاملة تضم علم الأحياء والطب وعلم النفس، وهذا ما يفسر تخصيصه للجزء الأول من كتابه "في النفس" لدراسة وتحليل طبيعة النفس وجوهرها ووظائفها. ولئن خالف أرسطو أستاذه "أفلاطون" في مذهبه وفارقه في أمور أساسية كمسألة أن النفس والجسم ليسا جوهرين متباينين، وإنما ينتميان إلى مادة واحدة، فلأنه لم يقتنع البتة بمذهبه وتصوره. وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "النفس أول تمام جرم طبيعي ذي حياة بالقوة"(أرسطو، 1980، ص30). يعني أن النفس عنصر أساس في عملية الإدراك وتحصيل المعرفة لارتباطها بالحس، ذلك أن المعرفة الحقيقة حسب ما أشار إليه "أرسطو" هي معرفة الجوهر الثابت، في حين أن ما تنقله حواسنا من مدركات الأشياء المحسوسة متغير وزائل بتغيرها وزوالها. ولما كان سبيل أرسطو إلى الحقيقة المجردة هو البحث عن العلة الأولى، أي أن كل ما في الوجود الحسي معلول ولكل معلول علة، كان أن اهتدى إلى نظرية الهيولى والصورة. وتقتضي أن ظواهر الوجود على اختلافها إنما هي حالات عرضية وطارئة، تستوجب جوهرين ثابتين ومتفاعلين؛ موضوع ومحمول أو مادة وصورة، فالموضوع مطلق "هيولى" وهو ما يجري فيه التغيير، أما المحمول فهو معين "صورة" ينطبع في الموضوع ويكسبه شكلا وصورة معينة. وإذا كان "العقل يدرك صور الأشياء بما يصير إليه من تخيل التوهم، فيكون الشيء المدرك إما مطلوبا، وإما متروكا بغير حس" (أرسطو، 1980، ص77)، فإن النفس لا يمكنها أن تفكر أو تفهم أو تستوعب بدون وجود صور. ومنه تصبح الصورة تابعة للعقل وخادمة له، بحكم وظيفتها التركيبية، وبحكم أن فعل التفكير لا يقوم بدون خيال. فالصور محسوسات تساعد الفكر على التجريد، غير أنها محسوسات مجردة من المادة/الهيولى. ثم إن الصور وإن كانت بطبيعتها خادعة أحيانا – مثلما الحال في الأحلام– فإن الإحساس يظل بخلافها صادقا. على نحو أن "التوهم حال يتخيل لنا فيها شيء ليس بموجود في الحقيقة"(أرسطو، 1980، ص69)، فالبصر لا يقدر على أن يوجد إنسانا له قرن، أو ريش، بينما فكرنا فليس ببعيد عنه أن يتوهم الإنسان طائرا أو ذا ريش أو مخالب، والحيوان والطير ناطقين والجماد متحركا. نتيجة لذلك، يكون "التوهم غير الحس وغير الفكر، ولا يوجد ظن بغير توهم، ومن الظاهر الجلي أن التوهم هو تفكر وليس بظن"(أرسطو، 1980، ص69)، سيما أن الصور تنفصل عن الإحساس وتتجاوزه.

ومهما يكن من أمر، فقد عمل أرسطو على تعميق وتدقيق مفهوم جديد يتحكم في الإبداع والفن، إنه مفهوم "الفنطاسيا". فالخيال/ الفنطاسيا مستقل عن المحاكاة، لا بل يتعارض معها ويتجاوزها، ذلك أن المحاكاة لا تستحضر في الصورة إلا ما سبقت رؤيته، في حين أن الفنطاسيا تستحضر كذلك ما لم تره من قبل. إن الخيال وهو ينفصل عن المحاكاة يمسي عاملا أساسيا يمتلك السلطة عينها، سلطة تأمل اللامتعين واللامرئي، والمجاوزة للظاهر المتبدي، لارتياد العالم العلوي – عالم الأشكال والصور– الذي قال عنه "فلافيوس فيلوسطراط" ما مفاده أن الفنان عندما يعرج إلى السماوات ليحضر منها الصور، لا يحاكي ولا ينسخ، بل يتخيل. ومن ثم، فالخيال كلية تتوسط مختلف نشاطات النفس بحكم انتمائه إلى الإحساس والفكر المجرد. والحالة هذه، نجد أن المعرفة التخييلية الأرسطية تتموقع بين وضع تجريبي يتسم بالبساطة والوضوح أساسه الحس، ووضع آخر مركب من مدركات الحس، مجرد في الآن ذاته عن المقومات المادية.

وهكذا، نلاحظ أن الفلسفة اليونانية اعتمدت بشكل كبير على العقل و"أهملت الخيال بأشكال متباينة ومتفاوتة، واعتبرت الخيال أو المتخيلة عنصرا يشوش على عمل العقل" (Durant, 1984, p:15). فهي تعد العقل أداة ناجعة ومعيارا قويا لاكتساب المعرفة والتحرر من الأخطاء، ذلك أن للمنطق الفلسفي ما يبرر توجهه إلى اعتماد العقل دون الخيال، وإقصاء ما له علاقة بالمتخيل، كون هذا الأخير ملتقى الأوهام والأحلام والأساطير، وكل ما هو منفلت من قيود التجربة، وغير خاضع للعقل، ومنضبط بضوابط المنطق.

3- **المتخيل عند الفلاسفة الغربيين**:

– كانـط:

يعتبر "كانط" الخيال مبدأ أساسيا لكل معرفة، وملكة للتركيب، فبدونه لا تستقيم أية معرفة. وتتضح قيمة الخيال في مده الفكر بجملة من الخطاطات الأولية التي تمكن من إدراك الموضوعات وتمثل الصور والأشياء، ومع هذه الخطاطات الذهنية يتجلى الزمان كصورة خالصة لفعل المعرفة. لقد حاول "كانط " البحث في وظيفة الخيال ومدى مساهمته في إقامة الوعي والتفكير، وعده عنصرا فاعلا في عملية تحصيل المعرفة، مخالفا ومتجاوزا تصور سابقيه –وخاصة ديكارت– ذلك أن الفلسفة قبل "كانط" كانت تعتمد على العقل وحده باعتباره الأداة الناجعة والمثلى لاكتساب معرفة خالصة. فكل ما هو غير عقلي مثل الخيال والإحساس من شأنه أن يشوش على عمل العقل، ويحول دون تحقيق معرفة عقلية صحيحة وسليمة.

وعلى هذا الأساس تحديدا، أعطى "كانط" أهمية كبرى للمخيّلة، فصارت عنصرا رئيسا في تحصيل المعرفة، وشرطا قبليا لوحدة الفهم والإدراك، إذ بفضلها يحصل تنظيم التراكم وتصبح المخيلة

أساسا لفعل التمثل بغية توليد الموضوعات وتنويع صورها، على نحو أنه لكل إنسان أساس موضوعي يوجه العقل إلى استرجاع إدراك سابق مرّ به من قبل إلى جانب إدراك لاحق، حيث يسمي كانط استرجاعنا لإدراكات سابقة بالخاصية الارتسامية للخيال. وهذا الأساس هو الذي يمكننا من الحصول على الصور، ومن ترابط انطباعاتنا. ذلك أن "الربط هو التمثل الوحيد – من بين جميع التمثلات – الذي تقوم به الذات بشكل تلقائي دون غيرها"(Kant, 1976, p:153). إن هذا التمثل فعل ذهني، يتحقق من خلال ملكتين؛ ملكة الحدس وملكة الفهم، إذ ترتبط ملكة الحدس ارتباطا وثيقا ومباشرا بالواقع وبما هو خارجي، في حين تنضوي ملكة الفهم ضمن قوى الإدراك الباطني. والملكتان معا تعودان إلى أصل مشترك يمكن من القدرة على الربط والتركيب، إنه الخيال أو المخيلة.

صفوة القول، إن وحدة المعرفة عند "كانط "تكمن في اشتغال السلطة اللامرئية للخيال التخطيطي كربط ضروري بين ملكتي الحدس والفهم، وفي عدم إمكانية وجود خيال بدون بعد زمني. فلا أحد قبل "كانط" سبق أن ربط بين الزمان والخيال – الزمان الذي هو ربط وتعالق وانفتاح وشكل– ذلك أن الخيال المنتج باعتباره ملكة للتركيب يظل ضروريا، فبدونه لا يمكن الحصول مطلقا على أية معرفة.

– جان بول سارتر:

أعاد "سارتر" النظر في الفكر الظاهراتي الذي يروم إبراز خصوبة المتخيل وفعاليته، وأعطى للخيال بعده الوجودي اللائق به، حيث ميز بين الإدراك الحسي، والخيال، والصورة، والمخيلة. فالإدراك الحسي هو تمثل للأشياء الحاضرة حضورا فعليا، أما الخيال فهو تمثل لهذه الأشياء في غيابها غيابا حقيقيا، في حين الصورة هي التنظيم التركيبي الكلي للوعي، بينما المخيلة ليست قيمة مضافة إلى الوعي، بل هي الوعي عينه حين يتحقق و"تصبح كل وضعية عينية وواقعية للوعي في العالم مشحونة بالمتخيل باعتبارها تجاوزا للواقع" (Sartre, 1940, p:19).

وعلى هذا الأساس، تحديدا، استطاع "سارتر" أن يدخل عمل المتخيل في الحياة النفسية للكائن، ويعطيه دوره في عملية الوعي، ليصبح بذلك المتخيل عنصرا مكونا للتعالي الفكري، وليس أداة مشوشة على عمل العقل. ولئن نبه "سارتر" إلى ضرورة الفصل بين الشيء المتخيل والشيء المتذكر، درءا للوقوع في تشييء الصورة، فلأنه في كتابه الثاني "المتخيل":"L'imaginaire" سيتراجع عن انتقادات الكتاب الأول "الخيال":"L'imagination"، ليصل إلى موقف تبخيسي للصورة وللخيال، وبالتالي إلى نظرية للخيال بدون صور. لذلك آثر معالجة صور الخيال وبيان وظائفها خاصة في مجالي الاستيطيقا والفنون غير التمثيلية، على نحو أن الصور التي تخلفها هذه الفنون في الذهن لا تحيل على أي موضوع أصلي غائب فالصور الخيالية إما أن يكون أصلها أشياء مادية ملموسة، وإما أن يكون مشاعر النفس وأحاسيسها.

وإذا كان لزاما الحديث عن الأصل، فإنه لا يوجد منفصلا عن الصورة الذهنية، بل متلازما معها، سيما أن الصورة لا تمثل شيئا آخر غير نفسها في مجال الفنون غير التمثيلية، فضلا عن عدم التمييز فيها بين الصورة والأصل الذي تمثله، لهذا تحيل الصورة على نفسها لا على شيء غائب.

وبالمقابل، هناك الاستيطيقا أو الذوق الجمالي الذي يحول الأشياء إلى صور، وينفذ إلى كنه الأعمال الفنية فيجعل صورها تؤدي وظيفتها كصور خالصة، حيث يتم تجريد الصور الفنية من مضمونها الواقعي، ونزعها من سياقها وتركها معلقة خارج الزمان والمكان. إن ما يميز الصورة الفنية هنا هو أنها ليست تمثلا ذهنيا لموضوع غائب، ولا تمثل الموضوع الأصلي ولا تستحضر الشيء الغائب في الذهن، إنها نتاج ما تشكل في ذهن المتلقي/ القارئ.

وهكذا، استطاع "سارتر" دراسة الخيال وصوره وآليات اشتغاله في المجالين الاستيطيقي والفني، إذ أن وظيفة الخيال السارتري تتحدد في كونه يقدم عالما بديلا عن العالم الواقعي، علاوة عما للخيال من قدرة على نفي الواقع وهي القدرة الأساسية التي يتميز بها الوعي عند الإنسان. فالخيال ليس إلا علاقة الوعي بشيء أو بموضوع يقع خارجه، ذلك أن أول نقط الخلاف بين الإدراك والخيال عند سارتر لا ترجع إلى وجود صورة خيالية في الوعي أو عدم وجودها، بل يكمن الفرق في الطريقة التي يتعلق بها الوعي بموضوعاته المختلفة أي في الفعل الذي يقوم به الوعي بالنسبة لموضوع خارجي. فالوعي يقوم بعمليات مختلفة في تعاطيه مع الموضوعات الخارجية، فهو يدرك ويتصور ويتخيل، وحين قيامه بعمليات الخيال فإنه يتعامل مع عالم بديل مختلف تماما عن عالم الموجودات. وبهذا يكون الخيال هو الوعي الإيجابي الخلاق، ومن ثم اختلافه عن الإدراك الذي يتلقى موضوعاته دون أن يبتكرها ويبدع فيها.

وبناء على ذلك، نخلص إلى أن المتخيل – وفق المنظور السارتري – هو وعي قصدي كباقي أنماط وأشكال الوعي الأخرى، ذلك أن العمل الفني هو شيء لا واقعي، ويغدو موضوعا جماليا يظهر في وعينا لحظة دخوله العدم وتحوله إلى وعي خيالي.

– جيلبير ديران:

استطاع "جيلبير ديران" "Gilbert Durand" أن يعيد الاعتبار إلى مسألة الرموز من خلال المراجعة النقدية لآراء سابقيه من الفلاسفة والنقاد وعلماء النفس والأنثروبولوجيين، مشيدا بجهود الذين أعطوا قيمة للمتخيل، ومؤاخذا في ذات الآن الذين لم يركزوا على الصورة باعتبارها رمزا، حيث أكد في كتابه "البنيات الأنثروبولوجية للمتخيل" على ثراء الرمز وتعالي المتخيل وحض على إنهاء القطيعة بين العقلاني والتخييلي. فالمتخيل ليس نشاطا يغير العالم، أو مخيلة إبداعية فقط، بل يحمل بعدا

إنسانيا شاملا. فالخزان المشترك بين كل الناس هو ذلك المشحون بالرموز العديدة والصور والأساطير، الأمر الذي يجعل المتخيل الملتقى الأنثروبولوجي الذي تتقاطع فيه كل أساليب التفكير الإنساني.

وقد ركز "جيلبير ديران" على دراسة دينامية الرمز، والتعرف على إواليات اشتغاله وتكونه، وأشار إلى الارتباط الحاصل بين الصورة والإدراك، ويعزى الأمر في نظره إلى "خلط الظاهراتية السيكولوجية المنحدرة من "هوسرل" و"برغسون"، مابين الصورة والكلمة، أي ما بين الصورة الذهنية والعلامة اللغوية كما حددها دي سوسير"(Durant, 1984, p:24). ذلك أن الرمز يتشكل ويتكون عبر مسار، وإن أي محاولة لإيجاد بداية هذا المسار لكفيلة بتحديد الصور والتمظهرات التي يتمرأى وينكشف من خلالها.

ومهما يكن من أمر، فإن مشروع "ديران" قام على تجميع "المعطيات الأنثروبولوجية" للبحث في الخيال الرمزي العام، الذي يسم المتخيل الإنساني. ولعل توسله بعلم النفس التكويني ل"جان بياجي"، والخيال المادي لـ"غاستون باشلار" كان القصد منه وصف النماذج الأصلية " Archétypes Les"، والترسيمات الذهنية الأولية "Schèmes Les"، والأساطير، والرموز التي تنتظم وفق بنيات محددة، لها طابع الكونية. فالمتخيل حسب ما ذهب إليه ديران، لا يعدو أن يكون إلا نماذج أصلية، ورمزية وميثولوجية محددة للإنسان الرمزي في مواجهته للزمن وهروبه، فالمخيلة تنظم الزمن وتقيسه، وتؤثثه بالأساطير والخرافات التاريخية، وفي ذلك بعض العزاء بشأن هروب الزمن.

لقد عمل "ديران" على دراسة المتخيل دراسة رمزية من منظور أنثروبولوجي، وما يوجه طرح ديران في مساره الأنثروبولوجي هو ما قدمه "غاستون باشلار" في كتابه "الهواء والأوهام"، حيث اعتبر "المحاور الناجمة عن المقاصد الجوهرية للخيال إنما هي مسارات الحركات الأساسية للكائن البشري تجاه محيطه الطبيعي"(Durant, 1984, p:38). وهكذا يتحدد المسار الأنثروبولوجي –على مستوى المتخيل– من خلال عملية التبادل المستمر بين الدوافع الذاتية والتمثيلية، وبين المؤثرات الموضوعية الصادرة عن المحيط الطبيعي والاجتماعي. هذا المحيط الذي تؤطره المؤسسات البدائية بشكل مباشر، سواء كانت تكنولوجية أو اجتماعية للإنسان الصانع. ومن ثم فكل حركة للذات تستدعي مادتها وتبحث عن أداة لها، لأن خيال الحركة مرتبط بخيال المادة، ولعل هذا ما يترجم التفاعل الحاصل بين الحركة والمحيط، ذلك أن غرائز الفرد ورغباته واستيهاماته مسيجة بالمحيط الاجتماعي والتاريخي، وبالمرجعية السيكولوجية للذات الفردية، وبالتجربة الدينية، على نحو ما اعتبره "ديران" المزاوجة بين الثقافي والطبيعي السيكولوجي، دون ترجيح أحدهما على الآخر، سيما وأن جوهر الرمز يوجد بين هذين العنصرين المتجاذبين.

وكنتيجة لذلك، نسجل انفتاح الطرح الأنثروبولوجي "ديران" على المقاربات الاجتماعية والسيكولوجية، وعلى الميثولوجيا، والمؤسسات الطقوسية، والرموز الدينية، والدراسات الشعرية. إذ تغيا

"ديران" الوقوف على تلاقي وتقاطع هذه العناصر في بنية رمزية واحدة أو في المتخيل الواحد، ضمن نسق ثقافي بعينه.

والحالة هذه، إن ما يميز المتخيل لدى "ديران" –في ظل هذه الرؤية– هو الحركية والتفاعل والدينامية والتعددية في عناصره، ناهيك عن وظيفته الأنطولوجية وقيمته الثقافية في حياة الأفراد، مما يتيح للإنسان تحرير إمكاناته المبدعة وإطلاق قدراته الخلاقة، ويتأتى ذلك مما لملكة الخيال من قيمة وظيفية. فالخيال وسيلة لفهم الذات والوجود وتأويل تحولاتهما وتصنيف ظواهرهما المختلفة، سيما أن الخيال أداة لإنتاج المعرفة وتأسيس الحضارة وتشكيل الثقافة على مر العصور.

الخاتمة:

لقد قادتنا رحلة مساءلة نصوص الثقافة الغربية قديمها وحديثها ("أفلاطون"، و"أرسطو"، و"كانط"، و"سارتر"، و"جيلبير ديران") إلى تشكيل تصور متكامل عن مفهوم المتخيل، هذا فضلا عن اعتبارنا هذه النصوص منطلقا تقعيديا لمقاربة المتخيل؛ بنية ومضمونا وتمظهرا، ولعل هذه أبرز الملاحظات التي يمكن الوقوف عندها في هذا الصدد:

- إن هذه النصوص أبانت بحق عن استعمال متمفصل ومزدوج للفظتين متباينتين هما؛ الصورة "L'image"، والخيال "L'imagination"، فليس ثمة أي رابط يجمع بين اللفظتين إن اشتقاقيا وإن صواتيا.

- تستعمل لفظة خيال ومخيلة وتخيل كمرادف للفظة "Imagination" المعدولة عن اللفظة اللاتينية "Imaginatio"، والمترجمة عن اللفظة اليونانية "فنطاسيا" "Phantasia"، التي تفيد تارة معنى الإظهار والتوضيح والتصوير، والأمر ذاته يؤديه الفعل اليوناني "فنطازو" الذي يفيد في أصله "أظهر" و"بين" و"صور"، إضافة إلى المفهوم الاصطلاحي المعمول به.

- إن لفظة صورة تحيل على المستعارتين اللاتينيتين " Imago" و"Imaginis" اللتين نحتت منهما حينذاك، فدلت على تمثال "Statue" أو صورة شخصية " "Portrait. وقد تطورت دلالاتها مع مرور الزمن لتشير إلى ما يحاكي إنسانا أو يعيد إنتاج شيء بشكل حرفي ومشابه، فضلا عن توظيفها في علم النفس للدلالة على ثبات انطباع حسي ناتج عن رد فعل النسيج العصبي، أو على عملية إعادة الإنتاج الذهني لمدرك أو لانفعال نفسي في غياب المثير. غير أنها ستغير دلالتها سنة 1700م لتدل على طريقة أداء فكرة ذات طابع حسي وجمالي، ثم بعد ذلك على التعبير عن الأفكار بالصور الفنية لتؤدي في المجال الشعري الظاهرة الأسلوبية "المجاز".

- اعتبار الفلسفة اليونانية "التخيل" أو القوة المخيلة ملكة تمكن الشاعر من الإبداع، في حين يوظف أنصار التنظير الغربي الحديث مصطلحا بديلا "الخيال"، ويتجلى الفارق بين المصطلحين في الترجمة أكثر من المفهوم نفسه، كونهما يدلان في جوهرهما على العملية نفسها، وإن تمايزا في بعض النقط النظرية.

استنتاج:

من خلال ما تقدم، نستنتج ما يلي:

- إن الوضع الاعتباري للخيال عند "أفلاطون" يتحدد من خلال المحاكاة التي تجعل الصورة متبدية، إذ لا وجود لصورة دون حقيقة واقعية، ولا لمحاكاة دون نموذج مسبق. فدور التخيل مقتصر على تصوير العالم الخارجي وتقليده.

- إن فاعلية الخيال لدى "أرسطو" تتجلى من خلال سيرورة التفكير، أي أن هذه الفاعلية تتجلى في البعد التركيبي لموضوعات الحواس، ذلك أن الخيال حركة تابعة للحس من جهة وخادمة للعقل والفكر من جهة أخرى.

- إن الخيال مع "كانط" صار عنصرا أساسيا في عملية بناء المعرفة، وغدت المخيلة شرطا قبليا لوحدة الفهم والإدراك، فبواسطتها يحصل التراكم وتتوفر إمكانية إصدار الأحكام. وتبرز الوظيفة المعرفية للخيال في تشكيل الصور الذهنية وإبداعها بشكل تلقائي قبلي، ورؤية الوجود بالانفعال به ثم أخذ صورة عنه.

- أصبح للخيال مع "سارتر" وظيفة أساسية في إنشاء الوعي وتأسيس الإدراك، وهو وعي قصدي يتجاوز الواقعي دون إقصائه أو إلغائه، وإنما باحتوائه وتعديله، فكما تعي الذات الواعية بالعقل والفكر، بالمفهوم والمقولة، تعي بالخيال والصورة.

- إن المتخيل مع "جلبير ديران" صار نظاما من الرموز والصور والأساطير والتمثلات، وما يتميز به هو الحركية والدينامية والتفاعل والتعددية في عناصره. فالمتخيل لدى "ديران" مجال علائقي وتفاعلي وميدان تتصارع فيه قوى مختلفة، ويضطلع بوظيفة أنطولوجية، وقيمة ثقافية.

قائمة المصادر والمراجع:

- فولفغانغ إيزر: فعل القراءة؛ نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ترجمة حميد لحميداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، 1995.
- أفلاطون: الجمهورية، ترجمة فؤاد زكرياء، المؤسسة المصرية العامة، دار الكاتب العربي، القاهرة، (د.ت).
- أرسطو طاليس: فن الشعر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، 1973.
- أرسطو طاليس: في النفس، ترجمة إسحاق بن حنين، مراجعة عبد الرحمن البدوي، دار القلم، الطبعة الثانية، بيروت، 1980.
- معن زيادة: معالم على طريق تحديث الفكر العربي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 115، الكويت، يوليو 1987.
- آدم كوبر: الثقافة؛ التفسير الأنثروبولوجي، ترجمة: تراجي فتحي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 349، الكويت، مارس 2008.
- J. Dubois et J.P. Mével: Larousse, Dictionnaire de la langue française, Lexis, Edition Larousse, Paris, 1979.
- L. Guilbert, R. Lagane et G. Niobey : Grand Larousse de La Langue Française, Tome III, Librairie Larousse, Paris 1989.
- –A. Rey: Le Robert, Dictionnaire historique de La Langue Française, 3ème Edition, Paris, 1992 .
- –G .Durant: Les Structures Anthropologiques de L'imaginaire,10 ème Edition Bordas, Paris, 1984.
- E. Kant: Critique de La Raison Pure, Traduction par J. Barni, Paris, Garnier Flammarion, 1976 .
- J.P. Sartre: L 'imaginaire, Edition Gallimard, Paris, 1940.
- E.B. Tylor: La Civilisation Primitive, Traduit par Pauline Brunet, Tome 1, Ancienne Librairie Schleicher, Paris, 1920.

خصائص الأمِّيِّين في محافظات جنوب العراق (البصرة وذي قار وميسان والمثنى)

Characteristics of the illiterate people in the governorates of southern Iraq (Basra, Thi-Qar, Maysan and Muthanna)

الباحث: سعد ادوير صخي

إشراف: أ.د. حسين عليوي ناصر الزيادي: العراق، جامعة ذي قار، كلية الآدب.

Mr. Saad Adwer Sakhi

Supervised by: **Prof. Dr. Hussein Aliwi Nasser Al-Ziyadi**: Faculty of Literature, University of Dhi Qar, Iraq

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على خصائص السكان الأميين في محافظات جنوب العراق (البصرة وذي قار وميسان والمثنى)، كمنطقة دراسة واحدة وبحسب المحافظات، اتَّخذت الدراسةُ من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأميين في محافظات جنوب العراق مجالًا لها، ولتحقيق أهداف هذه الدراسة، اقتضت أن تظهر بمبحثين، المبحث الأول الذي تناول خصائص الأميين الاجتماعية وتتمثل بالتركيب الزواجي، بينما تناول المبحث الثاني الخصائص الاقتصادية وتمثلت في الدخل الشهري للأميين، فضلًا عن الاستنتاجات والمقترحات، اعتَمدت الدراسةُ على نتائج الدراسة الميدانية لعام 2021 التي شملت السكان الأميين بعمر 10 سنوات فأكثر، وبعض الأساليب الإحصائية المتمثلة بالتوزيعات النسبية، وكذلك استُخدِمَت الجداول والأشكال والخرائط لتسهيل عملية المقارنة واستخلاص النتائج. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها أن الأميين يميلون إلى الزواج وشكل المتزوجون ما نسبته 69.8%، وأن نسبة أُسَر الأميين ذوي الدخل أقل من 500 جاءت بأعلى نسبة بلغت 57.3% في منطقة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الخصائص الاجتماعية، الخصائص الاقتصادية، الأمية، الأميين.

Abstract:

The study aims at identifying the characteristics of the illiterate population in the governorates of southern Iraq (Basra, Thi-Qar, Maysan and Muthanna), as a single study area and according to the governorates. The field of the study focused on the social and economic characteristics of the illiterate population in the governorates of southern Iraq. To achieve the objectives of this study, it required to consist of two sections. The first section discusses the social characteristics of illiterate people, which are represented by the marital structure. While the second section discussed the economic characteristics represented in the monthly income of the illiterate, as well as the conclusions and recommendations. The study depended on the results of the field study for 2021, which included the illiterate population aged 10 years and over. It also included some statistical methods represented by percentage distributions, as well as using tables, figures and maps to facilitate the comparison process and find out the results. The study found a number of results, and the most significant was that illiterate people tend to marry, and married people constituted 69.8%. Moreover, the percentage of illiterate families with incomes less than 500 reached the highest percentage, with 57.3% in the study area.

Keywords: social characteristics, economic characteristics, illiteracy, illiterate people.

المقدمة:

لقد تبوأت جغرافية السكان المكان المرموق والمتميز بين فروع الجغرافية البشرية، لأن موضوع السكان كان موضع الاهتمام منذ فجر التاريخ، وما يزال هذا الاهتمام يزداد بوتيرة متصاعدة، لِما توفره الدراسات السكانية من معلومات عن السكان وخصائصهم، ودورها في تشخيص المشاكل السكانية ومتابعتها وتحليلها، والسعي الدؤوب لإيجاد الحلول المناسبة لها، والحد من انتشارها، ومن هذه المشاكل ظاهرة الأمية التي أخذت تفتك بالمجتمعات الإنسانية، خاصةً في مجتمعنا العراقي.

تُعَدُّ الأمية من الظواهر الاجتماعية للسكان، وهي ذات بُعد تاريخي في أغلب مجتمعات العالم السكانية، ومنها العراق ومنطقة الدراسة من ضمنه، وقد تفاقمت هذه الظاهرة في السنوات السابقة، وعملت الأمية على التأثير بدرجة معينة في الخصائص الاقتصادية للسكان الأميين من ناحية النشاط الاقتصادي ومستواهم المعيشي، وغيرها من العوامل التي أثرت بدورها على بعض الخصائص الاجتماعية للسكان، مثل التركيب الزواجي، إذ تُعَدُّ خصائص السكان من العناصر الهامة في الدراسات السكانية، ولكل مجتمع سكاني خصائصه الخاصة التي تميزه عن بقية المجتمعات، وتختلف هذه الخصائص في الدول الفقيرة والنامية عما تكون عليه في الدول الغنية والمتقدمة، وتؤثر الخصائص الاجتماعية والاقتصادية في المستوى المعيشي للسكان ومستوى التعليم.

مشكلة الدراسة:

تعرَّف مشكلة الدراسة بأنها سؤال هدفه توجيه الباحث عن حل، وتكون للتساؤل حدود مكانية وزمانية (الشريفي، 2000). إن تحديد مشكلة الدراسة شرطٌ مسبقٌ لا بد منه لدراسة الباحث العلمي، والمشكلة سؤالٌ يدور في ذهن الباحث العلمي يُجاب عليه من خلال فرضية البحث.

يمكن تحديد مشكلة البحث بسؤال مفاده:

ما خصائص السكان الأميين في محافظات جنوب العراق؟

وتنبثق عن التساؤل الرئيسي جملة من التساؤلات الفرعية:

1- هل يوجد تغير في خصائص السكان الأميين في محافظات جنوب العراق وتباينها، بحسب البيئة (حضر-ريف)؟
2- هل تفرض ظاهرة الأمية عددًا من الخصائص السكانية التي يتسم بها السكان الأميين عن غيرهم؟

فرضية الدراسة:

يوجد تباين في توزيع الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأميين وفقًا للدراسة الميدانية لعام 2021 بين محافظات جنوب العراق، كما تفترض وجود ارتباط بين هذه الخصائص ونسبة السكان الأميين، كما يتصف السكان الأميين بخصائص اجتماعية واقتصادية مثل التركيب الزواجي والمستوى المعيشي.

هدف الدراسة:

1- معرفة خصائص الأميين في محافظات جنوب العراق.
2- معرفة التباين المكاني لخصائص الأميين على مستوى محافظات جنوب العراق.
3- التعرف على إفرازات ظاهرة الأمية وتبعاتها على السكان وصولًا إلى تقدير حجم الظاهرة ومستوى تأثيرها لوضع الحلول المناسبة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول موضوعًا مهمًا في محافظات جنوب العراق، ألا وهو خصائص الأميين، تهدف الدراسة إلى دراسة الخصائص التي تميز بها السكان الأميين في محافظات جنوب العراق، وإبراز اهم الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للأميين من أجل التعرف على إفرازات ظاهرة الأمية وتبعاتها على السكان وتباينها المكاني في محافظات منطقة الدراسة، وصولًا إلى تقدير حجم آثار الظاهرة لوضع الحلول المناسبة.

منهج الدراسة:

المنهج يعني الأسلوب أو مجموعة الخطوات التي يتبعها الباحث بصورة منظمة للوصول إلى الحقائق العلمية المقبولة، عند دراسة ظاهرة معينة أو تحديد ومعالجة مشكلة محددة، تعتمد على طبيعة الموضوع الذي يدرسه الباحث (العثمان، 2009). اعتَمد الباحث على المنهج الوصفي والتحليلي والاستنتاج المدعوم بالأساليب الإحصائية، لمعرفة التباين المكاني للظاهرة المدروسة، ثم بيان أسباب وجودها بالتحليل للوصول إلى نتائج محددة، فضلًا عن البحث عن المتغيرات التي يستطيع الباحث من خلالها تفسير التباين المكاني للخصائص السكانية في منطقة الدراسة.

حجم عينة الدراسة:

تتباين أعداد السكان الأميين زمانيًا داخل أي منطقة، بتأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، إذ بلغ عددهم في منطقة الدراسة 835,375 أميًا عام 1997 انخفض إلى 685,387 أميًا عام 2018، وبسبب نقص البيانات عن السكان الأميين لعام 2021 فضلًا عن ارتفاع وانخفاض

أعداد الأميين للمدة 199 –2018، فقد ارتفع في عام 2007 ثم انخفض في عام 2013 (جمهورية العراق.وزارة التخطيط، 1997).

يتعذر على الباحث استخراج أعداد الأميين في منطقة الدراسة لعام 2021 بسبب العوامل الاقتصادية والسياسية المضطربة في البلاد، فضلًا عن تأثير جائحة كورونا ولعدم الحصول على بيانات رسمية، أدى إلى اعتماد أعداد السكان الأميين لعام 2018 واختيار العينة وفقًا لهذه الأعداد لأجل دراسة خصائص السكان الأميين الاقتصادية والاجتماعية.

صُمِّمَت استمارة استبيان وُزِّعت على عينة قصدية اختيرت من مجتمع منطقة الدراسة وفق المعادلات التالية:

1- استُخدِمَت المعادلة التالية لتحديد حجم العينة: (العتبي، 2011) حجم = $N = \frac{t^2}{r^2 + \frac{1}{n}t^2}$

العينة t = القيمة t المجدولة التي تقبل الخطأ المسموح r = احتمال الخطأ n = عدد وحداد المجتمع الإحصائي $N = \frac{(1.96)^2}{(0.05)^2 + \frac{1}{685387} \times (1.96)^2} = 1533$

2- استُخرِج عدد الاستمارات لكل محافظة عن طريق (نوري، 1981):

النسبة المئوية لعدد الأميين في المحافظة × مجموع الاستمارات ثم يُقسم الناتج على 100

وُزِّعَت الاستمارات على محافظات جنوب العراق حسب نسبتهم السكانية في الحضر والريف، وزِيدَ عدد الاستمارات لتصبح 2,473 استمارةً لزيادة الدقة في البيانات كما موضح في جدول (1).

جدول (1): عدد السكان الأميين لعام 2018 وعدد سكان العينة في محافظات جنوب العراق وعدد استمارات الاستبيان لعام 2021.

المحافظة	حضر		ريف		المجموع		
	عدد السكان الأميين	عدد الاستمارات	عدد السكان الأميين	عدد الاستمارات	مجموع السكان الأميين	عدد الاستمارات	عدد سكان العينة
البصرة	115125	400	100637	380	215762	780	482
ذي قار	115710	409	108039	397	223749	806	501
ميسان	72153	269	69659	243	141812	512	318
المثنى	28348	172	75716	203	104064	375	232
المجموع	331336	1250	354051	1223	685387	2473	1533

المصدر: الباحث بالاعتماد على: جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، مديرية أحوال المعيشة، مسح رصد وتقويم الفقر في العراق، 2017–2018. والدراسة الميدانية استمارة (الاستبيان).

- **حدود منطقة الدراسة:** ويمكن تقسيم حدود منطقة الدراسة إلى قسمين:

1- الحدود المكانية:

من خلال خريطة (1) تبين أن محافظات جنوب العراق تقع في الجزء الجنوبي والجنوبي الغربي من العراق، وتتكون منطقة الدراسة من الناحية الإدارية من أربع محافظات (البصرة، وذي قار، وميسان، والمثنى)، إذ تبلغ المساحة الكلية للمنطقة 99,782 كم² وتشكِّل ما نسبته 23% من مساحة العراق الكلية التي تبلغ 435,052 كم²، وهي جزء من السهل الرسوبي والهضبة الغربية، لها حدود دولية مع ثلاث دول تحدها الكويت والسعودية من الجنوب، وإيران من الشرق، وتطل على الخليج العربي من الجنوب، وتشترك بحدود محلية مع محافظات من الشمال والشمال الغربي محافظتي واسط والقادسية ومحافظة النجف الاشرف من الغرب، انظر خريطة (2). أما موقعها الفلكي، فتقع بين دائرتي عرض 29.50–32.45 درجة شمالًا، وقوسي طول 43.50–48.30 درجة شرقًا.

وقد دُمِجَت محافظة المثنى ضمن إقليم جنوب العراق تماشيًا مع العديد من الدراسات ولإعطاء الدراسة بُعدًا مكانيًّا واسعًا.

2- **الحدود الزمانية:**

تمثلت الحدود الزمانية للدراسة في عام 2021، ولغرض دراسة الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأميين في محافظات جنوب العراق فقد اعتُمِدَت بيانات الدراسة الميدانية التي تم الحصول عليها من خلال استمارة الاستبيان في منطقة الدراسة لعام 2021.

المفاهيم والمصطلحات:

- **تعريف الأمية في العراق:**

جاء تعريف "الأمية" في المادتين الأولى والثانية في قانون محو الأمية، وصنف كل شخص تجاوز 15 سنة ولم يتعدَّ 45 سنة ولا يعرف القراءة والكتابة ولم يصل إلى المستوى الحضاري على أنه "أمِّيّ"، والمقصود بـ"المستوى الحضاري" بحسب عرفته المادة الثانية أنه مهارات القراءة والكتابة والحساب التي يمتلكها الفرد، التي تُعَدُّ وسيلةً لتطوير مهنته ورفع مستوى حياته ثقافيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا (قانون الحملة الوطنية الشاملة رقم 92 ، 1978). وقد عرَّف قانون محو الأمية العراقي رقم (23) لسنة 2011 "الأمِّيّ" بأنه كل فرد أكمل 15 سنة من العمر ولا يعرف القراءة والكتابة ولم يصل إلى المستوى الحضاري (قانون محو الامية رقم 23، 2011).

- تعريف الأمية في الأمم المتحدة:

عُرِّفت "الأمِّيَّة" بأنها حالة الفرد الذي لا يجيد القراءة والكتابة، ثم أصدرت الأمم المتحدة عام 1971 تعريفًا جديدًا يَعُدُّ غيرَ أمِّيٍّ كلَّ شخص اكتسب المعلومات والقدرات الضرورية لممارسة جميع النشاطات التي تكون فيها معرفة حروف اللغة ضروريةً لكي يؤدي دوره بفعالية في مجتمعه، ويحقق في تعلُّم القراءة والكتابة والحساب نتائج يستطيع من خلالها الارتقاء بنفسه وبالمجتمع الذي ينتمي إليه، كما تسمح له بالمشاركة النشطة في حياة بلده (مهدي، 2019).

- الأمية الأبجدية:

عدم معرفة القراءة والكتابة ومبادئ الحساب الأساسية لكل فرد بلغ 12 سنة من عمره ولم يُلِمَّ إلمامًا كافيًا بهذه المبادئ ولم ينتسب إلى مدرسة أو مؤسسة تعليمية أو تربوية (احمد، 2011).

- الأمية الحضارية:

عدم قدرة الأشخاص المتعلمين على مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي والتفاعل معها، وعدم القدرة على فهم التغيرات الجديدة وتوظيفها بشكل إبداعي من أجل الانسجام والتلاؤم مع العصر الذي ينتمون إليه، كما أنهم يؤمنون في الوقت نفسه بمجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات الفكرية والمبادئ الجامدة التي تتعارض وطبيعة الحياة المتجددة على الدوام (الشريف، 2004).

مدخل إلى الدراسة:

أصبح معروفًا لدى المتخصصين أن تقدُّم الأمم وتطورها في كل مجالات الحياة، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، يتأثر تأثُّرًا مباشرًا بمستوى التطور العلمي والتكنولوجي الذي وصلت إليه تلك الأمم، وهذا كله يعتمد على نظام التربية والتعليم الذي يقع في مقدمة الأسباب في نهوض الأمم، ففي كفاءته تكمن قوة الأمة ونجاحها وضمان مستقبلها، ويُعَدُّ التعليم من الوسائل التي تساعد على زيادة الإنتاجية وزيادة مردودية العمل، فكلما تطورت المعارف انعكس ذلك بالإيجاب على درجة الإنتاجية، مما يعمل على تطور المجتمعات البشرية وبناء مستقبل واعد للأجيال، على الرغم من كل الجهود المبذولة في الوطن العربي لمكافحة ظاهرة الأمية والتي بدأت منذ زمن ليس بالقريب، إلا أن مستوى الأمية في الوطن العربي من أعلى المستويات في العالم، إذ إن التعليم يعاني من مشاكل متراكمة من عدة جوانب، منها ما يتعلق بالالتحاق بالتعليم النظامي، وما يتعلق من ناحية الإنفاق على التعليم، أو من ناحية نوعية التعليم، والمشكلة الأخطر تسيس التعليم والتلاعب بالمناهج وأساليب التعليم، فضلًا عن تفاقم ظاهرة الأمية والتفاوت في مستوى التعليم بين الذكور والإناث.

أظهر تقرير أعدَّته "أليكسو"* أن عدد الأميين الإناث يعادل ضعف عدد الأميين الذكور، وأن أعداد الأميين الذين تزيد أعمارهم عن 15 سنة في تزايد مستمر في العالم العربي حتى بلغ 70 مليون نسمة في عام 2007، واحتلت مصر المرتبة الأولى (17مليون أمِّي) بسبب حجمها السكاني، تلتها السودان والجزائر، أما البلدان الصغيرة التي تتوفر فيها الموارد فقد انخفضت فيها الأمية، مثل الإمارات وقطر والبحرين، والأمية في العالم العربي ستصبح الأولى عالميًّا بعدما كانت الثانية بعد إفريقيا، وأول المتأثرين النساء اللاتي يعاني نصفهم تقريبًا من الأمية بنسبة 46.5% من مجموع النساء في الوطن العربي (أليكسو، 1996).

تُعَدُّ الأمية في العراق مظهرًا من مظاهر التخلف، وينبغي أن تُمنَح مواجهتها اهتمامًا خاصًّا تُبذَل فيه كل الإمكانيات المادية والبشرية، والعراق من الدول السباقة في مكافحة الأمية، فقد أصدرت عدة قوانين لمحو الأمية: قانون محو الأمية رقم (153) لسنة (1971) (قانون محو الامية (153) ، 1971)، ثم قانون التعليم الإلزامي رقم (118) لسنة (1976) (قانون التعليم الالزامي (118) ، 1976)، الذي أقِرَّت بموجبه إلزامية التعليم في المرحلة الابتدائية، وفي عام (1978) صدر قانون الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية الإلزامية رقم (92) لسنة (1978) الذي عَدَّ الأمِّيَّ كل مواطن تجاوز الخامسة ولم يتعدَّ الـ45 سنة من العمر ولا يعرف القراءة والكتابة (قانون الحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية (92)، 1978).

بعد جهود العراق بتطوير التعليم، والحصول على جائزة منظمة اليونيسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) في القضاء على الأمية عام 1979، ما لبث أن عاد التعليم إلى المعاناة بسبب الحروب وحصار اقتصادي جائر، فضلًا عن تسييس العملية التربوية من ناحية المناهج والكوادر، وكان المستوى التعليمي في تراجع مستمر، مما أدى إلى ارتفاع نسبة الأمية (السراي، 2020).

المبحث الأول: الخصائص الاجتماعية للأميين في محافظات جنوب العراق

تُعَدُّ الخصائص الاجتماعية للسكان من أهم الخصائص في الدراسات السكانية للتعرف على المجتمع والتغير الحاصل في أحواله، لذا فهو خطوة أساسية لعمليات التخطيط والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية لتحديد الاحتياجات البشرية في الحاضر والمستقبل، فضلًا عن أهميته في

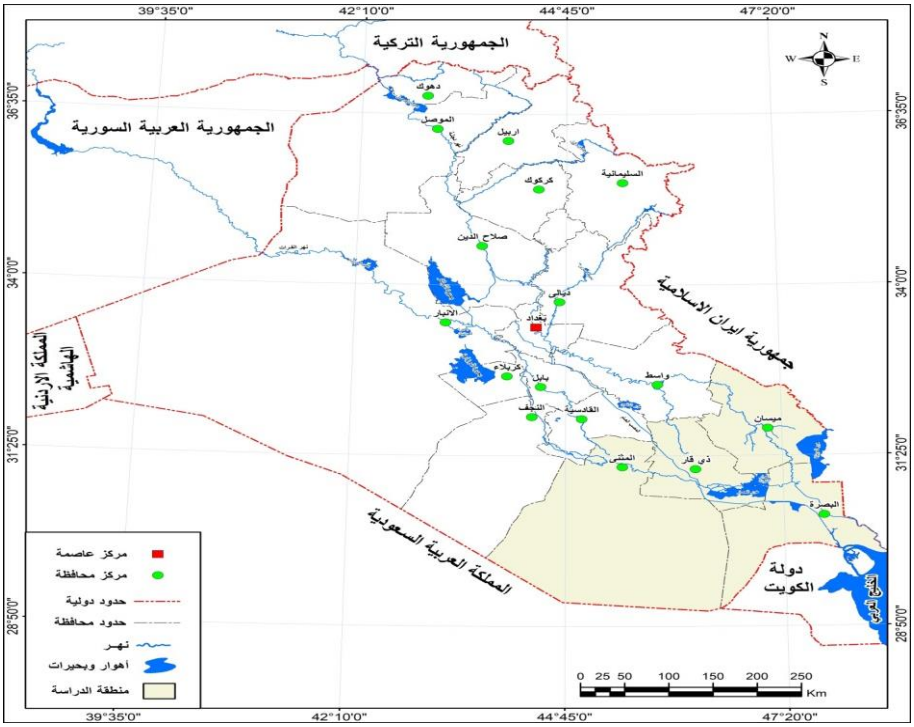
* المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، منظمة متخصصة مقرها تونس تعمل في نطاق جامعة الدول العربية، وتعنى بالنهوض بالثقافة العربية بتطوير مجالات التربية والثقافة والعلوم والتنسيق المشترك بين الدول العربية الأعضاء أنشئت المنظمة بموجب المادة الثالثة من ميثاق الوحدة الثقافية العربية، وأعلِن رسميًّا عن قيامها في القاهرة 1970.

تفسير الظواهر السكانية وحقيقة المستويات الاجتماعية والصحية للمجتمع، كما يمكن تقسيم السكان حسب الحالة الزواجية، ومعرفة حجم الأسر في المجتمعات السكانية (البياتي، 2010).

- التركيب الزواجي للسكان الأميين في محافظات جنوب العراق

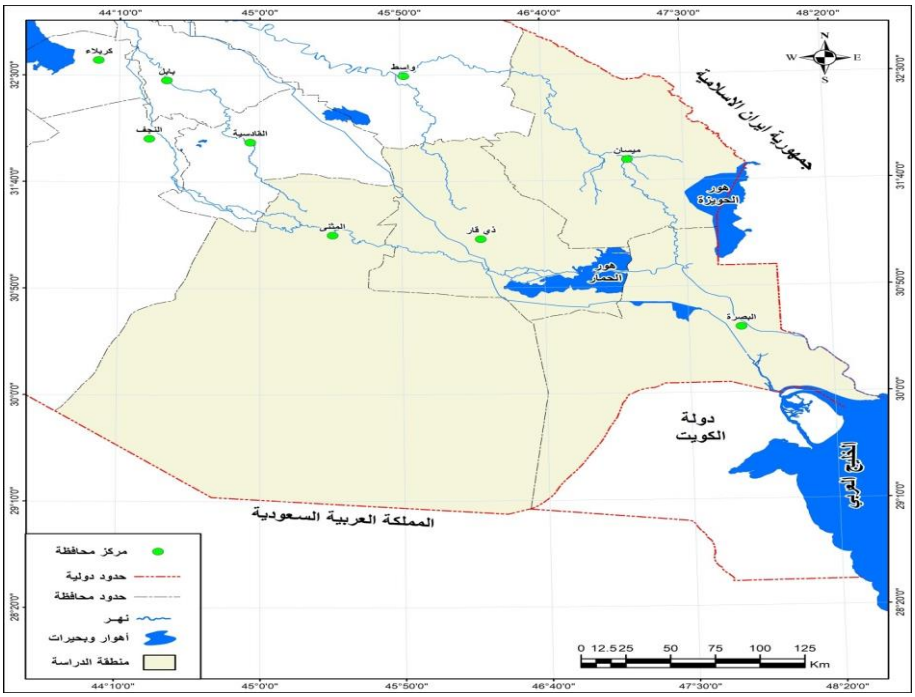
يقصد بـ"التركيب الزواجي" توزيع أو تصنيف السكان حسب فئات الحالة الزواجية، للحصول على عدد السكان في فئاتها وهي أربع فئات (أعزب لم يسبق له الزواج، ومتزوج، ومطلق، وأرمل)، وتُعَدُّ من خصائص السكان الأساسية المكتسبة، على عكس الخصائص البيولوجية الأخرى مثل (النوع والعمر)، ويكون توزيعها تبعًا لتأثير العوامل البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والقانونية التي تؤثر في الزواج، وتُعَدُّ الحالة الزواجية من الخصائص الاجتماعية المهمة من خلال تأثيرها على الأسرة وهي الوحدة الأساسية في المجتمع الإنساني (الخريف، 2008).

خريطة (1): موقع محافظات جنوب العراق (البصرة، وذي قار، وميسان، والمثنى) من العراق.



المصدر: جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط، الوحدة الرقمية، خريطة العراق الإدارية، مقياس1/2500000، بغداد، 2019.

خريطة (2): الحدود الدولية والإدارية لمحافظات جنوب العراق (البصرة، وذي قار، وميسان، والمثنى)



المصدر: الباحث بالاعتماد على خريطة (1).

وتُصَنَّف الحالة الزواجية إلى عدة أصناف:

أولًا – السكان الأميون الذين لم يسبق لهم الزواج (العزاب)

يدخل ضمن هذه الفئة الأفراد الذين لم يبلغوا سن الزواج قانونًا، والأفراد الذين تعدَّوا السن القانوني للزواج ولم يتزوجوا، تتباين أعدادهم من مجتمع إلى آخر وكذلك داخل المجتمع الواحد، تبعًا للدين والعادات والتقاليد فضلًا عن القوانين والظروف الاجتماعية والاقتصادية (سمحة، 2009).

من خلال الجدولين (2) و (3) تبين أن عدد السكان الذين لم يسبق لهم الزواج في منطقة الدراسة بلغ 525 أميًّا وبنسبة بلغت 21.2% من مجموع الأميين في الحالة الزواجية، بلغ عددهم في الحضر 279 أميًّا وبنسبة 22.3%، وفي الريف 246 أميًّا وبنسبة 20.1% وهذا التباين ما بين الحضر والريف يعود لطبيعة المجتمع الريفي في منطقة الدراسة الذي يشجع على الزواج المبكر، أما توزيعهم على مستوى محافظات منطقة الدراسة، فقد بلغ عدد الأميين الذين لم يتزوجوا في محافظة البصرة 183 أميًّا وبنسبة 23.5%، بلغ في الحضر 99 أميًّا وبنسبة 24.8% وفي الريف 84 أميًّا وبنسبة 22.1% في المرتبة الأولى، وجاءت محافظة ذي قار في المرتبة الثانية إذ بلغ عددهم 171 أميًّا وبنسبة 21.2%، بلغ في الحضر 89 أميًّا وبنسبة 21.8% وفي الريف 82 أميًّا بنسبة 20.7%، أما محافظة ميسان فقد جاءت في المرتبة الثالثة إذ بلغ عددهم 106 أميًّا وبنسبة 20.7%، بلغ في الحضر 59 أميًّا بنسبة 21.9% وفي الريف 47 أميًّا بنسبة 19.3%، في حين جاءت محافظة

المثنى في المرتبة الأخيرة إذ بلغ عددهم 65 أميًّا وبنسبة 17.3%، بلغ في الحضر 32 أميًّا بنسبة 18.6% وبلغ في الريف 33 أميًّا بنسبة 16.3%.

من خلال تحليل البينات، يبدو أنه في هذه الفئة قد تصدرت محافظة البصرة بقية محافظات الجنوب سواءٌ كانت في الحضر أو الريف، بينما جاءت محافظة ذي قار بعدها غير أنها حلت في المرتبة الثالثة بنسبة الحضر، وجاءت بعدها محافظتا ميسان والمثنى على التوالي، وهذا التباين بين المحافظات وفي المحافظة الواحدة ما بين الحضر والريف يُعزى إلى ارتفاع نسبة العزاب في الحضر مقارنةً بنسبتهم في الريف، بسبب التكاليف المرتفعة للزواج والمعيشة فضلًا عن أزمة السكن في الحضر، بينما تكون تكاليف المعيشة والزواج في الريف منخفضةً نسبيًّا، وهذا التباين بين المحافظات وبحسب البيئة يعود إلى العوامل الاجتماعية والاقتصادية ودرجة تأثيرها في المجتمع مثل الفقر والبطالة وأزمة السكن في أغلب محافظات العراق ومنها منطقة الدراسة، كما أن الانفتاح بعد عام 2003 على العالم وتطور وسائل التواصل الاجتماعي انعكس على زيادة متطلبات الزواج حتى في المناطق الريفية.

يسهم ارتفاع معدلات العزاب لكلا الجنسين بالتأثير السلبي على المجتمع وفي نمو السكان خصوصًا، فعند زيادة عدد العزاب يقل عدد المتزوجين مما يؤدي إلى خلل في الحالة الزواجية، وما لذلك من انعكاسات على المجتمع والذي ينعكس على انخفاض مستوى الخصوبة (الركابي، 2014).

ثانيًا– السكان الأميون المتزوجون

الزواج عقد شرعي بين شخصين ذكر وأنثى بحسب ما تنص عليه قوانين المجتمع وعاداته وتقاليده، ويترتب على ذلك الزواج حقوق وواجبات على كلا الشخصين (البياتي، الانفجار السكاني والتحديات المجتمعية، 2011).

يتباين عدد حالات الزواج في المجتمع من سنة إلى أخرى نتيجةً لعدة عوامل منها عدد السكان الذين يصلون إلى سكن الزواج فضلًا عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، على الرغم من سن القوانين التي تحدِّد سن الزواج، ويحدده القانون العراقي بـ18 سنة لكلا الجنسين، بينما يسمح بالزواج بعمر 15 سنة بموافقة وحضور ولي الأمر (الجمهورية العراقية ، وزارة العدل، 1978). وفي بعض الأحيان يوجد عدم التزام لدى السكان بعمر الزواج القانوني خاصةً في مناطق الريف.

من خلال الجدولين أعلاه، تبين أن عدد السكان الأميين المتزوجين في منطقة الدراسة بلغ 1,725 أميًّا وبنسبة 69.8% من مجموع السكان الأمين في الحالة الزواجية، بلغ عددهم في الحضر 855 أميًّا وبنسبة 68.4% بينما بلغ عددهم في الريف 870 أميًّا وبنسبة 71.1% ويعود سبب هذه

النسب في عدد السكان الأميين المتزوجين إلى طبيعة المجتمع العراقي عمومًا ومجتمع منطقة الدراسة خصوصًا، الذي يشجع على الزواج المبكر وتكوين الأسرة على الرغم من الكثير من الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية المصاحبة للزواج.

أما توزيعهم على مستوى محافظات منطقة الدراسة، يبدو أنه يوجد تفاوت من محافظة إلى أخرى وتباين بحسب البيئة (حضر–ريف)، قد احتلت محافظة ذي قار المرتبة الأولى إذ بلغ عددهم 806 أميًّا، في الحضر 279 أميًّا وفي الريف 283 أميًّا، وفي المرتبة الثانية جاءت محافظة البصرة إذ بلغ عددهم 521 أميًّا، في الحضر 261 أميًّا وفي الريف 260 أميًّا، وجاءت محافظة ميسان في المرتبة الثالثة إذ بلغ العدد 363 أميًّا، في الحضر 189 أميًّا وفي الريف 174 أميًّا، بينما احتلت محافظة المثنى المرتبة الأخيرة إذ بلغ العدد 279 أميًّا، في الحضر 126 أميًّا وفي الريف 153 أميًّا، أما عن توزيعهم النسبي فقد جاءت محافظة المثنى في المرتبة الأولى بنسبة 74.4% بلغت في الحضر 73.3% وفي الريف 75.4%، وفي المرتبة الثانية جاءت محافظة ميسان بنسبة 70.9% سجلت في الحضر 70.2% وفي الريف 71.6%، وجاءت محافظة ذي قار في المرتبة الثالثة بنسبة 69.7% سجلت في الحضر 68.2% بينما سجلت في الريف 71.3%، وفي المرتبة الأخيرة جاءت محافظة البصرة بنسبة 66.8% سجل الحضر 65.3% وفي الريف 68.4%.

من خلال ما جاء يبدو أن نسب السكان الأميين المتزوجين تتفاوت من محافظة إلى أخرى، ويتباين على مستوى المحافظة الواحدة بحسب البيئة، تبعًا لمجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية، فقد يتأخر سن الزواج عند الذكور الذي يقع على عاتقهم تكاليف الزواج مقارنةً بالنسبة للإناث التي لا يقع عليها شيء من تكاليف الزواج، كما تكون نسب الزواج مرتفعة في الريف مقارنةً بالحضر، فتداخُل العوامل الاجتماعية مع الاقتصادية عند زواج الاقارب في الريف الذي يرفع نسب المتزوجين بسن مبكر وهذا الزواج غير مكلف بالنسبة للزواج في الحضر.

فقد احتلت محافظة المثنى المرتبة الأولى بنسبة 74.4%، وجاءت بعدها محافظات ميسان وذي قار والبصرة بنسب 70.9%، و69.7%، و66.8% على التوالي، ويعود هذا التفاوت بين المحافظات إلى ارتفاع نسبة سكان الريف والذي يؤدي إلى ارتفاع حالات الزواج فضلًا عن انخفاض متوسط العمر عند الزواج، وتنخفض في المناطق التي تكون فيها نسبة الحضر أكبر، أي أنه توجد علاقة عكسية بين مستوى التحضر والزواج فطبيعة الحياة البسيطة في الريف تتيح المجال للزواج دون شروط الزواج وتكاليفه الكبيرة التي تثقل كاهل المقبلين على الزواج، وانخفاض التزامات الزوج المعاشية الذي يعتمد على ما تنتجه الأرض على الرغم من مشاكلها وقلة خصوبتها، فضلًا عن احترام الريف للرابطة الزواجية وتفضيل الزواج المبكر للجنسين على حد سواء، والذي يسهم في حماية

الشباب من الانحراف ويزيد من فرص إنجاب الأطفال وتُعَدُّ من أهم الأمور المرجوة من الزواج في الريف.

إن الزواج المبكر قد يكون عائقًا أمام تنمية المجتمع، والتعليم أهم مرتكزات التنمية، على الرغم من أهمية التعليم نرى بعض العادات والتقاليد عند أولياء الأمور تدفع أبناءهم للزواج المبكر الذي قد يؤدي إلى الحرمان من التعليم. هذا ما يميز المجتمع العراقي وبالخصوص منطقة الدراسة. (محمد، 2003).

ثالثًا- السكان الأميون المطلقون

إن كلمة الطلاق في اللغة اسم مصدر الطلق الشديد، وهو رفع القيد الحسي والمعنوي، أي تخلية السبيل، ويستعمل في اللغة لحل القيد حيًّا أو معنويًّا، أي طريقة لإنهاء الزواج بين الزوجين لحكم قضائي يصدر من المحكمة المختصة، بناءً على طلب أحد الزوجين أو كلاهما نتيجة سبب من الأسباب التي حددها القانون (زنكنة، 2019).

من خلال الجدولين (2) و (3) تبين أن نسبة السكان الأميين المطلقين من مجموع السكان التي شملتهم الدراسة الميدانية في منطقة الدراسة بلغ 104 أميًّا بنسبة 4.2%، وتتفاوت ما بين الحضر والريف، بلغ عددهم في الحضر 57 أميًّا بنسبة 4.6% وفي الريف 47 أميًّا بنسبة 3.8%، وتقدر بأنها نسب كبيرة، كما أن لثقافة المجتمع ومعتقداته والتقاليد الاجتماعية دورًا مؤثرًا في ارتفاع نسب الطلاق، وما للأسباب الاقتصادية المتمثلة في الفقر والبطالة وانخفاض مستوى المعيشة للسكان الأميين وتزايد متطلبات الحياة من أثر فاعل في زيادة نسب الطلاق، فضلًا عن انفتاح المجتمع والتأثر بالعالم الخارجي عن طريق وسائل الإعلام الفضائي وشبكات التواصل الاجتماعي بعد عام 2003.

أما توزيعهم على مستوى محافظات منطقة الدراسة، نجد أن أعلى نسبة قد سجلت في محافظة البصرة سواءٌ كانت في الحضر أو الريف، إذ بلغ عدد السكان الأميين المطلقين 37 أميًّا بنسبة 4.7%، في الحضر 21 أميًّا بنسبة 5.2% وفي الريف 16 أميًّا بنسبة 4.2%، وحلت محافظة ذي قار في المرتبة الثانية إذ بلغ عددهم 35 أميًّا بنسبة 4.3%، في الحضر 20 أميًّا بنسبة 4.9% وفي الريف 15 أميًّا بنسبة 3.8%، وجاءت محافظة ميسان في المرتبة الثالثة إذ بلغ عددهم 19 أميًّا بنسبة 3.7%، في الحضر 10 أميًّا في الريف 13 أميًّا وسجلت 3.7% للبيئتين، وجاءت محافظة المثنى في المرتبة الأخيرة إذ بلغ عددهم 13 أميًّا بنسبة 3.5%، في الحضر 6 أميًّا بنسبة 3.5% وفي الريف 7 أميًّا بنسبة 3.4%.

ومن خلال ما جاء من بيانات عن الطلاق وعدد السكان الأميين المطلقين، واختلاف نسبهم بين محافظات منطقة الدراسة، وتفاوت هذه النسب بين الحضر والريف، وتصدر محافظة البصرة لهذه النسب وبعدها جاءت محافظات ذي قار وميسان والمثنى على التوالي، يبدو أن عدد حالات الانفصال الأسري بين الرجل والمرأة تتحكم فيه عوامل اجتماعية واقتصادية عدة، منها الانفتاح الكبير للمجتمع على التقنيات الحديثة مثل الفضائيات وشبكات التواصل الاجتماعية بما تحتويه من ثقافة عالمية بعيدة كل البعد عن عادات وتقاليد وقيم مجتمعنا، والتي أخذت مأخذها من المجتمع وتأثيرها على عادات وتقاليد المجتمع المحافظ، لا سيما المناطق الحضرية، إذ زاد الشعور بالابتعاد عن الأسرة وضعفت أواصر العائلة والتواصل بينها، فضلًا عن الزواج المبكر ومشاكله وتميز المتزوجين به بعدم الالتزام بقدسية الزواج وسهولة التفريط فيه، ولا نغفل عن تطور الحياة وارتفاع متطلبات المعيشة بينما ينتشر الفقر والبطالة.

رابعًا– السكان الأميون المترمِّلون

"الترمل" فقدان أحد الزوجين لشريكه بالوفاة ويُعَدُّ ظاهرةً اجتماعيةً ترتبط بمعدلات الوفيات، واختلافها في كلا الجنسين وفي الفئات العمرية المختلفة، وتوجد دراسات سكانية استنتجت أن معدل الترمل عند الإناث أعلى منه عند الذكور (الخفاف، جغرافية السكان أسس عامة، 2007).

ومن خلال الجدولين (2) و(3) تبين أن عدد السكان الأميين المُترمَلُون في منطقة الدراسة بلغ 119 أميًّا بنسبة 4.8% من مجموع سكان الحالة الزواجية، وقد توزع ما بين الحضر والريف إذ بلغ عددهم في الحضر 59 أميًّا بنسبة 4.7% أما في الريف فقد بلغ 60 أميًّا بنسبة 4.9%.

يُعزى سبب هذه النسبة للمترملين في منطقة الدراسة إلى الظروف الصعبة التي مرَّ بها العراق، من حروب داخلية وخارجية امتدت من عام 1980 ومرورًا بحرب الخليج الثانية عام 1991 وما تبعها من انتفاضة شعبية، فضلًا عن احتلال العراق 2003 وما رافقها من قتل وإرهاب وتفجير المفخخات في المدن والأسواق العامة، وكان آخرها ما حدث من سيطرة المنظمات الإرهابية (داعش) على مدن عراقية عام 2014، وحملة تحرير المدن من قبضة المنظمات الإرهابية وأغلب شهداء تحرير هذه المدن كان من محافظات منطقة الدراسة، ويوجد ارتفاع نسبي للترمل في الريف بالنسبة للحضر ويعود ذلك إلى عزوف النساء المترملات عن الزواج الثاني والتفرغ من أجل تربية الاطفال خاصةً في الريف قياسًا بالحضر تبعًا للعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة للبيئتين فضلًا عن أمد الحياة للإناث اطول من الذكور.

تتفاوت أعداد السكان الأميين المترملين بين محافظة وأخرى من محافظات منطقة الدراسة، وتتباين داخل المحافظة الواحدة ما بين الحضر والريف، جاءت محافظة البصرة في المرتبة الأولى،

فقد بلغ عدد السكان الأميين المترملين 39 أميًّا، في الحضر 19 أميًّا وفي الريف 20 أميًّا، وفي المرتبة الثانية جاءت محافظة ذي قار بلغ عددهم 38 أميًّا، في الحضر 21 أميًّا وفي الريف 17 أميًّا، وجاءت محافظتا ميسان والمثنى بعدها إذ بلغ عددهم 24، و18 أميًّا بلغ عددهم في الحضر 11، و8 أميًّا وفي الريف 13، و10 أميًّا على التوالي، أما نسب السكان الأميين المترملين فقد جاءت محافظة البصرة في المرتبة الأولى إذ بلغت نسبتهم 5%، بلغت في الحضر 4.7% وفي الريف 5.3%، وجاءت محافظة المثنى في المرتبة الثانية بنسبة 4.8%، بلغت في الحضر 4.7% وفي الريف 4.9%، وبعدها محافظتا ذي قار وميسان بنفس النسبة 4.7%، في الحضر 5.1%، و4.09% وفي الريف 4.2%، و5.3% على التوالي.

من خلال ما جاء من بيانات الحالة الزواجية للسكان الأميين في منطقة الدراسة بالنظر إلى الجدولين أعلاه ومرورًا بالشكلين (1) و(2) يتبين التالي:

1- تصدر السكان الأميون المتزوجون المرتبة الأولى بعدد 1,725 أميًّا بنسبة 69.8% من مجموع السكان المبحثين، ونسبة الريف أعلى من الحضر إذ بلغت 69.8% والحضر 68.4%، وقد جاءت محافظة المثنى في المرتبة الأولى بنسبة 74.4%، وجاءت محافظة البصرة في المرتبة الأخيرة بنسبة 66.8% وتراوحت نسبة محافظتي ذي قار وميسان بين النسبتين، أما على مستوى البيئة فقد احتل حضر محافظة المثنى المرتبة الأولى بنسبة 73.3%، بينما حل حضر محافظة البصرة المرتبة الأخيرة بنسبة 65.3%، وتراوحت نسبة محافظتي ذي قار وميسان بين النسبتين، أما في الريف فقد جاء ريف محافظة المثنى في المرتبة الأولى بنسبة 75.4%، وريف محافظة البصرة في المرتبة الأخير بنسبة 68.4% وتراوحت نسبة محافظتي ذي قار وميسان بين النسبتين.

2- احتل الأميون العازبون المرتبة الثانية بعدد 525 أميًّا بنسبة 21.2% من مجموع السكان المبحثين، ونسبة الحضر أعلى من الريف، بلغ في الحضر 279 أميًّا بنسبة 22.3% وفي الريف 246 أميًّا بنسبة 20.1%، وجاءت محافظة البصرة في المرتبة الأولى بنسبة 23.5%، وفي المرتبة الأخيرة محافظة المثنى بنسبة 17.3%، بينما تراوحت نسبة محافظتي ميسان وذي قار بين النسبتين، وعلى مستوى البيئة قد جاء حضر محافظة البصرة في المرتبة الأولى بنسبة 24.8%، والمرتبة الأخيرة حضر محافظة المثنى بنسبة 18.6%، بينما تراوحت نسبة محافظتي ميسان وذي قار بين النسبتين، وفي الريف جاءت محافظة البصرة المرتبة الأولى بنسبة 22.1%، ومحافظة المثنى في المرتبة الأخيرة بنسبة 16.3%، وتراوحت نسبة محافظتي ذي قار وميسان بين النسبتين.

3- احتل الأميون المترمِّلون المرتبة الثالثة بعدد 119 أميًّا بنسبة 4.8% من مجموع السكان المبحثين، بلغت في الريف 4.9% وفي الحضر 4.7%، جاءت محافظة البصرة في المرتبة الأولى بنسبة 5%، وسجلت محافظتي ذي قار وميسان المرتبة الأخيرة بنفس النسبة 4.7%، ونسبة محافظة

المثنى بين النسبتين، أما بحسب البيئة فقد جاء حضر محافظة ذي قار في المرتبة الأولى بنسبة 5.1%، وحضر محافظة ميسان المرتبة الأخيرة بنسبة 4.09%، بينما سجل حضر محافظتي البصرة والمثنى نفس النسبة، أما عن الريف فقد جاء ريف محافظتي البصرة وميسان في المرتبة الأولى بنفس النسبة إذ بلغت 5.3%، واحتل ريف محافظة ذي قار المرتبة الأخيرة بنسبة 4.2%، بينما كان ريف محافظة المثنى بين النسبتين.

4- أما عن الأميين المطلقين، فقد احتلوا المرتبة الرابعة بعدد 104 وبنسبة 4.2% من مجموع السكان الأميين المبحثين، ونسبة الحضر أعلى من الريف إذ بلغت 4.6%، و3.8% للبيئتين على التوالي، وجاءت محافظة البصرة في المرتبة الأولى بنسبة 4.7%، والمرتبة الأخيرة احتلتها محافظة المثنى بنسبة 3.5%، وتراوحت نسبة محافظتي ذي قار وميسان بين النسبتين، أما حسب البيئة، فقد جاء حضر محافظة البصرة في المرتبة الأولى بنسبة 5.2%، وفي المرتبة الأخيرة حضر محافظة المثنى بنسبة 3.5%، وتراوحت نسب حضر محافظتي ذي قار وميسان بين النسبتين، وفي الريف احتل ريف محافظة البصرة المرتبة الأولى بنسبة 4.2%، وريف محافظة المثنى المرتبة الأخيرة بنسبة 3.4%، وتراوحت نسبة محافظتي ذي قار وميسان بين النسبتين.

المبحث الثاني: الخصائص الاقتصادية للأميين في محافظات جنوب العراق

إن للتطور الاقتصادي تأثيرً كبيرًا على تكوين الأسرة من خلال ارتفاع المستوى المعيشي، والذي ينعكس على الفرد والمجتمع في الحياة، فهو يصوب السكان نحو الاتجاهات القائمة على الأسس الصحيحة لعملية التقدم الاقتصادي والاجتماعي، فللسياسات التي تتبعها الدولة دور مهم في التأثير على العوامل الاقتصادية فالحروب والمجاعات تعمل على تعطيل المشاريع الاقتصادية (كرادشة، 1989).

- الدخل الشهري لأسر الأميين في محافظات جنوب العراق

دخل الأسر المعيشية هي الواردات التي تستلمها الأسرة أو أفراد الأسرة، نقديًا أو عينيًا أو على صورة خدمات شهريًا أو سنويًا أو على فترات أقرب، وتُستَبعَد الأرباح الطارئة وغيرها من الواردات غير المنتظمة والعرضية، والواردات التي تدخل الأسرة متاحة للاستهلاك الجاري)منظمة العمل الدولية, احصاءات دخل انفاق الاسرة المعيشية(2003 ., يرتبط دخل الأسرة بعلاقة طردية مع العديد من الخصائص السكانية، فالدخل المرتفع يؤدي إلى الحصول على غذاء أفضل وسكن مناسب وخدمات علاجية وصحية ملائمة، فالدول التي لديها دخل مرتفع تتمتع بمستوى تعليمي أفضل ومستوى توفر الخدمات الصحية وعوامل الحفاظ على البيئة)ناصر(2005 ,: لمعرفة المستوى المعاشي لأسر الأميين في منطقة الدراسة قُسم الدخل إلى ثلاثة مستويات بالدينار العراقي، وذلك لعدم القدرة على استيفاء بيانات دخل الأسرة استيفاءً دقيقًا لما يواجهها من تضليل وعدم دقة في

تسجيل بيانات استمارة الاستبيان، فضلًا عن عدم ثبات دخل الأسرة، وقد صنفت هذه المستويات على النحو التالي:

- أولًا: أقل من 500 ألف دينار عراقي.
- ثانيًا: 500 ألف إلى مليون دينار عراقي.
- ثالثًا: مليون دينار عراقي فأكثر.

جدول (2): التوزيع العددي للحالة الزواجية للسكان الأميين بحسب البيئة لمحافظات جنوب العراق لعام 2021

المحافظة	حضر					ريف					المجموع				
	أعزب	متزوج	أرمل	مطلق	المجموع	أعزب	متزوج	أرمل	مطلق	المجموع	أعزب	متزوج	أرمل	مطلق	المجموع
البصرة	99	261	21	19	400	84	260	16	20	380	183	521	37	39	780
ذي قار	89	279	20	21	409	82	283	15	17	397	171	562	35	38	806
ميسان	59	189	10	11	269	47	174	9	13	243	106	363	19	24	512
المثنى	32	126	6	8	172	33	153	7	10	203	65	279	13	18	375
المجموع	279	855	57	59	1250	246	870	47	60	1223	525	1725	104	119	2473

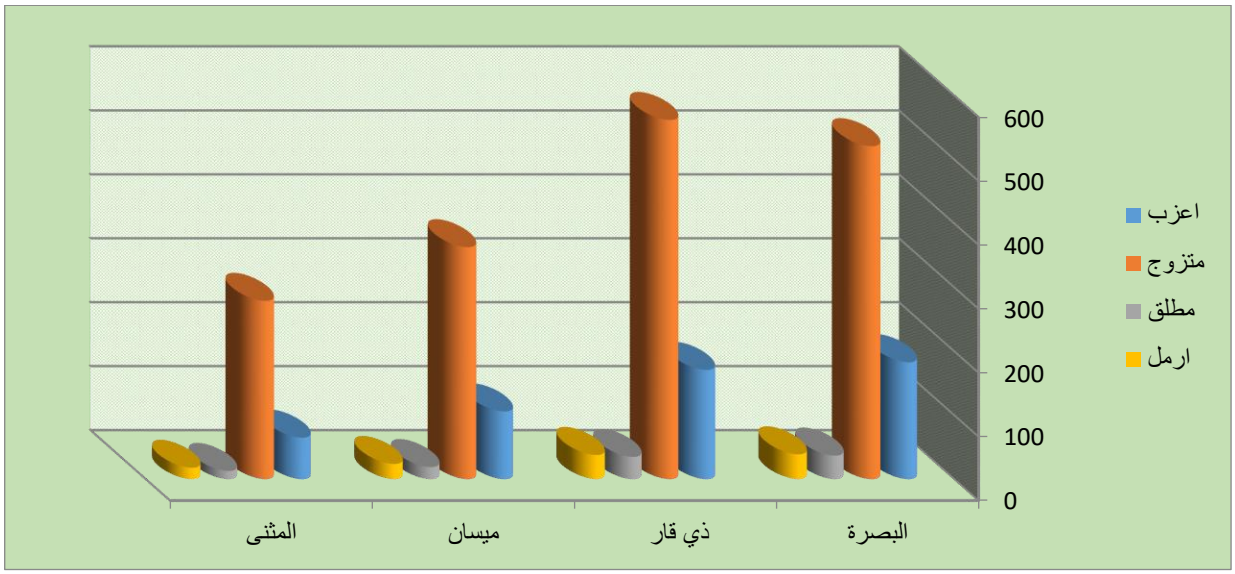
المصدر: الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية لعام 2021.

جدول (3): التوزيع النسبي للحالة الزواجية للسكان الأميين بحسب البيئة لمحافظات جنوب العراق لعام 2021

المحافظة	حضر					ريف					المجموع				
	أعزب	متزوج	أرمل	مطلق	المجموع	أعزب	متزوج	أرمل	مطلق	المجموع	أعزب	متزوج	أرمل	مطلق	المجموع
	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%
البصرة	24.8	65.3	5.2	4.7	100	68.4	4.2	5.3	100	23.5	66.8	4.7	5	100	
ذي قار	21.8	68.2	4.9	5.1	100	71.3	3.8	4.2	100	21.2	69.7	4.3	4.7	100	
ميسان	21.9	70.2	3.7	4.09	100	71.6	3.7	5.3	100	20.7	70.9	3.7	4.7	100	
المثنى	18.6	73.3	3.5	4.7	100	75.4	3.4	4.9	100	17.3	74.4	3.5	4.8	100	
المجموع	22.3	68.4	4.6	4.7	100	71.1	3.8	4.9	100	21.2	69.8	4.2	4.8	100	

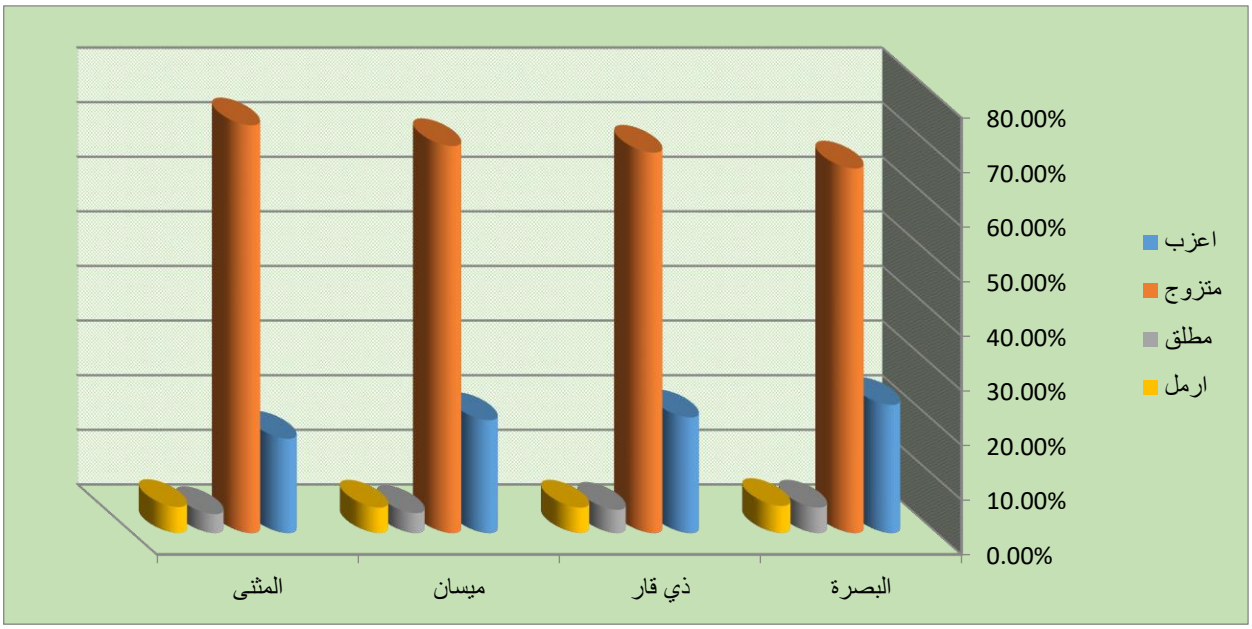
المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (2).

شكل (1): التوزيع العددي للحالة الزواجية للسكان الأميين لمحافظات جنوب العراق



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (2).

شكل (2): التوزيع النسبي للحالة الزواجية للسكان الأميين لمحافظات جنوب العراق



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (3).

تشير بيانات جدول (4) والشكلان (3) و(4) إلى أن محافظة ذي قار جاءت المرتبة الأولى بعدد الأسر التي دخلها أقل من 500 ألف دينار بلغ عددهم 455 أسرة، وجاءت محافظة البصرة في المرتبة الثانية بعدد بلغ 407 أسرة، بينما حلت محافظتي ميسان والمثنى بعدها بعدد بلغ 312، 244 أسرة على التوالي، بينما كانت نسبة محافظة المثنى الأولى في هذه الفئة، إذ بلغت 65%،

وبعدها محافظات ميسان وذي قار والبصرة بنسب بلغت 65%، و60.9%، و56.5%، و52.2% على التوالي.

أما على مستوى البيئة، فقد احتل حضر محافظة ذي قار المرتبة الأولى بلغ 221 أسرة، وفي المرتبة الثانية حضر محافظة البصرة بعدد 193 أسرة، وبعدها محافظتي ميسان والمثنى بعدد بلغ 159، 107 أسرة على التوالي، بينما سجلت محافظة المثنى أعلى نسبة بلغت 62.2% من مجموع نسب أسر الأميين في الحضر، وبعدها جاءت محافظات ميسان وذي قار والبصرة بنسب بلغت 59.1%، و54%، و48.3% على التوالي، أما في الريف فلم يتغير الحال، فقد جاءت محافظة ذي قار في المرتبة الأولى بعدد 234 أسرة، وفي المرتبة الثانية محافظة البصرة بعدد 214 أسرة، وبعدها محافظتا ميسان والمثنى بعدد 153، 137 أسرة، وسجلت أعلى نسبة في محافظة المثنى بنسبة 67.5%، وجاءت بعدها محافظات ميسان وذي قار والبصرة بنسب بلغت 63.4%، و58.9%، و56.3% على التوالي.

أما الفئة الثانية 500 إلى مليون دينار، فقد جاءت محافظة البصرة في المرتبة الأولى بعدد بلغ 273 أسرة بنسبة بلغت 35%، وحلَّت محافظة ذي قار في المرتبة الثانية بعدد 264 أسرة وبنسبة 32.8%، وفي المرتبة الثالثة كانت محافظة ميسان بعدد 148 أسرة وبنسبة 28.9%، وفي المرتبة الأخيرة جاءت محافظة المثنى بعدد بلغ 100 بنسبة 26.7%، أما على مستوى البيئة فقد سجلت محافظة البصرة أعلى قيمة في الحضر بعدد بلغ 144 أسرة بنسبة 36%، والمرتبة الثانية محافظة ذي قار بعدد 136 أسرة بنسبة بلغت 33.3%، وفي المرتبة الثالثة جاءت محافظة ميسان بعدد 81 أسرة بنسبة بلغت 30.1%، وفي المرتبة الأخيرة محافظة المثنى بعدد 49 أسرة بنسبة 28.5%، اما في الريف سجلت محافظة البصرة المرتبة الأولى بعدد 129 أسرة بنسبة 33.9%، وجاءت محافظة ذي قار في المرتبة الثانية بعدد 128 أسرة بنسبة 32.2%، وفي المرتبة الثالثة محافظة ميسان بعدد 67 أسرة بنسبة 27.6%، وجاءت في المرتبة الأخيرة محافظة المثنى بعدد 51 أسرة بنسبة بلغت 25.1% من مجموع أسر الأميين في الريف.

أما الفئة الثالثة مليون دينار فأكثر، فقد جاءت محافظة البصرة في المرتبة الأولى بعدد بلغ 100 أسرة بنسبة 12.8%، وفي المرتبة الثانية محافظة ذي قار بعدد بلغ 87 أسرة بنسبة 10.8%، وجاءت في المرتبة الثالثة محافظة ميسان بعدد 52 أسرة بنسبة 10.2%، وفي المرتبة الأخيرة جاءت محافظة المثنى بعدد 31 أسرة بنسبة 8.3%، وتوزيعها على مستوى البيئة سجل حضر محافظة البصرة أعلى قيمة بعدد 63 أسرة بنسبة 15.7%، وجاء حضر محافظة ذي قار في المرتبة الثانية بعدد 52 أسرة بنسبة 12.7%، وفي المرتبة الثالثة حضر محافظة ميسان بعدد 29 أسرة بنسبة 10.8%، بينما جاء حضر محافظة المثنى في المرتبة الأخيرة بعدد 16 أسرة بنسبة 9.3%، أما في

الريف، فقد جاء ريف محافظة البصرة في المرتبة الأولى بعدد 37 أسرة بنسبة 9.7%، وفي المرتبة الثانية جاء ريف محافظة ذي قار بعدد 35 أسرة بنسبة 8.8%، في حين جاء ريف محافظة ميسان في المرتبة الثالثة بعدد 23 أسرة بنسبة 8.3%، أما المرتبة الأخيرة بقيت من حصة ريف محافظة المثنى بعدد 15 أسرة بنسبة 7.4%.

يبدو أن هذا التفاوت بين محافظات منطقة الدراسة والتباين داخل المحافظة الواحدة ما بين الحضر والريف في مستوى دخل الأسرة الشهري، يُعزى إلى ارتفاع الفقر والبطالة بين صفوف السكان الأميين، لعدم وجود المؤهلات العلمية التي تؤهلهم للعمل بدخل شهري مناسب، بالتالي يؤثر على مستوى الدخل الشهري وبالنتيجة انخفاض المستوى المعاشي، (إن محافظات الجنوب تعاني الفقر والبطالة، فضلًا عن ارتفاع نسب الحرمان وعدم توافر البنى التحتية والخدمات إلى جانب الوضع الاقتصادي المنخفض للأسرة)*، وتشير مؤشرات التنمية إلى أن الجنوب أدنى من كل مناطق العراق منذ سبعينيات القرن الماضي، وتدهور تدهورًا كبيرًا في خلال حرب الخليج الأولى والثانية والحصار الاقتصادي، واستمر الوضع الاقتصادي غير المستقر بعد عام 2003، بسبب تدني مستويات الإنفاق الاستثماري وعدم كفاية تنفيذه نتيجة السياسات غير الحكيمة والفساد المستشري في جميع مفاصل الحكومة فضلًا عن الوضع الأمني غير المستقر لعموم محافظات العراق.

توجد أسر تمتلك دخلًا شهريًّا متوسطًا وجيدًا بنسب متباينة في محافظات منطقة الدراسة، ويُعزى ذلك التفاوت في درجة الفقر والبطالة بين هذه المحافظات بنسب متباينة، فمحافظة البصرة أقلُّها فقرًا ومحافظة المثنى أكثرها فقرًا حتى على مستوى العراق، وتوجد أسر تعتمد على الوالدين ذات دخل جيد، فضلًا عن بعض الأميين الذين امتهنوا العمل منذ سن مبكرة مما عزز مستوى الدخل بالتالي ارتفع المستوى المعاشي للأسرة، ويُعزى ارتفاع الدخل الشهري لبعض أسر الأميين في الريف إلى امتلاكهم للأراضي الزراعية التي يكون مردودها جيدًا في استثمارها.

بالنظر إلى ما جاء من بيانات مستوى الدخل الشهري للسكان الأميين في منطقة الدراسة من خلال جدول (4) ومرورًا بالشكلين (3) و(4) نجد التالي:

1- جاءت أسر الأميين ذات الدخل أقل من 500 المرتبة الأولى في منطقة الدراسة بعدد بلغ 1,418 أسرة بنسبة 57.3%، وكانت نسبة الريف أعلى من الحضر إذ بلغت في الريف 60.3% ونسبة الحضر 54.4%، أما على مستوى محافظات منطقة الدراسة احتلت محافظة المثنى المرتبة الأولى

* جمهورية العراق، وزارة التخطيط، دائرة البرامج الاستثمارية الحكومية قسم الدراسات والبحوث، السكان ودرجة المحرمية في المحافظات، 2010، جدول3، ص7. إذ أشارت إلى أن محافظات ذي قار وميسان والمثنى في المستوى الأول من درجة المحرمية ومحافظة البصرة في المستوى الثاني.

ضمن هذه الفئة بنسبة 65%، بينما جاءت محافظة البصرة في المرتبة الأخيرة بنسبة 52.2%، وتراوحت نسبة محافظتي ميسان وذي قار بين تلك النسبتين، أما على مستوى البيئة فقد احتل حضر محافظة المثنى المرتبة الأولى بنسبة 62.2%، بينما جاء حضر محافظة البصرة في المرتبة الأخيرة بنسبة 48.3%، في حين تراوحت نسبة محافظتي ميسان وذي قار بين تلك النسبتين، وفي الريف احتل ريف محافظة المثنى المرتبة الأولى بنسبة 67.5%، وجاء ريف محافظة البصرة في المرتبة الأخيرة بنسبة 56.3%، وتراوحت نسبة ريف محافظتي ميسان وذي قار بين تلك النسبتين.

2- جاءت أسر الأميين ذات الدخل 500 – إلى مليون دينار في المرتبة الثانية بعدد 785 أسرة بنسبة 31.7%، وكانت نسبة الحضر أعلى من الريف إذ بلغت 32.8% ونسبة الريف 30.7%، أما على مستوى محافظات منطقة الدراسة فقد احتلت محافظة البصرة المرتبة الأولى بنسبة 35%، بينما احتلت محافظة المثنى المرتبة الأخيرة بنسبة 26.7%، وتراوحت نسب محافظتي ذي قار وميسان بين تلك النسبتين، أما على مستوى البيئة فقد احتل حضر محافظة البصرة المرتبة الأولى بنسبة 36%، بينما جاءت محافظة المثنى في المرتبة الأخيرة بنسبة 28.5%، وتراوحت نسب محافظتي ذي قار وميسان بين تلك النسبتين، في حين احتل ريف محافظة البصرة المرتبة الأولى ضمن هذه الفئه بنسبة 33.9%، ومحافظة المثنى في المرتبة الأخيرة بنسبة 25.1% وتراوحت نسب محافظتي ذي قار وميسان بين تلك النسبتين.

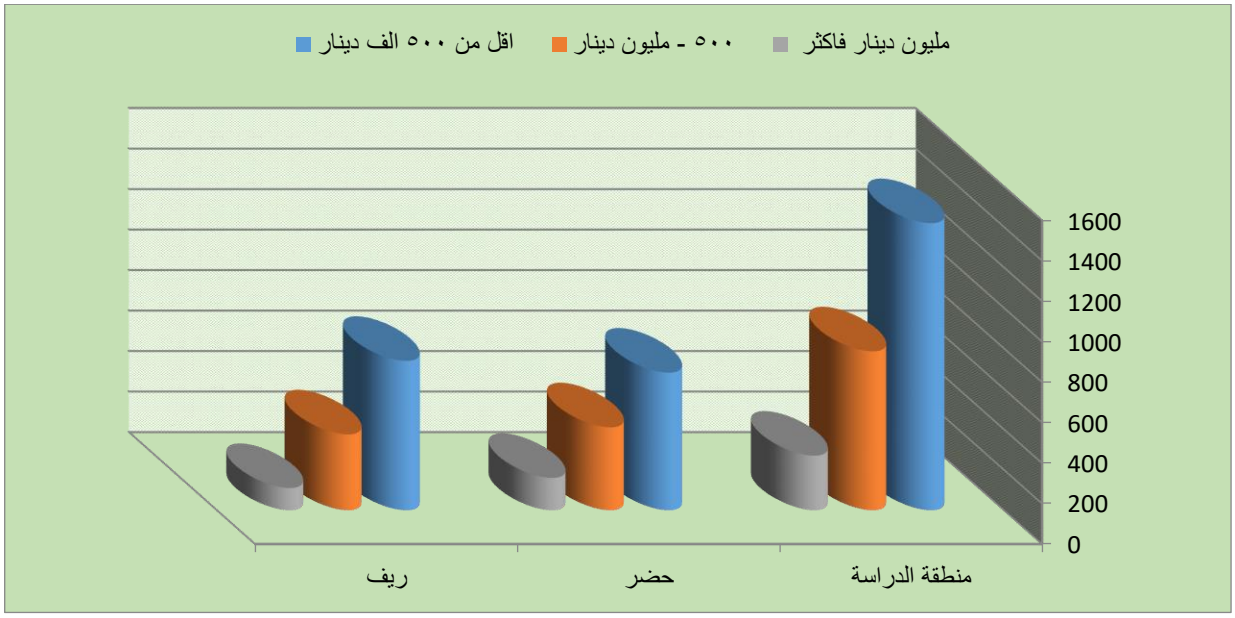
3- بينما جاءت أسر الأميين ذات الدخل مليون دينار فأكثر في المرتبة الأخيرة بعدد 270 أسرة، بنسبة 10.9% للسكان الأميين لكلا البيئتين، ونسبة الحضر 12.8% وهي أعلى من الريف الذي بلغت نسبته 9%، أما على مستوى محافظات منطقة الدراسة فقد احتلت محافظة البصرة المرتبة الأولى بنسبة 12.8%، وجاءت محافظة المثنى في المرتبة الأخيرة بنسبة 8.3%، وتراوحت نسب محافظتي ذي قار وميسان بين تلك النسبتين، أما على مستوى البيئة قد جاء حضر محافظة البصرة في المرتبة الأولى بنسبة 15.7%، وجاء حضر محافظة المثنى في المرتبة الأخيرة بنسبة 9.3%، وتراوحت نسب حضر محافظتي ذي قار وميسان بين تلك النسبتين، وفي الريف جاء ريف محافظة البصرة في المرتبة الأولى بنسبة 9.7%، وفي المرتبة الأخيرة ريف محافظة المثنى بنسبة 7.4%، وتراوحت نسب ريف محافظتي ذي قار وميسان بين تلك النسبتين.

جدول (4): التوزيع العددي والنسبي للدخل الشهري للسكان الأميين في محافظات جنوب العراق بحسب البيئة (حضر وريف)

المحافظة	حضر								ريف								المجموع							
	اقل من500		500– مليون دينار		مليون دينار فأكثر		المجموع		اقل من500		500– مليون دينار		مليون دينار فأكثر		المجموع		اقل من500		500– مليون دينار		مليون دينار فأكثر		المجموع	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
البصرة	193	48.3	144	36	63	15.7	400	100	214	56.3	129	33.9	37	9.7	380	100	407	52.2	273	35	100	12.8	780	100
ذي قار	221	54	136	33.3	52	12.7	409	100	234	58.9	128	32.2	35	8.8	397	100	455	56.5	264	32.8	87	10.8	806	100
ميسان	159	59.1	81	30.1	29	10.8	269	100	153	63.4	67	27.6	23	8.3	243	100	312	60.9	148	28.9	52	10.2	512	100
المثنى	107	62.2	49	28.5	16	9.3	172	100	137	67.5	51	25.1	15	7.4	203	100	244	65	100	،26 7	31	8.3	375	100
المجموع	680	54.4	410	32.8	160	12.8	1250	100	738	60.3	375	30.7	110	9	1223	100	1418	57.3	785	31.7	270	10.9	2473	100

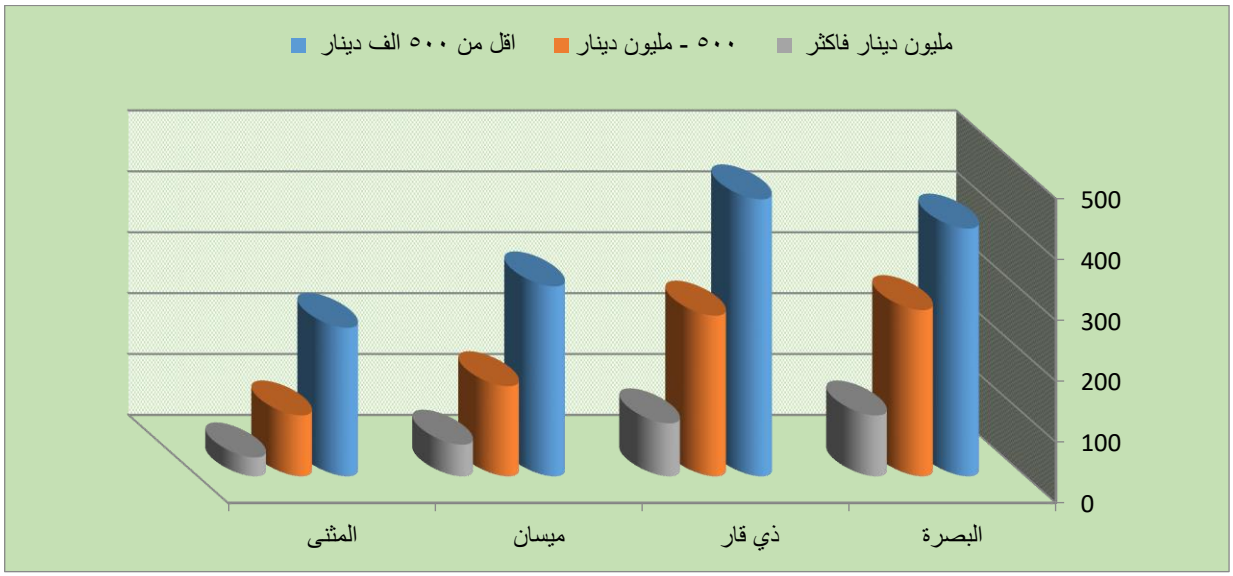
المصدر: الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية لسنة (2021).

شكل (3): التوزيع العددي لأسر السكان الأميين حسب المستوى المعيشي لمنطقة الدراسة بحسب البيئة (حضر–ريف).



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (4).

شكل (4): التوزيع العددي لأسر السكان الأميين حسب المستوى المعيشي في محافظات جنوب العراق.



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (4).

الخاتمة:

تتباين الأمية في المجتمعات تبعًا للعديد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وغيرها من العوامل التي تؤثر، مجتمعةً أو منفردةً، على أعداد الأميين في المجتمعات وداخل المجتمع الواحد، وإن هذا التباين يتعدى عدد الأميين فيشمل الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للأميين، ويستمر هذا التباين ليكون حسب النوع (ذكور – إناث) وبحسب البيئة (حضر–ريف)، ومشكلة الأمية من المشاكل التي تتأثر وتؤثر في مستوى تطور المجتمع وتحضره. إن الأمية ظاهرة اجتماعية لها تأثيرات سلبية على المجتمع وتختلف مقاييسها بين المجتمعات، في الدول النامية الفقيرة يتعلق الأمر بمسألة القراءة والكتابة، أما في الدول المتقدمة فإن مقايس الأمية تطورت لتشمل مهارات تكنولوجية يُعَدُّ مَن يفقدها أمِّيًّا.

الاستنتاجات:

1. كشفت الدراسة عن تباين مكانيًّا، في نسب السكان الأميين بحسب الحالة الزواجية على مستوى البيئة (حضر–ريف) في منطقة الدراسة وكذلك على مستوى المحافظات.
2. كشفت الدراسة عن ارتفاع واضح في نسب السكان الأميين المتزوجين مثَّلوا ما نسبته 69.8% من مجموع السكان الأميين حسب الحالة الزواجية، وهذا يؤكد أن الأميين يميلون إلى الزواج أكثر من غيرهم ولا يفضلون العزوبية، وسجلت محافظة المثنى أعلى نسبة 74.4%، بينما سجلت محافظة البصرة أدنى نسبة 66.8%، وأن نسبة الريف أعلى من الحضر إذ بلغت 69.8% والحضر 68.4%.
3. كشفت الدراسة التفاوت بين محافظات منطقة الدراسة والتباين داخل المحافظة الواحدة ما بين الحضر والريف في مستوى دخل الأسرة الشهري، الذي يُعزى إلى ارتفاع الفقر والبطالة بين صفوف السكان الأميين، لعدم وجود المؤهلات العلمية التي تؤهلهم للعمل بدخل شهري مناسب، بالتالي يؤثر على مستوى الدخل الشهري، وبالنتيجة انخفاض المستوى المعاشي.
4. أظهرت الدراسة أن نسبة أسر الأميين ذوي الدخل أقل من 500 جاءت بأعلى نسبة، بلغت 57.3% من مجموع أسر الأميين في منطقة الدراسة لعام 2021، وسجلت محافظة المثنى أعلى نسبة 65%، وسجلت محافظة البصرة أدنى نسبة 52.2%.

التوصيات:

1. العمل على إجراء مسح شامل للأميين في جميع المحافظات، للتعرف على العدد الكلي للأميين، مما يوفر قاعدة بيانات أكثر دقة لهذه الظاهرة والاستفادة منها في دراسة خصائص الأميين، فضلًا عن الخطط المستقبلية لمعالجة الأمية.

2. زيادة وعي الآباء والأبناء بأهمية العلم والتعلم وخطورة الأمية على حياتهم، وتتم من خلال التوعية الإعلامية المقروءة منها والمسموعة والمرئية، وما لها من دور في توعية وإرشاد السكان بخطورة الأمية وتعريفهم بأهمية القضاء عليها، وما للتعليم من مردودات مادية ومعنوية في مجالات الحياة كافة.
3. توفير فرص عمل للأميين لمن يكمل تعليمه في المراكز التعليمية ويحصل على شهادة محو الأمية بمرحلتيها الأساسية والتكميلية، مما يؤدي لتحسين المستوى الاقتصادي لهم، بالتالي تغير الخصائص الاجتماعية بما يلائم تطور المجتمع.
4. عقد المؤتمرات والندوات التثقيفية من قبل الجهات المختصة، لا سيما في المناطق الريفية للحد من تأثير بعض العادات والتقاليد التي تقف عائقًا في وجه التعليم، وحث رجال الدين على التوعية الدينية لِما تسببه الأمية من آثار سلبية على خصائص الأميين الاجتماعية والاقتصادية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أليكسو، الفقر في غرب آسيا، اجتماع الخبراء العرب لتخفيف الفقر في الوطن العربي، دمشق، 1996.
2. الأمم المتحدة–البنك الدولي، التقديرات المشتركة لإعادة البناء والإعمار في العراق، 2003، ص19.
3. البياتي، فراس عباس فاضل، الانفجار السكاني والتحديات المجتمعية، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص237.
4. البياتي، فراس عباس فاضل، مورفولوجيا السكان موضوعات في الديموغرافيا، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2010، ص163–164.
5. جريدة الوقائع العراقية، قانون التعليم الإلزامي (118) العدد 2552، 11\10\1976.
6. جريدة الوقائع العراقية، قانون محو الأمية (153)، العدد 2075، 12\12\1971.
7. جريدة الوقائع العراقية، قانون الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية (92)، العدد 2656، 29\5\1978.
8. جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، نتائج التعداد العام للسكان لعام 1997، جدول (29)، إحصاءات أحوال المعيشة، 2007–2013، مسح رصد وتقويم الفقر في العراق، 2017–2018.
9. جمهورية العراق، وزارة التخطيط، دائرة البرامج الاستثمارية الحكومية قسم الدراسات والبحوث، السكان ودرجة المحرمية في المحافظات، 2010، جدول (3)، ص7.
10. الجمهورية العراقية، وزارة العدل، جريدة الوقائع العراقية، العدد 2639، 1978، ص314.

11. الخريف، رشود بن محمد، السكان المفاهيم والأساليب والتطبيقات، ط2، دار المؤيد للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 2008، ص251.
12. الخفاف، عبد علي، جغرافية السكان أسس عامة، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص250.
13. الركابي، عبد العالي حبيب حسين، التركيب الزواجي لسكان محافظة ذي قار للمدة 1987–2008، مجلة البحوث الجغرافية، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، العدد 19، 2014، ص278.
14. زنكنة، حسين سردار محمد علي، التباين المكاني لظاهرة الطلاق في مدينة كركوك لعام 2018، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة تكريت، 2019، ص6.
15. السراي، صباح وهب، التباين المكاني لمراكز محو الأمية ودورها في تنمية المجتمع محافظة واسط نموذجًا، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة واسط، العدد 48، 2020، ص2836
16. سمحة، موسى، جغرافية السكان، الشركة العربية المتحدة للتسويق، القاهرة، 2009، ص99.
17. الشريفي، شوقي السيد محمد، معجم مصطلحات العلوم التربوية، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000، ص216.
18. عامر صالح مهدي، اليوم العالمي لمحو الأمية، ط1، مكتبة النهروان، بغداد، 2019، ص4.
19. عبد الفتاح صالح الشريف، دليل التخطيط التربوي لمحو الأمية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2004، ص 5.
20. العتبي، سامي عزيز عباس ومحمد يوسف حاجم الهيتي، منهج البحث العلمي المفهوم والأساليب والتحليل والكتابة، مطبعة الاصدقاء، بغداد، 2011، ص85.
21. العثمان، باسم عبد العزيز، مناهج البحث الجغرافي وتطبيقاته في الجغرافية البشرية، ط1، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 2009، ص9.
22. فهمي مجدي أحمد، تقييم محتوى المناهج والأساليب التعليمية المستخدمة في برامج محو الأمية، هيئة محو الأمية وتعليم الكبار، 2011، القاهرة، ص77.
23. قانون الحملة الوطنية الشاملة رقم (92) لسنة 1978، جريدة الوقائع العراقية، العدد 2656، 1978، ص797.
24. قانون محو الأمية رقم (23) لسنة 2011، جريدة الوقائع العراقية، العدد 4212، لسنة 2011، ص1–2.

25. كرادشة، منير عبد الله، الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للأزواج الذكور وعلاقاتها باستعمال موانع الحمل في الأردن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، 1989، ص25.

26. محمد، هناء جاسم، العوامل الاجتماعية المؤثرة في التنمية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2003، ص101.

27. منصور الراوي، سكان الوطن العربي دراسة تحليل المشكلات الديموغرافية، بيت الحكمة، بغداد، 2002، ص231.

28. منظمة العمل الدولية، إحصاءات دخل إنفاق الأسرة المعيشية، المؤتمر الدولي السابع عشر لخبراء إحصاءات العمل، مكتب العمل الدولي، التقريران الثاني والثالث (مقتطفات)، جنيف، 2003، ص10.

29. ناصر، حسين جعاز، تغير توزيع القوى العاملة في إقليم الفرات الأوسط للمدة 1987-1997، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة القادسية، المجلد 8، العددان 3-4، 2005، ص334.

30. نوري، وليد عبد الحميد وعبد المجيد حمزة الناصر، العينات، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1981.

الأمل في الحياة لدى فاقدي الوالدين في العراق

Hope in Live for the parents' loss people in Iraq

م.م. كاظم غميس ياسر العمري: طالب دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، العراق.

أ.د. صفاء عبد الزهرة الجمعان: تدريسية في قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، العراق.

Kadhum Ghomais Yasser Al-Omary: PhD Student, College of Education for Human Sciences, University of Basra, Iraq

Prof. Dr. Safa' Abdulzahra Hameed Aljama'n: Teaching in the Department of Psychological Counseling and Educational Guidance, College of Education for Human Sciences, University of Basra, Iraq.

الملخص:

يهدفُ البحث إلى قياس الأمل في الحياة لدى الطلبة فاقدي الوالدينِ في المدارس الإعدادية، وفق مُتغير الجنس (ذكور – إناث) ونوع الفقدان (الأب – الأم). استعمل الباحثان المنهج الوصفي القائم على رصد ما هو موجود وتحليله، ويُعَدُّ هذا المنهج منهجًا ملائمًا لطبيعة البحث وأهدافه، وطُبِّق مقياس الأمل في الحياة الذي صمَّمه الباحثان بعد إجراءِ الخصائص السايكومترية على عينة مكونة من 300 طالب وطالبة للعام الدراسي 2021–2022، وأظهرت نتائج البحث أن أفراد العينة لديهم أمل في الحياة، ولا توجد فروق بين الذكور والإناث وبين فاقدي الأب وفاقدي الأم في الأمل في الحياة، وخرج البحث بمجموعة من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: الأمل في الحياة، فاقدو الوالدين، الطفولة في العراق.

Abstract:

The research aims To measure hope in life For students without parents In middle schools According to gender variable (male – female) And apply the measure of hope in life What the researchers built After performing the psychometric properties on it On a sample of (300) male and female students For the academic year (2021–2022) The search results are shown That sample have hope for life There are no differences between males and females, and between those without a father and those without a mother, in terms of hope in life The research came out with a set of recommendations and suggestions.

Keywords: Hope for life, bereavement, childhood in Iraq

المقدمة:

الأمل في الحياة أمر مهم وحيوي في حياة الإنسان إذ يزوده بأساس ثابت يمكنه من أن يتعامل مع ما يواجهه من مصاعب في الحياة وأن يحقق ما يرغب به، فالأمل إحدى استراتيجيات مواجهة المصاعب والمعيقات، وإن كل إنسان يحتاج للأمل في الحياة، إذ يظلُّ الإنسان خاضعًا لليأس والإحباط بلا أمل، وإن الأمل يشمل التصميم والنضال لتحقيق الأهداف والرغبات، إذ إن الأمل يكون في هذه الحالة أمرًا مساعدًا للاستعداد نفسيًّا لحال أفضل في سبيل الوصول إلى الأهداف والمطامح. وعليه فإن الأمل أساس رئيس من أساسيات الحياة السوية للفرد وله أهمية كبيرة بسعادة الفردِ، لأن الأمل ينتمي إلى الانفعالات الموجبة التي لها علاقة بمستقبل الفرد، وهذه الانفعالات إحدى المكونات الأساسية للسعادة، وقد يتعرض الإنسان في حياته لكثير من الأزمات والأوقات العصيبة تنجم عن طبيعة الحياة نفسها، فهو معرض للكوارث الطبيعية والحروب والمشكلات الاجتماعية والأسرية التي تسبِّب له كل هذه الأحداث فقدانًا للأمل والتي تترك آثارًا شديدة في أغلب الأحيان، وشعور الفرد باليأس وفقدانه للأمل يُعَدُّ واحدًا من المشكلات النفسية الذي تتنوع أسبابه وأعراضه وتتداخل فيه عدة أسباب جسدية ونفسية واجتماعية وقد تكون مترابطةً مع بعضها والتي تساعد في النهاية على وصف سلوك وحالة الفرد.

مشكلة البحث:

تُعَدُّ مرحلتي الطفولة والمراهقة من أهـم مراحل العُمر في حياة الإنسان، فهي مرحلة جـوهرية وتأسيسية تعتمد عليها مراحل النمو الأخرى، إذ تعمل الأسرة التي تُعَدُّ من أهم المُؤسسات الاجتماعية في بناء شخصية الأطفال والمراهقين من النواحي جميعًا وتوجيه وتعـديل سلـوكياتهم وتوجيهها وتنمية قدراتهم، وللـوالدين في الأسـرة دور مهم ومُكَمـل لبعضهما البعض، إذْ تُجسِّد الأم الاهتمام النفسـي والبيولوجية، في حين يجسِّد الأب النظـام والقانــون، والاتحاد بينهما يؤدي إلى شخصيـة سَوِية تؤهلهم لأن يكونوا أفرادًا نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم. (صالح، السميري، 2008، ص2). ويُعَدُّ فقدان أحد الوالدين أو كليهما مصيبةً كبرى للأفراد وهم في زهرة العمر فإذا لم يجد الفرد اليتيم اليد الحانية التي تحنو عليه والقلب الرحيم الذي يعطف عليه، ولم يجد الرعاية الكاملة والاهتمام الكبير والمعونة التامة التي تسد حاجاته المادية والعاطفية والنفسية، فلا شك في أنه سيشعر بالحزن الشديد وبأن الحياة لا معنى لها، لهذا حرص الإسلام على رعاية الأيتام وحث على كفالتهم والإحسان إليهم، (ارميا, 2005: ص2-3). وهذا يتطلب من الفرد القدرة على بناء نفسه بناءً صحيحًا قادرًا على التفاعل مع البيئة ليتمكن من تحليل كل ما يحيط به من الظواهر، ويستطيع أن يجد المسوغات والتعديلات ويميز بين كل ما يحيط به من مستجدات تتعلق بمستقبله، لكي يتغلب على الألم والمعاناة في هذه الحياة، فإذا عرفنا هذه الدوافع والأسباب الكامنة خلف هذا التصرف فسنكون قد تمكنا من

محاولة إحداث تغييرات في أساليب السلوك كلما احتاج الأمر، وأن يمتلك الإنسان بعض الأمل من أجل أن يواجهوا مصاعب تتعلق بضعف التصرف وإدراك طرق الحل. (الازيرجاوي، 1991، ص45)، وفقدان الأمل يؤدي إلى المعاناة وضعف القدرة على التحمل والقلق والاكتئاب، كما أن فقدان الأمل يساهم في الإحساس بانعدام الحيلة والتشاؤم والانفعال السلبي وضعف القدرة على التحمل والتقييم السلبي للأحداث (القاسم، 2011، ص3). وتتلخص إشكالية الدراسة في السؤال التالي:

ما مستوى الأمل في الحياة لدى فاقدي الوالدين؟

أهمية البحث:

تأتي مخرجات هذه الدراسة متوافقةً إلى حد ما مع بعض الأبحاث ووجهات النظر الحديثة في علم النفس، التي تهدف إلى تحقيق نقلة سريعة من دراسات تهتم بالسلوك السلبي إلى دراسات أكثر اهتمامًا بالسلوك الاجتماعي الإيجابي. إن النظريات النفسية الآن تحاول التأسيس لعلم جديد من شأنه تنمية مكامن القوة والمُرونة الشخصية التي تجعل الأفراد قادرين على التواؤم الإيجابي إزاء التغيير بل وصناعة التغيير، وفق آلية تحسين جودة الحياة الإنسانية. وتيسير كامل النشاط الإنساني بدءًا من علاج الشدائد والاضطرابات وصولًا إلى حالة حسن الحال والازدهار الإنساني (حجازي، 2012، ص27). إن علم النفس الإيجابي ينظر إلى الأفراد بوصفهم صُناع قرار، تتاح أمامهم بدائل واختيارات ولهم تفضيلاتهم الشخصية، ويمتلكون سيطرةً فعالةً على الظروف المعاكسة، ولديهم القدرة على التخلص من الإحساس بالعجز واليأس، ويهدف علم النفس الإيجابي إلى جعل حياة الأفراد أفضل وأكثر إنتاجية، ومساعدتهم على الاستفادة القصوى من الإمكانيات والقدرات البشرية الراقية. وللأمل آثار إيجابية عديدة على الفرد، مثل تحمل الألم والضغوط ومقاومة المشكلات الحياتية وإعطاء معنى للحياة وتحقيق الذات. الوجود الإنساني كفاح مستمر يسلكه الإنسان في محاولته التعامل مع مشاكل الحياة والتقدم باتجاه إمكانياته، والإنسان قادر على تحقيق الإمكانات الكامنة فيه إذا توافرت الشروط البيئية الصحيحة. وإنه يكافح بطبيعته، من أجل الإبداع والسعادة والرضا (صالح، 1987، ص319)، وعلى الرغم من أهمية مفهوم الأمل في الحياة وموقفه المهم في علم النفس الإيجابي، إلا أن علماء النفس لم يوجهوا له الاهتمام الكافي قياسًا بما أولوه من اهتمام بالنسبة للمفاهيم النفسية الأخرى، ففي الوقت الذي تشهد فيه البحوث الأجنبية اهتمامًا متزايدًا بموضوع الأمل في الحياة، فإن الاهتمام به في البحوث العربية ما يزال محدودًا على الرغم من التسليم بأهمية دوره بالنسبة للسلوك الإنساني عمومًا والتوافق النفسي والاجتماعي خصوصًا، وإن الدور المركزي للأمل هو ما يسهم به على صعيد كونه علاجًا نفسيًّا ناجعًا وعلى صعيد مقاومة الضغوط والتكيف الإنساني، بالإضافة إلى ما يُطلَق عليه "العلاج بالأمل" لأولئك الذين يواجهون معاناةً نفسيةً ويأسًا وإحباطًا (القاسم، 2011، ص4)، ويلاحظ أن الدراسات النفسية حوله دراسات حديثة لا تتجاوز بأقصى تقدير العقود الثلاثة الأخيرة من

القرن العشرين، فقد نُشرت في السبعينيات من القرن الماضي دراسات قليلة ومتفرقة، حتى ظهر أول كتاب أسهم في بلورة هذا المجال كان تحت عنوان "بيولوجية الأمل" من تأليف (تايكر Tigre, 1979)، ثم زادت البحوث في العقدين الأخيرين زيادةً مطردة، وعلى الرغم من اختلاف الباحثين حول تساؤل هو هل الأمل أو اليأس أحد عوامل الشخصية أو من السمات أو هما سمة ثنائية القطب أو هما من الميول والاتجاهات والدوافع أو نزعات الشخصية، فإن علماء النفس قد ذهبوا في تصنيفاتهم للشخصية مذهبًا أدى بهم إلى تناول الشخصية من زوايا متباينة، وعلى الرغم من اختلافهم فإنهم اتفقوا على أنه لا بد لكل فرد من أن ينتمي إلى فئة من الفئات التي اقترحوها في تقسيماتهم، ونستطيع أن نقول إن معظم التصنيفات لم تغفل المفاهيم الإيجابية والتفاؤل والأمل والانبساطية، والمفاهيم السلبية مثل اليأس والتشاؤم والعصابية. (امين، 2010، ص17)،

أهداف الدراسة:

1- التعرف على الأمل في الحياة عند فاقدي الوالدين.
2- التعرف على الأمل في الحياة حسب معيار الجنس ونوع الفقدان (الأب – الأم) عند المبحوثين.

حدود الدراسة:

1- **البشرية:** طلاب المرحلة الإعدادية فاقدي الوالدين **(الأب – الأم)**.
2- **المكانية:** المرحلة الإعدادية في تربية ذي قار.
3- **الزمانية:** العام الدراسي 2021-2022.

فروض البحث:

ليست هناك فروقات دالة إحصائيًا بين أوساط درجات الإناث وأوساط درجات الذكور ونوع الفقدان على مقياس الأمل في الحياة.

تحديد المصطلحات:

عرفه كل من سنايدر Snyde (2002) بأنه توقع على صعيد المعرفة يوجَّه إلى الوصول للأهداف والرغبات والمطامح، ويشمل الأمل مكونين متبادلين مترابطين داخليًا: القوة والسبل (Snyder, 2002, P: 103)

عرفه ديغم (2004) بأنه عبارة عن مجموعة من القوى: قوة الإرادة وقوة الدافع التي يملكها الإنسان لبلوغ أهدافه.

عرفه رند وتشيفز (2009) بأنه الحالة التي يدركها الفرد وتساعده وتزوده بالدافعية لإيجاد وسائل وطرق تمكنه من حقيق أهدافه التي يرغب فيها (Rand&Cheavens, 2009, p: 323).

تعريف إجرائي: الدرجات الكلية للطلاب فاقدي الوالدين في المرحلة الإعدادية في ضوء إجابتهم على مقياس الأمل في الحياة الذي سيُصَمَّم في البحث الحالي.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولًا: مفهوم الأمل (The Hope of Concept):

مفهوم الأمل في القرآن

جاءت كلمة "الأمل" مرتين في كتاب الله في قوله –تعالى– {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأمل ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (الحجر: 3)، وكذلك في قوله تعالى {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} (الكهف: 46).

مفهوم الأمل لغة:

جاءت كلمة "أمل" في مختار الصحاح بمعنى الرجاء، يقال أمل خيره يأمل بالضم أملًا بفتحتين وأمَّله أيضًا تأميلًا (الرازي، 1967، ص25). وفي معجم متن اللغة جاء الأمل في الحياة لغتان فيه الرجاء أو رجاء ما تستبعد حصوله من الخير (رضا، 1958، ص205) وحسب تعريف مجمع اللغة العربية هو الرجاء، وأكثر ما يستعمل فيه ما يستبعد حصوله، لكن الاستدراك الأخير هنا لا مسوغ له بالمنظور النفسي، إذ إن الأمل والرجاء يمكن أن يستوعب الأمور المتوقَّعة والأخرى المستبعدة على حد سواء (عبد الخالق، 2004، ص184) وفي اللغة الإنكليزية جاء حسب معجم وبيستر أن الأمل أن يثق الإنسان بأنه سيصل إلى إحدى رغباته (عبد الخالق، 2004، ص184)، ويحمل التاريخ بعض وجهات النظر السلبية للأمل في الحياة، إذ تناولت وجهات النظر تلك الأمل بشكل فلسفي ونظري، على اعتبار أن الأمل مشاعر يتبناها ضعاف الإرادة والدافعية ليجدوا شيئًا يعيشون بداخله، فقد صور لنا المسرح الإغريقي الأمل في الحياة على أنه نقطة الضعف الإنساني، التي تجعل الناس يحملون ما لا يطيقون من معاناة، فالأمل في المسرح الإغريقي هو سمة الضعفاء في مواجهة مشاكلهم كما وصف بنجامين فرانكلين أن من يعيش بالأمل سوف يموت صامتًا (جودة، 2015، ص93). وقد لقي الأمل اهتمامًا واسعًا لدى الباحثين لا سيما في أعقاب الحرب العالمية الثانية وذلك بسبب ما انتشر من مآسي بين البشر وفقدان معنى الحياة، وذلك بسبب الإحباطات المتكررة وتطور مفهوم الأمل في الحياة بشكل واسع ليصبح مجالًا خصبًا للبحوث والدراسات النفسية، بعدما كان مخصصًا

ضمن مجال علم الأخلاق لدى بعض الفلاسفة، والذي يُعَدُّ ذلك الجو الروحي الذي تحيا في كنفه النفس البشرية (بهنام، 2005، ص59).

طرق إيجاد الأمل في الحياة:

يتواجد الأمل دائمًا في الحياة، على الرغم من وجود العديد من المواقف التي تؤدي إلى اليأس، فمن الممكن أن ينغمس الإنسان في الأمور التي تعطي دفعة من الأمل في الحياة، وأن يتحدث مع نفسه بعبارات إيجابية وأن يكررها، مما يساعده على ترك أثر جيد على النفس، مثل قول "سوف تصبح الأمور على ما يرام"، والتأكيد المستمر على النفس بتلك العبارات الإيجابية من أجل التخلص من الأفكار السلبية التي تدور في داخلها، وهو أحد الطرق التي تساعد على بث الأمل في النفس من أجل التخلص من اليأس والعيش بسعادة (Robert puff, 2015, p: 16)

الأصول التاريخية لنظرية الأمل في الحياة لسنايدر:

في نهاية عام 1960–1950 درس أطباء وعلماء النفس موضوع الأمل في الحياة، تحت عنوان التعريف العام بالتوقعات الإيجابية لتحقيق الهدف، ووصف هذا الرأي الأمل في الحياة بأنه ذو بعد واحد فقط، وبناءً عليه ينطوي على ذلك أن الأهداف يمكن تحقيقها، لكن في الدراسات الحديثة توصلت إلى أن لموضوع الأمل في الحياة بناءً أكثر تعقيدًا من ذي قبل، ولقد وصفت الأمر على وجه التحديد بأن هناك مكونين مترابطين وضروريين لتوجيه الهدف: المقدرة والسبل (Snyder., et al., 2000, p: 747) . وخلال هذه الفترة لقي الأمل في الحياة اهتمام الكثير من الأطباء وعلماء النفس، كما اقترحوا نظريةً قديمةً مفادها أن المرض العقلي يأتي بسبب انخفاض الأمل بدرجة كبيرة لدى المريض، وأن العلاج يكون من خلال رفع الأمل لدى هؤلاء المرضى. (Irving., et al., 2004, p: 419). ويذكر سنايدر أن أصول هذه النظرية ترجع إلى منتصف الثمانينات، عندما بصياغة المبادئ الأساسية للنظريات وبإجراء أبحاث حول تمكن الناس من إعطاء تبريرات عندما يكون هناك خطأ أو أداء ضعيف في أعمالهم، وهنا يرى سنايدر وآخرون (Snyder., et al., 1991) إن الأمل حالة إيجابية تحفيزية تقوم على أساس تبادلي مستمد من الاحاسيس الناجحة، وتعتمد على مكونين: المقدرة (ويقصد بها الطاقة الموجهة للهدف)، والسبل (وهو التخطيط لتلبية الأهداف)، والأهداف تختلف في درجتها المحددة، ومع وجود أهداف غامضة فإنه من المرجح أن يحدث التفكير في الأمل (Snyder, et al2002, p: 820). ولقد أوضح فرانك مدى وأهمية وفعالية استخدام الأمل في العلاج النفسي، لما لذلك من دور قوي وفعال، ولذا اقترح فرانك بأن الأمل في الحياة هو شرط لا غنى عنه في التدخلات العلاجية الناجحة، وهذا يدل على أهمية الأمل في العلاج النفسي (Snyder., et al., 2000, p: 822).

مكونات الأمل في الحياة:

تعددت مكونات الأمل في الحياة بتعدد المدارس المختلفة التي تناولته وأهميته في حياة الفرد، ومن هذه المكونات:

1- المكونات القائمة على المقومات الإيجابية (علم النفس الإيجابي)

توسع بعض علماء النفس حول مفهوم الأمل في الحياة، وحددوه تحديدًا دقيقًا جدًّا، إذ يشير الأمل كما حدده سنايدر وآخرون إلى الحالة الدافعية الإيجابية التي تعتمد على الإحساس التفاعلي المشتق من قوة النجاح (القوة الموجهة نحو الهدف) والطرائق (التخطيط لتحقيق الأهداف)، وبناءً على ذلك فإنه توجد ثلاث مكونات للأمل في الحياة: الأول أن الأمل يرتبط بأهداف معينة، والثاني طرائق التفكير أو قوته التي تخصص لقدرة أحد الأشخاص الإدراكية في توليد الطرق للوصول إلى الهدف (ويرتبط هذا بالتفكير وقدرة الشخص على التعامل ومسايرة الطرائق المتعددة للوصول إلى الوجه نفسه، نتيجةً لذلك فإن المرونة الإبداعية تكون مطلوبةً فيما يتعلق بالتفكير الإيجابي)، والثالث قوة الإرادة التي تنصب على قدرة إدراك الفرد في بدء الحركة في اتجاه تحقيق الهدف Snyder et al., 1991, p: 281). ويفرز سنايدر تنصيفًا آخر لمكونات الأمل في الحياة تشمل (الإدراك المعرفي تجاه هدف الفرد، ويسمى ذلك مكون الطاقة وإدراك القدرة اللازمة لإيجاد سبل تحقيق الهدف، وتوجد بين مكوني الأمل هذين (الطاقة وطرائق المسارات) علاقة موجبة، إلا أنهما غير مترادفين، على الرغم من الاهتمام بالجانب المعرفي في تفسير الأمل في الحياة، فإن له دورًا في التقييم المعرفي للأنشطة المرتبطة بالأهداف، ويعتمد نوع الانفعال المرتبط بالهدف المدرك للفرد، كما أن تحليل مكوني الطاقة وطرائق المسار للفرد يؤدي إلى إدراك علاقة كفاءة هذين المكونين بإمكانية تحقيق الأهداف، فأصحاب الأمل المرتفع لديهم إحساس قوي بالتحدي ويركزون على النجاح بدلًا من الفشل، وهم ذوو حالة انفعالية موجبة مرتبطة بالأنشطة ذات الصلة بالأهداف، في حين أن ذوي الأمل المنخفض ذوو طاقات ومسارات أقل ويركزون على الفشل بدلًا من النجاح ولديهم إحساس بالتردد وانفعالات سلبية في أثناء النشاط المرتبط بالهدف (ديغم، 2015، ص23).

النظريات التي فسرت الأمل الحياة:

نظرية ستوتلاند في الأمل:

في العقود الثلاثة الأخيرة ظهرت نظرية (ستوتلاند) في الأمل في الحياة، تتمحور حول توقع ما هو أكثر من الصفر على صعيد بلوغ الغايات والمطامح، والأمل العالي يمثل إدراكًا لاحتمال مرتفع لبلوغ طموح ما، وتعد هذه النظرية من النظريات الأولى في تناولها مفهوم الأمل في الحياة عام 1969 ومن أفكاره ظهر معظم العمل حول الأمل في علم النفس، إذ نظر ستوتلاند إلى الأمل في

الحياة على أنه توقع عام لتحقيق هدف، كما نظر إليه على أنه مكون أساسي في أداء الإنسان لوظائفه (Jones, 2015, p: 26)، وأوضح ستوتلاند أن الأمل غالبًا ما يستند إلى الاستنتاج الذي يقوم به الفرد نحو حالة أو ظاهرة آتية لفرد آخر في موقف ما. حين استجابة ذلك الفرد لعدة أحداث ماضية بناتج سلوكي لاحق، فالفرد سيصل إلى نتيجة مفادها أن مستوى فاعلية الأمل يكون مرتفعًا إلى مستوى يتيح بلوغ الناتج السلوكي، وقد يبدو أن الأمل في الحياة يحدث في سياقات موقفيه محددة إلا أن النظرية تتيح احتمالية أن لدى البعض درجات أمل عالية في خلال الظروف الحياتية المتنوعة. (Snyder, 1994, P. 536)، وتفترض النظرية ضرورة أن يوجد حدٌّ أدنى من أهمية أهداف وغايات الإنسان من أجل أن يصبح الأمل في الحياة فعالًا، وتشير النظرية إلى أن أداء الفرد يتأثر بالنجاح والفشل فإن موقفًا واحدًا من الفشل يجعله يحاول ألا يشعر بمستوى متدنٍ وبانعدام القدرة على بلوغ أهدافه وأن ذلك من المحتمل أن يأخذه نحو إدراك عدم احتمال تحقيق أهدافه ورغباته (العارضي، الموسوي، 2013، ص168).

نظرية الأمل في الحياة

عام 1991 وضع سنايدر نموذجًا معرفيًا للأمل في الحياة اعتمد على تحقيق الغاية، خلافًا لنظريات سابقة، ومع ذلك فهذا النموذج لا يعتمد على المأمول فحسب، بل على المخططات والأمور المحفِّزة التي يحتاجها الفرد من أجل بلوغ غايته تحديدًا، وبحسب سنايدر وزملائه فإن الأمل في الحياة حالة إيجابية لإثارة الهمة على أساس تبادلي للشعور بالإنجاز وتتضمن مكونين: القدرة والمسلك (Cheavens, et al, 2006, p: 89). لقد قام Snyder وزملاؤه بتكوين مفهوم الأمل في الحياة (Hope in live) باعتباره توقع موجه إلى بلوغ الغايات من خلال مكونين: متبادلين يترابطان:

- القوة (Agency) التي تشمل الشعور بالاستعمال الناجع للطاقات في سبيل بلوغ الغايات والرغبات، فإن القوة دافع عقلي لإيجاد وتوجيه الحركة إلى غاية أو مطمح معين (Snyder, 2002, p: 103).
- القابلية المدركة على توليد مسالك أو سبل للوصول إلى الطموحات والغايات والرغبات. اي أنه قدرة الفرد التي يدركها ويوظفها للتخطيط الناجع لبلوغ الغايات (Snyder, 1994, p: 536). وبمعنى آخر، فإن التفكير بالمسالك ينظر إليه على أنه القابلية على تخيل طرق توصل إلى غاية معينة أو هدف معين بما في ذلك تشكيل أهداف فرعية تصب في المسار نفسه. وتشير نظرية الأمل في الحياة إلى أنه يرتبط بالاستراتيجيات المتقدمة لحل المشكلات (المسالك) فضلًا عن الدافعية لتنفيذ تلك المسالك (القوة)، وهنالك من البحوث ما يعزز هذا الافتراض سواءٌ لدى الراشدين أو المراهقين أو الاطفال، فعلى سبيل المثال فإنه بين أفراد المجتمع يكون الأمل في الحياة مرتبطًا بوجود أكبر عدد من الطموحات والرغبات وثقة أكبر في إمكانية تحقيقها، مع وجود

إمكانية مدركة أعلى للوصول إلى هذه الطموحات والأهداف ومواجهة الضغوط مع زيادة الدافعية والاستراتيجيات للوصول إليها (Irving, 1998, p: 197). ويشير مكون المقدرة إلى التحديد والالتزام والتي تساعد على التحرك خطوة واحدة في اتجاه الهدف ويعبر عن مجموعة معرفية تتكون من وجود كل من أهداف مهمة واحدة، ويمكن القول بأن الشروع في العمل والمحافظة على الاتجاه لبلوغ الهدف، بينما يشير مكون السبل إلى قدرة الفرد على وضع خطط بديلة عند العقبات بهدف الوصول إلى الطريق لبلوغ الهدف. وقد لاحظ سنايدر أن بُعدي الأمل في الحياة أكثر شيوعًا وضروريةً لتطبيق الأمل في الحياة، ولذلك اقترح سنايدر نموذج الأمل في الحياة على أنه متعدد الأبعاد المعرفية. ويؤكد سنايدر وآخرون (2002) أن الأمل ينظر للقدرة على أنها التصور العلمي وطرق توجيه الهدف والتأكيد النظري، ويرى أن كلًا من المقدرة والسبل من العناصر الضرورية لتطبيق الأمل وتقدم مساهمات فريدة في التنبؤ الخارجي على قدرة الوصول للهدف، ولقد وضع سنايدر وزملاؤه نظرية الأمل في الحياة التي تتمتع بنوع من الثبات والصدق، ويمكن الاعتماد عليها لمختلف المقاييس للبالغين والمراهقين والأطفال. ولقد حدد الباحثون أن الأمل يتكون من مكونين: المقدرة والسبل، ويقصد بمكون المقدرة بأنه مدى الأفكار التي يمكن للفرد أن يولدها لتحقيق الأهداف، بينما مكون السبل يشير إلى التصورات التي تنطوي على واحد من القدرة على بدء وإدامة الحركة على طول الطرق المختارة وبشكل أكثر تحديدًا فمن المفترض أن السبل تتيح التفكير في استراتيجيات الطرق التي من خلالها ننجح في تحقيق الأهداف والمقدرة توفر الدافعية على توظيف تلك السبل في بلوغ الهدف، كما أن هذين المكونين مترابطان لكنهما متمايزان نسبيًا، وأن الأفراد ذوي الأمل يحققون طموحاتهم ورغباتهم على نحو أكثر إيجابية وأكثر تحديًا لمعوقات الحياة (Snyder, etal., 1991, p: 572). ويستخدمون طرائق توافقية حتى لو جابهتهم عوائق قوية، ويرى سنايدر أن الأشخاص مرتفعي الأمل دائمو التفكير في أهدافهم المستقبلية ودائمو السعي نحو بلوغ الأهداف (معمرية، 2011، ص74). كما أن للأمل في الحياة أثرًا إيجابيًا على الصحة النفسية والجسدية وهذا ما أشارت إليه (Schier & Carver, 2000) من خلال تعزيز الأمل في الحياة عندما يؤمن الشخص بأن نتائج مرغوبة سوف تتحقق، إذ إن للتوقعات الإيجابية تأثيرًا على توافق الفرد النفسي عندما يواجه صعوباتٍ في حياته. (Schier & Carver, 2000, p: 8). وترى نظرية الأمل أن الانفعال الإيجابي هو بحد ذاته نتاج التفكير بإمكانية تحقيق الإنجاز عبر الاجتهاد حتى بلوغ الغايات، إذن فالتفكير يوجد الانفعال، كما يذهب إليه العلاج المعرفي. وينتج بلوغ الإنجاز من تحقيق خطوات في سبيل الوصول إلى الهدف، وألا يتعثر الفرد بمعيقات تعطل توليد الشعور الإيجابي من حماسة وإثارة للإنجاز بل يقلُّ بلوغ الإنجاز ويظهر الشعور السلبي من إحباط وحزن (حجازي، 2012، ص129-130). ومن خلال ما طرح فإن الباحث اعتمد على نظرية سنايدر في بناء إطار نظري، وكذلك بناء مقياسه على هذه النظرية، لأنها نظرية شاملة تناولت موضوع الأمل في

الحياة بكل تفاصيله، وتكاد تكون النظرية الأقرب إلى موضوع البحث الحالي، وفسرت أساسًا نظريًّا جيدًا للمتغير الحالي، فضلًا عن أن الكثير من الباحثين استندوا إليها مما زاد من إنضاجها.

الأبحاث السابقة:

بحث ميشيل وكانتي CantyOMitchell 2012

الهدف من الدراسة معرفة ما يربط المواقف الحياتية بالقدرات الذاتية والأمل عند الأيتام من فئة المراهقين، وقد تشكلت العينة البحثية من 202 طالبة وطالبًا من ثانويات مدينة ميامي موزعة كالآتي 91 من الذكور و 111 من الإناث تراوحت أعمارهم ما بين 15–17 سنة، واعتمدت الدراسة استبانة تغير أحداث الحياة لدى المراهقين ومقياس المقدرة للرعاية الذاتية ومقياس ميلر للأمل، وكشفت الدراسة أنه توجد علاقة إيجابية تربط المقدرة الذاتية بالأمل، وأن الأمل عامل ذو أهمية لتوقع القدرة على الرعاية (Canty– Mitchell, 2001, p: 18–31).

بحث الشمري وغند 2019

الهدف من الدراسة التعرف على العلاقة التي تربط الأمن النفسي بالأفكار المبنية على الأمل عند عينة من الطلبة الأيتام وغير الأيتام في الثانوية، وتشكلت العينة البحثية من 240 طالبةً وطالبًا من طلاب الثانوية، من الإناث 36 من الأيتام و36 من غير الأيتام 84، ومن الذكور الأيتام و84 من غير الأيتام، وتوصل البحث لعدة نتائج، منها أن العينة ليس لديها تفكير قائم على الأمل وأنه لا روابط ذات دلالة إحصائية بين درجات الطلبة وفق مقياس الأمن النفسي ودرجاتهم وفق مقياس التفكير القائم على الأمل ووجود فروق في العلاقة بين المتغيرين على أساس الجنس لصالح الذكور.

منهجية البحث وإجراءاته:

اعتُمِد المنهج الوصفي القائم على رصد ما هو موجود وتحليله، ويُعَدُّ هذا المنهج، القائم على توصيف العلاقات وتحليلها وتفسيرها، مناسبًا لأهداف الدراسة وطبيعتها، ويساهم في تصور مستقبلي في ضوء المؤثرات الراهنة (فان دالين، 1985، ص 312)، وإن المنهج الوصفي منهج لوصف موضوع البحث عبر أسلوب علمي يتصور النتائج في صيغة رقمية يمكن تفسيرها (المحمودي، 2019، ص46).

مجتمع الدراسة:

تطلق كلمة مجتمع على الأفراد والحالات والأشياء التي يدرسها الباحث. (العزاوي، 2008، ص181). ومجتمع البحث هو المجموعة الكلية للمكونات التي ستُعمَّم عليها نتائج البحث. (عودة

وملكاوي، 1992، ص159). والمجتمع الإحصائي للدراسة يتكون من جميع الأفراد الذين يدرسهم البحث (ملحم، 2009، ص219).

يتشكل مجتمع البحث الحالي من الطلاب فاقدي الوالدين ذكورًا وإناثًا، في المدارس الإعدادية في مركز محافظة ذي قار التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة ذي قار للعام الدراسي 2021-2022)، وقد بلغ مجموع الطلاب فاقدي الوالدين في المدارس الإعدادية 800 طالبةً وطالبًا، موزعين وفق الجنس إلى 305 طالبة و495 طالبًا، يوضح ذلك الجدول (1).

جدول (1): عدد الطلاب فاقدي الوالدين في المدارس الإعدادية مركز محافظة ذي قار

الموقع	الجنس	عدد المدارس	عدد الطلبة
مركز محافظة ذي قار	بنين	20	495
مركز محافظة ذي قار	بنات	23	305
المجموع		43	800

عينة الدراسة:

يقصد بعينة البحث جزء من المجتمع يُختار بناءً على قواعد خاصة، لتكون العينة المسحوبة ممثلة قدر الإمكان لمجتمع الدراسة (النعيمي وآخرون، 2015 ص 78). ويعرفها (الأسدي 2008) أنها جزء من المجتمع بحيث تتوافر في هذا الجزء نفس خصائص المجتمع (الأسدي، 2008، ص92).

بلغت عينة الدراسة 530 طالبة وطالبًا من الطلاب فاقدي الوالدين في المدارس الإعدادية توزعت على النحو الآتي:

- عينة بناء أدوات القياس والتحليل الإحصائي المكونة من 200 طالبة وطالبًا.
- عينة الثبات البالغة 30 طالبة وطالبًا.
- عينة التطبيق النهائي المكونة من 300 طالبة وطالبًا.

وهذا وصف لهذه العينات:

1- عينة التحليل الإحصائي

أشارت (Nunnally, 1978) إلى أنه يجب ألا تقل نسبة أفراد العينة إلى فقرات المقياس عن 1:5 لارتباط ذلك بخفض خطأ الصدفة عند التحليل الإحصائي (Nunnlly, 1978, p: 262). وبلغت عينة التحليل الإحصائي 200 طالبةً وطالبًا موزعة حسب الجنس حسب الجدول التالي:

جدول (2): توزيع عينة التحليل الإحصائي في ضوء أسم المدارس والجنس وحجم العينة.

ت	اسم المدرسة	الجنس	عدد الطلاب
1	إعدادية اليرموك	بنين	28
2	إعدادية التميز	بنين	21
3	إعدادية الجمهورية	بنين	35
4	إعدادية الشرقية	بنين	19
5	إعدادية النور	بنات	27
6	ثانوية نسبية الأنصار	بنات	32
7	إعدادية الكرامة	بنات	23
8	إعدادية الشيماء	بنات	15
المجموع			200

2- عينة ثبات المقياس

تكونت من 30 طالبةً وطالبًا من الطلاب فاقدي الوالدين في المدارس الإعدادية وحسب ما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (3): توزيع عينة الثبات في ضوء المدرسة وحجم العينة.

ت	اسم المدرسة	حجم العينة
1	إعدادية محمد باقر الصدر	15
2	إعدادية الوحدة للبنات	15
المجموع		30

3- عينة التطبيق النهائي (العينة الرئيسة للبحث)

تكونت من 300 طالبة وطالبًا من فاقدي الوالدين في المدارس الإعدادية موزعين حسب الجنس إلى 150 طالبة و150 طالبًا، ولاختيار العينة التي تمثل مجتمع البحث، اعتُمِد ما يلي من خطوات:

- عندما تُختار عينة من مجتمع معين تجب ملاحظة حجم العينة في ذلك المجتمع واختيار حجمها بصورة متناسبة مع حجم العينة في المجتمع الاصلي، أي أن الباحث يختار عددًا من المفردات يتناسب حجمها مع حجمها الحقيقي في المجتمع الأصلي (ربيع، 2011، ص151).
- اختيرت العينة بأسلوب قصدي، إذ يكون الاختيار في هذه العينات على أساس حر من قبل الباحث وحسب طبيعة البحث، بحيث يحقق هذا الاختيار هدف الدراسة أو أهداف الدراسة المطلوبة (السامرائي، 2019، ص175).
- تحديد المجتمع الأصلي للدراسة، إذ يُحَدَّد المجتمع الأصلي للدراسة تحديدًا واضحًا ودقيقًا.
- تحديد أفراد المجتمع الأصلي للدراسة وإعداد قائمة بأسماء جميع الأفراد.
- اختيار عينة ممثلة لمجتمع البحث.
- اختيار عدد كافٍ من الأفراد في العينة، بحيث يُحَدَّد الحجم المناسب للعينة من خلال عدد من العوامل، أهمها:
- أن المجتمع الأصلي المتجانس يسهل عملية اختيار العينة.
- أسلوب البحث المستخدم يؤثر في اختيار العينة.
- درجة الدقة المطلوبة، فلابد للباحث الذي يريد الحصول على نتائج دقيقة من أن يعتمد على عينة ذات حجم أكبر تمنحه الثقة كي يعمِّم ما يتوصل إليه من نتائج على المجتمع الأصلي، كلما قل المجتمع زاد عدد أفراد العينة (أبو زايده، 2018، ص158). وكما في جدول (4):

جدول (4): توزيع عينة التطبيق النهائي في ضوء اسم المدرسة والجنس وحجم العينة

ت	اسم المدرسة	الجنس	حجم العينة
1	إعدادية الصمود	بنين	28
2	إعدادية الناصرية	بنين	20
3	إعدادية التفوق	بنين	24

4	إعدادية الكندي	بنين	32
5	إعدادية ابي تراب	بنين	27
6	إعدادية الشرقية	بنين	19
	المجموع		150
7	إعدادية عشتار	بنات	30
8	إعدادية الشيماء	بنين	15
9	إعدادية الناصرية	بنات	22
10	ثانوية بنت الهدى	بنات	25
11	إعدادية بدر الكبرى	بنات	23
12	ثانوية الفاطميات	بنات	35
	المجموع		150
	المجموع الكلي		300

ثالثًا: أدوات البحث

تختلف أدوات البحث باختلاف أهداف وطبيعة البيانات المطلوب الحصول عليها، وبما أن البحث الحالي يهدف إلى الكشف عن الأمل في الحياة لدى فاقدي الوالدين، وهذا يتطلب استخدام أداة للبحث. لذلك صمَّم الباحثان أداةً لقياس الأمل في الحياة، وتعرَّف الباحثان على الخصائص السايكومترية للمقياس من صدق وثبات، وفيما يأتي الإجراءات التي تمت لإعداد المقياس:

خطوات بناء مقياس الأمل في الحياة:

1- تحديد مفهوم الأمل في الحياة استنادًا إلى نظرية "سنايدر" التي تبناها الباحث الذي عرف الأمل في الحياة بأنه: توقع معرفي يُوجَّه إلى بلوغ الغايات والمطامح ويتضمن الأمل مكونين متبادلين مترابطين داخليا: القوة والسبل.

2- تحديد المجالات الرئيسة لمقياس الأمل في الحياة، استنادًا إلى نظرية "سنايدر"، وقد اشتق الباحث هذه المجالات في ضوء هذه النظرية، إذ تمكن من اشتقاق مجالين لمقياس الأمل في الحياة هي كالآتي:

أ- القوة: الشعور بالتوظيف الناجع للطاقات والسير في سبيل بلوغ الهدف.

ب-السبل: إمكانية تصوُّر طرق تؤدي لأهداف وغايات معينة.

ت-صياغة الفقرات بصيغتها الأولية، استنادًا إلى المجالات التي ذُكِرت سلفًا وتعريفها وفقًا للنظرية المتبناة (نظرية سنايدر)، إذ صيغت فقرات مقياس الأمل في الحياة بعد مراجعة الأبحاث والمقاييس السابقة ذات العلاقة بمتغير البحث، وأُعِدَّت فقرات مقياس الأمل في الحياة بصيغته الأولية بواقع (23) فقرة، موزعة على مجالين. الجدول (5) يوضح ذلك.

جدول (5): توزيع مجالات الأمل في الحياة وإعدادها

ت	المجال	عدد الفقرات
1	القوة	12
2	السبل	11
	المجموع	23

- **وضوح تعليمات وفقرات المقياس**

تعليمات المقياس مرشد للمستجيب في خلال استجابته لفقرات المقياس، لذا فقد كان من الضروري مراعاة أن تكون مفهومةً ومبسطة عند إعدادها، وقد حرص الباحث على أن تكون تعليمات المقياس وفق الاعتبارات الآتية:

1- دقة اختيار بديل الاستجابة المناسبة من قبل المستجيب إزاء كل فقرة.

2- اختيار البديل المناسب من بدائل الاستجابة.

3- تأكيد أن الإجابة لغرض الدراسة فحسب، ولا داعي لذكر الاسم لتقليل عامل المرغوبية الاجتماعية عند الإجابة.

4- وضع الباحث مثالًا يوضح فيه طريقة الإجابة.

وقد أخفِيَت أهداف المقياس، لمنع تأثُّر الإجابة، إذ تشير الأدبيات بهذا الخصوص إلى أن تسمية المقياس صراحةً من المحتمل أن تسبب تزييف المستجيب لإجابته. (الزوبعي وآخرون، 1984، ص74). وقد تضمنت التعليمات المعلومات العامة عن المستجيب، وهي الجنس ونوع الفقدان (الأب، الأم).

- **صلاحية الأداة:**

1- الصدق (Validity)

درجة نجاعة الاختبار في القياس والتشخيص والتنبؤ عن ميدان السلوك الذي صمِّم الاختبار له، أي أن صدق الاختبار يعني أنه يقيس ما صُمِّم لقياسه. (عوض، 1998، ص59). وتحقق الباحثان من صدق الأداة من خلال:

الصدق الظاهري:

صلاحية الأداة لقياس ما وضعت من أجله. (اليعقوبي، 2013، ص139) وقد أشار (Ebel) إلى أن أفضل سبيل للتأكد من مدى صدق الفقرات في أي مقياس هي أن يقدِّر عدد من الخبراء مدى صلاحية الأداة في قياس السمة التي صُمِّمَت لها (Ebel, 1972, P.55). ويتجسد الصدق الظاهري عبر عرض فقرات وتعليمات وبدائل المقياس على محكمين متخصصين خبراء ليحكموا على صلاحية المقياس وفقراته وتعليماته وبدائله، بما يجعل الباحث مطمئنا لوجهات نظرهم ويعمل بما يتفق عليه معظمهم بنسبة 80% أو أكثر. (الكبيسي، 2010، ص35). وللتحقق من مدى صلاحية فقرات مقياس الأمل في الحياة تم عرضه بصيغته الأولية البالغ عدده 23 فقرة أمام خبراء ومختصين في العلوم النفسية والتربوية والإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، ليُبدي كل منهم رأيه في المقياس، كذلك وضع الباحث ثلاثة بدائل تحكيمية (صالحة – غير صالحة – بحاجة إلى تعديل)، واعتُمِدَت ما نسبته 80% أو أكثر من وجهات نظر الخبراء بالموافقة على الفقرة، إذ تم حذف (1) فقرة واحدة من المجال الأول وهي الفقرة (12)، وأصبح المقياس مكون من 22 فقرة كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (6): فقرات المقياس وأعداد المحكمين وعدد الموافقين وغير الموافقين والنسبة المئوية لصلاحية مقياس الأمل في الحياة

المجال	رقم الفقرة	عدد الخبراء	الموافقون	غير الموافقين	نسبة الاتفاق
القوة	1، 4، 8، 9	17	17	–	%100
	2، 3، 5	17	16	1	% 94
	6، 7، 10، 11	17	14	3	% 82
	12	17	10	7	% 58
	1، 4، 5، 6	17	17	–	%100

السبل	8، 10، 11	17	16	1	%94
	2، 3، 7، 9	17	14	3	%82

أ- صدق البناء (Construct Validity)

ويطلق عليه أيضًا "صدق التكوين الفرضي" وهو الذي يهتم بجميع الدلائل الضرورية التي يتم بواسطتها التعرف على قدرة درجة الاختبار وتكون مؤشرًا على السمة التي يفترض أن يقيسها الاختبار، أي يتناول العلاقة بين نتائج الاختبارات والمقاييس وبين المفهوم النظري الذي يهدف الاختبار لقياسه، ويشكل "صدق البناء" المرحلة النظرية أو التمهيدية لتطوير الاختبارات والمقاييس، وهو موجه لخدمة الاختبار نفسه، وذلك بمحاولة الانتقال من الشك في أن الاختبار يقيس السمة التي أُعِدَّ لقياسها. (الجلبي، 2005، ص94).

- التحليل الإحصائي لفقرات مقياس الأمل في الحياة.
- **حساب القوة التميزية**

يشير خبراء القياس النفسي إلى أن التحليل الإحصائي للفقرات أمر ذو أهمية، إذ إنه يبين دقة المقياس. (عبد الرحمن، 1998، ص414). ويعد التحليل الإحصائي للفقرات أكثر أهمية من التحليل المنطقي لها، إذ إن التحليل المنطقي قد لا يكشف عن صدق الفقرات على نحو دقيق لأنه يعتمد على الفحص الظاهري لها فقط، أي مثلما يبدو ظاهريًّا للحكم. (فرج، 1980، ص331).

يُعَدُّ حساب القوة التميزية للفقرات جانبًا مهمًّا في التحليل الإحصائي للفقرات، للتأكد من قدرتها في توضيح الفروق الفردية في السمة المراد قياسها. (Eble, 1972, p: 392). وبهدف معامل صدق الفقرة لمقياس الأمل في الحياة وحساب القوة التميزية، جرى تطبيق المقياس على عينة من 200 طالبةً وطالبًا فاقدي الوالدين من طلاب المدارس الإعدادية، واتُّبِعَت الخطوات الآتية:

أ- أسلوب العينتين المتطرفتين:

يبّين (أيبل Ebel) أن تحليل الفقرات يهدف إلى أن تبقى الفقرات الجيدة في المقياس (Ebel ., 1972: p: 392) ويستخدم هذا الأسلوب لمعرفة قوة الفقرات التمييزية، من خلال طريقة المجموعتين المتطرفتين. وقد طبق الباحث مقياس الأمل في الحياة بصورته الأولية على العينة المكونة من 200 طالبةً وطالبًا، ورتبت الاستمارات من أعلى درجة في كل استمارة إلى أقل درجة، ثم حدد 27% من الاستمارات ذات الدرجات الأعلى و27% من الاستمارات ذات الدرجات الأقل.

وعليه فقد كانت الاستمارات في كل مجموعة 54 استمارة، وكانت الاستمارات الخاضعة للتحليل الإحصائي 108 استمارات، من أجل الوصول إلى أبعد درجات التطرف في الاستجابة بين المجموعتين. وتم حساب الانحراف المعياري للمجموعة الدنيا والوسط الحسابي، والانحراف المعياري للمجموعة العليا الوسط الحسابي، على فقرات المقياس (22 فقرة). وتم تطبيق اختبار T–test لعينتين مستقلتين للتعرف على دلالة الفرق بين المجموعتين العليا والدنيا لكل فقرة. ثم مقارنة القيمة التائية المحسوبة بالأخرى الجدولية والحكم على درجة تمييز الفقرة وفق ذلك. وفي ضوء البيانات المتحققة من الاختبار، تبين أن جميع فقرات الاختبار مميزة وبدرجة حرية 106 عند مستوى دلالة 0, 05 ماعدا الفقرة 14 لعدم قدرتها على التمييز بين المجاميع المتطرفة. كما هو مبين في الجدول (8)، وبهذا أصبحت الصورة النهائية للمقياس مكونة من 21 فقرة، وقد استُخدِم البرنامج الإحصائي (spss) لاستخراج قوة الفقرات التميزية. مثلما هو موضح في جدول (7).

جدول (7): قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والقيمة التائية ومستوى دلالة الفروق بين المجموعتين المتطرفتين لحساب القوة التمييزية لفقرات مقياس الأمل في الحياة.

ت	المجوعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة	مستوى الدلالة 0, 05
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
1	65 ,3	62 ,0	59 ,2	07 ,1	261 ,6	داله
2	37 ,3	81 ,0	72 ,2	09 ,1	513 ,3	داله
3	91 ,3	29 ,0	29 ,3	02 ,1	228 ,4	داله
4	87 ,3	52 ,0	11 ,3	04 ,1	806 ,4	داله
5	87 ,3	34 ,0	06 ,3	07 ,1	328 ,5	داله
6	3.44	74 ,0	2.70	1.00	360 ,4	داله
7	76 ,3	51 ,0	2.67	1.15	382 ,6	داله
8	3.39	88 ,0	2.35	1.10	410 ,5	داله
9	3.11	1.14	2.19	1.10	287 ,4	داله
10	3.67	0.61	79 ,2	12 ,1	999 ,4	داله
11	91 ,3	35 ,0	03 ,3	05 ,1	799 ,5	داله

12	81 ,3	44 ,0	91 ,2	09 ,1	694 ,5	داله
13	62 ,3	62 ,0	46 ,2	18 ,1	437 ,6	داله
14	87 ,2	08 ,1	69 ,2	14 ,1	863 ,0	غير داله
15	62 ,3	59 ,0	24 ,2	06 ,1	388 ,8	داله
16	90 ,3	29 ,0	26 ,3	99 ,0	596 ,4	داله
17	87 ,3	39 ,0	74 ,2	03 ,1	527 ,7	داله
18	79 ,3	49 ,0	50 ,2	16 ,1	555 ,7	داله
19	50 ,3	67 ,0	40 ,2	18 ,1	888 ,5	داله
20	76 ,3	58 ,0	96 ,2	14 ,1	546 ,4	داله
21	96 ,3	19 ,0	90 ,2	10 ,1	927 ,6	داله
22	94 ,3	23 ,0	26 ,3	91 ,0	335 ,5	داله

القيمة الجدولية 1, 96 ودرجة الحرية 106.

ب- علاقة الفقرة بدرجة المقياس الكلية

طريقة أخرى لتحليل الفقرات تتمثل بإيجاد العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية لكل مقياس. (Nunnally, 1978, p: 262). وتتميز هذه الطريقة بتقديم مقياس ذي فقرات متجانسة، ووُظِّف معامل ارتباط بيرسون لتحقيق ذلك.

درجة المقياس الكلية تُعَدُّ محكيةً آنيةً إذ تتعلق بدرجات الأشخاص على فقرات المقياس، بالتالي تقيس الفقرة ما تقيسه درجة المقياس الكلية، وفق هذا المؤشر تبقى الفقرات التي تكون معاملات ارتباط درجاتها بالدرجة الكلية ذات دلالة إحصائية وإن المقياس الذي تنتخب فقراته وفق هذا المؤشر ذو صدق بنائي عند إجراء تحليل فقراته (Anastasi, 1976 , p: 154).

ولاستخراج علاقة درجة الفقرة بدرجة المقياس الكلية استُخرِج معامل ارتباط بيرسون لدلالة معامل الارتباط، وتبين أن معاملات الارتباط كافة ذات دلالة إحصائية بمقارنة القيم المستخرجة بقيمة (R) الجدولية (0, 139 عند درجة حرية 198 ومستوى دلالة (0, 05) ما عدا الفقرة (14) حسب الجدول التالي.

جدول (8): قيم معاملات ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس الأمل في الحياة

تسلسل الفقرة	معامل الارتباط	تسلسل الفقرة	معامل الارتباط
1	0,410	15	0,550
2	0,329	16	0,493
3	0,435	17	0,543
4	0,549	18	0,463
5	0,510	19	0,448
6	0,377	20	0,398
7	0,391	21	0,523
8	0,376	22	0,505
9	0,274		
10	0,494		
11	0,554		
12	0,443		
13	0,452		
14	0,050		

قيمة (R) الجدولية 0, 139 ودرجة الحرية 198

ج-علاقة درجة الفقرة بدرجة المجالات التي تنتمي لها

للتثبت من صدق الفقرات اعتُمِدَت هذه العلاقة كمحكِّم إضافي، من خلال معامل ارتباط بيرسون، واستخراج علاقة كل فقرة بدرجة المجال الذي تنتمي له، ولوحظ أن الفقرات جميعها كانت ذات دلالة إحصائية عند درجة حرية 198 ومستوى دلالة 0, 05 بمقارنتها بقيمة (R) الجدولية والبالغة 0, 139. حسب الجدول التالي.

جدول (9): قيم معاملات ارتباط درجة الفقرة بدرجة المجال لمقياس الأمل في الحياة

المجال	عدد الفقرات	تسلسل الفقرة	معامل الارتباط
القوة	11	1	473 ,0
		2	364 ,0
		3	480 ,0
		4	587 ,0
		5	556 ,0
		6	434 ,0
		7	417 ,0
		8	455 ,0
		9	408 ,0
		10	522 ,0
		11	618 ,0
السبل	11	تسلسل الفقرة	معامل الارتباط
		1	480 ,0
		2	565 ,0
		3	194 ,0
		4	525 ,0
		5	528 ,0
		6	533 ,0
		7	428 ,0

		8	549 ,0
		9	496 ,0
		10	541 ,0
		11	510 ,0

قيمة (R) الجدولية 0, 139 ودرجة الحرية 198

2-الثبات

الثبات **(Reliability)** شرط يجب أن يتوفر في الاختبارات والمقاييس النفسية مثل أدوات القياس الأخرى المستخدمة في العلوم الطبيعية، إذ يجب أن تتسم بالاتساق والثبات فيما تقيسه، وإن ثبات المقياس يشير إلى تحرره النسبي من الخطأ غير المنظم. (الأسدي، 2008، ص78). إذ إن الهدف من حساب الثبات هو تقدير أخطاء القياس، واقتراح طرق للتقليل من هذه الأخطاء، (الجلبي، 2005، ص 64). وكلما كان تباين الخطأ أقل ما يمكن وكان التباين الحقيقي أكبر ما يمكن في درجاته، دل ذلك على أن المقياس يقيس بدقة أكثر (عودة، 2005، ص34) وبما أن الثبات هو الاتساق يمكن أن يكون: خارجيًّا يتحقق عندما يستمر المقياس بإعطاء نتائج ثابتة بتكرار تطبيقي عبر الزمن، وداخليًّا يتحقق عبر أن الفقرات جميعها تقيس السمة نفسها. (اليعقوبي، 2013، ص251). لذا تحقق الباحث من ثبات مقياس الأمل في الحياة بأسلوبي معادلة الفاكرونباخ وإعادة الاختبار، عبر درجات عينة الثبات المكونة من 30 طالبة وطالبًا من الطلاب فاقدي الوالدين في المدارس الإعدادية، وقد احتُسِب الثبات من خلال:

أ- الاختبار وإعادة الاختبار

إن من طرائق الحصول على قياسات متكررة للمجموعة ذاتها، ولقياس السمة ذاتها، أن يطبَّق الاختبار ذاته مرتين، ويزودنا هذا الأسلوب بدرجتين لكل مفحوص. (ملحم، 2000، ص252). وقد طبق مقياس الأمل في الحياة على عينة شملت 30 طالبة وطالبًا بعد أسبوعين من الاختبار الأول وبلغ معامل الارتباط بين الاختبارين 0, 87، وبمقارنة تلك القيمة بالأخرى الجدولية عند مستوى ثقة 0, 05 ودرجة حرية 28 والبالغة 0, 374، نلاحظ أن القيمة المحسوبة أكبر من الجدولية، الأمر الذي يشير إلى أنه يوجد ارتباط ذو دلالة إحصائية بين نتائج التطبيقين، مما يؤكد استقرار إجابات العينة في الاختبارين على الرغم من اختلاف فترات التطبيق.

ب-معامل الفا كرونباخ للاتساق الداخلي

يؤدي هذا الأسلوب لمعامل اتساق داخلي لبنية المقياس (معامل التجانس). ووجد كرونباخ أنه مؤشر للتكافؤ (يمنح قيمًا تقديريةً جيدةً لمعامل التكافؤ)، إلى جانب الاتساق الداخلي والتجانس. فارتفاع قيمة معامل (a) يشير إلى ثبات درجات الاختبار (علام، 2002، ص165-166). ولأجل استخراج ثبات مقياس الأمل في الحياة بهذا الأسلوب، استُخدِمت معادلة الفاكرونباخ، ووجد أن معامل الثبات 83, 0.

وبناءً على ما اتفق عليه المختصون في ميدان القياس التربوي والنفسي من معايير، يُشار إلى ما يلي:

- يُعَدُّ معامل الثبات 0, 75 معاملًا عاليًا.
- معاملات الثبات المحصورة بين (0, 50 -0, 74) تكون مقبولة.
- معامل الثبات الأقل من 0, 49 يكون مرفوضًا (كوافحة، 2003، ص17).

وهذا يشير إلى الثبات العالي للمقياس.

صورة المقياس النهائية وطريقة تصحيحه

بعد سلسلة من الإجراءات المتعلقة بصدق وثبات أداة البحث، فظهر المقياس بصورته النهائية مكونًا من 21 فقرة في مجالين:

1- الأول (القوة) 11 فقرة.

2- الثاني (السبل) 10 فقرات.

ف - نظام التدرج وحساب درجاته.

تضمن المقياس ميزانًا رباعيًّا يحدد نظام تدرج إجابات المفحوصين على فقراته (دائمًا - أحيانًا- غالبًا - نادرًا)، وزع الباحث الدرجات على البدائل بالشكل التالي:

- البديل "دائمًا" يحصل على أربع درجات.
- البديل "أحيانًا" يحصل على ثلاث درجات.
- البديل "غالبا" يحصل على درجتين.
- البديل "نادرا" يحصل على درجة واحدة.

- فإن أعلى درجة يمكن للمستجيب الحصول عليها 84 درجة وأقل درجة 21 والمتوسط الفرضي 53.

الخاتمة:

توصلت نتائج البحث إلى أن أفراد العينة الطلاب فاقدي الوالدين لديهم أمل في الحياة، ويسعون لتحقيق أهدافهم وطموحاتهم، ويحاولون تجاوز ما يعيقهم من مصاعب متحدين كافة الظروف والمعوقات التي تقف في طريقهم، ولا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في الأمل في الحياة لدى فاقدي الوالدين وفق متغير الجنس ونوع الفقدان، وإن الذكور والإناث يمتلكون المستوى نفسه من الأمل في الحياة.

عرض النتائج ومناقشتها:

الهدف الأول: التعرف على الأمل في الحياة لدى فاقدي الوالدين

لتحقيق هذا الهدف طبق مقياس الأمل في الحياة الذي صُمِّم على عينة طلاب فاقدي الوالدين في المدارس الإعدادية ولقد حقق هذا الهدف من خلال الإجراء الآتي: بمعالجة البيانات بالطرق الإحصائية لأفراد العينة والبالغة 300 طالبةً وطالبًا من الطلاب فاقدي الوالدين ومن خلال البيانات المتجمعة، فإن الوسط الحسابي لأفراد عينة الدراسة على مقياس الأمل في الحياة 69, 41 والانحراف المعياري 6, 986 بينما الوسط الفرضي 52, 2، وجرت الاستعانة بمعالجة الاختبار التائي إحصائيًّا لعينة واحدة لاختبار دلالة الفروق بين المتوسطين فكانت القيمة التائية المحسوبة 41, 91 وبمقارنتها بالقيمة الجدولية عند مستوى دلالة 0, 05 ودرجة حرية 299 لاختبار ذي نهايتين والبالغة 1, 96 تبين أن القيمة التائية المحسوبة أكبر من الجدولية، أي أن أفراد العينة الدراسية الراهنة يتصفون بالأمل في الحياة حسب الجدول التالي.

جدول (10): الأمل في الحياة وحجم العينة وقيم المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوسط الفرضي والقيمة التائية المحسوبة والجدولية ومستوى الدلالة.

حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	القيمة التائية		مستوى دلالة الفروق
				المحسوبة	الجدولية	
300	41 ,69	986 ,6	2 ,52	91 ,41	96 ,1	دال عند مستوى 05 ,0

وتفسير ذلك أن الأمل في الحياة خبرة شائعة عند الإنسان، فكل فرد يحمل أملًا بتحقيق رغباته ليصنع المكانة التي يأملها لِذاته، ويأمل أن تصبح أمنياته واقعية وصحيحة ومقبولة اجتماعيًّا، ومع الأمل يصبح الفرد فاعلًا وأكثر حماسةً للحياة، وإن الإنسان الذي يمتلك طموحات وغايات يتمكن من أن يختار مصيره وأن يصبح أكثر فاعلية في سبيل بلوغ غاياته الأمر الذي يحقق له المكانة التي يريد.

ويعطي الباحث تفسيرًا لتلك النتيجة بأن الطلاب فاقدي الوالدين في المدارس الإعدادية من الشرائح الاجتماعية المهمة ذات الاتجاه الإيجابي المتفائل نحو المستقبل، وتمتلك أفكارًا وشعورًا يعكس إدراكهم بوجود أمور جيدة سوف تحدث، وكذلك لديهم ثقة بأن يكونوا ناجحين في حياتهم، وأن الطلبة فاقدي الوالدين متمسكون بالأمل ولديهم قوة داخلية تدفعهم إلى تحديد أهدافهم وطموحاتهم والسعي إلى تحقيقها، وأن لديهم توجهًا إيجابيًّا نحو الحياة ولديهم القدرة على استعادة توازنهم بعد التعرض للمحن والصعاب والإحباط واليأس، ويتوقعون الأفضل في رؤية أمورهم، كما يأملون خيرًا في تحسين ظروفهم نحو الأفضل، ولديهم القدرة على التغلب على صعوبات حياتهم، والقدرة والقوة لا تكونان إلا عن طريق الأمل في الحياة.

تلك النتيجة تتفق مع نتائج بعض البحوث، ومنها دراسة سنايدر (1994)، إذ أوضحت أن الأمل يؤدي دورًا مهمًّا في حياة الأفراد وينمي النجاح في حياتهم، وكذلك اتفقت هذه الدراسة مع دراسة حسانين (2020) واختلفت هذه الدراسة مع دراسة كاظم وطرار (2019).

الهدف الثاني: التعرف على الأمل في الحياة وفق متغير الجنس ونوع الفقدان (الأب – الأم)

لتحقيق هذا الهدف فقد عولجت البيانات عبر تحليل التباين الثنائي لمعرفة أثر هذه المتغيرات على الأمل في الحياة حسب الجدول التالي.

جدول (11): قيم تحليل التباين الثنائي للأمل في الحياة لدى فاقدي الوالدين على وفق متغيري (الجنس ونوع الفقدان)

مصدر التباين	مجموع المربعات S.S	درجة الحرية	متوسط المربعات M.S	النسبة الفائية F		مستوى الدلالة
				المحسوبة	الجدولية	
الجنس A	407 ,6	1	407 ,6	131 ,0		05 ,0 غير دال
نوع الفقدان B	667 ,32	1	667 ,32	669 ,0		
التفاعل A × B	327 ,76	1	327 ,76	563 ,1		

الخطأ	14452, 060	296	48, 825		3, 91	
الكلي	14594, 387	299				

القيمة الفائية الجدولية 3, 91 عند درجة حرية 1– 299 ومستوى دلالة 0, 05.

يتضح من الجول أعلاه ما يأتي:

أولًا: بمقارنة القيمة الفائية المحسوبة لمتغير الجنس (ذكور – إناث) وقيمتها 0, 131 بالقيمة الفائية الجدولية وقيمتها 3, 91 بدرجة حرية 299 وعند مستوى دلالة 0, 05، نلاحظ أن القيمة الجدولية أكبر من المحسوبة، الأمر الذي يشير إلى أنه لا توجد فروقات دالة إحصائيًا في الأمل في الحياة لدى الذكور والإناث الأمر الذي يؤكد صحة فرضية البحث.

وكذلك تشير هذه النتيجة إلى أن الذكور والإناث يتمتعون بالقدرات نفسها على امتلاك الأمل في الحياة، بخلاف نظرية سنايدر التي تشير إلى أن الذكور هم أكثر أملًا في الحياة من الإناث، نظرًا لأسلوبهم في الحياة الذي يفترض فيه القوة الدافعة للوصول إلى الأشياء، إذ إن الأدبيات التي تناولت الفروق بين الجنسين كانت تصف الذكور بخصائص وسيلية أداتية، في حين كانت الإناث تميل إلى الأمور التعبيرية العامة، وكانت الإناث أكثر عرضةً للضغوط النفسية.

ويفسر الباحث أن عدم وجود الفروق بين الذكور والإناث في الأمل في الحياة في هذه الدراسة قد يعود للتطور الحاصل في كل مجالات الحياة لأجل التغلب على صعوبات حياتهم والتوقع الدائم للنجاح في حياتهم، كما أنهم يأملون خيرًا في تحسين ظروف حياتهم نحو الأفضل، وكذلك احتضان المؤسسات للطالب فاقد الوالدين، وقد اتفقت هذه الدراسة مع دراسة ميشيل (1999) والتي لم تظهر أية فروق بين الجنسين واختلفت مع دراسة كاظم وطرار (2019) والتي بينت هناك فروقات بين الجنسين ولصالح الذكور.

ثانيًا: أنه لا توجد فروقات دالة إحصائيًا وفق متغير نوع الفقدان (الأب – الأم)، إذ بلغت القيمة الفائية المحسوبة 0, 669 وبمقارنتها بالقيمة الفائية الجدولية 3, 91 بدرجة حرية 1–299 وعند مستوى دلالة 0, 05، نلاحظ أن الجدولية كانت أكبر من المحسوبة، وهذا ما يؤكد صحة فرضية البحث.

وتشير هذه النتيجة أن فاقد الأب وفاقد الأم لديهم المستوى نفسه من الأمل في الحياة، ويرجع ذلك استنادًا لنظرية (سنايدر) إلى أن الأمل في الحياة استعداد أو تهيؤ معرفي موجه لتحقيق طموحات ورغبات الفرد.

ثالثًا: أنه لا توجد فروقات دالة إحصائيًا في الأمل في الحياة وفق تفاعل الجنس (ذكور – إناث) مع نوع الفقدان (الأب– الأم) إذ بلغت القيمة الفائية المحسوبة 1, 563 وهذه القيمة أقل من الجدولية 3, 91) عند مستوى دلالة 0, 05 ودرجة حرية 1–296. وتفسير ذلك أن الطلبة فاقدي الوالدين يمتلكون الأمل في الحياة وأن الأمل لا يتوقف على الجنس أو نوع الفقدان، مما يجعل امتلاكهم للأمل بمستوى واحد.

التوصيات:

- التركيز على الاهتمام بطموحات فاقدي الوالدين ورغباتهم.
- وضع برامج علمية وإرشادية لتنمية الأمل في الحياة وتعزيزه لديهم.
- تزويد الطلبة فاقدي الوالدين بالخبرات الإيجابية التي تعزز الأمل والتفاؤل لديهم.

المقترحات:

- إجراء دراسات مشابهة للبحث الحالي على شرائح أخرى ومراحل دراسية أخرى، للتوصل إلى نتائج أكثر تعمقًا، ومقارنة نتائجها بما توصلت إليه الدراسة الحالية من نتائج.
- إجراء دراسة مقارنة بين متغير الدراسة الحالية بين الطلبة فاقدي الوالدين والطلبة العاديين.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو زايدة، حاتم (2018): مناهج البحث العلمي، ط2.
- ارميا، ريموندا، اشعيا (2005): قلق فقدان الحب والرعاية وعلاقته بالتنشئة الأسرية لدى رياض الأطفال، جامعة بغداد.
- الازيرجاوي، فاضل محسن (1991): أسس علم النفس التربوي، الموصل، جامعة الموصل.
- الأسدي، سعيد جاسم (2008): أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الإنسانية والتربوية والاجتماعية، مؤسسة وارث، ط1، البصرة.
- الأعسر، صفاء وآخرون (2005) السعادة الحقيقية، دار العين للنشر.
- بنهام، شوقي يوسف (2005): قياس مستوى الأمل لدى عينة من طلبة كلية التربية، مجلة شئون اجتماعية المجلد 87، العدد 22، ص80.
- الجلبي، سوسن شاكر مجيد (2005): أساسيات بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية مؤسسة علاء الدين، ط1، دمشق.
- جودة، آمال (2015): الأمل قوة أساسية في حياة الإنسان يصعب العيش بدونه. دنيا الوطن https: //pulpit.alwatanvoice.com/content/print/375142.html.
- حجازي، مصطفى (2012): إطلاق طاقات الحياة، قراءات في علم النفس الإيجابي، ط1، التنوير.
- ديغم، عبد الحسن، (2004): الأمل النظرية والعلاج، الفاروق الحديثة، القاهرة.
- الرازي، محمد (1976): مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ربيع، محمد شحاتة (2011): قياس الشخصية، ط3، دار المسيرة.
- رضا، أحمد (1958): معجم متن اللغة، المجلد الأول، مكتبة الحياة، بيروت.
- الزوبعي، عبد الجليل ابراهيم والكناني، إبراهيم وبكر، محمد إلياس (1984): الاختبارات والمقاييس النفسية، جامعة الموصل، العراق.
- صالح، عايدة شعبان والسميري، نجاح عواد (2008): قلق الانفصال وعلاقته بالثقة بالنفس لدى الأطفال المحرومين من الأب بمحافظة غزة، كلية التربية، جامعة الأقصى.

- صالح، قاسم حسين (1987): الإنسان من هو، بغداد: دائرة الشؤون الثقافية.
- الصالحي، ميادة عبد الحسن (2005) الأمل وتحقيق الأهداف وعلاقتها بالمكانة النفسية والاجتماعية لدى طلبة الجامعة، جامعة بغداد.
- العارضي، إحسان والموسوي، عباس (2013): مستوى الأمل لدى طالبات الجامعة، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، 7 (12)، 162-192.
- عبد الخالق، أحمد (2004): الصيغة العربية لمقياس سنايدر للأمل، مجلة دراسات نفسية المجلد (14) العدد (2) 183-192.
- عبد الرحمن سعد. (1998): القياس النفسي النظرية والتطبيق، القاهرة: دار الفكر العربي.
- العزاوي، رحيم يونس، (2008): مقدمة في مناهج البحث العلمي الطبعة الأولى، عمان، دار دجلة للطباعة والنشر.
- علَّام، صلاح الدين محمود (2002): القياس والتقويم التربوي والنفسي، القاهرة، دار الفكر العربي.
- عودة وملكاوي، أحمد سليمان وفتحي حسن (1992): أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، ط2، الأردن.
- عودة، أحمد (2005): القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط3، دار الأمل، الأردن.
- عوض، عباس محمود (1998): القياس النفسي بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، مصر.
- فان دالين (1985): مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- فرج، صفوت. (1980): القياس النفسي، القاهرة، دار الفكر.
- القاسم، موضي (2011): الذكاء الوجداني وعلاقته بكل من السعادة والأمل لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى، جامعة أم القرى، السعودية.
- الكبيسي، وهيب مجيد (2010): القياس النفسي بين التنظير والتطبيق، ط1، العالمية المتحدة، لبنان.
- كوافحة، تيسير مفلح (2003)، القياس والتقويم، ط1، دار الميسرة، الأردن.

- المحمودي، محمد سرحان علي (2019) مناهج البحث العلمي، ط2، صنعاء، دار الكتب.
- مطلك، فاطمة عباس (2007): مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد العدد (78).
- معمرية، بشير (2011): تقنين استبيان لقياس الأمل (قياس الأهداف) على البيئة الجزائرية، مجلة شبكة العلوم النفسية والعربية، الجزائر، 29-30.
- ملحم، سامي محمد (2009): القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، عمان، دار المسيرة.
- النعيمي، محمد عبد العال والبياتي، عبد الجبار توفيق وخليفة، غازي جمال (2015): طرق ومناهج البحث العلمي، عمان، الوراق.
- اليعقوبي، حيدر (2013): التقويم والقياس النفسي في العلوم التربوية والنفسية رؤيا تطبيقية، ط1، دار الكفيل، كربلاء.
- Anastasi , A & Urbina, Susana (1976) Psychological Testing, New Jersey, Prentice Hall.
- Cheavens, J.S., Feldman, D.B., Woodward, J.T., & Snyder, C.R., (2006). Hope in cognitive psychotherapies on working with client strengths. Journal of cognitive psychotherapy an International Quarterly, Vol 20, No, PP 135145.
- Eble, R (1972). Essentials of Educational Measurement, New Jersey Prentice Hall inc.
- Irving, L. etal., (1998).Hope and coping with cancer by college woman. Journal of personality vol. (66), No. (2).
- Jones, G. (2015). The Journey of Hope on the Road to Resilience: Former Residents' Experiences in Child Care Facilities. Doctoral dissertation, University of Windsor.
- Nunnally, J.C. (1978): introduction to psychologyicalMeasurment.
- Schier M. & carver, C. (2000). Adapting to cancer The importance of Hope and purpose.U.S.A

- Snyder & etal., (2002): Hope; Gognitive psychology vol.(5) Issue;(5), Academic Search Priemer.
- Snyder, C.R., (1994).The psychology of hope: you can get there from here, New York: Free press.
- Snyder, C.R., Feldman, D. B., Taylor, J.D., Schraeder, L.L., &Adams, (2000).The roles of hopeful thinking in preventing problems and promoting strengths, Applied and preventive psychology: current scientific perspectives, 15, 262-295.

آثار التهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية

The effects of tax evasion on the Palestinian public treasury

هاني زياد دراوشة: باحث دكتوراة في الاقتصاد، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة القاضي عياض، المملكة المغربية

Hani Zeyad Darawsha: PhD researcher in economics, Faculty of Legal, Economic and Social Sciences Marrakesh, Cadi Ayyad University – Kingdom of Morocco

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم التهرب الضريبي، والتعرف على حجم التهرب الضريبي في فلسطين، ومناقشة الآثار السلبية للتهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية وعلى الاقتصاد الفلسطيني، وتقديم التوصيات والحلول لمعالجة ظاهرة التهرب الضريبي والتخفيف من آثارها السلبية. وتوصلت الدراسة إلى أن التهرب الضريبي يؤدي إلى الإضرار بالخزينة العامة الفلسطينية يتمثل في ضياع جزءًا هامًا من الموارد المالية، وبالتالي أعاقة الحكومة الفلسطينية عن إنجاز معظم برامجها التنموية ونفقاتها في مختلف الميادين، بالإضافة إلى أن التهرب الضريبي الحكومة الفلسطينية يدفع نحو اللجوء إلى التمويل الخارجي وبالتالي زيادة الدين العام بشقية الداخلي والخارجي. وأوصت الدراسة بوضع خطة عمل متكاملة من قبل الحكومة لمعالجة ظاهرة التهرب الضريبي من كافة النواحي التشريعية والمؤسساتية من خلال تشكيل فريق فني يتابع تنفيذ الخطة أخذا بعين الاعتبار ضرورة التسريع في تحديث وتعديل القوانين الضريبية والقوانين ذات الصلة.

الكلمات المفتاحية: تهرب ضريبي، خزينة عامة فلسطينية، عبء ضريبي، إيرادات ضريبية، اقتصاد فلسطيني.

Abstract:

The study aimed to identify the concept of tax evasion, identify the extent of tax evasion in Palestine, discuss the negative effects of tax evasion on the Palestinian public treasury and the Palestinian economy, and provide recommendations and solutions to address the phenomenon of tax evasion and mitigate its negative effects. The study concluded that tax evasion leads to harming the Palestinian public treasury by wasting a significant part of the financial resources, and thus hindering the Palestinian government from completing most of its development programs and expenditures in various fields, in addition to that tax evasion pushes the Palestinian government to resort to external financing and thus increase Public debt, both internal and external. The study recommended the development of an integrated action plan by the government to address the phenomenon of tax evasion from all legislative and institutional aspects by forming a technical team to follow up on the implementation of the plan, taking into account the need to speed up the updating and amendment of tax laws and related laws.

Keywords: tax evasion, Palestinian public treasury, tax burden, tax revenues, Palestinian economy.

أولاً: الإطار المنهجي للدراسة

1. المقدمة

يعتبر التهرب الضريبي من أبرز المعوقات التي تحول دون تطور الاقتصاد، بسبب تراجع الإيرادات الضريبية والذي يؤدي بدوره إلى تراجع النفقات العامة، ما يؤدي في المحصلة النهائية إلى سوء الأوضاع والأحوال الاقتصادية، والأضرار المباشر بالخزينة العامة، وهذا يؤثر سلباً على أداء واجبات الدولة، وإعاقتها عن أداء مهامها، وعدم قدرتها أيضًا على تحقيق الأهداف التنموية التي قد رسمت لها، بسبب فقدان الخزينة العامة للموارد التي كان يجب الحصول عليها.

ونظرًا لخصوصية الاقتصاد الفلسطيني تشكل الضرائب رافداً أساسياً للموازنة العامة الفلسطينية، ومكوناً رئيسياً من مكونات التنمية الاقتصادية، وعنصراً فاعلاً لا يمكن الاستغناء عنه عند التخطيط للمشاريع التنموية المستقبلية. وحيث أن الإيرادات يجب أن تكون متواصلة وتصل أولاً بأول إلى الخزينة العامة، خاصة وأن فلسطين تفتقد السيادة على أراضيها ومواردها، وعليه فإن أي انقطاع أو نقص في هذه الإيرادات يؤثر سلباً على سير الخطط والمشاريع التنموية والاقتصادية، والتي تمكن الإنسان الفلسطيني من العيش على أرضه، حيث لا تستطيع الدولة مواجهة نفقاتها والنهوض بمسؤولياتها تجاه مواطنيها، مما يقوض مقومات صمود الفلسطينيين على أرضهم.

2. تحديد المشكلة:

تعاني دولة فلسطين من عجز مزمن في الموازنة العامة منذ نشأة السلطة الوطنية الفلسطينية في العام 1994م، وذلك بسبب تراجع أو تباطؤ نمو الإيرادات العامة، والتي من بينها الإيرادات الضريبية، التي تتأثر بشكل أو بآخر بانتشار ظاهرة التهرب الضريبي، وبناءً عليه تطرح الدراسة تساؤلًا رئيسيًا يتمثل فيما يلي:

ما هي آثار التهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية؟

وينبثق عن التساؤل الرئيس عدة أسئلة فرعية، وهي:

- ما هو الاطار المفاهيمي للتهرب الضريبي؟
- ما هو حجم التهرب الضريبي في فلسطين؟
- ما هي آثار التهرب الضريبي في فلسطين؟

3. أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع الذي تتناوله تحليل ودراسة آثار التهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية إضافة إلى انعكاس هذه الآثار على الاقتصاد الفلسطيني.

4. أهداف الدراسة:

تحاول الدراسة تحقيق عدة أهداف، وهي:

- تأصيل الاطار المفاهيمي للتهرب الضريبي.
- التعرف على حجم التهرب الضريبي في فلسطين.
- تحليل ودراسة آثار التهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية وانعكاس هذه الآثار على الاقتصاد الفلسطيني.
- اقتراح توصيات من شأنها معالجة ظاهرة التهرب الضريبي والتخفيف من آثارها السلبية.

5. منهجية الدراسة:

بناءً على تساؤلات الدراسة وأهدافها، تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التّحليلي في تحديد ظواهر الدراسة ومتغيّراتها، ومن ثمّ تحليل هذه الظواهر، لتفسير مفرزاتها تساعد في تحليل آثار التهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية وانعكاس هذه الاثار على الاقتصاد الفلسطيني، وذلك بالاستناد إلى أدبيات الدراسة ذات العلاقة والواردة في قائمة المراجع.

6. مجالات الدراسة:

المجال الزمني: تتناول الدراسة الفترة الزمنية (2000 – 2021)

المجال المكاني: تحدّد المجال المكاني للدراسة داخل حدود الدولة الفلسطينيّة، وتحديداً مناطق الضفة الغربيّة وقطاع غزة دون القدس.

المجال الموضوعي: يختص مجال الدراسة الموضوعي في الاقتصاد الفلسطيني وتحديدًا مجال المالية العامة.

7. الدراسات السابقة:

- **دراسة (العمور، 2007):**

هدفت الدراسة إلى معرفة أسباب التهرب من ضريبة الدخل في قطاع غزة وطرائق الحد منه لما له من أثر سلبي على إيرادات السلطة الوطنية الفلسطينية وانعكاسه على الموازنة العامة الفلسطينية بزيادة العجز في الموازنة وما يترتب على ذلك من محاولة لسد هذا العجز عن طريق اللجوء للاقتراض من البنوك المحلية أو من مؤسسات الإقراض الدولية وما يترتب على ذلك من تحمل السلطة الوطنية لفوائد هذه القروض وكذلك التدخل في سياسة المالية للسلطة الوطنية في حالة الاقتراض من المؤسسات الدولية. وتوصلت الدراسة إلى أن عدم توفر الاستقرار السياسي والأمني في قطاع غزة ساهم في انتشار التهرب من ضريبة الدخل، إضافة إلى أن عدم وجود سيادة كاملة للسلطة الوطنية

الفلسطينية على أراضيها أدى إلى زيادة التهرب من ضريبة الدخل، وكذلك عدم توفر الشفافية في الإنفاق العام أدى إلى زيادة التهرب من ضريبة الدخل في قطاع غزة.

- **دراسة (مراد، 2010):**

هدفت الدراسة إلى إبراز عوامل الظهور التهرب الضريبي ومختلف آثارها على الاقتصاد الوطني، وتقديم بعض الاقتراحات التي تساعد أصحاب القرار لاتخاذها كإجراءات لمكافحة التهرب الضريبي. وأظهرت نتائج الدراسة أن التهرب الضريبي هي ظاهرة اجتماعية خطيرة تضر الاقتصاد الوطني، ولا تسمح للدول تنفيذ سياساتها المالية وتحقيق أهدافها التنموية، ونظرًا للانعكاسات السلبية المتعددة التي تترتب عن التهرب الضريبي فإن مختلف الأنظمة الضريبية تعمل على مكافحة هذه الظاهرة بشتى الوسائل المتاحة.

- **دراسة (الفلاحات وزيدان، 2014):**

هدفت الدراسة الى توضيح آثار التهرب الضريبي على التنمية المستدامة في المملكة الأردنية، في شتى المجالات(الصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكذلك الأمنية). وبينت الدراسة مدى إدراك الأردن لخطورة التهرب الضريبي، وبات هذا الادراك جزء من ثقافة الشعب الأردني وكافة شرائح المجتمع، إضافة إلى الجهات المختصة في هذا المجال وبخاصة دائرة ضريبة الدخل والمبيعات، ومدققي الحسابات، كما بينت الاسباب التي تكمن وراء ذلك هو أن تأثير التهرب الضريبي يطال الشعب والمجتمع على حد سواء، ويمس احتياجاتهم الأساسية.

- **دراسة (بن كردة، 2017):**

هدفت الدراسة إلى قياس حجم التهرب الضريبي ومدى تأثيره، وإبراز أهم الإجراءات والوسائل المتخذة لمكافحته. وتوصلت الدراسة إلى أن التهرب الضريبي يؤدي إلى إضعاف وفرة الحصيلة الضريبية و بالتالي إهدار جانب كبير من الموارد المالية للخزينة العامة، وهو ما يتعارض مع مسار التنمية الاقتصادية، الأمر الذي يتطلب مكافحته، نتيجة للانعكاسات السلبية التي تترتب عنه والتي من بينها حرمان الخزينة العامة من مبالغ كبيرة مما يؤثر سلبًا على تحقيق التنمية الاقتصادية.

8. هيكليّة الدراسة:

تمّ تقسيم الدراسة إلى خمسة أقسام، يتضمن القسم الأوّل الاطار المنهجي للدراسة، ويتناول القسم الثاني مدخل مفاهيمي للتهرب الضريبي، بينما يستعرض القسم الثالث حجم التهرب الضريبي في فلسطين، والقسم الرابع خصص لمناقشة الاثار المترتبة عن تفشي ظاهرة التهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية وعلى الاقتصاد الفلسطيني، وتنتهي الدراسة بالقسم الخامس الذي يتضمن

أهم النتائج التي تم التوصل اليها وتقديم التوصيات والحلول التي من شأنها معالجة ظاهرة التهرب الضريبي والتخفيف من آثارها السلبية.

ثانياً: مدخل مفاهيمي في التهرب الضريبي

1. مفهوم التهرب الضريبي

بالرغم أن الأدبيات والدراسات المالية ذات العلاقة تناولت عدة تعريفات للتهرب الضريبي، إلا أن علم المالية العامة، يعرف التهرب الضريبي بأنه "عدم دفع الضرائب أو دفع الضرائب بشكل منقوص واحتيالي وغير قانوني. وعادةً ما ينطوي التهرب الضريبي على الإيرادات غير المعلنة والوثائق المزوَّرة، وبشكل عام يتم المعاقبة على ذلك بموجب القانون الجنائي" (عبد الكريم وجابر، 2018).

ويوجد أشكال متنوعة وطرق مختلفة للتهرب الضريبي تهدف كلها إلى إخفاء متعمد للوضع الحقيقي للمكلف الضريبي تجاه السلطات الضريبية لتقليل قيمة الضرائب المستحقة، في حين أن الدراسة التي أصدرها (مرصد السياسات الاجتماعية والاقتصادية، 2014) تعرف التهرب من الضريبة بانه يعني "تمكن المكلف من التخلص كلياً أو جزئياً من تأدية الضريبة المتوجبة عليه. وعادة يترافق التهرب (غير المشروع) في محاولة المكلف الإفلات من تأدية الضريبة المستحقة عليه عبر ممارسة الغش و/ أو التزوير و/أو مخالفة الأحكام القانونية".

2. حجم التهرب الضريبي في فلسطين

يتضح من خلال مراجعة الأدبيات والدراسات ذات العلاقة، بأنه لم يتم تحديد دقيق لحجم التهرب الضريبي في فلسطين، فبينما قدّرت دراسة (المجلس الفلسطيني للتنمية والاعمار – بكدار، 2015) أن حجم التهرب الضريبي بين 30 – 40 % من مجمل الإيرادات الضريبية، وكذلك قدرت دراسة أعدتها مؤسسة مفتاح عام 2011 حجم التهرب الضريبي بحوالي 37 % من مجموع الإيرادات (عبد الكريم، 2015)، أما دراسة (الائتلاف من أجل النزاهة والمسائلة – أمان، 2011) " بيئة النزاهة في تحصيل الضرائب والرسوم الجمركية" فقد خلصت إلى أن نسبة التهرب الضريبي قد تصل إلى 65 %، في حين تقدر نسبة التهرب الجمركي بحوالي 30 % طبقًا لانطباع كل من الإدارة العامة لضريبة الدخل، والإدارة العامة لضريبة الأملاك، والإدارة العامة لضريبة القيمة المضافة.

ويعود تذبذب نسب وحجم التهرب الضريبي في فلسطين، إلى أن الأراضي الفلسطينية منذ نشأة السلطة الفلسطينية وحتى وقتنا الراهن ما زالت تشهد مجموعة من التطورات السياسية والاقتصادية وهذه التطورات لها تداعياتها المباشرة وغير المباشرة على الوضع المالي للخزينة العامة الفلسطينية

فمنذ قيام السلطة الفلسطينية عام 1993م والحكومات الفلسطينية المتعاقبة تتعرض لنكسات متتابعة ومتتالية فهناك احداث النفق عام 1996م ثم الانتفاضة الثانية عام 2000م واجتياحات المدن الفلسطينية من قبل اسرائيل في عام 2002م والحروب الإسرائيلية على قطاع غزة في الأعوام 2008، 2012، 2014، 2019م، كل هذه الأحداث ساعدت في ضعف وهشاشة الوضع المالي والاقتصادي وكذلك الالتزام بالضرائب وأدائها (سلطة النقد الفلسطينية، 2014).

ثالثاً: آثار التهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية

يتفق جميع الاقتصاديين على أن التهرب الضريبي يتسبب في نزيف مالي حاد للخزينة العامة يؤثر على عمليات الإنتاج والتجارة، فالتهرب الضريبي يسمح للمنتج بأن يقوم بتخفيض سعر التكلفة، وبيع منتجاته بسعر منخفض أو بأقل من سعر التكلفة مقارنة بأسعار منافسيه، دون أن تتأثر أرباحه، كما يساعده على تحقيق حصة سوقية أكبر من المنتجين الآخرين، وذلك عن طريق منحه معدلات خصم أكبر من التي يمنحها التجار والمنتجين الآخرين، أو زيادة كمية الإنتاج وتحسين نوعيته، مقارنة بالمنتجين الذين يلتزمون بدفع التزاماتهم الضريبية، حيث تزداد عليهم الأعباء الضريبية (قاري، 2011).

وتتجلى آثار الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية في ضياع الأموال والإيرادات على الخزينة، تلك الأموال التي تعيق الحكومة الفلسطينية عن إنجاز معظم برامجها التنموية ونفقاتها في مختلف الميادين، حيث لا يمكن أن نتصور كيف تقوم الحكومة الفلسطينية بأداء مهامها بدون موارد تمويلية، وكما هو معلوم فإن قوة أي حكومة تقاس بحجم مواردها المالية، وهذه الموارد تمثل الإيرادات الضريبية فيها النسبة الأكبر، وهو الأمر الذي دفع الحكومات الفلسطينية المتعاقبة لإخضاع الإيرادات الضريبية لنظام فعال يحميها من كل محاولات التهرب الضريبي، الذي يضيع على الخزينة العامة الكثير من الأموال، ويتسبب في ارتفاع حجم الدين بشقيه الداخلي والخارجي.

في هذا الإطار يناقش هذا البحث آثار التهرب الضريبي على الخزينة العامة الفلسطينية وانعكاس هذه الاثار على الاقتصاد الفلسطيني، وذلك على النحو التالي:

1. زيادة الدين العام:

منذ قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، أخذت على عاتقها إرساء دعائم الاقتصاد الوطني، والتخفيف من حدة الاختلالات الهيكلية التي يعاني منها الاقتصاد الفلسطيني نتيجة الاحتلال الإسرائيلي، واعتمدت في ذلك على المنح والمساعدات المالية الخارجية، وبعدها أخذت تبحث عن مصادر تمويل داخلية ومن ضمن هذه المصادر الضرائب (أبو عيدة، 2012) لذلك عندما تنخفض حصيلة الضرائب نتيجة التهرب الضريبي، وتفقد الخزينة العامة جزءاً من مواردها المالية، تلجأ

الحكومة الفلسطينية لمواجهة العجز المالي إلى الاقتراض سواء من مصادر محلية (داخلية)، أو دولية (خارجية) (أبو عيدة، 2012). وقد تكون عمليات الاقتراض الداخلية والخارجية فعالة في المدى القصير، بسبب فعالية السياسات المالية التي تتخذها الدولة، ولكن لا تكون كذلك في المدى الطويل بسبب زيادة الدين العام، حيث تخفض معدلات النمو وتلغي الآثار الإيجابية للحافز المالي كلياً أو جزئياً (Panizza& Presbitero, 2012).

ويؤثر تراكم الدين العام الداخلي والخارجي على أداء الدولة المالي ومدى فاعلية السياسات النقدية والمالية للدولة، وكذلك يؤثر على جميع المؤشرات الاقتصادية الأخرى كالاستثمار الخاص والادخار والإنتاجية الكلية، مما يشكل عائقاً أمام النمو الاقتصادي، فالدين العام يتسبب في زيادة أسعار الفائدة، وبالتالي تزداد مدفوعات خدمة الدين العام، وفي هذه الحالة يتم الوفاء بهذا الدين إما على حساب النفقات التطويرية في الموازنة العامة للدولة، فينخفض حجمها، أو يتم من خلال زيادة الضرائب، مما يؤدي إلى حدوث خلل في النظام الاقتصادي للدولة، ويؤثر سلباً على عرض العمل ورأس المال والإنتاجية، وهذا بدوره ينعكس سلباً على النمو الاقتصادي (الهنداوي، 2017).

وتشير الإحصاءات الواردة في الجدول رقم (1) أن حجم الدين العام في فلسطين شهد تطورات كبيرة خلال الفترة 2000 – 2021، حيث ازداد حجم الدين العام من 863 مليون دولار عام 2000، إلى 3848.1 مليون دولار عام 2021، محققاً بالمتوسط زيادة سنوية قدرها 8.1%. وأظهرت الإحصاءات أن حجم الدين العام في فلسطين تزايد لمستوى حرج، بلغ حوالي 39% من إجمالي الناتج المحلي نهاية عام 2014، وهذه النسبة تدق ناقوس الخطر لاقترابها من الحد الأعلى المسموح به وهو 40% حسب ما ورد في قانون الدين العام الفلسطيني رقم (24) لسنة 2005 (حلس وعيسى، 2016).

جدول رقم (1): حجم الدين العام في فلسطين (2000 – 2021)

السنة	إجمالي الدّين العام	معدّل النموّ %	الدّين العام الخارجي	معدّل النموّ %	نسبة الدّين الخارجي إلى إجمالي الدّين %	الدّين العام الداخلي	معدّل النموّ %	نسبة الدّين الداخلي إلى إجمالي الدّين %
2000	863.0		520.1		60.3	342.8		39.7
2001	872.6	1.1	559.7	7.6	64.1	312.9	-8.7	35.9
2002	749.1	-14.2	597.2	6.7	79.7	151.9	-51.5	20.3
2003	849.7	13.4	611.0	2.3	71.9	238.7	57.2	28.1
2004	1002.2	17.9	611.0	0.0	61.0	391.2	63.9	39.0
2005	1196.9	19.4	624.3	2.2	52.2	572.6	46.4	47.8
2006	1092.0	-8.8	629.4	0.8	57.6	462.6	-19.2	42.4
2007	1451.4	32.9	1034.4	64.4	71.3	417.0	-9.9	28.7
2008	1557.4	7.3	1034.4	0.0	66.4	523.1	25.4	33.6
2009	1736.1	11.5	1086.9	5.1	62.6	649.2	24.1	37.4
2010	1882.8	8.4	1043.3	-4.0	55.4	839.6	29.3	44.6

49.6	30.9	1098.6	50.4	6.8	1114.3	17.5	2212.9	**2011**
55.8	26.0	1384.7	44.2	-1.5	1097.9	12.2	2482.6	**2012**
53.3	-8.5	1267.6	46.7	1.0	1108.7	-4.3	2376.3	**2013**
50.9	-11.0	1128.0	49.1	-1.8	1088.9	-6.7	2216.9	**2014**
57.8	30.0	1466.5	42.2	-1.7	1070.8	14.5	2537.3	**2015**
58.0	-1.8	1439.8	42.0	-2.5	1043.9	-2.1	2483.7	**2016**
59.0	4.3	1501.1	41.0	-0.2	1041.9	2.4	2543.0	**2017**
56.5	-10.9	1337.8	43.5	-1.0	1031.7	-6.8	2369.5	**2018**
56.4	17.9	1577.2	43.6	18.1	1218.0	18.0	2795.2	**2019**
63.7	47.4	2324.6	36.3	8.8	1324.6	30.6	3649.2	**2020**
65.7	8.8	2528.5	34.3	-0.4	1319.6	5.5	3848.1	**2021**

المصدر:

- سلطة النقد الفلسطينية (2022). البيانات السنوية: الدين الخارجي والداخلي على الحكومة الفلسطينية، رام الله – فلسطين.
- المبالغ بالمليون دولار.
- النسب إعداد الباحث.

إن الزيادة الكبيرة لرصيد الدين التراكمي خلال الفترة (2000 – 2021) كان سببها ضعف الموارد المالية المحلية، وتزايد الضغوط الإنفاقية على الخزينة لتوفير الحد الأدنى من الاحتياجات الأساسية للمواطنين، وتأمين النفقات الطارئة وتمويل العجز الحاصل في الموازنة، ولعل المعضلة الحقيقية التي أدت إلى تفاقم مشكلة الدين العام، وأوقعت الاقتصاد الفلسطيني في حلقة الدين المفرغة، هي توجيه هذه القروض لتغطية العجز في الموازنة الجارية، بدلا من توجيهها في تمويل مشاريع استثمارية وإنتاجية من شأنها زيادة الإيرادات في المدى المتوسط والبعيد (حلس وعيسى، 2016).

ومن العوامل المهمة والرئيسية في زيادة الدين العام في دولة فلسطين التهرب الضريبي الناتج عن التزوير والتلاعب في فواتير المقاصة بين الجانب الفلسطيني والجانب الإسرائيلي، وهذا يشمل تداول فواتير مقاصة غير أصلية (مزورة) بين التجار، أو التلاعب في قيمة البضاعة للتقليل من حجم الضريبة، أو الإتجار بفواتير مقاصة لصفقات تجارية وهمية، وهو الأكثر شيوعاً في القضايا الضريبية، حيث يتم بيع فواتير المقاصة لصفقات وهمية لشركات وجهات إسرائيلية مقابل نسبة مئوية تتراوح ما بين 3% – 7%، بهدف خصم قيمة المدخلات المدرجة في فواتير الصفقات الوهمية من الضريبة، وبالتالي يستفيد التاجر المشتري للفاتورة برفع نسبة الربح، لأن الخصم في المدخلات يصبح كبيراً، ويحصل البائع على السيولة النقدية دون وجود صفقة حقيقية، وبالتالي تضيع هذه الإيرادات والأموال على الخزينة العامة الفلسطينية، لأن إسرائيل لا تدفع قيمة هذه الفواتير إلى الحكومة الفلسطينية، وتصبح مسؤولية تحصيلها عبء على الحكومة (مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية – الأونكتاد، 2014).

2. زيادة العبء الضريبي

يقصد بالعبء الضريبي الدخل الخاضع للضريبة، وحسب القانون الأردني رقم 25 لسنة 1964 المطبق في فلسطين منذ سنة 1967، قد تناول الدخل الخاضع للضريبة وفقاً لنظرية المصدر في الدرجة الأولى، وعلى أساس الضريبة الموحدة وعلى مجموع الدخول المتحققة، حيث تم الحساب عليها ضمن وعاء واحد، فقد نصت المادة (5) على أن الضريبة تفرض على دخل يتحقق من تجارة أو مهنة أو حرفة (عسكر، 2006).

وهناك مشاكل كثيرة تثور عند فرض الضريبة لا تتوقف عند الأحكام القانونية والفنية لها، فالضريبة بالنتيجة النهائية تمثل عبئاً على الخاضع لها، إذ أن فرضها يعني اقتطاع جزء من دخل الخاضع لصالح خزينة الدولة، وهذا الإجراء بحد ذاته له تأثير على سلوك الخاضع تجاه الضريبة، حيث يسعى جاهداً وفي أغلب الأحيان للتخلص من عبء الضريبة سواء بالانعكاس الضريبي، وهو نقل عبء الضريبة بعد تقديرها وتحصيلها منه إلى شخص آخر، أو بالتهرب من الضريبة وعدم دفعها كلياً أو جزئياً، وذلك باستغلال الثغرات الموجودة في أحكام القوانين الضريبية أو باستعمال طرق الغش والاحتيال. وبأي حال فإن التخلص من عبء الضريبة سوف يؤثر سلبًا على عدالة النظام الضريبي، حيث يدفع بعض الخاضعين للضريبة بصورة صحيحة وفقاً لأحكام القوانين الضريبية، بينما يعمد البعض الآخر إلى نقل عبئها إلى الغير، أو التهرب من دفعها، فتنعدم المساواة بين الخاضعين، وتغيب العدالة الضريبية بالإضافة إلى المساس بحصيلة الضريبة (خصاونة، 2010).

هذا وتختلف ظاهرة نقل عبء الضريبة كلياً عن ظاهرة التهرب الضريبي، فنقل العبء الضريبي تحصل بعد أن يكون الخاضع قد أدى التزاماته الضريبة وقام بسدادها للإدارة الضريبة، إذ يعمد إلى التخلص من العبء الضريبي بنقله للغير، وهذا لا يعني ضياع حق الخزانة العامة للدولة، وإنما فقط عملية توزيع للعبء بين متحمليه، في حين ظاهرة التهرب الضريبي تعني امتناع الخاضع عن دفعها للإدارة الضريبية رغم استحقاقها، ويتضمن ذلك المخالفة الصريحة للقانون بسبب التحايل، وفي هذه الحالة تفقد الخزينة العامة للدولة حق من حقوقها (صادق، 1970).

ومن الواضح أن هناك علاقة ملموسة بين مبلغ الضريبة الذي يدفعه الخاضع وبين احتمال التهرب منها وعبئها، إذ كلما زاد العبء الضريبي كلما زاد احتمال تهرب الخاضع من الالتزام بها، وعلى العكس من ذلك، فعندما ينخفض العبء الضريبي وكان مناسباً للمقدرة التكليفية للخاضعين، كلما انخفضت أو قلت احتمالية التهرب من دفع الضريبة.

لذلك يجب على الدولة عند فرض الضرائب بجميع أنواعها أن تراعي المقدرة التكليفية للخاضعين، بمعنى أن تنظر إلى مستوى الدخل ومعيشة الأفراد والأرباح المحتملة عند تحديدها للمعدلات الضريبية، فعندما يكون مستوى المعيشة منخفض يجب أن يكون هناك معدل ضريبي أيضاً منخفض، وعلى العكس من ذلك، تستطيع الدولة أن تفرض على الدخول المرتفعة معدل ضريبي مرتفع، آخذة بعين الاعتبار تحقيق العدالة والمساواة وتقليل الفجوة بين طبقات المجتمع (قاسم، 2003).

ومن العوامل التي تؤثر في نقل العبء الضريبي هي الضريبة نفسها، حيث أنه كلما كان معدل الضريبة معتدلاً وخفيفاً على الخاضع للضريبة، فإنه بذلك يقلل من عبئها واستقرارها على الخاضع قانوناً، أما إذا كان مرتفعاً فيكون العبء أيضاً مرتفعاً، وهنا سيحاول الخاضع نقل هذا العبء أو جزءاً منه إلى الآخرين (هويدي، 1983). وعند ازدياد نسبة التهرب الضريبي في الدولة وتفشيها فإن العبء الضريبي يزداد على حساب قطاعات أخرى، وعندها قد تفشل الحكومة في تحمل عبء الضرائب، وخاصة من الشركات ويتم نسب هذه الأعباء إلى مجموع دافعي الضرائب (Desai, 2007).

ومن المتوقع أن يزداد العبء الضريبي عند انخفاض الناتج المحلي للدولة وارتفاع الإيرادات الضريبية التي يتم تحصيلها من قبل الخاضعين، كما تسهم قدرة الإدارة الضريبية والجهاز التنفيذي، وتوازن التشريعات الضريبية وعدالتها في الحد من عمليات التهرب الضريبي، وتحقيق مستويات افضل من الشمولية في فرض الضرائب، وهذا يؤدي إلى زيادة حصيلة الضرائب. وكذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار قدرة الخاضعين على تحمل العبء الضريبي، وهذا يسمى بالطاقة الضريبية، حيث تعرف بأنها الحد الأقصى من الإيرادات التي يمكن تحصيلها على شكل ضرائب، مع الاهتمام بحجم الناتج المحلي الإجمالي، وهيكلية ومقدار النفقات العامة والمستوى المعيشي للأفراد، أي مراعاة قدرة الإفراد على دفع الضرائب، وقدرة الحكومة على جمعها وتحصيلها، بمعنى أن الطاقة الضريبية تمثل العبء الضريبي الأمثل الذي يجمع ويوفق بين حاجة الحكومة للأموال الضريبية لتغطية النفقات العامة، وقدرتها على تحصيل وجباية تلك الأموال والإيرادات من جهة، ومن جهة أخرى قدرة الخاضع على دفع الضرائب ومقدرته على تحمل عبئها (عبد الكريم، 2015).

جدول رقم (2): العبء الضريبي في فلسطين (2000 – 2021)

السنة	الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية	الإيرادات الضريبية	العبء الضريبي (%)
2000	4,313.60	241	5.6
2001	4,003.70	183	4.6
2002	3,555.80	141	4.0
2003	3,968.00	167	4.2
2004	4,603.10	191	4.1
2005	5,125.70	231	4.5
2006	5,348.30	221	4.1
2007	5,815.70	202	3.5
2008	7,310.40	272.8	3.7
2009	8,085.70	301.5	3.7
2010	9,681.50	439	4.5
2011	11,186.10	482.1	4.3
2012	12,208.40	483.2	4.0
2013	13,515.50	597.2	4.4
2014	13,989.70	604	4.3
2015	13,972.40	606.6	4.3
2016	15,405.40	626	4.1
2017	16,128.00	758.8	4.7
2018	16,276.60	838.2	5.1
2019	17,133.50	763.3	4.5
2020	15,531.70	737.4	4.7
2021	18036.8	994.9	5.5

المصدر

- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2022). الحسابات القومية الفلسطينية بالأسعار الجارية، رام الله – فلسطين.
- سلطة النقد الفلسطينية (2022). بيانات سنوية / مالية الحكومة، رام الله – فلسطين.
- نسبة العبء الضريبي من احتساب الباحث.

تشير البيانات المدرجة في الجدول رقم (2) إلى أن متوسط الإيرادات الضريبية خلال الفترة (2000 – 2021) بلغ نحو 458.3 مليون دولار في حين بلغ متوسط الناتج المحلي الإجمالي نحو 10236.2 مليون دولار، وبعد قياس العبء الضريبي في فلسطين من خلال قياس الإيرادات

الضريبية نسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة (2000 – 2021) بلغ متوسط نسبة العبء الضريبي نحو 4.4% سنوياً.

ووفقاً للتقرير الصادر عن المجلس الاقتصادي الفلسطيني، فإن نسبة التهرب الضريبي ما بين (30%–40%) من حجم الإيرادات الضريبية، وإذا أعدنا احتساب الإيرادات الضريبة بزيادة نسبة التهرب الضريبي بـ 35% فإن العبء الضريبي سوف يزداد بنسبة 1.6% في المتوسط خلال الفترة (2000 – 2021) ما يعني أن العبء الضريبي في فلسطين سيصل إلى نحو 6%.

وبناءً عليه، فإن حجم العبء الضريبي يعتبر عامل مهم يجب أن تأخذه بعين الاعتبار أي مؤسسة أو شركة ترغب بالاستثمار في مكان ما، أي أنها تختار المكان الذي يوجد فيه عبء ضريبي قليل (Bedard, 2015) وبالمقابل فإن الزيادة في العبء الضريبي يتسبب في تحسن المعروض من الخدمات إلى حد ما، بسبب زيادة التحصيلات الضريبية في المدى القصير، وترك الآثار السلبية للضغط أو العبء الضريبي على المدى الطويل (Thomas, 2008).

نستنتج مما سبق أن التهرب الضريبي يعمل على زيادة العبء الضريبي على الخاضعين الملتزمين بدفع الضرائب، ولا يزداد على الخاضعين غير الملتزمين، مما ينعكس سلباً على الإيرادات الضريبية، كما أن عدم توزيع العبء الضريبي بشكل متوازن على الخاضعين يؤدي إلى عدم كفاءة العدالة الضريبية، وهذا يؤدي إلى انسحاب الخاضعين الملتزمين من السوق وعدم الاستثمار، والبحث عن سبل التهرب الضريبي بشتى الطرق، وهذا يؤثر سلباً على الخزينة العامة الفلسطينية وعلى الاقتصاد الفلسطيني.

3. الإضرار بالاقتصاد الفلسطيني

تعتبر الضريبة متغيرًا اقتصاديًا هامًا، لذلك يؤدي التهرب الضريبي إلى انعكاسات اقتصادية سلبية، وذلك من عدة جوانب، بالنسبة للاستثمار فإن نقص الإيرادات العامة لا يسمح بتكوين ادخار عام، وبالتالي يحد من قدرة الاقتصاد الفلسطيني على القيام بالمشاريع الاستثمارية التي تقتضيها التنمية، بالإضافة إلى ذلك فإن انخفاض معدلات الادخار يجعل الاقتصاد الفلسطيني عاجز عن تلبية الاستثمار وبمعني آخر اتساع فجوة الموارد المحلية (حلس، 2021)، ويترتب على تراجع عام في كافة المؤشرات الاقتصادية وارتفاع معدلات البطالة.

كما أن التهرب الضريبي يُحدث خللاً في المنافسة بين المؤسسات الاقتصادية، بحيث تصبح المؤسسات المتهربة أفضل من تلك التي تؤدي واجباتها الضريبية، حيث تكون لها إمكانيات تمويلية هائلة، تسمح بتحسين جهازها الإنتاجي وتقوية مكانتها في السوق، ومن ناحية أخرى يضر التهرب الضريبي بإنتاجية المؤسسة بحيث يعمل ذلك التهرب إلى توجه عناصر الإنتاج إلى الأنشطة التي

يسهل فيها التهرب الضريبي حتى لو كانت هذه الأنشطة ذات إنتاجية ضعيفة وهذا على حساب المشروعات الأكثر كفاءة.

كما تساهم ظاهرة التهرب الضريبي في توجيه الاقتصاد الوطني نحو إرساء الاقتصاد غير الرسمي "اقتصاد الظل" أو ما يعرف بالاقتصاد الموازي والذي يحدث مشاكل عديدة تعيق تطور الاقتصاد الفلسطيني (El Far, 2014)، ولذلك يؤدي التهرب الضريبي إلى فشل السياسات الاقتصادية التي تهدف إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادي

خامساً: النتائج والتوصيات

1. النتائج:

- يؤدي التهرب الضريبي إلى الإضرار بالخزينة العامة الفلسطينية يتمثل في ضياع جزءًا هامًا من الموارد المالية، وبالتالي أعاقة الحكومة الفلسطينية عن إنجاز معظم برامجها التنموية ونفقاتها في مختلف الميادين.
- يدفع التهرب الضريبي الحكومة الفلسطينية نحو اللجوء إلى التمويل الخارجي وبالتالي زيادة الدين العام بشقية الداخلي والخارجي.
- يؤثر تزايد الدين العام الداخلي والخارجي على أداء الحكومات الفلسطينية المتعاقبة، بالإضافة إلى أثر ذلك على جميع المؤشرات الاقتصادية الأخرى كالاستثمار الخاص والادخار والإنتاجية الكلية، مما شكل عائقاً أمام النمو الاقتصادي في فلسطين.
- يمثل تزايد حجم الدين العام في فلسطين لمستوى حرج، 39% من إجمالي الناتج المحلي في بعض السنوات، ناقوس الخطر لاقتراب النسبة من الحد الأعلى المسموح به وهو 40% حسب ما ورد في قانون الدين العام الفلسطيني رقم (24) لسنة 2005.
- يعمل التهرب الضريبي على زيادة العبء الضريبي على الخاضعين الملتزمين بدفع الضرائب، ولا يزداد على الخاضعين غير الملتزمين، مما ينعكس سلباً على الإيرادات الضريبية.
- يؤدي عدم توزيع العبء الضريبي بشكل متوازن على الخاضعين إلى عدم كفاءة العدالة الضريبة، وهذا يؤدي إلى انسحاب الخاضعين الملتزمين من السوق وعدم الاستثمار، والبحث عن سبل التهرب الضريبي بشتى الطرق، وهذا يؤثر سلباً على الخزينة العامة الفلسطينية.

2. التوصيات:

- إعداد خطة استراتيجية لمعالجة التهرب الضريبي، بحيث تتضمن الخطة تحديث وتعديل المنظومة التشريعية والقانونية للضرائب.

- اعتماد خطّة شاملة لإدارة الدّين العام، بحيث تشمل هذه الخطّة سياسة واضحة للدّين العام، تحدّد حجم الاقتراض المسموح به، وشروطه، وآليّاته، ووضع أسس ومعايير اختيار المشاريع التنمويّة الّتي تستهدفها هذه القروض.
- العمل على تعزيز دور الإيرادات المحلّيّة، وذلك من خلال إجراء المزيد من الإصلاحات الضريبيّة، وتفعيل السياسات الماليّة، والقوانين والأنظمة الّتي تساهم في تعزيز هذا الدّور، بدلاً من التوجّه نحو التمويل الخارجي لتمويل هذا العجز.
- ضرورة تشديد الرقابة على عمل المحاسبين، وتفعيل دورهم ليكونوا عاملاً مساعداً في الحد من التهرب الضريبي، وذلك من خلال تنظيم عمل هؤلاء المحاسبين، وتوعيتهم وتأهيلهم وتوعيتهم بواجبهم الاجتماعي.
- تكثيف الرقابة الضريبية بكل أنواعها، وتوفير كل الإمكانيات الفنية واللوجستية من قبل الإدارة الضريبية للمراقبين والمحققين، من أجل تقدير سليم للأوعية الضريبية، وسلامة ربطها والكشف عن حقيقة المركز المالي للخاضعين.

قائمة المصادر والمراجع:

❖ الكتب

- خصاونة، جهاد سعيد (2010). علم المالية العامة والتشريع الضريبي بين النظرية والتطبيق العملي، دار وائل للنشر، عمان – الأردن.
- صادق، عبد الكريم (1970). **الاقتصاد المالي**، منشأة العارف، الإسكندرية – مصر.
- عبد الكريم، نصر (2015). **دراسة تقييمية لقانون ضريبة الدخل لعام 2011 وتعديلاته من منظور العدالة الاقتصادية والاجتماعية**، منشورات مفتاح، رام الله – فلسطين.
- عبد الكريم، نصر و جابر، فراس (2018). **مؤشر العدالة الضريبية**، الطبعة الأولى، منشورات مفتاح 2028، رام الله – فلسطين.
- هويدي، عبد الجليل (1983). **المالية العامة**، دار الفكر العربي، جامعة أسيوط – مصر.

❖ رسائل الماجستير

- بن كردة، رشيدة (2017). **أثر التهرب الضريبي على التنمية الاقتصادية (دراسة حالة مركز الضرائب)**، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، الجزائر.
- عسكر، كمال (2006). **دور الإيرادات الضريبية في تمويل الموازنة العامة في فلسطين**، رسالة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

- العمور، سالم (2007). **ظاهرة التهرب الضريبي من ضريبة الدخل (دراسة تحليلية على قطاع غزة)**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين.
- قاري، حياة (2011). **الغش الضريبي وآليات مكافحته، دراسة حالة**، رسالة ماجستير، مجمع العلوم الاقتصادية والتجارة وعلوم التسيير، المركز الجامعي، الجزائر.
- قاسم، صلاح (2003). **التهرب من ضريبة الدخل في فلسطين**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

❖ **الأبحاث والدراسات**

- أبو عيدة، عمر (2012). **قدرة الاقتصاد الفلسطيني على تحمل أعباء الدين العام الخارجي**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 27، القدس – فلسطين.
- حلس، رائد (2021). **الطلب الكلي وأثره على فجوة الموارد المحلية (دراسة تطبيقية على الاقتصاد الفلسطيني للفترة 1994 – 2018)**، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد الأول، العدد الثاني، مركز ابن العربي للثقافة والنشر، غزة – فلسطين.
- حلس، رائد وعيسى، محمود (2016). أثر الدين العام على الناتج المحلي الإجمالي الفلسطيني، مجلة الأبحاث المالية والمصرفية، ع 4، رام الله – فلسطين.
- الفلاحات، محمود وزيدان، عبد الرحمن (2014). **تأثير التهرب الضريبي على التنمية المستدامة في الأردن**، مجلة البحوث المالية والتجارية، العدد 1، جامعة بور سعيد، مصر.
- مراد، ناصر (2010). **أسباب التهرب الضريبي وآثاره على الاقتصاد الوطني**، مجلة دراسات اقتصادية، المجلد 10، العدد 1، جامعة زيان عشور الجلفة، الجزائر.
- الهنداوي، حمدي (2017). العلاقة بين الدين العام والنمو الاقتصادي، مجلة الدراسات والبحوث التجارية، ع 2، جامعة بنها، مصر.

❖ **التقارير**

- الائتلاف من أجل النزاهة والمسائلة – أمان (2011). **بيئة النزاهة في تحصيل الضرائب والرسوم الجمركية كحالة دراسية**، أمان، رام الله – فلسطين.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2022). **الحسابات القومية الفلسطينية بالأسعار الجارية**، رام الله – فلسطين.
- سلطة النقد الفلسطينية (2022). **البيانات السنوية / مالية الحكومة**، رام الله فلسطين.

- سلطة النقد الفلسطينية (2014). **التقرير السنوي 2013**، رام الله – فلسطين.
- المجلس الفلســطيني للتنمية والاعمار – بكدار (2015). **الإجراءات الممكنة للحد من التهرب الضريبي، التقرير السنوي 2015**، بكدار، القدس – فلسطين.
- مرصد السياسات الاجتماعية والاقتصادية (2014). **الأنظمة الضريبية في ست دول عربية**، رام الله – فلسطين.
- مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية – الأونكتاد (2014). تسرب الإيرادات المالية الفلسطينية إلى اسرائيل في ظل بروتوكول باريس الاقتصادي، جنيف.

❖ **المراجع الأجنبية**

- Ugo Panizza ،Andrea Filippo Presbitero. (2012). public DEBT And Economic growth is there A GAUSA.

  http://docs.dises.univpm.it/web/quaderni/pdfmofir/Mofir065.pdf
- Desai, Mihir A. (2007). labor and Capital shares of the Corporate Tax burden ،International Evidence،Harvard University and Nber.
- Bedard, Matthew. (2015). Investing in Montreal: A tax burden among Canada's top Canadians.
- Thomas, Oliver (2008). Increase in financial stress: a side effect of deliberate strategic policy. Franchising, French magazine.
- El Far, Abdel Rahman (2014). Shadow Economy and its Impact on the Palestinian Economy, Master Thesis, Al-Azhar University, Gaza - Palestine.

التنظيم الإداري في المكتبات الجامعية: جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية "دراسة ميدانية"

Administrative Organization in University Libraries: Ibn Sina University for Medical and Pharmaceutical Sciences "A Field Study"

إعداد: م. مريم فاروق فياض: تخصص المعلومات والمكتبات والوثائق – رئاسة الجامعة، جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية، العراق

MARYAM FAROOQ FAYYADH: Specialization in Information، Libraries and Documents / Presidency of the University، Ibn Sina University of Medical and Pharmaceutical Science ،Iraq

Email: maryam201022@yahoo. com

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعريف بإدارة المكتبات الجامعية ووظائفها وخصائصها الرئيسية وكذلك تعريف التنظيم الإداري الذي يحكم وينظم المكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية حاليا. بالإضافة إلى تقديم بعض المقترحات التي من شأنه أن يساعد في تطوير العمل والخدمات داخل مكتبة موضوع الدراسة، من خلال اعتماد المنهج (الوصفي والمسحي) في البحث من خلال أدوات تتمثل في الملاحظة المباشرة والمقابلات الشخصية وقد جاءت نتائج الدراسة مبينة في ارتفاع عدد العاملين من حملة المؤهلات التخصصية والتنوع في العناوين الوظيفية وأيضا توثيق سياسة مكتبة موضوع الدراسة التي تميزت بوضوح سياستها كما جاءت لوائح العمل وتشريعاتها وقد كتبت بشكلها التحريري كما أظهرت الدراسة بعدم توافر لجان ثابتة للمكتبة كما إنها لا تتمتع بميزانية منفصلة عن ميزانية الجامعة وليس للأمين العام دور في تحديد الميزانية وهي بذلك جاءت مخالفة لقانون المكتبات الجامعية أكدت توصيات الدراسة على ضرورة تشكيل لجنة لعملية الاختيار والتي عادة ما تضم عدة أطراف من أعضاء الهيئة التدريس والعاملين في قسم التزويد والطلاب من جميع المستويات والتخصصات وأن ميزانية المكتبة منفصلة عن ميزانية الجامعة ويتم إدارتها وتطويرها من قبل السلطة التنفيذية للمكتبة.

الكلمات المفتاحية: جامعة ابن سينا، المكتبة المركزية، مفهوم الإدارة، إدارة المكتبات الجامعية.

Abstract:

The study aimed to introduce the management of university libraries، their functions and main characteristics، as well as the definition of the administrative organization that governs and organizes the central library of Ibn Sina University for Medical and Pharmaceutical Sciences currently، in addition to presenting Some proposals that would help to develop work and services within the library of the subject of the study by adopting the (descriptive and survey) method in the research through tools of direct observation and personal interviews. The policy of the library subject of the study، which was clearly distinguished by its policy، as stated by the work regulations and its legislation، and it was written in its written form. The study also showed that there are no fixed committees for a library، and it

does not have a separate budget from the university's budget. The recommendations of the study emphasized the need to form a committee for the selection process، which is usually It includes several parties from the faculty members and workers in the supply department، and students of all levels and specializations، and that the library's budget is separate from the university's budget and is managed and developed by the executive authority of the library.

Keywords: Ibn Sina University، central library، management concept، university library management.

المبحث الأول: الإطار المنهجي للدراسة

المقدمة:

شهد هذا العصر اهتماماً جلياً بالمعلومات من قبل الدول والمؤسسات والأفراد، لما لها من دور إستراتيجي في مختلف الميادين وأنشطة المجتمع، غطت الدراسة جانب التنظيم الإداري المتبع للأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية حيث لابد من وجود طريقة متبعة لتنظيم العمل الإداري فيها اعتمدت الدراسة على كل ما نشر في مجال المكتبات والمعلومات من مصادر وثائقية مطبوعة وإلكترونية متنوعة، واعتماد قائمة الأسئلة التي أعدتها الدراسة وتفريغ بياناتها والمعلومات النصية والإحصائية الواردة من مصادر المكتبة المعنية بالدراسة وعرضها على شكل جداول إحصائية، الأمر الذي يؤدي إلى استيعاب نتائج الدراسة ومؤشراتها وتوصياتها بصورة أفضل، ولقد حاولنا في المباحث الثلاثة لهذه الدراسة معالجة أهم الإشكاليات التي طرحها موضوع الدراسة، والآليات التي يمكن من خلالها الوصول إلى أفضل النتائج الإيجابية فضلاً عن تجاوز السلبيات الموجودة والمتوقعة، وقد ضمت الدراسة ثلاثة مباحث المبحث الأول:إجراءات البحث والدراسات السابقة: المبحث الثاني: الدراسة النظرية: المبحث الثالث: الجانب الميداني، وأخيرا تضمنت الدراسة عرض وتحليل ومناقشة النتائج وأهم التوصيات التي توصلت أليها الدراسة، ثم المراجع.

مشكلة الدراسة:

تحتل الأمانة العامة للمكتبة المركزية موقع القلب من الجامعة وتعد أحد المقومات الأساسية في تقييم الجامعة وتحقيق أهدافها، حيث ترفد المستفيدين بالمصادر المتنوعة بما يتماشى مع توجهات

المناهج الدراسية واحتياجاتها، وأن تحديد الواجبات المنوطة للإدارات ورسم العلاقة بين الأقسام المختلفة في المكتبة من أسباب نجاح المكتبة وتحقيق أهدافها لذا جاءت مشكلة الدراسة محددة بالسؤال الرئيسي ما الأساليب والنظم المتبعة في إدارة وتنظيم مكتبة موضوع الدراسة؟

يتفرع من السؤال الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- الهيكل التنظيمي للمكتبة المركزية؟
- التنظيم الإداري للمكتبة المركزية؟
- اللوائح والتشريعات الخاصة بالمكتبة المركزية؟
- التوصيف الوظيفي للعاملين في المكتبة المركزية؟

منهج الدراسة:

اتجهت الدراسة باعتماد المنهج (الوصفي والمسحي)، باعتباره المنهج الأكثر ملائمة لوصف وتحليل الحالة المطروحة، من خلال منظورين، الأول نظري وذلك بمسح كل الادبيات لنظام الإدارة بقصد التعرف على التنظيم الإداري في المكتبات الجامعية، التي توفرت لديها من خلال الدراسة في المكتبات بالإضافة للأنترنيت لتحقيق أهداف الدراسة واستخلاص النتائج الخاصة بالتنظيم الإداري للمكتبات الجامعية.

أهداف الدراسة:

لإدارة المكتبات الجامعية التحديات التي تواجه الإدارة في النهوض بالمؤسسات المعلوماتية، تكمن هدف هذه الدراسة:

1- التعريف بإدارة المكتبات الجامعية ووظائفها والخصائص الرئيسية لها.

2- التعريف بالتنظيم الإداري الذي يحكم وينظم المكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية حاليا.

3- تقديم بعض المقترحات التي من شأنها أن تساعد على تطوير العمل والخدمات داخل مكتبة موضوع الدراسة.

أهمية الدراسة ومبررات اختيارها:

تأتي أهمية الدراسة من أهمية المكتبات الجامعية ومرافق المعلومات التي تعد من الأعمدة الرئيسية لمجتمعات الألفية الثالثة، وإحدى الدعامات المساندة للتنمية، حيث تعتبر المكتبات الجامعية الركيزة الأساسية لإجراء البحوث والدراسات من خلال ما توفره للدارسين من وسائل المعرفة، وما تقدمه من تسهيلات تساعد على مواكبة التطور العلمي والتقني والثقافي، لذا جاءت هذه الدراسة لتقدم الحلول لحل المشكلات التي تعترض تنظيم وإدارة المكتبات الجامعية، وتمثلت الأهمية التطبيقية للدراسة في أن نتائجه من الممكن أن تفيد المسؤولين وأصحاب القرار، والمسؤولين في المكتبات الجامعية المناظرة.

حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: – التنظيم الإداري في المكتبة المركزية.
- الحدود المكانية: تتخذ الدراسة ميداناً جغرافياً لها وهي الأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية الواقعة في بغداد.
- الحدود الزمنية: تغطي الدراسة تقييم وضع حال الأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية للعام الدراسي 2019– 2020.

مجتمع الدراسة:

شمل مجتمع الدراسة العاملين في الأمانة العامة للمكتبة المركزية في جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية، البالغ عددهم (2) من العاملين بالإضافة إلى الأمين العام للمكتبة المركزية.

أدوات جمع المعلومات:

هنالك العديد من الأدوات لجمع البيانات في هذه الدراسة الميدانية وهي، الملاحظة المباشرة، المقابلات الشخصية والتي تجسدت عن طريق المعاينة الميدانية المباشرة للأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية مجال الدراسة، فقد أتاحت المعايشة اليومية لواقع المكتبة ومنه الحصول على معلومات صادقة في شكلها الأصلي والتعرف على مختلف الجوانب التي تقف عائقاً أمام تأدية مهامها ومنه تحقيق أهدافها. المقابلات الشخصية: تعتبر المقابلة أداة أساسية للحصول على المعلومات وذلك للإلمام بمختلف جوانب التنظيم والتسيير التي تحكم هذه المكتبات، تحليل المحتوى يتم تحليل المحتوى عن طريق تحليل السجلات والدفاتر اليومية للعمل في الأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية موضوع الدراسة للحصول على البيانات التي تتطلبها الدراسة.

مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

اتباعاً لأصول البحث العلمي نعرض لأهم ما تثيره الدراسة من مفاهيم ومصطلحات علمية محورية ذات صلة وثيقة بشقيها النظري والتطبيقي، ونركز الضوء على كل مما يأتي:

1- إدارة المكتبات: استثمار جهود الموظفين والامكانيات المادية في تحقيق اهداف المؤسسة وبالتالي فان الإدارة الفعالة للمكتبات تعتمد على تحديد وتشخيص اهداف المكتبة، كما انها تعتمد على التركيب الإداري السليم، وتعتمد على التوظيف الفعال في استخدام العدد المناسب والمؤهل للوظائف المكتبية، فضلا عن التنسيق بين الوحدات والأقسام المختلفة وتوفير الميزانية الكافية بناء على التخطيط الذي تقوم به الإدارة القيادية الفعالة الواعية 1.

2- الإدارة الحديثة: "نظام له مدخلاته التي تتمثل بالأفراد والمواد والأجهزة والأموال والسياسات والإجراءات التي تتفاعل مع بعضها بشكل منتظم وديناميكي، وله مخرجاته التي تتمثل بالقرارات والأنشطة الإدارية من اجل تحقيق أهداف منشودة"2.

3- الهيكل التنظيمي: هو الإجراء الذي يصف الأعمال والأنشطة التي يجب أن تقوم بها المؤسسات، ويجمع الوظائف الرئيسية المتشابهة معاً ويجزئها إلى إدارات وأقسام، ووحدات ينطوي تحتها العاملون المتجانسون في التخصص والمستوى، كما يحدد الهيكل التنظيمي المسؤوليات والسلطات التي تعطى لكل وظيفة أو إدارة بتدرج هرمي تنازلي من أعلى إلى أسفل، بحيث تزداد المسؤولية والسلطة المعطاة كلما ارتفعنا نحو القمة مع ملاحظة التنسيق بين الوظائف والمهام، اذ لا يعطى العمل الواحد لأكثر من وظيفة أو إدارة، كما يوضح الواجبات وطرق العمل والمستويات التي تتخذ فيها القرارات الإدارية المختلفة، وعلى أساس التنظيم يختار العاملون للقيام بالوظائف والمهام المختلفة التي تحدد للمكتبة أو مركز المعلومات، وتتيح أهمية الهيكل التنظيمي من تحقيقه للتناسق وتحديده للعلاقات الإداري[3].

المبحث الثاني الجانب النظري للدراسة

المكتبة الجامعية هي الشريان الرئيسي الذي يغذي برامج وأهداف وأغراض الجامعة في الدراسات العلمية، وذلك بما توفره من مواد المعرفة المختلفة بإتاحة الوصول إلى المعلومات لجميع

[1]- بدر، أحمد وفتحي، محمد (2001)، المكتبات الجامعية – تنظيمها وإدارتها وخدماتها ودورها في تطوير التعليم الجامعي والبحث العلمي، القاهرة: دار غريب، ص89.

2- الهمشري، عمر أحمد، (2011)، الإدارة الحديثة للمكتبات ومراكز المعلومات، عمان: دار صفاء، ص23.

[3] – عبد الله، سليمان (2009)، القوى العاملة في مجال المكتبات والمعلومات في المكتبة العلمية السعودية: دراسة لواقعها ورؤية مستقبلية. القاهرة: جامعة القاهرة: أطروحة دكتوراه غير منشورة، ص81.

المستويات لضمان انتفاع الدارسين من الطلبة والتدريسين بكل أنواع المعلومات المتداولة في المكتبة، ومن الأدوار الحيوية والحديثة للمكتبة الجامعية مواكبة التطورات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات وسد الثغرة الناجمة عن ذلك وتمكين جمهورها من الوصول إلى الإنترنت إلى جانب توفيرها للمعلومات في جميع أشكالها وتهيئة المناخ المناسب للقراءة والبحث والاطلاع من خلال وجود إدارة ناجحة، لذا تضمن المبحث الإطار النظري للدراسة ومعالجة أهم المواضيع الدراسة باعتبار أن إدارة المكتبات الجامعية مسؤولة عن وضع الآليات الإدارية توفر لها الإطار المؤسساتي الذي تحتاجه اية مؤسسة كما هو الحال بالنسبة لأغلبية المكتبات الجامعية في العالم.

الهيكل التنظيمي للمكتبة:

ترسم الهياكل التنظيمية للمكتبات الجامعية بغرض تحديد موقعها وتحديد المسؤوليات والسلطة في إدارة المكتبة ورئيسها التنفيذي لتحقيق مجموعة من الأهداف كتحديد الواجبات المنوطة للإدارات وتجميع النشاطات والوظائف في شكل تقسيمات إدارية ورسم العلاقة بين الأقسام المختلفة داخل كل إدارة وعلاقة الإدارة بالإدارات الأخرى، متضمنة تحديد الواجبات الوظيفية للعاملين في المكتبة.

عادة ما يبرز الهيكل التنظيمي للمكتبات الجامعية أكثر تفصيلا من حيث الدوائر والأقسام والشعب بشكل واضح في المكتبات ذات المساحات الكبيرة، ويكون الهيكل التنظيمي أقل تحديدا وتفصيلا في المكتبات الأخرى الأقل حجما[1].

هنالك عوامل عدة تؤثر في اختيار الهيكل التنظيمي المناسب للمكتبات:

- تخصص المكتبة: يتأثر الهيكل التنظيمي كثيرا بدرجة التخصص المطلوب فكلما كانت درجة التخصص المطلوبة في العمل محدودة كلما كان الهيكل التنظيمي بسيطا وبالعكس.
- مساحة المكتبة: الهيكل التنظيمي يكون أكثر تفصيلا في المكتبات ذات المساحات الكبيرة الذي تبرز فيه الدوائر والأقسام والشعب وتكون أكثر وضوحا في الوقت التي نجدها أقل تفصيلا في المكتبات صغيرة الحجم.
- إعداد العاملين: عادة ما يكون الهيكل التنظيمي أكثر تعقيدا وتفصيلا مع زيادة إعداد العاملين في المكتبة لمتطلبات الحاجة إلى التعمق في تخصصاتهم وخبراتهم ليعكس الترتيبات في علاقات السلطة والمسؤولية بين هذه التخصصات والقدرات المختلفة.

[1] – خماس، تهاني فلاح، (2014)، إدارة المكتبات الجامعية العراقية وأثرها في استثمار الأنظمة الآلية. بغداد: الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم المعلومات والمكتبات، رسالة ماجستير غير منشورة، ص23.

- تقنية المعلومات: تلعب تكنولوجيا المعلومات دورا مهم في نوع الوظائف والمهام التي يجب القيام بها عند اختيار الهيكل التنظيمي فقد ينتج عنها دمج أو الغاء أو استحداث بعض الأقسام أو الشعب.

- العمر الزمني: قد يكون الهيكل التنظيمي في بداية عمل المكتبة بسيطا في تفصيلاته ومع مرور الزمن وازدياد نشاطاتها وما تحمله من تغيرات وتطورات تصبح المكتبة لزاما عليها أن تكون أكثر تفصيلا وتنوعا في هيكلها التنظيمي وتأخذ أشكال متعددة من دوائر أو أقسام أو شعب.

- النشاطات: الهيكل التنظيمي للمكتبات التي يتوزع نشاطها في مناطق جغرافية متعددة تتطلب هيكلا تنظيميا مختلفا عن المكتبة التي يتركز نشاطها في منطقة واحدة[1].

تنظيم المكتبة:

1) التنظيم الإداري

نجاح المؤسسات للأنشطة والخدمات التي تقدمها ترجع في الغالب إلى طريقة إدارتها أو نمط الإدارة السائدة فيها، فالتنظيم الإداري هو"مجموعة من القواعد المكتوبة تنظم العمل والعلاقات داخل المؤسسة أو الهيئة أو إدارة معينة، تتناول تفاصيل محدده تتعلق بالعمل داخل المؤسسة أو الهيئة والعلاقات الداخلية والخارجية"[2] فهي الوسيلة التي ترجوها أية مؤسسة لبلوغ أهدافها، مما يستدعي وجود إدارة علمية تكون قادرة على ضبط سير العمل بالاستثمار الأمثل للطاقات والامكانيات المادية والبشرية وتسخيرها لتحقيق حاجات المجتمع فهي إحدى الثروات الغير ملموسة وهي إحدى سمات الدول المتقدمة.

1- العاملون: يعتبر العنصر البشري من أهم العناصر اللازمة لتشغيل وإدارة المكتبة ومن أهم مقومات نجاحها من خلال توافر العاملون من ذوي الاختصاص والكفاءات العالية.

2- تشريعات العمل: يستند العمل وقياس الأداء والتقويم في المكتبات الجامعية إلى مجموعة من التشريعات منها:

أ- معايير المكتبات الجامعية: المعايير المعتمدة كمقياس التي يمكن من خلالها قياس الخدمات المقدمة وبرامجها وهي عادة ما تتعلق بالجوانب الرقمية عدد كل من (العاملين، الكتب، الخدمات).

[1] – السمير، علي حسين، (2009)، مكتبات الجامعات الخاصة في الجمهورية العربية السورية. القاهرة: جامعة القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص43.

[2] – العلاق، شير (1999): أسس الإدارة الحديثة: نظريات ومفاهيم. عمان: دار اليازوري، ص9.

ب–قوانين المكتبات الجامعية: تهتم بوضع الإساس القانوني لإنشاء المكتبات الجامعية.

ت–لوائح المكتبات الجامعية: مجموعة لوائح يتم وضعها لتنظيم العمل بالمكتبة وتحدد الواجبات واختصاصات إدارة المكتبة والموازنة واللائحة التنظيمية لشؤون العاملين بالمكتبة.

ث–ميزانية المكتبة.

ج– أدلة العمل وسياساته: وهي بمنزلة أداة مرجعية للمكتبة تجيب عن الأسئلة المطروحة من قبل الجهات العليا المسؤولة عن المكتبة الجامعية وكيفية تنفيذ وحدات المكتبة لهذه السياسة، من عناصر الدليل الجيد هي:

- السياسة المتبعة في اختيار مجموعة المكتبة.
- سياسة الموظفين حقوقهم وواجباتهم.
- سياسة التعامل مع الكتب المهداة.
- سياسة التعامل مع المستفيدين امتيازاتهم والتزاماتهم نحو المكتبة.
- لجنة المكتبة[1].

2) الإدارة الناجحة

كلنا يعلم أن مفهوم الإدارة الحديثة في علم المعلومات والمكتبات شهد تطورا سريع وإن الإدارة الناجحة لها أهمية كبيرة في تقدم العمل وهي بحاجة ماسه إلى قدرات وقيادات إدارية كفؤة تساعد في تطوير المكتبة ولاسيما حاجات المستفيدين وإن مدير المكتبة الناجح هو الذي يسعى جاهدا من أجل تحقيق الأهداف المخطط لها بكفاءة وفاعلية فالإدارة الواعية تقوم بأداء الاعمال بطريقة سليمة تمكنها من تحقيق أهدافها بكفاءة وبنجاح تسعى دائما لتوفير المناخ الملائم لتشجيع العاملين وتحفيزهم واستثمار طاقاتهم وامكانياتهم فضلا عن تحقيق المساواة في العمل والإبداع في الأداء[2].

3) مقومات الإدارة الناجحة

جاء المفهوم الحديث للمكتبات الجامعية مبينة اعتماد المعايير والضوابط بتوفير المقومات الأساسية المتمثلة بوجوب وجود إدارة لها القدرة على تحقيق مجموعة من الأهداف:

[1]– دياب، حامد الشافعي (1994)، إدارة المكتبات الجامعية: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية. القاهرة: دار الغريب، ص35.

[2] – الترتوري، محمد عوض وجويحان، أغادير عرفات (2006)، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات. عمان: دار الميسرة، ص165.

- وضع القواعد والقوانين التي تحكم سير العمل.
- استثمار الموارد البشرية والإمكانيات المتاحة بأفضل الطرق
- تطوير الأداء بما يسهم في استدامة النجاح واستمرار التفوق خاصة وأن العالم في تغيير مستمر.
- مواكبة التطورات العلمية الحديثة والتغيرات التكنولوجية.
- إعداد السياسات المكتوبة في تنظيم إجراءات المكتبة لتفعيل السياسات وإعطاء التوجيهات[1].
- الاستثمار الأمثل للموارد البشرية بتوافر العنصر البشري المؤهل مكتبياً وتكنولوجياً باعتباره أهم مورد في العملية الإدارية.
- إعداد التجهيزات الفنية والموارد التكنولوجية (الانظمة الآلية وأجهزة التكييف، الطابعات، الاتصال (الهواتف)، آلات التصوير والاستنساخ، أجهزة الحاسب الآلي، أجهزة العرض الحديثة Data Show) لمعالجة المجموعات المكتبية ومساندة العاملين في عملهم والمعينة للمستفيد[2].
- الدعم المالي للمكتبة: ضرورة أن تكون ميزانية المكتبة منفصلة عن ميزانية الجامعة وتتم أدارتها وتطويرها من قبل السلطة التنفيذية للمكتبة[3].
- المتابعة المستمرة لمتغيرات التعليم ومناهجه.
- مواكبة التطورات المعلوماتية المتعلقة بالخدمات المكتبية من خلال تحسين علاقاتها مع روادها ودراسة احتياجاتهم لتطوير خدماتها بما يتناسب والملامح التكنولوجية لهذا المجتمع العصري لتحقيق أهدافها بوضع السبل الكفيلة لتحقيقها.

4) المشكلات الإدارية:

هنالك عدة مشاكل إدارية تؤدي لعدم الارتياح لدى المديرين في المكتبة وقد يؤدي إلى عدم تحقيق أهداف المكتبة.

1- النقص في إعداد العاملين المطلوب لإنجاز عمل معين.

2- سوء الاستخدام للسلطة أو مشكلة في كيفية إنجاز العمل

[1] – السمير، علي حسين، مرجع سابق، ص79.
[2] – همشري، عمر أحمد، مرجع سابق، ص64-67.
[3] – خماس، تهاني فلاح، مرجع سابق، ص114.

5) مستويات إدارة المكتبات الجامعية:

تتمتع إدارة المكتبات الجامعية حالها حال المؤسسات الأخرى في وجود عددا من المستويات التي تحكم العمل فيها المتمثل بالشكل الهرمي، متمثلة برأس الهرم (الأمين العام) ويكون مسؤولا أمام رئيس الأرفع منه وهو رئيس الجامعة تتمثل بالمستويات التالية: –

1- الإدارة العليا (الآمين العام للمكتبة): تمثل الإدارة العليا الموجودة في قمة الهرم وهو صاحب السلطة العليا في إدارة المكتبة والمشرف على جميع العمليات داخل المكتبة وهو الذي يرسم السياسة العامة للمكتبة، وتوزيع المهام بين العالمين في تقديم الخدمات المباشرة والغير المباشرة والذي يحرص على:

- إعداد الهيكل التنظيمي للمكتبة والأشراف على الموظفين وتحديد المستويات الإدارية وتوزيع المراكز الوظيفية فيما بينهم.
- توجيه عملية التفاعل بين المكتبة والبيئة المحيطة بها.
- وضع الخطط المستقبلية الكفيلة بالنهوض بالمكتبة وتحقيق أهدافها.

2- الإدارة الوسطى: يحتاج الأمين العام لمن يشاركه في بعض المسؤوليات وذلك لعظم مسؤولياته وهو بذلك يحتاج إلى معاونا له، وهو المسؤول عن تنفيذ السياسة المرسومة من قبل الإدارة العليا متمثلة بمدراء الأقسام وتعمل على تنسيق العمل بين موظفي المكتبة والإدارة العليا، العاملون فيها عادة ما يكونون مصدراً للابتكار والتطوير في مجال أعمالهم من مهامها:

- وضع الخطط الفرعية في ضوء الخطة العامة للإدارة العليا لتحديد سلطة العاملين في المؤسسة والمسؤوليات التي يتحملونها.
- الإشراف وترجمة السياسات والاستراتيجيات التي سبق وتم تحديدها من قبل الإدارة العليا المتمثلة بالأمين العام للمكتبة بمعنى أنها تترجم سياسات الإدارة العليا.

3- الإدارة الدنيا: تضم مدراء الشعب والوحدات المكونة للأقسام مثل رئيس شعبة الاهداء، رئيس شعبة التبادل. الخ[1].

12- زين العابدين، عمار عبد اللطيف (2008)، الاتجاهات الحديثة للإدارة العلمية في المكتبات ومراكز المعلومات. مجلة آداب الرافدين. جامعة الموصل. عدد 52، ص28.

6) مهام إدارة المكتبة

1- إتقان فن التواصل مع موظفي المكتبة لجميع أشكال التواصل بما في ذلك المهارات الكتابية واللفظية والسمعية، وأيضا عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو عبر الهاتف.

2- حل المشاكل واتخاذ القرارات الذي يتطلب القدرة على التمتع بالهدوء تحت الضغط للوصول للحلول المناسبة للمشكلة.

3- تهيئة الأرضية الملائمة لتطوير مختلف الوظائف التي تنعكس بدورها على الخدمات المقدمة لأضافه مكاسب أخرى. للمكتبة في حال استخدامها وفتح فضاءات جديدة تتواءم مع احتياجات المستفيدين المتنوعة.

4- التواضع والابتعاد عن الغرور[1].

7) مهارات مدير المكتبة

اتخاذ القرار هي أداة المدير في عمله اليومي وكلما ارتفعت امكانياته في اتخاذ القرار ارتفع مستوى أدائه الإداري ومن الصفات الواجب توافرها في مدير المكتبة الجامعية:

1- الإحاطة بأمور العمل وتفاصيله.

2- القدرة على تحقيق العدالة والإنصاف في العمل.

3- المرونة في التعامل مع العاملين.

4- التمتع بمهارة مهنية في مجال العمل المكتبي تؤهله لتقديم الخدمات والإقدام على العمل دون تردد[2].

5- القدرة على الأقناع والتأثير عند إجراء المناقشات مع المرؤوسين التي تتيح لهم حرية الحركة مما يعزز من مستوى أدائهم وواجباتهم في المهام الموكلة اليهم.

6- ذات شخصية اجتماعية لها القدرة على الإقناع والتواصل في فهم الآخرين واستيعابهم.

7- اعتماد الأساليب العلمية الحديثة لإدارة المكتبات والقدرة على التعامل معها[3].

[1] خماس، تهاني فلاح، مرجع سابق، ص32-33.

[2] – زين العابدين، عمار عبد اللطيف، مرجع سابق، ص27.

[3] – أبو الخير، كمال حمدي، مرجع سابق، ص43.

8- استغلال الموارد المادية والبشرية والتكنولوجيا (عوامل الانتاج) وتنسيقها بأفضل الطرق الممكنة وتسخيرها لتحقيق الأهداف الموضوعة.

المبحث الثالث الجانب الميداني للدراسة

تتمثل خصائص إدارة المكتبات في رسم السياسات العامة والأهداف والتخطيط المسبق لبرامجها ومتطلباتها الأساسية لتحديث أساليب العمل الفنية والآلية بما يتلاءم وطبيعة الوظائف لدى المكتبات وتكون أكثر قدرة على مسايرة التطور في برامج التعليم الجامعي والتطبيقات التقنية الحديثة في مجال المعلومات لبناء المجموعات وتنمية مصادر المعلومات المختلفة بالتنسيق مع الأقسام العلمية في الكليات وفقا للمعايير.

1) جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية:

جامعة حكومية طبية تم استحداثها من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، لتكون من أولى الجامعات الطبية التخصصية في العراق وقد أسست لتضم اربع كليات في الحقل الطبي التخصصي وهي كلية طب الأسنان، كلية الطب، كلية التمريض، كلية الصيدلة بالإضافة إلى المراكز البحثية والعلاجية التخصصية عام 2014 للعام الدراسي 2014/ 2015.

2) الأمانة العامة لمكتبة جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية:

تأسست الأمانة العامة للمكتبة المركزية 2014-2015 مع تأسيس الجامعة، ويرجع ذلك إلى تضمين قانون تأسيس وزارة التعليم العالي للتشريعات والقوانين والتعليمات الخاصة بإنشاء المكتبات الجامعية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومكتبات الجامعات التابعة لها، وأن اهداف الأمانة العامة للمكتبة المركزية ثابتة وواضحة تتجسد في خدمة البحث العلمي والمجتمع المعلوماتي لجامعة ابن سينا بشكل خاص والجامعات العراقية بشكل عام، من حيث المقر فقد تواجدت ضمن رقعة مدينة بغداد، وقد احتلت موقع القلب من الجامعة، وتأتي هذه النتيجة مطابقة لما يوصي به خبراء المجال من ضرورة أن تكون المكتبة في الجامعات قريبة من جهات وموضع اتخاذ الأوامر والقرارات لخدمة أهداف الهيئة التابعة لها.

3) التنظيم الإداري

تحرص المكتبات الجامعية على اتباع طريقة معينة لتنظيم عملها لتكون قادرة على تقديم خدماتها على أكمل وجه، ويختلف التنظيم الإداري للمكتبات الجامعية تبعا لحجم وطبيعة المجموعة وتوزيع الوحدات، وعادة ما يعتمد تنظيمها على خريطة وهي بمنزلة تمثيل بياني للعلاقات والارتباطات الرسمية داخل المكتبة، من حيث النوعية فقد شملت مجتمع الدراسة المكتبة الجامعية، لكونها تحظى

بأكبر تجمع علمي وثقافي في العراق، وبالنسبة للتبعية الإدارية، فهي مكتبة(بمستوى قسم) ملحقة برئاسة الجامعة، ضمن هيكلة جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية وهي خاضعة لوصايتها وإشرافها.

4) قانون وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

حرص الباحثون في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بين فترة وأخرى على تقييم الوضع العلمي للمكتبات الجامعية، لغرض تطويرها وتحسين العمل فيها إلى المستوى الذي يرضي القطاع التعليمي والمستفيدين لمواجهة التحديات التي تواجه العملية التعليمية وتعترض سبل وجودها وتقدمها، تبنت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي فكرة وضع التشريعات والتعليمات القانونية لتنظيم العمل في المكتبات الجامعية. فجاء التصنيف: تعليمات مادة 1، رقم التشريع: 92، تاريخ التشريع: 1995-01-01 متضمنة كل من المادة السادسة من التشريع: تتكون المكتبة المركزية من عدة شعب ووحدات، المادة الخامسة: يدير المكتبة المركزية في الجامعة موظف مختص في علم المكتبات والمعلومات من حملة شهادة الماجستير او الدكتوراه يطلق عليه (الأمين عام المكتبة المركزية) يعاونه عدد من أمناء المكتبة وموظفي الإدارة، لإدارة المكتبة وإعداد السياسات والتعليمات والقواعد الخاصة بضمان الاستخدام الأمثل للمكتبة[1].

5) الهيكل التنظيمي:

غالبا ما تكون المكتبة المركزية عبارة عن مجموعة من الأقسام والشعب والوحدات باعتماد الهياكل التنظيمية التي تضمنتها التعليمات القانونية لتنظيم العمل في المكتبات الجامعية لعام 1995، وقد تبين من خلال الدراسة الميدانية أن الأمانة العامة للمكتبة المركزية لا يوجد لديها هيكل تنظيمي، ولم يتم تنفيذه لغاية إنجاز هذه الدراسة فهي تعاني من ضيق المكان وهي عبارة عن وحدة واحدة وذلك لحداثة تأسيس جامعة ابن سينا ووجودها في مبنى تابع لكلية الطب للجامعة المستنصرية كاستضافة مؤقته الذي انعكس على موقع المكتبة المركزية وصغر حجمها.

اللوائح والتشريعات: يسعى المتخصصون من الباحثين في إعداد اللوائح والتشريعات لتقديم الأطر العامة وبشكل مفصل نسبياً، فضلاً عن تقديم أداة مقترحة يمكن أن تفيد إدارة مكتبات الجامعية.

[1] – جمهورية العراق. (1995). تعليمات المكتبات الجامعية. جريدة الوقائع العراقية، عدد3573، ص3.

6) التنظيم الإداري الداخلي

"التشريع هو قلب العمل ولبه في المكتبة أو مركز المعلومات، فهو الذي ينظم العمل ويحدد العلاقة بين المكتبة والهيئة التي تتبعها، والعلاقة بين المكتبة والعاملين فيها وبين العاملين بعضهم بعضا، بل وبين المكتبة والمجتمع الذي تقوم فيه"[1].

وبالنظر لأهمية التشريع في تنظيم العمل وتطوير المهنة وحرصا منا على اكتشاف أهم الطرق المتبعة في هذا المجال، أدناه جدول باللوائح والتشريعات الخاصة بمكتبة جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية.

ملاحظة: تم إعداد الجدول أدناه من قبل الباحث

جدول (1) يمثل اللوائح والتشريعات الخاصة بالأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية

المكتبة	هل يوجد في المكتبة سياسة مكتوبة	هل هنالك لائحة داخلية تنظم عمل المكتبة	هل يوجد توصيف للوظائف في المكتبة	لجنة المكتبة	أسلوب تبادل المعلومات بين المسئولين والعاملين
الأمانة العامة للمكتبة المركزية	✓	✓	✓	x	x

7) السياسة المكتوبة

يجب أن تعي المكتبات الاكاديمية في ضرورة تضمين عملها في وجود سياسة مكتوبة مبنية على أساس لوائح، كما يفترض عليها تجعلها من المرونة من أن تكون في تغير وفق المستجدات والظروف التي تحيط لتحقيق الأهداف وقد تبين من خلال الدراسة الميدانية في وجود سياسة مكتوبة لدى المكتبة المركزية لجامعة ابن سينا.

[1] – فوغالية، صبرينة (2012). واقع انضمام المكتبة الجزائرية إلى الفهرس العربي الموحد ومساهمتها من خلاله في إرساء نظام معلومات عربي: دراسة ميدانية بالمكتبة الوطنية الجزائرية ومكتبة جامعة الجزائر، الجزائر: جامعة منتوري، رسالة ماجستير غير منشورة، ص32–33.

8) اللائحة الداخلية:

وجود لوائح العمل في المكتبة دليل على اهتمام المكتبة، فمن خلال اللوائح يتحدد موقع المكتبة المركزية في الهيكل التنظيمي وترسم السياسات العامة التي تحقق أهداف المكتبة، لأن عدم وجود لائحة عمل يؤدي إلى حالة التخبط في العمل والعلاقة بين المكتبة والمؤسسة وبين العاملين، فقد تبين وجود لوائح داخلية للعمل والتشريعات لدى المكتبة المركزية لجامعة ابن سينا، التي عملت على وضع لائحة عمل تتناول جزء من لوائح العمل المعمول بها في المكتبات الجامعية، حيث يتم اتخاذ القرارات المتعلقة بالمكتبة من خلال اللقاءات المستمرة للأمين العام المكتبة المركزية، الذي يتولى رفع المقترحات الخاصة بالمكتبة عن طريق المكاتبات الخطية إلى رئيس الجامعة المعني بالمكتبة وإصدار الأوامر، وذلك لمتابعة حسن أداء الأعمال في المكتبة والحرص على تطورها والارتقاء بها نحو الأفضل، متضمنة اللوائح الداخلية للعمل بالمكتبة، واختيار مصادر المعلومات التي تلبي احتياجات المستفيدين، ومناقشة قضايا مكتبية كقواعد الإعارة، وتقديم المشورة فيما يتعلق بتنظيم مجموعات المكتبة، وتنقلات العاملين من وإلى المكتبة، وأن أهدافها يتوافر لها عنصر التحرير والتدوين ونشرها على فضاء الخاص بالموقع الرسمي لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية وقد تلخصت في النقاط التالية:

1. تنظيم العمل في المكتبة والحفاظ على موجوداتها من الكتب والرسائل والاطاريح وإتاحة المجال أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين للاطلاع عليها.
2. منح استمارة براءة الذمة الممنوحة للموظفين والطلبة لكل من تنتهي علاقته بالجامعة كجزء من ضوابط عمل المكتبة.
3. اعتماد المصادر المهداة كوسيلة لتنمية مجموعة المكتبة ضمن ضوابط معينة.
4. عقد اللقاءات المستمرة وبشكل دوري مع رئيس الجامعة لتطوير أداء المكتبة والجامعة.
5. وضع آلية للاستعارة لتنظيم العمل وفقاً للضوابط والسياقات المتبعة لأغلب المكتبات الجامعية العراقية والعربية.
6. تنظيم العمل الإداري وإحلال معاون للأمين العام لغرض إعداد الكتب الرسمية والإجابة على الوارد منها في حالة تمتع الأمين العام للمكتبة بالإجازات (الاعتيادية والمرضية) والإيفاد لضمان سير العمل وأداء الواجبات المنوطة بالمكتبة على أكمل وجه.
7. التطوير المستمر لملاك المكتبة بكل السبل المتاحة.
8. مواكبة التطورات الحاصلة في مجال عمل المكتبات والمعلومات.

9. حفظ وتنظيم وصيانة وبشكل دوري ومستمر لمطبوعات المكتبة من حيث عمليات(الفهرسة، والتصنيف، والتجليد، والصيانة، والاستبعاد).

10. اعتماد المعايير المعتمدة في عمل المكتبات الجامعية.

11. تنظيم العمل في المكتبة ضمن الأمانة العامة للمكتبة المركزية والحفاظ على موجوداتها من الكتب والرسائل والاطاريح وإتاحة المجال أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين للاطلاع عليها.

12. تنمية مهارات العاملين في المكتبة عن طريق التعاون مع الجهات والمؤسسات ذات العلاقة في إقامة الدورات التدريبية، والإيفادات والزمالات والإجازات الدراسية داخل العراق وخارجه.

13. العمل على وضع خطة عمل علمية سنوية مدروسة من قبل إدارة المكتبة، تكون واضحة وموثقة.

14. تنظيم العمل الإداري بإحلال معاون الأمين العام لغرض إعداد الكتب الرسمية والإجابة على الوارد منها في حالة تمتع الأمين العام للمكتبة بالإجازات (الاعتيادية والمرضية) والإيفاد لضمان سير العمل وأداء الواجبات المنوطة بالمكتبة على أكمل وجه.

15. مد جسور التعاون مع جميع المؤسسات العلمية لخدمة البحث العلمي وإنشاء علاقات تعاونية مع المكتبات الجامعية العراقية والهيئات العلمية في مؤسسات الدولة من أجل تطوير المكتبة المركزية لجامعة ابن سينا.

9) التوصيف الوظيفي:

التوصيف الوظيفي يقصد به "تعريف معالم كل وظيفة من موجب المعلومات التي جمعت عنها، وكتابة وصف كامل للعمليات والمسؤوليات والواجبات الخاصة بها"[1].

ملاحظة: تم إعداد الجدول أدناه من قبل الباحث

[1] – جاسم، مائدة علي (2010)، تحليل وتوصيف الوظائف للعاملين في المكتبات الجامعية: دراسة حالة، مجلة كلية التربية، جامعة بغداد. مجلد1، عدد7، ص 50.

جدول رقم (2) يمثل التوصيف الوظيفي للعاملين في الأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية

ت	الموقع الوظيفي	العنوان الوظيفي	المؤهل الدراسي
1	أمين عام المكتبة	مدرس جامعي	دكتوراه/ مكتبات
2	معاون أمين عام مكتبة	معاون أمين مكتبة	بكالوريوس/مكتبات
3	مبرمج	مبرمج	بكالوريوس/هندسة حاسبات

يوضح الجدول رقم (2) العدد الكلي للعاملين وكذلك عدد العاملين المتخصصين في علم المعلومات والمكتبات، فضلا عن عدد العاملين الحاصلين على تخصصات اخرى، اذ بلغ المجموع الكلي للعاملين فيها (3) وكان من بينهم (2) يحملون تخصص في علم المعلومات والمكتبات في حين بلغ عدد العاملين في التخصصات الاخرى في مجال علم الحاسوب (1) موظف وتبين هذه النسبة تفوق اعداد المتخصصين في مجال المعلومات مقارنه بالعاملين في التخصصات الأخرى، والنتائج أعلاه تؤثر إيجابيا على استثمار خدماتهم وهذه النتيجة تتفق مع تطبيق المعايير العالمية لاستثمار المتخصصين في المجال.

كما اتسم التنظيم الإداري الداخلي للمكتبة في وجود توصيف للوظائف بحيث يعرف الموظف ماله وما عليه يقابله توصيف للعاملين، ويرجع ذلك إلى تضمينه في قانون تأسيس وزارة التعليم العالي للتشريعات والقوانين والتعليمات الخاصة بإنشاء المكتبات الجامعية ويعتبر هذا النظام مرجعاً مهماً لتسيير أمور المكتبة الإدارية والفنية، الذي يلبي طبيعة العمل المكتبي حالياً ومتطلبات الواجب توافرها في شاغل الوظيفة، ويرجح السبب في وجود التوصيف أو المسمى الوظيفي للعاملين داخل المكتبات إلى وجود معايير لتعيين العاملين في المكتبات الجامعية حيث أن الوظائف في هذه المكتبات يشغلها جزء كبير منها لموظفين من ذوي الاختصاص وهذا يؤثر ايجاباً على أداء المكتبة وسير العمل فيها.

10) لجنة المكتبة

وجود اللجنة الثابتة وبشكل دائم يساعد على اتخاذ القرارات المناسبة لتنظيم سير العمل في ضوء الأهداف المرسومة لمكتبة موضوع الدراسة، ونظرا لأن الخدمات المعلومات في المكتبة المركزية تقدم البعض منها إلى موظفي وتدريسي الجامعة بالإضافة إلى المستفيدين من الطلبة وجب تكوين لجنة المكتبة من بين التدريسي والموظفين لتكون فرصة للتعرف عن احتياجاتهم والتعبير عن وجهة نظرهم في حال وجود أقتراح أو تطوير يخالف إرادة الأعضاء ورغباتهم وأن تطبيع العلاقة ما بين المكتبة وباقي الأعضاء هو أمر ايجابي، وقد تبين لنا من خلال الدراسة الميدانية عدم توافر لجان ثابتة لمكتبة موضوع الدراسة.

11) أسلوب تبادل المعلومات بين العاملين:

يعد أسلوب تبادل المعلومات بين العاملين الذي يبنى على المخاطبات الرسمية المنهج الصحيح لإنجاز الأعمال والمهام على أكمل وجه، تبين لنا من خلال الدراسة الميدانية أن الأسلوب المتبع في تبادل المعلومات بين العاملين والأمين العام للمكتبة مبنية على المخاطبات الشفوية، وذلك لصغر حجم المكتبة والتي هي عبارة عن قاعة واحدة صغيرة، وافتقارها لوجود الأقسام والوحدات داخل المكتبة الواحدة، فهي تعمل كوحدة واحدة يسودها روح تعاون وود كبير بين العاملين ويحرص الأمين العام بين الحين والآخر بعقد الاجتماعات المتعلقة بمناقشة سير العمل بالمكتبة.

12) الميزانية ومعدلات الإنفاق

نتيجة للاهتمام المتزايد بالبحث العلمي، وتنوع اختصاصاتها، واتساع حركة النشر في العالم، ونتيجة للأسباب المجتمعة في أعلاه يتطلب من المكتبات إلى الاستغلال الرشيد للموارد المالية الخاصة بتنمية مجموعاتها، وعادة ما تكون الميزانية المخصصة لتنمية مجموعة المكتبة محدودة قياسا بالكم الهائل من مصادر المعلومات التي تنشر وعليه يجب على المكتبات أن تختار وتنتقي بدقة ما يفيد في بناء رصيدها من أوعية المعلومات قوي ومتكامل يخدم مجتمع المكتبة ويتلاءم مع احتياجات كتابة البحث العلمي والدراسة بالجامعة.

جاءت الواصفات لميزانية المكتبات الجامعية العراقية بالآتي"تخصص لكل مكتبة جامعية موازنة ضمن موازنة الجامعة او الكلية او المعهد او المركز"[1]. قانون المكتبات الجامعية: تصنيف التعليمات: رقم التشريع (92): سنة التشريع (1995): تاريخ التشريع (1995- 01): المادة (10): الفقرة (ج): ص3، لكي تقوم المكتبة بأدوارها على نحو مرض لا عند إنشائها فحسب وإنما أيضاً على اساس مستمر تمول احتياجات الأمانة العامة للمكتبة المركزية من خلال مخصصات جامعة ابن سينا التي تعد المورد المالي الوحيد للمكتبة فهي لا تتمتع بميزانية منفصلة عن ميزانية الجامعة وليس للأمين العام دور في تحديد الميزانية وهي بذلك جاءت مخالفة لقانون المكتبات الجامعية.

[1] – جمهورية العراق، مرجع سابق، ص3.

الاستنتاجات والتوصيات

1) الاستنتاجات

من خلال تتبع الجزء الميداني تناولت الدراسة في هذا المبحث تحليلاً شاملاً بكل ما يتعلق بالإجراءات الإدارية التي توصلت إلى عدد من النتائج:

1- انطلاقًا من كون المكتبة الجامعية جهة غير ربحية ولا تسعى لتحقيق المردود المادي كما هو الحال في غيرها من المؤسسات، فهي تابعة لمؤسسة حكومية (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي)، وإحدى التشكيلات المرتبطة بالوزارة أعلاه.

2- تزامن إنشاء مكتبة محل الدراسة مع نشأة الجامعة التابعة لها، على اعتبار أن المكتبة الجامعية تتأسس بتأسيس الجامعة.

3- عادة ما تشير الرؤية الإدارية إلى أن ارتباط الوحدات الإدارية بالجهات العليا كما هو الحال للأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة ابن سينا التي ترتبط ارتباطاً مباشراً برئاسة جامعة ابن سينا يعطيها نوعاً من المساندة والدعم الإداري والمالي أكثر من الوحدات ذات الأقل إدارية، الذي ينعكس بدوره للوضع الإداري والوظيفي للمسئولين عن هذه المكتبة وسرعة الاستجابة لمتطلباتهم المالية من قبل الجهات المسئولة وفي تخصيص الميزانية لهم التي تنعكس بدورها على طبيعة الخدمات المقدمة فيها.

4- حضور التشريعات القانونية للمكتبات الجامعية المعتمدة لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

5- أظهر الهيكل التنظيمي للمكتبة المركزية في جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية متكونة من الأمين العام للمكتبة المركزية (رئيس قسم) وهو المسؤول الأول عن الإشراف الكامل عن المكتبة ومتابعة الموظفين، وعدد أثنان من الموظفين أحدهما يشغل منصب معاون الأمين العام وهو عدد كافي قياسا بحجم المكتبة وصغرها.

6- أظهرت الدراسة أن مسؤول المكتبة المدروسة من حملة المؤهلات التخصصية الذي جاء مطابقا مع تعليمات قانون المكتبات الجامعية التشريعي لعام 1995.

7- جاء المؤهل العلمي للعاملين في مكتبة موضوع الدراسة تنوعا في مؤهلاتهم الدراسية، وارتفاع المستوى التعليمي لهم فهم من حملة شهادة البكالوريوس.

8- ارتفاع عدد العاملين من حملة المؤهلات التخصصية، وقد شكلت النسبة الأكبر في مكتبة موضوع الدراسة.

9- تمتاز مكتبة موضوع الدراسة بالتنوع في العناوين الوظيفية وهذا ما يسهل من عملية انتقال المعلومات بين الموظفين بطريقة منظمة.

10- توثيق سياسة مكتبة موضوع الدراسة التي تميزت بوضوح سياستها.

11- تبين لنا أن لوائح العمل وتشريعاتها جاءت مكتوبة(تحريري).

12- وجود توصيف وظيفي للوظائف يقابله توصيف للعاملين.

13- أظهرت الدراسة عدم وجود استقلالية لدى إدارة المكتبة المركزية في اتخاذ القرارات الإدارية أدى بالتالي إلى ضعف الاستثمار.

14- افتقدت مكتبة موضوع الدراسة إلى توافر لجان ثابتة.

15- افتقرت المكتبة لوجود ميزانية منفصلة عن ميزانية الجامعة وليس للأمين العام دور في تحديد الميزانية وهي بذلك جاءت مخالفة لقانون المكتبات الجامعية.

2) التوصيات

على ضوء النتائج التي تم توصل إليها جاءت توصيات الدراسة مبينة ضرورة:

1- تشكيل لجنة لعملية الاختيار التي عادة ما تضم أطراف عدة من أعضاء الهيئة التدريسية، العاملون في قسم التزويد بشكل خاص والمكتبة بشكل عام، الطلبة بمختلف مستوياتهم وتخصصاتهم.

2- تخصيص ميزانية مستقلة وان تتولى إدارة المكتبة توزيع الميزانية بنسب تفي بالاحتياجات وتحقيق الأهداف تتم إدارتها وتطويرها من قبل السلطة التنفيذية للمكتبة.

3- التغيرات المستمرة والمتسارعة الذي يمر به العالم وما لها من أثر كبير على العمل الإداري يتطلب من الإدارات والقيادات العليا ضرورة متابعة تلك التغيرات في بيئة العمل ومحاولة مواكبتها من خلال توظيف الجانب الإيجابي منها وتحصين العمل الإداري إلى أبعد حد ممكن من تأثيره السلبي.

4- ضرورة إجراء دراسات ميدانية بين فترة وأخرى للتعرف على أي مستجدات تطرأ وتقديم خدمات افضل، أو أي تغيرات أخرى الأمر الذي يجعل إدارة المكتبة على بينة واضحة لما يدور حولها بغية الاستعداد لأي جديد قد يؤثر في سير إعمالها.

3) المقترحات

ضرورة إجراء دراسة عن التشريعات والتعليمات القانونية لتنظيم العمل في المكتبات الجامعية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو الخير، كمال حمدي (1974). اصول الإدارة العلمية. القاهرة: مكتبة عين شمس.

2- بدر، أحمد وفتحي، محمد (2001). المكتبات الجامعية – تنظيمها وإدارتها وخدماتها ودورها في تطوير التعليم الجامعي والبحث العلمي. القاهرة: دار غريب.

3- الترتوري، محمد عوض وجويحان، أغادير عرفات (2006). إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات. عمان: دار الميسرة.

4- جاسم، مائدة علي (2010). تحليل وتوصيف الوظائف للعاملين في المكتبات الجامعية: دراسة حالة. مجلة كلية التربية، جامعة بغداد، مجلد1،عدد7. ص 44-57.

5- خماس، تهاني فلاح. (2014). إدارة المكتبات الجامعية العراقية وأثرها في استثمار الأنظمة الالية. رسالة ماجستير غير منشورة. بغداد: الجامعة المستنصرية.

6- دياب، حامد الشافعي (1994). إدارة المكتبات الجامعية: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية. القاهرة: دار الغريب.

7- زين العابدين، عمار عبد اللطيف (2008). الاتجاهات الحديثة للإدارة العلمية في المكتبات ومراكز المعلومات. مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، عدد 52، ص1-30.

8- السمير، علي حسين، (2009). مكتبات الجامعات الخاصة في الجمهورية العربية السورية. رسالة ماجستير غير منشورة. القاهرة: جامعة القاهرة.

9- فوغالية، صبرينة (2012). واقع انضمام المكتبة الجزائرية إلى الفهرس العربي الموحد ومساهمتها من خلاله في إرساء نظام معلومات عربي: دراسة ميدانية بالمكتبة الوطنية الجزائرية ومكتبة جامعة الجزائر. رسالة ماجستير غير منشورة. الجزائر: جامعة منتوري.

10- عبد الله، سليمان (2009). القوى العاملة في مجال المكتبات والمعلومات في المكتبة العلمية السعودية: دراسة لواقعها ورؤية مستقبلية. أطروحة دكتوراه غير منشورة. القاهرة: جامعة القاهرة.

11- العلاق، شير (1999). اسس الادارة الحديثة: نظريات ومفاهيم. عمان: دار اليازوري.

12- جمهورية لعراق. (1995). تعليمات المكتبات الجامعية. جريدة الوقائع العراقية، عدد 3573.

13- الهمشري، عمر احمد، (2011). الإدارة الحديثة للمكتبات ومراكز المعلومات. عمان: دار صفاء.

قائمة المراجعة

التنظيم الإداري في المكتبات الجامعية: جامعة ابن سينا

للعلوم الطبية والصيدلانية

"دراسة ميدانية"

إعداد/ م. د. مريم فاروق فياض

معلومات عامة

المكتبة: _____

العنوان: _____

تاريخ إنشاء المكتبة: / /

اسئلة المقابلة مع الأمين العام للمكتبة المركزية لجامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية.

1- نبذة عن المكتبة؟

2- اعداد العاملين في المكتبة المركزية؟

3- المؤهلات العلمية للعاملين في المكتبة المركزية؟

4- سنوات الخدمة للعاملين في المكتبة المركزية؟

5- هل تتمتع المكتبة المركزية بميزانية منفصلة عن ميزانية الجامعة، في حالة الاجابة بنعم هل للأمين العام دور في تحديد الميزانية؟

6- أسلوب تبادل المعلومات بين العاملين؟

7- هل يوجد في المكتبة سياسة مكتوبة؟

8- هل هنالك لائحة داخلية تنظم عمل المكتبة؟

9- هل تتوافر لجان ثابتة للمكتبة المركزية؟

10- هل يوجد توصيف للوظائف للعاملين في المكتبة.

إنشاء النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية: الفرص والتحديات

Creating Islamic Windows in Conventional Banks: Opportunities and Challenges

حيدر علي كاظم الفتلاوي: طالب دكتوراه، كلية الأعمال، قسم المالية والمصرفية، جامعة كارابوك (يونيكا)، تركيا

حلمي هاشم عبد القادر: طالب ماجستير، كلية الاعمال، قسم المالية والمصرفية، جامعة كارابوك (يونيكا)، تركيا

Hayder Ali Kadhim Alfatlawi: PhD Student, Faculty of Business, Department of Finance and Banking, University of Karabuk (UNIKA), Email: haydeer1987@gmail.com

Hilmi Hashim Abdulqader: Master Student, Faculty of Business, Department of Finance and Banking, University of Karabuk (UNIKA), Email: hilmi.hashim.a@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة إمكانية إنشاء نوافذ للمعاملات الإسلامية في البنوك التقليدية إي دراسة أمكانية تقديم خدمات إسلامية من خلال مصرف تقليدي اعتيادي، ومدى جدوى ذلك. ولتحقيق أهداف البحث فقد اتبع الباحثان المنهج الوصفي في جمع مادة البحث من مفاهيم وأدلة وآراء وقوانين، وبيان كيفية إنشاء النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية. واستنتج الباحثان ان النوافذ الإسلامية تعتبر حلا جيدا ومقبولا لممارسة البنوك التقليدية للنشاطات المصرفية الإسلامية وذلك تمهيدا لتحولها لبنك إسلامي كامل فيما بعد. يوصي الباحثان بضرورة زيادة الوعي والتثقيف المصرفي بين الأفراد للتعريف بالمصرفية الإسلامية في تركيا، وترسيخ فكرة المصرفية الإسلامية بشكل أفضل وإعطائها الاهتمام من قبل وزارة التربية والتعليم.

الكلمات المفتاحية: البنوك الإسلامية، النوافذ الإسلامية، البنوك التقليدية، التعاملات الإسلامية.

Abstract:

The research aims to study the possibility of establishing windows for Islamic transactions in conventional banks that is, studying the possibility of providing Islamic services through an ordinary conventional bank, and the feasibility of that. The researchers followed the descriptive approach in collecting the research material from concepts, evidence, opinions and laws, and showing how to establish *Islamic windows* in traditional banks. The researchers concluded that *Islamic windows* are a good and acceptable solution for traditional banks to practice Islamic banking activities, in preparation for their transformation into a full Islamic bank later on. The researchers recommend the need to increase awareness and banking education among individuals to introduce Islamic banking in Turkey, and to better consolidate the idea of Islamic banking and give it attention by the Ministry of Education.

Keywords: Islamic banks, *Islamic windows*, conventional banks, Islamic transactions.

المقدمة:

شهدت الأسواق المصرفية العالمية نمواً كبيرا في المعاملات المصرفية المتوافقة مع منهج الشريعة الاسلامية وقد ازداد الاهتمام مؤخرا بالصناعة المصرفية الاسلامية في ضل الازمات المالية العالمية وقد نجحت البنوك الإسلامية إلى حد كبير في النجاة من تلك الأزمات؛ الأمر الذي أدى إلى زيادة الإقبال على فتح بنوك إسلامية جديدة أو تحول بعض البنوك التقليدية للعمل وفق أحكام الشرع الإسلامي، عن طريق فتح فروع أو إنشاء نوافذ تابعة لها؛ وقد أنشأت البنوك التقليدية نوافذ للمعاملات الإسلامية باعتبارها مدخلا للتحول الجزئي والتي تعد خطوة في طريق التحول المصرفي. تعد النوافذ الإسلامية خطوة تمهيدية ملامسة البنوك التقليدية للعمل، فقد أسهمت بشكل جيد في الصناعة المالية الإسلامية، وبشكل يتناسب مع البنوك التقليدية التي تقرر بعد التحول بشكل كامل إلى النظام المصرفي الاسلامي، وترغب بالمحافظة على العملاء الحاليين، وجذب المزيد من العملاء الجدد والذين يتورعون عن العمل بالنشاط المصرفي التقليدي وسيتبع الباحث المنهج الوصفي للتعرف على مفهوم النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية، وخصائصها. ومناقشة التحديات التي تواجه إنشاءها. و التعرف إلى عوامل نجاحها. من خلال عرض الآراء الفقهية المختلفة التي تدعوا لفتح النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية، والآراء التي تُحذر من ذلك، مع ذكر استنتاجات محددة وتوصيات تم تثبيتها في نهاية الدراسة.

مشكلة البحث

إن مشكلة الدراسة هي عدم كفاية عدد المصارف الإسلامية في تركيا بالنسبة لعدد الجمهور (العملاء) الراغبين بنمط التعامل المصرفي الإسلامي.

وبدلاً من إنشاء مصرف إسلامي كامل بكلفة عالية، ممكن استقطاب العملاء الراغبين بذلك عن طريق فتح نوافذ تعامل إسلامي لهم في داخل البنوك التقليدية.غاية هذه الدراسة هي مناقشة إمكانية ذلك.

السؤال الرئيسي: هل عدد المصارف الإسلامية في تركيا كافي بالنسبة لعدد الجمهور (العملاء) الراغبين بنمط التعامل المصرفي الإسلامي؟

وينبثق عن السؤال الرئيسي الاسئلة الفرعية التالية:

- ما التحديات التي تواجه فتح النوافذ الاسلامية في البنوك التقليدية؟
- كيف ينظر المعارضون والمؤيدون لفتح النوافذ الاسلامية في البنوك التقليدية ؟

منهج البحث:

اتبع الباحثان المنهج الوصفي في جمع مادة البحث من مفاهيم وأدلة وآراء وقوانين، وبيان كيفية إنشاء النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية؛ وذلك بالتعرف إلى النوافذ الإسلامية وماهي المعوقات والتحديات التي من الممكن أن تقف في طريق تنفيذها بالإضافة إلى عوامل نجاحها، والإجراءات المقترحة لإنشائها في تركيا.

أهداف البحث:

يهدف البحث الى:

1 – التعرف على ماهية النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية، وبيان أحكامها.
2 – مناقشة الخصائص والتحديات وفرص النجاح لها.
3 – اقتراح نموذج لإنشاء نوافذ اسلامية.

حدود البحث:

إن هذا البحث يتمحور حول النوافذ الإسلامية وإمكانية تنفيذها على بنوك تقليدية في تركيا، وقد قام الباحثان بتخصيص هذا الموضوع عن دون غيره بالدراسة كون البنوك الإسلامية في تركيا قليلة العدد، ورغبة من الباحثين بفتح آفاق جديدة للمصرفية الإسلامية عن طريق البنوك التقليدية، فإنشاء البنوك التقليدية لنوافذ إسلامية قد يمكنها من التحول تدريجيا إلى بنوك إسلامية بشكل كامل في المستقبل.

الدراسات السابقة:

1. دراسة باهي، 2018

ناقشت الدراسة واقع ممارسة البنوك التجارية للنشاطات المصرفية الإسلامية عن طريق النوافذ الإسلامية وذلك بدراسة تجارب دولية رائدة في هذا المجال وخلصت الباحثة إلى أن عمل البنوك التجارية بالفروع والنوافذ الإسلامية قد أثبت نجاحه؛ وبالتالي فهو يعتبر خطوة مشجعة نحو التحول إلى بنك إسلامي بشكل كامل.

2. دراسة Azmi, 2018

تحدثت الباحثة في دراستها عن النوافذ الإسلامية وقدرتها على تطوير المنتجات المالية الشرعية، إلا أن هناك ضعف في الإشراف وعدم التزام بالتطوير، وهناك مخاوف من عدم الفصل بين الصناديق الإسلامية، ولكن البنوك الإسلامية هي الأكثر منطقية منها، ومع ذلك فقد اكتسبت

البنوك الإسلامية التي تحولت من التقليدية التكنولوجيا والتطور في الهيكليات والعمليات، ويمكن السياح للبنوك التقليدية بالتعامل بالنوافذ الإسلامية في حال أثبتت جديتها.

3. دراسة محيريق، 2017

هدفت الدراسة موضوع التحول المصرفي عن طريق النوافذ والفروع الإسلامية، وانفرد بالحديث عن تجربة الجزائر في الصيرفة الإسلامية، وقد ذكر الباحث عيوب النظام المصرفي التقليدي وعدم قدرته على إقناع عملاء الصيرفة الإسلامية؛ ولذلك لجأت للنوافذ باعتبارها إدارات مستقلة مع وجود هيئات رقابة شرعية حتى تجيز منتجاتها؛ وبذلك استطاعت كسب ثقتهم وازداد أعداد هذه النوافذ وقاربت في أعدادها البنوك الإسلامية، ولكنها مازالت محل شك.

الفرق بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة:

ان حداثة موضوع انشاء نوافذ اسلامية داخل بنوك تقليدية من محددات دراستنا ، حيث لم يتوصل الباحثون الى دراسات محلية متخصصة بهذا الموضوع وكذلك لا توجد تجارب لبنوك تقليدية تركية في هذا المجال على حسب علم الباحثان، ومن الجدير بالذكر انه لم يسبق لبنوك تقليدية في تركيا ان تحولت بشكل كامل او بشكل جزئي ، فهي اما تقليدية او اسلامية بشكل كامل.

تقسيمات البحث:

- المبحث الاول: مفهوم النوافذ الاسلامية وحكمها.
- المبحث الثاني: الفرص والتحديات التي تواجه إنشاء النوافذ الإسلامية.
- المبحث الثالث: النموذج المقترح لإنشاء نوافذ إسلامية في تركيا.
- قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم النوافذ الإسلامية وحكمها

المطلب الأول: مفهوم النوافذ الإسلامية

نتطرق في البداية إلى تعريف النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية؛ وذلك بغرض التعرف بشكل أفضل على هذا المفهوم وماذا يقصد منه.

أولا: مفهوم النوافذ الإسلامية

عرف مجلس الخدمات المالية الإسلامية (IFSB) النوافذ الإسلامية بأنها: جزء من مؤسسة مالية تقليدية تقوم بالاستثمار والتمويل بشكل يتوافق مع منهج الشرع الإسلامي، وقد تكون وحدة متخصصة أو فرعا في المؤسسة ولكنها لا تتمتع باستقلالية من الناحية القانونية[1].

وقد تم تعريفها بأنها: تخصيص حيز أو جزء داخل البنك التقليدي يقدم منتجات وخدمات تتوافق مع منهج الشرع الإسلامي، بالإضافة إلى نشاطات البنك التقليدية.

ويمكن تعريف النوافذ الإسلامية على أنها: أقسام متخصصة غير مستقلة تابعة للبنوك التقليدية، تعنى بتقديم منتجات وخدمات تتوافق مع منهج الشرع الإسلامي.

الأصل في النوافذ الإسلامية أنها تعتبر نوافذ كاملة أو قائمة بذاتها، وذلك فيما يتعلق بالوساطة المالية؛ وتقوم تلك النوافذ باستثمار أموال الموجودات في المؤسسة بشكل يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، مع ضرورة الفصل بين موجوداتها وأموال المؤسسة التقليدية الأم [2].

يتم إجراء تلك العمليات عن طريق فروع أو عن طريق وحدات تعمل على توفير تسهيلات للحسابات الجارية في هذه المؤسسات المالية، وتتفق مع النوافذ الإسلامية فيما يتعلق بإدارة المخاطر؛ إذ يتم تطبيق منهج الشرع الإسلامي فيها يتعلق بموجودات المؤسسة، وكذلك فيما يتعلق بحساب وزن المخاطر في مقابل الموجودات بشكل دقيق، بغرض حساب كفاية رأس المال، وتتعارض مع النوافذ الإسلامية فيما يتعلق بالرقابة، لا بد أن تخضع النوافذ الإسلامية لرقابة شرعية بشكل محكم ودقيق.

[1] IFSB, CORE PRINCIPLES FOR ISLAMIC FAINANCE REGULATION (BANKING SEGMENT)(CPIFR), 2015, P61.

[2] IFSB, CORE PRINCIPLES FOR ISLAMIC FAINANCE REGULATION BANKING SEGMENT (CPIFR). https://www.regulationtomorrow.com/eu/ifsb-issues-core-principles-for-islamic-finance-regulation-banking-segment

المطلب الثاني: الحكم الشرعي للنوافذ الإسلامية

عادة ما يكون في الأمور المستحدثة والتي لم يرد بها نص شرعي يختص بها جدل كبير، ولا سيما موضوع إنشاء نوافذ إسلامية تابعة لبنوك تقليدية، والتي ترغب بالعمل بالنشاط المصرفي الإسلامي، وينقسم أهل الفقه والاختصاص في ذلك إلى أقسام: فهناك من يؤيدها ولديه حجته وهناك من يعارضها ولديه حجته أيضا، وهناك من يرى أنها استثناء في حالات معينة، وسنتطرق إلى بيان حجة كل منهم [1].

أولا: المؤيدون لإنشاء النوافذ الإسلامية

يرى من يؤيد إنشاء نوافذ إسلامية تابعة للبنوك التقليدية أنه يجوز التعامل بها في حال كونها منضبطة شرعا، وهناك آراء كثيرة في هذا المجال[2]: فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع عضو هيئة كبار العلماء في المملكة، فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله المطلق عضو هيئة كبار العلماء، فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله عبد العزيز المصلح رئيس لجنة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي, فضيلة الشيخ الدكتور حمزة حسين الفعر [3] . واحتجوا بما يلي:

1. يعتبر التخلص من الربا هدف يطمح إليه أي مجتمع مسلم، في حال رغب بتطبيق تعاليم شرعيه، وبالتالي فتح نوافذ إسلامية يعتبر إحدى الطرق المستخدمة في البنوك التقليدية لتخليص المجتمع من الربا المحرم.

2. الاستفادة قدر الإمكان من البنوك التقليدية بحكم خبرتها الطويلة في المجال المصرفي، بما يدعم القطاع المصرفي الإسلامي وبالتالي تطويره وتحسين أدائه بشكل أفضل.

3. نجاح النوافذ الإسلامية يعتبر حافزا جيدا ودافعا لدى إدارات البنوك التقليدية للتحول بشكل كامل فيما بعد، وبالتالي أسلمة هذه البنوك التقليدية، وذلك يعود لقناعة أصحاب القرار بجدوى العمل المصرفي الإسلامي وتحويله إلى بنك إسلامي كامل، وربما يكون نجاح النوافذ الإسلامية سببا في زيادة الطلب والإقبال على التعامل بالخدمات والمنتجات الإسلامية وتقليص الطلب على التقليدية.

---

[1] المرطان، سعيد بن سعد (2005) . تقويم المؤسسات المنطقة الإسلامي، النوافذ الإسلامية للمصارف التقليدية، المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي، مكة المكرمة ،جامعة ام القرى السعودية ص8 .

[2] الشريف، فهد (2005). الفروع الإسلامية التابعة للمصارف الربوية بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي – مكة المكرمة , جامعة ام القرى – السعودية ، ص21 .

[3] علاء الدين زعتري (2001) . المعاملات الإسلامية في البنوك الغربية , مجلة الاقتصاد الإسلامي, بنك دبي الإسلامي , الإمارات العربية المتحدة , العدد 241, ربيع الآخر 1422هـ , ص61.

4. تعتبر النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية خطوة في طريق التحول من النظام الربوي إلى النظام المصرفي الإسلامي، حينما يكون الوقت مناسبة لذلك، ويقاس هذا التدرج في تحول البنك التقليدي على منهج الشرع الإسلامي في تدرجه في تحريم الربا.

5. تعاني بعض الدول من صعوبات في فتح بنوك إسلامية وترخيصها وبالتالي تعتبر النوافذ الإسلامية من الحلول الجيدة والبديلة التي من الممكن أن تسهم في سد هذه الفجوة، وعمل اكتفاء لدى من يرغب بالعمل بالنشاط المصرفي الإسلامي.

6. يشجع وجود النوافذ الإسلامية داخل البنوك التقليدية على التعايش بشكل مشترك بين نظامين مصرفيين مختلفين بدلا من استمرار المواجهة بينهما، بما أن ذلك كان محفزة للبنوك الإسلامية لتقديم الأفضل.

7. لابد من الاعتراف من البنوك التقليدية بأهمية العمل المصرفي الإسلامي، وبمصداقية صيغ التمويل الإسلامي والعمل المصرفي الإسلامي ككل.

8. في حال تحول أحد هذه البنوك التقليدية إلى بنك إسلامي فيما بعد، فإن هذا يعتبر انجاز ومكسبا كبيرة للقطاع المصرفي الإسلامي، وخصوصا إذا كان هذا البنك له اسمه وشهرته الواسعة وفروعه المتعددة.

ثانيا: المعارضون لفتح النوافذ الإسلامية

في المقابل فإن هناك من يعارض انشاء نوافذ إسلامية مثل[1]: فضيلة الشيخ الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني الداعية المعروف، فضيلة الشيخ الدكتور حسين حامد حسان، فضيلة الشيخ الدكتور سليمان الصادق البيره، فضيلة الشيخ الدكتور أحمد عبدالرزاق الكبيسي[2] واحتجوا بما يأتي:

1. لا يمكن إخفاء حقيقة أن النوافذ الإسلامية تابعة للبنوك التقليدية وبحسب القاعدة الفقهية «التابع تابع»، لذا يتبع الفرع الأصل في الحكم.

2. من الممكن أن يؤثر وجود النوافذ الإسلامية سلبا على إنشاء بنوك إسلامية جديدة أو على رغبة البنوك التقليدية في التحول بشكل كلي إلى بنوك إسلامية فيما بعد، إذ يتم الاكتفاء بهذه النوافذ الإسلامية.

[1] المرطان، سعيد سعد (2005) . مصدر سابق، ص8.

[2] أحمد محمد، الزرقا (1989) . شرح القواعد الفقهية , دار القلم , دمشق , الطبعة الثانية , ص253.

3. يشكل وجود النوافذ الإسلامية وانتشارها إلى حدوث منافسة غير متكافئة بين البنوك الإسلامية وبين البنوك التقليدية التي تمتلك هذه النوافذ.

4. ربما يكون الدافع من إنشاء النوافذ الإسلامية رغبة البنوك التقليدية في تحقيق المزيد من الأرباح وزيادة فرصتها السوقية وليس بدافع ديني، فهناك من البنوك التي تمتلك نوافذ إسلامية لم تفكر بعد أو لا يوجد لها نية في الأصل في التحول إلى المصرفية الإسلامية.

5. تبعية النوافذ الإسلامية للبنوك التقليدية قد يؤدي بها إلى اختلاط الأموال إذ إن مصدر رأس مال النوافذ الإسلامية هو نفسه البنك التقليدي الأم أي أن هناك تبعية مالية، وفي حالات معينة يقوم البنك التقليدي بتحويل فائض سيولة النافذة الإسلامية إلى المركز الرئيسي واستثمارها لحين طلب النافذة الإسلامية لها.

6. من الممكن أن يؤدي فتح نوافذ إسلامية داخل البنوك التقليدية إلى التشويش والخلط في الفهم في أذهان العملاء والموظفين وبالتالي سوء التطبيق.

7. قد ينتج عن الدمج بين نظامين مصرفيين مختلفين صعوبة في التعايش بينهما الاختلاف الفكرة والهدف، وعدم وضوح التصور الصحيح للعمل بالنظام المصرفي الإسلامي مقابل نظام البنك التقليدي القائم على الربا.

ثالثا: القائلون بالتعامل بالنوافذ الإسلامية للضرورة

يرى أصحاب هذا الرأي كفضيلة الشيخ أحمد المزروع و الدكتور محمد على المرصفي و الدكتور صبري عبدالرؤوف، أن هناك استثناءات في حالات معينة يجوز فيها فتح البنوك التقليدية لنوافذ إسلامية وحجة أصحاب هذا الرأي بما يأتي[1]:

في حال عدم وجود بنوك إسلامية يكون حكم تعامل المسلم مع النوافذ الإسلامية في هذه الحالة حكم المضطر، لقوله تعالى: " فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [البقرة: 173]، وتنتفي الضرورة في حال وجدت البنوك الإسلامية وعليها يجب أن يتحول المسلم للعمل ببنوك تتوافق مع منهج الشرع الإسلامي.

[1] الشريف، فهد (2014)، الفروع الإسلامية التابعة للمصارف الربوية: دراسة في ضوء الاقتصاد الإسلامي، المكتبة الشاملة الذهبية، ص 24.

في حال عدم توافر البنوك الإسلامية فإن تعامل المسلم مع النوافذ الإسلامية أفضل من التعامل مع بنوك تقليدية لا تقدم خدمات ونشاطات مصرفية إسلامية. اقتصار التعامل مع النوافذ الإسلامية للضرورة قد يؤدي بالبنوك التقليدية للتحول بشكل سريع وكامل إلى بنوك إسلامية.

المبحث الثاني: الفرص والتحديات التي تواجه إنشاء النوافذ الإسلامية

عادة ما يواجه تطبيق أي نشاط تحديات كثيرة وفي المقابل فإن هناك فرصة تسهم في نجاحه وفي سبيل إنجاح عملية التنفيذ لا بد من تفادي هذه التحديات ومحاولة إيجاد الحلول والبدائل المناسبة قدر الإمكان، ولا يخفى على الكثير ما مرت به تجربة النظام المصرفي الإسلامي كونها حديثة إذا ما قورنت بتجربة النظام المصرفي التقليدي، لذا سنقوم بالتعرف إلى أهم الفرص والتحديات التي تواجه إنشاء النوافذ الإسلامية في تركيا كونها من النشاطات المصرفية الإسلامية التابعة للنظام المصرفي التقليدي وسنتحدث عن كل منها على حدة.

المطلب الأول: عوامل نجاح إنشاء النوافذ الإسلامية

هناك متطلبات وعوامل أساسية ذات أهمية بالغة لا بد من تواجدها عند إنشاء النوافذ الإسلامية التابعة للبنوك التقليدية، ومتى ما كانت متواجدة لدى أي بنك يرغب بممارسة العمل المصرفي الإسلامي فإنه حتما سيكون قادرة على تحقيق متطلبات النجاح، وهي كثيرة ولكن سنقوم بحصر بعضها كما يأتي:

أولا: التخطيط العلمي

في بداية أي عمل أو نشاط لا بد من التخطيط مسبقا قبل القيام بأي خطوة، لا سيما إن كان هذا النشاط يحقق ربحا، وينطبق هذا القول على النوافذ الإسلامية والتي يرغب البنك التقليدي عن طريقها بالعمل بالنشاطات المصرفية الإسلامية، بهدف الحصول على ربح، ويعتبر تحقيق الربح شرطة لاستمرارية البنك التقليدي في تقديمه للنشاطات المصرفية الإسلامية. وتلجأ البنوك التقليدية إلى إجراء دراسات متعمقة وأبحاث واستطلاع لآراء الجمهور والفئات المستهدفة من تلك النشاطات، والقيام بدراسة متعمقة قبل القيام بتلك النشاطات، فلا يكفي مجرد وجود الرغبة فقط بل لا بد من وجود الدراسات الداعمة والأبحاث، وبناء على وجود هذه المعطيات يتم وضع استراتيجية للبدء بالعمل، وتكون بمثابة خط سير للعاملين في الإدارة والنوافذ الإسلامية، وبالتالي وجود هدف يسعى الجميع لتحقيقه[1].

[1] السرحي، لطف محمد (2010): الفروع الإسلامية في البنوك التقليدية ضوابط التأسيس وعوامل النجاح، مؤتمر المصارف الاسلامية اليمنية الواقع وافاق المستقبل، ص21.

ثانيا: الالتزام الشرعي

يعد الالتزام بالعامل الشرعي من أهم عوامل النجاح لأي بنك يرغب بالعمل بالنشاط المصرفي الإسلامي، فمتى ما تم تعيين هيئة رقابة شرعية وأحكمت الرقابة على عمليات النوافذ الإسلامية وطبيعة المنتجات والخدمات التي تعمل على تقديمها، وتم التأكد من سلامة عقودها؛ بهذه الحالة نستطيع القول إن النافذة الإسلامية لديها التزام شرعي وهو معيار ومتطلب أساسي ومهم لضمان سير العمل بالشكل المطلوب، والذي يسهم في تكوين انطباع جيد عن طبيعة النشاطات المصرفية الإسلامية[1].

ثالثا: تأهيل الكوادر البشرية

يعتبر وجود الكوادر البشرية المؤهلة والمدربة جيدة عنصرة ومتطلبا مهما من متطلبات النجاح بالإضافة إلى وجود الوسائل التكنولوجية المتطورة، ولا سيما النوافذ الإسلامية، فإذا وجدت هذه العناصر فإنه ليس من الصعب على هذه النوافذ تحقيق النجاح، ولكن لا يعتبر تدريب هذه الكوادر بالأمر اليسير إذ يتطلب الأمر وقت وجهد كبيرين، ويتم وضع الخطط اللازمة لتدريب الموظفين ؛ على اختلاف المستويات من قيادات إدارية ومديري نوافذ إسلامية وموظفين، وكذلك البرامج التدريبية المناسبة، ولا بد من الاستمرارية في التدريب، ففي الغالب لا يكون للعاملين أي دراية بالعمل المصرفي الإسلامي . فإما أن يكون التدريب من داخل البنك عن طريق الاستعانة بالكفاءات التدريبية والقيام بإنشاء وحدات مستقلة متخصصة بالتدريب المصرفي الإسلامي، أو عن طريق الاستعانة بمراكز تدريب متخصصة أو مكاتب استشارية ذات صلة وثيقة بالبنك وتربطها به علاقات عمل أو يكون التدريب من خارج البنك وذلك بإرسال الموظفين للتدريب في بنوك إسلامية أو إلى مراكز تدريب خارجية[2].

رابعا: تطوير السياسات و النظم

تختلف طبيعة نشاط العمل المصرفي الإسلامي عن النشاط المصرفي التقليدي، فلا بد أن يكون هناك استمرارية في التطوير في النظم المحاسبية والفنية والعملياتية، وكذلك السياسات والإجراءات المتبعة، بشكل يتناسب مع طبيعة العمل المصرفي الإسلامي، ويعتبر عامل تطوير السياسات والنظم مه ولا بد من توفره من أجل ضمان نجاح عمل النوافذ الإسلامية. ويحتاج الوصول إلى هذا العامل إلى وقت وجهد كبيرين، فإن هناك عمليات تطوير مستمرة ولازمة من أجل ضمان

[1] المرطان، سعيد سعد (1999): ضوابط تقديم الخدمات المصرفية الإسلامية في البنوك التقليدية: تجربة البنك الأهلي التجاري السعودي، ص9.

[2] المصدر السابق، ص23.

استمرارية عمل النوافذ الإسلامية، ويزداد الأمر صعوبة في بنك يعمل بنظامين مصرفيين مختلفين، عندها يكون التحدي أكبر والجهد أصعب[1].

خامسا: سوق النقد بين البنوك الإسلامية

يعتبر وجود سوق نقد بين البنوك الإسلامية عام من عوامل النجاح، فهو يعد جزءا من السوق المالي الإسلامي، ويعمل على توفير مصادر الاستثمارات ذات تمويل قصير الأجل، وتقديم التسهيلات اللازمة لمشاريع المؤسسات المالية الإسلامية، ويتم عن طريقه تنفيذ السياسات النقدية والتي تؤدي إلى إحداث الاستقرار في النظام المصرفي، وبالتالي يؤثر بشكل جيد في حل مشكلة السيولة، فبعض البنوك تمتلك أموالا غير مستغلة والبعض الآخر بحاجة إليها لذا كان سوق النقد هو الحل الأمثل، خصوصا في ظل عدم وجود أدوات تمويل قصير الأجل تتوافق مع منهج الشرع الإسلامي . ومن الممكن تشجيع المؤسسات المالية للتداول في سوق النقد وإدارة السيولة والأصول، وذلك بعقد اتفاقيات مع البنوك التقليدية ضمن ضوابط الشرع الإسلامي وحدوده بهدف تفعيل السوق وتوسيع نطاق المشاركة، فالتعامل مع المؤسسات المالية الإسلامية ليس على سبيل الحصر بل يتعدى ذلك للمؤسسات المالية التقليدية[2].

سادسا: تعدد المنتجات المالية الإسلامية

تطورت الصناعة المصرفية الإسلامية بشكل كبير واستحدثت الكثير من المنتجات والخدمات وعقود التمويل الشرعية، والتي تلبي الاحتياجات الاقتصادية ومتطلبات العملاء ورغباتهم وظهرت المشتقات المالية الإسلامية وعقود التمويل العادية والمركبة، نتيجة لازدياد الطلب على التعامل بالنشاطات المصرفية الإسلامية حيث أن المستقبل للتمويل الإسلامي. وحتى تعمل هذه المنتجات بكفاءة في المؤسسات المالية الإسلامية وتحقق المصداقية الشرعية، لا بد من التزامها بالضوابط والمعايير الشرعية، وأن تخضع للتدقيق الشرعي، فالهدف من ابتكار وتطوير الأدوات والمنتجات المالية أن تجمع بين الكفاءة الاقتصادية والمصداقية الشرعية، حتى تكتسب ثقة المتعاملين ويكون التمويل وفقا لمنهج الشرع الإسلامي. يظهر للباحث بعد الحديث عن مقومات وعوامل النجاح والتي لا بد من وجودها عند التفكير بالعمل في النشاط المصرفي الإسلامي من قبل البنك التقليدي عن طريق النوافذ الإسلامية، أنه متى ما توافرت هذه العناصر فإنه سيتم الحكم مسبقا على نجاح العمل بالمنتجات والخدمات الإسلامية داخل هذه النوافذ الإسلامية، فهي شرط ومتطلب ذو أهمية بالغة،

[1] المرطان، سعيد بن سعد، مصدر سابق، ص10.

[2] لحساسنة، أحسن، شياد، فيصل (2014): منتجات سوق النقد بين المصارف الإسلامية: دراسة تحليلية نقدية للتجربة الماليزية مع محاولة تطوير منتجات التمويلية جديدة، بحث منشور مقدم إلى: كرسي سابك لدراسات الأسواق المالية الإسلامية، برنامج كاي البحث جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية الرياض السعودية، ص6.

وذلك لضمان سير العمل وفق أسس وضوابط صحيحة، مما يعكس صورة جيدة ويكون انطباعا حسنا عن طبيعة العمل بالنشاط المصرفي الإسلامي[1].

المطلب الثاني: التحديات التي تواجه إنشاء النوافذ الإسلامية

يواجه تأسيس النوافذ الإسلامية التابعة لبنوك تقليدية العديد من التحديات والتي تتمثل بما يأتي:

أولا: تحديات تتعلق بالسياسات والنظم

يوجد العديد من البنوك التقليدية التي ترغب بالعمل بالنشاط المصرفي الإسلامي، والتي لا تعطي أهمية للنظم المحاسبية المستخدمة في النوافذ الإسلامية بحيث لا تتناسب مع مبدأ الشرع الإسلامي وتكون نفس النظام المعمول به في النشاطات التقليدية، وكذلك عدم الاهتمام بالإجراءات والنظم الفنية التي تحتاجها النوافذ الإسلامية لديها، مما يؤدي إلى البطء في الإجراءات وسير العمليات داخل النافذة الإسلامية وبالتالي عدم تقديم الخدمات بشكل جيد مما يضعف من مستوى خدمة العملاء[2].

ثانيا: تحديات إدارية

تكمن هذه التحديات في عدم وجود رؤية واضحة لدى منسوبي الإدارات عن خطة الإدارة في حال رغبتها العمل بالصيرفة الإسلامية، خاصة إذا كانت هناك توجهات مستقبلية لدى إدارة البنك في التوسع بشكل تدريجي فيما بعد، مما يجد من مشاركة باقي الإدارات في صياغة القرارات وتوجهات الإدارة العليا، وبالتالي سيكون هناك قناعات وآراء غير مدروسة عند بعض أصحاب القرار فيما يتعلق بتوجهات العمل بنظام مصرفي مزدوج يجمع بين التقليدي والإسلامي. كذلك سيكون هناك تنافس واحتكاك بين القائمين على إدارات النوافذ الإسلامية وباقي فروع البنك التقليدية الأخرى، نتيجة لعدم مشاركة القرار من قبل باقي الإدارات أو تقبله، الأمر الذي سيؤثر بشكل على سير العمل، كما ويترتب على ذلك عدم إبداء الاستعداد من باقي الإدارات في البنك التقليدي على المساعدة في تطوير البدائل الإسلامية المنتجات البنك التقليدية، فلا تكون هناك دافعية للعمل بشكل مشترك ومنظم[3].

---

[1] المصدر السابق، ص63.

[2] فوزي، محمد (2015): تصنيف المنتجات والأدوات المالية الإسلامية المعاصرة. بوابة الشرق الإلكترونية https://al-sharq.com/opinion

[3] مصطفى ابراهيم، محمد مصطفى(2006) : تقييم ظاهرة تحول البنوك التقليدية للمصرفية الاسلامية، دراسة تطبيقية عن تجربة بعض البنوك السعودية، القاهرة، ص 129.

ثالثا: تحديات تتعلق بالكوادر البشرية

عند رغبة البنك التقليدي بالعمل بالنظام المصرفي الإسلامي، فإنه غالبا ما يواجه الكثير من العقبات فيما يتعلق بتأهيل الكوادر البشرية وتدريبها بالشكل الذي يتناسب مع طبيعة النشاطات المصرفية الإسلامية، وكذلك قلة أصحاب الخبرة والاختصاص وعدم معرفتهم بمبادئ التمويل وصيغ التمويل الإسلامي بشكل كافي. ويزداد الأمر صعوبة في حال عدم معرفة السبب الكامن من وراء عمل البنك التقليدي بالنوافذ الإسلامية بحيث تسود حالة من التشتت وعدم وضوح الرؤية وتدني مستويات الثقة والروح المعنوية لدى العاملين، مما يؤثر على سير العمل في النافذة الإسلامية.

رابعا: تحديات تتعلق بتطوير الأسواق

يوجد العديد من التحديات التي تعيق عمل النوافذ الإسلامية كونها تابعة لبنك تقليدي، فهناك من العملاء من يتحفظ عن التعامل مع بنك يقدم نشاطات مصرفية مزدوجة، وربما كان للمنافسة الشديدة أكبر الأثر على تطوير العمل بها والتي تتعرض لها من البنوك الأجنبية الكبيرة. تعمل البنوك على خدمة جميع الشرائح السوقية على اختلافها دون التركيز على شريحة أو قطاعات معينة، بالإضافة إلى صعوبة تقديم دعاية مباشرة وإعلانات تختص بالحديث عن الإدارة الإسلامية وأنشطتها.

خامسا: تحديات تتعلق بتوفير المنتجات

كون القطاع المصرفي الإسلامي حديث التجربة إذا ما قورن بالقطاع المصرفي التقليدي، فإنه ما زال يعاني من قصور أو يتخلله نقص في بعض الأمور، ومن أهمها المنتجات المالية الإسلامية فهي محدودة جدا والبدائل الإسلامية غير كافية، فهي بحاجة إلى تجديد وتطوير بشكل يتناسب مع منهج الشرع الإسلامي، حتى ترقى بالمستوى الذي يجب أن تكون عليه البنوك الإسلامية أو أي بنك تمارس العمل بالنشاط المصرفي الإسلامي[1].

سادسا: تحديات تتعلق بالعملاء

عادة ما يواجه أي أمر مستحدث الكثير من الشكوك والمخاوف وخاصة من قبل العملاء؛ فمنهم من يزال متوجسة من التعامل مع بنوك تعمل بنظام مصرفي مزدوج، مما يؤثر على مصداقية النشاطات الإسلامية التي تعمل بها النوافذ الإسلامية التابعة للبنك التقليدي. ومنهم من يعتقد أن تقديم

[1] بوفاسة، سليمان؛ ومناصري, أحمد (2016): اليات فتح نوافذ إسلامية بالبنوك التقليدية في الجزائر وعوامل نجاحها، الملتقى الوطني الخامس دور البنوك الاسلامية في تعبئة الادخارات المالية في ضل الازمة المالية الحالية بالتركيز على الجزائر، لواقع وافاق، جامعة المدية، الجزائر، ص12.

البنك التقليدي للنشاطات المصرفية الإسلامية عن طريق النوافذ الإسلامية تشويه للعمل المصرفي الإسلامي، فهو ليس بدافع ديني بقدر ما يسعى البنك التقليدي للربح باتباع نظامين مصرفيين مختلفين، وربما يكون ذلك عائقا في وجه قيام بنوك إسلامية جديدة، أو أن هذه النوافذ تشكل تهديدا للبنوك الإسلامية.

سابعا: تحديات تتعلق بعقود التمويل الصورية

هناك العديد من عقود التمويل تتعامل بها البنوك والتي تقدم خدمات مصرفية إسلامية، وهي عقود شرعية ولكنها أصبحت صورية أكثر منها حقيقية، وقد أثار حولها الجدل والشكوك، مثل عقد التوريق المصرفي والسلم وغيرها، ونتيجة للتنافس القائم بين البنوك أصبحت هذه العقود صورية وأصبحت عقود تورق مصرفية منظمة وعقود سلم منظمة، وقد طرأ عليها إضافات وتعديلات مما أدى بها إلى أن تنحرف عن مقاصدها وخرجت بشكل غير شرعي. لهذا المنتج[1].

ثامنا: تحديات تتعلق باختلاف الأحكام الشرعية لبعض المنتجات والأدوات

تظهر عدة مخاطر تشغيلية في حال الخطأ باستخدام بعض الصيغ التمويلية، وتزداد هذه المخاطر عند اختلاف آراء الفقهاء وتضاربها حول الحكم الشرعي ويؤدي ضعف التنسيق بين الهيئات الشرعية إلى تضارب كبير في الفتاوى الشرعية المتعلقة بصيغ تمويلية معينة، وفقدان الثقة بالمرجعية الفقهية، لذا وجب تجمع أهل الاختصاص من علماء شريعة وباحثين أكاديميين ومصرفيين من أجل الإجماع على الأحكام الشرعية، وقد تم إنشاء العديد منها مثل: هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية في البحرين، والأكاديمية العالمية للبحوث الشرعية « إسرا » في ماليزيا، والمجمع الفقهي الدولي بالسعودية وغيرها، ولكن هناك تحديات في إجماعهم على رأي واحد ومحاولة تقريب لآرائهم الفقهية، ومع ذلك سيبقى هناك اختلاف في الحكم بسبب طبيعة الاجتهادات الشرعية .

رأى الباحثان وجود العديد من التحديات التي قد تواجه قيام البنوك التقليدية بالعمل بالنظام المصرفي الإسلامي والمتمثل بإنشائها لنوافذ إسلامية، ولكن هذه التحديات تختلف تبعا لحالة كل بنك تقليدي، وحسب رغبته في التحول بشكل كامل للعمل بالنشاط المصرفي الإسلامي فيما بعد، كما ويؤثر عدم وضوح الرؤية المستقبلية للبنك على طبيعة النشاطات التي يقوم بها العاملون فيه، لذا إذا اتبع البنك التقليدي خطة واضحة ومنهجية سليمة، فإنه سيتم السير عليها بالشكل المطلوب، وتحقيق الأهداف التي يسعى إليها دون أن يؤثر أي جانب على آخر.

[1] سليمان ناصر؛ عبد الحميد بوشرمة (2010): متطلبات تطوير الصيرفة الأسلامية في الجزائر، مجلة الباحث، ورقلة، الجزائر، العدد السابع، ص311-313.

المبحث الثالث: النموذج المقترح لإنشاء نوافذ إسلامية في تركيا

المطلب الأول: إجراءات إنشاء نوافذ إسلامية في تركيا

يمكن تحديد مجموعة من الإجراءات للسماح للبنوك التقليدية بالعمل بالنشاطات المصرفية الإسلامية عن طريق النوافذ الإسلامية؛ وهي تشكل عناصر النموذج المقترح عمله في تركيا وهي بما يأتي:

أولا: تقديم طلب إلى البنك المركزي

يتم تقديم طلب للبنك المركزي ويتضمن الطلب بما يلي:

1. إجراء دراسة جدوى تفصيلية تغطي خمس سنوات على الأقل من التوقعات.
2. يجب أن تكون دراسة الجدوى شاملة وتفصيلية، توضح الرؤية والاستراتيجيات والتوقعات وتحقق الأهداف، وأن تتضمن طرائق إدارة المخاطر وتحليل نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات، كيا يجب أن تغطي هذه الدراسة الحوكمة الشرعية المقترحة وعمليات ونظام الالتزام.
3. يجب أن تتضمن دراسة الجدوى كيفية الفصل بين عمليات البنك التقليدية وعمليات الصيرفة الإسلامية والتي تتم عن طريق النافذة الإسلامية.
4. حتى يتم تعديل النظام الأساسي للبنك التقليدي يجب أن تتم موافقة الجمعية العامة غير العادية بحيث يسمح للبنك التقليدي بممارسة عمليات الصيرفة الإسلامية.
5. أن يدعم النظام الأساسي للبنك التقليدي عمليات الصيرفة الإسلامية والسياسات والإجراءات الداخلية للبنك، والتأكد كذلك من جاهزية التكنولوجيا والكوادر الوظيفية للعمل بالنافذة الإسلامية.
6. أن يتم تخصيص رأس مال كاف ومناسب لممارسة البنك التقليدي لعمليات الصيرفة الإسلامية.

ثانيا: موافقة البنك المركزي

الحصول على موافقة البنك المركزي التركي.

ثالثا: قسم عمليات الصيرفة الإسلامية

إنشاء قسم مختص بعمليات الصيرفة الإسلامية التابعة لبنوك تقليدية ويتولى هو بنفسه الإشراف على إدارة العمليات الخاصة به وهي بما يلي[1]:

[1] السرحي؛ لطف محمد ؛ **مصدر سابق** ، ص 67.

1. بعد الحصول على موافقة البنك المركزي، يجب على البنوك التقليدية التي تعتزم العمل بالنشاطات المصرفية الإسلامية عن طريق النوافذ الإسلامية إنشاء وحدة مخصصة / قسم إدارة المراقبة عمليات الصيرفة الإسلامية.

2. يتبع قسم عمليات الصيرفة الإسلامية بشكل مباشر إلى الإدارة العامة للبنك التقليدي، ويترأسه مسؤول من الإدارة العليا، ويكون منصبه بمستوى منصب مساعد المدير العام على الأقل، بشرط أن يكون لديه خبرة في مجال الصيرفة الإسلامية.

3. يتعين على هذا القسم المسؤوليات الآتية:

- الإشراف على وضع الإجراءات والسياسات والمنتجات وتطويرها.
- الإشراف على وضع آليات لضمان الالتزام الداخلي بالشريعة الإسلامية وتطويرها.
- الإشراف على تأهيل الموظفين للعمل بالنشاطات المصرفية الإسلامية وتدريبهم
- الحرص على التنسيق الدائم والحفاظ على العلاقات مع باقي الأقسام في البنك التقليدي.
- ضمان تقديم نتائج موثوقة للبنك المركزي وفي الوقت المطلوب.
- التأكد من التقيد بكافة التعليمات والأنظمة والقوانين الصادرة عن البنك المركزي
- المراقبة المستمرة لتطابق عمليات الصيرفة الإسلامية مع المعايير الدولية في هذا المجال.

رابعا: معايير الصيرفة الإسلامية

يقصد بها المعايير الشرعية والمعايير المحاسبية بالإضافة إلى معايير الحوكمة للمؤسسات المالية الإسلامية الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية[1].

خامسا: آلية الالتزام الشرعي

- يجب على كل مصرف إسلامي تعيين هيئة رقابة شرعية قبل مباشرته العمل، على ألا يقل عدد أفرادها عن ثلاثة أشخاص مختصين بفقه الشريعة ومن ذوي الخبرة بعمل المؤسسات المالية الإسلامية وتكون قراراته ملزمة في جميع أعمال المصرف وبما لا يتعارض مع أحكام هذا القانون وأنظمة وتعليمات.

[1] Central Bank of Bahrain, LR 1 A Sharia Compliant Transactions Bank Negara Malaysia, Guidelines on Skim Perbankan Islam. State bank of Pakistan, IBD Circular Letter No.1

- تتولى هيئة الرقابة الشرعية مسؤولية التأكد من كون جميع أعمال النافذة متفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها قبل مباشرة المصرف بالقيام بهذه النشاطات والأعمال وخلال تنفيذها ولدى الانتهاء منها[1].

سادسا: فصل السجلات

- يجب على البنك التقليدي تخصيص سجلات محاسبية مستقلة تتعلق بعمليات الصيرفة الإسلامية، لضمان عدم اختلاط أموال النافذة الإسلامية والعمليات التقليدية
- أن يكون للبنك التقليدي حساب مستقل في البنك المركزي الأغراض عمليات الصيرفة الإسلامية.
- لا بد من التمييز بين جميع المستندات والوثائق والنماذج وإيصالات الإيداع ودفاتر الشيكات والبريد الإلكتروني وغيرها عن باقي النماذج التقليدية المستخدمة في البنك التقليدي[2].

سابعا: الإفصاحات المالية

- يجب أن تفصح البنوك التقليدية عن نتائج عمليات النوافذ الإسلامية بشكل مستقل في القوائم المالية التي تصدرها دورية وفي الإيضاحات المتممة لها.
- يجب إعداد الإيضاحات عن نتائج النوافذ الإسلامية وفقا للمعايير المحاسبية للمؤسسات المالية الإسلامية الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية «أيوفي»[3].

المطلب الثاني: الهيكل التنظيمي لنموذج النوافذ الإسلامية المقترح في تركيا

فيما يتعلق بالهيكل التنظيمي للنموذج المقترح عمله للنوافذ الإسلامية التابعة للبنوك التقليدية، فإن النافذة الإسلامية تتبع قسم عمليات الصيرفة الإسلامية والتي تتبع بدورها الإدارة العامة للبنك التقليدي الأم.

[1] Bank Negara Malaysia, Guidelines on Skim Perbankan Islam. . State bank of Pakistan, IBD Circular Letter No. 01 Central Bank of Bahrain, LR 1 A Shari's Compliant Transactions ***https://www.bnm.gov.my/publication***

[2] Bank Negara Malaysia, Guidelines on Skim Perbankan Islam. State bank of Pakistan, IBD Circular Letter No. 01 Central Bank of Bahrain, LR 1 A Shari's Compliant Transactions ***https://www.bnm.gov.my/publication***

[3] IPSB . " CORE PRINCIPLES FOR ISLAMIC FAINANCE REGULATION BANKING SEGMENT) (CPIFR). P61. 180

من خلال ما تم عرضه ومناقشته في هذا البحث، ينبغي ان تتوفر الخصائص ادناه في النوافذ الإسلامية اذا تم انشاؤها في تركيا , وهذه الخصائص هي[1]:

1. توافق تعاملات النافذة مع قواعد الشريعة .
2. توافقها مع متطلبات البنك المركزي التركي .
3. أن تتمتع بالشخصية المعنوية المستقلة عن البنك.
4. تراعي مبادئ الإفصاح و الشفافية.

الخاتمة:

أولا: الاستنتاجات

نستنتج مما سبق ما يلي:

1. تعتبر النوافذ الإسلامية حلا جيدا ومقبولا لممارسة البنوك التقليدية للنشاطات المصرفية الإسلامية؛ وذلك تمهيدا لتحولها لبنك إسلامي كامل فيما بعد.
2. لا بد من أسلمة النظام المصرفي التقليدي حسب خطة زمنية موضوعة، ولكل بنك دوافعه وأسلوبه في التحول للعمل بالنشاط المصرفي الإسلامي.
3. عدم وجود الكوادر المؤهلة بالنشاطات المصرفية الإسلامية بشكل عائقا أمام البنوك التقليدية في إنشاء النوافذ الإسلامية.
4. إذا وجدت المتطلبات الأساسية لدى أي بنك يرغب بممارسة العمل المصرفي الإسلامي فإنه حتما سيكون قادرة على تحقيق متطلبات النجاح.
5. يعتبر أسلوب النوافذ الإسلامية خطوة مشجعة لتحول البنك التقليدي إلى بنك إسلامي متكامل؛ الأمر الذي يتطلب وجوب قيام أصحاب القرار بتوفير المتطلبات والخطة اللازمة للقيام بعملية التحول المصرفي.

[1] مشعل، عبدالباري (2016): النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية: تجارب مقارنة ومقترح لتونس، تونس, الجمعية المهنية التونسية للبنوك والمؤسسات المالية، ص12.

ثانيا: التوصيات

هناك عدة توصيات يراها الباحثان ضرورية:

1. ضرورة زيادة الوعي والتثقيف المصرفي بين الأفراد للتعريف بالمصرفية الإسلامية في تركيا.
2. ينبغي ترسيخ فكرة المصرفية الإسلامية بشكل أفضل، وإعطائها الاهتمام من قبل وزارة التربية والتعليم.
3. يعتبر سن قوانين تراعي خصوصية التمويل الإسلامي ضرورة ملحة؛ التطوير العمل بالنوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية في تركيا.
4. لا بد من زيادة تدريب الكوادر المصرفية وتأهيلها بشكل يتوافق مع طبيعة عمل النشاط المصرفي الإسلامي.

ويرى الباحثان: بخصوص النافذة الإسلامية بشكل عام والهيكل التنظيمي لها بشكل خاص إن الهيكلية وارتباطاتها الادارية والفنية تتغير وقد تأخذ اشكال متعددة وذلك حسب: حجم البنك، حجم أعمال النافذة المتوقع، نوع الخدمة (أو الخدمات والمنتجات المالية) التي ستقدمها النافذة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

1. السرحي، لطف محمد (2010) . الفروع الإسلامية في البنوك التقليدية ضوابط التأسيس وعوامل النجاح. بحث مقدم الى مؤتمر المصارف الاسلامية اليمنية الواقع وافاق المستقبل.
2. الشريف، فهد (2005) . الفروع الإسلامية التابعة للمصارف الربوية بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي . جامعة أم القرى , مكة المكرمة .
3. الشريف، فهد (2014) . الفروع الإسلامية التابعة للمصارف الربوية: دراسة في ضوء الاقتصاد الإسلامي: المكتبة الشاملة الذهبية.
4. المرطان، سعيد بن سعد (2005) . تقويم المؤسسات المنطقة الإسلامي، النوافذ الإسلامية للمصارف التقليدية، المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة.
5. المرطان، سعيد سعد (1999) . ضوابط تقديم الخدمات المصرفية الإسلامية في البنوك التقليدية: تجربة البنك الأهلي التجاري السعودي.
6. فوزي، محمد (2015) . تصنيف المنتجات والأدوات المالية الإسلامية المعاصرة: بوابة الشرق الإلكترونية https://al-sharq.com/opinion

7. لحساسنة، أحسن؛ شياد، فيصل (2014) . منتجات سوق النقد بين المصارف الإسلامية: دراسة تحليلية نقدية للتجربة الماليزية مع محاولة تطوير منتجات التمويلية جديدة، بحث منشور مقدم إلى: كرسي سابك لدراسات الأسواق المالية الإسلامية، برنامج كاي البحث جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية الرياض .

8. مشعل، عبدالباري (2016) . النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية: تجارب مقارنة ومقترح لتونس، الجمعية المهنية التونسية للبنوك والمؤسسات المالية، تونس.

9. بوفاسة ، سليمان؛ ومناصري، احمد (2016) . اليات فتح نوافذ اسلامية بالبنوك التقليدية في الجزائر وعوامل نجاحها، الملتقى الوطني الخامس دور البنوك الاسلامية في تعبئة الادخارات المالية في ضل الازمة المالية الحالية بالتركيز على الجزائر، لواقع وافاق، جامعة المدية، الجزائر.

10. بوشرمة ، سليمان ناصر؛ عبد الحميد (2010) . متطلبات تطوير الصيرفة الاسلامية في الجزائر، مجلة الباحث، ورقلة، الجزائر، العدد السابع.

11. مصطفى، ابراهيم محمد مصطفى (2006) . تقييم ظاهرة تحول البنوك التقليدية للمصرفية الاسلامية، دراسة تطبيقية عن تجربة بعض البنوك السعودية، ، الجامعة الامريكية المفتوحة، ، القاهرة.

12. زعتري ، علاء الدين (2001) . المعاملات الإسلامية في البنوك الغربية , مجلة الاقتصاد الإسلامي, بنك دبي الإسلامي , الإمارات العربية المتحدة , العدد 241.

13. الزرقا ، أحمد محمد (1989) . شرح القواعد الفقهية , دمشق , الطبعة الثانية: دار القلم .

14. محيريق ، عدنان (2012) . التحول نحو الصيرفة الإسلامية مع الإشارة للحالة الجزائر، مجلة الدراسات الاقتصادية والمالية، جامعة الشهيد حمية لخضر، الوادي، الجزائر، العدد (10)، الجزء (2) .

15. باهي ، سندس ريحان (2018) . دراسة واقع فتح نوافذ إسلامية في البنوك التجارية – دراسة تجارب دولية رائدة (الإمارات، ماليزيا بريطانيا، نيجيريا والجزائر)،الجزائر :جامعة ام البواقي، رسالة ماجستير غير منشورة.

المصادر الاجنبية:

1- Central Bank of Bahrain, LR 1 A Sharia Compliant Transactions Bank Negara Malaysia, Guidelines on Skim Perbankan Islam. State bank of Pakistan, IBD Circular Letter No.1

2- Bank Negara Malaysia, Guidelines on Skim Perbankan Islam. . State bank of Pakistan, IBD Circular Letter No. 01 Central Bank of Bahrain, LR

1 A Shari's Compliant Transactions

https://www.bnm.gov.my/publication

3- IPSB, "CORE PRINCIPLES FOR ISLAMIC FAINANCE REGULATION BANKING SEGMENT) (CPIFR. P61. 180

4- IFSB, CORE PRINCIPLES FOR ISLAMIC FAINANCE REGULATION BANKING SEGMENT (CPIFR).
https://www.regulationtomorrow.com/eu/ifsb-issues-core-principles-for-islamic-finance-regulation-banking-segment

5- *IFSB, CORE PRINCIPLES FOR ISLAMIC FAINANCE REGULATION (BANKING SEGMENT)(CPIFR), 2015, P61.*

6-Azmi. Sofiza, 2018. Development of Islamic Windows of Conventional Banks Global Trends, Islamic finansnews, https: // islamicmarkets.com/publication development - of - islamic - windows - cvetical – buks.

الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به

The da'if (weak) hadith and the ruling to take it as evidence

إعداد: كوثر أعظم عبد الرحمن: طالب دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

إشراف: د. عبد الودود مقبول أحمد محمد حنيف: كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

Prepared by: **Kawthar Azam Abdul Rahman**: PhD student, College of Da'wa 'Islamic Call' and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia (KSA).

Supervisor: **Dr. Abdul-Wadud Maqbool Ahmad Muhammad Hanif**: College of Da'wa 'Islamic Call' and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia (KSA).

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة الى تحليل حكم الاحتجاج بالحديث الضعيف، وهذا بعد تحديد تعريف الحديث الضعيف وتبيان الفرق بينه وبين الأنواع الأخرى من الحديث، وصولا الى الجزم بحكم الاحتجاج بالحديث الضعيف بناءً على ما جاء في القرآن الشريف والسنة النبوية الشريفة، ومن اجل تحقيق هدف الدراسة والاجابة على السؤال الجوهري لها تم اعتماد المنهج الوصفي وأسلوب تحليل المحتوى، وقد توصلت الدراسة الى جملة من النتائج أبرزها: أن الحديث الضعيف لا يحتج به في العقائد والأحكام الشرعية أما في الفضائل والترغيب والترهيب يحتج به. والله أعلم، وقد اوصت الدراسة بضرورة التمييز بين المقبول والمردود من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدم الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة ففي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة والحسنة خير زاد لهم على طريق الدعوة.

الكلمات المفتاحية: حديث، حديث ضعيف، احتجاج، قرآن، سنة نبوية شريفة.

Abstract:

This study aims at analyzing the ruling to take the da'if hadith (weak) as evidence, and this occurred after identifying the definition of the da'if hadith and clarifying the difference between it and other types of hadith, leading to assert the ruling to take the da'if hadith (weak) as evidence. based on what was stated in the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet. In this study, the descriptive approach and the content analysis method were adopted to achieve the objective of the study and answer its essential question. The study found a group of results and the most significant one was the da'if hadith (weak) is not taken as evidence in Islamic doctrines and Sharia law, but it is taken as evidence in virtues, invitation and intimidation, Allah only knows. The study recommended the necessity of distinguishing between what is acceptable and what is rejected from the hadith of the Messenger of God, peace be upon him, and not to depend on weak and fabricated hadiths. The authentic and good hadiths of the Messenger of God, peace be upon him, are the best knowledge and awareness for them on the path of Da'wa 'Islamic Call'.

Keywords: hadith, da'if hadith (weak), taking as evidence, Quran, the Sunnah of the Prophet.

المبحث الأول: الإطار المنهجي

المقدمة:

لا ريب أن من أعظم الأعمال التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه هو الدفاع عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وأعتقد إجماع العلماء أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم قد دخل فيها الشيء الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حتى إن الواحد منا قد يتعجب إذا قيل له (هذا الحديث ضعيف) لكثرة انتشاره بين المجتمع رجالهم ونسائهم صغارهم وكبارهم بل وحتى على مستوى بعض الدعاة وحتى خطباء المساجد بل وحتى بعض القنوات التي يخرج فيها برامج دينية أو إذاعات دينية. ويعتد الباحث أنَّ وهذا الانتشار دليل خطر قادم ولكن الناس لا يشعرون.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

تتطور الأمم بشكل يخدم صالحها العام إذا التزمت بشروط وضوابط وقامت على أسس ومبادئ متينة، لا يشوبها الشك أو الخطأ، وقد تنتشر أحياناً أقوال أو تصرفات عن السلف الصالح أو عن الصحابة الأجلاء، ولكثرة تداولها تُنسب بالخطأ –ليس بسوء النية– الى أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويتوارثها المسلمون، وقد يحتجون بها في الكثير من الظروف، في هذا السياق نطرح سؤال الإشكالية التالية:

ما الأسباب التي تجعل الحديث ضعيف؟ وما حُكم الاحتجاج به؟

للإجابة على سؤال الإشكالية، ارتأينا طرح الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما المقصود بالحديث الضعيف؟

2- ما الفرق بين الحديث الضعيف وغيره من الأحاديث؟

3- هل يصّح الاحتجاج بالحديث الضعيف؟

أهمية الدراسة:

لا شك أن السنة النبوية هي مصدر ثاني لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهي مبينة لأحكام الله سبحانه وتعالى فلا بد:

1. أن تكون صافية محفوظة عن اختلاط بسقيمها؛
2. بناء الأحكام على الحديث الضعيف قد يجعلها هبا ء منثورا.

من أجل النقاط السابقة والآتية اختار الباحث هذا الموضوع:

1. خطر الحديث الضعيف؛

2. تحذير الأمة عن الحديث الضعيف.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى توضيح المفاهيم أولا وعلى رأسها الحديث، والحديث الضعيف، والكشف كل ما يدور حول الحديث الضعيف من سلبيات تشوبه والتي قد تمثّل مخاطر بالنسبة للأمة الإسلامية.

منهج الدراسة:

انطلاقا مما يخدم الموضوع وللإجابة على السؤال الجوهري لمطروح، فقد تم اعتماد المنهج الوصفي وأسلوب تحليل المحتوى، وذلك بالتطرق الى مختلف النصوص التي تناولت موضوع الحديث النبوي الشريف، من حيث الأقسام والعناصر وغيرها من العناصر كجزء أول من الدراسة، لننتقل بعدها بتحليل المحتوى المتعلق بحكم الاحتجاج بالحديث الضعيف، والشروط اللازمة للعمل به.

المبحث الثاني: الإطار النظري للدراسة

أولاً. الحديث النبوي: تعاريف وأقسام

1. تعريف الحديث النبوي الشريف:

تعريف الحديث النبوي لغة: الجديد من الأشياء، نقيض القديم، ويطلق على الكلام، قليله وكثيره، لأنه يحدث ويتجدد شيئا فشيئا، وجمعه أحاديث على غير قياس[1]. **واصطلاحا:** عرفه الكرماني بأنه: علم يعرف به أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله[2]. وتم تعريف الحديث النبوي الشريف من قبل الحافظ ابن حجر بأنه: "ما يضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم[3]. كما عرفه السخاوي بأنه: "ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولا له أو فعلا أو تقريراً أو صفة حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام[4].

---

[1] الفارابي، أبو نصر (1987م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملايين – بيروت، ص278؛ بن على، محمد؛ أبو الفضل، الإفريقى، جمال الدين: لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر – بيروت، ص13

[2] الكرماني، محمد: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان 1937م، ط2 – 1981م، ص12.

[3] الشافعي، أحمد: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، ص193.

[4] السخاوي، شمس الدين (2003م): فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، ط1، القاهرة: مكتبة السنة – مصر، ص22.

2. أقسام الحديث النبوي الشريف:

تقسيم الحديث باعتبار وصوله إلينا، الى نوعين أساسيين، هما: الحديث التواتر والحديث الآحاد.

- **تعريف الحديث المتواتر:**

تعريف التواتر لغة: مشتق من التواتر، بمعنى التتابع. يقال: تواترت الإبل والقطا وكل شيء إذا جاء بعضه في إثر بعض ولم تجيء مصطفة[1]. وتعريف التواتر اصطلاحا: ما نقله عدد لا يمكن مواطأتهم على الكذب عن مثلهم ويستوي طرفاه والوسط ويخبرون عن حسي لا مظنون .[2]

- **تعريف الحديث الآحاد:**

تعريف الآحاد لغة: الآحاد جمع أحد، بمعنى: الواحد، وخبر الواحد هو: ما يرويه شخص واحد. وتعريف الآحاد اصطلاحا: هو ما لم يجمع شروط المتواتر[3].

وينقسم الحديث الآحاد بدوره الى:

❖ أنواع الخبر الآحاد: يتنوع خبر الآحاد إلى مشهور وعزيز وغريب.

- **المشهور**: لغة: المشهور اسم مفعول مأخوذ من الشهرة التي هي في الأصل وضوح الأمر وانتشاره وذيوعه. واصطلاحا: ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة، ما لم يبلغ حد التواتر[4].
- **العزيز**: لغة: صفة مشبهة من عز الشيء يعز بكسر العين في المضارع عزا وعزازة إذا قل بحيث لا يكاد يوجد. أومن قولهم: عز يعز بفتح العين في المضارع عزا وعزازة أيضا، إذا اشتد وقوي، ومنه قوله تعالى} فعززنا بثالث {أي قويناهما به. واصطلاحا: وهو ما لا يرويه أقل من اثنين عن اثنين[5] .

---

[1] محمّد؛ الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس الحسيني، دار الهداية، ص338.

[2] النووي، أبو زكريا: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص131.

[3] العسقلاني، أبو الفضل (2000م): نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: تحقيق نورالدين عتر، ط3، دمشق: مطبعة الصباح، ص210.

[4] الطحان، محمود(2010م): تيسير مصطلح الحديث، ط11، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ص30.

[5] بن محمد، علي؛ القاري، أبو الحسن: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، بيروت: دار الأرقم – لبنان، ص 197.

- **الغريب:** لغة: صفة مشبهة، بمعنى المنفرد، أو البعيد عن أقاربه. واصطلاحا: هو الذي يتفرد به شخص واحد[1].

كما ينقسم الحديث الى أصناف عدّة أهمها: مشهور، عزيز، غريب من حيث القبول والرد.

- الأول: المقبول. وهو ما ترجح صدق المخبر به. وحكمه: وجوب الاحتجاج والعمل به[2].
- الثاني: المردود. وهو ما لم يترجح صدق المخبر به. وحكمه: أنه لا يحتج ولا يجب العمل به[3].

أقسام الحديث المقبول، وهي أربعة:

1. تعريف صحيح لذاته: الصحيح لغة: ضد السقيم[4]. واصطلاحا: ما اتصل سنده بنقل عدل تام الضبط، متصل السند، غير معلل ولا شاذ.[5]
2. حسن لذاته: الحسن لغة: صفة مشبهة من "الحسن" بمعنى الجمال. واصطلاحا: تعريف الحافظ ابن حجر: الصحيح إذا خف ضبطه فهو حسن لذاته[6].
3. الصحيح لغيره: الحسن لذاته إذا تعددت طرقه فهو صحيح لغيره[7].
4. الحسن لغيره: الضعيف إن تعدد طرقه وانجبر ضعفه يسمى حسنا لغيره[8].

❖ أقسام الحديث المردود: لقد قسم العلماء الحديث المردود إلى أقسام كثيرة، وأطلقوا على كثير من تلك الأقسام أسماء خاصة بها، ومنها ما لم يطلقوا عليها اسما خاصا بها، بل سموها باسم عام، وهو "الضعيف".

أما أسباب رد الحديث فكثيرة، لكنها ترجع في الجملة إلى أحد سببين رئيسيين، هما: 1- سقط من الإسناد، 2- طعن في الراوي.

---

[1] المصدر نفسه، ص210.

[2] الطحان، مصدر سابق، ص32.

[3] المصدر السابق، ص42.

[4] الرازي، زين الدين(1999م): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ص173.

[5] العسقلاني، مصدر سابق، ص58.

[6] المصدر السابق، ص210.

[7] المصدر السابق، ص210.

[8] الحنفي، عبد الحق (1986م): مقدمة في أصول الحديث، تحقيق: سلمان الحسيني الندوي، ط2، بيروت، دار البشائر الإسلامية – لبنان، ص59.

وتحت كل من هذين السببين أنواع متعددة، يأتي بيانها مبتديا بمقصد "الضعيف" الذي يعد الاسم العام لنوع المردود.

ثانياً. الحديث الضعيف وأسباب الضعف في الحديث

1. تعريف الحديث الضعيف

الضعيف لغة: ضد القوي[1]. واصطلاحا: وهو ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح، ولا صفات الحسن[2].

2. أسباب الضعف في الحديث

– السبب الأول من أسباب الضعف في الحديث وهو السقط من السند. ويتنوع السقط من الإسناد بحسب ظهوره وخفائه إلى نوعين:

- النوع الأول: سقط ظاهر: قد اصطلح علماء الحديث على تسمية السقط الظاهر بأربعة أسماء، بحسب موضع السقط، أو عدد الرواة الذين أسقطوا، ويأخذ العديد من الأشكال مثل: المعلق، المرسل، المعضل، والمنقطع.
- النوع الثاني: سقط خفي: وهو لا يدركه إلا الأئمة الحذاق والمطلعون على طرق الحديث وعلل الأسانيد، وله تسميتان: المدلس، والمرسل الخفي.

الأول: أنواع السقط الظاهر

1. المعلق: المعلق لغة: هو اسم مفعول من "علق" الشيء بالشيء، أي أناطه وربطه به، وجعله معلقا. وسمي هذا السند معلقا بسبب اتصاله من الجهة العليا فقط، وانقطاعه من الجهة الدنيا، فصار كالشيء المعلق بالسقف ونحوه. والمعلق اصطلاحا: الحديث الذي حذف جميع إسناده، أو حذف من أول إسناده راو فأكثر .[3]
2. المرسل لغة: المطلق. والمرسل اصطلاحا: وهو قول التابعي الكبير كعبيد الله بن عدي بن الخيار وابن المسيب وأمثالهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله .[4]

[1] الفارابي، مصدر سابق، ص1390.

[2] ابن كثير؛ الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين(2013م): اختصار علوم الحديث، تحقيق: ماهر ياسين، الميمان للنشر والتوزيع – الرياض، ص44.

[3] الجديع، عبد الله (2003م): تحرير علوم الحديث، ط1، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ص850.

[4] المصري، ابن الملقن: المقنع في علوم الحديث، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، ط1، الرياض: دار فواز للنشر، ص129.

3. المعضل: المعضل لغة: اسم مفعول من "أعضله" بمعنى أعياه. عضل بي الأمر؛ أي: اشتد .[1] والمعضل اصطلاحا: المعضل ما سقط من إسناده اثنان فصاعداً من أي موضع كان (سواء) سقط الصحابي والتابعي، أو التابعي وتابعه، أو اثنان قبلهما .[2]
4. المنقطع: المنقطع لغة: اسم فاعل من "الانقطاع" وهو ضد الاتصال. والمنقطع اصطلاحا: هو: إسناد الحديث الذي سقط منه راو واحد قبل الصحابي في أي موضع من الإسناد.

الثاني: أنواع السقط الخفي

1. المدلس:

التدليس لغة: اسم مفعول من "التدليس" والتدليس في اللغة: كتمان عيب السلعة عن المشتري، والمدالسة كالمخادعة[3] وأصل التدليس مشتق من "الدلس" وهو الظلمة، أو اختلاط الظلام.[4] واصطلاحا: إخفاء عيب في الإسناد، وتحسين لظاهره .[5]

وهو قسمان: الأول: تدليس الإسناد: تدليس الإسناد بأن يروي عمن عاصره ما لم يسمعه منه موهما سماعه. وربما لم يسقط شيخه وأسقط غيره ضعيفا أو صغيرا تحسينا للحديث[6] . والثاني: تدليس الشيوخ: تدليس الشيوخ بأن يسمي شيخه أو يكني أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف[7].

2. المرسل الخفي:

المرسل الخفي لغة: المرسل لغة: المطلق. والخفي: ضد الجلي. واصطلاحا: ما يرويه عمن عاصره ولم يعرف أنه لقيه[8] .

---

[1] الصغاني، الحسن(1977م): التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: إبراهيم إسماعيل الأبياري، راجعه محمد خلف الله أحمد، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ص446.

[2] المالكي، شمس الدين(2014م): شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نغمان، ط1، صنعاء: مركز آل نغمان للبحوث والدراسات الإسلامية – صنعاء، ص107.

[3] ابن علي، ناصر؛ أبو الفتح، المُطَرِّزِيّ: المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، ص167.

[4] محمّد، مصدر سابق، ص84.

[5] الفاسي، بن محمد؛ ابن القطان (1997م): بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد ط1، الرياض: دار طيبة – الرياض، ص96.

[6] السيوطي، الجلال: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: نظر محمد الفاريابي أبو قتيبة، ط2، مكتبة الكوثر، ص198.

[7] السيوطي، المصدر نفسه، ص 256.

[8] الهيتي، ماهر(2000م): أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء، تحقيق: هاشم جميل، ط1، بغداد: دار عمار للنشر، رسالة ماجستيرغير منشورة، ص72.

- السبب الثاني من أسباب الضعف في الحديث، وهو الطعن في الراوي.

أسباب الطعن في الراي عشرة، خمسة منها تتعلق بالعدالة، وخمسة منها تتعلق بالضبط. أما التي تتعلق بالطعن في العدالة:

1. **الكذب:** بأن يروي عنه صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، متعمدا لذلك[1]. فحديثه يسمى "الموضوع." وهو شر الأحاديث الضعيفة، وأجمع العلماء أنه لا يحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مع بيان وضعه.
2. التهمة بالكذب: بأن لا يروى ذلك الحديث إلا من جهته، ويكون مخالفا للقواعد المعلومة، وكذا من عرف بالكذب في كلامه، وإن لم يظهر منه وقوع ذلك في الحديث النبوي، وهذا دون الأول سمي حديثه "المتروك."[2].
3. الفسق: ارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة[3] . ويسمى حديثه منكر.
4. الجهالة: بأن لا يعرف فيه تعديل ولا تجريح معين .[4]
5. البدعة: وهي اعتقاد ما أحدث على خلاف المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا بمعاندة، بل بنوع شبهة .[5]

أما التي تتعلق بضبط الراوي:

1. فحش الغلط: أي كثرة الخطأ، بأن يكون خطؤه أكثر من صوابه، أو يتساويان. ويسمى حديثه أيضا منكرا.
2. كثرة الغفلة: أي غفلته عن الاتقان .[6] يسمى حديثه أيضا منكرا.
3. الوهم: بأن يروي على سبيل التوهم[7] . ويسمى حديثه "المعلل".
4. المخالفة: أي مخالفته للثقات .[8] ويندرج تحته أنواع عديدة:

[1] العسقلاني، مصدر سابق، ص106

[2] المصدر السابق، ص107.

[3] الشائع، عبد العزيز: دراسة الأسانيد، ص40.

[4] العسقلاني، مصدر سابق، ص107.

[5] المصدر السابق، ص107.

[6] الشائع، مصدر سابق، ص50.

[7] العسقلاني، مصدر سابق، ص107.

[8] المصدر السابق، ص107.

- ✓ المدرج: ما غير سياق إسناده، أو أدخل في متنه ما ليس منه بلا فصل .[1]
- ✓ المقلوب: إبدال لفظ بآخر، في سند الحديث أو متنه، بتقديم، أو تأخير، ونحوه.
- ✓ المزيد في متصل الأسانيد: زيادة راو في أثناء سند ظاهره الاتصال .[2]
- ✓ المضطرب: ما روي على أوجه مختلفة متساوية في القوة .[3]
- ✓ المصحف: تغيير الكلمة في الحديث إلى غير ما رواها الثقات، لفظا أو معنى .[4]

5. سوء الحفظ: وهي عبارة عمن يكون غلطه أقل من إصابته .[5]

ثالثاً. متعلقات الحديث الضعيف

وتشتمل على العناصر الآتية:

1. حكم الرواية عن الضعفاء:

يجوز عند أهل الحديث وغيرهم رواية الأحاديث الضعيفة والتساهل في أسانيدها من غير بيان ضعفها – بخلاف الأحاديث الضعيفة جدًّا والموضوعة، فإنه لا يجوز روايتها إلا مع بيان وضعها بشرطين:

1) ألا تتعلق بالعقائد، كصفات الله تعالى أو أصول الدين.

2) ألا تكون في بيان الأحكام الشرعية الأصلية مما يتعلق بالحلال والحرام.

وقد أجاز بعض الفقهاء العمل بها في الأحكام الشرعية إذا لم يكن في الباب ما هو أقوى منها كالحنفية والحنابلة، بل وجل المذهب.

يعني يجوز روايتها في مثل الوعظ والترغيب والترهيب والقصص وما أشبه ذلك، وممن روي عنه التساهل في روايتها سفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل.[6]

قال الخطيب البغدادي في الكفاية: باب التشديد في أحاديث الأحكام، والتجوز في فضائل الأعمال: قد وردعن غير واحد من السلف أنه لا يجوز حمل الأحاديث المتعلقة بالتحليل والتحريم إلا

[1] العسقلاني، المصدر نفسه، ص107.

[2] الطحان، مصدر سابق، ص130.

[3] المصدر السابق، ص134.

[4] المصدر السابق، ص138.

[5] المصدر السابق، ص141.

[6] المصدر السابق، ص144.

عمن كان بريئا من التهمة، بعيدا من الظنة، وأما أحاديث الترغيب والمواعظ ونحو ذلك فإنه يجوز كتبها عن سائر المشايخ .[1]

وقال سفيان الثوري: "لا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم، الذين يعرفون الزيادة والنقصان، ولا بأس بما سوى ذلك من المشايخ[2] يحيى بن المغيرة، قال: سمعت ابن عيينة، يقول: "لا تسمعوا من بقية ما كان في سنة، واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره" .[3]

وعن النوفلي يعنى أبا عبد الله يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والسنن والاحكام تشددنا في الأسانيد وإذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الأعمال وما لا يضع حكما ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد حدثت عن عبد العزيز بن جعفر أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال قال أخبرني الميموني قال سمعت أبا عبد الله يقول أحاديث الرقاق يحتمل ان يتساهل فيها حتى يجئ شيء فيه حكم أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال انا محمد بن نعيم قال سمعت أبا زكريا العنبري يقول الخبر إذا ورد لم يحرم حلال ولم يحل حراما ولم يوجب حكما وكان في ترغيب أو ترهيب أو تشديد أو ترخيص وجب الاغماض عنه والتساهل في رواته آخر الجزء"[4].

وقال الميموني: سمعت أبا عبد الله، يقول: "الأحاديث الرقاق يحتمل أن يتساهل فيها حتى يجيء شيء فيه حكم"[5].

وقال محمد بن نعيم: سمعت أبا زكريا العنبري يقول: "الخبر إذا ورد لم يحرم حلالا، ولم يحل حراما، ولم يوجب حكما، وكان في ترغيب أو ترهيب، أو تشديد أو ترخيص، وجب الإغماض عنه، والتساهل في رواته"[6].

2. أضعف الأسانيد:

كما للحديث الصحيح مراتب ودرجات يعلو بعضها عن بعض فكذلك للحديث الضعيف مراتب وبالتالي تتفاوت الأسانيد في ضعفها ووهنها بعضها عن بعض. وقد بلغ من دقة علماء الحديث

[1] العسقلاني، مصدر سابق، ص107.

[2] عتر، نور الدين(1981م): منهج النقد في علوم الحديث، ط3، دمشق: دار الفكر، دمشق – سورية، ص296؛ ابن كثير؛ أبو الفداء: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلميةص240.

[3] البغدادي؛ أبو بكر: الكفاية في علم الرواية، دائرة المعارف العثمانية، ص133.، ص133.

[4] البغدادي، المصدر نفسه، ص134.

[5] المصدر السابق، ص134.

[6] المصدر السابق، ص134.

ومعرفتهم بأحوال الرواة، أن استطاعوا أن يدلوا على أضعف الأسانيد لكيلا يلبس على الناس، فيشتبه عليهم أمر الحديث، ويختلط عندهم المقبول منه بالمردود. فذكر العلماء أضعف الأسانيد بالنسبة لصحابي أو بلد معين: قال الحاكم: فأوهى أسانيد الصديق: صدقة الدقيق عن فرقد السبخي عن مرة الطيب عنه.

وأوهى أسانيد أهل البيت: عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه.

وأوهى أسانيد العمريين: محمد بن عبد الله بن القاسم بن عمر بن حفص بن عاصم عن أبيه عن جده فإن الثلاث لا يحتج بهم. وأوهى أسانيد أبي هريرة: السري بن إسماعيل عن داود بن يزيد الأودي عن ابيه عنه. واوهى أسانيد عائشة: نسخة عند البصريين عن الحارث بن شبل عن أم النعمان عنها. وأوهى أسانيد ابن مسعود: شريك عن أبي فزارة عن أبي زيد عنه. وأوهى أسانيد أنس: داود بن المحبر بن قحذم عن أبيه عن أبان بن أبي عياش عنه. وأوهى أسانيد المكيين: عبد الله بن ميمون القداح عن شهاب بن خراش عن إبراهيم بن يزيد الخوزي عن عكرمة عن ابن عباس. وأوهى أسانيد اليمانيين: حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس. وأوهى أسانيد المصريين: أحمد بن الحجاج بن رشدي عن أبيه عن جده عن قرة بن عبد الرحمن عن كل من روى عنه، فإنها نسخة كبيرة. وأوهى أسانيد الشاميين: محمد بن قيس المصلوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامه. وأوهى أسانيد الخراسانيين: عبد الرحمن بن مليحة، عن نهشل بن سعيد، عن الضحاك، عن ابن عباس[1].

5. مظان الحديث الضعيف

اعتنى العلماء ببيان مظان الحديث وأماكن وجوده، فمجرد وجود الحديث في هذه الكتب كاف عن بيان ضعفه. ومن هذه الكتب: كتاب الموضوعات لابن الجوزي، كتاب الضعفاء لابن حبان، الكامل لابن عدي، الضعفاء الكبير للعقيلي، كتاب الضعفاء لأبي الفتح الأزدي، نوادر الأصول للحكيم الترمذي، كتاب التاريخ للخطيب البغدادي، كتاب التاريخ لابن الجارود، كتاب التاريخ للحاكم، مسند الفردوس للديلمي، كتاب الأباطيل للجوزقاني، وكتاب التاريخ لابن عساكر.

فهذه الكتب نص العلماء على أن وجود الحديث في هذه الكتب فيها دليل على ضعفه. ومثلها جميع الكتب التي صنفها العلماء في الضعفاء من الرواة.

فإنهم يوردون لمناسبة الكلام على الراوي أحاديث من مروياته تنبيها على ضعفها أو استدلالا بها على ضعفه. ومن أهم الكتب التي ألفت في الضعفاء من الرواة: كتاب المجروحين للإمام يحيى

[1] البغدادي، المصدر نفسه، ص134.

بن معين، كتاب الضعفاء لعلى ابن المديني، كتاب الضعفاء لأبي حفص عمرو بن علي الفلاس، كتاب الضعفاء الكبير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي زرعة الرازي، كتاب الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث لأبي عثمان البرذعي، كتاب الضعفاء والمتروكين للإمام أبي عبد الرحمن النسائي، كتاب الضعفاء لأبي بشر محمد بن أحمد الدولابي، كتاب الضعفاء لأبي نعيم الأصبهاني، وكتاب الضعفاء لأبي بكر ابن العربي.

المبحث الثالث: الإطار التحليلي

أولاً. حكم الاحتجاج بالحديث الضعيف

ويشتمل على الفصول الآتية:

1. أقسام الحديث في ضوء مجمل ألفاظ الجرح والتعديل:

لعلماء الجرح والتعديل ألفاظ في جرح الرواة تجعلنا نقسم الحديث الضعيف إلى أربعة أقسام:

- ضعيف ضعفا يسيرا، كقولهم: فلان فيه لين، أو لين.
- ضعيف ضعفا متوسطا، كقولهم: فلان ضعيف، فلان كثير الغلط.
- ضعيف ضعفا شديدا، كقولهم: تالف، هالك.
- هو الذي يطلقون فيه على الراوي صفة الكذب والوضع، ولا علاقة لنا بهذا الأخير.

الضعف اليسير والمتوسط يكون بسبب شيء في ضبط الراوي، أما الضعف الشديد، فقد يكون بسبب الطعن في عدالته، وقد يكون بسبب خلل شديد في ضبطه، بأن تكون أوهامه كثيرة عددا، أو فاحشة معنى.

1. أقوال الأئمة المتقدمين: فمن بعدهم في صحة العمل بالضعيف :

نورد أقوالهم مرتبة على حسب وفياتهم، مع ملاحظة عامة، وهي: أنها شاملة لأقسام الضعيف الثلاثة: الضعف اليسير، والمتوسط، والشديد.

- الإمام سفيان الثوري (ت161)[1] : روى عنه الخطيب قوله: "خذوا هذه الرغائب وهذه الفضائل في المشيخة، فأما الحلال والحرام، فلا تأخذوه إلا عمن يعرف الزيادة فيه من النقص".
- الإمام عبد الله بن المبارك[2] : روى ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل،" عن أبيه، ثم روى بسنده عن أبيه عن عبدة بن سليمان ، قال: قيل لابن المبارك ، وروى عن رجل حديثاً ، فقيل هذا رجل

[1] البغدادي، المصدر نفسه، ص134.

[2] السيوطي، مصدر سابق، ص197-198.

ضعيف؟ فقال يحتمل أن يروى عنه هذا القدر، أو مثل هذه الأشياء. قلت لعبدة: مثل أي شيء كان؟ قال: في أدب، موعظة، في زهد." أو نحوه هذا.

- الإمام عبد الرحمن بن مهدي (198 هـ) [1]روى عنه الحاكم، والخطيب، قوله: أخرج الحاكم في المستدرك (1/ 666) قال: (وأنا بمشيئة الله أجري الأخبار التي سقطت على الشيخين في كتاب الدعوات على مذهب أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدي في قبولها فإني سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول سمعت أبا الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول كان أبي يحكي عن عبد الرحمن بن مهدي يقول: إذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات تساهلنا في الأسانيد) و إسناده حسن و الله أعلم)"[2] .

هذا كلام صريح قاطع، تداوله الخلف عن السلف، عن الإمام ابن مهدي، تحقيقا لهذا المعنى.

- الإمام سفيان بن عيينة (198 هـ)[3] : روى عنه ابن أبي حاتم قوله: لا تسمعوا من بقيه– بن الوليد – ما كان في سنة، واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره"[4].
- أحمد بن حنبل (241 هـ)[5] : روى عنه الخطيب في الكفاية: [6]

✓ من طريق صاحبه أبي عبد الله النوفلي قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: "إذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والسنن والأحكام، تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الأعمال، وما لا يضع حكما ولا يرفعه، تساهلنا في الأسانيد.

---

[1] هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث، توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. ينظر بن يوسف، يوسف؛ أبو الحجاج؛ المزي، جمال الدين (1980): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة – بيروت، 154.

[2] البغدادي، مصدر سابق، ص133–134

[3] هو عَبد الَلّ بن المُبارك بن واضح الحنظلي، التميمي، مولاهم، أبو عَبْدِ الرحْمنِ المَرْوَزيّ، أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسْلام. مات بهيت منصرفا من الغزو سنة إحدى وثمانين ومئة. ينظر بن يوسف، مصدر سابق، ص5.

[4] التميمي، أبو محمد؛ الحنظلي؛ الرازي (1952م): الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن– الهند، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص30.

[5] هو عَبْد الرحْمن بن مهدي بن حسان بن عَبْد الرحمن العنبري، وقيل: الأزدي، مولاهم، أبو سَعيد البصْريّ اللؤلؤي. توفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومئة. ينظر بن يوسف، مصدر سابق، ص430.

[6] النيسابوري، أبو عبد الله(1990م): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية – بيروت، ص666. البغدادي (1996): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ط3، مؤسسة الرسالة، ص91.

✓ من طريق صاحبه الآخر أبي الحسن الميموني قال: "سمعت أبا عبد الله يقول: أحاديث الرقاق يحتمل أن يتساهل فيها، حتى يجيء شيء فيه حكم".

- الإمام البخاري (256 هـ)[1] : أشار إلى استحبابه العمل بالضعيف في" صحيحه" تحت الباب 12 من كتاب الصلاة: "باب ما يذكر في الفخذ، ويروى عن ابن عباس، وجرهد، ومحمد بن جحش، عن النبي صلى الله عليه وسلم: " الفخذ عورة". وقال انس: حسر النبي صلى الله عليه وسلم عن فخذه [2]. وحديث أنس، وحديث جرهد أحوط، حتى يخرج من اختلافهم.
- مسلم بن الحجاج (261 هـ)[3] : قال في مقدمة صحيحه: " واعلم أن الواجب على كل أحد ألا يروي إلا ما عرف صحة مخارجه، والستارة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع"3[4]. فقوله: "صحة مخارجه" يدخل تحته الصحيح والحسن، وأما "الستارة في ناقليه": فهؤلاء هم المستورون الظاهر تصونهم واحتشامهم، المجهولون باطنا، وهذا يعني قبوله الضعف اليسير والمتوسط، وتمام كلامه يخرج من كان شديد الضعف، ومن كان مبتدعا، دون تفصيل.
- الإمام أبو داود السجستاني (275 هـ)[5] : نسب إليه ابن منده في "شروط الأئمة": أنه كان يخرج عن كل من لم يجمع على تركه، ويخرج الإسناد الضعيف، لأنه أقوى عنده من رأي الرجال .[6]

[1] هو سُفْيان بن عيَ يْ نة بن أبي عمْران، واسمه: ميمو ن الهلالي، أبو مُحمَد الكوفي، مولى مُحمَد بن مزاحم أخي الضحاك بن مزاحم، وكان أعور، وقيل: إن أباه عيَ يْ نة هو المكنى أبا عمْران. وكان سفيان سكن مكة ومات بها يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومئة، ودفن بالحجون. المصدر السابق، ص177.

[2] التميمي، مصدر سابق، ص 435.

[3] هو أحْمد بن مُحمَد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَيْ بانيّ، أبو عَبْد اَللّ المروزي، ثم البَ غْدَادِيّ. ولد ببغداد، ونشأ بِها، ومات بِه ا، وطاف البلاد في طلب العلم. توفي رحمه الله يوم الجمعة ضحوة ودفن بعد العصر لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومئتين. ينظر بن يوسف، مصدر سابق، ص437؛ التميمي، مصدر سابق، ص 68.

[4] البغدادي، مصدر سابق، ص134.

[5] هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بذذبة، وقيل: بردزبة، وقيل: ابن الأحنف الجعفي مولاهم، أبو عبد الله بن أبي الحسن البخاري الحافظ، صاحب "الصحيح" إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمعول على كتابه بين اهل الإسلام، توفي ليلة السبت ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومئتين. ينظر بن يوسف، مصدر سابق، ص 431؛ التميمي، مصدر سابق، ص92

[6] الشافعي، بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، ص83.

- أبو عيسى الترمذي (279 هـ)[1] روى الترمذي في "سننه"[2] من طريق حجاج بن نصير، عن معارك بن عباد، عن عبد الله ابن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعا: "الجمعة على من آواه الليل إلى أهله"، وأن هذا الحديث ذكر للإمام أحمد، فغضب وقال لمن ذكره: استغفر ربك، استغفر ربك، وقد كرر الترمذي هذا الكلام في "العلل الصغ ير" آخر "السنن"، وحكى عن يحي القطان تضعيف عبد الله المقبري جدا، وقال الترمذي: " كل من روي عنه حديث ممن يتهم، أو يضعف لغفلته وكثرة خطئه، ولا يرف ذلك الحديث إلا من حديثه: فلا يحتج به". فالراوي الذي هو أحسن حالا ممن هذه صفته يعمل بحديثه ويستفاد منه، فإذا روي من غير وجه صار حسنا لغيره يحتج به، وهذا الكلام يذكرنا بتعريفه للحديث الحسن لغيره عنده.
- قال ابن رجب في "شرحه "[3]: " مراده: أنه لا يحتج به في الأحكام الشرعية، والأمور العملية، وإن كان قد يروى حديث بعض هؤلاء في الرقائق والترغيب والترخيص، فقد رخص كثير من الأئمة في رواية الأحاديث الرقاق ونحوها عن الضعفاء"، فهذه حكاية ابن رجب عن الترمذي، وهو الخبير به والشارح لكتابه، وأذكر بمعنى قوله "لا يحتج به" أي: لا يجب العمل به، أما الجواز والاستحباب فشيء آخر.
- الإمام أبو عبد الرحمن النسائي (303 هـ)[4]: قال ابن منده في شروط الأئمة: "سمعت محمد بن سعد الباوردي يقول: كان من مذهب النسائي ان يخرج عن كل من لم يجمع على تركه"، وهذا قريب مما نحن فيه، وليس نصا في المراد، لكن واقعه العملي في كتابه " السنن الكبرى" لا سيما في " عمل اليوم والليلة" وغيره: واضح في المسامحة بالرواية عن الضعفاء، والتبويب على رواياتهم بما يدل على اعتمادها.

[1] هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، أبو الحسين النيسابوري الحافظ صاحب "الصحيح". توفي رحمه الله عشية يوم الأحد، ودفن الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومئتين. ينظر بن يوسف، مصدر سابق، ص499؛ التميمي، مصدر سابق، ص182.

[2] النووي، مصدر سابق، ص8.

[3] هو سُلَيْمان بن الأشعث بن شداد بن عَمْرو بن عامر، الحافظ، صاحب "السنن"، أحد من رحل وطوف وجمع وصنف وكتب عَنِ العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصْريين والجزريين والحجازيين وغيرهم. مات بالبصرة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومئتين. بن يوسف، ينظر مصدر سابق، ص355.

[4] بن منده، محمد: شروط الأئمة رسالة في بيان فضل الأخبار وشرح مذهب أهل الآثار، تحقيق: الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، ص73

- الإمام أبو محمد ابن أبي حاتم الرازي (327 هـ) [1]: قال كلاما قويا وأصلا في شأن الرواة وتقعيد للجرح والتعديل [2]، وقال في آخره وهو يعدد الرواة: " ومنهم الصدق والورع، المغفل الغلب عليه الوهم والخطأ، والسهو والغلط، فهذا يكتب من حديثه الترغيب والترهيب، والزهد والآداب، ولا يحتج بحديثه في الحلال والحرام".
- الإمام أبو محمد ابن حزم (456 هـ)[3]: قال في "المحلى" [4] بعد ما ذكر الحديث في دعاء القنوت: "القنوت ذكر الله ودعاء، فنحن نحبه، وهذا الأثر –" اللّهم اهدِنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارِك لَنا فيما أَعطيت، وقنا واصرِف عَنا شر ما قَضيت، سبحانك تَقضي ولا يُقضى عَليك. إنه لا يذل مَن والَيت ولا يعز من عادَيت تباركت ربنا وتعاليْت، فلك الحَمدُ يا الله عَلى ما قَضَيْت، ولك الشكر عَلى ما أَنْعَمتَ بِهِ عَلَينا وأولَيت، نستغفِرك يا رَبنا مِن جمَيعِ الذُّنوب والخَطايا ونَتوبُ اليك، ونؤمن بِكَ ونتوكل عليك، ونُثني عَليكَ الخير كله أنت الغَنِي ونحن الفقراء إليك، أَنت الوكيل ونحن المتوكلون عليك، أَنت القوِي ونحَن الضعفاء إليك، أَنت العزيز ونحن الأذلاء إليك.

وإن لم يكن مما يحتج به، فلم نجد فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره، وقد قال أحمد بن حنبل رحمه الله: ضعيف الحديث أحب إلينا من الرأي، قال عل ي–هو ابن حزم – وبهذا نقول".

[1] هو مُحمَد بن عيسى بن سورة بن مُوسَى بن الضحاك، وقيل: مُحَ مَد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن السلمي، أبو عيسى التّرمِذِيّ الضرير الحافظ، صاحب "الجامع "وغيره من المصنفات. أحد الأئمة الحفاظ المبرزين، ومن نفع الله بهِ المسلمين. مات أبو عيسى الترمذي الحافظ بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين. ينظر مصدر سابق، ص250.

[2] الترمذي؛ محمد (1996): سنن الترمذي أبواب الجمعة، تحقيق: بشار عواد معروفأ ط1، دار الغرب الإسلامي، ص502–633

[3] الحنبلي، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي (1987): شرح علل الترمذي، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، ط1، الارن، مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن، ص72–73.

[4] هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي القاضي الحافظ، صاحب كتاب "السنن" وغيره من المصنفات المشهورة. أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين والأعلام المشهورين. توفي رحمه الله بفلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاث مئة، وقيل: إنه مات بالرملة ودفن ببيت المقدس.

- الإمام أبو بكر البيهقي (458 هـ)[1] : قال في كتابه "شعب الإيمان "[2]: " وقد تساهل أهل الحديث في قبول ما ورد من الدعوات وفضائل الأعمال، متى ما لم تكن من رواية من يعرف بوضع الحديث، أو الكذب في الرواية".
- الإمام عمرو ابن الصلاح (643 هـ) [3]: قال في كتابه الشهير "علوم الحديث" آخر الحديث المقلوب: "يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد.

ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة، من غير اهتمام ببيان ضعفها، فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ، والقصص، وفضائل الأعمال، وسائر فنون الترغيب والترهيب، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد."

- الإمام عماد الدين ابن كثير (774 هـ) [4]: قال في "اختصار علوم الحديث" ما قاله ابن الصلاح تماما وهذا وحده كاف. وذكر في تفسيره عند الآية الثلاثين من سورة النور حديث أبي أمامة، وابن عمر، وحذيفة، وعائشة رضي الله عنهم، في غض البصر، وقال: "في إسنادها ضعف، إلا أنها في الترغيب، ومثله يتسامح فيه"[5].

ثانياً. شروط العمل بالحديث الضعيف

لصحة العمل بالحديث الضعيف شروط واجب التقيّد بها، وأهمها ما يأتي:[6] .

---

[1] هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. الإمام أبو بكر البيهقي الخسر وجردي. مصنف " السنن الكبير "، و" السنن الصغير "، و" السنن والآثار "، و" دلائل النبوة " و" شعب الإيمان "، و" الأسماء والصفات "، وغير ذلك. كان واحد زمانه، وفرد أقرانه، وحافظ أوانه، ومن كبار أصحاب أبي عبد الله الحاكم. توفي رحمه الله سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. ينظر الذهبي، شمس الدين: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المكتبة التوفيقية، ص95.

[2] هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو محمد التميميّ الحنظليّ، هو الإمام ابن الإمام حافظ الري وابن حافظها. رحل مع أبيه صغيرا وبنفسه كبيرا. توفي رحمه الله سنة سبع وعشرين ثلاثمائة. ينظر الذهبي، المصدر نفسه، ص533؛ التميمي، مصدر سابق، ص 5-6.

[3] هو عثمان بن عبد الرحمن) صلاح الدين (ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوريّ الكردي الشرخاني، أبو عمرو، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال. توفي بدمشق سنة ثلاث وأربعين وستمائة. ينظر الزركلي، خير الدين (2002): الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، ص207.

[4] هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح، مولى يزيد بن أبي سفيان بن الأموي، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي، الإمام أبو محمد. كان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وكثرة العلم. كان شافعي المذهب، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة. ينظر الذهبي، مصدر سابق، ص 74.

[5] الظاهري، أبو محمد: المحلى بالآثار، دار الفكر – بيروت، ص61.

[6] عوامة، محمد (2017): حكم العمل بالحديث الضعيف بين النظرية، والتطبيق، والدعوى، ط1، جدة: دار المنهاج – السعودية، ص73-74.

- أن يكون الحديث في باب الفضائل والترغيب والترهيب.
- ألا يصل به الضعف إلى كونه موضوعا.
- إخراج ما اشتد ضعفه عن دائرة ما يعمل به.
- أن يكون لهذا الحديث أصل يندرج تحته.
- ألا يعتقد العامل به ثبوته.
- ألا يشهر العامل به عمله أمام الناس.
- ألا يعتقد سنيته.
- ألا يخالف الضعيف حديثا صحيحا.

ثالثاً. حكم العمل بالحديث الضعيف

من خلال أقوال المتقدمين والمتأخرين وصلت إلى هذه النتيجة أنها يجوز العمل بالحديث الضعيف مادام الحديث في باب الفضائل والرغيب والترهيب، أما الأحكام الشرعية) الحلال والحرام (فلا، وأما العقائد فمن باب أولى ألا يحتج به فيها.

الخاتمة:

من خلال البحث في "الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به" تبين للباحث ما يلي:

- أولاً: عناية الأمة بحديث رسول الله، حيث قد وضعوا من القواعد والأسس ما يستطيع المرء أن يميز بين المقبول والمردود من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفوا بذلك عن السنة تحريف الغال ين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.
- ثانياً: أن الحديث الضعيف هو ما قصر عن درجة الحسن، أو هو: ما فقد شرطا من شروط القبول.
- ثالثاً: أن أسباب ضعف الحديث تعود إلى واحد من أمرين: إما لسقط في الإسناد، أو الطعن في الراوي. وأن السقط في الإسناد قد نتج عنه عدة أنواع من الضعيف هي: المعلق– المرسل– المنقطع– المعضل – التدليس– المرسل الخفي. وأن الطعن في الراوي يكون بعشرة أشياء بعضها أشد في القدح من بعض. خمسة منها تتعلق بالعدالة، وخمسة تتعلق بالعدالة. وقد نتج عن ذلك عدة أنواع من الضعيف هي: الموضوع – المتروك – المنكر – المعل – القلوب – المضطرب المصحف – الشاذ.

- رابعاً: أن الحديث الضعيف لا يحتج به في العقائد والأحكام الشرعية أما في الفضائل والترغيب والترهيب يحتج به. والله أعلم.

قائمة المصادر والمراجع:

- الهيتي، ماهر (2000م): أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء، تحقيق: هاشم جميل، ط1، بغداد: دار عمار للنشر، رسالة ماجستير غير منشورة.
- ابن كثير؛ الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين(2013م): اختصار علوم الحديث، تحقيق: ماهر ياسين، الميمان للنشر والتوزيع – الرياض.
- الفاسي، بن محمد؛ ابن القطان (1997م): بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد ط1، الرياض: دار طيبة – الرياض.
- محمّد؛ الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس الحسيني، دار الهداية.
- الجديع، عبد الله (2003م): تحرير علوم الحديث، ط1، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.
- السيوطي، الجلال: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: نظر محمد الفاريابي أبو قتيبة، ط2، مكتبة الكوثر.
- الصغاني، الحسن(1977م): التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق: إبراهيم إسماعيل الأبياري، راجعه محمد خلف الله أحمد، القاهرة: مطبعة دار الكتب.
- الطحان، محمود(2010م): تيسير مصطلح الحديث، ط11، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ص30.
- التميمي، أبو محمد؛ الحنظلي؛ الرازي (1952م): الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن– الهند، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الزمخشري، أبو القاسم: الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان: دار المعرفة.
- الشافعي، بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.
- السلامي، زين الله؛ البغدادي؛ الدمشقي؛ الحنبلي (1996م): فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط1، القاهرة: مكتبة الغرباء الأثرية– المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة.
- بن محمد، علي؛ القاري، أبو الحسن: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، بيروت: دار الأرقم.
- الفارابي، أبو نصر (1987م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملايين.

- بن على، محمد؛ أبو الفضل، الإفريقى، جمال الدين: لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر.
- الشافعي، أحمد: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت.
- السخاوي، شمس الدين (2003م): فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، ط1، القاهرة: مكتبة السنة.
- الكفاية في علم الرواية البغدادي؛ أبو بكر: الكفاية في علم الرواية، دائرة المعارف العثمانية.
- الكرماني، محمد: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان 1937م، ط2 – 1981م.
- الرازي، زين الدين(1999م): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا.
- ابن على، ناصر؛ أبو الفتح، المُطَرِّزِيّ: المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي.
- المالكي، شمس الدين(2014م): شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نغمان، ط1، صنعاء: مركز آل نغمان للبحوث والدراسات الإسلامية – صنعاء.
- الحنفي، عبد الحق (1986م): مقدمة في أصول الحديث، تحقيق: سلمان الحسيني الندوي ط2، بيروت، دار البشائر الإسلامية.
- المصري، ابن الملقن: المقنع في علوم الحديث، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، ط1، الرياض: دار فواز للنشر.
- الدينوري، أبو محمد (1992م): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أبي نصر، محمد (199م): تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط1، القاهرة: مكتبة السنة.
- النووي، أبو زكريا: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي
- عتر، نور الدين(1981م): منهج النقد في علوم الحديث، ط3، دمشق: دار الفكر.
- ابن كثير؛ أبو الفداء: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية.
- العسقلاني، أبو الفضل (2000م): نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ط3، دمشق: مطبعة الصباح.

دور الإعلام الاجتماعي في تعزيز الوعي بالقضايا الوطنية الفلسطينية: دراسة تحليل مضمون

The role of social media in promoting awareness of Palestinian national issues: a content analysis study

د. نجمه بنت سعيد بن خميس السريريه: أكاديمية وباحثة في الإعلام والعلاقات العامة، سلطنة عُمان.

Dr. Najma bint Saeed bin Khamis Alsareerya: Academic and researcher in media and public relations, Sultanate of Oman

الملخص:

هدفت الدراسة إلى معرفة أهمية الإعلام الاجتماعي على صعيد تعزيز وعي المتلقِّي بقضية فلسطين، وذلك كونها دراسة تحليل مضمون لبعض الدراسات والأبحاث السابقة التي تناولت بالبحث الموضوعات الفرعية لدراستنا، ومن أجل أن تحقِّق الدراسة ما هي هادفة له، اعتمَدَت الباحثة المنهاج العلمي الوصفي التحليلي في معرفة طبيعة العلاقة بين متغيرات الدراسة، وقد خلص البحث إلى نتائج عدة، أهمها: تحول وسائل التواصل الاجتماعي في الآونة الأخيرة إلى منابر سياسية وإعلامية للساسة، يؤثرون على الشعوب ويتلقون معلومات منهم أو حول توجهاتهم، ويمكن ملاحظة أن وسائل التواصل الاجتماعي صارت أحد مصادر المعلومات وعملت على تعزيز الوعي بالقضية الفلسطينية وقضاياها المختلفة. وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات، أبرزها: ضرورة إجراء العديد من الدراسات التي تتناول القضايا الفلسطينية جزئيًّا، مع عمل دراسات مقارنة بين مجتمعات عربية مختلفة للتعرف على أي مجتمع عربي يساند القضية الفلسطينية بشكل أكبر، خاصةً في ظل تعاطف بعض الشعوب العربية تعاطفًا كبيرًا مع قضية فلسطين مثل شعب الجزائر.

الكلمات المفتاحية: إعلام اجتماعي – إعلام جديد – قضية فلسطينية – وعي سياسي.

Abstract:

The study aimed at identifying the role of social media in promoting awareness of Palestinian national issues, as a content analysis study of some previous studies that dealt with the sub-themes of our studies. The study found a set of results, most significant: Social networking sites have recently become political and media platforms for politicians, influencing peoples and receiving information from them or about their orientations. It can be considered that social networking sites have become a source of information and have enhanced awareness of the Palestinian issue and its various causes. The study recommended a group of recommendations, and the most significant was: the necessity of carrying out in part several studies that deal with Palestinian issues. Furthermore, to conduct comparative studies between different Arab societies to identify any Arab society that supports the Palestinian issue more, especially in light of the great sympathy of some Arab peoples with The Palestinian issue like Algerian people.

Keywords: social media, new media, Palestinian issue, political awareness

الإطار المنهجي للدراسة

المقدمة:

يُعَدُّ الإعلام الاجتماعي واحدًا من الموضوعات التي ازداد الحديث عنها مؤخرًا على الصعيد الاجتماعي، خاصةً بعد ظهور موقف Facebook واستخدامه لتحقيق أغراض أخرى غير الاجتماعية، مثل الأبعاد السياسية وغيرها، وازدادت أهمية الإعلام الاجتماعي بالتزامن مع انتشار ما يُعرَف بـ"الدبلوماسية الرقمية"، وذلك حينما صار الساسة والمسؤولون الحكوميون يقضون أوقاتًا مختلفةً على مواقع التواصل الاجتماعي ترويجًا لسياساتهم أو دفاعًا عن طروحاتهم.

ويُعَدُّ الإعلام الاجتماعي واحدًا من أكثر الوسائل والأدوات فعالية في التأثير في الجمهور، خاصةً تزامنًا مع سرعة انتشار المواد المستعملة على هذه المواقع، بجانب إمكانية وصول أكبر عدد ممكن من الناس حول العالم إلى تلك الوسائل دون تكاليف تُذكَر مقارنةً ببعض مواقع الإعلام الاجتماعي أو الإعلام التقليدي.

ومن الواضح أنَّ وسائل التواصل الاجتماعي قد صارت مؤخرًا منابر سياسية وإعلامية للساسة، يؤثرون على الشعوب ويتلقون معلومات منهم أو حول توجهاتهم، ويمكن ملاحظة أن تلك الوسائل صارت أحد مصادر المعلومات وصارت عاملًا في تعزيز الوعي بالقضية الفلسطينية وقضاياها المختلفة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

كانت دراسة (الشرافي، 2022: 716) قد كشفت الدراسة بأن الإعلام الجديد يساهم في تعزيز القضايا الوطنية بنسبة "كبيرة جدًّا"، بنسبة 39.9%. ثم في الترتيب الثاني يرى بعض المبحوثين "بنسبة كبيرة"، وذلك نسبتهم 33.3%، وجاء في الترتيب الثالث متوسط نسبتهم 15.8% من أفراد العينة. وفي المرتبتين الرابعة والخامسة "قليل" بنسبة 8.7% و"قليل جدًّا" بنسبة 2.2% (الشرافي، 2022: 715). في حين أشارت الدراسة نفسها إلى أنَّ مواقع الإعلام الاجتماعي أحد أهم مصادر المعلومات في مختلف القضايا وبنسبة 92.7%)، وورد في الترتيب الثاني "متابعة التغييرات السياسية والاجتماعية على الصعيد العربي والدولي" في الترتيب الثاني بـ90.1%، بالتالي تدور إشكالية الدراسة حول دور الإعلام الاجتماعي على صعيد تعزيز الوعي بالقضايا الفلسطينية.

وتتمثَّل مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيس: ما دور الإعلام الاجتماعي في تعزيز الوعي بالقضايا الوطنية الفلسطينية؟

- وتنبثق من هذا السؤال مجموعة أسئلة فرعية على النحو التالي:

- ما المقصود بالإعلام الاجتماعي؟ وما أهميته؟ وما مجالات استخدامه؟
- ما أبرز القضايا الوطنية في المشهد السياسي الفلسطيني؟
- كيف عمل الإعلام الاجتماعي على تعزيز الوعي بالقضايا الوطنية الفلسطينية؟

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهاج العلمي الوصفي التحليلي، وذلك في عرض وتحليل المعلومات للتعبير بدقة عن متغيرات الدراسة، واختارت الباحثة المنهاج العلمي الوصفي التحليلي في الاستشهاد بالعديد من الأرقام والإحصاءات المُتوصَّل إليها من الدراسات الميدانية السابقة، كما اعتمدت الباحثة نظرية تحليل المضمون في تحليل عديد من نصوص ونتائج الدراسات السابقة.

أهداف الدراسة:

- التعرف على مفهوم الإعلام الاجتماعي، وأهميته، ومجالات استخدامه.
- فهم أبرز القضايا الوطنية في المشهد السياسي الفلسطيني.
- التعرف على كيفية عمل الإعلام الاجتماعي على تعزيز الوعي بالقضايا الوطنية الفلسطينية.

الدراسات السابقة:

1) دراسة الشرافي (2022): دور الإعلام الجديد في تعزيز قضية المصالحة الوطنية: دراسة ميدانية على عينة من الإعلاميين العاملين في قطاع غزة

الهدف من الدراسة معرفة دور الإعلام الجديد في تعزيز قضية المصالحة الفلسطينية ومحاولات إنهاء الانقسام، ولتحقيق هدف الدراسة فقد اعتُمِد منهاج الاتصال، والمنهاج العلمي الوصفي التحليلي القائم على التحليل الكمي باستخدام برنامج SPSS الإحصائي والمنهج المسحي. تمثَّل مجتمع الدراسة في الإعلاميين الفلسطينيين العاملين في قطاع غزة، في حين تمثَّلت عينة الدراسة في 183 مفردةً. وكان من أبرز نتائج الدراسة: أنَّ مسألة تفاعل الإعلاميين مع قضية "المصالحة الوطنية" كان "كبيرًا جدًّا" وبنسبة 78.7%. أوصت الدراسة بتوحيد جهود مستخدمي الإعلام الجديد والانطلاق بوثيقة وطنية من شأنها أن تهدف حشد كافة الجهات لصالح القضايا الوطنية الفلسطينية.

2) دراسة العسولي (2022): دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لنصرة قضية القدس

هدفت الدراسة إلى معرفة أنواع وآليات ترويج مواقع التواصل لقضية القدس، وأثر العمليات الترويجية، وقد استُخدِم منهاج المسح الوصفي والمنهاج التحليلي، واستُخدِمَت صحيفة الاستقصاء كأداة رئيسة للدراسة، وطُبِّقَت أداة الدراسة على عينة عمدية من مستخدمي وسائل التواصل بعدد

150 فردًا. واستُخدِم برنامج SPSS لتحليل البيانات، ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة: أن وسائل الإعلام الاجتماعي تروِّج لقضية القدس سياسيًّا بنسبة كبيرة بلغت 73.2%، وضعف ترويج تلك الوسائل لقضية القدس على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية والعقائدية، ومن أهم توصيات الدراسة: ضرورة تجنب المصادر غير الموثوقة في النشر الإلكتروني، وضرورة تعزيز الرقابة المهنية في النشر الإلكتروني، وضرورة التحلي بالمعايير المهنية والأخلاقية تجاه المجتمع، ضرورة التحلي بالمسؤولية الاجتماعية.

3) دراسة الشرافي (2020): دور الإعلام الجديد في تعزيز القضايا الوطنية الفلسطينية: دراسة ميدانية على الإعلاميين في قطاع غزة 2011-2020

الهدف من الدراسة معرفة دور الإعلام الجديد في تعزيز القضايا الفلسطينية، وكذلك معرفة أهم القضايا الوطنية التي يتناولها الإعلاميون الفلسطينيون عبر وسائل وتطبيقات الإعلام الجديد، ويأتي البحث في نطاق الدراسات الوصفية، إذ استُخدِم منهاج الاتصال، والمنهاج الوصفي التحليلي القائم على التحليل الكمي من خلال برنامج SPSS الإحصائي والمنهاج المسحي. ولقد تمثل مجتمع الدراسة في الإعلاميين، وجاءت عينة في 183مفردةً (وهم إعلاميون من كلا الجنسين)، في قطاع غزة. ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج: أنَّ قضية "المصالحة" جاءت في الترتيب الأول بـ78.7%. جاءت في الترتيب الثاني قضية "القدس" بـ63.9%. تأتي قضية الأسرى بنسبة 49.7%. وجاءت قضية "اللاجئين" في الترتيب الرابع بـ47% وكانت قضية "المقاومة" في الترتيب الخامس، بـ41.5%. وأخيرًا، جاءت قضية الاستيطان بنسبة 37.2%. أوصت الدراسة بتوحيد جهود مستخدمي الإعلام الجديد والانطلاق بوثيقة وطنية من شأنها أن تهدف إلى حشد كافة الجهات لصالح القضايا الوطنية الفلسطينية.

4) دراسة جودة (2018): دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز عروبة القدس لدى طلبة جامعة الأقصى

هدفت إلى الكشف عن دور مواقع التواصل على صعيد تعزيز عروبة القدس، ومعرفة أكثر تلك المواقع استخدامًا من قبل طلبة جامعة الأقصى، واعتمدت على المنهاج العلمي الوصفي التحليلي، واعتُمِدَت الاستبانة كأداة أساسية لجمع البيانات، وتمثَّل مجتمع البحث في طلبة جامعة الأقصى، وكانت العينة البحثية مكوَّنة من 48 طالب و99 طالبة. ومن أبرز نتائج الدراسة: أن لمواقع التواصل دورًا كبيرًا على صعيد تعزيز عروبة القدس لدى طلبة جامعة الأقصى، وأنها تؤدي دورًا لدى الطالبات، وأن أكثر تلك المواقع استخدامًا Facebook. وأوصت الدراسة بمجموعة توصيات، أبرزها: ضرورة تأهيل الشباب الفلسطينية وتدريبهم كي يستفيدوا من تلك المواقع في الترويج لقضية القدس والتأكيد على عروبتها.

5) دراسة عيسى (2011): فاعلية استخدام وسائل الإعلام الجديد في نجاح فعاليات إنهاء الانقسام الفلسطيني: دراسة على نشطاء الإعلام الجديد

هدف هذا البحث لمعرفة فاعلية توظيف وسائل الإعلام الجديد في نجاح فعاليات إنهاء الانقسام الفلسطيني لدى نشطاء الإعلام الجديد، وكذلك التعرف على خصائص نشطاء المجتمع الفلسطيني الذين استخدموا وسائل الإعلام الجديد في الدعوة إلى فعاليات إنهاء الانقسام الفلسطيني، من خلال وسائل التواصل، ومعرفة أبرز المشكلات التي قللت من فاعلية هذا الدور. استخدم الباحث منهاج المسح الإعلامي، وقد طُبِّقَت أداة الدراسة وهي الاستبانة على عينة مقدارها 100 مفردة، من نشطاء المجتمع الفلسطيني المستخدمين لوسائل الإعلام الجديد. ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة: أن Facebook كان أكثر مواقع التواصل الاجتماعي استخدامًا، وأنه أكثر وسائل الإعلام الجديد استخدامًا في الدعوة إلى فعاليات إنهاء الانقسام الفلسطيني، ووصلت نسبة مستخدميه إلى 71.9% من المبحوثين.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي في الإعلام الاجتماعي

مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي:

توجد عدة تعريفات ومفاهيم للإعلام الاجتماعي، نذكر منها ما يلي:

1) "الإعلام الاجتماعي": "الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للإفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم إلى العالم أجمع" (عبد الغفار، 2015: 82).

2) تعريف كلية شريديان التكنولوجية Sheridan للإعلام الجديد إجرائيًّا: "أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدَّم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلًا عن استخدام الكومبيوتر كآلية رئيسة له في عملية الانتاج والعرض، أما التفاعلية فتمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي أهم سماته" (صادق، 2011: 9).

3) تعريف قاموس التكنولوجيا الرفيعة (High-Tech Dictionary) للإعلام الجديد: "اندماج الكومبيوتر وشبكات الكومبيوتر والوسائط المتعددة". أما (ليستر Lester) فيعرِّف الإعلام الجديد بأنه "مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي نشأت عبر تزاوج الكومبيوتر ووسائل الإعلام التقليدية: الطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو (إبراهيم، 2017: 18).

ونتيجةً لما سبق عرضه من تعريفات، يستطيع الباحث تعريف الإعلام الاجتماعي SOCIAL MEDIA بأنه ذلك الإعلام الذي يأخذ أشكالًا متعددةً ويعتمد الوسائط والنماذج المختلفة، ويعتمد كذلك على شبكة الإنترنت بما فيها من مواقع وبرامج وتطبيقات، ويعمل على تحويل بعض وسائل الإعلام القديمة إلى وسائل إعلام رقمية، ويتميز عن وسائل الإعلام التقليدية بسمات، منها: الشمول، والتنوع، والتفاعل، والحرية الواسعة.

تسميات الإعلام الاجتماعي:

يُعَدُّ مفهوم الإعلام الاجتماعي واحدًا من المفاهيم التي لا إجماع عليها حتى الآن، إذ يتقاطع هذا الحقل المعرفي مع مجموعة من الحقول المعرفية الأخرى، مثل الإعلام وعلم السياسة وغيرها، وكذلك لا يوجد اتفاق بين العلماء على تسميته بالإعلام الاجتماعي، إذ يحمل العديد من المفاهيم الأخرى، ويمكن تفصيلها على النحو التالي (صادق، 2011: 3-4):

- **الإعلام الرقمي:** جاء هذا الوصف من بعض تطبيقات الإعلام القائمة على التكنولوجيا الرقمية، مثل: التلفزيون الرقمي والراديو الرقمي، أو للإشارة إلى أنظمة تندمج مع الحاسوب.
- **الإعلام الشبكي** الحي على خطوط الاتصال (Online Media): جاءت تسميته من خلال التركيز على تطبيقاته في الإنترنت.
- **إعلام المعلومات** (Info Media): "للدلالة على التزاوج داخله بين الحاسوب والاتصال، وعلى ظهور نظام إعلامي جديد يستفيد من تطور تكنولوجيا المعلوماتية ويندمج بها".
- **إعلام الوسائط المتعددة (Multimedia):** "حالة الاندماج التي تحدث داخل الإعلام الجديد، أي بين النص والصورة والفيديو".
- **الإعلام التفاعلي** (Interactive Media): "جاءت هذه التسمية لتوفير حالة العطاء والاستجابة بين المستخدمين لشبكة الإنترنت والتلفزيون والراديو التفاعليين وصحافة الإنترنت وغيرها من النظم التفاعلية الجديدة" (فطافطة، 2012: 18).

مميزات وسائل التواصل الاجتماعي:

تتمتع تلك الوسائل بمميزات عدة، وذلك على النحو التالي:

1. **العالمية:** إذ لا وجود للحدود وللحواجز الجغرافية، إذ إنه بإمكان الفرد في الشرق أن يتواصل مع الغرب، بيُسر وسهولة، والوصول عبر مواقع التواصل هذه إلى أي محتوى عام حيثما كان مكان تواجده.

2. **التفاعلية:** إذ إن دور الفرد لا يعود سلبيًّا كما في الإعلام القديم، فالفرد في الإعلام الجديد مرسل ومستقبل، وقارئ وكاتب، وله حيز واسع للمشاركة التفاعلية، لذلك نلاحظ أن هذه المواقع تشبه المجتمع من حيث تكوُّنه من أشخاص متفاعلين فيما بينهم، لذلك فهذه المواقع تمثِّل مجتمعاتٍ افتراضية.
3. **التنوع وتعدد الاستعمالات:** تتنوع استخدامات وسائل التواصل الاجتماعي حسب الغرض الذي يسعى المستخدم لتحقيقه، فيوظِّفها الطلبة من أجل التعلم، ويوظِّفها العلماء لنشر علومهم، ويوظِّفها الكتَّاب من أجل أن يتواصلوا مع جمهور القراء... إلخ.
4. **سهولة الاستخدام:** فوسائل الإعلام الجديد تستخدم، إلى جانب الحروف، الصور والرموز، ما يسهِّل تفاعل المستخدمين.
5. **التوفير والاقتصادية:** الاقتصاد في المال والوقت والجهد، إذ إن الاشتراك في تلك المواقع مجاني، يجعل بإمكان الفرد الاشتراك أيًّا كان وضعه المادي، فليست تلك الوسائل حكرًا على طبقة أو شريحة معينة. يُشار إلى أن Facebook تحتل حاليًّا المركز الثالث من حيث الإقبال والشهرة بعد كل من Google وMicrosoft، وعدد مشتركي Facebook بلغ أكثر من 800 مليون مستخدم (بن ورقة، 2015: ص 203).

أهمية وسائل التواصل الاجتماعي:

كان لوسائل التواصل الاجتماعي انعكاساتٌ بالغةٌ على قواعد حرية التعبير والنشر وتدعيم حقوق الإنسان وتدعيم الفكر الديمقراطي، وغيرها من تلك المفاهيم التي اجتمعت حولها الفئات التي استفادت من استخدامها الذي لا يتطلب تكاليف مادية أو خبرات تكنولوجية.

وفرضت هذه المواقع نفسها على المجتمعات بقوة، وكانت السبب في إحداث ضجة ضخمة بسبب ما تقدِّمه من سهولة ويسر في التواصل بين الناس، واتسعت شهرتها وكثر استخدامها فأصبحت شغلهم الشاغل، إذ يستخدمون هذه الوسائل للتواصل وللتعارف ومعرفة أخبار الآخرين، وتلقِّي كل ما هو جديد من أخبار ومعلومات وموضوعات في الساحة.

وتبرز أهمية هذه المواقع في أن لها دور مساعد يسهِّل على المستخدمين أن يتابعوا الجديد في المجالات المختلفة، إذ إنها تمنح المستخدمين فرصة التواصل وإنتاج المعلومات ومشاركتها والتواصل مع الآخرين والتعبير عن ذواتهم بحرِّيَّة.

وأكدت أبحاث عدة درست مواقع التواصل الاجتماعي أنها وسائل تواصل تفاعلية ذات فوائد عديدة:

- تساعد مستخدمها على أن يتابع المستجدات في المجالات الحياتية المتنوعة عبر اطلاعه على المؤشرات وغيرها.
- تحقق التفاعلية والمرونة للمستخدم، فهي تجعله متلقيًّا وملقيًا.
- تشكِّل إسهامًا في تنمية وعي مستخدمها بالقضايا المجتمعية المتنوعة.
- تنمي اتساع الأفق وروح المبادرة والحوار لدى المستخدم، ما يساعدهم على تبادل المقترحات والآراء.
- تنمي مهاراتٍ متنوعة، مثل التفكير والبحث، والاتصالات، والعرض والتحدث والإقناع والتفاوض واتخاذ القرار وغيرها (أبو يعقوب، 2015: 33).

مآخذ على وسائل التواصل الاجتماعي:

على الرغم من أهمية وسائل التواصل، فإن لتلك الوسائل آثارًا سلبية، إذ تُعَدُّ تلك الوسائل سلاحًا ذا حدَّين، وقد تعرضت لانتقادات كثيرة وتحذيرات بشأنها بعد انتشارها وتغلغلها في المجتمعات. وهناك من يعبر أنَّ محاولة الافراد نشر أفكار غير بنَّاءة، وبث الفتن وغرس بذور التفرقة في المجتمعات، ونشر المعلومات المضللة والإشاعات، ونشر ما هو غير ذي أهمية، كل ذلك من أهم سلبيات تلك الوسائل.

ومن الملاحظ أنَّ خطر مواقع التواصل قد يكون في كونها مكانًا لولادة أفكار غريبة أو شاذة، لكنها تمثِّل آراء الشارع، والشباب على وجه التحديد، إذ إن السواد الأعظم من مستخدمي الشبكة العنكبوتية من الشباب، فإن صدى الأخبار الجديدة يُسمَع أولًا بأول على وسائل التواصل الاجتماعي، عبر مجموعات متنوعة الآراء، بعضها متصارع، فهناك مجموعات تهتم بالبرامج التلفزيونية، وهناك برامج تهتم بالفرق الرياضية، وبعض المجموعات تهتم بالتعبير عن حالات عامة مثل الشعور بالحزن أو الوحدة، ومجموعات أخرى تهتم بفنانين أو سياسيين أو مطربين أو كتاب... إلخ. (أبو يعقوب، 2015: 35).

وسائل التواصل الاجتماعي والوعي السياسي بالقضية الفلسطينية:

دخلت وسائل التواصل مناحي الحياة المتنوعة في المجتمعات كافة، ومنها المجتمع الفلسطيني، إذ أصبحت نسبة كبيرة من الشباب الفلسطيني تهتم بتلك الوسائل وما يتعلق بها من برامج وأنشطة وغيرها، وأصبح الشباب الفلسطيني يتفاعل مع تلك الوسائل من أجل تنمية ذاته ووعيه ومسؤوليته، عبر مشاركة ما يؤمن به مع الآخرين على مواقع التواصل، وفتح حوارات ونقاشات جادة معهم، إذ إنه يعي رسالته ومهمته التي سيؤديها تجاه قضيته، ويبذل أقصى جهده في سبيل البحث عن الأدوات المتاحة على الأصعدة كافة، في ظل معاناته وآلامه وجروحه ومآسيه.

في ظل الواقع الفلسطيني الصعب كان لا بد للشباب الفلسطيني من أن ينشر قصته في العالَم بأسره، وأن يدافع عن قضيته ويفضح الاحتلال الصهيوني وجرائمه ضد شعبه، فلجأ الشباب الفلسطيني لفضح جرائم الاحتلال من خلال وسائل التواصل ومواقع الإعلام الاجتماعي التي ضخ من خلالها آلاف الصفحات والمواقع ونشر كل ما يتعلق بقضيته بالصوت والصورة ليصل صوته إلى العالم بأسره.

أصبح بإمكان الشباب الفلسطيني أن يطلق حملاتٍ ودعواتٍ من خلال منصات الإعلام الاجتماعي، وأن يحشد ويجمع الأصوات المناصرة والمؤيدة لقضيته الوطنية. إن دعوات الدعم والحشد والمناصرة عبر وسائل الإعلام الاجتماعي توصل رسالة الشباب الفلسطيني وصوته قويًّا للشعوب العربية وشعوب العالم كافة، كما تحمل رسائله لشعبه الفلسطيني من أجل تغيير واقع هذا الشعب والاحتلال الغاشم على أرضه الفلسطينية حتى تحريرها.

ساهمت وسائل الإعلام الاجتماعي في تعزيز الإدراك بالقضايا السياسية والاجتماعية والقضايا الوطنية، وتعزيز القيم السياسية وتوعية المجتمعات من أجل الانخراط في العمل السياسي والمشاركة السياسية ونقل ما يدور من مواقف وأحداث على المستويات كافة، الداخلية والخارجية، إذ ما يزال الشعب الفلسطيني يواجه حملات صهيونية شرسة هدفها محاولة طمس تاريخ الشعب الفلسطيني وثقافته وتراثه، وما يزال يواجه القتل والتدمير والتخريب والتهجير والاعتقال.

والمتتبع لوسائل الإعلام الاجتماعي يلاحظ وجود آلاف الصفحات المختصة بتناول القضية الفلسطينية، فكان هناك صفحات كثيرة وجادة حملت الهمَّ الفلسطيني الوطني وعالجت الكثير من القضايا المهمة، وعلى رأسها قضية اللاجئين والأسرى والقدس والاستيطان، والانقسام، أهمها: "أحرار 15 آذار"، "فلسطين حرة"، "مثقفو فلسطين لنشر الوعي الوطني ومقاومة الانقسام والتطبيع مع العدو الصهيوني"، "المجد الأمني"، "شهاب"، "شبكة قدس الإخبارية"، "يوم الشعب 29 نيسان" (أبو يعقوب، 2015: 48-49)،

المبحث الثاني: دور الإعلام الاجتماعي في تعزيز الوعي بالقضايا الوطنية – تحليل مضمون

1- موقع التواصل الاجتماعي الأكثر استخدامًا:

عند مطالعة أبحاث عدة أجريت على استخدام مواقع الإعلام الاجتماعي على صعيد القضايا الوطنية الفلسطينية نلاحظ أنَّ الفئة الأكبر من مجتمعات الدراسات أو العينات المبحوثة تستخدم الإعلام الجديد بشكل كبير جدًّا، وفي هذا السياق فقد أشارت دراسة (الشرافي، 2022) إلى أنَّ 42.6% من عينة الدراسة تستخدم الإعلام الجديد بصورة كبيرة جدًّا، وأنَّ نسبة 41.0% تستخدم الإعلام الجديد بصورة كبيرة، وهذا يعني أنَّ 83.6% يستخدمون الإعلام بشكل كبير.

وأشارت دراسة (الشرافي، 2022) إلى أن أكثر مواقع الإعلام الجديد استخدامًا Facebook بشكل عام من قبل المبحوثين، وذلك بنسبة 85.2% (أي 156 مفردة)، تلاه تطبيق WhatsApp بفارق كبير بنسبة بلغت 74.3%، ثم جاء e-mail في الترتيب الثالث بـ44.3%، وYouTube في الترتيب الرابع بـ42.1% وInstagram الخامسة بنسبة 35.0%.

وتشير دراسة (سكيك، 2014: 128) إلى أنَّ شبكة Facebook جاءت في الترتيب الأول بـ93.3%، جاء بعده بفارق كبير Twitter بنسبة 49.65%، تلته الشبكات الأخرى بنسبة 35%. وتشابهت هذه النتائج مع دراسة (حمودة، 2013)، والتي بينت أن Facebook من أكثر مواقع التواصل استخدامًا. واتفقت كذلك مع دراسة (الشرافي، 2012) والتي بينت أن Facebook جاء في الترتيب الأول على صعيد متابعة عينة الدراسة للإعلام التفاعلي يتلوه e-mail يتلوه YouTube يتلوه Twitter. كما تشابهت مع دراسة (عيسى، 2102)، والتي بينت أن شبكة Facebook في مقدمة الشبكات التي يستخدمها المبحوثون، وجاء بعده بفارق كبير Twitter ثم LinkedIn، فيما لم يستخدم أحد من المبحوثين بقية مواقع الإعلام الاجتماعي.

2- مدى عمل الإعلام الجديد على تعزيز القضايا الوطنية

بتحليل بعض الدراسات بخصوص استخدام مواقع الإعلام الاجتماعي على صعيد دعم القضايا الفلسطينية كمفهوم واحد، نلاحظ أنَّ هذه المواقع قد أسهمت إلى حد كبير في تعزيز القضية الفلسطينية، وتشير دراسة (الشرافي، 2022:) إلى أنَّ الإعلام الاجتماعي أسهم في تعزيز القضايا الوطنية لدى أفراد العينة المبحوثة، وعند تحليل دور الإعلام الجديد في دعم القضايا الوطنية الفلسطينية يتبينَّ لنا أنَّ 88.1% من أفراد العينة قد أشاروا إلى أنَّ الإعلام الاجتماعي يساهم في تكوين آراء تجاه المسائل الوطنية والسياسية بالنسبة لهم، وبجانب ما سبق يرى 79.9% من أفراد العينة المبحوثة أنَّ الإعلام الجديد يسمح لهم بمناقشة القضايا السياسية. وفضلًا عن ذلك، يرى

79.3% من أفراد العينة المبحوثة أنَّ الإعلام الاجتماعي قد أسهم في زيادة حرية التعبير عن الرأي نحو القضايا الوطنية بالنسبة لهم. وكذلك فهناك 74.3% من أفراد العينة المبحوثة يرون أنَّ الإعلام الاجتماعي أسهم في توعيتهم سياسيًّا وثقافيًّا. وأخيرًا، ويرى 71.5% من أفراد العينة المبحوثة أنَّ الإعلام الاجتماعي يساعدهم في المشاركة السياسية.

بتحليل مدى إسهام وسائل الإعلام الاجتماعي على صعيد دعم القضايا الوطنية من خلال بحث (الشرافي، 2022) يتبيَّن أنَّ الإعلام الاجتماعي يساهم في ذلك بنسبة "كبيرة جدًا"، بواقع 73 مفردة وبنسبة 39.9%. وفي المرتبة الثانية يرى بعض المبحوثين أنَّ وسائل الإعلام الاجتماعي تعمل على تعزيز القضايا الوطنية "بنسبة كبيرة"، وذلك بواقع 61 مفردة ونسبتهم 33.3%. وهذا يعني أنَّ 73.2% من أفراد العينة يعتقدون أن الإعلام الجديد يقدِّم إسهامًا على صعيد رفع الوعي بالقضايا الوطنية بشكل كبير.

من خلال النظر إلى مدى عمل الإعلام الجديد على تكوين الآراء والاتجاهات السياسية تجاه المسائل الوطنية نلاحظ في دراسة (الشرافي، 2022:) أنَّ النسبة الأكبر من الإعلاميين يعتقدون أن الإعلام مؤثر بشكل "كبير"، وعددهم 78% ونسبتهم 42.6%. وفي المرتبة الثانية يرى 52 مفردة ونسبتهم 28.4% أن الإعلام الجديد يلعب دور "كبيرًا جدًّا". ويعتقد 20 مفردة ونسبتهم 10.9% أن الإعلام يلعب دورًا "متوسطًا" في تشكيل الاتجاهات السياسية نحو القضايا الوطنية، في حين يرى 19 مفردة ونسبتهم 10.4% أنَّ الإعلام الجديد يلعب دورًا "قليلًا" في هذا المجال. وأخيرًا، يرى 14 مفردة ونسبتهم 7.7% أن الإعلام الجديد يلعب دورًا "قليلًا جدًّا" في تشكيل الاتجاهات السياسية نحو القضايا الوطنية.

وربما كان لافتًا للانتباه ما جاء في دراسة (الشرافي، 2020: 155–157)، إذ تناولت ست قضايا وطنية هي: القدس، واللاجئون، والاستيطان، والأسرى، والمصالحة، والمقاومة، وقد استنتجت أنَّ قضية "المصالحة" هي الأولى من حيث الترتيب، وذلك بواقع 144 مفردة وبنسبة 78.7%، وجاءت قضية "القدس" في الترتيب الثاني بـ117 مفردة بـ63.9%. وجاءت قضية "الأسرى" في الترتيب الثالث بـ91 مفردة بـ49.7%. وجاءت قضية "اللاجئين" في الترتيب الرابع بـ86 مفردة بـ47%. وكانت قضية "المقاومة" في الترتيب الخامس بـ76 مفردة بـ41.5%، وأخيرًا، كان "الاستيطان" في الترتيب الأخير بـ68 مفردة بـ37.2%.

واختلفت دراسة (الشرافي، 2020) عن دراسة (سكيك، 2014: 113)، إذ رأت الأخيرة أنَّ "قضية الأسرى" في سجون الاحتلال حازت على المرتبة الأولى بنسبة بلغت 42.1%، تلتها بفارق كبير قضية "القدس" بنسبة بلغت 23.2%، ثم قضية "الاستيطان" تلتها بفارق صغير بنسبة بلغت 11.2%، ثم قضية اللاجئين بنسبة بعيدة إلى حد ما بلغت 1.1%، ثم "المصالحة" بـ4%.

القضايا الوطنية التي يساندها الإعلام الاجتماعي

1- قضية القدس

بينت نتائج دراسة (العسولي، 2022) إلى أنَّ "أن وسائل التواصل الاجتماعي تسهم في حشد وتوجيه الطاقات الشعبية لنصرة قضية القدس"، وذلك بوزن نسبي 82%، وهذا يؤكد مدى قوة وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي في تعبئة وحشد الرأي العام نحو القضايا المختلفة، وهو ما يتفق مع ما خلص إليه بحث (بربخ، 2015) الذي بيَّن أن شبكات الإعلام الاجتماعي تتصدر مصادر الحصول على معلومات في أثناء العدوان، وأن الأخبار السياسية والميدانية كانت الأكثر تداولًا من خلال منصات الإعلام الاجتماعي، ودراسة (عيسى، 2011) إذ أظهرت أن Facebook أكثر شبكات التواصل والإعلام الاجتماعي الجديد متابعةً واستخدامًا في الدعوة لإنهاء الانقسام الفلسطيني.

ولا تبتعد دراسة (الشرافي، 2020: 158-160) عن سابقتها، إذ تناولت موضوعاتٍ مختلفةً لقضية القدس مثل: التهويد، والتقسيم الزماني والمكاني، ونقل السفارة الأمريكية الى القدس، وهدم المنازل وعدم الترخيص للمقدسيين، ومصادرة الأراضي وأملاك الغائبين، وتطبيع الدول العربية، وعند تحليل دور الإعلام الاجتماعي في تعزيز الوعي بقضية القدس يتبيَّن أنَّ "التطبيع" جاء في الترتيب الأول بـ113 مفردة بـ61.7%، وأنَّ "التهويد" جاء في الترتيب الثاني بـ109 مفردة بـ59.6%، وفي الترتيب الثالث جاء "نقل السفارة الأمريكية الى القدس" بواقع 95 مفردة وبنسبة 51.9%، وفي الترتيب الرابع جاءت قضية منازل المقدسيين بواقع 92 مفردة وبنسبة 50.3%. وجاءت قضية "مصادرة الأراضي وأملاك الغائبين" في الترتيب الخامس بـ70 مفردة بـ38.3%، وجاءت قضية "التقسيم الزماني والمكاني" في الترتيب الأخير بـ66 مفردة بـ36.1%.

2- قضية المصالحة الوطنية

حللت دراسة (الشرافي، 2022) دور الإعلام الجديد في مسألة المصالحة الوطنية، ورأت أنَّ هذا الإعلام يلعب دورًا بارزًا في المصالحة الفلسطينية كقضية وطنية بالغة الأهمية، وعند تدقيق النظر في الدراسة يتبيَّن أنَّ حوارات المصالحة قد جاءت في الترتيب الأول بـ104 مفردة بـ56.8%. كانت "اتفاقيات المصالحة" في الترتيب الثاني بـ103 مفردة وبنسبة 56.3%. ومن الواضح أنها قد جاءت في الترتيب الثاني لأنها أقل أهمية من الحوارات ذاتها فيما يتعلق بالإعلاميين، إذ شهدت السنوات الثلاثة عشر الماضية توقيع أكثر من اتفاقية دون الالتزام بها. كما جاءت قضية "إدارة الانقسام" في الترتيب الثالث بـ90 مفردة بـ49.5%. وجاءت حراكات المصالحة الوطنية والتغيرات الحكومية في الترتيب الرابع بـ49 مفردة لكل واحدة وبنسبة 26.8% لكليهما.

3- قضية اللاجئين

لم تكن قضية اللاجئين الفلسطينيين بمنأى عن الدراسات، إذ تناولت العديد من الدراسات هذه القضية بالرصد والتحليل، وأشارت دراسة (الشرافي 2020: 16160-162) إلى موضوعات تفصيلية من قضية اللاجئين مثل: التوطين، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والأوضاع التعليمية والثقافية، والعمل والتوظيف، والحلول السلمية"، ووفق الدراسة نفسها جاءت "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية" في الترتيب الأول بـ136 مفردة بـ74.3%، وجاءت "مسألة التوطين" في الترتيب الثاني بـ81 مفردة بـ44.3%، "مسألة التوظيف" في الترتيب الثالث بـ74 مفردة بـ40.4%، وجاءت "العملية التعليمية والثقافية" في الترتيب الرابع بـ66 مفردة بـ36.1%، و"مسألة الحلول السلمية" في الترتيب الأخير بـ28 مفردة وبنسبة 15.3%.

4- قضية الاستيطان

حللت العديد من الدراسات موقف الإعلام الاجتماعي تجاه "قضية الاستيطان"، وأكَّدت أغلب الدراسات أنَّ الإعلام الاجتماعي عمل إلى حد كبيرٍ على مساندة قضية الاستيطان وزيادة الوعي بها، وتناولت دراسة (الشرافي، 2020: 162-164) كلًّا من: المستوطنات، وجدار الفصل العنصري، وعمليات الضم، ومصادرة المياه، والانسحاب "الإسرائيلي" من غزة. وأشارت الدراسة نفسها إلى أنَّ قضية "الضم" جاءت في الترتيب الأول بـ135 مفردة بـ73.8%. وجاءت قضية "المستوطنات" في الترتيب الثاني بـ109 مفردة بـ59.6%، وجاء "جدار الفصل العنصري" في المرتبة الثالثة بواقع 89 مفردة وبنسبة 48.6%، وجاءت قضية "مصادرة أو سرقة المياه الفلسطينية في الضفة الغربية" في الترتيب الرابع بـ61 مفردة بـ33.3%، وجاء "الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة" عام 2005 في الترتيب الخامس والأخير بـ56 مفردة بـ30.6%.

5- قضية الأسرى الفلسطينيين

تناولت بعض الدراسات قضية الأسرى الفلسطينيين القابعين خلف القضبان الحديدية في سجون الاحتلال الصهيوني، وأكَّدت أغلب هذه الدراسات أنَّ الإعلام الاجتماعي يلعب دورًا بالغ التأثير من حيث تناول قضية الأسرى الفلسطينيين، وتناولت دراسة (الشرافي، 2020: 164-165) موضوعاتٍ مختلفةً تتعلق بمسألة الأسرى، مثل: الأوضاع الحياتية للأسرى، وسياسات الاحتلال تجاه الأسرى، والاعتقال والإفراج، وصفقات التبادل، وإضرابات الأسرى. وعند تحليل موقف الإعلام الاجتماعي من القضايا سابقة الذكر يتبيَّن أنَّ "الأوضاع المعيشية للأسرى" تأتي في الترتيب الأول بـ125 مفردة بـ68.3%، وجاءت "السياسات الإسرائيلية تجاه الأسرى" في الترتيب الثاني بـ107 مفردة بـ58.5%،

وجاءت "إضرابات الأسرى" في الترتيب الثالث بـ103 مفردة بـ56.3%، وجاءت "صفقات التبادل" في الترتيب الرابع، ومسألة "الاعتقال والإفراج" في الترتيب الخامس والأخير بـ82 بـ44.8%.

6- قضية المصالحة الوطنية

أخذت هذه القضية حيزًا واسعًا من دراسات الإعلام الاجتماعي، وعلى سبيل المثال فقد تناولت دراسة (الشرافي، 2020: 166-167) هذه القضية ضمن عناوين فرعية: حوارات المصالحة، واتفاقيات المصالحة، والتغيرات الحكومية، وحركات المصالحة، وإدارة الانقسام. وخلص البحث إلى أنَّ "حوارات المصالحة" كانت في الترتيب الأول بـ104 مفردة بـ56.8%، وجاءت "اتفاقيات المصالحة" في الترتيب الثاني بـ103 مفردة بـ56.3%، وجاءت قضية "إدارة الانقسام" في الترتيب الثالث بـ90 مفردة بـ49.5%، وجاءت "حراكات المصالحة الوطنية" في الترتيب الرابع بـ49 مفردة بـ26.8% لكليهما.

7- قضية المقاومة

هناك أبحاث عدة درست قضية المقاومة في فلسطين بمختلف أشكالها، و وعلى سبيل المثال، فقد تناولت دراسة (الشرافي، 2020: 168-169) من خلال المحاور الآتية: المقاومة السلمية، المقاومة العسكرية، المقاومة الدبلوماسية، المقاومة الشعبية، والمقاومة الذكية. وخلص البحث إلى أن "المقاومة الشعبية" كانت في الترتيب الأول بـ110 مفردة بـ60.1%، وجاءت "المقاومة المسلحة" في الترتيب الثاني بـ90 مفردة بـ49.2%، وجاءت "المقاومة السلمية" في الترتيب الثالث بـ74 مفردة بـ40.4%، وجاءت كل من "المقاومة الدبلوماسية" و"المقاومة الذكية" في المرتبة الرابعة، إذ حصلت كل واحدة على 61 مفردة وبواقع 33.3% لكل منهما.

الخاتمة والنتائج والتوصيات:

بدا واضحًا من العرض السابق أنَّ الإعلام الاجتماعي يلعب دورًا بالغ الأهمية في تعزيز الوعي بالقضايا الوطنية الفلسطينية، خاصةً في ظل انتشار البطالة وزيادة معدلاتها في الأراضي الفلسطينية، وما نتج عن ذلك من تفرغ كبير لدى الفلسطينيين وانشغالهم في متابعة التطورات والأحداث على مواقع التواصل الاجتماعي، وقد خدم هذا الأمر القضية الفلسطينية على صعيد العديد من النواحي، أبرزها زيادة المحتوى الفلسطيني على وسائل الإعلام الاجتماعي والمساهمة في العديد من الحملات الإلكترونية للفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيوني.

وخلصت الدراسة إلى نتائج عدة، أبرزها ما يلي:

- ما تزال مواقع التواصل الاجتماع موضع خلاف بين العلماء والمنظرين، خاصةً ما يتعلق بالمفهوم والتسميات والأغراض ومدى الفائدة منها في كونها بديلًا مناسبًا أو غير مناسب للإعلام التقليدي (القديم).

- تعمل وسائل التواصل الاجتماعي على إلغاء حواجز المكان بين مريديها، ويستطيع أي شخص التفاعل مع الأحداث الجارية في العالم حتى بلغة بلده، خاصةً في ظل توفر إمكانية الترجمة التلقائية إلى لغات مختلفة حول العالم.

- أثارت شبكات الإعلام الاجتماعي ضجةً هائلة، إذ تمكنت من فرض نفسها وبقوة في مختلف دول العالم وفي مختلف المجتمعات، بسبب سهولة استخدامها في التواصل الاجتماعي، واتسعت شهرتها وكثر استخدامها فأصبحت شغل الناس الشاغل، إذ باتت تُستخدم للتعارف ومعرفة أخبار الآخرين، وتلقِّي الاخبار والمستجدات.

- على الرغم من المميزات الكبيرة لوسائل الإعلام الاجتماعي، فإن لديها العديد من العيوب، فهي أداة سهلة لبث الكراهية والتطرف والإشاعات، وكذلك فقد عملت على زيادة الفجوة بين الناس ونقلتهم من مجتمعاتهم الحقيقية إلى المجتمع الافتراضي.

- ساهمت وسائل الإعلام الجديد في رفع الوعي على صعيد القضايا الاجتماعية والسياسية وتعزيز قيم المشاركة السياسية وتعزيز إدراك الناس بما يجري حولهم وبما يستجد من مواقف وأخبار على الأصعدة كافة، داخليًّا وخارجيًّا وما يتعلق بالقضية الفلسطينية، إذ ما يزال الشعب الفلسطيني يتعرض لحملات صهيونية شرسة لطمس تاريخه وتراثه، إضافةً إلى العدوان والتدمير والتخريب والقتل للإنسان والحجر والشجر.

- تحولت شبكات الإعلام الاجتماعي مؤخرًا إلى منابر سياسية وإعلامية للساسة، يؤثرون على الشعوب ويتلقون معلومات منهم أو حول توجهاتهم، ويمكن ملاحظة أن هذه الشبكات صارت أحد مصادر المعلومات وساهمت في تعزيز الوعي بالقضية الفلسطينية وقضاياها المختلفة.

- عند مطالعة أبحاث عدة أجريت على استخدام شبكات الإعلام الاجتماعي ودورها على صعيد تعزيز القضايا الوطنية الفلسطينية، نلاحظ أنَّ النسبة الأكبر من مجتمعات الدراسات أو العينات المبحوثة تستخدم الإعلام الجديد بشكل كبير جدًّا، مع التركيز على Facebook أكثر من شبكات الإعلام الاجتماعي الأخرى.

- أسهَم الإعلام الاجتماعي على صعيد تكوين الآراء والاتجاهات السياسية نحو القضايا الوطنية، ونلاحظ من خلال دراسة (الشرافي، 2022) أنَّ النسبة الأكبر من الإعلاميين يعتقدون أن الإعلام مؤثر بشكل "كبير"، وعددهم 78% ونسبتهم 42.6%. وفي المرتبة الثانية يرى 52 مفردة ونسبتهم 28.4% أن الإعلام الجديد يلعب دورًا "كبيرًا جدًّا".

توصي الباحثة بما يلي:

- ضرورة إجراء العديد من الدراسات التي تتناول القضايا الفلسطيني جزئيًّا، مع إعداد دراسات مقارنة بين مجتمعات عربية مختلفة للتعرف على أي مجتمع عربي يساند القضية الفلسطينية بشكل أكبر، خاصةً في ظل تعاطف بعض الشعوب العربية بشكل كبير مع قضية فلسطين مثل شعب الجزائر.

- ضرورة الاستفادة من شبكات الإعلام الاجتماعي في الوصول بمستوى أكبر إلى الشعب الفلسطيني، وتوظيف ذلك في الدبلوماسية الرقمية بشكل يمكن أن يزيد من مكانة القضية الفلسطينية في ظل ازدياد التعاطي الإيجابي عربيًّا وعالميًّا مع الاحتلال الصهيوني.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، علي حجازي (2017): الإعلام البديل، عمَّان: دار المعتز.

2. أبو يعقوب، شدان يعقوب خليل (2015): أثر مواقع التواصل الاجتماعي على الوعي السياسي بالقضية الفلسطينية لدى طلبة جامعة النجاح، رام الله: جامعة النجاح، رسالة ماجستير غير منشورة.

3. بربخ، نضال عبد الله (2015): اعتماد النخبة السياسية الفلسطينية على شبكات التواصل الاجتماعي كمصدر للمعلومات أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014م، غزة: الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة.

4. بن ورقة، نادية (2013): دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي لدى الشباب العربي، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 5، العدد 11، ص200-217.

5. الجعبري، باسم (2009): الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، ط1، الرواد.

6. الشرافي رامي حسين (2022): دور الإعلام الجديد في تعزيز قضية المصالحة الوطنية: دراسة ميدانية على عينة من الإعلاميين العاملين في قطاع غزة، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث،

العدد السابع، المجلد الثاني، الصفحات 687 – 718.

7. الشرافي، رامي حسين حسني (2020): دور الإعلام الجديد في تعزيز القضايا الوطنية الفلسطينية: دراسة ميدانية على الإعلاميين في قطاع غزة 2011–2020، الخرطوم: جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، أطروحة دكتوراه غير منشورة.

8. صادق، عباس مصطفى (2011): الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة، البوابة العربية.

9. طعيمة، رشدي، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، أسسه، مفهومه، استخداماته، دار الفكر.

10. عبد الغفار، فيصل محمد (2015): شبكات التواصل الاجتماعي، ط1، الجنادرية.

11. عبد الغفار، فيصل محمد (2016): شبكات التواصل الاجتماعي، ط1، عمَّان: دار يافا العلمية.

12. إبراهيم، علي حجازي (2017): الإعلام البديل، عمَّان: دار المعتز.

13. عيسى، طلعت (2011): فاعلية استخدام وسائل الإعلام الجديد في نجاح فعاليات إنهاء الانقسام الفلسطيني: دراسة على نشطاء الإعلام الجديد، بحث مقدم، لمؤتمر محو الأمية الرقمية والإعلامية الذي عقد في الجامعة الأمريكية في بيروت، 28–31 أكتوبر.

14. فطافطة، محمود (2012): علاقة الإعلام الجديد بحرية الرأي والتعبير في فلسطين: الFacebook نموذجا، رام الله: المركز الفلسطيني للتنمية والحريات.

15. المقدادي، خالد غسان (2014): ثورة الشبكات الاجتماعية– ماهية مواقع التواصل الاجتماعي وأبعادها، ط1، دار النفائس.

أثر الانفتاح التجاري على سعر الصرف في السودان خلال الفترة (1990-2021): دراسة قياسية باستخدام نموذج الانحدار الذاتي ذو الفجوات الموزعة (ARDL)

The impact of Trade Openness on Exchange Rate in Sudan during the period (1990-2021): An Econometric study by using Autoregressive Distributed Lag (ARDL) model

د. جارالنبي بابو جارالنبي: أستاذ الاقتصاد القياسي المشارك، جامعة السلام، السودان.

فاطمة عثمان عافية: باحث دكتوراه، جامعة الزعيم الأزهري، السودان.

Dr. Jaralnebi Babu Jaralanbi: Associate Professor of Econometrics, University of Peace, Sudan. Email: majabi11@hotmail.com

Fatima Osman Afia: PhD researcher, Al-Zaeem Al-Azhari University, Sudan.

الملخص:

هدفت الدراسة لفحص أثر الانفتاح التجاري على سعر الصرف في السودان، وإستخدمت بيانات السلاسل الزمنية خلال الفترة من 1990- 2021م، ونموذج الانحدار الذاتي ذو الفجوات الزمنية الموزعة (ARDL)، وذلك لإختبار العلاقة التوازنية قصيرة وطويلة الأجل بين الانفتاح التجاري وسعر الصرف، وكشفت نتائج التحليل أن للانفتاح التجاري أثر سلباً على سعر الصرف في الأجلين القصير والطويل، كما أنَّ هناك علاقة توازنية قصيرة وطويلة الأجل بين الانفتاح التجاري ومعدل سعر الصرف، وأن الانحراف الفعلي عن التوازن بين المتغيرات يصحح بمقدار 48.36% تبدأ في السنة الحالية وتصل إلى حوالي سنتين وشهر تقريباً. وأوصت الدراسة بضرورة الانفتاح على الخارج بشكل متوازن يساعد على خفض العجز في ميزان المدفوعات وخفض أسعار الصرف في السودان.

الكلمات المفتاحية: الانفتاح التجاري، سعر الصرف، الانحدار الذاتي، الفجوات الزمنية الموزعة، الأجل القصير، الأجل الطويل.

Abstract:

This study aimed to examine the affect of Trade Openness on Exchange Rate in Sudan during the period 1990 – 2021, using time series data and Autoregressive Distributed Lag Model (ARDL), to test the Short-run and Long- run relationship between the Trade Openness and Exchange Rate. The analysis findings show that the openness has a negative effect on Exchange Rate in the short-run and Long-run, there is also a short- and long-term equilibrium relationship between trade openness and the exchange rate rate, and the actual deviation from the balance between the variables is corrected by 48.36%, starting in the current year and reaching about two years and a month ago. The study recommended the necessity of balanced Openness to reduce the deficit in the Balance of Payments and Exchange Rates in Sudan.

Keywords: Trade openness, exchange rate, autoregressive, time gap spread, short term, long term.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تبنى اقتصاد السودان منذ بداية تسعينيات القرن الماضي سياسة التحرير الاقتصادي بهدف تحريك جمود النشاط الاقتصادي وتحسين وضع الميزان التجاري وميزان المدفوعات وخفض معدلات سعر الصرف وتفعيل دور التجارة الخارجية من خلال الانفتاح التجاري وتحقيق الإندماج مع الاقتصادات الدولية.

إن ظاهرة تذبذب سعر الصرف التي ينتج عنها تفاعل عدد من العوامل الداخلية والخارجية، وإنتشارها على مستوى العالم، زيادة مساهمة التجارة في النشاط الاقتصادي في معظم الدول، الانفتاح على العالم الخارجي، والإعتماد على الخارج في سد جزء من حاجات الدول والإستثمارات وإنتقال رؤوس الأموال، هذا من شأنه أن يجعل الأسعار المحلية تتأثر بالتغيرات على المستوى العالمي، وعليه فإن تقدير العلاقة التوازنية قصيرة وطويلة الأجل بين الانفتاح التجاري وسعر الصرف يمكن أن يساعد في وضع السياسات التي تستخدمها السلطات المالية والنقدية في تطوير هياكل الإنتاج والتصدير في الدول المنفتحة والذي يمكن أن يكون له أثر على معدلات سعر الصرف ومسار النمو الاقتصادي.

مشكلة الدراسة:

لتحديد مشكلة الدراسة يمكن صياغة الأسئلة التالية:

- هل هناك أثر للانفتاح التجاري على سعر الصرف؟
- هل توجد علاقة سببية توازنية طويلة وقصيرة الأجل بين الانفتاح التجاري وسعر الصرف في السودان؟ كيف يمكن تقدير هذه العلاقة؟
- كيف يمكن اختبار قدرة نموذج الدراسة على الاستشراف (التنبؤ) بالقيم المستقبلية لمتغيرات الدراسة؟

أهمية الدراسة:

تنبع من الأهمية المتزايدة لسعر الصرف والانفتاح التجاري، فهي تناقش سعر الصرف الذي يعتبر حلقة الوصل في العلاقات الاقتصادية الدولية، وأحد العناصر الأساسية في توجيه أي دولة لمعاملاتها الخارجية، كما أن سعر الصرف يعد بمثابة المرآة التي تعكس الوضع الاقتصادي لأي دولة خارجياً أو داخلياً، وإستقراره يعد إنعكاسا لمدى سلامة الأسس الاقتصادية، والسياسات المالية

والنقدية المتبعة، وقدرتها على الإستجابة للصدمات الخارجية التي يتعرض لها اقتصاد السودان عند انفتاحه نحو الخارج.

أهداف الدراسة:

تهدف إلى التعرف على أثر الانفتاح التجاري على سعر الصرف في السودان في الأجلين القصير والطويل، وذلك بتطبيق نموذج الانحدار الذاتي ذو الفجوات الزمنية الموزعة (ARDL)[1] خلال الفترة من 1990-2021م.

رضيات الدراسة:

- توجد علاقة عكسية قصيرة الأجل ومعتمدة إحصائياً بين الانفتاح التجاري وسعر الصرف.
- هناك علاقة توازنية عكسية طويلة الأجل بين الانفتاح التجاري وسعر الصرف.

منهج الدراسة:

تستخدم الدراسة منهجية الاقتصاد القياسي وذلك من خلال استخدام بيانات السلاسل الزمنية وتقدير متغيرات نموذج الانحدار الذاتي ذو الفجوات الموزعة(ARDL) وفحص قدرة النموذج على الاستشراف (التنبؤ). كما أن لتطبيق سياسة التحرير الاقتصادي في السودان دور كبير في تحديد فترة الدراسة.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

الانفتاح التجاري وسعر الصرف في السودان:

1: الانفتاح التجاري: Trade Openness:

ظهر اصطلاح الانفتاح التجاري في أوائل السبعينات من القرن الماضي ويعد من المفاهيم الحديثة في الاقتصاد وأصبحت له أهمية كبيرة في الاقتصاد السياسي. والانفتاح التجاري يعبر عنه بأنه تلك السياسة التي تؤدي إلى التخلي عن السياسات التي تقيد عملية التصدير، وإتباع سياسات حيادية بين التصدير والاستيراد، والتخفيض من قيمة التعريفة الجمركية المرتفعة، بالإضافة إلى تحويل القيود الكمية إلى تعريفة جمركية والاتجاه نحو نظام موحد للتعريفة الجمركية، وبالتالي يكون مضمون برنامج تحرير التجارة شاملاً للعديد من الإجراءات فيما يتعلق بسياسات الاستيراد، وسياسات تشجيع الصادرات، سياسات سعر الصرف، سياسات إدارة الاقتصاد الكلي، السياسات التنظيمية

[1] (ARDL :Approach Cointegration the Auto Regressive Distributed Lag framework) (The Bounds Test).

والسياسات التجارية تجاه الشركاء التجاريين. كما يُعرف بأنه تحرير القطاع الخارجي الذي يتكون من ميزان المعاملات التجارية الجارية وميزان المعاملات الرأسمالية، أي الانفتاح على تدفقات السلع والخدمات ورؤوس الأموال من وإلى الخارج من كافة القيود والعقبات، والتي تتمثل في الضرائب الجمركية والقيود الإدارية والفنية (شرف الدين، 2017، ص 164-165).

والانفتاح التجاري يقاس بمؤشر نسبة التجارة الخارجية (الصادرات والواردات) من الناتج المحلي الإجمالي، ويعتبر ارتفاع النسبة إلى 45% فأكثر مؤشراً على درجة الانفتاح التجاري (العيسوي، 1989، ص 13-17)، وكلما كانت هذه النسب كبيرة كلما كانت الدولة منفتحة اقتصادياً على العالم. وإن ارتفاع نسبة الانفتاح التجاري لدولة ما ليس في كل الأحوال مؤشراً جيداً للاقتصاد، فإن ارتفاع نسبة الواردات قد تكون غير حميدة في حالة أن أغلب الواردات غير إنتاجية واستهلاكية.

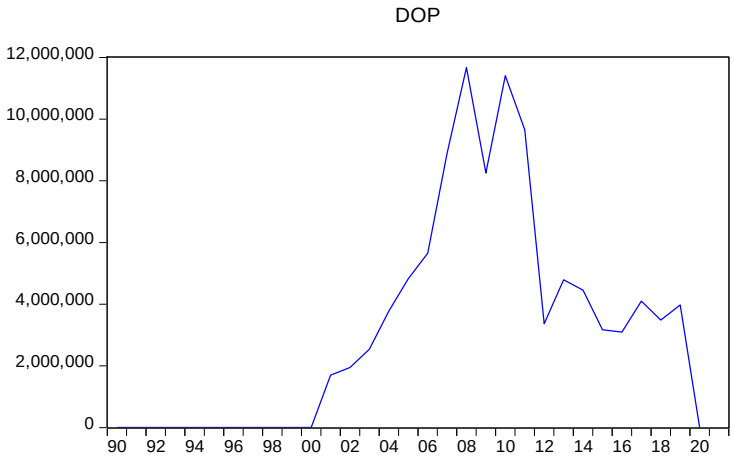
الانفتاح التجاري يرتبط بمفهوم العولمة وكافة أشكالها، إذ أن الواقع الاقتصادي والتجاري العالمي الحالي حتمي ولا تستطيع أية دولة مهما بلغت من قوة الانفكاك منه وخاصة الدول النامية، ولكن العبرة في كيفية الاستفادة من هذا الواقع وتعظيم العائد منه وتسخير متغيراته الواقع لصالح الاقتصاد الوطني (فليح، 2004، ص 19).

يتمتع السودان بموارد اقتصادية ضخمة تمكنه من إنتاج معظم احتياجاته، إلا أن ذلك لا يتم إلا في ظل الحداثة والتطور الاقتصادي العالمي بحيث تكون هناك سانحة لاستيراد رأس المال والتكنولوجيا الحديثة، ويتطلب ذلك الانفتاح على العالم الخارجي.

خلال الفترة من 1990-1999م نلاحظ أن السودان تبنى سياسة التحرير الاقتصادي في عام 1992م مكا نلاحظ أن هناك تذبذباً طفيفاً في قيمة صادرات السودان، حيث بلغ إجمالي قيمتها في عام 1999م حوالي 1268.5 مليون جنيه، إلا أنه منذ العام 2000م حدث تطور مقدر حيث بلغ إجمالي قيمة صادرات السودان 4645.8 مليون جنيه نتيجةً لتصدير البترول (319.3 مليون دولار-1806.7مليون دولار). وفي عام 2010م ساهم اقتصاد السودان بحوالي 11442.2 مليون دولار للصادر وبحوالي 8839.4 مليون دولار للواردات كأكبر مساهمة في التجارة الخارجية تمت خلال الفترة 2000م- 2010م. وهذا يؤكد بأن اقتصاد السودان يمكن أن ينفتح بنسبة قد تفوق 50% في محور الصادرات، وذلك لزيادة كمية صادرات الذهب. إلا أن ما يؤخذ على عملية الانفتاح هو أن معظم الصادرات مواد أولية (بترولية وغير بترولية) وكذلك هناك انخفاض في القيمة المضافة بالنسبة للصادرات التقليدية، أما بالنسبة للواردات فكانت تميل بدرجة أكبر إلى رفع نسبة استيراد الآلات والمعدات والمواد الخام مما يؤثر على عملية التنمية.

بعد انفصال جنوب السودان عام 2011م وفقدان جزء كبير من عائدات النفط أكثر من 75%، كان لابد من تعزيز الانفتاح نحو التجارة العالمية والتفكير في الموارد المتاحة، خاصة الزراعة والثروة الحيوانية والمعادن وكيفية رفع كفاءتها لزيادة الإنتاج والتصدير خلال المرحلة المقبلة. وحسب أرقام رسمية شهدت الصادرات السودانية تراجعاً ملحوظاً خلال الربع الأول من العام2018م، إذ انخفضت قيمة الصادرات بنحو 18.7% إلى 1.187 مليار دولار خلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام، مقارنة بالربع الأول من عام2017م، فيما انخفضت قيمة الواردات بنسبة 13% بما يعادل ملياري دولار، وبلغ حجم الصادرات السودانية عام 2017م نحو 4 مليارات دولار فقط، مقابل واردات بقيمة 6.4 مليارات وفقاً لإحصائية وزارة المالية والتخطيط الاقتصادي.

شكل (1) تطور الانفتاح التجاري في السودان خلال الفترة من 1990-2021.



المصدر: من بيانات التقرير السنوي لبنك السودان.

2: سعر الصرف: Exchange Rate:

إن التجارة الدولية هي امتداد للتعاملات المحلية، وفي كلتا الحالتين تحقق التجارة فوائد التخصص. ولكل دولة عملة تستخدمها لتمويل معاملاتها، الأمر الذي يجعل تجارة السلع والخدمات وتحويلات رؤوس الأموال تطلب إجراء عملية تحويل بين هذه العملات. أي لابد من الاهتمام بسعر صرف هذه العملات والذي يعرف بأنه سعر عملة دولة ما مُقوماً بعملة أخرى (زينب، 2008، ص44)، والذي يمثل الفارق الجوهري بين التعاملات الدولية والمحلية التي تتم في نظام نقدي دولي تطور عبر مراحل مختلفة بدأت منذ العام 1870م-1918م، وفي هذه الفترة تم تغطية قيم كل العملات بالذهب، ثم من 1918-1922م تم التعامل بالتعويم الحر لأسعار الصرف نسبةً لظهور التضخم الجامح. وفي العام 1926-1944م تم الرجوع إلى قاعدة الذهب حتى تم التوصل إلى اتفاقية بريتون وودز وفيها تم استبدال الذهب بالدولار الأمريكي عند سعر ثابت ومن ثم ربط الدولار بالذهب، ولكن للعجز المتزامن في ميزان المدفوعات الأمريكي مع توسع التجارة الدولية وضرورة زيادة

السيولة تم التخلي عن نظام بريتون وودز في بداية السبعينات، والتوصل إلى ترتيبات النقد الحالية في إطار نظام نقدي دولي يتسم بكونه خليطا من أسعار الصرف الثابتة (كالنظام الأوربي) والحرة.

يعتبر سعر الصرف من المتغيرات شديدة الحساسية لاستجابته السريعة لكثير من التغيرات على مستوى متغيرات الاقتصاد الكلي مثل الكتلة النقدية، الدخل الحقيقي، معدل الفائدة، التضخم ودرجة الانفتاح التجاري، لذلك فإن سعر الصرف يتغير في الأجل الطويل والقصير أي يوميا وعلى مدار الساعة الأمر الذي ساهم في تعدد مناهج دراسة تحديده.

فحسب نظام الصرف المتبع وتدخلات السلطات النقدية نجد أن سعر الصرف يتحدد وفقاً لعاملي العرض والطلب على العملات الأجنبية مقابل العملة المحلية. وبناءً على ذلك فإن نظريات سعر الصرف تعمل على تفسير التغيرات التي تحدث في سعر الصرف، منها نظرية تعادل القوة الشرائية للاقتصادي السويدي Justaf Cassel، وتشير إلى أن سعر الصرف هو عبارة عن النسبة بين مستوى الأسعار في كل من الدولتين، وأن التغير في سعر الصرف يكون متناسباً مع التغير في النسبة بين مستوى الأسعار في كل من الدولتين. وتستند هذه النظرية على تحليل ودراسة العلاقة بين العرض والطلب على النقود، وتأثير هذه العلاقة على تدفقات السلع والخدمات ورؤوس الأموال.

بناءً على آلية العرض والطلب تتحدد أسعار العملات بطريقتين (الطاهر، 2003، ص96)،إما عن طريق التسعير المباشر كما في بريطانيا أو التسعير غير المباشر كما في معظم دول العالم بما فيها السودان، أو استخدام ما يسمى بالأسعار المتقاطعة عند تبادل العملات في مركز مالي معين عندما يكون سعر عملتين مقابل بعضهما غير متوفر ولضرورة التبادل يتم تحديد سعر التبادل بناءً على علاقة العملتين بعملة ثالثة.

لسعر الصرف عدة أنواع منها سعر الصرف العاجل في الشراء أو البيع إذ أنه يتغير باستمرار خلال اليوم تبعاً للعرض والطلب. أما سعر الصرف الآجل يتم الاتفاق على التسليم والاستلام بعد فترة محددة من إبرام العقد بالسعر السائد لحظة التعاقد.

من أشكال سعر الصرف (عبدالمجيد، 2005، ص103)، سعر الصرف الإسمي (رسمي وموازي): وهو مقياس لقيمة العملة بقيمة عملة بلد آخر. وسعر صرف حقيقي: ويعرف على أنه القوة الشرائية النسبية لعملتي البلدين، والقوة الشرائية للعملة تساوي مقلوب مستوى الأسعار، وهو يقيس القدرة على المنافسة ويساعد في إتخاذ القرارات.

في عام 1992م تم تطبيق سياسة التحرير الاقتصادي (محمد خير، 2010، ص5) واعتماد نظام اقتصاد السوق وتقليص دور الحكومة في التدخل عن طريق السياسات، وتم تنفيذ برنامج واسع من الخصخصة بغرض تحريك الجمود الاقتصادي بإشراك القطاع الخاص، وفي السنوات الأربع

الأولى لتطبيق سياسة التحرير الاقتصادي حدث اضطراب واضح في أداء الاقتصاد القومي عبرت عنه عدة مؤشرات كلية أبرزها الارتفاع المضطرد في معدلات التضخم والتي وصلت إلى 166 في عام 1996م والتدهور الكبير في قيمة العملة الوطنية والتشوهات الواضحة في سعر الصرف. وخلال الفترة من 1990–1999م شهد سعر الصرف ارتفاعاً من 0.045 جنيه إلى 2.52 جنيه بعد تبني السودان لسياسة التحرير الاقتصادي وتعويم سعر الصرف.

في عام 2000 إستطاع الميزان التجاري أن يحقق فائضا لأول مرة منذ عشرين عاماً وذلك بسبب الزيادة الكبيرة في الصادرات التي نتجت عن الزيادة في إنتاج بترول السودان في عام 1999م، وكانت عائدات الصادر منه حوالي 2.4 مليار دولار للفترة من 1999 الي نهاية 2002 وأصبح سعر الدينار السوداني شبه ثابت مقابل الدولار بسبب زيادة العائد من الصادر. وشهدت الفترة من 2000–2007م إستقراراً في سعر الصرف وارتفاع قيمة الجنيه السوداني من 2.571–2.016 وذلك بسبب تدفق عائدات البترول والاستثمار الأجنبي المباشر. وفي العام 2008م بلغ سعر الصرف2,091 جنيه مقابل الدولار، في العام 2009م بدأت آثار الأزمة المالية العالمية التي حدثت في أواخر العام 2008م في الظهور حيث ارتفع سعر صرف العملة المحلية إلى 2,236 جنيه مقابل الدولار وفي 2010م بلغ سعر الصرف2,237 جنيه للدولار.

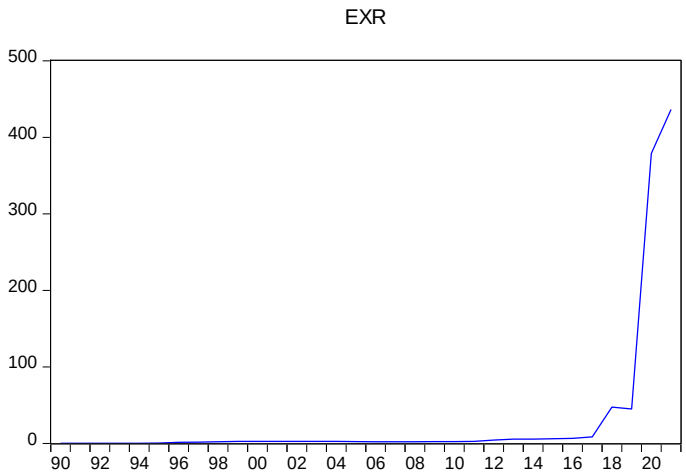
وفي الفترة من 2011–2014م شهد اقتصاد السودان تدهوراً ملحوظاً ومستمراً بسبب الاختلال الكبير في التوازن الخارجي والداخلي لموازين الدولة ومن ثم العجز الذي شهدته الموازنة العامة وشح موارد النقد الأجنبي وتفاقم المديونية مع انخفاض معدلات الإنتاج والادخار والاستثمار, كما أن عدم استقرار السياسات والإلتزام بتنفيذ الخطط والبرامج الموضوعة والبيئة الاقتصادية غير الملائمة التي أحدثت تدهوراً ملحوظاً في شروط التبادل الخارجي وارتفاع تكلفة القروض، أدت إلي عدم الاعتماد علي الموارد الخارجية في تمويل عجز الموازنة ومشروعات التنمية. وفي العام 2011م قفز إلى2,485 جنيه للدولار وذلك نتيجة لانفصال الجنوب وما تبعه من متغيرات مثل فقدان أكثر من ثلث عائدات النفط مما يعني نقص في موارد العملات الأجنبية. وأما الفترة من 2012م إلى 2014م شهدت تدهور في سعر الصرف حيث قفز من 4.40 إلى 8.43 جنيه.

شهدت الفترة من 2015–2019م وضع البرنامج الخماسي للإصلاح الاقتصادي كما في الشكل إدنا، وهدفت سياساته إلى تحقيق الإستقرار النقدي والمالي للمساهمة تحقيق الإستقرار الاقتصادي برفع معدلات النمو وتحقيق التنمية، وذلك من خلال العمل على إستقرار المستوى العام للأسعار المحلية وسعر الصرف وتحسين أداء ميزان المدفوعات بخفض عجز الحساب الجاري، إلا أن معدل سعر الصرف في السودان شهد تذبذباً واضحاً خلال هذه الفترة من تأريخ اقتصاد السودان.

خلال الفترة من 2019-2021م عمل البنك المركزي على تحقيق إستقرار سعر الصرف وإستدامته، بإعتباره أحد أهم آليات تحقيق الإستقرار الاقتصادي، حيث تم إتخاذ العديد من السياسات والإجراءات التي تمثلت في تحديد سعر صرف بواسطة البنك المركزي، وتوجيه المصارف وشركات الصرافة بتحديد سعر بيع الدولار الامريكى وإضافة هامش لتحديد سعر الشراء بالنسبة للعملات الاخرى القابلة للتحويل تم تطبيق أسعار الصرف التقاطعية بتوسيط الدولار الامريكى وفق ما يعلنه بنك المركزي، وتطبيق ذلك على كافة المعاملات بما فى ذلك تقييم الاصول والخصوم، حيث بلغ سعر الصرف الرسمي للدولار مقابل الجنيه السوداني 45 جنيه في العام 2019 و 378.9 جنيه في العام 2020 و 436.28 جنيه في العام 2021م، وذلك نتيجة لإنخفاض موارد النقد الأجنبي بالبنك المركزي وارتفاع المضاربات في سوق النقد الأجنبي إضافة إلى إضطراب الظروف السياسية ومن ثم إرتفعت الفجوة بين السعرين الرسمي والموازي.

إن التحديات التي تواجه اقتصاد السودان تتمثل في ضرورة إصلاح وتحرير الاقتصاد والإندماج في الاقتصاد العالمي، وإن من أهم العقبات التي تواجه الدولة هي التكاليف التي يتحملها الاقتصاد الوطني أثناء القيام بعمليات تحريره وإصلاحه ومنها تكاليف تغير سعر صرف الجنيه لما له من تأثير على مستوى الأسعار المحلية والتجارة الخارجية وميزان المدفوعات، لذلك تسعى معظم الدول إلى إنتهاج سياسات تهدف إلى إستقرار سعر صرف عملتها لتتجنب التقلبات الحادة التي تمر بها العملة من فترة لأخرى بسبب تغير العوامل المؤثرة على سعر الصرف وأهمها العوامل السياسية، فالإفراط في الإصدار النقدي يؤدي غالبا إلى ارتفاع الأسعار عند جمود مستوى الإنتاج، والارتفاع المتزايد والمستمر في المستوى العام للأسعار يؤدي إلى تدهور القوة الشرائية للعملة الوطنية. والشكل التالي يوضح الإتجاه العام لمعدل سعر الصرف قي السودان خلال الفترة من 1990-2021م.

شكل (2) الإتجاه العام لسعر الصرف الكلي خلال الفترة 1990-2021م:



المصدر: من بيانات التقرير السنوي لبنك السودان.

نلاحظ أنه كلما كان تكامل الدولة كبيراً مع الخارج كلما زادت درجة الانفتاح، إلا أن درجة الانفتاح الكبيرة عادة ما تعرض الدولة لبعض الصدمات الخارجية التي تؤثر على الصادرات والواردات وسعر الصرف.

وإن مستوى انفتاح حركة التدفقات الرأسمالية للداخل والخارج يؤثر بدرجة كبيرة ومباشرة على أسعار الصرف، فإذا كانت هذه التدفقات كبيرة هذا يؤدي إلى زيادة الإحتياطات من النقد الأجنبي وبالتالي إلى ارتفاع قيمة العملة الوطنية ويحدث العكس في حالة هروب رأس المال إلى الخارج.

4- نموذج الدراسة:

4-1: إختبارات جذر الوحدة (السكون):

نلاحظ من جدول إختبارات جذر الوحدة أدناه أن السلاسل الزمنية ساكنة عند الفرق الأول, وهذا يعني رفض فرضية العدم(H_0) وقبول الفرضية البديلة(H1) ووجود علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات.

جدول (1) نتائج إختبارات جذر الوحدة:

المتغيرات	ADF			PP			KPSS		
	عند المستوى	الفرق الأول	القرار	عند المستوى	الفرق الأول	القرار	عند المستوى	الفرق الأول	القرار
Exr	2.578	3.782	1(1)	1.316	-4.655	1(1)	0.403	0.379	1(0)
DOP	-2.145	-5.788	1(1)	-1.657	-5.772	1(1)	0.378	0.118	1(0)
القيم الحرجة: KPSS= 0.463 ; PP= -2.976 ; ADF= - 2.976 عند 5%									

المصدر: إعداد الباحث بإستخدام بيانات الدراسة و برنامج Eviews 10

2: إختبار التكامل المشترك:

يعتبر إختبار الحدود(ARDL Bounds Test) من الإختبارات المناسبة للتكامل المشترك في حالة وجود الفجوات الموزعة والتحقق من وجود علاقة طويلة الأجل بين متغيرات الدراسة، وتشير نتائج الإختبار أدناه إلى أن قيمة إحصاءة F المحسوبة (24.356) و بمقارنتها بالقيم الحرجة عند مستوى معنوية 1%، 5% و10%، نجدها أكبر من الحد الأعلى وهذا يعني قبول الفرضية

البديلة(H_1) القائلة بوجود تكامل مشترك وأن هناك علاقة توازنية طويلة الأجل من الانفتاح التجاري إلى سعر الصرف.

جدول (2) نتائج إختبار التكامل المشترك بإستخدام إختبار الحدودARDL :

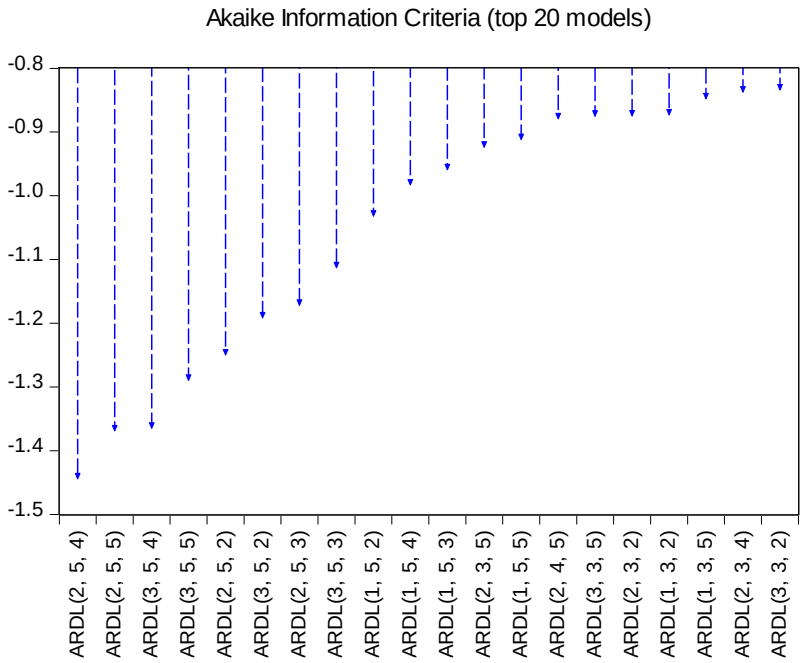
F-Bounds Test		Null Hypothesis: No levels relationship		
Test Statistic	Value	Signif.	I(0)	I(1)
			Asymptotic: n=1000	
F-statistic	24.35625	10%	3.17	4.14
K	2	5%	3.79	4.85
		2.5%	4.41	5.52
		1%	5.15	6.36

المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

3: التقدير القياسي لأثر الانفتاح التجاري على سعر الصرف:

بعد التأكد من إتفاق نتائج الإختبارات مع شروط تطبيق نموذج الإنجدار الذاتي ذو الفجوات الموزعة (ARDL) وهو إحدى الطرق التي طورها Pesaran (2001) وأهم مايميز هذا النموذج أنه يقيس الأثر في كل من الأجل القصير والطويل، وإعتماداً على معيار AIC تم إختيار نموذج ARDL(2,5,4) كما في الشكل أدناه:

شكل (3) معيار تحديد الفجوات AIC:



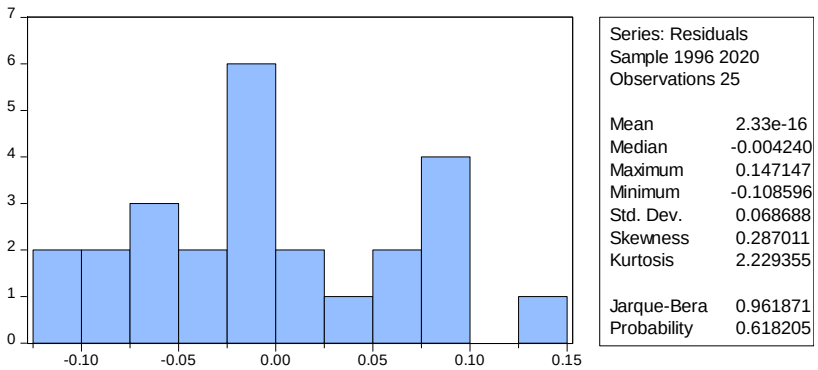
المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

وتم التأكد من أن النموذج مستوفي لعدد من الإختبارات والمعايير القياسية اللازمة لعملية الإستدلال الإحصائي السليم، وهي:

1: إختبار التوزيع الطبيعي للنموذج Normality test:

للتحقق من شرط التوزيع الطبيعي نلاحظ أن قيمة إحتمالية إختبار Jarque Bera test probability أدناه قد بلغت 0.9619، وهي أكبر من مستوى المعنوية 5% وهذا يعني قبول فرضية العدم (H_0)، أي وجود توزيع طبيعي للبواقي.

جدول (3) نتائج إختبار التوزيع الطبيعي:Jarque Bera test probability



المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

2: إختبار الإرتباط الذاتي: LM:

نلاحظ من خلال جدول نتائج إختبار الإرتباط السلسلي الذاتي LM أدناه أن القيمة الإحتمالية للإختبار (prob–F=0.1532) وهي أكبر من مستوى المعنوية 5%، وهذا يشير إلى قبول فرضية العدم(H_0)، أي عدم وجود إرتباط ذاتي.:

جدول (3) نتائج إختبار الإرتباط الذاتي LM: Breusch–Godfrey Serial Correlation LM Tes

F–statistic	2.328002	Prob. F(2,9)	0.1532
Obs*R–squared	8.523731	Prob. Chi–Square(2)	0.0141

المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

3– إختبار إختلاف التباين:

نلاحظ من خلال جدول نتائج إختبار Heteroskedasticity Test: Breusch–Pagan–Godfre أدناه أن القيمة الإحتمالية للإختبار (probF=0.4825) وهي أكبر من مستوى المعنوية 5%، وهذا يشير إلى قبول فرضية العدم(H_0)، أي عدم وجود إختلاف التباين.

جدول (4) إختبار إختلاف التباين: Heteroskedasticity Test: Breusch–Pagan–Godfrey

F–statistic	1.036196	Prob. F(13,11)	0.4825
Obs*R–squared	13.76200	Prob. Chi–Square(13)	0.3908
Scaled explained SS	1.637699	Prob. Chi–Square(13)	0.9999

المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

4– إختبار معامل تضخم التباين (للمتغيرات المستقلة):

تلاحظ من الجدول أدناه أن قيمة معامل تضخم التباين أقل من (10) لجميع المتغيرات المستقلة في النموذج، وهذا يدل على عدم وجود إرتباط خطي بين هذه المتغيرات.

جدول (5) إختبار معامل تضخم التباين: Variance Inflation Factors

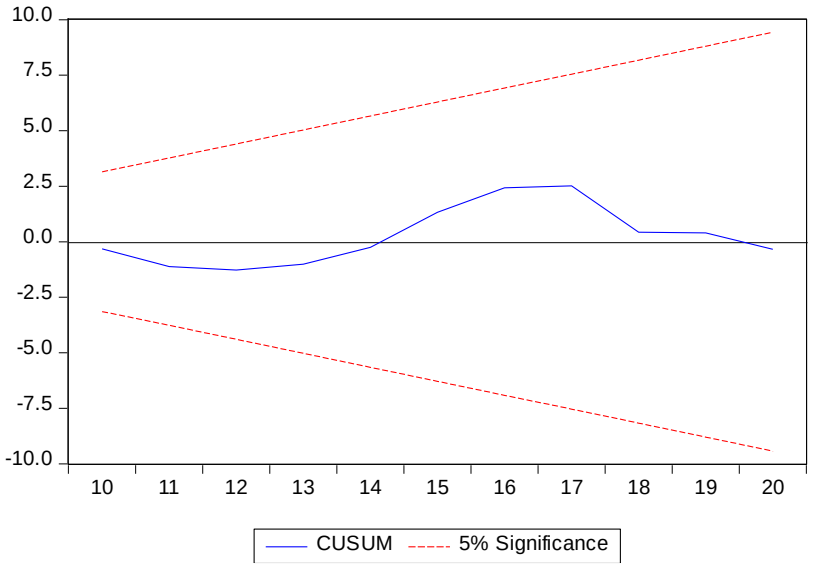
Variable	Coefficient Variance	Uncentered VIF	Centered VIF
D(DOP)	2.54E-16	2.331656	2.317371
D(DOP(-1))	2.46E-16	2.252373	2.237303
D(DOP(-2))	2.74E-16	2.504864	2.491938
D(DOP(-3))	4.11E-16	3.739137	3.712313
D(DOP(-4))	7.83E-16	7.054020	7.024901
D(DOP(-5))	6.41E-16	5.774449	5.749436
D(EXR(-3)-1)	0.010045	10.46667	7.771170

المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

5- إختبار إستقرار النموذج: Cusum:

يستخدم إختبار المجموع التراكمي للبواقي الراجعة (Cusum)، للتأكد من إستقرار بيانات النموذج وخلوها من أي تغيرات هيكلية، أي مدى إستقرار المعلمات طويلة الأجل مع المعلمات قصيرة الأجل، ويتحقق ذلك إذا وقع الشكل البياني للإختبار داخل الحدود الحرجة عند مستوى معنوية 5%. ومن خلال نتائج الإختبار أدناه نجد أن معلمات النموذج مستقرة طول فترة الدراسة.

شكل (4) نتائج إختبار إستقرار معلمات النموذج: Cusum:



المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

4-4: تقييم معاملات الأجل القصير:

يتضح من نتائج التقدير:

- أن قيم وإشارات جميع معلمات نموذج الدراسة تتفق مع النظرية الاقتصادية.
- أن كل معلمات النموذج معتمدة إحصائياً عند مستوى معنوية 5%.
- وجود علاقة عكسية معتمدة إحصائياً بين الانفتاح التجاري وسعر الصرف عند مستوى معنوية 5%, أي أن الزيادة في الانفتاح التجاري بوحدة واحدة تؤدي إلى إنخفاض سعر الصرف بحوالي5.78.
- معامل إبطاء حد تصحيح الخطأ (CointEq(-1) معنوي إحصائياً وسالب الإشارة مما يؤكد على وجود علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات، وقد إتفقت الإشارة السالبة والمعنوية الإحصائية للقيمة المطلقة لمعامل حد تصحيح الخطأ مع المنطق الإحصائي والقياسي، حيث تشير القيمة المطلقة إلى سرعة إستعادة حالة التوازن أو سرعة تصحيح الخطأ، وقد بلغت هذه القيمة (-0.4836) وذات معنوية إحصائية عند مستوى 5%، وتشير إلى أن 48.36% من جميع الانحرافات والإختلالات في توازن المتغيرات التفسيرية في السنة السابقة يتم تصحيحها خلال السنة الحالية ولفترة سنتين وشهر تقريباً، كما في الجدول التالي:

جدول (6) نتائج تقدير أثر الأجل القصير بإستخدام نموذج (ARDL):

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	0.847252	0.089006	9.519075	0.0000
DLOG(EXR(-1))	-0.400852	0.130401	-3.074002	0.0106
D(DOP, 2)	-5.78E-08	1.23E-08	-4.702890	0.0006
D(DOP(-1), 2)	3.27E-07	4.22E-08	7.748174	0.0000
D(DOP(-2), 2)	2.42E-07	3.57E-08	6.777698	0.0000
D(DOP(-3), 2)	1.44E-07	3.01E-08	4.785500	0.0006
D(DOP(-4), 2)	8.97E-08	1.99E-08	4.499858	0.0009
D(-1 + EXR, 2)	0.053717	0.002865	18.75210	0.0000
D(-1 + EXR(-1), 2)	0.601841	0.061812	9.736627	0.0000
D(-1 + EXR(-2), 2)	0.228359	0.057941	3.941237	0.0023
D(-1 + EXR(-3), 2)	0.240056	0.075822	3.166065	0.0090
CointEq(-1)*	-0.483624	0.052044	-9.292685	0.0000

المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

4-5: تقييم معاملات الأجل الطويل:

نلاحظ من جدول نتائج تقدير أثر الأجل الطويل أدناه أن:

- معلمة ثابت النموذج موجبة و تتفق مع منطوق النظرية الاقتصادية.
- معامل الانفتاح التجاري سالب ويتفق مع النظرية الاقتصادية، وهذا يعني أن هناك علاقة توازنية عكسية طويلة الأجل بين الانفتاح التجاري وسعر الصرف، أي أن الزيادة في الانفتاح التجاري بوحدة واحدة تؤدي إلى إنخفاض سعر الصرف بحوالي 9.82.
- كل معلمات النموذج معتمدة إحصائياً في الأجل الطويل.
- تصبح معادلة الأجل الطويل كالآتي:

$$EC = LOG(EXR) - (-9.820*D(DOP) -0.998*D(EXR-1)$$

جدول (7) نتائج تقدير أثر الأجل الطويل بإستخدام نموذج (ARDL):

Conditional Error Correction Regression

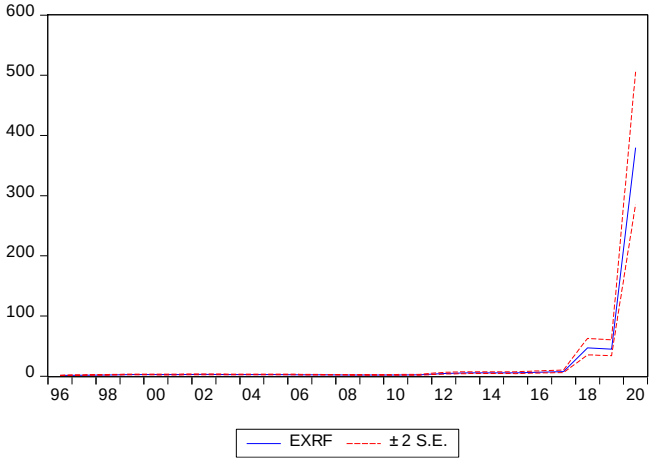
Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	0.847252	0.097355	8.702695	0.0000
LOG(EXR(-1))*	-0.483624	0.063748	-7.586512	0.0000
D(DOP(-1))	-4.75E-07	6.91E-08	-6.868730	0.0000
D(-1 + EXR(-1))	-0.482799	0.132618	-3.640518	0.0039
DLOG(EXR(-1))	-0.400852	0.142622	-2.810577	0.0170
D(DOP, 2)	-5.78E-08	1.59E-08	-3.626465	0.0040
D(DOP(-1), 2)	3.27E-07	5.73E-08	5.701894	0.0001
D(DOP(-2), 2)	2.42E-07	5.32E-08	4.548107	0.0008
D(DOP(-3), 2)	1.44E-07	4.55E-08	3.163974	0.0090
D(DOP(-4), 2)	8.97E-08	2.53E-08	3.542278	0.0046
D(-1 + EXR, 2)	0.053717	0.003260	16.47545	0.0000
D(-1 + EXR(-1), 2)	0.601841	0.134348	4.479731	0.0009
D(-1 + EXR(-2), 2)	0.228359	0.139322	1.639071	0.1295
D(-1 + EXR(-3), 2)	0.240056	0.111384	2.155205	0.0542

المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

الإستشراف (التنبؤ):

نلاحظ من نتائج الجدول أدناه أن قيمة معامل ثيل لعدم التساوي بلغت (0.001) وهي أقل من الواحد وتقترب من الصفر، وهذا يعني أن نموذج الدراسة قادر على الإستشراف(التنبؤ).

جدول(8) نتائج إختبار قدرة النموذج على الإستشراف(التنبؤ):



Forecast: EXRF	
Actual: EXR	
Forecast sample: 1990 2021	
Adjusted sample: 1996 2020	
Included observations: 25	
Root Mean Squared Error	0.275238
Mean Absolute Error	0.209603
Mean Abs. Percent Error	5.473959
Theil Inequality Coefficient	0.001786
Bias Proportion	0.000468
Variance Proportion	0.203822
Covariance Proportion	0.795711
Theil U2 Coefficient	0.040014
Symmetric MAPE	5.486117

المصدر: نتائج برنامج Eviews 10

النتائج:

تم إختبار العلاقة بين الانفتاح التجاري وسعر الصرف من خلال علاقة التكامل المشترك بين الانفتاح التجاري ومعدل سعر الصرف وذلك لإثبات الفرضية الرئيسة للدراسة القائلة بوجود علاقة توازنية عكسية معتمدة إحصائياً في الأجلين القصير والطويل بين الانفتاح التجاري وسعر الصرف خلال الفترة من 1990–2021م، وتم التوصل إلى النتائج التالية:

- هناك علاقة توازنية قصيرة وطويلة الأجل بين الانفتاح التجاري ومعدل سعر الصرف، وأن الانحراف الفعلي عن التوازن بين المتغيرات يصحح بمقدار 48.36% تبدأ في السنة الحالية وتصل إلى حوالي سنتين وشهر تقريباً.
- هناك علاقة عكسية معتمدة إحصائياً بين الانفتاح التجاري ومعدل وسعر الصرف.
- إن الانفتاح التجاري له أثر إيجابي على الاقتصاد، من خلال جذب الواردات التي تحتوي على السلع الإنتاجية والتكنولوجية الحديثة التي تمكن الاقتصاد من إحراز تقدماً تكنولوجياً يرفع من كفاءة إنتاجيته، وهذا يؤثر إيجاباً على صادرات السودان (من خلال اقتصادات الحجم الكبير) ويعمل على خفض أسعار الصرف.

التوصيات:

- ضرورة الانفتاح على الخارج بشكل متوازن يساعد على خفض العجز في ميزان المدفوعات وخفض أسعار الصرف.
- العمل على تنمية الصادرات لزيادة إحتياطي النقد الأجنبي والمحافظة على توازن سعر الصرف وتحسين ظروف الانفتاح التجاري الذي سيكون له أثراً إيجابياً على بعض المتغيرات الاقتصادية.
- إعتماد التشريعات والقوانين الاقتصادية التي تعمل على تشجيع القطاع المصرفي لدعم أنشطة التجارة الخارجية.
- تفعيل دور القطاع الخاص في النشاط التجاري لزيادة فرص الانفتاح التجاري لاقتصاد السودان.

قائمة المصادر والمراجع:

1- بوالشعور شريفة، قمري زينة(2021)، أثر الانفتاح التجاري والإحتياطات الأجنبية على سعر الصرف الحقيقي، التكامل الاقتصادي، ع6، م4، الجزائر، ص ص 1-18.

2- ميلود وافي، محمد شكوري سيدي(2020)، تأثير الانفتاح التجاري والتكامل المالي على سعر الصرف الحقيقي، مجلة معهد العلوم الاقتصادية، ع23، الجزائر، ص ص 599-618.

3- شرف الدين، ملال، (2017) ، الانفتاح التجاري والتوازنات الكلية لاقتصاديات شمال إفريقيا(تونس، المغرب والجزائر)، مجلة تأريخ العلوم، جامعة خنشلة، ع7، تونس، ص ص 164- 165 .

4- العيسوي، إبراهيم، (1989)، قياس التبعية في الوطن العربي، جامعة الامم المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ص 13-17.

5- فليح، حسن خلف، (2004)، العلاقات الاقتصادية الدولية مؤسسة الوراق للنشر، عمان. ص 19.

6- زينب حسين عوض الله(2008): العلاقات الاقتصادية الدولية، دار الجامعة الجديدة للنشر.

7- الطاهر الأطرش، تقنيات البنوك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003م، ص 96.

8- عبدالمجيد قدي، المدخل إلى السياسات الاقتصادية الكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م.

9- محمد عبدالقادر محمد خير(2010)، الاقتصاد السوداني المسار التأريخي، الراصد للبحوث والعلوم، الخرطوم، السودان.

10- البنك المركزي، التقرير السنوي (1990-2010)، السودان.

11- العرض الاقتصادي(1990 - 2018م)، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، السودان.

12- تجارة السودان الخارجية الحاضر والمستقبل(2008-2012م)، وزارة التجارة الخارجية, السودان.

13- تقرير أداء التجارة الخارجية(2007م – 2011م)، وزارة التجارة الخارجية، السودان.

14- Muhammad ZAKARIA (2010), OPENNESS AND INFLATION: EVIDENCE FROM TIME SERIES DATA, Dogus university, vol. 11 (2).

15- Mustafa Acar,(2005), Kýrýkkale University, Turkey Openness and the Effects of Monetary Policy on the Exchange Rates: An Empirical Analysis Journal of Economic Integration 20(1), March.

الوساطة: تعدد المعاني تحت راية واحدة

Mediation: A plurality of meanings under one banner

La médiation: Une pluralité de sens sous une même bannière

شفقي فاطمة الزهراء: طالبة دكتوراه في العلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المغرب

Chofqi fatima zohra: Doctorante Sciences humaines, Université Hassan 2 Maroc.

RESUME:

Certains concepts prêtent à confusion dans leur usage. Lors d'un travail de recherche, le chercheur surtout quand il s'agit d'un débutant est confronté à l'amalgame des concepts et se perd quant au choix du concept idoine. Notre article se situe dans cette optique, nous avons essayé de traiter dans le cadre d'une recherche en Sciences de l'Information et de la Communication, un concept clé pour notre recherche: la médiation. Nous avons tenté de ramener le lecteur de l'amalgame au concept rigoureux. Ainsi, nous avons commencé par le commencement qui n'est autre que la racine étymologique du terme. Après un survol historique de l'usage du concept médiation, nous avons constaté qu'il s'agit de médiation et des médiations, qu'il n'ya pas que le champ exclusif du conflit où la médiation est appelée à agir. Autrement dit, la médiation revêt d'autres sens que le politique et le juridique. D'autres champs sont investis par la médiation, à savoir le religieux, le culturel. Le contexte religieux renvoie à la médiation entre Dieu et les fidèles. Nous avons abordé les formes, les acteurs et les supports de la médiation. Nous avons jeté la lumière sur le lien qui existe entre la médiation avec d'autres concepts à savoir: la culture, la société, la religion, la pratique rituelle, l'espace, le temps et le patrimoine. Nous concluons ainsi que le terme médiation n'est pas limité ni figé, il s'étend sur plusieurs usages et à différents niveaux. Une fois bien défini, on peut en faire l'usage pertinent et le placer dans le contexte adéquat.

Mots clé: Médiation, Formes de Médiation, Contexte de Médiation

ABSTRACT:

Some concepts lead to confusion in their use. During research work, the researcher, especially when it comes to a beginner, is confronted with the amalgamation of concepts and gets lost as to the choice of the appropriate concept. Our article is situated in this perspective, we tried to

treat within the framework of a research in Information and Communication Sciences, a key concept for our research: mediation. We have tried to bring the reader back from the amalgam to the rigorous concept. Thus, we started at the beginning which is none other than the etymological root of the term. After a historical overview of the use of the concept of mediation, we noted that it is about mediation and mediations, that there is not only the exclusive field of the conflict where mediation is called upon to act. In other words, mediation takes on meanings other than the political and the legal. Other fields are invested by the mediation, namely the religious, the cultural. The religious context refers to mediation between God and the faithful. We have discussed the forms, actors and media of mediation. We explained the link that exists between mediation with other concepts, namely: culture, society, religion, ritual practice, space, time and heritage. We thus conclude that the term mediation is not limited or fixed, it extends over several uses and at different levels. Once well defined, it can be put to relevant use and placed in the appropriate context.

Keywords: Mediation, Forms of Mediation, Context of Mediation

الملخص:

يجد الباحثون خاصة عندما يتعلق الأمر بالمبتدئين، صعوبة امام بعض المفاهيم لاستعمالها في أطوار البحث. فالمفهوم الواحد يمكن ان يشمل عدة معاني ويجد الباحث نفسه امام مجموعة من المعاني المختلفة ويحتار في اختيار المفهوم المناسب. مقالتنا تتطرق لهذه الاشكالية، اذ حاولنا معالجتها في إطار بحث في علوم المعلومات والاتصال. لقد ناقشنا أشكال الوساطة والجهات الفاعلة والأجهزة المعتمد عليها في الوساطة. كما ألقينا الضوء على علاقة الوساطة بمفاهيم اخرى مثل: الثقافة والمجتمع والدين وممارسة الشعائر والمكان والزمان والتراث. وفي الختام، استنتجنا أن مصطلح الوساطة ليس محددًا أو ثابتًا، بل يمتد إلى عدة استخدامات وعلى مستويات مختلفة. وبمجرد تحديد المفهوم بشكل جيد وواضح، يمكن استخدامه ووضعه في السياق المناسب.

الكلمات المفتاحية: الوساطة، أشكال الوساطة، سياق الوساطة

Introduction:

Certains concepts prêtent à confusion dans leur usage. Lors d'un travail de recherche en Sciences de l'Information et de la Communication, le concept médiation s'est imposé comme un concept clé. En essayant d'introduire le concept médiation dans ma recherche, j'ai réalisé que la notion devait être examinée sur toutes ses facettes afin de choisir dans la rigueur celle qui sied le mieux à ma recherche.

1-De l'amalgame au concept rigoureux

Evoquant le centre, l'entre-deux, le terme «médiation» serait d'origine indo-européenne. On lui retrouve aussi des origines dans la culture grecque même s'il n'apparaît pas dans le vocabulaire de la Grèce antique. Le principe de base de la médiation chez les Grecs est le dialogue entre deux parties. Chez les Romains, la médiation apparaît dans les mots: *méditerranée, médium, médius*[1]. Ce n'est que vers 1694 et à l'aide de l'imprimerie que le mot «médiation» serait apparu dans l'encyclopédie française pour signifier une intervention humaine entre deux parties. Ce qui rejoint l'idée du dialogue chez les Grecs et du milieu qui reviennent dans toutes les définitions de la médiation. D'ailleurs, cette image géométrique du milieu entre deux points est inhérente au terme médiation. Elle renvoie à un intermédiaire entre deux parties dont la fonction varie selon le contexte, d'où cette pluralité de sens de la fonction médiation pour ne pas dire cet, *«usage indifférencié de la notion de médiation qui vaut comme symptôme d'une société qui craint de reconnaître les conflits, recherche les espaces de dialogue et du consensus et, enfin, aspire à renouer le tissu social déchiré par le développement incontrôlé de la logique marchande»*[2] .

[1] Dictionnaire: le Robert.

[2] Caune, Jean, 2000, La médiation culturelle: une construction du lien social, Grenoble, GRESSEC, Les Enjeux de l'Information et de la Communication, n°01/1.

Cet usage indifférencié de la notion de médiation lui vaut le caractère de notion abstraite, générale et atemporelle[1], parfois même la réputation de notion élastique aux contours flous dus à de nouvelles pratiques sociales d'où la nécessité de traiter cet amalgame et retirer la médiation en tant que concept rigoureux.

Au fait, il s'agit de médiation et des médiations, si l'on se réfère à la définition de Jean-François Six: «*Une définition générale de la médiation doit prendre en compte qu'il y a quatre sortes de médiations, les deux premières étant destinées à faire naître ou renaître un lien, les deux autres étant destinées à parer à un conflit*»[2].

On constate alors qu'il n'ya pas que le champ exclusif du conflit où la médiation est appelée à agir. Autrement dit, la médiation revêt d'autres sens que le politique et le juridique. D'autres champs sont investis par la médiation, à savoir le religieux, le culturel. Le contexte religieux renvoie à la médiation entre Dieu et les fidèles. La différence des cultures rappelle la médiation dans un but d'adaptation et de vulgarisation, voire de transmission des savoirs, de manière à être envisagée comme une nouvelle fonction qui s'impose dans la société[3] où l'intermédiaire doit communiquer la pensée à partir de ses producteurs à ceux qui subissent les conséquences des actes résultants de ces pensées. Il doit au fait traduire ces idées conçues dans un moule propre aux concepteurs et les rendre accessibles et compréhensibles pour bénéficier d'un droit de regard sur les décisions qui en découlent. Cela est du au fait que plus une idée est complexe, parce qu'elle a été conçue dans un univers autonome, plus la restitution est difficile, d'autant plus si elle s'adresse à un public ne

[1] Hennion, Antoine, 1990, De l'étude des médias à l'analyse de la médiation: esquisse d'une problématique, Paris, Médiaspouvoirs, n° 20.

[2] Six, Jean-François, 1990, Le Temps des médiateurs, Paris, Seuil, 288p.

[3] Moles, Abraham et Oulif, Jean-Michel, 1967, Le Troisième homme: vulgarisation scientifique et radio, Paris, PUF, Diogène, n°58.

disposant pas du même habitus (selon Bourdieu) pour comprendre la dite idée.

La médiation est alors utilisée dans le sens de traduction qui permet la connexion et le lien.

Il y a donc communication par l'opération du tiers, de l'intermédiaire ou médiateur qui aide à la re-présentation. Ceci nous pousse à souligner que dans la discipline des Sciences de l'information et de la Communication, la médiation est devenue un champ de recherche important dans le sens où certains types de médiation ordonnent la production, la diffusion et l'appropriation de l'information au sein de l'espace public[1].

L'effort du médiateur consiste aussi à rapprocher sinon abolir les distances et assurer le lien entre l'énonciateur et le récepteur. C'est pourquoi il faut souligner que travailler sur les médiations c'est travailler sur les distances ; d'un côté il y a le singulier, de l'autre côté il y a un pluriel. La médiation débouche sur les médiations, rapport de l'homogène sur l'hétérogène, de la proximité à la distance. C'est ainsi que ressort le sens sociologique de la médiation où le médiateur est celui qui sauve l'unité du groupe menacé d'éclatement.[2]

C'est dans cet esprit que la survie d'une société et de son identité présente la médiation comme un lieu d'espoir dans la mesure où elle déconstruit les déformations et les reconstruit en compétences génératrices de valeurs et de sens. Cet ensemble de valeurs, de pratiques et de coutumes partagées, relie à une transcendance commune, préserve la mémoire collective et maintient le fondement du lien social en réduisant l'écart entre soi et le monde. Quand on évoque la mémoire collective, on

[1] Bernard, Lamizet, 1995, Les lieux de la communication, Liège, Mardaga, p347.

[2] Forse, Michel, 2002, Les réseaux sociaux chez Simmel: les fondements d'un modèle individualiste et structural, Paris, PUF, in L. Deroche Gurcel et P. Watier (dir.) la sociologie de Georg Simmel.

pense les ingrédients et composantes de cette mémoire ou plutôt les éléments communs et partagés qui la peuplent. Ces éléments exigent des acteurs, des formes, des supports et des canaux pour circuler et voyager dans le temps sans perdre de leur authenticité ni de leur valeur. A titre d'exemple, l'écriture, la peinture, le dialogue, la danse, ou le chant, sont des formes de médiation, fixant par l'effort d'acteurs sur des supports et véhiculant à travers des médiums, une idée, une pensée, un sens ou des valeurs.

2- ***Des formes, des acteurs et des supports***

La médiation est d'abord un acte de communication si l'on part du paradigme de l'école de Palo Alto[1], selon lequel «toute communication présente deux aspects: le contenu et la relation, tels que le second englobe le premier». Et la médiation signifie les relations d'un sujet avec les autres. On peut alors avancer que le lien est l'essence même de la médiation, il en est la fin et le moyen. Si la médiation forge les liens, elle exige autant ces liens pour agir. Ces liens lui permettent de placer les hommes au sein d'une filiation, d'une appartenance à travers des traces inscrites dans le temps et l'espace pour créer un sens. Ce sens est tributaire d'une pluralité d'intentions et de formes ; l'intention est celle des acteurs et la forme est celle du dispositif et la médiation oscille entre ces deux pôles qui sont les acteurs et les dispositifs dans les quels ils se trouvent. L'action de médiation présente toutefois quelques particularités d'un contexte à un autre ou d'une finalité à une autre comme nous allons le voir dans les paragraphes qui suivent. Prenons le cas de la médiation largement utilisée dans le domaine culturel.

[1] Watzlawick, Paul et Beavin Bavelas, Janet et Donald deAvila, Jackson, 1972, Une logique de la communication, Paris, Seuil, p. 52.

2.1. Médiation, Culture et Patrimoine

La notion de médiation culturelle a fait l'objet de diverses recherches ayant engendré à leur tour divers concepts et modèles dont nous citons les plus importants. Ainsi, les modèles de médiation de Lamizet relient l'individu, la manifestation et la société. Ceux de Caune se basent aussi sur les relations interpersonnelles alors que ceux de Six se basent sur la relation entre l'institution et le citoyen. Ces différents intervenants dans une médiation culturelle font de sorte qu'elle peut-être à la fois interculturelle et interpersonnelle puisqu'elle se situe entre le singulier et le collectif et ses représentations culturelles.

Partant de l'idée que tout acte de médiation est avant tout un acte culturel[1] et du fait que pour décrire le processus de communication, il faut tenir compte de la présence de médiation, on constate que les Sciences de l'Information et de la Communication ont souvent recours à la notion de médiation pour analyser l'expérience de la réception des produits artistiques de même que les dispositifs où elle se joue. La médiation culturelle peut-être alors envisagée comme étant une transformation, une transmission, une communication ou encore une appropriation du savoir. En effet la médiation culturelle s'inscrit dans un projet social qui vise l'accessibilité du patrimoine pour tous. Elle se manifeste dans l'animation, la communication et la vulgarisation des connaissances relatives à un patrimoine précis.

Dans ce cas, il s'agit d'une pratique professionnelle dont le but est la démocratisation culturelle; une pratique professionnelle qui se trouve entre: «D'une part, la chaîne des différentes catégories d'acteurs et leurs dispositifs techniques qui gravitent autour de la création artistique et conditionnent le produit culturel qui sera, à une période donnée, proposé au public, et d'autre part, dans la tradition de l'action culturelle ou de

[1] Beaud, Paul, 1984, La société de la connivence, Thèse de doctorat, sous la direction de Bernard Miège, Grenoble, Gresec-Université Sthendal.

l'animation, les formes d'intervention que les médiateurs mettent en place et organisent, dès lors que l'exposition est inaugurée pour favoriser l'appropriation de l'art par les visiteurs»[1]. Donc la médiation permet d'atteindre une finalité qu'est la vulgarisation du produit culturel. Ce produit est l'œuvre d'auteurs faisant appel à des dispositifs qui les aident à conditionner leur produit qui sans l'action de médiation et le travail des médiateurs ne peut être approprié par les destinataires.

Toutefois, il n'y a pas que cet aspect professionnel où la médiation est dotée du statut d'interface entre la production artistique et le public, et dont le but est la démocratisation culturelle.

La culture est avant tout un héritage transmis selon des modes qui font partie eux aussi de la culture. Une idée défendue par certains auteurs qui pensent que: «la culture est communication et la communication est culture»[2]. Ainsi, les médiations culturelles vont au-delà de la vulgarisation et de la communication culturelle qui est de l'ordre de l'instant et inscrivent leur action dans la durée faisant partie de l'héritage, de la transmission et de la circulation des «êtres culturels»[3].

Nous empruntons le terme «êtres culturels» à Y. Jeanneret puisque nous traitons dans ce volet la médiation culturelle et que ces êtres en sont l'objet. Ces êtres se transforment durant leur voyage dans le temps et leur passage d'une société à une autre. C'est cette transformation que qualifie

[1] Caillet, Elisabeth et Jacobi, Daniel, 2004, Introduction, Culture et Musées, n°3, dossier «les médiations de l'art contemporain», Arles, Actes Sud, p.16.

[2] Leteinturier, Christine. 1995, Culture et communication – Convergences théoriques et lieux de médiation (Jean Caune). In: Réseaux, volume 13, n°71. Paris, La Découverte, PP. 137-140.

[3] Jeanneret, Yves, 2008, Penser la trivialité, la vie triviale des êtres culturels, Vol.1, Paris, éditions Hermès-Lavoisier.

Y. Jeanneret de trivialité[1]. La trivialité est en sorte le résultat de la propagation et de la mise en question de la société. D'ailleurs, Régis Debray fut le premier à soulever la question de la trivialité culturelle et à conférer à la transmission le statut de pouvoir tout en la distinguant de la communication selon un point de vue médiologique.

A ce niveau, nous soulevons l'une des problématiques de la médiation culturelle qui n'est autre que la relation entre le patrimoine et le public, entre la représentation de la culture traduite, exprimée par le patrimoine et son appropriation et sa réception par la collectivité.

Le patrimoine est l'ensemble de ces «êtres culturels» qui représentent les aspects propres d'une culture, le symbole spécifique et le témoin d'une identité. Le patrimoine joue le rôle de lien entre un passé et un présent. C'est un acteur de médiation culturelle qui lui permet de contribuer à jeter un pont entre le passé, le présent et l'avenir. C'est cette trace que laissent derrière eux, les peuples et les sociétés, et qui donne sens à leur histoire, pour eux-mêmes d'abord, mais aussi pour ceux qu'ils s'imaginent comme leurs successeurs.[2] Cette trace est détruite, réduite au silence dès que l'on veut anéantir et effacer une identité culturelle ou religieuse. Citons dans ce sens Claude Lévi-Strauss qui affirmait en 1993 que «supprimer au hasard dix ou vingt siècles de l'histoire n'affecterait pas de façon sensible notre connaissance de la nature humaine. La seule perte irremplaçable serait celle des œuvres d'art que ces siècles auraient vu naître, car les hommes ne diffèrent et même n'existent que par leur œuvres»[3].

Le rôle de l'action de médiation est alors d'intervenir pour éviter cette rupture avec le passé à travers la construction du sens et la création ou la

[1] Jeanneret, Yves, 2008, Penser la trivialité, la vie triviale des êtres culturels, Vol.1, idem.

[2] Lamizet, Bernard, 2000, La médiation culturelle, Paris, L'Harmattan, p. 432.

[3] Lévi-Strauss, Claude, 1993, Regarder, écouter, lire, Paris, Plon, p.176.

restauration des liens sociaux. La médiation intervient alors entre une société, un collectif et sa culture pour lui préserver ses codes, ses liens et son identité.

2.2. Médiation, culture et société

Cette question nous renvoie à la notion de configuration sociale formulée par Norbert Elias[1] qui permet de penser le monde culturel et social comme un tissu de relations. De ce fait, le culturel opère dans l'ordre du partage, des représentations et des imaginaires, il est cet espace de réconciliation des classes et de réabsorption des différences sociales. Il sert à réconcilier les goûts en les résolvant dans l'imaginaire. Des réseaux de relations concrets sont ainsi construits prouvant que les processus symboliques peuvent être considérés comme constitutifs du lien social. Le lien culturel peut être considéré comme un lien librement choisi qui selon Simmel[2] concurrence de plus en plus les liens sociaux innés et organiques. On peut citer dans ce sens: «…Ces communautés d'esprit dont l'exemple le plus connu est «la République des savants» permettaient, contre la séparation médiévale des cercles et des classes sociales, à des gens venus d'horizons divers, qui souvent restaient encore fidèles aux professions les plus diverses, de participer ensemble activement ou passivement, à des idées et des connaissances, croisant de façon la plus variée les formes et les divisions de la vie qui avaient existé jusque-là. Se réunissaient ainsi dans cette communauté d'esprit le pauvre moine érudit et le puissant capitaine ou la brillante princesse»[3]

On assiste alors à des forces et des formes relationnelles que la culture, l'esprit, les symboles et les idées déclenchent et qui produisent la société. Ce qui incite à considérer le caractère social de la médiation et du

[1] Elias, Norbert, 1991, La société des individus, Paris, Fayard, PP. 15-24.

[2] Forse, Michel, Op.Cit.P.2

[3] Idem

rôle de la médiation à ce niveau dans la société tout en tenant compte de l'imbrication avec d'autres aspects de la médiation.

A ce niveau, nous évoquons Durkheim[1] et son ethnologie qui nous fournit l'une des origines de l'idée de médiation culturelle et l'implication du social et du collectif dans cette forme de médiation. Les emblèmes qui sont des objets culturels ne tirent pas leur force d'eux-mêmes, mais du collectif dont ils sont le symbole car cette force ne réside pas dans les objets eux-mêmes mais dans ce qu'ils représentent, le social, la force collective du groupe.

Dans cet esprit, Antoine Hennion[2], se référant à l'œuvre de Durkheim, pense qu' «au lieu d'être les choses qu'ils sont, auxquelles les indigènes attribuent directement l'origine de leur force, les «objets culturels» (et les noms, les rites, les institutions) sont des symboles, les médiateurs d'une force, mais d'une force invisible et extérieure à l'individu, qu'il a donc besoin de se représenter, grâce à sa matérialisation dans un emblème. C'est la théorie du «drapeau» pour lequel meurt le soldat patriote, ni chiffon ridicule, ni objet réel du sacrifice: matérialisation pour les soldats d'une idée forte mais trop abstraite sous cette représentation, la patrie».

La représentation sert alors au groupe de reprendre sa réalité et d'en rendre conscient chacun de ses membres et c'est le caractère actif de la médiation qui le permet à travers des intermédiaires matériels. Ces intermédiaires participent à la formation de cet état mental et à sa symbolisation.

On aboutit alors au symbolique qui est à l'origine du lien et de la relation, du partage d'un même temps, d'un même espace et d'une même

[1] Durkheim, Emile, 1985, Les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, PUF-Quadrige, P. 331.

[2] Hennion, Antoine, 1990, De l'étude des médias à l'analyse des médiations: esquisse d'une problématique, Paris, Médiaspouvoirs, n°20, P.41

expérience. C'est le modèle religieux de la médiation tel qu'exposé par Durkheim[1]. Dans cette figure de médiation, la prolifération des médiateurs, humains et matériels, leur indispensable présence ensemble, leur addition qui les mets l'un au service de l'autre ; est une condition première de la représentation. C'est alors que nous allons aborder la médiation religieuse.

2.2.1. Médiation et religion

Toute société a un besoin «instinctif» de garantir au fil des générations la pérennité de ce qu'elle considère comme son patrimoine spirituel et assurer en conséquence sa survie dans le temps. Pour ce faire, elle doit assurer la transmission régulière de ses valeurs d'une génération à l'autre. Cette transmission ne s'effectue pas naturellement à «l'identique». Les différences entre les contextes historiques que vivent des générations, affectent également l'environnement cultuel et engendrent de véritables fractures identitaires au sein du corps social. Parallèlement, ces fractures influent sur le rapport au monde, sur les capacités et les vecteurs de communication entre individus. Dans le domaine religieux, cela peut provoquer l'ébranlement de la société et menacer la permanence de la mémoire collective car la transmission religieuse ne consiste pas seulement à assurer le transfert générationnel d'un contenu de croyances. La transmission religieuse assure la continuité de l'institution religieuse elle-même dans le temps.

Or, l'héritage religieux, pour se perpétuer dans le temps, a aussi besoin de relais de transmission. I l y a d'abord les dispositifs de la transmission autorisée qui sont contrôlés par les autorités religieuses. En parallèle, on peut citer le rôle de l'enseignement, les faits et gestes rituels

[1] Idem. P. 47

portés par la cellule familiale et la société (rythme quotidien des prières, fêtes religieuses). Ces manifestations rituelles ponctuant le quotidien, contribuent à assurer la continuité de l'institution religieuse qui est considérée comme un moyen de régulation et de transmission d'une identité à travers le temps et à instaurer la religion comme une éthique communautaire jouant à travers son rôle de lien social un rôle dans l'équilibre et le maintien d'une société voire d'une communauté.

D'ailleurs, dans le cadre de la sociologie religieuse, les croyances, les pratiques et les institutions religieuses sont mises en avant par Durkheim[1]qui décrit la religion comme une chose sociale puisque la chose d'un groupe, à savoir d'une Eglise ; et aussi puisque les dogmes, les mythes ont toujours consisté en des systèmes de croyances communes à toute une collectivité et obligatoires pour tous les membres de cette collectivité.

Il en est de même des rites dont nous détaillerons l'implication dans l'action de médiation dans ce qui suit.

2.2.2. Pratique rituelle et Médiation.

Avant de voir comment le rite ou la pratique rituelle construisent-ils une relation et agissent-ils comme médiateurs et ressortent-ils une autre dimension de la médiation ; nous allons nous attarder sur le sens du rituel en général.

Le rituel est un concept polysémique et de protéiforme. Etymologiquement, le rituel qui provient du latin ritus, renvoie au culte religieux mais aussi à une coutume fixée par une tradition qui représente l'ordre social. C'est généralement dans le contexte de la religion, du mythe et de la culture que les rituels sont étudiés. Leur étude permet d'analyser

[1] Durkheim, Emile, 1909, Sociologie et sciences sociales, in de la méthode dans les sciences, Paris, Felix Alcan, PP. 259-285

les structures et les valeurs de la société de manière à dégager la relation entre les rituels et les structures sociales. Les rituels sont purement symboliques et se présentent comme une suite d'actions chargée de sens et renvoyant des signes, une suite d'actions structurées et réparties dans le temps, qui répond à une structure temporelle de communication puisque ces actions ont un commencement et une fin. Les rituels exercent souvent une médiation car ils se situent entre les valeurs et les idéaux d'une société et entre celle-ci.

De même les rituels sont forts en matière de communication dans la mesure où ils peuvent parfois être l'occasion de réunir et rassembler pour une durée limitée une communauté d'êtres différents, appartenant à différentes culture.

C'est ce qui fait leur force qui n'est autre que créer des liens, jeter les ponts entre les individus, les communautés et les cultures, établir un rapport entre l'histoire, le présent et l'avenir. La force des rituels réside aussi dans la multiplicité des fonctions qu'ils assurent et le rôle qu'ils jouent pour la communication humaine. Le rituel est créateur de lien social et d'identification. C'est une action magique puisque la pratique rituelle est liée au sacré, ce rapport permet d'organiser l'intégration, la distinction et la communication dans une communauté qui a besoin du sacré qui lui confère assurance et confiance et lui garantit ordre et solidarité.

Pour la communauté, le rituel est le moyen de préserver la mémoire et de se projeter dans l'avenir pour se réassurer sur son existence.

Le rituel aide aussi la communauté à dépasser les crises et régler les conflits car la pratique rituelle commune dépasse l'individu et forme une communauté solidaire.

Prenons par exemple le cas du rite de la prière du Vendredi en Islam. Participer à la prière du Vendredi peut être interprété comme une volonté

de renforcer ou de mettre en évidence le lien communautaire, comme un besoin d'être ensemble, comme un désir de voir et de se faire voir, enfin un habitus. Ajoutons à cela que le prône du Vendredi, par sa fonction exhortante, est entre autre l'expression de l'identité même de la communauté, une définition du nous[1].

Le nous est le résultat du lien que fondent une transcendance et une mise en forme symbolique. Il y a une relation du sujet aux autres dans un monde de références partagées. Dans ce monde de références partagées, d'expérience commune, de relations interpersonnelles, se construit un sens transcendantal qui oriente les rapports longs.

Apparaît alors ce rôle de la médiation qui en plus d'entretenir et de forger les liens éphémères, elle endosse aussi pour rôle celui de participer à la production d'un sens qui engage la collectivité[2], inscrit son expérience dans la durée en l'aidant à maintenir, développer et transmettre parfois inconsciemment , à travers sa façon de vivre, ses coutumes, ses traditions, ses rites. Et c'est l'essentiel de la médiation qui consiste dans ce cas à maintenir le contact entre hier et aujourd'hui, à être l'intermédiaire entre hier et aujourd'hui.

2.2.3. Espace, Temps et Médiation.

Cette notion d'hier et d'aujourd'hui qui renvoie au temps, ce contact – lien qui est maintenu par l'action de médiation et vu le champ des Sciences de l'Information et de la Communication où se situe notre recherche, tout cela nous invite à appréhender la médiation comme un lien

[1] Farag, Iman, 1990, Médiateurs du religieux, métaphore du profane (et l'inverse): le prédicateur et le prône, Égypte/Monde arabe, Le Caire, CEDEJ.

[2] Caune, Jean, 2017, Expérience esthétique et construction du Vivre-ensemble, Grenoble, Presses universitaires de Grenoble, coll. Communication médias et sociétés, 276 pages.

entre le passé, le présent et l'avenir, comme acte de transmission d'une culture, des valeurs et d'une identité dans le temps.

Nous nous référons alors à la conception médiologique du terme transmission qui: «…regroupe tout ce qui a trait à la dynamique de la mémoire collective… La transmission a un horizon historique et pour socle de départ une performance technique (via l'utilisation d'un support). Dans un cas, par la mise en relation d'un ici avec un ailleurs, on fera de la continuité et donc de la culture»[1].

En effet, la transmission, en visant l'être et non l'avoir des individus, construit l'identité et se porte garante de l'intégrité du nous. Autrement dit, ce nous, ce collectif est édifié et cimenté par l'ensemble des connaissances et des valeurs qui constituent un substrat social et culturel nécessaire à la survie de la mémoire. La transmission prend la charge de proroger et de faire circuler ce substrat social et culturel par de multiples aller-retour à travers un pont reliant hier à aujourd'hui, sauvegardant et entretenant ainsi la mémoire collective.

L'action de médiation ainsi approchée exige des supports et des relais pour franchir le temps, des supports de l'ordre de l'institutionnel, du social, du technique et du rituel. Telle que décrite par Régis Debray, elle inclut divers supports de sens, des gestes et des lieux autant que des mots et des images, des cérémonies autant que des textes, du corporel et de l'architectural, autant que de l'intellectuel et du moral.

Ces supports mettent en relation les sujets plus par sédimentation que par contact et ce en articulant des imaginaires et des temps différents. Ce sont les lieux d'identification imaginaires exigés par le lien d'affiliation et qui en détiennent le secret dynamique.

[1] Debray, Régis, 2000, Introduction à la médiologie, Paris, PUF, P.3

Ce support, ce lieu, n'est-il pas cet: [1]«...invariant de base plus ombreuse, moins tapageur, et néanmoins coprésent à tous les modes de communication, tous les stades chronologiques de la circulation des signes: le dispositif véhiculaire, l'organe de transmission.» ?

Le dispositif paraît ici comme le lieu où se conjuguent savoir-faire et faire-croire, comme l'institution obligatoire pour la médiation. C'est le socle de départ de la transmission dans le temps long des traces, qu'il gage par une règle ou une tradition en amont pour les répercuter par une dynamique de propagande ou d'initiation en aval[2]. C'est aussi le lieu de production de familiarité, de vraisemblance et de cohésion entre individus leur permettant ainsi de ré enchanter le monde qui les entoure[3]. Louise Merzeau [4]décrit ceci comme la «bienveillance du milieu» qui n'est pas de l'ordre d'une docilité mais d'un pliage du réel qui suspend l'écart entre la matière et l'esprit par une relation de rappel, de reconnaissance et d'assortiment.

Le phénomène de la médiation se présente comme une occasion de réfléchir ses connexions possibles avec les problématiques de la circulation des valeurs religieuses, de la traçabilité d'une culture, dans l'espace d'une société à travers le temps.

En parallèle, on peut constater que la médiation est généralement mise en pratique dans le cadre de dispositifs qui l'initient et qui valorisent sa dimension procédurielle. L'espace, l'espace-temps, l'espace-lieu, peuvent ainsi être considérés comme autant de dispositifs de médiation dans la mesure où ils permettent une forme sociale d'organisation, d'inscription et

[1] Debray, Régis. 1994, Manifestes médiologiques, Paris, Editions Gallimard, P. 5.

[2] Debray, Régis, 1998, Histoire des quatre M, dans Cahiers de Médiologie, n° 6, Pourquoi des médiologues?, Paris, Gallimard.

[3] Merzeau, Louise, 2002, Penser la médiation, Colloque médio/médias, Université d'Anvers,

[4] Idem

de transmission d'une expérience. En effet, selon Simmel[1], l'espace est vu comme une médiation avec un caractère exclusif. C'est le lien des actions réciproques des individus régis par des règles et des normes. L'espace n'est plus considéré comme support matériel, comme contenant non déterminé par le contenu mais comme un espace dépendant du contenu, «l'espace est l'ordre des coexistants». Simmel reprend cette idée du philosophe Leibniz pour représenter l'espace en tant que système de positions et de relation de positions. L'espace a donc un lien avec les interactions des individus et les relations réciproques. Il serait donc non seulement un cadre matériel mais également porteur de signification pour les individus qui y sont en interaction.

Ce point de vue est partagé par les penseurs de l'espace, les anthropologues et les psychosociologues qui insistent sur les rapports entre l'espace en tant que support matériel, comme cadre et en tant que volume d'activités humaines.

De même, nous attirons l'attention sur cette notion d'espace qui colle au dispositif car parmi les dimensions principales de l'acte de médiation, outre la dimension technique, il y a aussi la dimension lieux de médiation. C'est le principe de la cartographie dont relève – en plus du temps– tout média sphère avant de coïncider avec une idéologie[2].

L'espace est ainsi présent dans tout processus de médiation au même titre que le discours, l'institution, le temps, la pratique. D'ailleurs, on a vu que la médiation est un ensemble de pratiques sociales qui se développent dans des domaines institutionnels différents et qui visent à construire un espace déterminé et légitimé par les relations qui s'y manifestent[3]. Au

[1] Simmel, Georges, 2013, Sociologie: Etudes sur les formes de la socialisation, Paris, PUF.

[2] Simmel, Georg, Op.Cit. P.10

[3] Caune, Jean, Op.Cit P.9

même titre que le temps, l'espace entre de la sorte dans la conceptualisation du champ social. Ce qui revient à dire que l'histoire doit toujours localiser l'événement par rapport au milieu[1].

C'est dans cet esprit que Fernand Braudel[2] attribue à l'axe du temps et à celui de l'espace le rôle de définir une civilisation, une culture: «Une civilisation c'est tout d'abord un espace, une «aire culturelle», (…), un logement (…) c'est le groupement régulier, la fréquence de certains traits, l'ubiquité de ceux-ci dans une aire précise, qui sont les premiers signes d'une cohérence culturelle. Si à cohérence dans l'espace s'ajoute une permanence dans le temps, j'appelle civilisation ou culture l'ensemble, le total du répertoire.».

Conclusion:

Nous concluons ainsi que le terme médiation n'est pas limité ni figé, il s'étend sur plusieurs usages et à différents niveaux. Une fois bien défini, on peut en faire l'usage pertinent et le placer dans le contexte adéquat.

Références Bibliographiques

- Beaud, Paul, 1984, La société de la connivence, Thèse de doctorat, sous la direction de Bernard Miège, Grenoble, Gresec-Université Sthendal.
- Braudel, Fernand, 1985, Ecrits sur l'histoire, Paris, Editions Flammarion.
- Caillet, Elisabeth et Jacobi, Daniel, 2004, Introduction, Culture et Musées, n°3, dossier «les médiations de l'art contemporain», Arles, Actes Sud.

[1] Grataloup, Christian, 2003, Braudel, Fernand (1902-1985), Espace-temps.net, Lausanne Association Espace-temps.

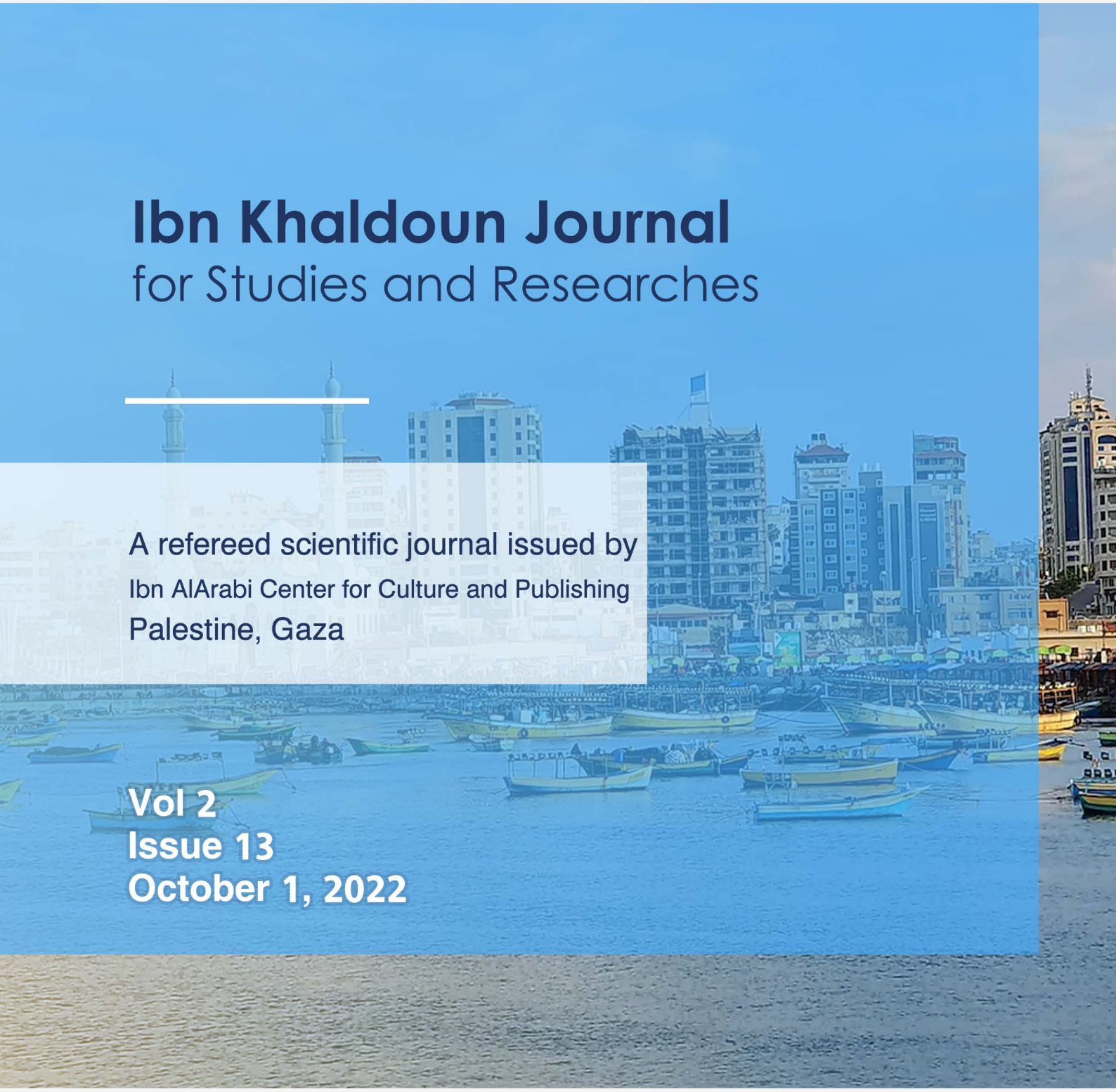
[2] Braudel, Fernand, 1985, Ecrits sur l'histoire, Paris, Editions Flammarion, pp.44-61

- Caune, Jean, 2000, La médiation culturelle: une construction du lien social, Grenoble, GRESSEC, Les Enjeux de l'Information et de la Communication, n°01/1.
- Caune, Jean, 2017, Expérience esthétique et construction du Vivre-ensemble, Grenoble, Presses universitaires de Grenoble, coll. Communication médias et sociétés.
- Debray, Régis, 2000, Introduction à la médiologie, Paris, PUF.
- Debray, Régis. 1994, Manifestes médiologiques, Paris, Editions Gallimard.
- Debray, Régis, 1998, Histoire des quatre M, dans Cahiers de Médiologie, n° 6, Pourquoi des médiologues ?, Paris, Gallimard.
- Dictionnaire: le Robert.
- Durkheim, Emile, 1985, Les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, PUF-Quadrige.
- Durkheim, Emile, 1909, Sociologie et sciences sociales, in de la méthode dans les sciences, Paris, Felix Alcan.
- Elias, Norbert, 1991, La société des individus, Paris, Fayard.
- Farag, Iman, 1990, Médiateurs du religieux, métaphore du profane (et l'inverse): le prédicateur et le prône, Égypte/Monde arabe, Le Caire, CEDEJ.
- Forse, Michel, 2002, Les réseaux sociaux chez Simmel: les fondements d'un modèle individualiste et structural, Paris, PUF, in L. Deroche Gurcel et P. Watier (dir.) la sociologie de Georg Simmel.
- Grataloup, Christian, 2003, Braudel, Fernand (1902-1985), Espace-temps.net, Lausanne Association Espace-temps.

- Hennion, Antoine, 1990, De l'étude des médias à l'analyse de la médiation: esquisse d'une problématique, Paris, Médiaspouvoirs, n° 20.
- Jeanneret, Yves, 2008, Penser la trivialité, la vie triviale des êtres culturels, Vol.1, Paris, éditions Hermès-Lavoisier.
- Jeanneret, Yves, 2008, Penser la trivialité, la vie triviale des êtres culturels, Vol.1, idem.
- Lamizet, Bernard, 1995, Les lieux de la communication, Liège, Mardaga, 347 p.
- Lamizet, Bernard, 2000, La médiation culturelle, Paris, L'Harmattan,
- Leteinturier, Christine. 1995, Culture et communication - Convergences théoriques et lieux de médiation (Jean Caune). In: Réseaux, volume 13, n°71. Paris, La Découverte.
- Lévi-Strauss, Claude, 1993, Regarder, écouter, lire, Paris, Plon.
- Merzeau, Louise, 2002, Penser la médiation, Colloque médio/médias, Université d'Anvers.
- Moles, Abraham et Oulif, Jean-Michel, 1967, Le Troisième homme: vulgarisation scientifique et radio, Paris, PUF, Diogène, n°58.
- Simmel, Georges, 2013, Sociologie: Etudes sur les formes de la socialisation, Paris, PUF.
- Six, Jean-François, 1990, Le Temps des médiateurs, Paris, Seuil, 288p.
- Watzlawick, Paul et Beavin Bavelas, Janet et Donald deAvila, Jackson, 1972, Une logique de la communication, Paris, Seuil.

P-ISSN: 2789-7834 E-ISSN: 2789-3359
AIF 2021: 0.5 ISI 2021: 0.452
i2or 2022: 1.6 || GIF 2021 : 1.5255 || ISRA 2022: 1.013 ||
IJIFACTOR 2022: 1.6 with grade A

Ibn Khaldoun Journal
for Studies and Researches



A refereed scientific journal issued by
Ibn AlArabi Center for Culture and Publishing
Palestine, Gaza

Vol 2
Issue 13
October 1, 2022

benkijournal@gmail.com
+970 593 276 022
www.benkijournal.com
t.me/benkijournal
www.facebook.com/benkijournal